

ديوان الأخرس

السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب
الموصلي البغدادي البصري
المتوفى سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م

حقيقه وعلق عليه
الخطاط وليد الأعظمي

الطبعة الثانية

2 0 0 8

راجع هذا الديوان وضبطه وأضاف إلى حواشيه
الباحثان في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

عبدالعزیز محمد جمعة
إبراهيم عبدالحميد الأسود

الصف والتفید
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة
تصميم الغلاف
محمد عبدالوهاب

حقوق الطبع محفوظة

طبعة خاصة لصالح

تزامناً مع دورتها الحادية عشرة
«دورة معجم البابطين لشعراء العربية \$ القرنين التاسع عشر والعشرين»
الكويت 2008

الطبعة الأولى 1986

أسفًا على عُمرٍ تقضى شطره
في خيبة المسعى إلى الآمال
وبنات أفكارنا عربيَّة
رخصت لدى الأعجام وهي غوالي

الأخرس

التصدير

كلما ذكر الشعر العربي في العراق في القرن التاسع عشر أو ذكر أعلامه تبادر إلى الذهن شاعر العراق الكبير في ذلك القرن عبدالغفار الأخرس، الذي ولد في أوائل القرن التاسع عشر ورحل في أوائل ربيع الأخير، مخلقاً كنزاً شعرياً ثميناً تميز بالعدوية والصفاء والأساليب البلاغية الأصيلة الناهلة من التراث بأنواعه أكان تراثاً دينياً أم لغوياً، وقد امتاز شعره - في أغلبه - بطول النفس وبمقدماته الغزلية والخمرية.

إن من المؤسف أن لا يقابل شعر الأخرس بما تستحقه قامته الشعرية السامقة من اهتمام، فلم تصدر له طبعات ذات أهمية، بخلاف قيام المرحوم الشاعر عبدالباقي العمري (من مجالي الشاعر) بتجميع ما تيسر له آنذاك، من أشعاره وطباعتها في استانبول قبل (١٢٥) عاماً (١٣٠٤هـ) تحت عنوان «الطراز الأنفس في شعر الأخرس»، ثم قيام المرحوم وليد الأعظمي المتوفى عام ٢٠٠٤ بإضافة بعض القصائد إلى الطراز الأنفس والخروج بطبعة جديدة عام ١٩٨٦م، مع اختلاف في الترتيب، ولم تسلم الطبعتان من الأخطاء المطبعية الكثيرة الموثقة في ثنايا القصائد.

لذلك رأت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وهي بصدد إقامة دورتها الحادية عشرة في الكويت تحت عنوان (دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين) أن تحتفي بشعراء ثلاثة من رموز شعراء العربية في القرنين المذكورين، أحدهما من شعراء القرن التاسع عشر ولادة وإبداعاً ووفاء، فوقع الاختيار على المرحوم الشاعر عبدالغفار الأخرس من العراق، وثانيهما من شعراء القرن العشرين ولادة وإبداعاً ووفاء، فوقع الاختيار على المرحوم الشاعر صقر الشبيب من الكويت، وثالثهما وأخرهما شاعر توزعت حياته على القرنين فضلاً عن مهجريته ووقع الاختيار على المرحوم الشاعر إيليا أبي ماضي. وهكذا فإن المؤسسة غطت شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين في شكل رمزي، فضلاً عن التغطية الكاملة لآلاف الشعراء من خلال إصدارها المتميز (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين).

عزيزي القارئ

ستجد من خلال الاطلاع على هذا الديوان شاعراً عربياً متميزاً في شعره من حيث المستوى ومكثراً من حيث الكم، يدحض مقولة انحطاط وتدني مستوى الشعر العربي في العصر العثماني ويقيد إطلاقها على الجميع، فلقد كان الشاعر الأخرس حزمة ضوء كبيرة وتيار إشعاع ينير ما حوله من ظلمة، ويرتفع بالإبداع الشعري ويحلق به في مستويات وأفاق تذكر بإبداعات الشعر العربي في عصوره الذهبية التي خلت.

نعم، لقد كان جل شعر الأخرس في أغراض تقليدية تمحورت حول المديح والتهاني والثناء، وكان مقلداً في الهجاء، وفي وصف الطبيعة، ولعل مقدمات قصائده التي تسبق أغراضها الأصلية فيها العوض عن ذلك. وسيرى المتابع لإبداع الأخرس أن شعره كان منهلاً للكثير من الشعراء المجالين له وللشعراء الذين جاؤوا من بعده.

وما أوجنا اليوم للاطلاع على إبداعات شعرائنا السابقين والمتميزين منهم بشكل خاص، وهذا هو الهدف الذي تسعى إليه مؤسستنا من خلال إصدارات كاملة - ما أمكن - للشعراء السابقين، لوضع هذا الإنتاج وتلك التجارب بين أيدي الأجيال الحاضرة والقادمة.

وفي الختام أتمنى للقراء الكرام أن يجدوا في عوالم هذا الديوان مزيداً من الفائدة المقرونة بالمتعة من خلال الإبحار في تحفة نفيسة من فننا القولي الرفيع جاد بها هذا الشاعر العملاق في القرن التاسع عشر.

ويسعدني أن أخص بالشكر الجزيل الأخ الباحث عبدالعزيز محمد جمعة الذي بذل جهوداً طيبة لمراجعة وضبط هذا الديوان بشكل جديد ومتكامل وشكري موصول للأخ الشاعر إبراهيم الأسود للعون الذي أسداه. ولا يفوتني تقديم الشكر لدار عالم الكتب على تعاونها في إصدار هذه الطبعة الخاصة لصالح مؤسستنا بمناسبة انعقاد دورتها الحادية عشرة دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

والله ولي التوفيق...

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت 10 من رجب 1429هـ

الموافق 12 من يوليو 2008م

بين يدي الديوان

من المسلم به أن كثيراً من الأحكام النقدية التي قوّمت من خلالها عصور الأدب أو قدرة الشعراء ما تزال بحاجة إلى مراجعة، لأن معظم النقود التي قيلت والضوابط التي حدّدت اعتمدت الحكم العام، والتزمت بما ألف الدارسون ترديده، حتى أوشكت أن تغلق أبواب الاجتهاد في بعض المقولات، وتصبح^(*) نظريات لا مجال لدحضها ولا خلاف في نتائجها.

وقد جرّت هذه الحالة على الأدب أستايراً فحجبت روائعه، وأخفت بدائعه، وحملت الباحثين على أن يظلوا غائبين في الصورة الغائمة والموروث التقليدي، ويكتب على كثير من رواد الأدب النسيان والإجحاف وبقيت هذه المعادلة غير المتوازنة تتحكم في الصورة الأدبية. وعلى الرغم من ازدهار البيئات الأدبية في العراق وفي بعض الأقطار العربية، وظهور مجموعة من الشعراء المبدعين الذين أغنوا حركة الشعر بغرر^(**) القصائد في الأغراض المختلفة، وبراعتهم في تقديم اللوحات الفنية المتميزة من حيث الأداء التعبيري أو التركيب البلاغي أو التناسق اللفظي، فإن الصورة القاتمة التي طبع بها العصر ظلت مهيمنة على أحكام النقاد وملازمة لبحوث الدارسين، فقد شهد العراق خلال القرن التاسع عشر - كما شهد - كثير من الأقطار العربية حركة أدبية برع فيها شعراء متميزون، عرفوا باستيعابهم للتراث الشعري العربي واستلهاهم لكثير من أحداثه وأخباره ووقائعه، ووجدوا في صورته الشعرية وأحاديث فخره وأبيات حماسته ما أغنى

(*) في الطبعة الأولى (وتصح) وهو خطأ طباعي.

(**) في الطبعة الأولى (بغرار) وهو خطأ طباعي.

فكرهم وأثرى شعرهم، ومهد لهم حركة إحياءٍ فكريٍّ أسهمت في إنضاج الحس القومي الذي ظهرت بوادره في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ولعل في قصائد حيدر الحلبي وصالح التميمي وعبد الغفار الأخرس^(١) وعبد الحميد الشاوي وعبد الغني الجميل وعبد الباقي العمري، ما يشعر بهذا الحس الذي عبّر عن دعوته إلى الحرية واستثارتة لعزائم الرجال واستنهاضه لهممهم، وهو لوحات كاملة يمكن من خلالها الوقوف على روح الاعتزاز بالعرب والتذكير بالأمجاد الكريمة، والاستبشار بكل حركةٍ أو ثورةٍ تحققها محاولة مخلصّة أو تدعو إليها فئةٌ خيرة، وقد وجد هؤلاء الشعراء في حالة الحرمان الضاربة بأطنابها على الأرض العربية سبباً من أسباب الدعوة إلى التوحد، وعاملاً من عوامل توثيب الجمهور لرفض حالة البؤس والفساد التي استبدت بأحوال الناس، حتى أصبحوا في أوطانهم غرباء لا تجمعهم رابطة ولا يوحدهم سبب.

إن شعر المرحلة التي مهدت لبداية الحس القومي في العراق لم تزل بعيدةً عن تناول الدارسين، وإن المفاهيم القومية التي طرحها شعراء الفترة بمعانيها المعاشة وأفكارها التي لامست جوهر الحياة وعبرت عن أصالة الفكر الموحد، ظلت غير منظورةٍ في الدراسات التي وقفت على هذا الجانب التاريخي وهي أقرب الحالات إلى التعبير وأكثرها صلةً بحياة المناضلين والمجاهدين.

إن محاولة الأستاذ وليد الأعظمي في إحياء شعر هذا الشاعر بعد أن أصبحت نسخة الديوان الأولى نادرة، إضافة إلى القصائد التي أضافها الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين، تعد مبادرةً رائدةً في تقديم شعر الشاعر بعد أكثر من مائة عام على طبع القسم الأول، لقراءته قراءةً جادةً بعيدةً عن كل تأثيرٍ يطوي أحاسيس أولئك الشعراء، ويغفل خفقات وجدانهم التي انبعثت في عصر التخلخل وعبرت في زمن الاكتئاب وذكرت في مرحلة التراجع والتردد.

(١) انظر قصيدته في مدح أبي الثناء الألويسي وقصيدته في مدح نقيب بغداد.

وإذا كان المحقق الفاضل قد وجد في شاعرية الأخرس مشاركةً وجدانيةً لاشتراكهما في الشعر، فإن مشاركةً فنيةً أخرى كانت موضع اعتزازه وهو يُقدِّم على إخراج شاعرٍ خطاطٍ عُرف ببراعته وإجادته، بعد أن أدت حُبسة لسانه إلى أن يُقدِّم قصائده إلى ممدوحيه مكتوبةً بخطه البديع الأنيق، وهنا وجدتُ صورة الأستاذ المحقق ترتسم لي وهو ينصرف بوجدانه إلى إحياء ذكر خطاطٍ مُجيد، بعد أن تلمَّستُ اعتزازه بهذا الفن الذي لازم حياته، فكان تلميذاً وفيّاً للمرحوم الخطاط هاشم البغدادي، وربما أصبح توزع اهتمامه بين الخط والشعر عاملاً من عوامل الإلمام بهذين الفنين الأصيلين، وكان له في كل منهما باع طويل وحظ موفور.. وإن إقدامه على هذا العمل وجهده المثابر في الإخراج ومتابعته في الحصول على هذه الإضافات، توجي بحبه لإحياء التراث الخالد الذي ظل مبعث استتارةٍ ومدعاة استلهاً لكل أمة تريد لأبنائها حياة التقدم، وتسعى لاستعادة دورها الرائد في مسيرة الحياة والتقدم الإنساني.. والله أسأل التوفيق لما فيه الخير إنه نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور نوري حمودي القيسي

الأمين العام للمجمع العلمي العراقي
بغداد 4 رجب الأصم 1405 هـ
26 آذار 1985 م

مقدمة

ولد الشاعر السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب في مدينة الموصل بُعيد سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م، على أرجح الأقوال^(١).

وبها قضى أيام طفولته وصباه، وتعلّم مبادئ القراءة [وقرأ]^(*) قسطاً من كتب اللغة والأدب والفقه على بعض شيوخها، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات عن أسرته، وشيوخه الذين درس عليهم وأخذ عنهم في الموصل.

وقدم بغداد أيام شبابه، وسكن الكرخ، واتصل بالعلامة أبي الثناء الألويسي، وواصل عليه دراسته اللغوية والأدبية حتى نال إجازته.

وظهرت مواهبه الأدبية، وسطعت شاعريته في أجواء مجالس بغداد ومنتدياتها.

ولم تبين لنا المصادر سبب هجرة الأخرس من الموصل إلى بغداد ويبدو لي أن الأخرس، قد بدر منه ما أثار حفيظة والي الموصل عبدالرحمن باشا الجليلي^(٢) فخشي الأخرس على نفسه وهاجر إلى بغداد.

وفي «الطراز الأنفس» إشارة إلى أن الوالي داود باشا، قد أمر بحبس الشاعر لسوء موقفه من والي الموصل عبدالرحمن باشا، فاعتذر الأخرس، وأرسل إلى الوالي بيتين من

(١) يرى بعض الباحثين أن ولادته سنة ١٢١٠هـ. وآخرون سنة ١٢٢٠هـ. وسنة ١٢٢٥هـ. انظر: الشاعر عبدالغفار الأخرس، حياته وشعره ص (٤٢) رسالة ماجستير بالرونيو سنة ١٩٧٨ للأستاذ هيثم شاكر الشبخلي من جامعة الأزهر بالقاهرة.

(٢) تولى الحكم في الموصل سنة (١٢٤٢ - ١٢٤٤هـ) انظر: الموصل في العهد العثماني ص ٥٠٢ للدكتور عماد عبدالسلام رؤوف.

الشعر قال فيهما:

أقول للشامات لما بدا
يُكثر بالتعنيف والشَّين^(١)
أليس يكفيني فخاراً وقد
أصبحت في قييد وزيرين

وكان هذان البيتان سبباً لاتصال الشاعر الأخرس بالوالي داوود باشا. فقربه
الوالي، وأسبغ عليه رعايته.

وكان شاعرنا يشكو من احتباس في لسانه، لا يستطيع معه أن ينشد شعره، ويكاد
يخنتق إذا تكلم.

ووجد الأخرس الفرصة سانحة لمعالجته على نفقة الوالي، فمدحه بقصيدة عرض
فيها مبتغاه بقوله:

إن أياديك منك سابغَةٌ
عليّ قِدمًا في سالف الحِقَبِ^(٢)
هذا لسانِي يعوقه ثِقْلٌ
وذاك عندي من أعظم النُّوبِ
فلو تسبَّبَتْ في معالجاتي
لنلت أجرًا بذلك السَّببِ
وليس لي حرفةٌ سوى أدبٍ
جمٌّ ونظم القريض والخُطبِ

فأمر الوالي بإرساله إلى الهند لمعالجته، وأخبره الطبيب في الهند أنه سيجري له
عملية جراحية، فإمّا أن ينطلق لسانه، أو يموت فأبى شاعرنا، وقال قولته المشهورة: «لا

(١) الطراز الأنفس ص ٤٢٩.

(٢) القصيدة رقم ١١٤.

(٣) الطراز الأنفس ص ٨.

أبيع كلّي ببعضي». وعاد إلى بغداد^(٣).

وكانت هذه العلة قد سببت له عقداً نفسية حادة، ظهر أثرها في سلوكه وتصرفاته وتقلباته، وحدة مزاجه وانفعالاته، وكان يقدم قصائده إلى ممدوحيه، مكتوبة بخطه البديع الأنيق، - وقد كان خطاطاً بارعاً مجيداً -، أو يلقيها بعض أصحابه نيابة عنه، وقد ألقى الشاعر الكبير عبد الباقي العمري، قصيدة للأخرس بمدح أبي الثناء في مجلسه.

ولا شك في أن سرور الشاعر ونشوته وطربه، إنما يحصل عندما يلقي الشاعر شعره بنفسه، وإن انفعالاته وقسمات وجهه، ونبرات صوته، كل ذلك يضيف على شعره أثراً لا ينكر، ولا يستطيع إظهار ذلك من ينوب عنه كائناً من كان.

وبقي شاعرنا يتنعم برعاية الوالي داود باشا، وصار للأخرس مجلس حافل بالعلماء والأدباء^(١). وتوثقت صلته بأعيان بغداد كالعلامة محمد سعيد الطبقجلي والشيخ عبد الغني آل جميل والعلامة أبي الثناء الألويسي، وآل النقيب، وصار يدعى في المناسبات الفخيمة، كالحفلة التي أقامها إقبال الدولة النواب الهندي تكريماً لأبي الثناء الألويسي. بصحبة قاضي بغداد جابي زاده^(٢).

كما توثقت علاقات الشاعر بكبار رؤساء القبائل العربية كال السعدون شيوخ المنتفق، وآل الزهير شيوخ النجادة في الزبير والشيخ وادي الشفلح شيخ زبيد وسليمان الغنام شيخ عقيل، وكبار أعيان البصرة كال النقيب وآل باش أعيان، وآل عبدالواحد والشيخ أحمد نور الأنصاري بالإضافة إلى ولاية البصرة.

وكان كثير التردد إلى البصرة، وقيم في ضيافة الشيخ أحمد نور الأنصاري ومن البصرة امتدت صلته إلى الكويت فمدح أميرها الشيخ عبدالله الصباح، ومدح بعض أعيان الكويت كابن المخيزم والشيخ يوسف البدر والشيخ يوسف الصبيح.

كما توثقت علاقاته بالشيخ جابر آل مرداو أمير عربستان. وقصده سنة ١٢٤٧هـ.

(١) البغداديون: أخبارهم ومجالسهم ص ٤٥.

(٢) حديفة الورود، الورقة ٨١ مخطوط.

ونزل في قصره، كما زاره عدة مرات آخرها سنة ١٢٨٥هـ.

ويلغ من حب الشاعر لداوود باشا، أن مدحه بقصيدة بعد عزله عن بغداد، وبعث بها إليه، ولم يخش من بطش السلطة، وهو يتمنى اللحاق به، ومنها قوله:

وإني على خَصب الزمان وجَدبه
إليك وإن شطَّ المزار لأهرع^(١)
ولو أنني وُقِّفْتُ للخير أصبحتُ
نياقي بأرض الروم تَخدي وتُسرع

ولم ترقِّ الحياةُ لشاعرنا أيام الوالي علي رضا اللاظ، وأكثر من تراداه إلى البصرة ليباعد عن بغداد وحوادثها^(٢).

لقد كانت حياة شاعرنا رتيبة مملّة، فلم تكن له حرفة يكتسب منها أسباب عيشه، كما لم ينل وظيفة، ولو كانت شكلية يتقاضى منها راتباً يعيش به..

كان يقضي أغلب أوقاته في المقاهي والدواوين (المجالس)، وقد اعتاد البغداديون أن يعقدوا مجالسهم اليومية أو الأسبوعية، بعضهم في الصباح وبعضهم بعد العصر، وآخرون بعد العشاء.

وأغلب المجالس ليس فيها ما يشوق الأديب، ويشحذ قريحته، ويصقل مواهبه، وربما فيها ما يبُلِّد الحس ويفسد الذوق، كالحكايات الممجوجة والألغاز السقيمة والنكات الباردة.

لذلك كان شاعرنا يمل الإقامة، ونراه كثير الأسفار، مع مشقة السفر وخطورته تلك الأيام، وعزم على أداء فريضة الحج سنة ١٢٦٤هـ فلم يستطع^(٣). وفي سنة ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م عزم شاعرنا على السفر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، فعاد إلى بغداد، وعاود ذلك في السنة التالية. وهو بعد لم يزل يشكو من مرضه، وقد أصابه الكبر، فاشتد

(١) القصيدة رقم ١٢.

(٢) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ٢٤٤.

(٣) مجموعة عبدالغفار الأخرس ص ٢٩.

عليه المرض في البصرة، وأقام في منزل الشيخ أحمد نور الأنصاري القاضي في الزبير.
وتوفي ظهر يوم عرفة ٩ ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م. وشيع صباح يوم عيد
الأضحى. وصلوا على جنازته بعد صلاة العيد، ودفن في مقبرة الإمام الحسن البصري
في الزبير^(١).

قال تعالى ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله﴾^(٢).

وقد أعقب شاعرنا ولداً اسمه (عبدالواحد)^(٣) وبناتاً اسمها (زهوة)^(٤).

شعره:

يمتاز شعر الأخرس بإشراق الديباجة، وحسن التركيب، وجمال التعبير والتصوير،
وجزالة اللفظ ورقته معاً، وجرس ألفاظه يتسق وموسيقى أوزانه، بلغة واضحة مؤثرة،
تطرب لها الأذان، وتتعشقها القلوب بسهولة، وقد حفظ شعر الأخرس كثير من سراة^(٥)
الأدب، كما حفظه بعض من عوام الناس ولا يكادون يلحنون فيه.

تجد في شعر الأخرس ومضات من البحتری، ولحات من مهيار والشريف
الرضي والمتنبي.

ولا نشك في أنه كان يكثر من مراجعة دواوينهم، إن لم يكن حفظ أغلبها، وقد اقتبس
كثيراً من تعابيرهم وصورهم فزادها إشراقاً وبهاءً^(٥)، وأقرانه من معاصريه، إذا اقتبسوا
خنقوا وطمسوا..

والأخرس في شعره يميل إلى المحسنات البديعية، كالطباق والجناس والتورية

(١) الطراز الأنفس ص ٨ من المقدمة.

(٢) سورة النساء الآية (١٠٠).

(٣) البغداديون ص ٤٥.

(٤) ذكر المرحوم الأستاذ ناجي القشطيني: أن زهوة بنت الأخرس هي عمّة القشطيني من الرضاعة وأنها كانت

تعيش في بيت القشطيني. مقدمة نقات الأخرس ص ٣.

(٥) أشرت إلى ذلك في مواضعه من الديوان.

والتوجيه وغيرها .

ولا تكاد تخلو قصيدة من ذلك في ديوانه، ولكن لا تحس معها بالتكلف وأثر الصنعة.
وتكاد تشعر أنها وردت عفواً كقولها:

وما لي من أنيبٍ إليه يوماً
إذا ما عضّني دهري بناب

وقوله:

إلى أرواحها ترتاحُ روعي
وألقي بالأحبة ما أحبُّ

وقوله:

صبراً على هذا الزمان فإنه
زمنٌ يُعدّ الفضلُ فيه فضولاً

والأغراض التي تعرّض لها الشاعر، لا تعدو أغراض عصره من المدح والثناء
والتهاني والغزل والوصف والمداعبات.

وللخمرة نصيب كبير في شعر الأخرس. وكذلك وصف الديار وبكاء الأطلال، ويستهل
بذلك أغلب قصائده، ويجيد غاية الإجابة، ويستترسل ويكاد ينسى القصد من قصيدته.

وهو طويل النفس، فإذا مدح ابتداءً بوصف الديار أو الخمرة، حتى يجاوز ثلاثين بيتاً
أحياناً، ثم يلتفت إلى ممدوحه ويخاطبه بخمسة أبيات أو ستة.

وربما كان الأخرس ينتهج هذا السبيل، لما يجد من المرارة والألم في بيع ماء الوجه،
فيجعل أبيات المدح في آخر القصيدة، حتى إذا اقتطعها وأسقطها لم تؤثر. وتبقى
القصيدة منسجمة في وصف الربيع أو البوادي وديار العرب أو الخمرة.

وكان كثير الشكوى من الزمان في شعره كقولها:

أسفاً على أيامٍ عمرٍ تنقضي
كدرًا وتذهبُ بالمني تأميلاً^(١)

(١) كان المرحوم الأستاذ ناجي القشطيني انتقى طائفة طيبة من شعر الأخرس سماها (نفثات الأخرس) وطبعها

وبناتِ أفكارٍ لنا عربيةٍ
لا يرتضين سوى الكرام بَعولاً
وإذا نهضتُ إلى التي أنا طالبُ
في الدهر أقعدني الزمانُ خمولاً
لا تعذليني يا أميمَ على النوى
فلقد عَزَمْتُ* عن العراقِ رحيلاً
تأبى المروءةُ أن تراني واقفًا
في موقفٍ يدعُ العزيرُ ذليلاً

وقوله:

وإنَّ لفي دهرٍ تسافلَ بعدما
أُقيمَ مقامَ الرأسِ فيه ذنابُ
يُذاد عن الماءِ النَميرِ ابنُ حرّةٍ
وللنذلِ فيه موردٌ وشرابُ
وتعلو على أعلى الرجالِ أراذلُ
وتسطو على ليثِ العرينِ كلابُ

وللأخرس صور كثيرة رائعة من الفخر الذاتي والحماسة المتدفقة^(١) وكان الشعراء يتخذون الشكوى من الزمان سبباً لذكر مفاصد الحكام ومساوئهم^(٢).

ووجدت للأخرس (٢٦) قصيدة في مدح الولاة والحكام من مجموع (٣٧٨) قصيدة، وهي قليلة بالنسبة لأقرانه من الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم.

وفي شعر الأخرس يتضح تأثره بالقرآن الكريم، وقد اقتبس كثيراً من الآيات الكريمة في تضاعيف شعره. كقوله:

لست أستوفي ثنائِي فيكمُ
ولو أني أجعلُ البحرَ مداداً

وقوله:

(١) الشعر السياسي العراقي للوائلي الصفحات: ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٥٠ و ٢٥١.
(٢) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر. أهدافه وخصائصه ص ١٦٢.
(* في الطبعة الأولى (عرفت) وصوابها ما أثبتناه من ديوان الأخرس ومن الطراز الأنفس في شعر الأخرس.

في بيوتٍ أذنَ اللهُ لها
أن نراه في مبانئها عمودا

ولاحظت في شعر الأخرس سمة بارزة، تلك هي ابتداء قصائده بالتساؤل كالمطالع التالية:

أرأيت مثلي في الهوى

.....

أتراك تعرف علّتي وشفائي

.....

هل تركتم غير الجوى لفؤادي

.....

أمرّ بها مع الأرواح رند^(*)

.....

وقد أحصيت خمسين قصيدة في الديوان ابتدأها الأخرس بالتساؤل. ولغة الأخرس شعرية ناجحة موفقة، وقوافيه مستقرة، مع حسن التركيب وجمال التعبير.

ووجدت في شعره ألفاظاً قلقة ساذجة، وبخاصة في قصائده الصوفية في مدح السيدان الكيلاني والرفاعي رضي الله عنهما^(١)، وهي لا تقف مع قصائده في الخمرة والغزل والشكوى والديار والربيع، وشعر الأخرس مطبوع وغنائي^(٢)، يكاد يكون وحده طبقة بين معاصريه. قال فيه العلامة محمود شكري الألويسي: «وجميع شعره يكاد يطير من لطفه، ويسيل من ظرفه، يهز الأعطاف وينعش العقول»^(٣).

وقال أستاذنا العلامة محمد بهجة الأثري: «إن الأخرس كان على جانب كبير من أصالة الطبع الشعري»^(٤).

(١) كقوله: (عروة الوثقى) و(قطب الغوث) و(شريعة الغراء).

(٢) التفت الأستاذ محمد القبانجي إلى شعر الأخرس، فحفظ منه الكثير في شبابه، وغنى له ستاً وعشرين قصيدة، أشرت إلى ذلك في مواضعها من الديوان، وفي سنة ١٩٢٦م قام الأستاذ القبانجي ببناء قبر الشاعر في الزبير على نفقته.

(٣) المسك الأذفر ص ١١٦.

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١ ص ٢٠٨ سنة ١٩٥٤م.

(٥) نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ص ١١٤ - ١١٥.

(*) في الطبعة الأولى (ند) والصواب ما أثبتناه من ديوان الأخرس والطرز الأنفس.

وقال الدكتور محمد مهدي البصير: «شاعر ظريف يشبه أبا نواس في أمور كثيرة، يشبهه في ظرفه وفكاهته، ويشبهه في عبثه ومجونته، ويشبهه في كلفه الشديد بالخمرة، وكثرة وصفه لها وجودته..»^(٥).

وقالت الدكتورة عاتكة الخزرجي: «الأخرس عندنا في العراق، كالبارودي في مصر، نهاية ظلام، وبدء نور، فهو جسر وطيد البناء، قوي الدعائم، استمد أعمدته من التراث الأصيل، في أزهى عصوره، وأروع صورته، بل هو همزة الوصل بين تالذنا المخلد وطريفنا المجدد، والشرارة الأولى لوهج النهضة الحديثة..»^(١).



ويعتبر الأخرس بداية النهضة الأدبية الحديثة في العراق، وعلى أسلوبه المشرق سار الرصافي والزهاوي والأثري والشبيبي من بعده. وأنافوا عليه في المقاصد والأهداف، ولم يرتقوا إلى سلاسة لغته الشعرية. وقد نظم الأخرس في الطويل (١٠٣) قصائد ثم في الوافر (٦٠) ثم الرمل (٤٣) ثم الكامل (٤٠) ثم البسيط (٣٧) ثم الخفيف (٣٠) ثم المتقارب (١٨) ويليه السريع (١٥) ثم سائر البحور. أما قوافيه فله في حرف الراء (٦٩) قصيدة ثم الدال (٦٢) ثم الميم (٥١) ثم اللام (٤٩) ثم النون (٣٦) ثم الباء (٢٩) ثم سائر الحروف.

ديوانه:

الأخرس شاعر موهوب أكثر، خصب القريحة، طويل النفس، لم يكن يجمع شعره في حياته، ولا يحتفظ بقصائده بعد إنشادها، أو إرسالها إلى المدوحين.

وكان المرحوم أحمد عزة باشا الفاروقي، حين قدم بغداد يلتقي مع الأخرس كل يوم تقريباً في منزل عمه الشاعر عبدالباقي العمري.

وقد أعجب بشعر الأخرس، وحفظ الكثير منه لسهولته ورقته وحسن تراكيبه، فبدأ يجمع شعر الأخرس لنفسه، يقول العمري: «وكلما وجدت مقطوعة من مقاطيعه، وقصيدة من تصريعه وترصيعه، أثبتها عندي بمكان عزيز، واحفظها في سبط حريز»^(٢).

واضطر جامع الديوان أن يسافر إلى الأستانة، أقام فيها مدة، ثم عاد إلى بغداد

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢٧ ص ٢٨٠ سنة ١٩٧٦م.

(٢) مقدمة الطراز الأنفس.

سنة ١٢٩٨هـ بعد وفاة الشاعر بسبع سنوات، وقد توفي أغلب أصدقائه وأحبائه. فعقد العزم على تتبع القصائد المفقودة لدى أبناء الممدوحين وأحفادهم.. ورتب قوافيه على حروف الهجاء وسماه (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) وطبعه في مطبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٤هـ، وبلغ ٤٨١ صفحة تضم (٣٣٨) قصيدة وهي طبعة سقيمة فيها تصحيقات وتحريفات كثيرة إضافة إلى الأغلاط المطبعية ويعود الفضل الأول إلى المرحوم أحمد عزة باشا العمري، الذي جمع الديوان ونشره، ولولاه لضاع جُلُّ شعر الأخرس^(١).

وقد أضفت إلى الديوان (الطراز) (٤٠) قصيدة بضمنها (١٨) قصيدة نشرها الدكتور يوسف عز الدين وبلغ المجموع لدي في «ديوان الأخرس» (٣٧٨) قصيدة. وأضفت إلى الطراز المطبوع (٦٢٨) بيتاً.

النسخ الخطية:

- ١ - ديوان عبدالغفار الأخرس: ٤٨١ صفحة مكتوبة بخط الرقعة الجيد ٢٥ سطراً. مصورة بالفوتوغراف عن فيلم في خزانة الدكتور يوسف عز الدين ببغداد. وفيها زيادة عن الطراز المطبوع. وهي في خزانة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٦١٣ و٦١٤.
- ٢ - ديوان عبدالغفار الأخرس: ١٩٣ ورقة في خزانة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٦١٥ و٦١٦، مكتوبة بخط نستعليق جيد، ٢٧ سطراً مصورة بالفوتوستات عن نسخة خطية في مكتبة (كلية البنات ببغداد) وفيها زيادة واختلاف عن الطراز المطبوع.
- ٣ - ديوان عبدالغفار الأخرس: غير مرقمة الصفحات، كتبها المرحوم السيد حسن ابن محمد الأنكرلي في صفر سنة ١٣٠٠هـ. بخط نستعليق جيد. وهي تحت رقم ١٤٠٣٣ في خزانة مخطوطات الأوقاف ببغداد وفيها زيادة واختلاف عن الطراز المطبوع. والنسخ الثلاث هي حسب ترتيب الطراز المطبوع لأن الأصل واحد.
- ٤ - مخطوطة شعر الأخرس: مكتوبة بخط معتاد في أول القرن الرابع عشر الهجري تحتوي على (١٨) قصيدة لم ترد في الطراز وهي في خزانة يعقوب نعوم سركيس، وقد انتقلت إلى خزانة المتحف العراقي.. تحت رقم (٩٨) وقد حققها ونشرها الدكتور يوسف عز الدين ببغداد سنة ١٩٦٣م.

(١) ذكر لي الأستاذ محمد بهجة الأثري: أنه سمع شيخه العلامة محمود شكري الأكوسي يقول: «إن أحمد عزة باشا العمري أضاف إلى ديوان الأخرس قصيدتين من نظمه، وليستا من نظم الأخرس، الأولى في مدح السيد أحمد الرفاعي، والثاني في مدح أبي الهدى الصيادي ليسهل له أمر طبع الديوان» ذكر ذلك الأستاذ الأثري بحضور صديقي الأستاذ عبدالحميد الرثوري والقصيدتان في هذا الديوان رقم (١٤) و(٢٨).

٥ - مجموعة الأستاذ عبدالخالق الفرادي: مجموعة أدبية مخطوطة ناقصة من أولها وآخرها. فيها مختارات من شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني. وبضمنها قصائد للأخرس ومعاصريه وفي قصائد الأخرس بعض الزيادات على الطراز المطبوع. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

عملنا في التحقيق:

- ١ - جعلت النسخة المطبوعة باسم (الطراز الأنفَس في شعر الأخرس) أساساً في التحقيق. وذلك لأهميتها وقدمها. وقد جمعها السيد أحمد عزة الفاروقي في حياة الشاعر، ومن المؤكد أنه قرأ أغلبها عليه بعد تدوينها. ورمزت إليها باسم (الطراز المطبوع).
 - ٢ - قابلت عليها النسختين المصورتين في المجمع العلمي العراقي الأولى تحت رقم ٦١٣ و٦١٤ ورمزت إليها بحرف (أ) والثانية تحت رقم ٦١٥ و٦١٦ ورمزت إليها بحرف (ب). كما قابلت نسخة الديوان المخطوطة في خزانة الأوقاف تحت رقم ١٤٠٣٣ وهي بخط السيد حسن الأنكرلي، ورمزت إليها باسم (الأنكرلي).
 - ٣ - أثبت الفروق الواردة في تلك النسخ الأربع. واخترت العبارة التي هي أولى بالانسجام وأشارت إلى مواضع النقص والزيادة في القصائد الواردة في النسخ كلها.
 - ٤ - التعريف بالأعلام الذين وجه شاعرنا قصائده إليهم. والذين وردت أسماءهم في الديوان. إلا الذين لم نوفق لمعرفةهم بعد بذل الجهد.
- كما شرحت بعض الألفاظ. وصححت الأخطاء الإملائية والنحوية. ونبهت في الهامش إلى الأبيات المعتلة الوزن أو المضطربة المعنى. مع الإشارة إلى بحر كل قصيدة. والإشارة إلى التضمنين والاقْتَباس. وتخريج الأصل الذي اقتبس منه الشاعر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.
- ٥ - أعدت ترتيب الديوان، وجعلته يتنقل بين القوافي والأغراض والأوزان، حتى لا يسأم القارئ إذا تكررت عليه بضع قصائد في بحر واحد وغرض واحد وقافية واحدة. وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة أدبنا العالي وتراثنا الغالي والحمد لله رب العالمين.

الخطاط وليد الأعظمي

تنويه بعملنا \$ الطبعة الثانية

(طبعة البابطين)

لقد قمنا بمراجعة هذا الديوان الضخم وبذلنا كل الجهود الممكنة لإخراجه للقارئ الكريم بشكل لائق من خلال العديد من الخطوات، مع ملاحظة أن الطبعة الصادرة عن دار عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية عام ١٩٨٦ من تحقيق المرحوم الخطاط وليد الأعظمي سيشار إليها (بالطبعة الأولى أو طبعة ١)، بينما ستعرف هذه الطبعة بطبعة البابطين، أو (الطبعة الثانية - ط٢) ومن أهم ما قمنا بإنجازه ونوهنا به من خلال هوامش إضافية:

١ - تشكيل كلمات القصائد بشكل شبه كامل، لتكون الكلمة الشعرية في نطقها الأوضح والأسلم؛ مع تعديل أخطاء كثيرة شابت ضبط الكلمات في الطبعة الأولى، من خلال الأخطاء الطباعية والإملائية أو الالتباس في التشكيل.

٢ - استدراك كثير من الكلمات التي جاءت مصحفة في الطبعة الأولى فنأت بالبيت عن معناه الصحيح.

٣ - إضافة بدائل للكلمات الساقطة في الطبعة الأولى من خلال السهو والأخطاء الطباعية ووضعها بين معكوفتين [] والاستعانة بنسخة من (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) لاستكشاف الكلمات أو الأبيات وأنصاف الأبيات الساقطة.

٤ - شطب الكلمات الزائدة في بعض الأبيات مما يخل بالوزن وبالمعنى.

٥ - تصويب بعض المعلومات التي وردت في الهوامش.

٦ - ميزنا ملاحظات المرحوم الخطاط وليد الأعظمي بالحرف الأبيض وإضافتنا في الهوامش بالحرف الأسود.

المراجعان

الكويت \$ ٢٧ رجب ١٤٢٩هـ

ملاحظتان:

- الأولى: عندما يشير المحقق المرحوم الأستاذ وليد الأعظمي إلى كلمة (الأصول) فهو يعني مخطوطات ديوان الشاعر.
- الأخرى: عندما يشير المحقق إلى كلمة (المطبوع) فهو يعني: الطراز الأنفس في شعر الأخرس لعبد الباقي العمري، ومخطوطة شعر الأخرس للدكتور يوسف عز الدين، ونفثات الأخرس لناجي القشطيني وأي عمل مطبوع لديوان الشاعر. لذا اقتضى التنويه.

(١)

أتذكرُ أطلالاً تعفَّت وأرْسُماً
بِذاتِ الغُضا^(*) في (الجَزَعِ) من أَيْمَنِ الحِمَى
منازلَ أَحبابٍ بها نَزَلَ الهوى
فلم يُبْقِ إلا مدنفَ القلبِ مُغرَماً

(١) هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله بن محمود بن درويش بن عاشور البغدادي الألووسي. ولد يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م ونشأ في بيت الفضل والعلم، فاعترف من مناهل العلم في بغداد. ودرس على الشيخ خالد النقشبندي والشيخ علي الموصللي مدرس الحضرة القادرية، والشيخ عبدالعزيز الشواف والشيخ محمد أمين البغدادي الحلبي. وأكمل دراسته على والده العلامة الشيخ عبدالله الألووسي مدرس الحضرة الأعظمية. وكان أبو الثناء آية في الذكاء وكان يقول: «ما استودعت ذهني شيئاً فخانني، ولا دعوت فكري إلا أجابني»، وكان خطه اللؤلؤ المنثور، وبخاصة خط النسخ والتعليق، وقد تخرج على الخطاط الشهير سفيان الوهبي البغدادي، ومن آثاره الخطية كتاب (صحيح البخاري) في خزانه مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، وعين مفتياً للحنفية ببغداد سنة ١٢٤٨هـ. أيام علي رضا باشا اللاط، وكان لا يفتر عن الدرس والتدريس، حتى أعاد إلى بغداد وجهها العلمي المشرق. ومن أشهر تلامذته الشاعر عبدالغفار الأخرس (صاحب هذا الديوان) والشاعر عمر رمضان الهيتي، والشيخ عبدالرزاق الواعظ والشيخ محمد سعيد الأخفش وغيرهم. وكان محترماً لدى الولاة والوزراء، وقد سافر إلى استانبول سنة ١٢٦٧هـ وأعيدت إليه التولية على الأوقاف المرجانية ببغداد، واجتمع بعلماء البلدان التي مر بها في رحلته وكتب بذلك كتابين، وكان خطيباً وواعظاً في الحضرة القادرية، وفقهياً ببغداد، ثم خطيباً في الحضرة الأعظمية، وله مؤلفات قيمة، أشهرها التفسير الكبير (روح المعاني) و(نشوة الشمول) و(نشوة المدام) و(غرائب الاعتراب) و(الفيض الوارد) و(الرسالة اللاهورية) و(كشف الطرة عن الغرة) و(النفحات القدسية) و(الأجوبة العراقية عن المسائل الإيرانية) وغيرها. وقد منحه السلطان الوسام المرصع العالي الشأن سنة ١٢٦٩هـ. وله شعر حسن ومنه قوله في مرضه الأخير:

يا رب ما حبي الحياة للذة
أقضي بها زمني الخؤون المعتدي
لكنما حبي لذلك رغبة
في أن أجدد دين جدي أحمد
وأنود عنه من يحاول نقصه
ذود الغيور بمزبيري وبمذودي

ومدحه كثير من العلماء والأدباء والشعراء، وقرضوا كتبه منهم الشاعر عبدالباقي العمري والشيخ قاسم الهر وعبدالحميد الأقرجي وصالح التميمي وجابر الكاظمي وغيرهم. وقد جمعت تلك المدايح في كتاب (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء محمود)، وتوفي قبيل المغرب من يوم الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٢م وغسله تلميذه الشيخ محمد أمين الواعظ، ودفن في قبر والدته (صالحة) بنت العلامة الشاعر حسين العشاري في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ببغداد. ترجمته عنوان المجد ١٩٤ وحديقة الورود ٧٣ مخطوط، والدر المنتثر ١٥ - ٢٢ وديوان جابر الكاظمي ٢٥٢ والمسك الأذفر ٥ - ٢٥ والبغداديين ٢٦ - ٢٥٩ والأعلام ٨ / ٥٣ - ٥٤.

(*) في الطبعة الأولى (الفضا) وما أثبتناه من الطراز الأنفس في شعر الأخرس.

عرفنا الهوى من أين يأتي لأهله
لئن أصبحت تلك المنازل بـ (اللولي)
وقفت عليها والهوى يستفزني
كأني على (الجرعاء) أوقفت عبرة^(٣)
وما أسأر البين المُمشِتُّ بقيةً
فأصبحتُ أستسقي السحابَ لأجلها
خليلي إن الحب ما تعرفانه
قفا بي على رسمٍ لميَّةٍ دارسٍ
وإن لم تساعدني الجفونُ على البكا
بعيشكما إن تُبصراني بـ (رامة)
ومما شجاني في الدُّجْنَةُ بارقُ
سرى موهناً والليلُ كالفرعِ فاحم^(٦)
وأورى حشا الظلماء كالوجد في الحشا
وشوقني ثغراً ظمئت لورده
شربت الحمياً واللّمي منه مرةً
وعيشاً سلبناه بأسنمة النقا^(٧)
رعى الله أحباباً رعيناً عهدهم
وغانيةً من آل يعرب حكمتُ

بها والغرامَ العامريَّ، من الدُّمى^(١)
قصارى أمانِي الهوى فلطالما
فأرسلتُ فيها الدمعُ فذاً وتوأمًا^(٢)
جرت بربوع (المالكية) عنْدما^(٤)
من الدمعِ إلا كان ممتزجاً دما^(٥)
وما بلّ وبلّ السُّحْبِ من مثلها ظمًا
خليلي لو شاهدتما لعلمتما
لكي تعلمنا من لوعتي ما جهلتما
بآثار ميِّ فاسعداني أنتما
فلن تُبصرنا إلا فؤاداً مُتَيِّماً
بكيت له من لوعتي فتبسّما
فقلتُ أهذا ثغرُ سَعْدَى توهُّما
وكالقلبِ يا ظمياً لما تضرّما
وهل أشتكي إلا إلى ورده الظمّا
فلم أدري ما فرق الحمياً من اللّمي
وما كان ذاك العيش إلا مُنَمّما
وعهداً وصَلْنَاهُ ولكنْ تصرّما
هواها بقلبي ضلّةً فتحكّما

(١) نسبة إلى ليلي العامرية.

(٢) فذاً يعني فرداً.

(٣) الجرعاء، هي جرعاء مالك موضع معروف بالدهناء من بلاد العرب وهي رمال.

(٤) نسبة إلى عيلة بنت مالك، حبيبة عنقرة.

(٥) أسأر يعني: أبقى من السؤر وهو ما يبقى في الشارب في إنائه بعد الرواء.

(٦) سرى موهناً أي في آخر الليل، والفرع: الشعر.

(٧) النقا: عدة مواضع بهذا الاسم ومنها محلة في مكة المكرمة بين الحجون والمروة. ولم يقصده الشاعر بعينه وإنما

يرد على ألسنة الشعراء كثير من المواضع.

أَحَلَّتْ مَهَاءَ (الأبرق) الفرد في الهوى
وفي ذلك السوادي سَوَالِبُ أَنْفُسٍ
وكم من فؤادٍ قد جَرَحْنَ ولم نجدُ
أرى البيض لا يرعَيْنَ عهداً لعاشقٍ
وفي الناس مَنْ إِنْ تَبَتَّلِيهِ وَجَدْتُهُ
وَإِنِّي نَظَرْتُ النَّاسَ نَظْرَةَ عَارِفٍ
فَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي كَ (محمود) ماجداً
من السادة الغر الميامين ينتمي
ولما تعالی بالفخائل رفعةً
هو الصارم الماضي على كل ملحدٍ
سَلِ الْفَضْلَ مِنْهُ وَاسْأَلِ الْبِرَّ تَغْتَدِي
لقد ضاق صدرُ الدهر عن كتم فضله
بدأت معجزات الحق حين ظهوره
إِذَا الْمَطْعَنُ الْمَقْدَامُ شَامَ يِرَاعَهُ (٢)
وَيَنْشَقُّ مِنْ ظُلُمَاءِ لَيْلٍ مِدَادَهُ
له الكتب ما أبقت من الغي باقياً
وما هو إلا رحمةُ الله للورى
فلو حَقَّقْتَ عَيْنَ الْحَقِيقَةِ ذَاتَهُ
كريمٌ فما أعطى ليمدح بالندى
مَواطِرُ أَيْدِيهِ الْمَوَاطِرُ دُونَهَا
وهيهات يحكيك السحاب - وإن همى -
نراك بعين النقد أفضل من نرى
وَأَقْسَمْتُ لَوْ أَثْرَيْتَ أَوْ نَلْتَ ثَرَوَةً

دماً كان من قبل الغرام محرماً
رَمِيْنَ بِأَحْدَاقِ السَّوَانِحِ أَسْهُمَا
لما جَرَحَتْ سَوْدُ النَّوَاطِرِ مَرْهُمَا
وَإِنْ أَوْثَقَ الصَّبُّ الْعَهودَ وَأَبْرَمَا
- وقد كان شهيداً في المذاقة - علقما
وَأَبْصَرْتَهُمْ خَلْقاً وَخُلُقاً وَمَيْسَمَا (١)
ولا ك (شهاب الدين) بالعلم معلماً
إلى خير خلق الله فرعاً ومُنْتَمِي
تَخَيَّلْتُهُ يَبْغِي الْعُرُوجَ إِلَى السَّمَاءِ
من الله لم يُفَلِّ وَلَنْ يَتَثَلَّمَا
بِأَفْضَلِ مَا حَدَّثَتْ عَمَّنْ تَقَدَّمَا
فأظهره إذ كان سرّاً مكتماً
فأعجزَ فيها المُبْطِلِينَ وَأَفْحَمَا
لَمَّا ظَنَّنَهُ إِلَّا وَشَيْجًا مُقْوَمًا (٣)
صباح هدى لا يترك الليل مظلماً
ولا تركتُ أمراً من الدين مُبْهَمًا
به ينقذُ الله الأنام من العمى
لقلنا هو النور الذي قد تجسماً
ولكنه يعطي الجزيل تكرمًا
تَهَاطَلُ إِحْسَانًا وَتُمْطَرُ أَنْعَمًا
نوالاً، وفيضُ البحرِ علماً وإن طمى
ولم نَرَ أُنْدَى مِنْكَ كَفَاءً وَأَكْرَمًا
لما تركتُ جدواك في الأرض مُعْدَمًا (٤)

(١) الميسم: العلامة.

(٢) شام: نظر.

(٣) الوشيح: الريح.

(٤) الجدوى: الفائدة والعطية.

علومك ما حيزت لشخص جميعها
حويت علوم الدين علماً بأسرها
تُشيدُ دين الله بالعلم والتُّقى
حَمَيْتَ حدودَ الله عن متجاوزٍ
وإن الذي أعطاك ما أنت أهله
فإنلُ أجرَ هذا الصُّومِ واهناً بعيده
وإني متى أدعو لمجدك بالبقا

فهل كان ذاك العلمُ منك تعلماً
وأصبحت للعلم اللدني ملهما
ولو لم يُشيدْده علاك(*) تهديماً
فلم نخش من خرقٍ وأنت لها حمى
أنالك شأناً لا يزال معظماً
ورمُ مجدعاً أنفَ الحسودِ ومرغماً
دعوتُ لِنفسي أن أعزَّ وأكرماً

(٢)

(*) في الطبعة (١): (غلاك) وهو خطأ طباعي.

(١) هو الشيخ عبدالغني بن جميل، رأس أسرة آل جميل زاده الشهيرة ببغداد، ولد في ٢٠ ذي القعدة سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م ودرس على علماء بغداد وشيوخها وبخاصة الشيخ محمد أسعد الحيدري. وأخذ فنون الخط وبرع بها وأجازه الخطاط البغدادي سفيان الوهبي، وقد قصد الشام عدة مرات وأجازه الشيخ عبدالرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار، وحين ورد علي رضا اللاظ والياً على بغداد، اصطحبه معه من الشام، وعينه مفتياً لبغداد، وكان رجلاً فاضلاً عاقلاً كريماً شجاعاً، أبي النفس شهماً غيوراً، ثار على الوالي في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٤٧هـ بسبب اعتداء بعض أعوان الوالي على عائلة رضوان آغا المقتول مع المماليك، واستجارت به زوجة رضوان آغا فأجارها، واجتمع معه أهالي محلة قنبر علي فقصفت العساكر داره بالدفع وأحرقوا كتبه، ثم اعتذر إليه الوالي وأكرمه وأقطعه أراضي فرفضها ولم يقبل شيئاً من الوالي، وكان شاعراً مجيداً وله قصائد في الفخر والحماسة ومنه قوله يشكو إلى أبي الثناء:

لهفي على بغداد من بلدة
كانت عروساً مثل شمس الضحى
كانت لأساد الوغى منزلاً
واليوم قد حل بها من ترى
وأصبح القرد بها مقتدى

قد عشعش العز بها ثم طار
لمستعير حلبيها لا يعار
والخائف الجاني بها يستجار
فانفر وإلا بيدك الخيار
يلعب بالألباب لعب القمار

وقد مدحه كثير من الشعراء والعلماء، منهم عبدالباقي العمري وأبو الثناء الألويسي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ قاسم الهر، والشيخ جابر الكاظمي والشاعر صالح التميمي بقصيدة بعد نكبتها قال فيها:

ديار بعد ساكنها دروس
وقفت مردداً حشرات نؤي
فيا من سالم الأيام جهلاً
وأيسر حربها الحرب (البسوس)

وفي أقطارها أفلت شمسوس
وكم في ربعا شققت نفوس
وأيسر حربها الحرب (البسوس)

وللسيد عبدالله بهاء الدين الدين الألويسي كتاب (الروض الخميل في مدائح آل الجميل)، وتوفي رحمه الله يوم عرفات سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م ودفن في المقبرة الوردية عند الشيخ عمر السهروودي. ترجمته في غرائب الاغترب ٢١١ - ٢١٣ والمسك الأنذر ١٢٦ - ١٢٩ والروض الأزهر ١٩ وعنوان المجد ٩٢ وديوان جابر الكاظمي ٢٩٩ وديوان التميمي ٧٤ والبغداديون ٣٠ و٢٥٩ والأعلام ٤/ ١٥٩ وشعراء العرب ٢/ ٤٤.

وَمِيضُ الْبَرْقِ هَيَّجَ مِنْكَ وَجْدًا
 أَلَمْ بَنَا بَجْنَحَ اللَّيْلِ وَهَنَا
 تَوْقُدَ فِي حِشَا الظُّلَمَاءِ حَتَّى
 وَجَدْنَا بِنَا الْهَوَى مِنْ بَعْدِ هَزْلِ
 خَلِيلِي أَذْكَرًا فِي (الْجَزْعِ) عَهْدِي
 وَأَيَّامًا عَهَدْتُ بِهَا التَّصَابِي
 زَمَانُكُمْ هَمَّصَرْتُ بِهِ قَدُودًا
 وَلَذَاتِ أَيَّامٍ قَصَّاصًا
 بَعِيْشِكُ إِنْ مَرَرْتَ بَدَارِ مِي
 لِنَقْضِي يَا هُذَيْمٌ بِهَا حَقُوقًا
 أَتَذْكَرُ يَوْمَ أَقْبَلْنَا عَلَيْهَا
 وَعُجْنَا الْعَيْسَ عَنْ (نَجْدٍ) حَثِيثًا
 فَرَوَيْنَا مَنَازِلَ دَارَسَاتِ (**)
 بَوَاعِثَ لَوَعَةٍ وَدَمُوعَ عَيْنٍ
 لِنَنَّ خَلَقْتَ مَنَازِلُنَا فَيَانِي
 مَلَكَتْ وَقُوفَ جَانِحَةٍ إِلَيْهَا
 وَكَانَتْ لِلْغَرَامِ دِيَارُ مِي
 بُوْدِكُمْ مَا رَفِيْقِي أَرْفُقَابِي
 أَعَيْنَانِي عَلَى كَأْفِي لَعْلِي
 وَلِي كَبِدٌ إِلَى الْأَحْبَابِ حَرِي
 أَحْبَبْتُنَا وَإِنِّي قَبْلَ هَذَا
 أَزِيدَكُمْ دَنُوءًا وَاقْتِرَابًا
 عِدِينِي يَا أَمِيمَةً بِالتَّدَانِي
 أَرَى سَيْفِي فَأَذْكَرُ مِنْكَ لِحْظًا

فَكَدَّتْ تَظَنُّهُ مِنْ تَغْرِ سَعْدِي
 كَمَا جَرَدَتْ مِنْ سَيْفِ فَرِنْدَا
 وَجَدْنَا مِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ وَقْدًا
 وَكَمْ هَزَلَ الْهَوَى يَوْمًا فَجْدًا
 فَيَانِي ذَاكَرُ ب (الْجَزْعِ) عَهْدَا (١)
 وَكَانَ الْعَيْشُ بِالْأَحْبَابِ رَعْدًا
 لِبَانَاتِ النِّقَا وَقَطَفْتُ وَرْدًا
 قَضَيْتُ أَيَّامَهَا أَنْ لَا تُرْدَا
 وَهَاتِيكَ الطَّلُولَ فَلَا تَعْدِي
 عَلَيْنَا وَاجْبِيَاتٍ أَنْ تُوْدِي
 عَلَى إِبِلٍ تَقْدُ السَّيْرَ قَدًا
 وَخَلْفَنَا وَرَاءَ الْعَيْسِ (*) (نَجْدًا)
 بِهَا صَرْفُ النَّوَى أَرْزَى وَأُوْدِي
 أَمْدُ الْعَيْنِ مِنْهَا مَا أَمْدَا
 رَأَيْتُ الْوَجْدَ فِيهَا مُسْتَجْدًا
 وَلَمْ أَمْلِكْ لِهَذَا الدَّمْعِ رَدًا
 مَرَاحًا كُلَّ أَوْنَةٍ وَمَغْدِي
 إِذَا رَاعَيْتُمْ مَا لِلصَّبِّ وَدَا
 أَرَى مِنْ هَذِهِ الزَّفَرَاتِ بُدَا
 فَهَلْ تَلْقَى لَهَا يَا سَعْدُ بَرْدًا
 شَرِيْتُ هَوَاكُمْ بِالرُّوحِ نَقْدَا
 وَقَدْ زِدْتُمْ مُصَارِمَةً وَيُعْدَا
 وَإِنْ لَمْ تُنْجِزِي يَا مِي وَعُدَا
 وَخَطَّارِي فَأَذْكَرُ مِنْكَ قَدًا (٢)

(١) الجزع: في بلاد العرب مواضع كثيرة بهذا الاسم، وتعرف بالإضافة مثل: جزع بني كوز وجزع الدواهي وجزع بني حمان. انظر معجم البلدان ٢/ ١٢٤.

(٢) الخطار: الرمح.

(*) في الطبعة (١): (العيسى) خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (دراسات) وهو خطأ طباعي.

أَمِنَكَ الطَّيْفُ وَاصْلَانِي وَوَلِي
 وَلَوْ أَهْدَيْتَهُ أُخْرَى لَعَيْنِي
 تَهْدِي مَنْ (زُرُودٌ) إِلَى جَفُونِي^(١)
 وَلَوْ أَدَى إِلَيْكَ حَدِيثٌ وَجَدِي
 جَفْتَنِي الْغَانِيَاتُ فَلَا سَبِيلُ
 وَخَاصَمْتُ الزَّمَانَ فَخَاصَمْتَنِي
 فَإِنْ أَظْهَرْتُ لِلْأَيَّامِ مَنْنِي
 سَأَتْرِكُ لِلنِّيَاقِ بِكُلِّ أَرْضٍ
 كَمَا لِابْنِ الْجَمِيلِ (أَبِي جَمِيلٍ)
 فَتَبْلُغُ مَقْصِدًا وَتُنَالُ عِرْزًا
 فَكَمْ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ (أَبُو جَمِيلٍ)
 وَيُوشِكُ إِنْ سَقَتْ يَدُهُ جَمَادًا
 إِذَا يَمَّمْتُهُ يَمَّمْتُ يَمْنًا
 لَقَدْ نَالَ الْعَلَاءُ وَمَدَّ بَاعًا
 هُوَ الْجَبَلُ الْأَشْمُ مِنَ الرَّوَّاسِي
 أَدَامَ اللَّهُ فِي (الزُّورَاءِ) ظِلًّا
 وَأَمِنْ أَهْلِهَا كَيْدَ الرِّزَايَا
 فَوَقَّرَهَا - وَقَدْ مَارَتْ - وَقُورٌ
 وَأَيُّهُ أَزْمَةٌ لَمْ يُدْعَ فِيهَا
 وَمَكْرُمَةٌ وَإِحْسَانٌ وَفَضْلٌ
 جَمِيلٌ (ابْنُ الْجَمِيلِ) لِكُلِّ حَرٍّ
 فَقُلْ لِلْوَفْدِ غَايَتَهُ إِلَيْهِ

فَمَا بَلَّ الصَّدَى مَنْنِي وَصَدًا
 لِأَنْعَمَنِي بِمَا أَسَدَى وَأَهْدَى
 وَمَا أُدْرِي إِذَا أَنَّى تَهْدِي
 عَرَفْتُ إِلَيْكَ مَنْنِي مَا يُؤَدَى
 إِلَى سَلْمِي وَلَا إِسْعَافِ سَعْدِي
 حَوَادِثُ لَمْ تَنْزِلْ خِصْمًا أَلَدًا
 رِضًا عَنْهَا فَقَدْ أَضْمَرْتُ حَقْدًا
 ذَمِيلاً مِنْ تَوْقُصِهَا وَوَحْدًا^(٢)
 نِيَاقُ مَطَالِبِ الرَّاجِيْنَ تُحْدِي
 كَرِيمٌ لَمْ يَفْتَنِي مِنْهُ قَصْدًا
 وَنُؤَلِّيهِ بِهِ شُكْرًا وَحَمْدًا
 بِجَدْوَى أَنْبَتَتْ شَيْحًا وَرِنْدًا^(٣)
 وَإِنْ طَالَعْتُهُ طَالَعْتُ سَعْدًا
 إِلَى مَا لَا يُنَالُ وَجَازِ حَدًّا
 تَخْرُلُهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ هَدًا^(٤)
 لَهُ مِنْهُ عَلَيْنَا قَدْ أَمَدًا
 وَإِنَّ لِسَائِرِ الْأَرْزَاءِ كَيْدًا
 إِذَا حَرَّكَتَهُ حَرَّكَتْ طَوْدًا
 وَلَمْ يَمُدِّ لَهَا بَاعًا أَشَدًّا
 وَمَا فِيهَا سَعَى وَلَهَا تَصْدَى
 يَوْمَلُّ مِنْهُ إِحْسَانًا وَرِفْدًا
 أَوْفَدَ الْأَكْرَمِينَ نَعِمْتَ وَفَدَا

(١) زُرُود: موضع الرمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٣.

(٢) الذميل: ضرب من السير، والتوقص ضرب آخر يقصر عن الجنب ويزيد على العنق والوخذ ضرب آخر سريع وأسع الخطو في المشي يقال: بغير واخذ ووخذ. انظر لسان العرب مادة (ذ م ل) (وق ص) (وخ د).

(٣) الشيوخ: نبات سهلي يتخذ من بعضه المكاس، وهو طيب الرائحة، مر الطعم ترعاه الخيل والنعم، والرند: من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به ليس بالكبير وقد تغنى به الشعراء كثيرا.

(٤) اقتباس من الآية الكريمة: «... وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدا» سورة مريم الآية (٩١).

بجود منه يترك كلَّ حُرٍّ^١
وفَيْضٍ يَدِّ يَكَادُ الْبَحْرُ مِنْهَا
مَرِيرُ السُّخْطِ نَشَهُدُ أَنْ مَا فِي^(*)
أَبِي لَا يُضَامُ وَرُبُّ ضَمِيمٍ
شَجَاعٌ مَا انْتَضَى الصَّمَامَ إِلَّا
قَوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا
مِنَاقِبُكَ الَّتِي مِثْلُ الدَّرَارِيِّ
وَجُودُكَ لِلوُجُودِ بِهِ حَيَاةٌ
وَبَعْضُ الْجُودِ مَنقُصَةٌ وَذَمٌّ
بِرُوحِي مِنْكَ أْبِيضُ مَشْرُفِي
يُضِيءُ ضِيَاءً مَنصَلَتْ صَقِيلٌ
وَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ النَّاسَ طَرًّا
فَضَلْتُ الْعَالَمِينَ بِكُلِّ فَضْلٍ
وَفَدَّتْكَ الْأَمَاجِدُ وَالْأَعَالِي
وَمَا فِي الْمَاجِدِينَ أَجَلٌ قَدْرًا
وَلَا أَوْفَى وَأَطْوَلُ مِنْكَ بِاعَاءً
فَدَمٌ وَأَسْلَمٌ كَمَا نَهَوِي وَتَهَوِي
فَإِنَّكَ إِنْ سَلِمْتَ مَعَ الْمَعَالِي

له في ذلك الإحسان عبدا
على طول المدى أن يستمدا
يثيبُ عُفَاتَهُ ضَرِبًا وَشَهْدًا^(١)
سعى لِينَالِ جَانِبَهُ فَأَكْدَى^(٢)
وَصَيَّرَ مَفْرِقَ الْأَعْدَاءِ غَمْدًا
وَسَيْفَ اللَّهِ وَالرَّكْنَ الْأَشَدَّ
نَظَمْتُ بِهَا لِجَيْدِ الدَّهْرِ عَقْدًا
وَلَوْلَا أَنْتَ مَهْجَتُهُ تَرْدِي
وَجُودُكَ لَمْ يَزَلْ عَزًّا وَمَجْدًا
وَأَمْضَى مِنْ شَفِيرِ السَّيْفِ حَدًّا
تَجَرَّدَ مِنْ قِرَابٍ أَوْ تَبَدَّى
وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ فِي النَّاسِ نِدًّا
فَلَا عَجَبٌ إِذَا أُصْبِحْتَ فَرْدًا
وَمِثْلِكَ فِي الْأَمَاجِدِ مَنْ يُفْدَى
وَلَا أُرَى وَأَثَقَبُ مِنْكَ زَنْدًا
وَلَا أَعْلَى^(**) إِلَى الْعَلِيَاءِ جَدًّا
تَسْرُّ مُوَالِيًا وَتَغِيظُ ضَدًّا
فَلَا نَخْشَى لِكُلِّ النَّاسِ فَقْدًا

(١) الضرب: بفتح الراء والضرب: العسل.

(٢) أكدي: فشل وارتد وخاب. وأصله من الكدية: وهي الصخرة تعترض الحفار فتعيقه، ومنه قوله تعالى (وأعطى قليلا فأكدي) سورة النجم الآية (٣٤).

(*) في الطبعة الأولى والطرز الأنفس، صدر هذا البيت في معناه غير واضح، ولعل عجزه ساقط، وتركاناه كما ورد في الطبعة (١):، ولعله نصف بيت آخر سقط سهواً في النقل من الأصول.

(**) في الطبعة (١): (أعلن) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٣)

وقال يمدح أمير الكويت الشيخ عبدالله الصباح^(١) [وهي من الوافر]:

إذا نَبَتِ الدِّيَارُ بِحُرِّ قَوْمٍ
ومنذُ وَجَدْتُ منْ هَمِّي رَسِيماً^(٣)
وما صَعَّرْتُ لِلأَيامِ خَدَيَّ
وضاقَ بي الخِنَاقُ فلمتُ نَفْسِي
وقد أَصْبَحْتُ في زَمَنِ مُمارٍ
رَفَضْتُ إقامَتِي وَرَكِبْتُ أَمراً
تَسِيرُ بنا بُلُجُّ البَحْرِ فُكُّ
وما زلنا بها حتى حَلَّنا
لدى قَوْمٍ أَعَزَّ النَّاسِ جِاراً
أبَاةً لا يَطوْفُ الضَّمِيمُ فيهِمْ^(٦)
فليس على المُفارقِ من جُنَاحِ^(٢)
إلى رُوحِي وأَعوزني ارتيَاحِي
ولم أخفُضْ لِنائِبَةِ جَنَاحِي
وإن لم يَلْحَني بِالأَومِ لَاحِي
يريني الجَدُّ من خَلَلِ المِزاحِ
حَريّاً أن يَكُونَ به صَلاحِي^(٤)
كَمَثَلِ الطَّيْرِ خافِقَةِ الجِناحِ
صَبَاحاً في كَويتِ آلِ الصَّبَاحِ
وأندى بِالنُّوالِ بَطونَ رَاحِ^(٥)
ولا جَارَ لَهم بِالمُستَباحِ

(١) الشيخ عبدالله بن صباح الثاني بن جابر الأول من آل الصباح، خامس أمراء الكويت. ولد سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م وولي الإمارة عند وفاة والده سنة ١٢٨٣هـ. واستمر حكمه زهاء (٢٦) عاماً شارك خلالها في الحملة العثمانية على الأحساء والقطيف إثر الخلاف بين عبدالله آل سعود وأخيه سعود. وفي عهده لجأ إلى الكويت الشيخ محمد آل خليفة حاكم البحرين إثر نزاع بينه وبين أخيه الشيخ علي وقام الشيخ عبدالله بالتوسط بينهما ولم تنجح تلك الوساطة. عقد علاقات طيبة مع الأتراك والبريطانيين على السواء ليضمن استقلال الكويت. كان حسن السيرة دمت الأخلاق هادئاً في طباعة مما جلب محبة الناس له..

توفي الشيخ عبدالله في الكويت سنة ١٣٠٢هـ وقيل ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م انظر تاريخ الكويت ٢/ ٢٩ - ٣٠ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٢٨ والأعلام ٤/ ٢٢٦. ومختصر الكويت ص٦٧ - ٦٩.

(٢) هذه القصيدة غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (جاركاه).

(٣) الرسيس: أول الشيء وبدايته.

(٤) في الأصل: له صلاحِي.

(٥) اقتباس من قول جرير يمدح عبدالله بن مروان:

الستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

الديوان ص٩٨.

(٦) في الأصول: لا يطوق الضميم فيها.

عُيُوثٌ مَكَارِمٌ وَلُيُوثٌ حَرْبٍ
نَزَلَتْ بِهِمْ عَلَى سَعَةِ وَرَحْبٍ
فَقَوْمٌ سَادَ (عَبْدُ اللَّهِ) فِيهِمْ
إِذَا نَزَلُوا لِعَمْرٍ أَبِيكَ أَرْضاً
فَكَمِ بَدَأُوا بِمَكْرُمَةٍ وَثَنُّوا
سَقَقُوا أَعْدَاءَهُمْ حَمَرَ الْمَنِيَا
وَمَا زَالَتْ مَكَارِمُهُمْ تَنَادِي
بِأَيْدِيهِمْ شَكِيمَةً نِي اقْتِدَارٍ
هُم رَضَعُوا أَفْوَيقَ الْمُعَالِي
إِذَا مَا زَرْتَهُمْ يَوْمًا وَفَى لِي
بِهِمْ أَطَلَقْتُ أَلْسِنَةَ الْقَوَافِي
لَقَدْ مُزِجَتْ مَحَبَّتُهُمْ بِرُوحِي
كَأَنَّ مَدِيحَهُمْ عِنْدِي عِقَارٌ^(٣)
ثَمَلْتُ بِهِمْ وَمَا خَامَرْتُ خُمراً
أَلْدُ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدَامِي
وَلَوْ أَنِّي اقْتَرَحْتُ عَلَى زَمَانِي^(٤)
لَمَا فَارَقْتُهُمْ يَوْمًا وَمَا لِي
وَيَأْبَى ذَاكَ لِي قَدْرٌ مُتَّاحٌ

وَأَكْفَاءُ الشُّجَاعَةِ وَالْكَفَّاحِ
وَأَنْسٍ وَابْتِهَاجٍ وَانْشِرَاحِ
فِي الْبَاسِ الشَّدِيدِ وَيَا لِسَمَّاحِ
حَمَوَهَا بِالْأَسِنَّةِ وَالرَّمَّاحِ
وَكَمْ نَحَرُوا الْعِدَا نَحَرَ الْأَضْحَايِ
بِسُمْرِ الْخَطِّ وَالْبَيْضِ الصَّفَّاحِ^(١)
لَدَى الْأَمَالِ «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ»
تَرَدُّ الْجَامِحِينَ عَنِ الْجِمَاحِ
كَمَا رَضَعَ الْفَصِيلُ مِنَ اللَّقَّاحِ^(٢)
ضَمِينِي لِلزِّيَارَةِ بِالنَّجَاحِ
بِمَا تَمَلِيهِ مِنْ كَلِمِ الْفِصَّاحِ
مِزَاجِ الرَّاحِ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ
بِهِ كَانَ اغْتَبَاقِي وَاصْطَبَّاحِي
وَلَا رَاحِي بِسَطَطْتُ لِكَأْسِ رَاحِ
وَهَا أَنَا فِي هَوَاهِمٍ غَيْرُ صَاحِ
وَأَعْطَانِي الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاحِي
إِذَا وَفَّقْتُ، عَنْهُمْ مِنْ بَرَّاحِ
وَنَحْنُ بِقَبْضَةِ الْقَدْرِ الْمُتَّاحِ

(١) سمر الخط: يعني الرماح الخطية، المنسوية إلى الخط، وهي منطقة واسعة في الخليج العربي، من مدنها القطيف والعقير، وينسب إلى الخط عيسى بن فاتك الخطي من رجال الخوارج، انظر معجم البلدان ٢/ ٣٧٨.

(٢) الفصيل: ولد الناقة، واللحاق: ذات اللبن من النياق.

(٣) في الأصول: عقارا، والعقار من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تعقر عقل شاربيها.

(٤) في الأصول: على زمان.

(٤)

وقال يمدح الشاعر عبدالباقي العمري^(١) ويهنيه بمنصب الكتخدائية ببغداد سنة

بلغتُ بحمد الله ما أنا طالبُ
فأصبحتُ لا أرجو سوى ما رجوتُهُ
وقد كنتُ من غيظي على الدهر عاتباً
لئن كان قبلَ اليوم والأمس مُذنباً
وجدتُ بك الأيامَ مولايَ طلقه
وقد شِمتُ من جدواك لي كلُّ بارقٍ
فلا الأملُ الأقصى البعيدُ بنازحٍ
وهل تنجحُ الآمالُ وهي قصيَّةُ
لقد حسُنْتَ فيكَ الرعيَّةُ بعدما
والهَمَّتْها في ما تصدَّيتَ رُشدَها
كففتُ يدَ الأشرارِ من كلِّ وجْهَةٍ

زماناً وهنَّتني لديدك المطالبُ
مراماً وما لي في سواك مآرب
فما أنا في شيءٍ على الدهر عاتب
فقد جاني من ذنبه وهو تائب
وسالمني فيك الزمانُ المَحارب
ونوؤك مرجوٌ وغيثُك ساكب
لدي ولا وجهُ المَطالِبِ شاحب
وتبَلَّغُ إلا في ندادك الرغائب
أساءتُ إليها بالخطوب النوائِب
ألا إنَّ هذا الرشدَ للخير جالب
فلا ثمَّ منه هوبٌ ولا ثمَّ ناهب

(١) الشاعر الشهير عبدالباقي بن سليمان بن أحمد العمري الموصلِي، ولد في الموصل سنة ١٢٠٣هـ / ١٧٨٩م. وبها نشأ وأخذ عن علمائها الأعلام، حتى نبغ في فنون الأدب وبرع في النظم والنثر، وصار شيخ الأدباء في عصره، وكان ذكياً بارعاً له قريحة وقادة وقدرة فائقة على الفريض وكان ينظم بسرعة حتى سمي (الفوري) لأنه ينشد الشعر من فوره. وكانت له منزلة واحترام لدى الولاة والحكام والعلماء والوجهاء، وبخاصة عند داود باشا، وبعد حكم الممالِك اختار الإقامة في بغداد، وتولى وظيفة (كتخدا) - نائب الوالي - لدى علي رضا اللاط، ثم عزل وأعيد إليها ثانية سنة ١٢٧٥هـ. وكانت له صلوات مودة واحترام لدى العلماء، منهم محمد أمين العمري وشيخ الإسلام عارف حكمة، وأبولنقاء الألويسي، وعبدالغني جميل، وصالح التميمي ومحمد أمين الواعظ وعثمان سيفي وعيسى البندنجي، ومحمد فيضي الزهادي وغيرهم. ومن آثاره أهلة الأفكار في معاني الابتكار (ديوان شعر) والباقيات الصالحات (مجموعة شعرية) والترياق الفاروقي (ديوان شعر) طبع عدة مرات. وكتاب (نزهة الدنيا في ما ورد من المدائح على الوزير يحيى) مخطوط. منه نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي. توفي ليلة الأحد سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م حيث سقط من سطح داره. ودفن في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد. ترجمته في تاريخ الممالِك الكولند ٦١ وعنوان المجد ٩٥ والروض الأزهر ٨٩ والمسك الأذفر ١١١ - ١١٦ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧ / ١٣٩ والبغداديون ٤٢ - ٤٣ وتاريخ الموصل ٢ / ٢٤٤ وتاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٦ والأعلام ٤ / ٤٥.

ومن لوزيرٍ قَلَدَ الأُمْرَ رَبَّهُ
 بصيرٌ بتدبيرِ الأُمورِ وعارفٌ
 أذلُّ بك الأخطارَ وهي عَزِيزَةٌ
 تريحه صباحَ الرأى والأمرُ مُبْهِمٌ
 أَلَنْتَ له في قسوةِ البأسِ جانباً
 فأصبح لم يُعرضَ عنِ الناسِ لطفُهُ
 وبأسُك لا البيضُ الصوارمُ والقَنَا
 وما زلتَ حتى يدركَ المجدُ ثأرَهُ
 بأيديكَ سُمُرٌ (*) الخَطُّ لا الخَطُّ تنثني
 تخرُّك لك الأَقلامُ في الطُّرسِ سَجِّداً
 إذا شئتَ كانت في العُدَّةِ كَتايِباً (**)
 تُقَرِّطُ أذانَ الرجالِ بحكمةٍ
 متى أفرِغْتَ في قالبِ الفكرِ زِينتُ
 بهنَّ غِذاءٌ للعقولِ وشرعةٌ
 تصرفت في حلوِ الكلامِ ومُرهٍ
 نَهَبَتْ بكلِّ منهما كلَّ مذهبٍ
 فمنِ ذَكَرٍ وجَدِ يسلبُ المرءُ لُبَّهُ
 ومن غَزَلٍ عَذِبٍ كأنَّ بُيوتَهُ
 وفي الباقياتِ الصالحاتِ مَثُوبَةٌ (١)
 دمغتَ بها من (أل حرب) عصابةً
 تناقلها الركبانُ عنك فأصبحتُ
 مغِيظاً من القومِ الذين تقدَّمتُ
 غضبتَ بها لله غيرَ مُداهنٍ
 مواهبٌ من ربِّ كريمٍ رزقتَها

نظيرُكَ شيخاً حنكتهُ التجاربُ
 بمبدئها ماذا تكونُ العواقبُ
 فهانتَ عليه في عَلاكِ المصاعبِ
 فتنجابُ من ليلِ الخطوبِ الغياهِبِ
 فلانَ له في قسوةِ البأسِ جانبُ
 ويَحْضُرُ فيهمِ بأسُهُ وهو غائبُ
 وجودُك لا ما تستهملُ السُّحائبُ
 وتشرقُ في آفاقهنَّ المَناقِبُ
 فتثني عليها المرهفاتُ القَواضِبُ
 لما أنت تمليه وما أنت كاتبُ
 وهيئاتِ منها إذ تصولُ الكَتايِبُ
 حكتهِ اللالي رونقاً أو تقاربُ
 وزانتُ من الألبابِ تلكَ القَوالِبُ
 تسوغُ وتصفو عندهن المَشاربُ
 فأنت مُجِدُّ كيف شئتَ ولاعبُ
 نهاباً وما ضاقتُ عليك المَذاهِبُ
 على مثله دمعُ المَتَيِّمِ ذائبُ
 مسارحُ أرامِ النُّقْا وملاعبُ
 من الله ما يبدو من الشَّمْسِ حاجِبُ
 تُناقِشُهُمُ في صنعهمُ وتحاسبُ
 تُجابُ بها أرضُ وتُطوى سَباسِبُ
 لهم في المَخازي المَوبِقاتِ مكاسبُ
 وغيرُكَ يخشى كاشحاً ويراقبُ
 وما هذه الأشياءُ إلا مَواهِبُ

(١) إشارة إلى ديوان (الباقيات الصالحات) للممدوح. وهو مطبوع.

(*) في الطبعة (١): (سحر) وصوابها من الطراز الأنفس.

أروحُ أَجْرُ الذَّيْلِ أَسْحَبُ فَضْلَهُ
 بمن لم يَقمُ في الأكرمِين مَقَامَهُ
 فقد وَجَدَتْ بَغْدَادُ والنَّاسُ رَاحَةً
 قَضَا عُمَرِي^(*) طَالَ فِي العَزِّ عُمُرُهُ
 وَإِنْ قَلْتُ مَا جَاءَ (العِراقَ) وَلَا نَرَى
 بِنَادِرَةِ الدُّنْيَا وَفِرْحَةَ أَهْلِهَا
 أَمْوَالِي مَا عِنْدِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
 مَحَاسِنُ شِعْرِي مَا إِذَا أَنَا قَسَيْتُهَا
 وَإِنِّي مَعَ الإِطْنَابِ فِيكَ مَقْصُرٌ
 أَهْنَيْكَ فِيهِ مَنَصِباً أَنْتَ فَوْقَهُ
 فَإِنَّكَ شَرَّفْتَ المَنَاصِبَ كَأَنَّهَا
 وَهَنْيْتَ نَفْسِي وَ(العِراقَ) وَأَهْلَهُ
 وَرَفَّتْ إِلَيْهِ كُلُّ عِذْرَاءٍ بَاكِرٍ
 قَوَافٍ بِهَا نَشْفِي الصَّدُورَ وَرَبِّمَا
 شَكَرْتِكَ شَكَرَ الرُّوضُ بَاكِرَهُ الحَيَا
 وَلَيْسَ فِي شِعْرِي لَشَكَرِكَ حَقُّهُ
 وَمِمَّا حَبَاهُ اللُّهُ مِنْ طَيِّبِ التَّنَا
 وَكَلِي ثِنَاءً فِي عِلَاكَ وَاللِّسْنَ
 وَإِنِّي لِأُبْدِي حَاجَةً قَدْ حَجَبْتُهَا
 سِوَايَ يَرُومُ المَالَ مَكْتَرِثاً بِهِ
 وَإِنَّكَ أَدْرَى النَّاسِ فِي مَا أُرِيدُهُ
 وَكَيْفَ وَهَلْ يَخْفَى وَعِلْمُكَ سَابِقٌ
 فَلَا زِلْتَ طَلَّاعِ التَّنَائِيَا وَلَمْ تَزَلْ

وَإِنِّي لِأَذْيَالِ الفَخَّارِ لَسَّاحِبُ
 وَلَا نَابَ عَنْهُ فِي الحَقِيقَةِ نَائِبُ
 وَقَدْ أَتَعَبْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ المَتَاعِبُ
 أَقَارِبُهُ مَسْرُورَةٌ والأَجَانِبُ
 نَظِيرًا لَهُ فِينَا فَمَا أَنَا كَاذِبُ
 أَضَاءَتْ لَنَا أَقْطَارُهَا وَالجَوَانِبُ
 تَقَرَّبُنِي زَلْفَى وَإِنِّي لِرَاغِبُ
 بِشِعْرِكَ وَالإِنصَافِ فَهِيَ مِثَالِبُ
 وَإِنْ كَانَ شِعْرِي فِيكَ مِمَّا يَنَاسِبُ
 بِمَرْتَبَةٍ لَوْ أَنْصَفْتِكَ المَرَاتِبُ
 وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ شَرَّفَتْهُ المَنَاصِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِيءِ أَهْلٍ لِكَذَاكَ وَصَاحِبُ
 كَمَا زَفَّتِ البَيْضُ الحَسَانَ الكِوَاعِبُ
 تَدْبُ إِلَى الحُسَّادِ مِنْهَا عِقَارِبُ
 وَشَكَرَكَ مَفْرُوضٌ وَمَدْحُكَ وَاجِبُ
 وَلَوْ نَظَّمْتَ لِالشُّعْرِ فِيكَ الكِوَاعِبُ
 مِشَارِقُهَا مَمْلُوءَةٌ وَالمَغَارِبُ
 إِذَا كُنْتَ مَمْدُوحِي وَأَنْتَ المُخَاطَبُ
 إِلَيْكَ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَاجِبُ
 وَيَرغَبُ فِي غَيْرِ الذِّي أَنَا رَاغِبُ
 وَأَعْلَمُهُمْ فِي مَا لَهُ أَنَا طَالِبُ
 بِمُطَّلَبِي الأَسْنَى وَفَكَرَكَ ثَابِقُ
 تَطَالَعْنِي مِنْكَ النُّجُومُ العَوَارِبُ

(*) فِي الطَّبِيعَةِ (١): (قَضَى) وَفِي هَذِهِ العِبَارَةِ تَوَجِيهٌ لَطِيفٌ أَوْحَتْهُ نِسْبَةُ المَمْدُوحِ عِنْدَمَا قَالَ الأَخْرَسُ:
 (قَضَا عُمَرِي). فِي إِشَارَةِ إِلَى عَدَالَةِ المَمْدُوحِ فِي القَضَاءِ وَتَشْبِيهِهِ بِقَضَاءِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الفَارُوقِ

(٥)

وقال يمدح العلامة أبا التناء الألويسي^(١) ويهنيه بالعيد [وهي من الكامل]:

يا داءَ قلبي في الهوى ودوائي^(٢)
كانت لمَسْمَعِ صخرةِ صمَاءِ
يا شدَّ ما ألقى من البُرْحَاءِ
أنى يُعَدُّ به من الأحياءِ
كانت بلحظ مهأ وجيد ظباءِ
حَلَّتْ عَقِيبَ (الجَزَعِ) في (الجَرَءِ)^(٣)
من بعد ذاتِ الطَّلَعَةِ الحسنةِ
نقضَ العهودَ ولا وفى لوفائي
كنا عَقِيدِي ألفةٍ وإخاءِ
أين الركابُ وأين ذاك النَّائِي
أشكو طعانَ الصُّعْدَةِ السُّمراءِ^(٤)
دائي هواك فلا بُلَيْتَ بدائي
أنَّ الدَّوَاءَ بمقتضى الأَدْوَاءِ
وأدرُ عليَّ سُلَافَةَ الصُّهْبَاءِ
كانوا بُدُورَ سَنَّا لِعَيْنِ الرَّائِي
أرَجُّ الصُّبَّاءَ عن روضةِ غَنَاءِ
فقضَى عليَّ الحُبُّ أيَّ قَضَاءِ

أُتْرَاكَ تَعْرِفُ عِلَّتِي وَشِفَائِي
مَا رَقَّ قَلْبُكَ لِي كَأَنَّ شِكَايَتِي
وَالشَّوْقُ بَرَّحَ بِي وَزَادَ شَجْوَنَهُ
عَجَبًا لَمَنْ أَخَذَ الْغَرَامُ بِقَلْبِهِ
هَلْ يَعْلَمُ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي
وَتَجَرُّعِي مَضَضَ الْمَلَامَ مِنَ التِّي
لَمْ يَحْسُنْ الْعَيْشُ الَّذِي شَاهَدْتُهُ
فَمَتَى أَيْلُ صَدَى بِمَرَشَفِ شَادِنِ
وَجِفَا وَمَلَّ أَخَا الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا
وَنَأَى بِرُكْبِ الظَّاعِنِينَ عَشِيَّةً
أَصْبَحْتَ لَمَّا مَاسَ عَدْلُ قِوَامِهِ
وَأَجِيبُ سَائِلَ مَهْجَتِي عَنْ دَائِهَا
لَمْ يَدْرِ وَاللُّعْسُ^(٥) * الْمُمْنَعُ طَبَهُ^(٥)
عُجَّ يَا نَدِيمٌ عَلَى الْكُؤُوسِ مِيْمًا
وَأَعِدْ حَدِيثَكَ لِي بِذِكْرِ أَحِبَّةِ
مَرَّتْ بِنَا أَخْبَارَهُمْ فَكَأَنَّهَا
وَتَحَاكَمْتُ بِي فِي الْهَوَى أَشْوَاقَهُمْ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) هذه القصيدة غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (صبا).

(٣) الجرعاء: موضع معروف بالدهناء من بلاد العرب وهي رمال تسمى جرعاء مالك. انظر معجم البلدان ٢/ ١٢٧.

(٤) الصعدة: الرمح.

(٥) اللعس: لون الشفة الضارب إلى السواد.

(* في الطبعة (١): (واللمس) خطأ طباعي، بينما وردت صحيحة في الهامش رقم (٥) وقد صححناها على ما جاء في الهامش وعلى الطراز الأنفس.

لو كنت أدري غدركم بمحبكم
لأم النصيح فما سمعت ملامه
ما كان أرشدني إلى سبب الهوى
كيف المنازل بعد ساكنة الحمى
لما وقفت على منازلها ضحى



ما كنت أمكنكم على أحشائي
وصددت عنه لشقوتي وعنائي
لو أنني أصغي إلى النصحاء
عهدي بها قمريّة الأرجاء
حييتها بتحية الكرماء

عادتني الأيام في سكرانها
هل أصبح الدهر الخؤون معاندي
ما لليالي إن نظرن فضائي
إني أصون الشّعْر - لا بخلاً به -
إن كنت تثني بالجميل على امرئ
أعيا المناضل والمناظر فارتقت
مُتوقِّدٌ مثل الضُّرام فطانة
فتبأجت منه شمس فضائل
وعلت على أفهامنا ألفاظه
تلك الرويّة والسجيّة لم تزل
كم قد أفيضت من يديه لنا يد
إي والذي جعل العُلا من مجده
شِمْنَا بوارق نائل من سيّله
هيهات يحكي جوده صوب الحيا
بحر إذا التمس المؤمل ورده
إن قيل في (الزوراء) أصبح قاطناً
نُشِرتْ علومك في البلاد جميعها
ولك الذكاء كأنما برهانه^(١)

كعداوة الجهال للعُلماء
أم كانت الأيام من خصمائي
نظرت إلي بمقلة عمياء
عن أن يذل بساحة اللؤماء
فعلى جميل (أبي الثناء) ثنائي
عليّؤه قدراً على العلياء
وبلطف ذاك الطبع لطف الماء
ظهرت على الدنيا بغير خفاء
فتمنّلت بكوكب الجوزاء
أقمار أفق أو نجوم سماء
شكراً لهاتيك اليد البيضاء
فَرَحَ الصُّديقِ وغُمة الأعداء
متتابع الإحسان بالآلاء
والغيث موقوف على الأنواء
فاضت عليه زواجر الأنداء
فاعلم بأنّ المجد في (الزوراء)
كالصُّبح إذ ملأ الفضا بضياء
يكسو سنانه تبلُّج ابن ذكاء^(٢)

(١) إشارة إلى كتاب (البرهان في طاعة السلطان) لأبي الثناء الأكلوسي. هدية العارفين ٢/ ٤١٩.

(٢) ذكاء: بضم الذال من أسماء الشمس وابن ذكاء هو الصباح.

ونظرت في الأشياء نظرة عارف
وكشفت من سر العلوم غوامضاً
أجريت حكم الله بين عباده
وكأنما يوحى إليك فقد بدت
فعلت لك الأقلام في مهج العدا
خرس إذا أنطقت بها بأنامل
أبكيته فتضاحكت لبكائها
فإذا مدحت مدحت غير مدهن (**)
فاهناً بهذا العيد إنك عيده^(١)
وأجز عبيدك في رضاك فإنه
لا زلت منفرداً بما أديته

حتى عرفت حقائق الأشياء
فيهن كانت حيرة الحكماء
فعلت بحكمك راية الإفتاء
لك معجزات النظم والإنشاء
ما تفعل الأبطال في الهيجاء
أخرست فيها ألسن الفصحاء
روض الفضائل لا رياض كباء (*)
فيها وغير معرض لرياء
يا فرحتي دون السورى وهنائى
- وأبيك - غاية مطلبي ورجائي
من رفعة وفضيلة وعلاء

(٦)

وقال يمدح السيد علي أفندي القادري^(٢) نقيب الأشراف ببغداد [ويهنيه بالعيد

(١) أخذه من قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده
وعيد لمن سمى وضحى وعيدا

الديوان ١/ ٢٨٥.

(٢) السيد علي بن السيد سلمان بن مصطفى بن زين الدين الصغير بن محمد درويش من ذرية الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنه. كان من أعيان العراق وطلبة شخصياته الموقرة. محترماً لدى السلاطين والولاة والوزراء. وكانت له صلوات طيبة مع العلماء والأدباء. وكان الشعراء يمدحونه ويسترفدون. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم الشاعر الشيخ حيدر الحلي قال:

الفخر شاد بكم قبابه
والشعر زان بكم كعابه
والعلم في الدنيا بثاقب
فكركم أذكى شهابه
هذي الرياسة لا كمن
كانت رياسته ثيابه =

(*) في الطبعة (١): (كبار) وهو خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (مراهن) وهو خطأ طباعي، وصوابها من الطراز الأنفس.

قدحتُ في مزجها بالماء نارا
شمسُ راحٍ في الدجى يحملُها
عُتِّقْتُ في الدنُّ حتى إنها
فسألوها كيف كانت قَبْلَنا
أي نادرٍ للهوى يومئذٍ
وجأوناهها عروساً طالما
وكسونا بالسنا جسمَ الدجى
وسعى ساقٍ بها تحسبهُ
علمُ الغصنِ التثنئي، والصبأ
وبما فُضِّلَ من بهجته
سَمِحَ ممتنعٌ قليل له
فترى الناسَ سكارى في هوى

فأعدتُ ظلمةَ اللئيلِ نهارةً^(١)
طلعةُ البدرِ إذا البدرُ استنارا
لَتَعِي ما كان في الماضي وصارا
(عادُ الأولى) صغارا وكبارا^(٢)
يوم نادينا إلى اللهو البدارا
حُبَيْتَ من حَبَبِ المَرْجِ نثارا
وخلعنا في اللذاتِ العذارا
غُصْنًا يَهْدِي إلينا الجُلنارا
طَرَبَ الأنفُسِ، والظبيِ النُّفارا
تَفْضُلُ المُرْدِ^(*) على البيضِ العذارى
أدرِ الكأسَ علينا فأدارا
ذلك السَّاقِي وما هم بسكارى

= ومدحه كذلك عبد الباقي العمري والشاعر الحاج محمد علي كمونة بقوله:

أحيا الزمان تصابينا فأحيانا
بروحه حين بالأقراح حيانا
كان طيب شذاها إذ يمر بنا
رياً أريج علي القدر مولانا

كما مدحه صالح التميمي بعدة قصائد قال في بعضها:

الأجر أجرك صائماً أو مفطرا
والجود جودك مثيراً أو معسرا
وفتى لغيرك صاغ نظماً حكمه
حكم الذي يروي حديثاً مفتري

توفي السيد علي يوم السبت ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م ودفن في حجرة خاصة بالحضرة القادرية ببغداد. وأقرب خمسة أبناء هم: سلمان وعبدالرحمن، وزين الدين وعبدالله وأحمد. وخلفه في نقابة الأشراف ولده سلمان. ورثاه الشاعر الشيخ محسن الخصري النجفي وغيره. انظر: الترياق الفاروقي ٢٦٠ - ٢٦١ وديوان حيدر الحلبي ٢ / ١٩ - ٢٠ و٣٠ وديوان ابن كمونة ١٠٢ وعنوان المجد ٨٨ والبغداديون ص ٥ وماضي النجف وحاضرها ٢ / ٢١٧.

(١) غنى الأستاذ محمد القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (أوج).

(٢) في المطبوع والمخطوط: عادا الأولى، وهو غلط.

(*) في الطبعة (١): (المرو) وهو خطأ طباعي وأثبتناها من الطراز الأنفوس.

يا شَبِيهَ الوَرْدِ وَالآسِ وَمَا
بِـــــــأَبِي أَنْتَ وَإِنْ جَلُّ أَبِي
وَاسْقِنِي مِنْ فَيْكِ عَذْباً سَائِغاً
بَيْنَ نُدْمَانٍ أَرَاقُوا دَمَهَا
حُنْفَاءٍ حَلَّلُوا مَا حُرِّمَتْ
رَكِبُوا لِأَهْوٍ فِي مَضْمَارِهِ
وَكُمَيْتاً مَا جَرَّتْ فِي حَلْبَةِ^(٢)
فَكَانَ الْكَأْسُ فِي مَا فَعَلَتْ
كُلُّ مُخْتَالٍ بِهَا فِي عِزَّةٍ
وَإِذَا مَا عَاوَدْتَهُ نَشْوَةٌ
خَفَّ بِالرَّاحِ فَلَوْ طَارَ أَمْرُؤُ
وَسَمَرْنَا بِالَّذِي يُطْرِبُنَا
وَتَنَاشَدْنَا عَلَى أَقْدَاحِهَا
بِأَغْرٍ أَبْلَجٍ مِنْ (هَاشِمٍ)
تَشْرِقُ الْأَقْمَارُ مِنْ غُرَّتِهِ
سِرٌّ رَمَزَ الْمَجْدَ مَبْنَى بَيْتِهِ
كَالْحَيَا الْمُنْصَبِّ بَلْ أُنْدَى يَدَا
تِلْكَ أَيْدِيهِ الَّتِي إِحْدَاهُمَا
مُسْتَفَاضُ الْجُودِ مُنْهَلُّ النُّدَى

أَحْسِنِ التَّثْبِيهَ خَدّاً وَعِدَاراً^(*)
عَاطِنِيهَا مِثْلَ خَدَيْكَ أَحْمِرَاراً
إِنَّ بِي مِنْكَ وَمِ السُّكْرِ^(**) خُمَاراً^(١)
بَنْتَ كَرَمٍ تَسْلُبُ الشَّيْخَ الْوَقَارَا
وَرَأُوا فِي أَخْذِهَا رَأْيَ النَّصَارَا
أَشْقَرَا يَصْدُمُ أَجْرَاهُمْ عَثَارَا
لِلوَعَى يَوْمَاً وَلَا شَقَّتْ غَبَارَا
أَدْرَكْتُ عِنْدَ عَقُولِ الْقَوْمِ ثَارَا
قَدْ مَضَى يَسْحَبُ فِي الْفَخْرِ الْإِزَارَا
أَلْبَسْتُهُ تَاجَ (كَسْرَى) وَالسُّوَارَا
قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِالرَّاحِ لَطَارَا
مِنْ حَدِيثٍ وَشَرِبْنَاهَا عُقَارَا
مِدْحاً تَزْهَوُ نِظَامَاً وَنِثَارَا
أَبْلَجِ الْمَحْتَدِ فِرْعَاً وَنِجَارَا^(٣)
فَهُوَ الشَّمْسُ الَّتِي لَا تَتَوَارَى
عَلَّمَ السُّؤْدِدِ سِرّاً وَجَهَارَا
وَالْحَسَامِ الْعَضْبِ أَوْ أَمْضَى شِفَارَا
تَوْرَثَ الْيَمْنَ وَبِالْآخِرَى الْيَسَارَا
يَوْمَ لَا تَلْقَى بِهِ إِلَّا الْأَوَارَا^(٤)

(١) ومالسكر: أصلها ومن السكر.

(٢) الكميت: اللون الأحمر الضارب إلى السواد من ألوان الخيل. والكميت من أسماء الخمر قال المتنبي:
إذا أردت كميت اللون صافية
وجدتها وحبيب النفس مفقود

ديوان المتنبي ٢/ ٤١ والكميت هنا تورية بارعة. بين الفرس والخمر.

(٣) النجار: الأصل.

(٤) الأوار: الذهب.

(*) في الطبعة (١): (وعزارا) وهو خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (وما لسكر) كما هو وارد في الهامش رقم (١) ولعل صوابها: (وم السكر) أو (ولم أسكر). وفي الطراز الأنفس (وما السكر).

والقوافي الغرّ في أيامه
 في زمانٍ مذنّبٍ لم يعتذرْ
 ترك الدهرَ ذليلاً طائِعاً
 وليّ الفخرُ بآني شاعرٌ
 هم أقاموا عمّد الدين وهم
 كلُّ حاليّ من فخرٍ وعلاً
 في سبيل الله ما قد أنفقوا
 أمةٌ يُسْتَنْزَلُ الغيثُ بهم
 فإذا استنجدتهم كانوا ظبيّ
 جبروا كلَّ مهيضٍ للعلّاء
 أججوا نيرانها يوم الوغى
 في مقامٍ قصرت فيه الخطأ
 فعليهم صلوات أبدأ
 أو لست الآن من بعدهم
 طالما سيّرتها قافية
 حاملاتٍ مثل أرواح الصبّاء
 هذه أيام أنواء الحياء
 فاسقني فيهنّ سحاً غدقاً
 واتخذني لك ممّن لم يجد
 وابق للعيد وحز في مثله

يجتنيها بأياديه ثمارا
 بكريمٍ لبني الفضل اعتذارا
 لمّنيعٍ من أعزّ الناس جارا
 لأناسٍ لبسوا التّقوى شعارا
 أوضحوها في الحقّ للخلق المنّارا
 كان حلياً من جلاهم مستعارا
 من أيادٍ فأسالوها نضارا^(١)
 وبهم تستكشف الناس الضّارا
 وإذا استمطرتهم كانوا قطارا
 وأنابوا الكفر ذلاً وانكسارا
 بمواضيعهم وإن كانوا بحارا
 بالطّويلات وما كنّ قصارا
 تتّولاهم غُدواً وابتكارا
 قَبَساً من ذلك النور أنارا
 غرّة لم تتخذ في الأرض دارا
 من شذا مدحك شيحاً وعرارا^(٢)
 إن أنواءك ما زالت غزارا
 أجلب العزّ واستقصي الفخارا
 عنك في مُعترض المدح اصطبّارا
 مَفخراً يسمو وصيتاً مُستطارا

(١) النضار: الذهب.

(٢) العرار: نبات بري طيب الرائحة. واحدته عرارة. يتغنى به الشعراء، قال الصمة القشيري:

أقول لصاحبي والخيّل تخدي
 بنا بين المنيفة فالضمار
 تمتع من شميم عرار نجد
 فما بعد العشيّة من عرار

انظر: (لسان العرب مادة عرر).

(٧)

قلبٌ يذوبُ ومهجةٌ تتقطعُ
لي بعد من سكن (الغضا) نارُ الغضا
ما زلتُ تُصْبِيني الصِّبَا بهبوبها
وتهيجُني الورقاءُ ما إنْ أُصْبِحَتْ
تُملي عليّ حديثَ فرطٍ شجونها
وقضى أدكارُ الظاعنين بأنَّه
أرأيتَ أنْ المزمعين على النوى
لو كنتَ يومَ البين حاضرَ لوعتي
أشكو إليك وأنتَ أبصرُ بالهوى
هم أهرقوا دمعي المصونَ وأوقدوا
ولقد رعيتُ لهم هناك وما رعوا
وأخذتُ أذكُرهم وبينَ جوانحي
حييتُ يا دارَ الأحبةِ في (اللوى)
حتى يُراقَ على ثراكِ فترتوي
كانتَ منازلنا تروقُ بأوجهِ
يا عهدنا الماضي وليسَ براجعِ
واهاً لعيشك يا نديمٍ بمثلها
حيثُ الصِّبَا غصُّ وأعلاقُ الهوى
نجدُ الهوى رطبَ المَجَسِّ فواصلُ
ونروضُ بالأذاتِ كلُّ أبيَّةِ

وجوى يهيجُ به الفؤادُ المولعُ^(١)
تطوى على الزفراتِ منها الأضلع
سحراً وتبكييني البروقُ اللُمع
تشدو على فننِ الأراكِ وتسجع
في الشَّجْوِ من صُحفِ الغرامِ فأطمع
لا يستقرُّ لمُستهامٍ مضجع
عزموا على أخذِ القلوبِ وأزمعوا
لرأيتَ كيفَ تصوبُ تلكَ الأدمع
ما أودعوا يا سعدُ ساعةً ودَّعوا
في القلبِ غلَّةً وامقٍ لا تنقع^(٢)
وحفظتُ ودَّهم القديمِ وضيعوا
كبدٌ تكادُ لها بها تتصدعُ
بحياً يصوبكُ في العشيِّ ويُقلعُ
بعد الظُّمأِ تلكَ الطلولُ الخُشعُ
غربتُ فأينَ تقولُ منها المطلعُ
أفترجعنَّ بما مضيتَ فترجعُ
والكأسُ من حدقِ الأوانسِ تُثرعُ
مما تُغرُّ بها الملاحُ وتُخدعُ
لا ينثنني وملايمٍ ومُمنعُ
منها لنا فيها القيادُ الأطوعُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غنى الأستاذ محمد القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (الثنوي).

(٣) الوامق: المحب. والمقّة: المحبة.

نكصت على أعقابها أسرابها
ويح المُتيم من فراق أحببة
يتجرع المر الزعاف وإنما
ولربما احتمل السؤل لو أنه
لي في المنازل حيث (رامة) وقفه
إن الأحببة في (زرود) و(لعلع)
هتف النوى بهم ضحى فتبادروا
يا هل تراهم يالفون وهل ترى
يشتاقهم أبداً على شحط النوى^(٢)
أنفك أستشفي بطيب حديثهم^(٣)
لا تسألني كيف أنت فإنني
صفت قذال المطاعم أبوتي
أنا من جميل (أبي جميل) لم أزل
عنه المكارم في الوجود تنوعت
أفنت عطاياها الحطام وإنه
لولاها ما عرف الجميل ولا زها
متهلل بجمال أبهج طلعة
ترجى المنافع من لدنه وإنما
أين الضياع من علاه إذا سطا
في موقف ترد النفوس من الردى

وخلا من الظببات ذاك المرع
عفت المنازل بعدهم والأربع
كأس الصدود أقل ما يتجرع
يصغي إلى قول العذول ويسمع
فيها لمن عانى الصبابة مضرع
سقي الغمام بهم (زرود) و(لعلع)^(١)
فيه إلى تلف المشوق وأسرعوا
يهب الزمان لأهله ما ينزع
قلب به حرق وعين تدمع
أو يشتفي هذا الفؤاد الموجه
جلد على الأيام لا أتضعع
وقفاً الدنية بالأبوة يصنع
أدعى إلى الجد الأثيل فأتبع
أجناسها والجنس قد يتنوع
له أو لسبيله ما يجمع
في غيره للفضل روض ممرع
ممن تشير إلى علاه الإصبع
نال المعالي من يضر وينفع^(٤)
هو لا مرأ من الضياع أشجع
والهام تسجد والصوارم تركع

(١) لعلع: موضع بين البصرة والكوفة. معجم البلدان ١٨ / ٥. ولم يقصد الشاعر الموضع بعينه وإنما ترد هذه الأماكن على ألسنة الشعراء ويكترون من ترادها.

(٢) الشحط: البعد، والنوى: الفراق.

(٣) أنفك: أصله لا أنفك. لأن هذا الفعل لا يرد إلا منفيًا ولو بغير أداة. ومثله في القرآن الكريم: (تالله تفتأ تذكر يوسف..) أي لا تفتأ. سورة يوسف الآية (٨٥).

(٤) أخذه من قول الشاعر قيس بن الخطيم وينسب إلى عبد الأعلى بن عبد الله:
يرجى الفتى كيما يضر وينفع
إذا أنت لم تنفع فضر فإنما

ديوان قيس بن الخطيم ص ١٧٠.

والحُرُّ يطربُ حيثُ صاديةُ الظُّبى
 ذو رأفةٍ في العالمين وشدةٍ
 قطعتْ أراجيفَ الرجاءِ لأهلها
 لله دركٌ لو وزنتُ بك الورى
 يا من رأيتُ به المديحَ فريضةً
 أبغى رضاك وحببذا من بغيةٍ
 فإذا رضيتَ فما الشُّهادُ المجتنى^(١)
 شكراً لسالفةِ الصنایع منك لي
 بلَغْتَنِي نِعْمًا خُطبتُ بشكرها
 ونشرتُ بعدَ الطيِّ فيك قصائدي
 لولا مدايحُ الكريمةُ لم تكنُ
 أكبتُ حسَّادي بنعمتك التي
 أتناَلني أيدي الزمانِ بحادثٍ
 قسماً بمن رفعَ السماءَ فأصبحتُ
 إنَّ الأبوةَ والرياسةَ والعلَا
 في كلِّ يومٍ من عَلاكِ صنيعةً
 والناسُ إلاَّ أنتَ في كُبارِها
 تالله إنك واحدٌ في أهلها
 ما ضلَّ عن نيلِ الغنى ذو حاجةٍ
 ترجو نَداك وتتقي منك العدا
 تعطي وتمنعُ نائلاً وأبوَّةً
 الله يعلمُ والعوالمُ كلُّها
 لا زال لي من بحرِ جودك موردٌ^(٢)
 فلئن طمعتُ فلي بجودك مطمَعٌ

تُروى وساغِبَةُ القَشاعِمِ تشبِع^(١)
 تومي لعاتيةِ الأمورِ فتخضع
 وكذلك العَضْبُ المُهَنَّدُ يقطع
 لرجحتَ حينئذٍ وقدرُك أرفع
 ومن المدايحِ واجبٌ وتَطوُّعٌ
 فيها المآربُ والطلابُ الأنفع^(٢)
 وإذا غضبتَ فما السُّمامُ المُنقَعُ^(٣)
 حيثُ المكارمُ والمكانُ الأرفع
 فأنا البليغُ - إذا خطبتُ - المِصقَعُ
 طيبَ الثناءِ عليك فيها يسطع
 تصغي له أذنٌ ويَطربُ مِسمَعُ
 أمستُ تذللُ لها الخطوبُ وتخضع
 يوماً وجانبُك الأعرزُ الأَمنع
 زُهرُ النجومِ بنظمِ مدحك تطمع
 من غيرِ وجهك شمسُها لا تطلع
 أنتَ المُجيدُ لها وأنتَ المَبِدعُ
 صمُّ عن الفعلِ الجميلِ إذا دُعوا
 ولأنتَ أنتَ المُشْتَتكى والمَفزَعُ
 وإلى مكارمِ الطريقِ المَهيعِ
 فالبأسُ بأسُك والسُّماحةُ أجمع
 لا كان من يعطي سوكا ويمنع
 إنِّي لغيرِ نَداك لا أتوقَعُ
 عذبٌ ووَيْلٌ سحابةٍ لا تُقلع
 ولنن قنعتُ فلي بجودك مَفنَعُ

(١) صادية الظبي: هي السيوف العطشى إلى دماء الأعداء، وساغبة القشاعم: هي النسور الجائعة لتشبع من لحوم الأعداء.

(٢) الطلاب: الطلب.

(٣) الشهاد: الشهد، العسل.

(٤) السمام: السم.

(٥) في الأصول: ما زال. والصواب ما أثبتناه، لأنه في معرض الدعاء.

(٨)

وقال مرحباً بالسيد سلمان القادري^(١) نقيب الأشراف ومهنئاً بالعيد [وهي

أدارَ الكأسَ مترعاً شراباً وأهداها لنا ذهباً مُذاباً^(٢)
وقد غارتْ نجومُ الصبحِ لمّا رأتهُ وهو قد كشفَ النُّقابا
وقال لي الهوى فيه اصطبحُها وطبَّ نفساً بها فالوقتُ طابا
ونحنُ بجنةٍ لا خلدَ فيها ولا واشٍ نخافُ به العقابا
ونارُ الحسنِ في وجناتِ أحوى^(٣) من الغلمانِ تلتهبُ التهابا

(١) في الديوان سليمان. وهو السيد سلمان بن السيد علي بن السيد سلمان نقيب أشراف بغداد، ولد سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، ونشأ في بيت الفضل والعلم والمجد. ودرس على علماء بغداد، وكان له قدر كبير ومنزلة سامية لدى السلاطين ورجال العالم الإسلامي، وكان مهيباً ذكياً بارعاً، نال عدة أوسمة من السلاطين. وكان الولاة والوزراء يهابونه، وقد حج بيت الله الحرام سنة ١٢٩٦هـ. بموكب فخم، وكان له مجلس حافل يوم الجمعة في ديوان الحضرة القادرية، يجمع الأدياء والشعراء والعلماء والوزراء ورجال الطرق الصوفية، وذوي الحاجة من الناس، وقد مدحه كثير من الشعراء حيث كانوا يقصدون داره للمدح والعتاء، منهم السيد حيدر الحلبي بقوله:

حدرت بأطراف البنان نقابها
مرحاً فأخجل حسنها أترابها
وجلت غداة تبسّمت عن واضح
تستعذب العشاق فيه عذابها
قتالة اللحظات فهي إذا رنت
وجد المشوق سهامها أهدابها

كما مدحه السيد محمد القزويني النجفي الحلبي بقوله:

عيدان للزوراء زالت فيهما
عنها النحوس وعاد كل سعود
عود النقيب متوجّحاً تاج العلا
لمحله الأسنى وعمود العويد

توفي في ذي الحجة سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ودفن في حجرة خاصة بالحضرة القادرية ببغداد، ورثاه الشيخ يعقوب النجفي والد الشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ حمادي آل نوح والشيخ حسين القيم الحلبي وغيرهم. انظر ديوان حيدر الحلبي ٢ / ١٤ - ١٧ وديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر ص ١٧٨ ولب الألباب ٢ / ١٢٨ وبغداد القديمة ١٩٩ والبغداديون ٨ - ٩ ونهضة العراق الأدبية للبصير ٢٧١ وديوان حسين القيم الحلبي ص ٨٢.

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (حوزاوي).

(٣) الأحمى: الأسمر، ومنه سميت (حواء) أم البشر، ومنه قوله تعالى (والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) سورة الأعلى، الآية (٥).

أدْرِهَا يَا غِلامَ عَلِيٍّ صِرْفاً
أدْرِهَا مُرَّةً تَحَلُّوْا وَدَعْنِي
أرأشَ سَهَامَ مَقَلْتِهِ غَرِيرُ
وَطافَ بِهَا على النُّدْمانِ يَسْعَى
وَشَرِبَ يَشْهَدونَ الغيَّ مَحْضاً
عَكفتُ بِهِمْ على الأذاتِ حتَّى
مَتى حَجَبَ الوَقارُ اللّهُوَ عَنْهُمْ
وَقاموا لَلَّتّي لا عيبَ فِيها
كأنَّ مَجالسَ الأفرَاحِ مِنْهُمْ
تَرِيكَ مَذاهِباً لِلقومِ شَتّى
تَحريُّنَا السُّرورَ وَرُبَّ رَأْيٍ
وَمَا زَلنا نَرِيقُ دَمَ الحَمِيّا
إلى أنْ أَقْلَعْتَ ظَلَمَ الدِّياجي
وَعَنَنْتَنا على الأَغْصانِ وَرُقُ
وَقَدْ ضَحَكَ الأَقْواحُ الغَضُّ مَنا
وِظَلَّ البانُ يَرِقصُ والقَماري (٣)
وَفينا كُلُّ مَبْتَهَجٍ خالِعٍ
إِذا شَرِبَ المُدْمامَ وَأَطْرَبَتْهُ
أَلا بِأبي مِنَ العُشْواقِ صَبُّ
بِكُلِّ مُهْفَهَفٍ الأَعْطافِ يَعْطو
إِذا وَطِئَ التُّرابَ بِأخْمَصَيْهِ
وَأيمُ اللّهِ إِنَّكَ مُسْتَهَامٌ

وَأرْشِفْني بِرِيقَتِكَ الرُّضابا
أَقْبِلْ مِنْ ثَنائِكَ العِذابا
إِذا أَرَمَى بِها قَلباً أَصابا (١)
كَأَنَّ بِكَفِهِ مِنْها خِضابا
إِذا الشَّيطانُ أَبْصَرَهُمُ أنابا
قَرَعَتْ بِهِمْ مِنَ الغَياتِ بابا
رَأوا أَنْ يَرَفَعوا ذاكَ الحِجابا
يَرُونَ بِتَرَكِها لِلعابِ عابا
كَوؤُسُ الرّاحِ تَنْظُمُهُمْ حَبابا
وَتَذهِبُ في عَقولِهِمْ ذَهابا
أَرادَ الخِطَّةَ فَاحْتَمَلَ الصُّوابا (٢)
وَنشَرِبُها وَقَدْ ساغَتْ شَرابا
كَما طَيَّرْتَ عَن وَكَرِ غرابا
نَهزُّ لَهْنَ أَعْطافاً طِرابا
وَأبْصَرَ مِنْ خِلاعتِنا عُجابا
تَغْتَيِّهَ انخِفاضاً وِانتِصابا
طَروِبِ شَبِّ عارِضَةٍ وَشابا
أَعادَ على المَشيبِ بِها الشَّبابا
مَتى ذُكِرَ الغَرامُ لَهُ تَصابى
بِجَيدِ الظَّبّي رُوعٌ فَاسْتَرابا
تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ تُرابا
إِذا اسْتَعذَبْتَ في الحَبِّ العِذابا

(١) عنى رمى، وهو غير صحيح، يقال: أرمى الفرس براكبه إذا ألقاه، وأرمى على الشيء إرماء إذا زاد عليه كما يقال أربى. انظر لسان العرب مادة (رمي).

(٢) الخطه: بكسر الخاء وسكون الطاء، الخطيئة والذنب.

(٣) البان: ضرب من الشجر، واحدته بانه، يتغنى به الشعراء كثيراً. والقماري: جمع قمرية، ضرب من الحمام.

أعدُّ لي ذكرَ أقْداحِ كِبَارٍ
 وِخْلُ اليَومِ عَنكَ حَدِيثٌ سَلَمِي
 وَمِن قَوْلِ الشَّجِيِّ سَأَلْتُ رَبِعاً
 وَخُذْ بِحَدِيثِ (سَلْمَانَ) فَإِنِّي
 يُهَابُ مَعَ الْجَمَالِ وَلَا يَدَارِي
 فَلَوْ فَكَهْتَهُ لَجَنَيْتَ شَهْداً
 وَلَمْ تَرَ قَبْلَهُ عَيْنٌ رَأَتْهُ
 يَنْوِبُ عَنِ الصَّبَّاحِ إِذَا تَجَلَّى
 بِنَفْسِي مِنْ أَفْدِيهِ بِنَفْسِي
 رَغِبْتُ عَنِ الْأَنْبَامِ بِهِ فَأُضْحَى
 فَكَانَ لِي التَّنَاءُ عَلَيْهِ دَابّاً
 هُمُ الرُّؤْسُ الْمُقَدَّمُ مِنْ (قَرِيشٍ)
 وَهُمْ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ أَصْلاً
 وَيَرْضَى اللَّهُ مَا رَضِيَتْ (قَرِيشٌ)
 فَفِيهِمْ شَيْدُ اللَّهِ الْمَعَالِي
 أَوْلَيْكَ (أَلْ بَيْتٍ) أَنْزَلُوهَا
 شَوَاهِقٌ مِنْ جِبَالِ الْمَجْدِ تَسْمُو
 وَأَخْلَاقاً مَهْدِيبَةً لِدَاناً
 إِلَيْكُمْ نَنْتَمِي وَبِكُمْ نُبَاهِي
 وَفِي الدَّارَيْنِ مَا زَلْنَا لَدَيْكُمْ
 وَأَبْلَغُ مَا يَكُونُ بِهِ التَّمَنِّي
 زَمَاناً رَاعِنِي بِنَوَاكٍ شَهْراً

مِلاًً مِنْ شَرَابِكَ أَوْ قَرَابَا
 فَلَا سَلَمِي أُرِيدُ وَلَا الرِّبَابَا
 خَلَا مِمَّنْ أَحَبُّ فَمَا أَجَابَا
 أَحَبُّ بِهِ التَّنَاءُ الْمُسْتَطَابَا
 وَيُوصَفُ بِالْجَمِيلِ وَلَا يُحَابِي
 وَلَوْ عَادِيَّتَهُ لَشَهَدْتَ صَابَا
 جَمِيلاً رَاحَ مَحْبُوباً مُهَابَا
 وَمَا نَابَ الصَّبَّاحُ لَهُ مَنَابَا
 وَمَا فَدَاهُ مِنْ أَحَدٍ فِخَابَا
 يَطْوِقُونِي أَيَادِيهِ الرِّغَابَا
 وَكَانَ لَهُ النُّدَى وَالْجُودُ دَابَا
 يُرِيكَ النَّاسَ أَجْمَعَهَا زِنَابَا
 وَفِرْعاً وَاحْتِسَاباً وَانْتِسَابَا
 وَيَغْضَبُ إِنْ هُمْ رَاحُوا غِضَابَا^(١)
 وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْكِتَابَا
 تَرَاثاً عَنْ أَبِيهِمْ وَاکْتِسَابَا
 مَفَاخِرُهَا وَأَبْنِيَّةُ رِحَابَا
 وَإِيمَاناً مِنَ الْجَدْوَى رِطَابَا
 مِنَ الْبَحْرِ الشَّرَايِعَ وَالْعُجَابَا
 نَحْوَزُ^(*) الْأَجْرَ مِنْكُمْ وَالنُّوَابَا
 دُنُوّاً مِنْ جَنَابِكَ وَاقْتِرَابَا
 فَمَا لِي لَا أُرِيْعُ بِهِ الرُّكَّابَا

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ

الديوان ص ٧٨.

(*) فِي الطَّبَعَةِ (١): (نَجُوزٌ) وَصُوبِنَاهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

فليس العيْدُ ما أوفى بعيْدِ
وعاتبنا بفرقتك الليالي
فأما أقصرُ الأشرافِ باعاً
فيا قمرأً عن (الزوراء) غابا
طلعتْ طُلوعُ بدرِ التَّمِّ لَمَّا
وجئتْ فجئتنا بالخيرِ سيلاً
فإنك كما استسقيتِ وبلاً
فمن مَنَحَ شَرَحَتْ لَنَا صَدُوراً
ولمَّا أنْ نظمتُ له القوافي
وقمتُ عليه أنشدُها وأهدي
إذا منعَ اللئيمُ ندى يديهِ

ولم أشهدُ به ذاك الجنابا
على ما كان حزنأً واكتئابا
فأطولُهم مع الدنيا عتابا
زماناً للتَّنَزُّهِ ثمَّ أبَا
غَرِبْتَ فلا لقيتِ الإغترابا
تُسيْلُ به الأباطحِ والهضابا^(١)
سَقَيْتَ وكنْتَ يومئذٍ سحابا
ومن مَنَنْ تَقَلَّدُها الرُّقابا
وَلَجَّتْ بها على الضرغامِ غابا
لحضرته الدعاءُ المُستجابا
أبى إلا أنصِباباً وأنسكابا

(٩)

وقال يمدح الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي^(٢)، حين ورود الستارة النبوية الشريفة إليه من قبل السلطان محمود خان، [وهي من الكامل]:

(١) الأباطح والهضابا: مفعول تسيل.

(٢) هو الإمام الأعظم أبوحنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التيمي بالولاء، صاحب المذهب، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م، ودرس على علمائها الأعلام، وبخاصة حماد بن أبي سلمى، وقد سمي ولده حماداً باسم شيخه، وكان يبيع الخبز، ويطلب العلم في صباه، حتى نبغ وبرع، وانقطع للتدريس والفتوى، وذاع صيته في الآفاق وكثر طلابه واتباعه، وقد طلبه أمير العراق عمر بن هبيرة، قاضياً فامتنع، ثم أراده أبوجعفر المنصور، فامتنع أيضاً، فحبسه المنصور، وكان الإمام أبوحنيفة قد أدرك أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان رجلاً فاضلاً إماماً جليلاً، كريماً في أخلاقه جواداً سخي اليد، حسن المنطق، جميل الصورة، جهوري الصوت، طويل العبادة، ذا هبة ووقار. ومن أشهر تلاميذه الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري قاضي قضاة الرشيد، ومحمد بن الحسن الشيباني، وزفر بن الهزيل، وهم الذين قرروا مذهبه من بعده، وإليه ينسب المذهب الحنفي. توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. ودفن في المقبرة التي سميت فيما بعد بمقبرة الخيزران. وسميت المحلة باسمه، وهي محلة الإمام أبي حنيفة، وهي اليوم قضاء الأعظمية تنسب إليه أيضاً، وله (مسند) في الحديث، مطبوع جمعه تلاميذه من بعده، وكتاب (المخارج) في الفقه مخطوط، وكتاب (الفقه الأكبر) مطبوع، وقد ألف أفاضل العلماء كتباً عديدة في أخباره وفضائله ومناقبه منها كتاب (أخبار أبي حنيفة) لابن عقدة و(أخبار أبي حنيفة) لابن همام ومثله لمحمد بن عبدالله الشيباني، وكذلك للمرزباني محمد بن عمران، وكتاب (قلائد عقود الدرر والعقيان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان) مخطوط لأبي القاسم القرطبي الحنفي و(مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة) مطبوع =

لِمَنْ السَّوَابِقُ وَالْجِيَادُ الضَّمْرُ
 حَفَّتْ بِهَا أُمَّمُ الرِّجَالِ كَأَنَّهَا
 يَتَشَرَّفُونَ بِحَمْلِ ثَوْبِ نَبِيِّهِمْ
 وَحِلَاوَةِ الْإِيمَانِ حَشَوُ قُلُوبِهِمْ
 يَبْكُونَ مِنْ فَرَحٍ بِهِ بِمَدَامِ
 كُلُّ لَهُ مِمَّا اعْتَرَاهُ صَبَابَةٌ
 مُتَرَجِّلِينَ كَأَنَّمَا مَالَتْ بِهِمْ
 وَتَرَى السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ عَلَيْهِمْ
 حَمَلَتْ ثِيَابَ نَبِيِّنَا وَسَعَتْ بِهِ
 وَتَفَاخَرُوا فِي لَتْمِهَا وَتَبَرَّكُوا
 أَمَّوْا بِهَا (النُّعْمَانُ) حَتَّى شَاهَدُوا
 حَيْثُ الْهَدَى حَيْثُ الْمَكَارِمِ وَالْتَقَى
 أَرْضٌ مَقْدَسَةٌ وَتَرَبُّ طَاهِرٌ
 وَبَكَوْا سُرُوراً فِي مَعَاهِدِ أَنْسِهِ
 لَاحَتْ لَهُمْ هَذَا الْقِيَابُ فَهَلَّلُوا
 هَذَا إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَمَذْهَبُ الْ
 هَذَا مِدَادُ الْعِلْمِ هَذَا بَابُهُ
 هَذَا صَبَاحُ الْحَقِّ هَذَا شَمْسُهُ
 هَذَا الَّذِي فِي كُلِّ حَالٍ لَمْ يَزَلْ
 هَذَا الَّذِي أَوْفَى الْفَضَائِلَ كُلَّهَا
 هَذَا الْمُنَى هَذَا الْغِنَى هَذَا التُّقَى

تَخْدِي وَيَزْجُرُهَا الْغَرَامُ فَتَعْتُرُ
 زَمْرٌ تَسَاقُ إِلَى الْجَنَانِ وَتُحْشَرُ
 فَوْقَ الرُّؤُوسِ هُوَ الطَّرَازُ الْأَخْضَرُ
 وَلِسَانُهُمْ عَنْ ذِكْرِهِ لَا يَفْقُتُرُ
 كَالدَّرِّ فَوْقَ خَدُودِهِمْ تَتَحَدَّرُ
 كَبِدٌ تَذُوبٌ وَمَهْجَةٌ تَتَسَعَّرُ
 رَاحٌ يَسْكُرُ ذِكْرُهَا أَوْ تَسْكُرُ
 وَالخَيْلَ مِنْ تِيهِ بِهَا تَتَبَخَّرُ
 سَعِيًّا عَلَى أَيْدِي اللَّيَالِي يُشْكُرُ
 حَقًّا لِمِثْلِهِمْ بِهَا أَنْ يَفْخَرُوا
 إِشْرَاقُ نَوْرِ ضَرِيحِهِ فَاسْتَبَشَرُوا
 حَيْثُ الْفَضَائِلُ مِنْهُ عَنْهُ تُنْشَرُ
 وَمَشَاهِدُ فِيهَا الذُّنُوبُ تُكْفَرُ
 غَشَى عِيُونَهُمُ السَّنَا فَاسْتَعْبَرُوا
 وَبَدَا لَهُمْ هَذَا الْمَقَامُ فَكَبَّرُوا
 حَقَّ الْمَبِينِ وَسِرُّهُ وَالْمَطْظَهْرُ
 إِنَّ الْعِلْمَ بِصَدْرِهِ تَتَفَجَّرُ
 قَدْ رَاقَ مِنْظَرُهُ وَرَقَّ الْمَخْبَرُ
 عَالِمًا عَلَى الْأَعْلَامِ لَا يَتَنَكَّرُ
 فَازَ الْمُقَرَّبُ بِهَا وَخَابَ الْمُنْكَرُ
 هَذَا الْهُدَى هَذَا الْعُلَا وَالْمَفْخَرُ

= للموفق المكي (ومناقب الإمام الأعظم) مطبوع لابن البزاز الكردي. وكتاب (أبوحنيفة) مطبوع للشيخ محمد أبي زهرة (وحياة الإمام أبي حنيفة) مطبوع للسيد عبدالله عفيفي. وكتاب (أبوحنيفة بطل الحرية والتسامح) مطبوع لعبدالحليم الجندي وغيرها ومرقده مشهور بزار ومشهده من أعظم الجوامع في العراق، ويجواره مدرسته العلمية التي أنشأها شرف الملك العميد أبوسعدي محمد بن منصور الخوارزمي سنة ٤٥٩هـ. وهي تعرف اليوم بكلية الإمام الأعظم.

هذا الإمام الأعظم المفرد الذي

أثاره تبقى وتفنى الأعصر



يا قُدْوَةَ الإِسْلامِ يا عَلامَ الهدى
ولقد ورثتَ عن النَبِيِّ علومَهُ
جَنَّاتِكَ في ثوبِ النَبِيِّ (محمَّد)
وَمُنوَّرٍ بِضَرِيحِ أَفْضَلِ مُرْسَلٍ
وَمُعَفَّرٍ بِتَرابِ أَشْرَفِ حَضْرَةٍ
هو رَحْمَةٌ لِلعالمينَ ورأفَةٌ
مُتَوَسِّلِينَ بِسَترِ قَبْرِ (محمَّد)
يا رَبِّنا بِمحمَّدٍ وبآلِهِ
وبصحابِهِ المُناصِرِينَ لِدِينِهِ
يا رَبِّ بِالعلماءِ أعلامِ الهدى
نحنُ العبيدُ كما علمتَ بحالنا
كلُّ يُرْجِي فَضْلَ رَحْمَةِ رَبِّهِ
مُتَذَلِّلينَ مُقَصِّرِينَ لَذنوبِهِمْ
فاسبِلْ عَلينا ثوبَ حِلْمِكَ ما لنا
واغفِرْ بَعْفوكِ يا غفورُ ذنوبنا
وانصِرْ إمامَ المُسلمينَ وجيشَهُ
يا رَبِّ سَامِحنا على هفواتنا
هذا (عليٌّ) قد أتى مُتَوَسِّلاً^(١)
فأجِبَهُ بِالغفرانِ واخذلْ ضِدَّهُ
واعلِ على رِغمِ الأَعادي قَدْرَهُ
دمَّرْ به أهلَ الضَّلالِ جَميعَها
أَيُّدُ به السِّدِّينَ القَويِمَ فَإِنَّهُ
لا يَتَّقِي في اللهِ لومَةَ لائِمٍ

إِنَّ الهدى من نورِ عِلْمِكَ يظهِرُ
فَجَرَّتْ لَدَيْكَ فَإِنما هي أَبْحُرُ
فِيهِ الفِخارُ وفيه ما نَتَخَيَّرُ
يا حَبِّذا ذاكِ الضَّرِيحُ الأَنوَرُ
فالمِسْكُ بعضُ أريجِهِ والعنبرُ
وهو البَشِيرُ لخالقِهِ والمُنذِرُ
سَتَّرْ به قَبْرَ الرِسالِ مُسْتَتَّرُ
مِنْ مَنْهُمْ أَنْتَ الهدايةُ يُؤَثِّرُ
من أوضحوها سبيلَ الهدى إذْ أَظهروا
العاملينَ بما تقولُ وتأمُرُ
والعَبْدُ يا رَبِّ العِبادِ مُقَصِّرُ
ويخافُ إيعادَ الذنوبِ وَيَحْذَرُ
يا من يذلُّ لِعِزِّهِ المُسْتَكْبِرُ
إلا بحِلْمِكَ يا كَرِيمُ تَسْتُرُ
إِنَّ الذنوبَ بِجنبِ عَفْوِكَ تُغْفِرُ
نعمَ الإمامِ لِمَا به نَسْتَنْصِرُ
فذنوبنا مِمَّا عَلِمنا أَكْبَرُ
يرجو الثُّوبَ إِذا الخَلائِقُ تُحْشَرُ
يا من يَفوزُ بِعَفْوِهِ المُسْتَنْصِرُ
وانصِرْه إِنَّكَ سَيِّدِي مَنْ تَنْصِرُ
لِيُفَرِّقُوا في سِيفِهِ وَيُدْمَرُوا
ذو غِيرةٍ بالدينِ لا يَتَغَيَّرُ
خِصْمُ الأَعادي والعَدُوُّ الأَكْبَرُ

(١) علي رضا باشا اللاط، والي بغداد، ستاتي ترجمته.

(١٠)

وقال يمدح العلامة السيد عبدالغني آل جميل^(١) [وهي من الكامل]:

أهُوَ السَّلِيمُ تَعَوَّدَهُ أَنْاؤُهُ^(٢)
جَمْرَاتُهُ وَتَوَقَّدَتْ رَمْضَاؤُهُ
وَكَفَاهُ مَا فَعَلْتُ بِهِ بُرْحَاؤُهُ
وَلَطَالَمَا أَشْجَى الْمَشْوِقَ غَنَاؤُهُ
وَتَظَلُّ تَنْدُبُ خَاطِرِي وَرَقَاؤُهُ
حَتَّى تَذُوبَ مِنَ الْجَوَى أَحْشَاؤُهُ
أَخَذْتُ بِمَهْجَتِهِ فَمِمَّ بَكَأؤُهُ؟
سَرٌّ يَضُرُّ بِحَالِهِ إِفْشَاؤُهُ
أَوْ مَا نَهَاكَ عَنِ الْهُوَى نُصْحَاؤُهُ
أَرَامُ ذِيَاكَ الْحِمَى وَظَبَاؤُهُ
مَرَضٌ يَعِزُّ عَلَى الطَّبِيبِ شِفَاؤُهُ
إِنَّ الْغَرَامَ كَثِيرَةٌ أَدَاؤُهُ
مَنْ لَوْعَتِي وَتَضَمَّنْتُ أَرْجَاؤُهُ
أَرْقَاً وَيُطْرِفُ نَاطِرِي أَقْدَاؤُهُ
وَتُحِيلُ صَبْغَةَ لَيْلِهِ ظَلْمَاؤُهُ
وَمَنْ الْبَلِيَّةِ هَمُّهُ وَعَنَاؤُهُ
لِلشَّوْقِ دَاعٍ لَا يُرَدُّ دَعَاؤُهُ
مَنْ سَوَى مَا خَابَ فِيهِ رَجَاؤُهُ
وَمَضَى عَلَيْهِمْ حَكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ
قَتَلَى هَوَاكَ فَإِنَّهُمْ شُهَدَاؤُهُ

عَادَ الْمُتَيَّمُ فِي غَرَامِكَ دَاؤُهُ
فَتَأَجَّجَتْ زَفْرَاتُهُ وَتَلَهَّبَتْ
حَسْبُ الْمُتَيَّمِ وَجَدُّهُ وَغَرَامُهُ
بِاللَّهِ أَيُّتَهَا الْحَمَائِمُ غُرْدِي
نُوحِي تَجَاوَبُكَ الْجَوَانِحُ أَنْتَهُ
هِيَهَاتَ مَا صَدَقَ الْغَرَامُ عَلَى امْرِئِي
إِنْ كَانَ يَبْكِي الصَّبُّ لَا مِنْ لَوْعَةٍ
بِتَرْقُرُقِ الْعِبَرَاتِ وَهِيَ مُذَالَةٌ
يَا قَلْبُ كَيْفَ عَلِقْتَ فِي أَشْرَاكِهِمْ
لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ غِرَّةً
وَبِمَهْجَتِي مِنْ لِحْظِ أَحْوَرِ فَاتِنٍ
هَلْ يَهْتَدِي هَذَا الطَّبِيبُ لِعَلَّتِي
وَاللَّيْلُ يَعْلَمُ مَا أَجَنَّ ضَمِيرُهُ
مَا زِلْتُ أَكْتَحِلُ السَّوَادَ بِهَجْرِكُمْ
حَتَّى يَشْتَقُّ الصَّبْحُ أُرْدِيَةَ الدُّجَى
زَعَمَ الْعِذُولُ بَأَنَّ هَمِّي هَمُّهُ
يَدْعُو الْفُؤَادَ إِلَى السُّلُودِ وَدُونَهُ
لَا يَطْمَئِنُّ بِي الْمَلَامُ فَمَا لَهُ
حُكْمُ الْغَرَامِ عَلَى ذَوِيهِ قَاضِي
يَا رَحْمَةً لِلْمُغْرَمِينَ وَإِنْ تَكُنْ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (الحسيني).

ما كان داءُ الحبِّ إلا نظرةً
 في الحيِّ بعد الظاعنين لِمَا به
 أحبَّابُهُ النَّائِينَ عَنْهُ أَنْتُمْ^(١)
 حَفْظَ الْوِدَادِ فَمَا لَكُمْ ضَيَّعْتُمُوهُ
 وَجَزَيْتُمُوهُ عَلَى الْوَفَاءِ قَطِيعَةً
 مَا شَرَعُ دِينَ الْحَبِّ شَرَعَةً هَاجِرٍ^(٢)
 خَاصَمْتُ أَيَّامِي بِكُمْ فَرَعَمْتُهَا
 سَفَهًا لِرَأْيِ الدَّهْرِ يَحْسَبُ أَنَّني
 أَلْقَى قَطُوبَ خُطُوبِهِ مُتَبَسِّمًا
 إِنِّي لِيُعْجِبُنِي تَرْفَعُ هَمَّتِي
 لَا تَعْجِبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
 لَيْسَ الْمُهَذَّبُ مِنْ تَطْيِيشِ بَلْبِهِ^(٣)
 تَمَضِي حَوَادِثَهُ فَلَا ضَرَّأُوهُ
 لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يُسَرُّ بِهِ الْفَتَى
 وَلرَبِّمَا صَدَى الْحَسَامُ وَنَالَهُ
 أَوْ مَا تَرَانِي كَيْفَ كُنْتُ وَكَانَ لِي
 (عبد الغني أبو جميل) وابنه
 نَسَبُ أَضَاءَ بِهِ الْوَجُودُ وَأَشْرَقَتْ
 جَعَلَ الْإِلَهَ لَنَا نَصِيبًا وَافِرًا
 هَذَا الْقَرِيبُ مِنَ الْعُفَاةِ عَطَاؤُهُ
 ضُرِبَتْ عَلَى قُلُلِ الْفَخَارِ قَبَابُهُ

هي في الصَّبَابَةِ دَاؤُهُ وَدَوَاؤُهُ
 مَيِّتٌ بِكَيْتِهِ لِرَحْمَةِ أَحْيَاؤُهُ
 أَحْبَابُهُ الْأَدْنُونَ أَمْ أَعْدَاؤُهُ
 وَوَفَى بِعَهْدِكُمْ فِدَامَ وَفَاؤُهُ
 أَكْذَا مِنَ الْإِنْصَافِ كَانَ جَزَاؤُهُ؟
 صَدَقُ الْخُلُوصِ لَوَدَّ شَحْنَاؤُهُ
 وَالْحَرُّ أَوْغَادُ الْوَرَى خُصَمَاؤُهُ
 مَمَّنْ يُرَاعُ إِذَا دَهَتْ دَهْيَاؤُهُ
 وَسَوَايَ يُرْهَبُ فِي الْخُطُوبِ لِقَاؤُهُ
 وَيَرُوقُ وَجْهِي صَوْنُهُ وَحْيَاؤُهُ
 هَذَا الزَّمَانُ وَهَذِهِ أَبْنَاؤُهُ
 نَعْمَاؤُهُ يَوْمًا وَلَا بِأَسَاؤُهُ
 تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا سَرَّأُوهُ
 وَتَزُولُ عَنْ نَبِيٍّ غَمَّةٌ غَمَّأُوهُ
 قَيْنَ فَعَادَ مَضَاؤُهُ وَجَلَاؤُهُ
 مَنْ كَانَ أَفْخَرَ حَلِيَّتِي نَعْمَاؤُهُ
 وَكَذَا بَنُوهُ وَهَكَذَا أَبَاؤُهُ
 فِي مُشْتَمَخِرٍ عَلَانَهُ أَضْوَاؤُهُ^(٤)
 مِنْ إِسْمِهِ فَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ
 هَذَا الرَّحِيبُ بِمَنْ أَلَمَ فِنَاؤُهُ
 وَبَدَا لِمُشْتَمَطِ الدِّيَارِ سَنَاؤُهُ

(١) في الأصول: الناؤون عنه.

(٢) في المطبوع: ما شرح دين الحب.

(٣) في المطبوع: ليس المذهب.

(٤) في الأصول: ضوضاؤه (كذا).

إن كان يُعرَفُ نائلُ فنواله
 شَيْخٌ إذا الملهوفُ أمَّ بحاجةٍ
 يفدي النّزِيلَ بماله وبنفسه
 مُتَنَمِرٌ إن سِيمَ ضَيْمًا أَدْمِيَتَ
 فيه من الضُّرْغَامِ شِدَّةً بَطُّشِهِ
 رُفِعَتْ له فوقَ الكواكبِ عِمَّةٌ
 حَدَّثَ ولا حَرَجٌ ولستَ ببالغِ
 بَهَرَ العقولِ جَمِيلُهُ وجماله
 هذي معاليه فما نُظِرَاوَهُ
 تالهُ لم تظفرُ يداهُ بثروةٍ
 راحتُ ذُو الحاجاتِ يقتسمونها
 وِجْدَانُهُ فَقَدَ الثَّرَاءَ لِنَفْسِهِ
 يمسي ويصبحُ بالجميلِ ولم يزلْ
 لِلَّهِ مُنْبَلِجُ السَّنَا عن عُرَّةٍ
 لو تَنَزَّلَ الآياتُ في أَيامِهِ
 لا بَدَلَ اللّهُ الزمانَ بغيرِهِ
 ما في الزَّمانِ وأهله مثلُ له (٢)
 وَقَفَّ على الصُّنْعِ الجميلِ جَنابُهُ
 وطعامُهُ وشِرابُهُ وَسَمَاعُهُ
 ولربِّما لَمَعَتْ بوارِقُ غَيْثِهِ
 ولقد تجودُ بكلِّ نَوْءٍ مُرْزَنُهُ
 إِنِّي أُوْمَلُّ أن أكونَ بفضله
 بيتُ المروءةِ والأبُوَّةِ والنُّدى

أو كان يُعَلمُ باذخُ فعلاؤه
 في بابهِ نَشِطَتْ لها أعضاؤه
 نفسي ونفسُ العالمينَ فِداؤه
 منه البرائِثُ واستشِاطَ إباؤه
 ومن المُهَنَّدِ بأُسُهُ ومضاهؤه
 وأحاطَ بالبحرِ المُحيطِ رِداؤه
 ما تستحقُّ لها به الأوه
 وِجالاتُهُ وكَمالُهُ وبههاؤه
 غيرُ النُّجومِ علًا ولا أكفاهؤه
 إلا لِيَفْتِكَ جودُهُ وسخاهؤه
 فكأنَّهُم في مالِهِ شُرَكَاؤه
 ولِغَيرِهِ أبدأً يَكونُ ثِراؤه
 يثني عليه صُبْحُهُ ومساؤه
 لا الصُّبْحُ منبِجاً ولا أضواؤه
 أَتَنَى عليه اللّهُ جَلَّ ثِناؤه
 حتّى تُبَدَّلَ أرضُهُ وسماؤه (١)
 إذ لم تكنُ كُرماءَهُ لُؤمِاؤه (٢)
 فكأنُّما هو لو نَظَرْتَ غِذاؤه
 ومَرامُهُ ورجاؤه وصَفاهؤه
 فانهلَّ عارضُهُ وأهرقَ ماؤه
 جودَ السَّحابِ تَتابعَتُ أنواؤه
 ممَّنْ يُوْمَلُّ فَضْلُهُ وعطاؤه
 ومَحالُّهُ ومَكانُهُ ووِعاؤه

(١) أخذهُ من قولهِ تعالى (يوم تبديل الأرض والسَّموات...) سورة إبراهيم: الآية: ٤٨.

(٢) في الأصول: مثلاً له. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في المطبوع ونسخة أ كرامه لؤمائه.

سبحان من خلق المكارم كلها
أصبحت روض الحزن من سقيا الحيا
يسري إليه نسيم أرواح الصبا
يمري عليها الرّي كلّ عشية
عهد الربيع بفصله ويفضله
ما زال يولينني الجميل تكرماً
وكأنما اصطبّح المدامة شاعر
فالله يبقى المكرمتِ وهما

في ذلك البيت الرفيع بناؤه
راقت محاسنهُ وراق هواؤه
فتضوع في نفحاتها أرجاؤه
وتجودها من صيب أندائه
أبدأ يمرّ خريفه وشتاؤه
مولى علي من الفروض ولأؤه
بمديحه فقريضه صهبائه
متلازمان بقاؤها وبقاؤه

(١١)

وقال يمدح السيد علي القادري^(١) نقيب الأشراف ببغداد [وهي من المتقارب]:

أعادك يا سعد عيد الهوى؟
فأصبحت تنحرف فيها الجفون
فمن حق طرفي هذي الدموع
فما غير قلبي يصلّي الغضا*
وكيف وقفت على أربع
أندفع فيها بها ما ترى
ولم لا أتبعك كلام النصوص
إلى أن تحققت أن الغرام
وحتى أطعت الهوى والشجي
فإن تلحنني بعدها مرة

وأنت ملّم بدار اللوى^(٢)
كما تنحرف البدن يوم القرى
ومن شأن قلبي هذا الجوى
ولا غير طرفي يفيض الدما
عفت قبل هذا بأيدي البلى
فكيف تُداوي الأسى بالأسى
وكف كفت دمك لمّا جرى
يعيد القويّ ضعيف القوي
يعاصي الملام لَطْوَع الهوى
جزيتك يا سعد بنسّ الجزا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) اللوى: واد في أرض بني سليم من نجد. واللوى: مقطع الرمل. وفي بلاد العرب مواضع كثيرة بهذا الاسم. تعرف بالإضافة مثل: لوى طفيل ولوى النجيرة ولوى الأرتى ولوى المجنون ولوى عيوب. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٣ - ٢٤.

(* في الطبعة (١): (الغضا) وهو خطأ طباعي وتصويبها من الطراز الأنفس.

وَأَمَّتْكَ فِي عَبْرَاتٍ تَفِيضُ
 وَقَلْتُ تَسَلُّ عَنِ الظَّاعِنِينَ
 أَلَمْ تَكُ مِنْ قِبَالِهَا أُمَّتَنِي
 وَقَدْ كُنْتُ مِثْلَكَ بَيْنَ الطُّلُولِ
 وَأُرْوِي السِّدْيَارَ بِمَاءِ الجُفُونِ
 وَمَا بَرَحْتُ عَبْرَاتِي بِهَا
 وَأَذْكَرُ فِيهَا عَلَى صَبُوتِي
 قَضَيْتُ لَدَيْهِ بِمَا أَشْتَهِي
 أَغَارِلُ غِزْلَانَهُ لَلْوِصَالِ
 وَأَسْمَعُ مِنْ نَعَمَاتِ القِيَانِ
 يَحْضُ عَلَى مَا يَسُرُّ النُّفُوسَ
 يَنَادِمُنِي كُلُّ عَذْبِ الكَلَامِ
 وَأَلْقَى الزَّمَانَ بِهِمْ بِاسْمًا
 فَإِنْ تَرَنِي بَعْدَهُمْ رَاضِيًا
 وَلَكِنَّهَا زَفَرَاتٌ تَهَيِّجُ
 وَإِنْ جَاشَتْ النَّفْسُ مِنْ وَجْدِهَا
 وَأَخْرَجُ مِنْ ذِكْرِهِمُ بالقَرِيضِ
 فِي مَدْحِهِ مَا يَزِيلُ الهمومَ
 فَلَا بَعْدَهُ لَلْمُنَى مُنْتَهَى
 تَوَاضَعُ وَهُوَ عَلِيُّ الجَنَابِ
 بِأَثَارِهِ أَبَدًا يُفْتَتَى
 مَلَأَ الجَمِيعَ لِمَنْ قَد دَنَا
 أَعَادَ مَنَاقِبَ آبَائِهِ
 وَيَرْتَاحُ لِلْبَذْلِ يَوْمَ العَطَا
 فَإِذَا سَأَلْتَ نَدَى كَفَّهُ

وَوَجَدَ يُقَطِّعُ مِنْكَ الحَشَا
 فَإِنَّ السُّأْلَ بِأَمْرِ الفَتَى
 فَمَاذَا الوَقُوفُ وَمَاذَا البِكََا
 أَسَاجِلُ بِالدَّمْعِ وَبِلَ الحَيَا
 فَلَمْ يَرِقْ دَمْعِي وَفِيهَا ظَمَا
 تَبَلُّ الغَلِيلِ وَتُرْوِي الصُّدَى
 زَمَانَ التَّصَابِي وَعَهْدَ الصَّبَا
 وَلَكِنَّهُ قَد مَضَى وَانْقَضَى
 وَأَشْرَبُ لَأَهْوِ كَأَسَ الطَّلَا
 كَلَامًا يُعَشِّقُنِي بِالدُّمَى
 وَيَدْعُو إِلَى مَا هُوَ المُشْتَهَى
 يُشَابِهُ بِالحُسْنِ بَدْرَ الدُّجَى
 كَوَجْهِ الكَرِيمِ وَزَهْرِ الرُّبَا
 وَلَوْ بِالخِيَالِ فَمَا عَنِ رِضَا
 فَأَذْكَرُ يَا سَعْدُ مَا قَد مَضَى
 فَتَعْلِيَا بِهَا بِحَدِيثِ المُنَى
 بِمَدْحِ (عَلِيٍّ) خَدِيدِ العُلَا
 وَفِي شُكْرِهِ يُسْتَفَاضُ النُّدَى
 وَلَا غَيْرَهُ لَلْعُلَا مُرْتَقَى
 رَفِيعُ المَحَلِّ وَسَامِي الدُّرَا
 وَأَقْوَالِهِ أَبَدًا يُفْتَدَى
 مِنَ العَالَمِينَ وَمَنْ قَد نَأَى
 حَيَاةَ العُفَاةِ وَحَتَفَ العِدَا
 فَيَنْفِقُ أَنْفَسَ مَا قَد غَلَا
 فَسَلْ مَا تَشَاءُ وَثِقْ بِالعِنَى



وَيَلْحَقُ ذَاكَ الجَدَا بِالجَدَا
 وَفِيهِ مَعَ البِئْسِ هَذَا التُّقَى

وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ يَعْطِي الجَزِيلُ
 ففِيهِ مَعَ الجُودِ هَذَا الحَيَاءُ

أليس من القوم سادوا الأنام
عليهم تنزل وحي الأله
وكيف يفاخرهم غيرهم
وهذي ضرائح آبائهم
يلوذ بحضرتهم من يخاف
حماة بهم يامن الخائفون
لهم عند ضيق مجال الرجال
أكارم لا نارهم في الظلام
مخسوا وأتى بعدهم فرعهم
مهتاب إذا أنت أبصرتة
يجيب إذا ما دعاه الصريح
صفا من يديه غير النوال
أومل منه بعيد المرام
واني بنظمي مديحي له
ولا زال في كل عيد يعود

فهم سادة لجميع الورى
ومنهم تبلج صبح الهدى
إذا كان جدهم المصطفى
تشد إليها رجال المطى
خطوب الليالي ويخشى الأذى
نوائب من شدة تفتقى
عزائم ليست لببيض الظبى
توارى ولا جارهم في عنا
ومن قد مضى مثل من قد أتى
فتحسبه من أسود الشرى
همام يلبى إذا ما دعا
لمن يجتديه فخذ ما صفا
وأرجوبه فوق ما يرتجى
كمن شرب الراح حتى أنتشى
بأرفع مجد وأعلى بنا

(١٢)

وقال يمدح الوزير داود باشا^(١) والي بغداد وأرسلها إليه إلى الأستانة بعد عزله

(١) هو الوزير الشهير داود باشا، كرجي الأصل، ولد سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م، وطلبه إلى بغداد بعض النخاسين، وعمره إحدى عشرة سنة، فاشتراه المرحوم مصطفى بك الربيعي، ثم اشتراه منه والي بغداد سليمان باشا، فعلمه وأدبه، ودرس على أجلة علماء بغداد حتى برع فأجازوه. أمثال الشيخ محمد أمين الموصللي والشيخ محمد أسعد بن عبيدالله الحيدري والحافظ أحمد القيماقجي وغيرهم. وكان ذكياً بارعاً عالمياً فطناً مخلصاً، وتقدم في الوظائف والمناصب، حتى جعله سعيد باشا بن سليمان باشا (كتخدا) سنة ١٢٢٩هـ. وكان الفساد والاضطراب قد استولى على العراق. فأصلح الأمور، وقوي شأنه، وخشيه المفسدون. وخافه سعيد باشا أيضاً، فأراد التخلص منه وعزم على قتله، فترك داود باشا بغداد وقصد كركوك سنة ١٢٣١هـ وكتب منها إلى الأستانة عن الوضع في بغداد، وصدر فرمان بتعيينه والياً على بغداد، فعاد إليها واحتلها سنة ١٢٣٢هـ وقتل سعيد باشا وهدأت الأمور، وقد أنشأ داود باشا المدارس والمعاهد والمساجد، ومن آثاره في بغداد جامع الحيدر خانة وجامع الأصفية، واصطدم مع الإنجليز. فوشى به الإنجليز لدى السلطان وخوفوه منه بأنه يريد الاستقلال بالعراق.

وكان داود باشا قد استجلب الصناع من أوروبية وأمر بصنع البنادق والمدافع في العراق. وامتد حكمه إلى

ب (وادي الغضا) للمالكية أربع
 ومُرتبَعٌ قد كان للريمٍ ملعباً
 يقطعُ فيها مهجةَ الصبِّ شوقها
 حبستُ بها صحباً كأنَّ قلوبهمُ
 على مثلِ مُعوجِّ الحنيئةِ ضمَّراً
 تَحِنُّ إلى أعلامِ (سَلَمِ) و(لَعَلِ)
 كأنَّ فُصِدَتْ من أخدَعَيْها وما جرى
 وما هي إلاَّ عَبْرَةٌ دمويةٌ
 فحيَّتْ رسومَ الدارِ وهي دوارسُ
 كأنَّ مطيَّ الركبِ في الشَّعبِ أصبحتُ
 نُريكَ بها من شدةِ الوجدِ ما بنا

سَقَّتْها الحيا منَّا جُفونٌ وأدمعُ
 على أَنَّهُ للضَّيغِ المِوردِ مصرع
 وما الشُّوقُ إلاَّ مهجَةٌ تتقطعُ
 من الشُّوقِ في تلكِ المنازلِ تُخلَعُ
 نَبوعُ بها البِيدِ القِفارِ ونذرع^(١)
 لقد فَتَكَتُ بالحبِّ (سَلَمُ) و(لَعَلِ)
 لها بدمٍ قانٍ هنالكِ أخدع^(٢)
 وجودُ بها في ذلكِ الربعِ مدمع
 جُفونٌ بما تُسقي بها الدارُ تُتَرَعُ
 لها عند ذاكِ الشَّعبِ قلبٌ مُضَيِّعُ
 فكلُّ له منَّا فؤادٌ مُرَوِّعُ

= الأحساء. ثم عزل سنة ١٢٤٧هـ. حيث وجه السلطان محمود جيشاً من الشام بقيادة علي رضا باشا اللاظ. فاحتل بغداد سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م وكان قد أصابها الغرق والطاعون، وقد قاوم أهل بغداد مع داود باشا ولم يرضوا بعزله، ثم استسلم آخر الأمر. وشفع له أعيان بغداد والأعظمية لدى الوزير علي رضا اللاظ، ورحل إلى الآستانة، فاستقبله السلطان محمود وأكرمه واحترمه ولقبه بشيخ الوزراء، ثم أكرمه السلطان عبدالمجيد بعد ذلك فعينه شيخاً للحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة سنة ١٢٦٠هـ فاقام في المدينة مشغلاً بالعلوم والآداب والتدريس حتى وفاته سنة ١٢٦٧هـ ودفن في البقيع. وله في بغداد أوقاف كثيرة منها البساتين المعروفة بالداودية في شمال الأعظمية. وله في المدينة المنورة بستان تعرف بالداودية أيضاً. وقد ألف عثمان بن سند كتاباً لتاريخه سماه (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود). وقد مدحه كثير من الشعراء، منهم السيد جواد زيني وعبدالباقي العمري بقصيدة التزم فيها كلمة (الخال) في القافية وقد عارض فيها (خالية) الشاعر بطرس كرامة التي مدح بها السلطان. كما مدحه الشيخ صالح التميمي وكان شاعره المفضل المقرب إليه وقد ودعه عند عزله بقصيدة باكية قال فيها:

أودعكم توديع من ضاع قلبه فليس له عنه سلو ولا صبر
 وتوديع ذي ود يرى أن بعدكم وإن كان يوماً واحداً طوله الدهر

وانظر الترياق الفاروقي ٢٤٣، وديوان التميمي وحملة البشر ١/ ٥٧٩ - ٦٠٧. وعنوان المجد ١٤٢ ودوحة الوزراء ٢٧٢ - ٢٩٣ والأعلام ٣/ ٦ - ٧ وداود باشا للكثير يوسف عزالدين وشعراء العرب ٢/ ١٥٢.

(١) نبوع: نقيس بالباع. ونذرع بالذراع.

(٢) الأخدعان: عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق. والجمع أخداع. وفي الحديث الشريف (إنه عليه الصلاة والسلام احتجم على الأخدعين) لسان العرب. مادة (خدع).

ولما نزلنا ليلة الخيف بالنقا^(١)
 بحيث الهوى يستنزف العين ماءها
 ذكرنا بها أيام لهو كائنها
 وبتنا وأسياف من الشهب في الدجى
 تحرك ذات الطوق وجددي وطالما
 تردد والأشجان ملء حديثها
 وما ساءها بالبين ركب مقوض
 فهل أنت مثلي قد أضربك الهوى
 لئن نشرت طي الغرام الذي لها
 بنفسي من الجانبين بالطرف جانبا
 يجرعني ما لم أذقه من النوى
 بذلت له من أدمع كنت صننتها
 ويا ربما أدميت طرفي بوامض
 وقلت لسعد حين أنكروعتي
 تولت لنا أيام جمع وأقلعت
 وأصبح بالحي العراقي ناعبا

وفاضت على أطلال (رامنة) أدمع^(٢)
 ويستتهتر الصبر الذي لا يرقع
 عقيلة مال المرء بل هي أنفع^(٣)
 تسلسل وزنجي الظلام يجعد
 تبيت على فينانة البان تسجع
 قديم الهوى من أهله وترجع
 ولا راعها يوماً خليط مودع
 وهل لك قلب لا أبا لك موجع
 فقد^(*) طويت مني على الوجد أضلع
 له شافع من حسنه ومشفع
 ألا من حميا الوجد ما أترجع
 ذخائرها وهو الحبيب الممنع^(**)
 من البرق في الظلماء يخفى ويلمع
 عداك الهوى إنني بظمياء مولع
 فلم يبق في اللذات يا سعد مطمع
 غراب بصرف البين للبين أبقع

(١) الخيف: كل ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف في منى. وفي بلاد العرب أخفاف كثيرة تعرف بالإضافة مثل: خيف بني كنانة وخيف سلام وخيف الحميراء وخيف ذي القبر. والمقصود هنا خيف منى وهو منزل الحجاج في العيد. انظر معجم البلدان ٢/ ٤١٢ - ٤١٣ والنقا محطة في مكة المكرمة.

(٢) في بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى (رامنة) منها موضع قرب الرمادة بين البصرة ومكة المكرمة وهي آخر بلاد بني تميم ورامنة اسم هضبة لبني دارم ورامنة أيضا من قرى بيت المقدس وبها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ويقال لها (رام الله). والعرب تشبهها فتقول (الرامتان). معجم البلدان ٣/ ١٨.

(٣) عقيلة المال: العقيلة من كل شيء أكرمه وأحسنه، وهي في الأصل المرأة الكريمة. ثم توسعوا فيه فقالوا: عقائل الكلام وعقائل البحر وعقائل المال. لسان العرب مادة (عقل).

(*) في الطبعة (١): (فقط) وهو خطأ طباعي وصوبناها على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الممتع) خطأ طباعي وصوبناها على الطراز الأنفس.

وغابتُ بدورِ الظاعنينَ عشيَّةً
أراني مُقيماً بالعراقِ على ظُما
وكيفَ بورِدِ الماءِ والماءُ أجنُ
لعلَّ وما تُجدي لعلَّ وربِّما
يعودُ زمانٌ مرَّ حلوٌ مذاقه^(٢)
فقد كنتُ لا أُعطي الحوادثَ مِقوِدي
كأنِّي صفاةٌ زادها الدهرُ قسوةً
فسالتُ حربَ النائباتِ فلم تزلُ
وكنتُ إذا طاشتُ سهامُ قسيِّها
فمن جوده إنِّي ربِّيتُ بجوده
وردَّ شمسُ الفضلِ بعد غروبها
وقام له في كلِّ منبرٍ مدحةٌ
ومستودعٌ علمَ النبيِّينَ صدره
كان ضياءَ الشمسِ فوقَ جبينه
وزيرٌ ومرُّ الحادثاتِ يزيده
إذا ضَعُضَعَ الخطبُ الجبالَ فإنه
عرانيتهُ قد تشمخِرُ إلى العلا

بأنضاءِ أسفارٍ تحبُّ وتوضع^(١)
ولا منهلٌ للظامئِينِ ومرتع
يُبلُّ به هذا الغليلُ ويُنقَعُ
غمائمٌ غمُّ أطبقتُ تتقشعُ
وشملُ أحيائي كما كان يجمع
وإنِّي لريبِ الدهرِ لا أتوجعُ^(٣)
من الصمِّ لا تبلى ولا تتصدعُ
تقودُ زمامي حيثُ شاءتُ فاتبع
وقتني الردى من صنع (داود) أدرع^(٤)
وزيرٌ له الإحسانُ والجودُ أجمعُ
كما ردها من قبل ذلك (يوشع)^(٥)
خطيبٌ من الأعلامِ بالفضلِ مصقَعُ
ولله سرٌّ في معاليه مودعُ
على وجهه النورُ الإلهيُّ يسطعُ
ثباتاً وحلماً فهو إذ ذاك أروعُ
هو الجبلُ الطودُ الذي لا يُضعُضَعُ
أشتمُّ إلى الأعلامِ في المجدِ أفرعُ

(١) تحب: تسير خبياً وهو نوع من السير، وتوضع من الإيضاع وهو السرعة، وفي الحديث الشريف عند الإفاضة من عرفات (عليكم بالسكينة فليس البر بالإيضاع) وفي القرآن الكريم: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم..) سورة التوبة: الآية: ٤٧.

(٢) الفصل مر: تورية بارعة فهي من المرور ومن المرارة.

(٣) أخذه من قول الصحابي الجليل أبي ذؤيب الهذلي يرثي أبنائه الخمسة:

وتجلدي للشامتين أريهم
أني لريب الدهر لا أتضعع

أشعار الهذليين: ١٠ / ٨.

(٤) تورية بارعة مع الدروع الداودية المنسوبة إلى النبي داود عليه السلام.

(٥) إشارة إلى خبر رد الشمس بعد غروبها بدعاء النبي يوشع عليه السلام.

أَمَدٌ عَلَى قَطْرِ (العراقين) ظَلَّهُ
 وَيُقَدِّمُ حَيْثُ الْأَسَدُ تُحْجَمُ رَهْبَةً
 يَمُدُّ يَدًا طَوَّلَى إِلَى مَا يَرُومُهُ
 إِذَا ذَكَرَ الْجَبَّارُ شِدَّةَ بَأْسِهِ
 لَقَدْ سَارَ مَنْ لَا زَالَ يَنْهَلُ قَطْرَهُ
 فَمَا سَالَ يَوْمًا بَعْدَ جَدْوَاهُ أَبْطَحُ
 وَلَا مَرَّ فِيهَا غَيْرُ طَيْبٍ ثَنَائِهِ
 وَلَا عَمِرَتْ فِي غَيْرِ أَنْوَاعٍ مَدْحِهِ
 (أبا حسن) هَلْ أَوْبَةٌ بَعْدَ غَيْبَةٍ
 لَنْ خَلَيْتَ مِنْكَ الْبِلَادُ الَّتِي خَلَتْ
 فَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ أَيْادِكَ دِيمَةٌ
 يَفِيضُ النَّدَى مِنْ رَاحَتِكَ وَإِنَّهَا
 وَإِنِّي عَلَى خَصْبِ الزَّمَانِ وَجَدْبِهِ
 وَلَوْ أَنِّي وَفَّقْتُ لِلْخَيْرِ أَصْبَحْتُ
 إِلَى مَالِكٍ مَا عَنْ مَكَارِمِهِ غَنَى
 فَالْتَمُّ أَقْدَامَ الْوَزِيرِ الَّتِي لَهَا
 وَأَثْنِي عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ

إِذَا عَصَفَتْ فِي الْمَلِكِ نَكْبَاءُ زَعَزَعُ
 وَيَسْطُو وَأَطْرَافُ الْمَنِيَّةِ شُرْعُ
 فَتَقْصُرُ أَبْوَاعُ طِوَالُ وَأَذْرَعُ
 يَلِينُ لِمَا يَلْقَاهُ مِنْهُ وَيَخْضَعُ
 سَحَابٌ عَنِ (الزوراء) بِالْجُودِ مَقْلَعُ
 بِسَيِّبٍ وَلَنْ تُسْقَى مِنَ الْغَيْثِ أَجْرَعُ
 أَرِيحُ شِدْأًا مِنْ طَيِّبِ الْمَسْكِ أَضْوَعُ
 بِيوتُ عَلَى أَيْدِي الْفَضَائِلِ تُرْفَعُ
 فَلِلْبَدْرِ فِي الدُّنْيَا مَغْيِبٌ وَمَطْلَعُ
 فَلَمْ يَخُلْ مِنْ ذِكْرِي جَمِيلِكِ مَوْضِعُ
 وَرَوْضُ إِذَا مَا أَجْدَبُ (*) النَّاسُ مُمْرِعُ
 حِيَاضُ، بَنُو الْأَمَالِ مِنْهِنَّ تُكْرَعُ
 إِلَيْكَ وَإِنْ شَطَّ الْمَمَزَارُ لِأَهْرَعُ
 نِيَاقِي بَارِضِ الرُّومِ تَخْدِي وَتُسْرَعُ
 وَغَيْرِ نَدَى كَفَّيْهِ لَا أَتَوَقَّعُ
 إِلَى غَايَةِ الْغَايَاتِ مَمَشَى وَمَهْيَعُ (١)
 وَأُنْشِدُهُ مَا قَلْتُ فِيهِ وَيَسْمَعُ

(١٣)

(١) المهيق الطريق اللاحب الواضح.

(٢) هو أبو البركات نعمان خير الدين بن أبي الثناء محمود بن عبدالله الألويسي البغدادي. ولد ببغداد يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م ونشأ بها ودرس على والده العلامة أبي الثناء، وعلى جملة صالحه من أجلة علماء بغداد، وكان نكياً عاقلاً فاضلاً. شديد التمسك بالسنة النبوية الطاهرة، محارباً لأهل البدع والأهواء، وقد سافر إلى الحج واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين. فأعجبوا بفضله وعلمه وسعة دراسته، وسافر إلى الأستانة عن طريق الشام واجتمع بعلمائها فجازهم وأجازوه، وقابل السلطان في الأستانة فأكرمه وبعله. وعين قاضياً في مدن عديدة بالعراق، ثم ترك المناصب وتفرغ للتدريس في المدرسة المرجانية ببغداد. وكان يلقب (رئيس المدرسين) (* في الطبعة (١): (أجدى) خطاً طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس. =

ليهننكم زواج في هناء
 ترون الخير مجلوباً إليه
 ويطرب في مغانيكم محباً
 تقرر العين فيكم إن تراكم
 إذا سدتكم وكنتم حيث أهوى
 ولا عجباً إذا ما ساد شبل
 ألا يا عم أبناء كرام
 ومهدي العالمين إلى رشاد
 بذكر تطمئن به قلوب
 تهن بذلك التزويج ممن
 وسر به كما تبغي وأرخ

به أنشرحت لأقوام صدور
 وفي أطرافه الخير الكثير
 يبوح لكم بما كتتم الخميمير
 وفي أخلاقكم كرم وخير
 وما فيكم بمكرمة قصور
 أبوه ذلك الأسد الهصور
 تعم به السعادة والخبور
 يلوح به لعلم منكم نور
 ووعظ قد تلين له الصخور
 بها الأيام تشرق والشهور^(١)
 (ففي تزويج نعمان سرور)^(٢)
 ١٢٧٣هـ

= وكان يقضي سحابة يومه من الفجر إلى صلاة المغرب في المدرسة ولم يخالط حاكماً ولا وزيراً. وكان جواداً سخياً. وله شعر حسن رقيق ومنه قوله:

قف بنا يا سعد إن جئت الغضا
 ولنحو البان فاصرف قلصاً
 وتبرئ السقم الذي قد أمرضا
 حي صبا من بعاد قد قضى
 ذكرت يا ويلها عصراً مضى
 واسقني في روضة كأس طلا

وله كتب عديدة منها: (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) ابن تيمية وابن حجر. مطبوع. (الجواب الفسيح لما لفقّه عبدالمسيح) مطبوع. (غالية المواظ). (صادق الفجرين) مخطوط. (شقائق النعمان) مخطوط. وكانت له صلات طيبة وعلاقات وطيدة مع كبار علماء الإسلام. وبخاصة السيد صديق بن حسن خان، وكان مبعلاً لدى السلاطين والولاة والوزراء. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم الشيخ نعمان السويدي وعبدالباقي العمري وعبد الحميد الأطرجي. والشيخ محسن العذارى بقوله:

أبو ثابت ذاك من قد غدا
 ومن قد سما في الفخار السما
 فما في الفتاوى له مشبه
 لعين العلاء عين إنسانها
 وداس على هام كيوانها
 ومن ذا يكون كنعمانها

توفي ببغداد يوم الأربعاء ٧ محرم سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ودفن في المدرسة المرجانية بجوار قبر منشئها أمين الدين مرجان. وقد وقف كتبه كلها على خزانة المدرسة المرجانية، وهو والد العلامة علي علاء الدين الألويسي قاضي بغداد الأسبق.

(١) في الأصول: به الأيام.

(٢) مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٧٣هـ. ولم يرد الرقم في الأصول. انظر الترياق الفاروقي ٤١٥ والمسك الأذفر ٥١ - ٥٦ والدر المنتثر ٣٤ - ٣٧ وتاريخ الأدب العربي في العراق للفرادي ٢/ ٥٩ - ٦٠. والبغداديون ٢٦٣ وبغداد القديمة ٢٠٠ وأعلام الغري للأثري ٥٧ - ٥٧ - ٦٨ وإيضاح المكنون ١/ ٦ و٢٩٨ والأعلام ٩/ ٩ وحديقة الورد ٤٠ مخطوط.

(١٤)

إلى إحسان (مولانا الرفاعي) بكشكول الرجاء مددتُ باعي^(٢)
هو القطبُ الذي لا قطبَ يُدعى سواه في الأنعام بلا نزاع
عريضُ الجاهِ ذو قَدْرٍ كريمٍ طويلُ السباعِ بل رحبُ الذراع
تَوَلَّدَ من رسولِ الله شَيْبُلٌ به دانتُ له كلُّ السُّبُباعِ
وقَبْلُ كَفِّ وَالدهِ جَهَاراً غدتُ بالنورِ باديةَ الشُّعاعِ^(٣)
وشاهدَها النُّقَاتُ وكلُّ فردٍ رأها بانفرادٍ واجتماعِ
فتلك مَزيَّةٌ لم يحظَ^(*) فيها سواه من مُطيعٍ أو مُطاعِ

(١) هو أبو العباس الشيخ القدوة الإمام الزاهد السيد أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى المعروف بابن الرفاعي الحسيني. أصله من المغرب مؤسس الطريقة الرفاعية ولد سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م وتفقه وتآدب على خاله الشيخ منصور الزاهد. وتصوف وانضم إليه خلق كثير، وانتشر أتباعه وطريقته في أنحاء الدنيا. وكان يسكن في قرية أم عبيدة من أعمال واسط بالبطنج. ومما ينسب إليه من الشعر:

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم
أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتي بحار بالأسى تتدفق
(سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها
تفك الأسارى حوله وهو موثق)
(فلا هو مقتول ففي القتل راحة
ولا هو ممنون عليه فيطلق)

وقيل كانت هذه الأبيات تنشده عليه فيتواجد عند سماعها، ويمرض لها. توفي في قرية أم عبيدة يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م وقبره فيها يزار وعليه قبة. ويقصده الزوار وأتباع طريقته من أنحاء العالم. ولم يعقب ذرية. وإنما النسل لأخيه وذرية أخيه يتوارثون المشيخة. انظر ترجمته في الكامل ١٢ / ٩٢ ووفيات الأعيان ١ / ١٧١ - ١٧٢ والبداية والنهاية ١٢ / ٣١٢، وشذرات الذهب ٤ / ٢٥٩ - ٢٦٠ والأعلام ١ / ١٦٩.

(٢) ذكر لي الأستاذ الأثري: أنه سمع شيخه العلامة محمود شكري الألويسي. يقول: «إن أحمد عزة العمري نظم هذه القصيدة وأضافها إلى الديوان. ليسهل أمر طبع الديوان. وإنها ليست للأخرس» وكذلك القصيدة رقم (٢٨).
(٣) إشارة إلى الخبر الشائع لدى الصوفية وهو أن السيد الرفاعي رضي الله عنه، عند زيارته لرسول الله ﷺ. امتدت إليه يد الرسول عليه الصلاة والسلام من القبر الشريف فقبلها. وللصوفية قصائد كثيرة ومدائح حول هذا الخبر. وهو لا يتفق مع العقيدة الإسلامية الصحيحة.

(*) في الطبعة (١): (فرية لم يخط) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عَشِقْتُ طَرِيقَ حَضْرَتِهِ عَيَاناً
بِذِكْرِ جَلَالِهِ وَعُلَاهِ نَمَشِي
فَمَاءُ زَلَالِهِ يَرُوي غَلِيْلِي
وَلَمْ أَعْبَأُ بِجَمْعِ جَعَةٍ وَطَحْنِ
مُجِيرِي إِنْ تَعَاقَبَتِ الرِّزَايَا
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَالَ لَنَا بِخَطْبِ
بِهِمَّتِهِ الْعَلِيَّةِ إِنْ تَوَالَتْ



وَأَمَّا الْغَيْرُ يَعْشَقُ بِالسَّمْعِ
رَوِيْدًا فَوْقَ أَنْيَابِ الْأَفَاعِي
وَرُوضِي إِنْ تَنَكَّرَتِ الْمَرَاعِي
فَذَاكَ الصَّخْرُ خَرَّ مِنَ الْيَفَاعِ
وَعَوْثِي إِنْ تَكَاثَّرَتِ السُّدَايَا
وَأَوْرَثَ صَدْعُهُ سَوْءَ الصُّدَاعِ
نَكِيلٌ خَطْوِيَهُ صَاعًا بِصَاعِ

أَبَا الْعَلَمَيْنِ سَيِّدِنَا الْمُفَدَّى^(١)
أَتَيْتُكَ زَائِرًا أَبْغِي قَبُولًا
أَتَيْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو مِنْ ذُنُوبِ
فَمَا كَذَّبْتَ بِمَا أَرْجُو ظَنُونِي
لَقَدْ عَصَرْتَنِي الْأَيَّامُ حَتَّى
لَكَ الْهَمُّ الَّتِي شَهِدَ الْمُعَادِي
إِذَا خَفَقَتْ رِيَّاحُ الْعِزْمِ مِنْهَا
وَلَيْسَ سِوَاهُ فِي حِزْمٍ وَعِزْمِ
فَهَذَا مَلْجَأٌ مِنْ حَلٍّ فِيهِ
أَمْرٌ حُرٌّ وَجْهِي فِي تَرَابِ
وَقَفْنَا وَالْجُفُونُ لَهَا مَسِيلُ
فَكَمْ مِنْ مُقَالَةٍ لَلشُّوقِ أَذْرَتْ
فِيَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ جَعَلْتُ مَدْحِي
إِذَا مَا رُمْتُ أَنْ أَحْصِي ثَنَّاكُمْ
أَلَا إِنَّ الذُّنُوبَ لَقَدْ تَوَالَتْ
فَقَدْ أَصْبَبْتَنِي الدُّنْيَا إِلَيْهَا
فَخَذُ بِيَدِي بِأَرْضِ الْحَشْرِ يَوْمًا

عَلَى وَجَلٍ أَتَيْتُ إِلَيْكَ سَاعِي
فَفِيكَ تَوَصَّلِي وَلَكِ أَنْقِطَاعِي
تَوَلَّدَهَا بِنَا قُبْحُ الطَّبَاعِ
وَلَا خَابَتْ بِنَا تِلْكَ الْمَسَاعِي
جَرَى مِنْ مَقْلَتِي لَبِنُ الرُّضَاعِ
بِهَا إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى الدَّفْعِ
أَمِنَّا فِي حِمَاهُ مِنَ الضَّيَاعِ
يَبِينُ لَنَا الْمُضْيِعَ مِنَ الْمُضَاعِ
يَعُدُّ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَارْتِيَاعِ
بِهِ التَّمْرِيعُ لِلْجَنَاتِ دَاعِي
بِهَاتِيكَ الْأَمَاكِنِ وَالْبِقَاعِ
وَأَجْرَتْ دَمْعَهَا دُونَ أَمْتِنَاعِ
بِكُمْ خَيْرَ ارْتِدَاءٍ وَادْرَاعِ
طَلَبْتُ بِذَلِكَ غَيْرَ الْمُسْتَطَاعِ
وَجَاءَتْ وَهِيَ حَاسِرَةٌ الْقِنَاعِ
وَعَرَّتَنِي بِأَنْوَاعِ الْخِدَاعِ
يُسَاوِي بِالْجَبَانِ وَبِالشُّجَاعِ

(١) أبو العلمين: هي كنية السيد الرفاعي رضي الله عنه.

وأدرِكُنِي وَمَنْ نَفْسِي أَجِرُنِي
فَقَدْ نَاجَيْتُهَا لَمَّا أَتَيْتُنَا
وَإِنِّي عُدْتُ فِي نَفْسِي وَجَسَمِي
بَلَى. رُوحِي لَدَيْكَ لَقَدْ أَقَامْتُ
أُودِعُ حَضْرَةَ مُلِئْتُ جَلَالاً
كَرِيمٌ بِالسَّلَامِ لَدَى حُضُورِي

وَأُنْعِمُ فِي قَبُولِكَ بِاصْطِنَاعِي
رُؤْيِدَكَ وَابْشِرِي أَنَّ لَاتُرَاعِي
مَلِيئاً بِالْهُدَى وَالْإِنْتِقَاعِ
تَشَاهِدُ نَقْطَةَ السَّرِّ الْمُدَاعِ
وَلَيْسَ لَنَا سِوَاهَا الْيَوْمَ رَاعِي
وَلَكِنِّي بِخَيْلٍ بِالْوَدَاعِ

(١٥)

هَل تَرَكَتُمْ غَيْرَ الْجَوَى لِفَوَادِي
قَدْ بَعُدْتُمْ عَنْ أَعْيُنِ فَهِي غَرَفِي
ثُمَّ وَكَلْتُمْ السُّهُادَ عَلَيْهَا
مَنْ مُجِيرِي مِنَ الْأَحْبَبَةِ يَجْفُو
عَلِمُوا أَنَّنِي عَلِيلٌ وَمَنْ لِي
نَزَلُوا (وَادِي الْغَضَا) فَكَانَ الدُّ
تَرَكَتُنِي أَظْعَانُهُمْ يَوْمَ بَانُوا
بَيْنَ دَمْعٍ عَلَى الْمَنَازِلِ مَوْقُو
وَفَوَادٍ يَرُوعُهُ كُلُّ يَوْمٍ
يَا رَفِيقِي وَأَيْنَ عَهْدُكَ بِ(الْجَزْ
وَسَقَتَ دَارِنَا بِ(مَيْثَاءٍ) مُزْنٌ
تَتَلَطَّى كَأَنَّمَا أَوْقَدْتَهَا
فَتَظُنُّ الْبُرُوقَ مِنْهَا سَيُوفاً

أَوْ كَحَلَّتُمْ عَيْنِي بِغَيْرِ السُّهُادِ
بِدَمْعِي وَلِي فَوَادٍ صَادِي
يَمْنَعُ الْعَيْنَ عَنِ لَذِيذِ الرُّقَادِ
نَ وَتَعْدُو مِنْهُمْ عَلَيَّ الْعَوَادِي (*)
أَنْ أَرَى طَيِّفَهُمْ مِنَ الْعَوَادِ
دَمَعٌ مَنِّي سَيُوقُ ذَاكَ الْوَادِي
وَحَدَا فِيهِمْ مِنَ الْبَيْنِ حَادِي
فِ وَشَمْلٍ مُشْتَتِّتٍ بِالْبَعَادِ
ذِكْرُ أَيَامِنَا الْحَسَانِ الْجِيَادِ
عِ) سَقَاهُ الْغَمَامُ صَوْبَ عِهَادِ
مِنْ ذَوَاتِ الْإِبْرَاقِ وَالْإِرْعَادِ
زَفَرَاتِي بِحَرِّهَا الْوَقَادِ
مُذْهَبَاتٍ سُلَّتْ مِنَ الْأَغْمَادِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) في الطبعة (١): (الغوادي) خطأ طباعي وصوبناها من الطران الأنفس.

مُوقِرَاتٍ بِمَا حَمَلْنَ مِنَ الْمَا
مُلْقِيَاتٍ أَثْقَالَهَا بِأَذْلَاتٍ
فَتَرَى الرَّوْضَ شَاكِرًا مِنْ نَدَاهَا
تَتَوَالَى عَلَى مَلَاعِبَ لِلغِزْ
أَرْبِعٍ كَأَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهَا
وَمَنَاخٍ لَنَا يَرِيْقُ مِنَ الْأَجْدِ
فَلَنَا فِيهِ مَا لَهْذِي الْمَطَايَا
كُنْتُ أَرْجُو بَرْدًا مِنَ الْوَجْدِ لَكُنْ
إِنَّ فِي الظَّاعِنِينَ أَبْنَاءَ وَدِّ
أَيْنَ مِيْعَادُ مِنْ هَوِيْتُ هَوَاهِ
وَتَمَادِي هَذَا الْجَفَاءُ وَمَا هَذَا
لَا أَرَى الدَّهْرَ بِاسْمَاءٍ أَوْ أَرَانِي
مُنْشِدًا فِي (أَبِي الثَّنَاءِ) ثَنَاءً
كَمْ قَصَدْنَا بِالْقَصِيدِ وَمَا زَا
وَوَرَدْنَا بِحِرَاءٍ طَمَى وَأُفِيضْتُ
وَوَجَدْنَا مِنْهُ حَلَاوَةَ لَفْظٍ
فِي لِسَانٍ بَحْدِهِ [قَدْ رَمَى اللَّ
فَإِذَا سَوَدَتْ يَدَاهُ كِتَابًا
وَصَبَّاحُ الْحَقِّ الْمُبِينِ لِعَيْنِي
عَارِفٌ بِالغَايَاتِ مِنْ مُبْتَدَاهَا
وَإِذَا الْمُسْلِمُونَ رَامَتْ هُدَاهَا
زَا جَرُّ بِالآيَاتِ عَنْ مَنْهَجِ الْغِيِّ

ءِ رَوَاءً إِلَى السَّيِّارِ الصَّوَادِي
مَا لَدِيهَا عَلَى الرَّبِّ وَالسُّوَادِ
نَعْمَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَالْأُورَادِ
لَا فِيهَا وَمَصْرَعِ الْأَسَادِ
كَانَ طِرْفِي فِيهَا مِنَ الْأَجْوَادِ
فَمَا غَيْرَ الَّذِي تَرِيْقُ الْغَوَادِي
حَرْقَةٌ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
مَا لَحَرَّ الْغَرَامِ مِنْ إِبْرَادِ
لَمْ يَرَاعُوا فِي الْوَدِّ عَهْدَ وَدَادِي
وَمَتَى نَلْتَقِي عَلَى مِيْعَادِ
التَّجَافِي مِنْهُ وَهَذَا التَّمَادِي
بَعْدَ رَغْمِ الْمُئْنَى أَنْوَفَ الْأَعَادِي
خَالِدَ الذِّكْرِ دَائِمَ الْإِنْشَادِ
لَ مِنْ النَّاسِ كَعَبَّةَ الْقُصَادِ
مِنْ أَيْدِيهِ لِلْأَنْبَامِ الْأَيْدِي
شَقَّ فِيهَا مَرَائِرَ الْحُسَادِ
هُ رُؤُوسٌ[*] الْإِلْحَادِ بِالْأَعْضَادِ
فَبِيَاضِ الْعُلَا بِذَاكَ السُّوَادِ
يَنْجَلِي مِنْ سَوَادِ ذَاكَ الْمِدَادِ
وَلِغَايَاتِ كُلِّ شَيْءٍ مَبَادِي
كَانَ مِنْ بَيْنِهَا (الإِمَامُ الْهَادِي) (**)
وَمُهْدِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

(*) ورد في الطبعة (١): (قد رمى رؤوس) وهو مما يكسر الوزن وما بين القوسين تصويب من الطراز الأنفس.
(**) توجيه لطيف بين صفة أبي الثناء الألوسي كهادٍ للمسلمين واسم الإمام علي الهادي عليه السلام
وهو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت.

وارثُ عِلْمٍ جَدِّهِ سَيِّدَ الرُّ
سُودْدُ فِي الْأَمَاجِدِ السَّادَةِ العُرُ
فَاتِكُ بِالْكَلامِ فِي كُلِّ بَحْثٍ
سَعَّدَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ بِشَهْمٍ
جامِعُ لِلْعِلْمِ شَفْعُ الْعَالِي



سَلِّ وَسِيرُ الْأَبْءِ فِي الْأَوْلادِ
رِ قَدِيمًا وَالسَّادَةِ الْأَمْجَادِ
فَتَكَاتِ الحُسَامِ يَوْمَ جِلادِ
عَزَّ وَجِدَانُ مِثْلِهِ فِي الْبِلادِ
مُفْرَدُ الْفَضْلِ واحِدُ الْأَحَادِ

نالَ ما لَمْ يَنْزَلْ سِوَاهُ وَمِنْ دُو
وَالْقِوافِي تَرْوي أَحاديثَ عَلِيَا
كَيْفَ نُحْصِي ما قَدْ حَوَيْتَ وَهَلْ تُحُدُّ
إِنْ تُعَدِّدُ مَنَاقِباً لَكَ قَوْمٌ
يا عِمادَ الدِّينِ القِويمِ وما زِلْ
إِنَّمَا أَنْتَ آيَةُ اللَّهِ لِنَنا
وَبِ(بِغدادِ) ما حَلَّتْ مَقِيمًا
لَمْ أزلُ أَرْجِيكَ فِي هَذِهِ الدُّنْ
أنا عَمَّا سِوَاكَ أَغْنَى الْبَرَايا
طَوَّقْتُني النُّعَماءُ مِنْكَ وَنَعَمًا
عَمَرْتُني مِكارِمُ مِنْكَ تَتَرى
نِنايِلُ مِنْ عِلاكِ كُلِّ مُرامٍ
حُزَّتْ أَجرُ الصِّيَامِ وَالعِيدِ وَافا
كُلُّ عِيدٍ عَلَيْكَ عادَ جَدِيدًا

نِ وَرُودِ (*) الْأَمالِ خِرْطُ القِتابِ
هُ صِحاغًا قَويَّةَ الإِسْنادِ
صَيَّ نِجومُ السَّماءِ بِالْأَرْصادِ
عَجَزَتْ عَن نِهايَةِ الْأَعْدادِ
تَ عَظِيمَ البِنا رَفيعَ العِمامِ
سِ جَميعاً وَرِحمَةً لِلْعِبادِ
فِالمِقامِ المِحمودِ فِي (بِغدادِ)
يا وَأَرْجوكَ بَعْدَها فِي المَعادِ
وَلِما يُرْتَجى مِنَ الزُّهادِ
وَكَ مِثْلِ الْأَطواقِ فِي الْأَجْياذِ
يا كَرِيمَ الْأَبْءِ وَالْأَجْدادِ
بِالْعُ مِنْ نِدادِ كُلِّ مُرادِ
كَ بِما تَشْتَهِي بِخَيْرِ مَعادِ
فَهُوَ عِيدٌ مِنْ أَشْرافِ الْأَعْياذِ

(*) فِي الطَبعة (١): (ورد) وَهُوَ خَطُّ طِبْعايِ وَالصَّوابِ ما اثْبَتَناهُ مِنَ الطَّرائِزِ الْأَنْفِيسِ.

(١٦)

وقال يمدح حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني^(١) رضي الله عنه. [وهي من

أسيرٌ وقد جازتُ بنا غايةَ السُّرى
سَوَابِحُ فِي بَحْرِ السَّرَابِ كَأَنَّهَا
تَحَنُّ إِلَى أَيَّامِ (سَلْعِ) وَ(رَامَةِ)
إِذَا خَوِطِبَتْ فِي ذِكْرِ أَيَّامِهَا الْأَلَى
كَأَنَّ حَشَاهَا مِنْ وَرَاءِ ضَلُوعِهَا
وَعَاتَبَتْ الْأَيَّامَ فِي مَا قَضَتْ بِهِ
إِلَى (الشيخ عبد القادر) العيسُ يَمَّمْتُ
وَمَا لِسَبْوَى (آلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ)
كَأَنَّ شُعَاعَ النُّورِ مِنْ حَضْرَاتِهِمْ
عَلَيْهَا مِنَ الْأَنْوَارِ مَا يَبْهَرُ النَّهْيَ

ولاحتُ خِيَامُ لَحْمَى وَقِبَابُ
بِغَارِبِ أَمْوَاجِ السَّرَابِ حَبَابُ
وَمَا دُونَهَا فِي السَّالِفَاتِ قِرَابُ
ثَنَاهَا إِلَى الْوَجْدِ التَّلِيدِ خَطَابُ
تَقَاطَرُ مِنْ أَجْفَانِهَا وَتُذَابُ
وَهَلْ نَافَعُ مِنْكَ الْفُؤَادَ عِتَابُ
فَتَمَّ لَهَا أَجْرٌ وَحَقُّ ثَوَابُ
تُحَتُّ الْمَطَايَا أَوْ يُنَاخُ رِكَابُ
تَشْقُ حَشَا الظُّلْمَاءِ فَهِيَ حِرَابُ
وَيَنْصَلُّ فِيهَا لِلظُّلَامِ خِضَابُ

(١) هو أبو محمد الشيخ محيي الدين عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي روست الحسن بن الجيلاني. الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين. وصاحب المقامات العالية والكرامات الباهية. ولد في جيلان سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م. وانتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ. واتصل بشيوخ العلم والتصوف. فأخذ عنهم وبرع في أساليب الوعظ والإرشاد. وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وسمع الحديث من أبي غالب الباقلاني وجعفر السراج، وقرأ الأدب، واشتهر أمره وذاع صيته في الأفاق، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء ببغداد سنة ٥٢٨هـ. وكان قد صحب الشيخ حماد الدباس، وأخذ عنه الطريقة، ولبس الخرقة من أبي سعد المبارك المخرمي، وفاق أهل وقته في الديانة، وكان له القدم الراسخة في مجاهدة النفس وقطع دواعي الهوى، وحسن الدعوة بين الناس، فكثرت أتباعه وسارت بفضلها الركبان، وهو مؤسس الطريقة القادرية الشهيرة، وتاب على يديه كثير من الأشرار والمفسدين. وله كتب جليلة النفع منها (الغنية لطالب طريق الحق) ومطبوع (الفتح الرباني) مطبوع (فتوح الغيب) مطبوع و(الفيوضات الربانية) مطبوع. وقد مدحه كثير من الشعراء والعلماء والشيوخ بقصائد حسان. توفي ببغداد ليلة السبت ٨ ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ / ١١٦٦م وقد عاش تسعين سنة. ودفن في مدرسته بباب الأزج وله اليوم مشهد كبير في بغداد يقصده الناس من أنحاء العالم، ترجمته في المنتظم ١٠ / ٢١٩ والكامل ١١ / ٣٢٣، والعبير ٤ / ١٧٥ - ١٧٦، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٥٢، وشذرات الذهب ٤ / ١٩٨، ٢٠٢، والأعلام ٤ / ١٧١ - ١٧٢ وفي مصادر أخرى.

يراهما بَعَيْنَيَّ رَأْسَهُ كُلُّ نَاطِرٍ
فَلِلَّهِ قَبْرٌ ضَمَّ أَشْرَفَ رَاقِدٍ
جَنَابٌ مَرِيْعٌ عَظَمَ اللَّهُ شَأْنَهُ
تَصَاغَرَ كِبَارُ الْمُلُوكِ جَمِيعِهَا
وَيَسْتَحْقِرُ الْجَبَّارُ إِذْ ذَاكَ نَفْسَهُ
قَصْدِنَاكَ وَالْعَافُونَ أَنْتَ مَلَأْتَهُمْ
تَلِيْنَ الرِّزَايَا فِي حِمَاكَ وَإِنْ قَسَتْ
بِكَ الْيَوْمَ أَشْيَاخُ كِبَارٌ تَضَرَّعُوا
عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ شَبَّتْ وَشَيَّبَتْ
قَدْ اسْتَعْبَرْتَ أَجْفَانَهُمْ مِنْكَ هَيْبَةً
يَمْدُونُ أَيْدِي الْمُسْتَمِيحِ مِنَ النَّدَى
تُنَالُ بِكَ الْأَمَالُ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
وَأَنْى لَنَا يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ جِيئَةٌ
إِلَى أَنْ تُرِينَا الْخَطْبَ مُنْقَصِمَ الْعُرَى
وَحَتَّى نَرَى فِي مَا نَرَى قَدْ تَقَشَّعَتْ
إِلَامٌ نُعَانِي غَصَّةً بَعْدَ غَصَّةٍ
(أَبَا صَالِحٍ) قَدْ أَفْسَدَ الدَّهْرُ أَمْرَنَا
وَتَالَهُ مَا نَنْفَكُ نَسْتَجَلِبُ الرِّضَا
وَتَعْدُو كَمَا تَعْدُو الذَّنَابُ صُرُوفُهَا
وَإِنَّا لَفِي دَهْرٍ تَسَافَلُ بَعْدَمَا
فَوَا عَجِبًا مِمَّا نَرَاهُ بِجِيلِهِ
يُذَادُ عَنِ الْمَاءِ النَّمِيرِ ابْنَ حِرَّةٍ

وما دونها للناظرين حجاب
لديه كما ضمَّ الحُسامَ قِرَاب
فَجَلَّ لَهُ قَدْرٌ وَعَزَّ جَنَاب
بحضرة بازِ اللّهِ فهى ذباب^(١)
فيرجوا إذا ما راعه ويهباب
وما قصدوا يوماً علاك وخابوا
وكم لأن منها في حِمَاكَ صِلاب
إلى اللّهِ في ما نابَهُمُ وأنابوا
مفارقَهُمُ سودُ الخطوبِ فتابوا
ومالت لهم عند الضريح رقاب
وما غير إعطاء المرام جواب
وتُقضى بك الأمال وهى صعباب
إلى بابك العالى وليس ذهب
ولالأمن من بعد النُّزوح إياب
غيومٌ غُمومٌ واضمحلَّ ضباب
ونرمى بأسهام الأذى ونصاب
وضاقت علينا فى الخطوب رحاب^(٢)
علينا من الأيام وهى غضاب
علينا وأحداث الزمان ذئاب
أقيم مقام الرأس فيه ذناب
وأكثر أحوال الزمان عُجاب
وللنذل فيها موردٌ وشراب

(١) بازالله: من القاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه. ويقال له (الباز الأشهب).

(٢) فى الأبيات التالية إشارة إلى الأوضاع السيئة وتعريض بالحكام والولاة.

وتعلو على أعلى الرجال أرائلُ
فلا خيرَ في هذي الحياة فإنَّها
حياةٌ لأبناء اللئام وجودها
إلى الله مما نابنا أيّ مشتكى
إذا ما مضى عنا مصابُ أهالنا
وأحداثُ أيامٍ تشبُّ ولم تشبُ
تشنُّ علينا غارةً بعد غارةٍ
فيا آل بيت الوحي دَعوةً ضارعٍ
صلاحَ ولاةِ الأمر إنَّ صلاحهمُ
بحيثُ إذا راموا الإساءة أفلَعوا
مواردكمُ للحاتمين كائنُها
وهل يبتغي(*) الظَّمانُ من غير فضلكمُ
نعفَرُ منّا أوجهاً في صعيدكمُ
فلا دونكمُ للقاصدين مقاصدُ
مفاتيحُ للجَدوى مَصابيحُ للهدى
بكم يرزقُ الله العبادَ وفيكمُ
وأنتمُ لنا في هذه الدار رحمةٌ
ومن بعدِ هذا أنتمُ شُفَعائونا
لأعتابكمُ تزجى المطيُّ ضوامراً^(١)
إذا كنتمُ بابَ الرجاءِ لطالبٍ

وتسطو على ليثِ العرينِ كلاب
عِقابٌ وما لا تشتهيه عِقاب
نعيمٌ وللحُرِّ الكريمِ عَذاب
ولله ما نُرمَى به ونُصاب
دهانا مُصابٌ بعده ومُصاب
كأن لم يكنْ قبلَ المَشيبِ شَباب
فنحنُ إذا غُنمُ لها ونِهَاب
إلى الله يدعوربه ويُجاب
يعودُ علينا والفسادُ خراب
أو اجتهدوا في ما يسرُّ أصابوا
مواردُ من قَطِرِ الغمامِ عِذاب
وروداً وماءُ الباخلينِ سَراب
عليهنَّ من صبغِ المشيبِ نِقاب
ولا بعدكمُ للطَّالِبينِ طِلاب
فأيديكمُ في العالمينِ رِغاب
تنزَّلُ من ربِّ السَّماءِ كتاب
إذا مسَّنا فيها أذى وعَذاب
إذ كانتِ الأخرى وقامَ حساب
وتُطوى فلاةٌ قفرةٌ ويَباب
فما سُدُّ من دونِ المَطالبِ باب

(١) في الأصول: ضوامر.

(*) في الطبعة (١): (ينبغي) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

(١٧)

وقال يمدح السيد عبدالغني آل جميل^(١) ويشكو إليه ضره من سرقة داره في سلخ

قد جئت بعد الصوم بالفطر
وتكشفت عن مضمّر الغدر
أبدأ إلى حرس علي وكمر
وهجومها من حيث لا أدري
طلعت عليّ به مع الفجر
يوم الفراق وليلة القبر
طرق المبيت بطارق الشر
إلا لتكشف بعدها ضري
صعب المقام به على الحر
يوماً فما أوفى علي شبر
لا فزت بعد اليوم بالأجر
عنها وكنت نزلت في قفر
سود^(*) الحظوظ وأوجه غر
يرجونه في العسر ليسر
لم يفرحوا بغلائل حمر^(٢)
طرب الشّمائل باسم الثغر
إلا انتباه الخوف والدغر

يا ليلة في آخر الشهر
كشف الصبح لنا حوادثها
أصبحت منها غير مفتقر
هجمت عليّ بحادث جلال
خطب ألم ويا لنزالة
في ليلة ليلاء تحسبها
ما جنّ حتى جنّ طارقه
وأظن أن الشمس ما كسفت
ولقد أقيمت مقام ذي سفه
في منزل أخذوا مساحتها
يا مؤجري داراً سرقت بها
لولا الضرورة كنت مرتحلاً
دامي العيون على أصيبة^(٢)
ما عندهم صبر على أمل
فرحوا بزينتهم ولو عقلوا
من كل مبيت هج بكسوته
ناموا وما انتبهوا لشقوتهم

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) أصيبة: تصغير صبية جمع صبي.

(٣) الغلائل: الملابس.

(*) في الطبعة (١): (سوء) وتصويبها من الطراز الأنفس ومن نفقات الأخرس لمحمد ناجي القنطيني، ص ١٨.

يتلفئون إلى غلائلهم
ضاقَتْ بهم (بغداد) أجمَعُها
ونظيرة (الخنساء) مكثرة
ولقد عجبتُ لها ويعجبني
أبكي على حظٍّ مُنيتُ به
هذا وتضحكني مقالتها
فكأنَّما كانتُ وأين لها
هل كنتِ قبلَ اليومِ في سعةٍ
أو ما ذكرتِ العمرَ كيفَ مضى
إذْ تذكُرِينَ جالِلاً سُرِقَتْ^(٢)
وبنوكِ يومئذٍ بمسغبةٍ
صَفْرُ يسوؤكِ ما عرفتِ بهم
وعَدَدْتُ أَلْفَ قَضِيَّةٍ سَأَلْتُ
ما أَنْكَرْتَ مِنْهُنَّ واحِدَةً
وعذرتُها وعذلتُ عاذِلَها
وقَعَ البلاءُ فلم يُفِدْ جَزْعُ
بَعْدَ الرَّجَاءِ بموطنِ خَشْنِ

فدموعهم من فقدها تجري
واليوم ضاق لضيقهم صدري
بالنوحِ باكيةً على (صخر)^(١)
أمران ما اتَّفقا على أمر
وهي التي تبكي على القدر!
كيف البقاء بنا مع الفقر؟
في نعمةٍ موصوفةٍ الخير
وملابسٍ من سندسٍ خُضِر
لا كان ذلك العمرُ من عُمر!
ولقد نسيتِ الجوعَ مذ^(*) شهر
خُمصَ البطونِ حواني الظَّهر
من شؤمٍ وقع حوادثِ عُبر
تُطوى الضلوعُ بها على الجمر
فلطمَّتها بأاملٍ عَشْر
والعذلُ بينَ بيْنِ العُدْر
فتعلَّلا بعواقبِ الصُّبر
يلقي الكرامَ بجانبِ وعُر

(١) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الشريد الراحية السلمية. من بني سليم، أشهر شواعر العرب عاشت أكثر عمرها في الجاهلية. وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على النبي ﷺ مع قومها بني سليم وكان النبي عليه الصلاة والسلام يستنشدها، ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خناس.. وأجود شعرها ما قالت في رثاء أخيها (صخر) وبقيت تنوح عليه حتى سميت (الخنساء) والخنساء هي اليوم. وكان للخنساء أربعة أولاد استشهدوا في معركة القادسية بالعراق فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. ولها ديوان شعر مطبوع. انظر أعلام النساء ١/ ٢٠٥ والأعلام ٢/ ٦٩. ونظيرة الخنساء يقصد بها الشاعر زوجته. لأنها أكثرت من البكاء على سرقة دارها.

(٢) الجالجل: من الحلي والزينة للأطفال. تكون كالحجل في الرجل.

(*) في الطبعة (١): (في) والتصويب من الطراز الأنفس، ومن نغثات الأخرس للقشطيني، ص ١٩.

بَأْدُ كِبَارٍ مَلُوكِهِ بَقَرٌ
لَا يَفْقَهُونَ حَدِيثَ مَكْرَمَةٍ
أَصْبَحْتُ أَشَقَى بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ
يَرْقَى الدُّنْيَى إِلَى مَرَاتِبِهِمْ
وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ بِمَسْأَلَةٍ
ذَهَبَ الَّذِينَ أَنْالَ نَائِلَهُمْ
إِنْ سَاعَتِي زَمَنٌ سُرِرْتُ بِهِمْ
وَمَدَحْتَهُمْ وَشَكَرْتُ نِعْمَتَهُمْ
وَلِئِن شَكَرْتُ بِمِثْلِهَا أَحَدًا
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الْجَمِيلِ سِوَى
إِلَّا تَدَارَكَنِي بِرَحْمَتِهِ
وَتَرَحَّلْتُ بِي عَنْ مَبَارِكِهَا
وَمُبَدَّدُ الْأَمْوَالِ مُهْلِكُهَا
قَسَمًا بِهِ وَجَمِيلِ مُصْطَنِعِ
لَوْلَاهُ مَا عَلِقَ الرَّجَاءُ وَلَا
مَا زَالَ أُنْدَى مِنْ مُجَالَّةِ
فَانشَرْتُ ثَنَاءَكَ مَا اسْتَطَعْتَ عَلَيَّ
مُزِجَتِ مَحَبَّتُهُ بِأَنْفُسِنَا
لِفَضَائِلِ شَهْدِ الْعَدُوِّ بِهَا
دَرَعٌ يَبْقَى مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ
أَمْعَلِي بِحَدِيثِهِ كَرَمًا
وَإِذَا أَثَابَكَ مِنْ مَكَارِمِهِ
أَدْعُو لَهُ وَلِمَنْ يَلُودُ بِهِ
أَنْ لَا يَزَالَ كَمَا أَشَاهِدُهُ

صَارُوا وَلاةَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ!
فَيَهْزُهُمْ نَظْمِي وَلَا نَثْرِي!
فَكَأَنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي أَسْرِ
حَتَّى يُرِيكَ النَّعْلَ فِي الصَّدْرِ
بَخَلُوا وَلَوْ بِقَلَامَةِ الطُّفْرِ!!
وَأَعَدُّهُمْ مِنْ أَنْفَسِ الذُّخْرِ
وَكُفَيْتُ فِيهِمْ صَوْلَةَ الدَّهْرِ
بِغَرَائِبِ الْأَبْيَاتِ مِنْ شِعْرِي
فَد(أَبُو الْجَمِيلِ) أَحَقُّ بِالشُّكْرِ
(عَبْدُ الْغَنِيِّ) وَنَيْلُهُ الْوَفْرِ
إِنِّي إِذَا وَأَبِي لَفِي خُسْرِ
وَلَأَجَّةٌ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
بِالْمَكْرَمَاتِ لَخَالِدِ الذِّكْرِ
مِنْ فَضْلِهِ قَسَمًا لِذِي حِجْرِ
عُرِفَ الْجَمِيلُ بِأَهْلِ ذَا الْعَصْرِ
بِالْقَطْرِ تَمْلِي سَائِرَ الْقَطْرِ
عَبِقَ الْعِنَاصِرِ طَيِّبِ النَّشْرِ
مِثْلَ امْتِزَاجِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ
وَمَنْاقِبِ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
لَا مَا يَبْقَى مِنَ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ
حَدَّثُ وَلَا حَرَجٌ عَنِ الْبَحْرِ
فَمَثُوبَةٌ فِي الْأَجْرِ وَالْفَخْرِ
فِي الْعَالَمِينَ دَعَاءٌ مُخْطَرٌ
كَالْبَدْرِ أَوْ فِي رِفْعَةِ الْبَدْرِ

(١٨)

وقال يمدح العلامة أبا التناء الألويسي^(١) لإجابته على الأسئلة الإيرانية^(٢) ويهنيه

بورود منشور الإفتاء بمدينة السلام [وهي مقصورة من الرجز]:

يرنو بألحاظ كألحاظ المَهَا
بصَبِّهِ منها النُّحول والضَّنَى
فجار في حُكْمِ الغرام واعتدى
إن لم تراع ذمَّةً فيكَ رعى
فربِّما واصلَ من كان جَفَا
إن الجمالَ قاندي إلى الهوى
فأورثتني نظرتي هذا الأسى
نهبتُ فيه طربي فد (المُنْحَنَى)
ذاك زمانٌ قد تَقَضَى ومَضَى
زاغَ عن الصَّبْرِ فوادي وصَبَا
أصمَّتني الأحداثُ في سهمِ الردى
ضرامُها في كلِّ أنٍ تُحْتَضَا^(٤)
أي أخي عزمٍ وذِي فضلٍ قَلَى
ولم أنلُ فيه من الدهرِ المُنَى
أن ينجلي صبحُ المَشيبِ والجَلَا
إذا جنيتُ الوردَ أضحي لي سَفَا^(٥)

أجابَ ما سألتُهُ لَمَّا انثنَى
وأثببتُ الحبُّ له دلائلاً
يا رشا مأكُتُهُ حُشاشَتِي
رعياً رعاكَ الله في مستغرمٍ
يا قلبُ خَفُضْ لوعَةً وجدَّتْها
لا توسعاني بالهوى ملامَةً
نظرتُ سرباً بـ (العقيق) نظرةً^(٣)
حيِّ (العقيق) فد (اللوى) من مربعٍ
زمانٌ لهو صَبُوةٍ قَضَيْتُهُ
وكلِّما هبَّ الصَّبَا من نَحْوِهِمْ
ما لي وللأيام لا كانت فقد
تَخَوَّنَتني كلُّ يومٍ نكبةً
هل علمَ الدهرُ الذي أساءني
أه على عمرٍ مضى أكثرُهُ
مَضَى بي العمرُ وكان مسرعاً
وعاندَ الدهرُ العبوسُ مطلبي

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) إشارة إلى كتاب (الأجوبة العراقية في الأسئلة الإيرانية) وضعه أبوالتناء الألويسي. جواباً لأسئلة وجهها بعض علماء الحِمْ. انظر هدية العارفين ٢/ ٤١٨.

(٣) العقيق: واد بالمدينة المنورة، فيه عيون وزروع وقصور، وهناك مواضع كثيرة في بلاد العرب تعرف بهذا الاسم منها: عقيق اليمامة. وعقيق بني عقيل. وعقيق مكة، وعقيق البصرة وعقيق تمره وعقيق القنان وغيرها. وعقيق المدينة أشهرها وقد تغنى به الشعراء كثيراً. انظر معجم البلدان ٤/ ١٣٨ - ١٤١.

(٤) تحتضاً: توقد. حضا النار حضواً وحضاً حاضاً. حرك جمرها، وأوقدها بعدما همدت، لسان العرب مادة (حضا).

(٥) السفا: يعني الشوك، وأصله شعيرات السنابل اليابسة.

وإن حَابَبْنَا ما نرومُ دَرَّهُ
 إن الليالي حَمَّأَتْنِي ثِقْلاً
 واتَّقَدَتْ من الغرامِ لوعَةً
 فَسَعَّرَتْ من حَرِّ أنفاسي بها
 يا مانعي المورِدَ من رُضابه
 وروضةٍ يطربُني الورقُ إذا
 كأنما الطَّلُّ على أغصانها
 ونَسَمَتْ رِيحُ الصَّبَا عرارها^(٣)
 إذا انْتَشَقْنَا أرْجًا من طيبها
 أنعمَ به مُرْتَبِعًا كأنَّهُ
 تعاهدتُها من حَيٍّ ماطرٍ
 يا حادي العيسِ ذميلاً سَيْرُهُ
 تمشي هَزِيْرًا وهَزِيْرًا تارةً
 هل أنت مُوفٍ بالوقوفِ ساعةً
 لم يُبْقِ إلا سَفْعَةً في دمنةٍ
 فمسبلاً فيها بقايا أدمعٍ
 بالله إن عُجَّتْ على ربوعها

كانتْ عَزْوَزًا لا تردُّ^(*) بالروا^(١)
 تَنوؤً من ثِقْلٍ به شَمُّ الذُّرا
 كأنما نيرانها نارُ الغَضَا
 لظى أذابَ حرُّه شَحْمَ الكُلَى
 ما أن للظَّمَانِ وردٌ من (أضأ)^(٢)
 تذكَّرَ الإلفَ لمغْداه شدا
 قلائدُ الدرِّ على غيدِ الطُّلى
 فهزَّ عَطْفِيه لها بانُ النِّقا^(٤)
 كأنْ نَشَقْنَا أرْجًا من الشِّذا
 بتلكُما الغيدِ محارِبُ الدُّمَى
 يسقي أهاضيبَ (الحجاز) والربا
 يُهَجِّجُ العيسَ إلى رُبْعِ الخَلا
 إن هزَّها حادي الهويْنَا وحدأ^(٥)
 بأربَعٍ غَيَّرَها خطبِ البلى
 وأرْسَمًا مثلَ الخيالِ وجُئى
 فناشداً فيها قلوبًا وحشًا
 حي الربوعِ النازلينِ في (منى)^(٦)

(١) العزوز: الناقة والشاة، ضيقة الأحاليل، لا تدر حتى تحلب بجهد وعناء. لسان العرب مادة (عزز).

(٢) أضأ: اسم وادي.

(٣) العرار: نبات بري طيب الرائحة واحده عرارة، يتغنى به الشعراء.

(٤) البان: ضرب من الشجر واحده بانة معتدل الساق.

(٥) الهزير: المشي السريع وتحريك الإبل في خفتها وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (فانطلقنا بالسقطين نهز بهما) أي نسرع، لسان العرب، مادة (هزز).

(٦) منى: الوادي الذي ينزل الحجاج فيه أيام التشريق، ويرمون فيه الجمار، وينحرون الهدى. وفيه مسجد الخيف، وقد تغنى به الشعراء ولياليه من أبهج الليالي، معجم البلدان ٥/ ١٩٨ - ١٩٩.

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (ترد)، ولعل صوابها (تدر).

واهًا لَصَبٌ كُلُّهُ صَبَابَةٌ
 يكادُ وجدًا يتلظى وهوى
 قد حُرِّمَ النومُ على أجفانه
 أرشَفَةً من ريقٍ مَنْ أَحَبُّهُ
 وكلُّما نَهْنَهتُ دمعًا واكفًا (٢)
 يا عينُ لا تلوينِ بي في عَبْرَةٍ
 دعوتُ دمعِي فأجابَ طائِعًا
 فلا تَلُمْنِي إنْ بكيتُ عَندَما
 إذا رجوتُ مَطْلِبًا بادرتُهُ
 أعددتُ للبيداءِ هُوجًا ضُمْرًا
 تَلْوِي التَّلِيلِ لِلحِمَى تَلْفُتًا
 مهما تُحِثُّ لطلبٍ ومقصدٍ
 وحيثُ ناويتُ النُّوى أنوَيْتُها
 وصارمٍ أبيضَ لو جردتُهُ
 إذا تصدَّيتُ به لضربةٍ
 معتقلًا أسنَّةً خَطِيئَةً
 إني ومن أنالني من العُلا
 إذا رأيتُ السدْلَ رحَّلتُ له
 نجائبًا مثلَ الظليمِ ترتمي (٣)
 ولم أَرِدْ مَورِدَ عَذْبِ شَابِهٍ
 ونازعتني شيمَةٌ لا ترتضي
 وكم هجرتُ موطنًا من أهله

لا يستفيقُ من تَبَارِيحِ الجَوَى
 وما استقرَّ ساعةً ولا سَجَا
 فباتَ يرعى الفِرْقَدَيْنِ والسُّهًا (١)
 فتنطفي جُدُوةً وَجَدٍ في الحَشَا
 كأنَّما يَنصَبُ من مُزْنِ الحَيَا
 لعلَّ أنْ يَبْتَلَّ بِالماءِ صَدَى
 ورمتُ للقلبِ اصطبارًا فَعَصَى
 فإنَّ دَمَعَ العَيْنِ في العَيْنِ سَرَى
 وما عقدتُ حَبُوةً على الرَّجَا
 أنحرفُ في أخفافِها أدمَ الفِلا
 وتسبِقُ الرِّيحَ إذا الرِّيحُ جَرَى
 تقاصرتُ فيها فسيحاتُ الخَطَى
 وكلُّ حُرٍّ أبصرَ الذَّلَّ أنتَوَى
 ظننتُ برقًا لاحَ عُلوِي السُّنَا
 فالقُتُ في غِرارِهِ أمَّ الصَّدَى
 كأنَّ في طِعانِها سَفْعُ الذُّكَا
 مرَاتِبًا من دونِها وَخَزُّ القَنَا
 أنضَاءَ أسفارٍ وناوحتُ النُّوى
 لدى الفيافي الغفلِ أنأى مُرْتَمَى
 ضَيِّمٌ رأى تكديره لَمَّا صَفَا
 إلا المعالي غايَةٌ ومُنْتَهَى
 والدارُ من سَكَّانِها قد تُجْتَوَى

(١) الفرقدان كوكبان قريبان من القطب الشمالي. والسها كوكب صغير ضئيل خفي الضوء، يمتحن الناس فيه أبصارهم لبعده وفي المثل (أريها السها وتريني القمر).

(٢) نهنت: كفت.

(٣) الظليم، هو ذكر النعامة ويضرب به المثل في السرعة والجري.

وَرُبَّ طِرْفٍ لَا يَرَى الطَّرْفُ لَهُ (١)
يَجْتَازُ بِي فِدَافِدًا دَوِيَّةً
أَفْرِي أَدِيمَ القَاعِ فِي حَافِرِهِ
ضَافِي السَّبِيْبِ أَعْوَجِيٌّ وَأَوَّ (٢)
وَلَأْتِمَّ جَسَارَتِي قَلْتُ لَهُ
وَكَيْفَ أَخْشَى مَا قَضَى اللّهُ بِهِ
وَلَا أَبَالِي وَالْوَقَارُ شِيْمَتِي
يَا رَبُّ عَزَمَ بِالدُّنَا جَرْدَتَهُ
وَمَوْقِفٍ مِنَ الوَعَى شَهْدَتَهُ
وَأَنْنِي كَذَلِكَ القَيْلِ الَّذِي
سَلَّمَ إِلَيَّ الأَمْرَ وَانظُرْ بِاسْلَافاً
أَسْطُو بِمَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ أَحَدِي
وَحَاسِدٍ مِنْ غِيْظِهِ فِضَائِلِي
وَفِي سَوَادِ القَلْبِ كُنْتُ جَاعِلاً
وَحَرْشَفِي لَا يُوَارِي عَيْبَهُ (٣)
لَوْ كَانَ عَيْنَايَ بِأَمِّ رَأْسِهِ
وَالظَّلْمُ وَاللُّؤْمُ طِبَاعٌ بِالْفَتَى
قَابِلْتُ أَفْعَالاً لَهُ بِمَثَلِهَا
وَقَدْ تَنَوَّرْتُ الأَنَامَ خَبْرَةً
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَلْبِي مَفْعَمٌ

إِثْرًا إِذَا الطَّرْفُ أَقْتَفَى
لَا تَهْتَدِي لِمَفْحَصٍ فِيهَا القَطَا
لَمَّا طَوَى البَطْنَانَ وَاجْتَازَ المَدَى (٤)
وَلَمْ يَكُنْ أَسْفَى وَمَا فِيهِ سَفَا (٥)
إِنَّ القَضَاءَ كَائِنٌ لَا يُتَّقَى
وَإِنَّمَا الإِنْسَانُ أَهْدَافُ القَضَا
أَحْسَنَ الدَّهْرُ المُسَيِّءُ أَمَّ أَسَا
كَأَنَّهُ حَدُّ الحَسَامِ المُنْتَضَى
تَرشُحُ بِالمَوْتِ العَوَالِي وَالظُّبَى
إِذَا بَدَأَ تَأَجُّجُ الحَرْبِ اصْطَلَى
لَا يَخْطِئُ بِالأَغْرَاضِ يَوْمًا إِنْ رَمَى
غَرَارُهُ يَبْتُ أَوْدَاجَ العُدَا
حَاكِي شَوْوَنِي بِالنُّهَى وَمَا حَاكِي
وِدَادُهُ حَتَّى بَدَأَ لِي مَا بَدَأَ
قَطْعُهُ لَوْمٍ صَيْغٌ مِنْ طِينِ الخَنَا
لَمَا دَرَى بِنَفْسِهِ إِلا قَذَى
يَكْتُمُهُ العَجْزُ وَيُفْشِيهِ القَوَى
وَلَا يَلِينُ جَانِبِي إِذَا قَسَا
فَزَالَ عَنِ عَيْنِيَّ مِنْ ذَاكَ العَمَى
بِمَا لَقِي مِنْ أَهْلِهِ وَمَا رَأَى

(١) الطرف: بكسر الطاء. الجواد الأصيل من الخيل.

(٢) البطنان: الريش الذي يلي الأرض من جناح الطائر إذا وقع أو جثم على بيضه أو فراخه.

(٣) السبب: والسببية: الخصلة من الشعر، والسبب من الفرس شعر العرف والناصية والذنب، والأعوجي: الفرس الجواد المنسوب إلى بنات أعوج. والوأو: يقصد المشدد الخلق من الدواب. والنجبية من الإبل يقال لها: وآة.

(٤) السفا: الخفة في كل شيء. وسفا يسفو سفواً: أي أسرع. وناقاة سفواء مسرعة. والسفا للحيوان، والسفاه للإنسان.

(٥) الخرشفي: السيئ اللثيم. والخرشفة والكرشفة. الأرض الغليظة. وفي الأصول: خرسفي، بالسين المهملة.

من لي بِخَلِّ إن رأى بي زَلَّةً
وهل صديقٌ يُرْتَجَى وفأوه
ولستُ بِالْغَمْرِ الذي ما جَرَّبَ الدُّ
بل كلُّ خَطْبٍ خَطِرٍ بَلَوْتُهُ
يا رَبَّةَ القَرطِين هل من لَيْلَةٍ
لَيْلَةٍ غَابَ الوَاشِ (*) عن محلِّنا
حمراء لم تَقُطُّ بِمِرْجٍ صِرْفَهَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ قَضَيْنا شَطْرَهَا
عَاطِيَتُهُ مَشْمُولَةٌ كَرِيقَهُ
مُهْفَهْفَهفٍ يَمِيسُ تِيهَا قَدَّهُ
وباللَّوَى كان لنا مَعَاهِدُ
مَرَّتْ لِيَالِينَا وَأوطارُ بِهَا
أموعدَ المُشْتاقِ في وصاله
هذي عَرَى الصَّبْرِ التي عَهَدْتَهَا (٢)
إنَّ الأمانِي بِالْأَبِيبِ ضِيْلَةٌ
وإنَّها لِحسرةٌ ما تنقضي
هل عائدٌ لي زمنٌ ب (ذي الغضا)
ولي بأحوال الزمان عبْرَةٌ
أخْبَرَنِي هذا الدُّنا عن القضا
قد ابْتَلَيْتُ وبَلَوْتُ أَمْرَهَا
عَهْدُكَ في هذا الزَّمانِ قد مَضَى
سَلَكْتُ من كلِّ الفِجَاجِ وَعَرَهَا
قد قَذَفْتَنِي في البلادِ غَرِبَتِي

سَامَحَها وَعَثْرَةٌ قال لَعَا (١)
هيهات هذا أَمَلٌ لا يُرْتَجَى
دَهْرٌ ولا ذاقَ السُّرورَ والعِنا
حَتَّى تَرَوَى القَلْبُ فيه فارتوى
تحكي من الوصل لِيالِينَا الألى
فكنتُ أَجلو بِالدُّجَى شمسَ الضُّحَى
فهي كورد الجَلْنارِ تُجْتَنِي
مُنَادِمِي أَبْلَجَ مَعسولَ الأَمَى
لو جَلِيَتْ في جنحِ لَيْلٍ لَأَنْجَلِي
كَأَنَّمَا مالَ به رِيحُ الصَّبَا
سُقِيَتْ صَوْبَ المُنْزِي يا (دار اللّوى)
كَأَنَّها أَضغاثُ أحلامِ الكرى
إنجازُكَ الوعدَ لِمُحتاجٍ متى
قد فُصِمَتْ بِالوَجْدِ هاتيكِ العُرى
وما عسى يجدي لعلَّ وعسى
أو إنَّني أَقضي بِتصريفِ القَضَا
وهل يريني الدهرُ ما كنتُ أرى
كفى الزمانُ عبْرَةً لذي النُّهى
بفطنةٍ تدني إلينا ما نأى
فلا أبالي بَعدها بما أتى
وذلك الغصنُ الرَطِيبُ قد ذَوَى
وذقتُ منها ما أَمْرٌ وحَلَا
وقد أرتني كلُّ ما رمتُ النُّوى

(١) لَعَا: دعاء يقال لمن يعثر: لَعَا لك.

(٢) في الأصول: الذي عهدتها.

(*) في الطبعة (١): والطران الأنفس (الواشي) وما أثبتناه لغة فيها، لاستقامة الوزن، أو أن الياء لا تلفظ.

ما كنت أَرْضَى بِ(العراق) مسكناً
السَّيِّدُ المَحْمُودُ فِي خِلَالِهِ
يَقُولُ مَنْ نَاطَرَهُ فِي عِلْمِهِ
لَا هُوَ بِالْفِظِّ الغَلِيظِ فِي قَلْبِهِ
تَخَالُهُ حِينَ تَرَاهُ ضَاحِكًا
غَمْرُ الرِّوَاءِ لَمْ تَزَلْ رَاحَتُهُ
المُقْتَنِي الحَمْدَ الطَوِيلَ ذَكَرَهُ
شَهْمُ الجَنَانِ لَوذِعِي فَاضِلُّ
فَاقَ الأَنَامَ بِالتُّقَى وَبالحِجَى
وَزِينَةُ الإِنْسَانِ بِلِ وَفَخْرُهُ
سَعَى إِلَى الفَضْلِ فَنَالَ مَا ابْتَغَى
مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ فِيهَا مَوْعُ
مَا زَالَ يَرْقَى بِالحِجَى وَبِالنُّهَى
لَا يَخْتَشِي فِي اللّهِ لَوْمَ لَائِمٍ
يَقْذِفُ مِنْ فِيهِ الجُّمَانَ لَفْظُهُ
مَا انْقَبَضَتْ رَاحَتُهُ عَنْ سَائِلٍ
تَدْرَعُ البَأْسَ الشَّدِيدَ قَلْبُهُ
إِلَى ذُرَا جِرْثُومَةٍ طَيِّبَةٍ
أَلْهَمَهُ اللّهُ عِلْمًا بَعْضُهَا
قَرِيحَةٌ مِثْلُ الرِّكَامِ سَيْلُهَا
تَجْرِي بِمَا يَطْلُبُ مِنْهَا غَيْثُهَا
فَكَمْ أَبَانَ مِنْ خَفَايَا عِلْمِهِ

لو لم يكن في أرضها (أبوالثنا)^(١)
وفائضُ البحرينِ علماً وندي
ما بعدَ هذا غايَةً ومُنْتَهَى
وبالوغي أشدُّ من صمِّ الصِّفا
كروضة باكرها قَطْرُ النَّدَى
مُنْهَلَةٌ لِمَنْ نَأَى وَمِنْ دَنَا
والحمدُ للإِنْسَانِ أَسْنَى مُقْتَنَى
أشْمُ عَرْنِينَ العُلا عَالِي الذُّرَا
وَزِينَةُ المَرءِ التُّقَى مَعَ الحِجَى
إِمَّا بِأَفْضَالٍ وَإِمَّا بِتُّقَى
و(ليس للإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى)^(٢)
ما اعْتَامَ شَيْئًا غَيْرَهَا وَلَا انْتَضَى
حَتَّى رَقَى بِالعِلْمِ أَعْلَى مُرْتَقَى
أَفْتَى عَلَى الحَقِّ وَبِالحَقِّ قَضَى
بِحِرٍّ وَلَكِنْ بِالعِلْمِ قَدْ طَمَى
وَمَا سَمِعْنَا مِنْهُ هَجْرًا وَلَعَا^(*)
وفي رداء الفضل والتقوى ارتدى
إِذْ يَنْتَمِي القَرْمُ وَلِمَّا يُنْتَمَى
لَوْ نُشِرَتْ سُدُّ بِهَا رَحْبُ الفِضَا
أَوْ هِيَ كَالنَّارِ إِذَا اشْتَدَّتْ صَلا
وَلَيْسَ بِالبِدْعِ مِنَ الغَيْثِ الجَدَا
حَتَّى الذِّي عَنَّا اخْتَفَى فِيهِ خَفَا

(١) هذا المعنى أخذه الجواهري حين قال: لي في العراق عصابة لولاهم ما كان محبوباً لدي (عراق)!!

انظر الجواهري شاعر العربية ٣٥٦، لعبدالكريم الدجيلي.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) سورة النجم الآية: ٣٩.

(*) لغا: لغة في اللغو، إذا حلف المرء بيمين بلا اعتقاد، ويقال لغا إذا تكلم بالمطرح من القول وما لا يعني. انظر: لسان العرب، مادة (لغا).

فَأَفْحَمَ الْجَاهِلَ فِي عِبَارَةٍ
وَأَلْقَمَ الْجَا حِدَ مِنْهُمْ حَجْرًا
(تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) بِهِ (١)
فَهَلْ لَهُ مِنْ ذَا الْوَرَى مُشَابِهٌ
لَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ مِثْلُ عِلْمِهِ
أَزَالَ سَقَمَ الشُّكِّ فِي تَحْقِيقِهِ
دُونَ مَا أَجَابَ فِي مُجَادٍ
مَشْتَمَلًا عَلَى الْعُلُومِ كُلِّهَا
أَرْسَلَهَا إِلَيْهِمْ فَأَيَّقَنُوا
وَرَأَى لِلسُّلْطَانِ أَيْضًا مِثْلَهُ (٢)
لدى أمير المؤمنين والذي
حامي حمى الإسلام والغوث الذي
خليفة الله على عباده
لو كان في البحر ندى يمينه
والنَّصْرُ وَالْإِقْبَالُ بَعْضُ جُنْدِهِ
وهادم الكفر بسيفٍ باترٍ
لأذت سلاطينُ الورى ببابه
وإن هذا السدين في أيامه
طاعته فرض علينا واجبٌ
إذا أتاه بطشه استبلا لا
أمد من همته وعزمه
خلافه جاء له وراثته
إن علينا أكبر الفرض بأن

أَوْضَحَ فِيهَا مَا أَنْطَوَى وَمَا أَنْشَرَى
فَبَانَ فَعَلُ السَّيْفِ مِنَّا وَالْعَصَا
وَزَالَ إِظْلَامُ الضَّلَالِ بِالْهُدَى (*)
هيهات ما بين الثريا والثرى
لِفَاخِرَتِ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْوَرَى
فكَمِ صَدُورٍ فِي مَعَانِيهَا شَفَى
تَذَكَّرَةٌ لِمَنْ رَوَى وَمَنْ وَعَى
وَحَازَ فِيهِ كُلَّ فَضْلٍ وَحَوَى
أَنَّ بِ(بَغْدَادِ) الْكَمَالَ قَدْ تَوَى
فَحَازَ إِذْ ذَاكَ السُّرُورَ وَالْهِنَا
صَيَّرَهُ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ ذَرَا
يُغَاثُ فِيهِ الْمُسْتَغِيثُ إِذَا دَعَا
وَذُرُوقُهُ فِيهِ الْخَطُوبُ تُتَّقَى
لأنساع ماء البحر عذبا في ألها
إذا سطا أو إن رمى أو إن غزا
حتى ترى عمادها العالی هوى
ترجو مراضيه وتأبى إن أبى
أعاده من المشيب للصبأ
ويل لمن عن أمره السامي عتا
يعرف إلا عفوهُ من مُلتجأ
ظلا على الإسلام منه قد ضفا
عن جدّه عن النبي المصطفى
ندعو له بالنصر في طول المدى

(١) اقتباس من الآية الكريمة (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٢) هو السلطان عبدالمجيد خان. وستأتي ترجمته في تعليقنا على القصيدة ١٩.

(*) في الطبعة (١): (بالهوى) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

إذ نَظَمَ المُلْكَ وشادَ سَمَكَهُ
لَمَّا عَلِيهِ عُرِضَتْ أَسْئَلَةٌ
فكانَ عالىَ أمره بطبِعه
ليستفيدَ الناسُ منَ علومِهِ
وراكبُ منَ المعالي سابقاً
لو ظلَّ مِنِّي أملُ أنشُدُهُ
مفتيَ العِراقينَ ومولايَ الذي
مأوى أولي الفضلِ وشمسُ عِزِّهمُ
والضيفُ تغدو عن معالي فضله
تضربُ في دسيعةٍ مائدة^(١)
ما علمتُ بأنَّ في (عِراقنا)
نحنُ وشكراً للذي صَيَّرنا
إذا أتانا جاحدُ مُباحثٍ
أقسمُ بالربِّ العَظيمِ شأنُهُ
ما لك في الدنيا نظيرُ في ندى
لو كان يدري الشُّركُ ما حَوَيْتُهُ
عذراً لحسادك في ما جحدوا
مقالةَ المُنصِفِ فيكَ جَهْرَةً لا

وقد أبادَ من طَغَى ومن بَغَى
وردَّها إلى معاليه أتى
ونشره في كلِّ أقطارِ المَلا
ويهدّي فيهِ وفيه يُقْتَدَى
ما عَثَرَ الجَدُّ به ولا كبا
إليك من دون الأنامِ لاهْتَدَى
ألوذُ فيهِ حيثُ ما أمري وهى
والملتجى والمُقتفى والمُنْتَدَى
شاكراً من فضله حسنَ القَرَى
مما عليها من جَزورٍ^(*) يُشْتَوَى
سوابقاً بالعلمِ تعدو المَرطَى^(٢)
ينابعُ العلمِ وأعلامَ الهدى
راحَ وفيهِ اغتدى عفرَ الثرى
ومنَ على العرشِ تجلّى واستوى
ولا حجى ولا نُهى ولا عُلا
منَ العُلومِ الغامضاتِ لبكى
لا تدركُ الجَوْنَةَ أبصارُ السُخا
شكَّ (كلُّ الصيِّدِ في جوفِ الفِرا)^(٣)

(١) الدسيعة: العطية والجفنة والمائدة. جمعها دسائع.

(٢) المرطى: ضرب من السير فوق التقريب ودون الإهدال، والمرطة: السريعة.

(٣) كل الصيد في جوف الفرا: من الأمثال العربية القديمة. والفرا: الحمار الوحشي وجمعه: فراء. وأصل المثل، أن ثلاثة نفر خرجوا للصيد، فاصطاد أحدهم أرنباً والثاني ظبياً والثالث حماراً وحشياً. فاستبشر الأول والثاني وفخرا على الثالث ما اصطادا. فقال الثالث: (كل الصيد في جوف الفرا). أي هذا الذي صدته وظفرت به يشتمل على ما عندكما وزيادة. واستشهد رسول الله ﷺ بهذا المثل. عند إسلام أبي سفيان ابن الحارث ابن عمه. يتألفه ويشوقه ويخبره أن الفوز والغنم والمنافع كلها في الإسلام ومعناه أيضاً أنني إذا حجبك قنع كل محجوب. وهو مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه. انظر مجمع الأمثال ٢/ ٨٢ ولسان العرب مادة (جلهم).

(*) في الطبعة (١): (جنور) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

نوجِدوَةٌ هَاطِلَةٌ إِذَا اجْتَدَى
دَرَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالذِي
وَلِوَرَاكَ طَرْفُهُ لَمَّا ارْتَضَى
قَدْ سُرَّ فَيْكَ قَلْبُهُ مِنْ سَمْعِهِ



ونخوةٍ عاليةٍ إذا انتخَى^(١)
أظْهَرْتَهُ وَفِي سِوَاهُ مَا دَرَى
إِلَّا بَأْنَ تَسْمُو إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ
وَلَا يَفِيدُ الْأَذْنَ تَصْوِيرُ الرَّوَى

لِلْهُ مَا هَذَا الْوَزِيرُ إِنَّهُ
مُعَمَّرٌ (بَغْدَادُ) فِي إِحْسَانِهِ
وَرِاضَ أَهْلِ الْبَغْيِ بِالْقَتْلِ فَلَنْ
إِذَا يَخْتَلِي الْأَعْنَاقَ ضَرْبُ سَيْفِهِ
إِذَا امْتَطَى الْعِزْمَ وَصَالَ صَوْلَةً
لَوْ نَالَتْ الْمُزْنَ نَوَالَ كَفَّهُ
لَوْ كَانَ لِلْأَيْلِ سَنًا أَرَانِهِ
وَعَارَفٌ بِالنَّاسِ نَوْ فِرَاسَةٍ
أَعْلَاكَ أَعْلَى رَتْبَةٍ وَمَنْصِبٍ
تُقَدُّ فَيْكَ الْمَعْضَلَاتُ كُلُّهَا
تَلْقَى هَزْبِرًا نَابَهُ حُسَامُهُ
الْتَّابِتُ الْجَاشِ الْوَقُورُ جَانِبًا
وَلَسْتَ مِنْهُمْ إِنْ نَأَوْا وَإِنْ دَنَّوْا
أَنْتَى لَهُمْ بِمَا بِهِ أَكْمَدْتَهُمْ

(عليُّ) المولى حباك (بالرضا)^(٢)
من بعد ما أبادهَا رَبُّ الْوَبَا
تَسْمَعُ فِي دِيَارِهِمْ إِلَّا الْوَعَى^(٣)
كَأَنَّهَا الْعَيْسُ وَقَدْ لَسْتُ خَلَا^(٤)
قَدْ الرَّوُوسَ جَازِلًا مَعَ الْمَطَا
لَمَّا اشْتَكَى الظَّمَانَ مِنْ عَيْمِ الظَّمَا^(٥)
أَضَاءً مِنْ صَبَاحِهَا وَمَا عَسَا^(٦)
أَخْفَتْ لَهُ مَا قَدْ تَوَارَى وَاخْتَفَى^(٧)
ذَاقَتْ أَيَادِيكَ بِهِ طَعْمَ الشُّرَا^(٨)
لَأَنْتَ سَيْفٌ وَلَكَ الْفَضْلُ جَلَا
إِبَانَ حَمِّ الْأَمْرِ وَانْشَقَّتْ عَصَا
مَا ارْتَاعَ مِنْ حَادِثَةٍ وَلَا أَنْتَنَى
وَهَلْ يَقَالُ الدَّرُّ مِنْ هَذَا الْحَصَى
وَبَاعَهُمْ مَعَ طَوْلِ بَاعِيكَ وَرَا

(١) في الأصول: ونجوة وما أثبتناه أصوب.

(٢) هو الوزير علي رضا باشا اللاط والي بغداد ستأتي ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ١٩.

(٣) الوعي: مثل الوعي لفظاً ومعنى. وهي الجلبة والأصوات والضجيج.

(٤) لست: لست الدابة الحشيش تلسه لسا. تناولته وبتفته. وألست الأرض: طلع أول نباتها. لسان العرب مادة (لسس).

(٥) العيم والعيمة: شدة العطش وفي الحديث الشريف «اللهم إني أعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة».

(٦) عسا الليل: اشتد ظلامه.

(٧) أخفت: من الأضداد بمعنى أظهرت أيضاً، ومنه قوله تعالى (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) من تفسيرها أكاد أظهرها.

(٨) الشرا: الشراء. مقصور وممدود، أي أصبح غنياً قادراً على الشراء.

وقلّ من نفسي لعلياك الفدا
 يمينته ممّا علا وما غلا
 يؤمّها لوردها من اعتفَى
 مجوهر الإفرند محدود الشبا
 لو أنس العاشق فيه لَسَلا
 كأنما ذاق المُدامَ فانتشى
 وغيره يُحمى لها ويُحتمى
 فيك على رغم العدا قد انطوى
 أصبح بعد الهدم في أسمى البنا
 (محمود) ذو المجد ابتدا وأنفا*)
 فانت حسبي من غناء وكفى
 مضمونها الشكرُ عليك والثنا
 تتلوك الشكرَ الجميلَ ما وفَى

فدتك نفسي من هزبرِ باسل
 وُفّ على العافين ما تمأكت
 هل العُلا إلا يدُ مبسوطه
 وصارمٌ مُجرّدٌ مرهفهُ
 وحسنُ خلقٍ وأحاديثُ علا
 يهتزُّ عطفُ سامعيها طرباً
 وعزّةُ بالدين بل ورفعة
 وكلُّ ما ذكرته وقُلتُهُ
 من ذا يُهنّي العلمَ في سَمِيذِعِ
 قد كان مخفياً فلما جاءه
 إليك مني سيّدي قصيدة
 قُصرتُ يا مولاي في مَقْصُورة
 لو أن هذا العيد أضحي ألسناً

(١٩)

وقال مادحاً الوزير علي رضا باشا اللاظ^(١) والي بغداد [وهي من المتقارب]:

(*) تركناها كما وردت في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس ولعل صوابها (واستانفا).

(١) الحاج محمد علي رضا باشا اللاظ، أصله من أهل طربزون وتخرج ضابطاً، وقد ولي مناصب عديدة حتى صار (كتخدًا) لدى والدي حلب رؤوف باشا سنة ١٢٤٤هـ وفي سنة ١٢٤٥هـ عين والياً على حلب، برتبة الوزارة. وفي سنة ١٢٤٦هـ نقل إلى ديار بكر والياً عليها، ثم أرسله السلطان إلى بغداد. لإخراج الوالي داود باشا منها، فأخرجه وقضى على المماليك. وكان قد ترك زوجته في حلب، وهي بنت يوسف باشا الصدر الأعظم. وتزوج ببغداد من سلمى خانم شقيقة والي بغداد الأسبق سليمان باشا الصغير. وفي محرم سنة ١٢٥٣هـ أضيفت إليه ولاية شهرزور، وهاجم الحمرة وقتك بأهلها، سنة ١٢٥٣هـ وقد مدحه كثير من الشعراء في تلك الواقعة منهم عبدالباقى العمري والسيد عبدالجليل الطباطبائي البصري. وفي شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٨هـ نقل من بغداد إلى الشام وخرج من بغداد في شعبان وفي ١٢٦١هـ عزل عن ولاية الشام وتوفي في شهر رمضان سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م وكان رجلاً سميّاً بطيء الحركة أديباً شاعراً. وقد اعتمد في إدارة الحكم ببغداد على حاشية فاسدة ظالمة أمثال علي الخصي ومحمد الليلاني وغيرهما فأساؤوا إلى أنفسهم وإليه. وكان المفتي عبدالغني ال جميل قد ثار عليه لما رأى من ظلم حاشيته وتعسفهم. فعزله وعين بدلاً عنه المفتي أبا الثناء الألويسي. وفي عهده فتحت شركة بيت لنج الإنجليزية ببغداد. وكان علي رضا بكتاشي الطريقة. وقد مدحه كثير من الشعراء، منهم =

أَلَا إِنَّ هَذَا الْفَوَادَ اضْطَرَمَّ
وَفِي كُلِّ جَارِحَةٍ لَوْعَةٌ
وَأَيْقَطُ وَجِدِي بَرَقُ يَلُوحُ^(٢)
وَمَا سَرَى مَوْهِنًا فِي الدُّجَى
وَبَاحَتْ دَمُوعِي بِسَرِّي الْمَصُونِ
فَلِلَّهِ بَرَقُ أَثَارِ الْغَرَامِ
تَصَامَمْتُ عَنْ عَاذِلِي فِي الْهَوَى
فَمَنْ مُنْصِيفِي مِنْ غَرَامِ ظَلُومِ
فَلَا سَلِمَ الصَّبْرُ مِنْ مُغْرَمِ
أَعْلَلُ نَفْسِي بِنَيْلِ الْمُنَى
وَمَنْ لِي بَعَزَمِ الْجَرِيِّ الْأَبِيِّ
وَإِنِّي عَلَى شَغْفِي بِالْخُمُولِ
وَقَدْ شَيَّبَتْنِي صُرُوفُ الزَّمَانِ
فَمَا لِي أَقَمْتُ بِأَرْضِ (العراق)
وَكُنْتُ تَرَحَّلْتُ عَنْ مَوْطِنِ
إِلَى قَائِدِ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ
(عليّ الرضا) مشرفي القضا

فَهَلْ مِنْ خَمُودٍ لِهَذَا الضَّرْمِ^(١)
تَثُورٌ وَفِي كُلِّ عَضْوٍ أَلَمٌ
وَقَدْ نَامَ عَنْ أَعْيُنٍ لَمْ تَنْمِ
بَكَيْتُ لَهُ عَنْ جَوَى وَأَبْتَسَمَ
وَسِرُّ الصَّبَابَةِ لَا يَنْكُتِمِ
وَلِلَّهِ دَمْعُ جَرَى وَأَنْسَجَمَ
وَمَا بِي وَدَيْنِ الْهَوَى مِنْ صَمَمِ
وَمَنْ مِنْصِيفِي مِنْ حَبِيبِ ظَلَمِ
إِذَا نُكِرَ الْحَيُّ فِي (ذِي سَلَمِ)^(٣)
وَمَا لِي إِلَى نَيْلِهَا مُقْتَحِمِ
فَلَا يَنْتَنِي عَزْمُهُ إِنْ عَزَمَ
أُرُومٌ مِنَ الدَّهْرِ مَا لَمْ يُرَمِ
وَصَرَفُ الزَّمَانِ يَشِيْبُ اللَّمَمِ
وَلَوْلَا حُمُولِي بِهَا لَمْ أُقِمِ
إِذَا كُنْتُ فِي غَيْرِهِ لَمْ أُضْمِ
وَمَقْدَامِهِمْ فِي الْحُرُوبِ الدُّهُمِ
وَعَيْثُ الْعَطَاءِ غِيَاثُ الْأُمَمِ

= عبد الباقي العمري والسيد عبد الجليل البصري والطببائي والشيخ عبد الحسين محيي الدين وصالح التميمي وعمر رمضان وعثمان بن نورس. ترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٥٩ وتاريخ بغداد لسليمان فائق ١٨٢ والترياق الفاروقي وديوان السيد عبد الجليل البصري (الخل والخليل) ١٠٠ - ١٠٢، وأربعة قرون من تاريخ العراق ٢٤٠ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٠٧.

(١) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي مصورة (منفردة) في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ٦١٩م وهي بخط الشاعر. ونشرها العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري مصورة بخط الشاعر في ج ١ المجلد ٣ ص ٢٠٩ - ٢١١ من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٤.

(٢) في الأصل: وأيقض (كذا).

(٣) ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب في زبيد من أرض اليمن. وواد عند مدخل مكة المكرمة من جهة جدة. معجم البلدان ٣/ ٨.

قريب النوال مجيب السُّؤالِ
 جزيل الثُّوابِ مُجيدِ الضُّرابِ
 أذلُّ الطُّغاةِ وأردى الكُماةِ
 إذا حاربَ الأممَ الفاجرينَ
 بسيفِ مُبيدٍ ورأى سديدِ
 حسامِ لدولةِ* (عبد المجيد^(١))
 يقدُّ به الهامَ ممن عاصاهُ
 وإن هالت الحربُ يومَ النزالِ
 وحسبُك أنَّ المَلِكِ اصطفاهُ
 فكان إذا استخَوَّنَ الغادرينَ
 ففي مثلِ صدقِ (عليّ الرضا)
 فقرَّبَه من علاهُ المَلِكِ
 وفي عدلِ هذا المَلِكِ العظيمِ

منيع المَنالِ رفيعِ الهِمَمِ
 شديدِ العقابِ إذا ما انتقم
 وساقَ الصَّنَائدِ سَووقَ الغنمِ
 تصدَّعَ من شِعْبِها ما التَّامِ
 وعزمِ شديدِ وأنفِ أشمِ
 مَلِكِ الملوِكِ وسيفِ خَدمِ
 ويَفْلِقُ في شَفَرَتَيْهِ القممِ
 تَصَدَّى لأهوالها واقتحم
 وولاه دَفَعَ الأهمَّ الأهمَّ^(٢)
 رأى من (عليّ) وفيّ الذمِّ
 تَبَلَّجَ صَبْحُ الرِّضَا وابتسم
 فكان المُبجَّلُ والمُحتشمِ
 نجاةُ الرعيَّةِ من كلِّ غمِ

(١) هو السلطان عبدالجيد خان ابن السلطان محمود خان العثماني. ولد في ١٤ شعبان سنة ١٢٢٧هـ / ١٨٢٢م وولي الخلافة في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٢٩م. وكان في عهده اضطرابات منها حرب القرم. وكان لسفير بريطانيا في الأستانة نفوذ كبير عليه. وإليه ينسب النيشان المجيدي (الوسام) والعملة (المجيدي) والمستشفى المجيدية ببغداد.

وقد مدحه الشعراء وفي طليعتهم عبدالباقي العمري بقصائد روائع. قال في بعضها:
 تعالى شأن ذي العرش المجيد
 وجلت حكمة الملك الحميد
 ملك عز سلطانا وقهرا
 فذلك كل جبار عنيد

كما مدحه الشيخ جابر الكاظمي بقصيدة رائعة جاء فيها:

بعيد المدى مأوى الندى ملجأ الهدى
 سنا شمس أفلاك المعالي وبدرها
 حباه بتوحيد الصفات إليه
 مناقب كالأعداد لا ينتهي لها
 مبيد الردى مردي العدا ومبيرها
 وقطب سماوات العلا ومدبرها
 فعز نظيراً حين عز نظيرها
 أخير، ولا يحصى بعد يسيرها

توفي في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م ودفن في قبر كان أعده لنفسه في حياته بجوار جامع السلطان سليم في الأستانة. انظر: الترياق الفاروقي ٢٥٧ وديوان جابر الكاظمي ٣٥١ وتاريخ الدولة العثمانية ٢٢٧ - ٢٨٧ والموسوعة العربية الميسرة ١١٨٤.

(٢) في الأصل: (وولا دفع الأهم الأهم).

(* في الطبعة (١): (الدولة) وهو خطأ طباعي وصوبناها على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (أبعدته) ولا محل لها أو أنها بداية لبيت آخر سقط من القصيدة وتركانها كما هي ولعل صوابها (قصدته).

إِذَا أَبْعَدْتَهُ (**) مَلُوكُ الزَّمَانِ
 بِهِ اعْتَصَمَتْ مِنْ جَمِيعِ الْخَطُوبِ
 بِصَنْعِ أَجَادٍ وَفَضْلِ أَعَادِ
 وَتِلْكَ الْمَوَاهِبُ بَيْنَ الْمُلُوكِ
 تَلَوْدُ بَرَأْفَتِهِ الْخَائِفُونَ
 وَمَنْ كَانَ بَاباً لِنَيْلِ الْمِرَادِ
 مَنَاهِلُهُ شِرْعَةُ الْوَارِدِينَ
 صَوَارِمُهُ نَقْمَةٌ تُتَّقَى
 وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ كَلْتَيْهِمَا
 أَعَادَ إِلَى الْمَلِكِ شَرَحَ الشَّبَابِ
 رِقَاهَا بَبِيضِ السُّيُوفِ الْحَدَادِ
 فَأَيُّنَعُ فِي رَوْضِهَا مَا ذَوَى
 حَمَى حَوْزَةَ الْبَدِينِ فِي صَارِمِ
 فَتَهْدِي الْأَنْامُ لِسُلْطَانِهِ
 دُعَاءُ لِدَوْلَتِهِ يُسْتَجَابُ
 وَفَيْتَ لَهُ يَا (عَلِيَّ الرُّضَا)
 وَقُمْتَ لِدَوْلَتِهِ قَائِماً
 وَلِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ صَادِقِ
 وَلا حَتُّ خَفَايَا صَدُورِ الرَّجَالِ

تُقَبَّلُ مِنْهُ مَكَانُ الْقَدَمِ
 وَفِي مِثْلِ دَوْلَتِهِ الْمُعْتَصِمِ
 وَقَبْرُنِ أَبِيَادٍ وَأَنْفِ رَعَمِ
 وَفِيكَ الْبِدَايَةُ وَالْمُخْتَمِ
 فَتَأْمَنُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُهِمِ
 فَلَا شَكَّ فِي بَابِهِ الْمُمَزَّجِ
 بِحَيْثُ النُّوَالِ وَحَيْثُ الْكِرَمِ
 وَأَنْظَارُهُ نَعْمَةٌ تُغْتَنَمِ
 لِحَتْفِ دِنَا أَوْ لِرِزْقِ قُسَمِ
 وَعَهْدِ الشَّبَابِ بَعْدَ الْهَرَمِ
 فَمَا بَرِحَ الدَّاءُ حَتَّى أَنْحَسَمِ
 وَشَيْدَ مَنْ رُكِّنَ لَهَا مَا أَنْهَدَمِ
 إِذَا صُرِمَ الْمَوْتُ فِيهِ أَنْصَرَمِ
 بِحُسْنِ الثَّنَاءِ وَطَيْبِ الْكَلِمِ
 وَعَهْدِ لَخْدَمَتِهِ يُلْتَزَمِ
 وَهَلْ يَنْفَعُ الْغَادِرِينَ النَّدَمِ
 لِكَرْبِ أَلَمٍ وَخَطْبِ هَجَمِ
 إِذَا مَيَّزَ الصِّدْقُ وَالْمُتَّهَمِ
 وَأَصْبَحَ أَمْرُهُمْ قَدْ عُلِمِ

أَلَا لَا بَرَحَتْ سُرُورَ الْوُجُودِ
 عَلَيْكَ نَعِيدُ الثَّنَاءِ الْجَمِيلِ
 وَقَدْ نَظَمَ الْعَبْدُ فِيكَ الْقَرِيضَ
 يَوْمَ جَنَابِ (عَلِيٍّ) الْجَنَابِ

بِمَنْ أَوْجَدَ الْخَلْقَ بَعْدَ الْعَدَمِ
 وَفِيكَ الْبِدَايَةُ وَالْمُخْتَمِ
 فَصَلِّ مِنْ قَبُولِ لَهَا مِنْ نَظْمِ (١)
 وَمَنْ حَقُّ حَضْرَتِهِ أَنْ تُؤَمَّ

(١) الأصل: لها قد نظم.

تَلُوحُ مَعَالِيهِ لِلنَّاطِرِينَ وَلَا مِثْلَ نَارٍ بِأَعْلَى عِلْمٍ
فَأَنْطَقَ بِالمَدْحِ حَتَّى الْعُجْمِ^(١) وَأَسْمَعَ بِالصَّيْتِ حَتَّى الْأَصْمِ
مَحَبَّتُهُ أُعْرِزَتْ فِي الْقُلُوبِ وَشَكَرَانُهُ سَاعَ فِي كُلِّ فَمٍ
لَقَدْ شَمَلْتَنَا لَهُ نِعْمَةٌ وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ شُكْرَ النُّعْمِ
فِيَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِي ظِلِّهِ وَكُنْتُ أَكُونُ كِبَعْضِ الخِدْمِ
أَفُوزُ بِبَابِ (عَلِيٍّ) الْجَنَابِ فَأُرْوِي مَحَاسِنَ تِلْكَ الشَّيْمِ

(٢٠)

رُمِينَا بِأَدَهَى الْمُعْضَلَاتِ النُّوَابِ وَفَقَدُ الَّذِي نَرْجُو أَجْلُ الْمَصَائِبِ^(٢)
وَغَائِبُ قَوْمٍ لَا يُرْجَى إِيَابُهُ وَمَا غَائِبٌ تَحْتَ التُّرَابِ بِأَيِّبِ

(١) الْعُجْمُ: بضم العين والجيم؛ جمع أعجم وعجماء. وهو غير الفصح. ويقصد به الشاعر هنا (العجموات) وهي التي لا تنطق أصلاً.

(٢) هو الشيخ عمر بن رمضان بن محمد بن علي بن درويش الهيتي البغدادي. درس الأدب واللغة والخط على العلامة أبي الثناء الألويسي وتخرج عليه. وقرأ كثيراً من كتب اللغة والأدب. وكان ذكياً أليماً وجمع لنفسه مكتبة نفيسة. وكان من الخطاطين المجودين البارعين، يعيش من النسخ وخطه مرغوب يتنافس فيه العلماء، ومن آثاره الخطية (سيرة الرسول لابن هشام) في المكتبة القادرية ببغداد (وكتاب كامامة الزهر وفريدة الدهر) لابن بدرون الإشبيلي في مكتبة الأوقاف. وكذلك كتاب نزهة النظر لابن حجر وكتاب سرح العيون لابن نباتة. قال عنه محمود شكري الألويسي: «كان في معرفة اللغة لا يطاقول. وفي وقائع الحروب لا يساجل قرأ سائر العلوم في المنقول والمفهوم. ولا سيما فن الأدب ومعرفة كلام العرب». وكانت بينه وبين الأخرس مداعبات وهجاء، وكانت له مساجلات أدبية مع أستاذه العلامة أبي الثناء ومراسلات مع الشاعر صالح التميمي. ومنها قول التميمي في رسالة:

أخي إن جنث كتاباً تباكرهم نعمى وزير نداء يخلج القمر
سلهم عموماً سؤالاً غير ممتحنٍ واسأل خصوصاً أبا خطابهم عمراً

كما كانت للهيتي مجموعة من البند، وله شعر حسن ومنه وقهل:

يا من يعز عليه قتلي في الورى فغسدا يهدد كل غاد رائح
دع من على الغبراء لا تعبأ بهم واطلب دمي من عند سعد الذابح

توفي سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م وقد جاوز المئة.

انظر ترجمته في حديقة الورد ٤٢ مخطوط، وديوان التميمي ٦٢، والمسك الأذفر ١٢٠ - ١٢٢، هيت في إطارها القديم والحديث ١ / ٧٤، تاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢ / ٥١، والبغداديون ص ٢٦٢. وفيه توفي ١٢٥٣هـ. وفهرس مخطوطات الأوقاف ١ / ٣١٦ و ٣ / ٣٦ و ١٥٨.

(٣) هذه القصيدة غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (الحسيني) يرثي بها والدته.

نَوْمٌ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً هَنِيئَةً
وَنَعْتَرُ فِي بَرَقِ المُنَى وَهُوَ خَلْبٌ
نَصَدَّقُ أَمَالاً مَحَالاً بَلَوْغُهَا
تَسَالِمْنَا الأَيَّامُ وَالْقَصْدُ حَرْبُنَا
وَنَطْمَعُ أَنْ تَبْقَى وَيَبْقَى نَعِيمُهَا
فَلَا تَحْسِبَنَّ الدَّهْرَ يَوْفِي بَعْدَهُ
وَإِنَّ السَّيَالِي لَا تَدُومُ بِحَالَةٍ
يَرُوقُكَ مِنْهَا مَا يَسُوؤُكَ أَمْرُهَا
وَجُودُ الفَتَى نَفْسُ الحِمَامِ لِنَفْسِهِ
وَتَسْعَى بِهِ أَنفَاسُهُ لِحِمَامِهِ
كَأَنَّ مِنَ الأَجَالِ وَهِيَ كَوَاسِرٌ
وَلَا يَدْفَعُ السَّيْفُ المَنْيَةَ وَالقَنَا
وَكَلُّ المَطْلُوبِ الرَّدَى وَهُوَ لَاعِبٌ
فَمَنْ لِفَوَادٍ رَاعَهُ فَقَدْ إلفَهُ
وَجَفَنَ يَهْلُ الدَّمْعُ مِنْ عِبْرَاتِهِ
عَلَى (عُمَرِ الرَّمْضَانَ) (***) ذِي الفَضْلِ وَالنُّهَى
أَذْبَتُ عَلَيْهِ يَوْمَ مَاتَ حُشَّاشَتِي
بَكَيْتُ وَمَا يُجْدِي الحَزِينَ بِكَأْوِهِ
فَتَى كَانَ فِينَا حَاضِراً كُلَّ نَكْبَةٍ

وَمَا نَحْنُ إِلاَّ عَرَضٌ لِلْمَصَائِبِ (١)
وَهِيَهَاتُ مَا فِي الأَلِ مَاءٌ لِشَارِبِ (٢)
وَمَنْ أَعْجَبَ الأَشْيَاءِ تَصَدِيقُ كَاذِبِ
وَمَا هِيَ إِلاَّ خُدْعَةٌ مِنْ مُحَارِبِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ حَسْرَةٍ خَائِبِ
أَبَى اللهُ أَنْ يَرعى ذِمَاراً لِصَاحِبِ
وَهَلْ تَتْرَكَ الأَحْدَاثُ كَسْباً لِكَاسِبِ
وَإِنَّ الرَّدَى مَا رَاقَ مِنْ حَدِّ قَاضِبِ
فَلَوْلَاهُ لَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ المَعَاظِبِ
وَكَمْ أَصْبَحَ المَطْلُوبُ يَسْعَى لِطَالِبِ
مَنْ الأَسَدِ الضَّرْغَامِ بَيْنَ المَخَالِبِ
وَتَمْضِي سَيُوفُ اللهُ مِنْ غَيْرِ ضَارِبِ
كَأَنَّ المَنْيَا لَا تَجِدُ بِلَاعِبِ
فَأَصْبَحَ مِنْ أَشْجَانِهِ (*) نَهَبَ نَاهِبِ
عَلَى طَيْبِ الأَعْرَاقِ وَابْنِ الأَطَايِبِ
أَحَاطَتْ بِِي الأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَأَمْسَيْتُ فِي قَلْبِ مَنْ الحَزْنَ ذَائِبِ
وَضَاقَتْ عَلَيْنَا الأَرْضُ ذَاتُ المَنَاكِبِ
فَغَابَ وَلَكِنْ ذَكَرَهُ غَيْرُ غَائِبِ

(١) تكررت القافية.

(٢) الأَل: السراب.

(*) في الطبعة (١): (أشجان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الرمضان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

تذكّرني آثاره بفعاله
صَبُورٌ عَلَى الْبَلْوَى غَيُورٌ إِذَا انْتَحَى (١)
وما زال بالأدابِ والفضلِ مُفْعَمًا
وقد كان مثلَ الشَّهْدِ يَحِلُّو وتارةً
وكم أَخْبَرَ التَّجْرِبُ عَنْ كُنْهِ حَالِهِ
لسانُ كحْدِ السَّيْفِ ماضٍ غِرارُهُ
وكم صاغَ من تَبْرِ القَرِيضِ جُمانَةً
وزانتُ قوافيه من الفضلِ أَفْقَهُ
وأدركَ فَضْلَ الأُولَينِ بما أتى
معانٍ بِنِظْمِ الشُّعْرِ كان يرومُها
لوى ساعدَ المجدِ المَنونُ من الورى
فتى كان يصميني الردى في حياته
فتى ظلتُ أبكي منه حياً وميتاً (٢)
رَعَيْتُ لَهُ مِنْ صُحْبَةِ كُلِّ وَاجِبٍ
سَقَى اللهُ قَبْرًا مَزْنَةَ الحَيَا
ولا زالَ ذاكَ القَبْرُ ما ذرَّ شارِقُ
أَلَا يا (شَهابَ الدين) صَبْرًا عَلَى الأَسَى (٣)
نُعْزِيكَ بِالقُرْبَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فإِنَّكَ أَرعى مَنْ عَلَيْها مَوَدَّةً
وَإِنَّكَ مَمَّنْ يُهْتَدَى بِعِلْمِهِ
عَنِ البَحْرِ عَنْ كَفِّكَ نَروي عَجائِبًا

فأبكي عليها بالدموعِ السَّواكِبِ
جَميلُ السَّجَايا الشَّمُّ جَمُّ المَناقِبِ
ولكنه إذ ذاكَ صَفْرُ المَصائِبِ
لكالصلِّ نَفائِثاً سَمومَ العَقاربِ
ويظَهَرُ كُنْهُ المَرِّ عِنْدَ التَّجاربِ
وأَمْضَى كَلاماً من شِفارِ القَواضِبِ
وأَفْرَغَ مَعناها بِأحْسَنِ قِالبِ
فكانت كَأَمثالِ النُّجومِ التُّواقِبِ
فَقَصَّرَ عَنِ إدراكِ كُلِّ طالِبِ
أدقُّ إِذا فَكَّرْتَ مِنْ خَصْرِ كاعِبِ
بموتِ أَشَمِّ مِنْ لؤيِ بنِ غالِبِ (٢)
ولمَّا تُوفِّي كان أَدهى مَصائِبِ
أُصِبتُ عَلَى الحالينِ مِنْهُ بِصائِبِ
ولو أَنَّ حَيًّا ما رعى بَعْضَ واجِبِ
وَبُلِّغَ فِي الجَنَّاتِ أَعلى المَراتِبِ
تَجودُ عَلَيْهِ ذارِياتُ السَّحائبِ
وليس يَهونُ الصَّعْبُ عِنْدَ الصَّعائِبِ
وفي عِزِّ رَبِّ المَجدِ عِزُّ الأَقاربِ
وَإِنَّكَ أوفى نَمَّةً لِلْمُصاحِبِ
كما يَهْتَدِي السَّارِي بِضوءِ الكواكِبِ
ولا حَرَجُ فَالبَحْرُ ماوى العَجائِبِ

(١) في الأصول: إذا انتحى، بالحاء المهملة.

(٢) لؤي بن غالب: من أجداد رسول الله ﷺ، وهو إشارة إلى نسب المرثي.

(٣) ظلت: لغة في ظلت.

(٤) شهاب الدين: لقب أبي التثاء الألويسي.

(٢١)

وقال مادحاً الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه^(١) حين ورود الستارة النبوية

يا إمامَ الهدى ويا صفوةَ الله
يا ابنَ بنتِ الرسولِ يا ابنَ (عليٍّ)
قد أتينا بتُوبِ جدك نسعى
فأتينا راجلين احتراماً
نتهادي به إليك جميعاً
راميات سَهْمِ النُّوى عن قِسيِّ
طالباتِ (موسى بن جعفر) فيه
من نبيٍّ قد شَرَفَ العرشَ لَمَّا
شَرَفَ في ثيابِ قَبْرِ نبيِّ
ومزايا الفَخارِ أورثتموها
أنتم علَّةُ الوجودِ وفيكم
ما ركنتم إلى نفائسِ دنيا

ويا مَنْ هَدَى هُدَاهُ العبادا
حيُّ هذا النَّادي وهذا المُنَادى
وأَتِينَاكَ سَيِّدي وَقَّادا
واحتِشاماً وهيبَةً وانقيادا
وبه كانتِ المطايا تهادى
قاطعات دكادكاً ووهادا
وكذا القُدوةَ (الإمامَ الجوادا)^(٢)
أن ترقى بالله سَبْعاً شِدادا
عَطَّرتْ في ورودها (بغدادا)
شَرَفَ الجَدَّ يورثُ الأولادا
قد عرفنا التكوينَ والإيجادا
ولقد كنتم بها أفرادا

(١) هو أبو الحسن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. سابع الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. ولد في قرية الأبواء قرب المدينة المنورة ١٢٨هـ / ٧٤٥م ونشأ بالمدينة ودرس على أبيه، وكان من سادات بني هاشم. ومن العباد الزهاد، استقدمه الخليفة المهدي العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة، وفي خلافة هارون الرشيد بلغه أن الناس في المدينة، يحاولون مبايعة الإمام موسى الكاظم. فلما حج الرشيد سنة ١٧٩هـ استقدمه إلى البصرة، وسجنه عند واليها عيسى بن جعفر سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيه سجيناً في ٢٥ رجب سنة ١٨٢هـ / ٧٩٩م. ودفن في مقابر قريش وتسمى اليوم الكاظمية نسبة إليه، وفيها مشهده وهو من أعظم المشاهد في العراق. يقصده الزوار من أنحاء الدنيا. ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٢٧ وصفة الصفوة ١ / ١٠٣، والعبير ١ / ٢٨٧ والبداية والنهاية ١٠ / ١٨٢ وشذرات الذهب ١ / ٣٠٤ - ٣٠٥، والأعلام ٨ / ٢٧٠ وفي مصادر أخرى.

(٢) ستاتي ترجمته.

(٣) الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا حفيد الإمام موسى الكاظم، ومرقده بجوار مرقد جده.

وانتقلتُم منها وأنتم أناسٌ
ولقد قمُتُم الليالي قياماً
إن يكونوا كما أذاعوا فمن ذا
ومحا الشُّركَ بالمواضي غزاةً
حيثُ إنَّ الإلهَ يرضى بهذا
فَجُزِيْتُمْ عن أجركم بنعيمٍ
وإبتَغَيْتُمْ رضا الإله ولا زل
أنتم يا بني البتول أناسٌ
آل بيت النبي والسادة الطُّه
فَظَلُّوا بالفضائل الخلق طراً
ليس يحصي عليهم المدح مني
أنتم الذُّخْرُ يوم حشرٍ ونشرٍ
(كازم) الغيظِ سالم الصدر عافٍ
قد وَقَفْنَا لدى علاك وألقيد
مَعَ أَنَّ الذُّنُوبَ قد أوثقتنا
ومَدَدْنَا إِيكَ أَيدي محتا
وبكَيْنَا من الخُشُوعِ بدمعٍ
قد وَقَدْنَا آلَ النبيِّ عَلَيْكُمْ
بسَوَادِ الذُّنُوبِ جئنا لنمحو
وطلبنا عَفْوَ المُهَيِّمِنِ عَنَّا

ما اتَّخَذْتُمْ إِلَّا رِضَا اللّهِ زَادَا
واكتحلتم من القيام السُّهادا
مَهَّدَ الأَرْضَ سَطْوَةً والبلادا
وسَطَا سَطْوَةَ الأَسْوَدِ جِهَادَا
بل بهذا من القديم أرادا
تَتَوَالَى الأرواح والأجسادا
تَمَّ بَعَزُ يُصَاحِبُ الأَبَادَا
قد صَعَدْتُمْ بالفجرِ سَبْعاً شِدَادَا
رِرجالٌ لم يبرحوا أمجادا
مثلما تفضلُ الطُّبَى الأغمادا
ولو انَّ البحارَ صارتُ مِدادا^(١)
ومَعَاداً إذا رأينا المَعَادَا
ما حَوَى^(*) قَطَّ صدره الأحقادا
ننا إلى بابك الرفيع القيادا
نرتجي الوعدَ نَحْتَشِي الإيعادا
جِ يُرَجِّي بِفَضْلِكَ الإمدادا
هو طوراً [مَتْنِي]^(**) وطوراً فُرَادِي
زودونا من رِفْدِكُمْ إرفادا
ببَيَاضِ الغفرانِ هذا السَّوَادَا
وأَغْظَنَّا الأعداءَ والإلحادا^(٢)

(١) أخذهُ من قوله تعالى: (قل لو كان البحر مِداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا مثله

مدا) سورة الكهف الآية ١١٠.

(١) في الأصول: وأغضنا (كذا).

(*) في الطبعة (١): (هوى) وصوبناها من الطراز الأنفس.

(**) هذه الكلمة ساقطة في الطبعة (١)، وأثبتناها من الطراز الأنفس.

مَوْطِنٌ تَنْزَلُ الْمَلَائِكُ فِيهِ
أَيْهَا الطَّاهِرُ الزَّكِيُّ أَعْتَنَّا
وَ (عَلِيٌّ) أَبَاكَ يَا ابْنَ (عَلِيٍّ) (١)
مُسْتَزِيداً بِفَضْلِكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا خَيْرَةَ الْخَلْقِ

وَمَقَامٌ يَسْرُهُذَا الْفَوَادَا
وَأُنَلْنَا الْإِسْعَافَ وَالْإِسْعَادَا
كِي يَنَالَ الْمُنَى بِكُمْ وَالْمُرَادَا
مَنْهَلًا مَا اسْتَزِيدَ إِلَّا وَزَادَا
قِي سَلَامٌ يَبْقَى وَيَأْبَى النَّفَادَا

(٢٢)

أَهَاجَهَا حَادِي الْمَطِيِّ فَمَالَهَا
فَهَلْ عَرَفْتَ يَا هَذِيمُ مَا بِهَا
غَنَى لَهَا بِ(رَامَةِ) وَ(الْمُنْحَنَى)
وَمَا دَرَى أَيُّ جَوَى أَثَارَهُ
نَكَّرَهَا مُنَاخَهَا بِ(رَامَةِ)
نَكَّرَهَا مَرَاعِيًّا مِنْ شِيحَهَا

وَلَمْ يُهَجِّ لِمَا حَدَا أَمْثَالَهَا
وَمَا الَّذِي أَوْرَثَهَا بِلْبَالَهَا
وَبِالْدِيَارِ ذَاكِرًا أَطْلَالَهَا
وَعِبْرَةً بِذِكْرِهِ أَسَالَهَا
فَكَانَ ذَكَرُ (رَامَةِ) خَبَالَهَا (*)
وَوَرِدَهَا مِنْ مَائِهَا زَلَالَهَا

(١) هو الوزير علي رضا باشا اللاط والي بغداد. مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩).

(٢) السيد إبراهيم بن السيد محمود بدرالدين بن مبارك بن صالح بن رجب بن شعيبان بن درويش الرفاعي الحسيني البصري. ولد سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م في البصرة وبها نشأ، وتلقى العلوم على كبار شيوخها. ثم قدم بغداد وأخذ عن علمائها الأعلام. وكان ذكياً بارعا فطناً، توجهت إليه الأنظار بالفنون، وطار صيته في الآفاق، وزار الهند عدة مرات، وأقام فيها مدة طويلة ثم رجع إلى البصرة، ووجهت إليه نقابة الأشراف فيها. وكان مرشد البصرة ومفتيها. ثم عزل عن النقابة، وتفرغ للتدريس والإفادة، وولي قضاء البصرة سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م. ثم استعفى منه وأعيد إليه الإفتاء، وكان شيخ الطريقة الرفاعية في البصرة، وعنه أخذ الطريقة الشيخ محمد المهدي الرواس حين اجتماعه به في البصرة سنة ١٢٥١هـ. وبقي السيد إبراهيم مفتياً في البصرة ثم رحل إلى الهند وهناك وفاته سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م وأُعقب ولداً واحداً هو السيد رجب وتوفي ولده سنة ١٢٨٢هـ. ترجمته في حلية البشر ١/ ٦٢ - ٦٤، والدر المنتثر ١٠٨ وديوان الرواس (مشكاة اليقين) ص ٢٨٩.

(*) في الطبعة (١): (خيالها) والتصويب من الطراز الأنفس.

ذاقتُ نَميراً في (العُذيب) ماءه^(١)
لو كان غيرُ وجدها عقالها
تسألُ عن أحبابها دوارساً
وكَلِّما عادَ لها عيدُ الهوى
تالهُ تنفكُ وقد تظنُّها
حريصةً على لقاءِ أوجهِ
هي الظعونُ قوَّضتُ خيامها
وأوقدتُ في قلب كلِّ مُغرمٍ
وقاطعتُنا بالنوى مواصلاً
وعن يمين (الجَزَع) شرقيِّ الحمى
بيوتٌ حيٌّ أحكموا ضيوفها
وللغزال^(*) دونها ملاعبُ
وقد رمتني عينها نبالها
إنِّي لأهوى مُجتنى معسولها
تلك ربوعُ كنت في رباعها
فيا سقتَ تلك الربوعَ ديمه
ساحبةً على الحمى سحابها
قد قطبتَ [طلعتُها]^(**) وبشَّرتُ
من مُنقَلاتِ المُنز ما إنْ جلجتُ
شاكراً آثارها منها لها

وقد أُذيقَتْ بعده وبألها
بدار ميٍّ أطلقتُ عقالها
من الرُسوم لم تُجِبْ سؤالها
هيَّجَ منها عيدُه بلبالها
لما بها من الضنى خيالها
غالى بها صرفُ النوى واغتالها
وأزعجتُ يومَ النوى جمالها
نيرانَ وجدٍ تُضرمُ اشتعالها
لو أنصفتُ ما قطعتُ وصالها
متى أراني ناشقاً شمالها
وحذروا عدوها نزالها
لو اقتنصتَ مرةً غزالها
فما وقفتني أدري نبالها
وأختشي من قدها عسالها
طوعَ هواها عاصياً عدلها
تصبُّ من صوبِ الحيا سجالها
تَجُرُّ في دياره أذبالها
من شامٍ بالغيثِ العميمِ خالها
بالرعدِ إلا وضعتُ أثقالها
إدبارها بالريِّ أو إقبالها

(١) العذيب: ماء بين القادسية والمغية، وهو واد لبني تميم. يقصده وينزل فيه الحجاج من الكوفة، وهناك مواضع عديدة بهذا الاسم. تعرف بالإضافة مثل عذيب الهجانات وعذيب القوادم، والعذيب موضع بمصر وموضع بالكوفة انظر معجم البلدان ٩٢ / ٤.

(*) في الطبعة (١): (المغزال) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (طلقها) والتصويب من الطراز الأنفس.

وَرُبَّ لَيْلٍ أَطَبَقَتْ ظُلُمَاوَهُ
 قَلَقْتُ فِيهِ الْمُوقِرَاتِ فِي السَّرَى
 وَلَسْتُ أَنْفَكُ وَلِي مَارَبٌ
 تَحْمِلُنِي لِابْنِ النَّبِيِّ نَاقَةً
 فَإِنَّ (إِبْرَاهِيمَ) حَيْثُ يَمَمْتُ
 تَكَادُ مِنْ وَفْرِ نَوَالٍ فَخُلِّهِ
 نَفْسٌ لَهُ زَكِيَّةٌ عَارِفَةٌ
 وَتَسْتَمِدُّ الْعَارِفُونَ فَيُضَاهَا
 لَوْلَمْ [يَكُنْ] (***) فِي الْأَرْضِ مِنْ أَمْثَالِهِ
 إِذَا دَعَا اللَّهَ لِكَشْفِ حَادِثٍ
 هُوَ الشِّفَاءُ لِعُضَالٍ (***) أُمَّةٌ
 وَاتَّخَذَتْهُ الْمَسْلُوكُونَ إِنْ دَعَتْ
 مِنَ النُّجُومِ الْمَشْرِقَاتِ بِالْهُدَى
 مَا بَرَحُوا فِي الْأَرْضِ بَيْنَ خَلْقِهِ
 إِذَا دُعُوا إِلَى الْجَمِيلِ أَسْرَعُوا
 وَاقْتَحَمُوهَا عَقَبَاتِ أَزْمَةٍ
 هُمْ الْغِيُوثُ ابْتَدَرُوا نَوَالَهَا

بِحَيْثُ لَا يُهْدَى أَمْرٌ خِلَالَهَا
 حَتَّى لَقَدْ كَدْتُ أَرَى كِلَالَهَا
 أَرْجُو إِذَا أَزْمَعْتُ (*) أَنْ أَنْالَهَا
 إِنْ بُلِّغْتُهُ بُلِّغْتَ أَمَالَهَا
 كَانَ مُنَاهَا أَنْ يَكُنْ مَالَهَا
 تَطْمَعُ أَنْ يُبَلِّغَهَا مُحَالَهَا
 بِالْغَةِ بِدَرْكِهَا كَمَالَهَا
 وَتَرْجِيهَا جَاهَهَا وَمَالَهَا
 زُلْزَلَتْ الْأَرْضُ إِذَا زَلْزَلَهَا (١)
 أَهَالَهَا، أَمَّنَّهَا أَحْوَالَهَا
 يَبْرَى مِنْ أَدْوَانِهَا عُضَالَهَا
 ضَرَاعَهَا لِلَّهِ وَابْتِهَالَهَا
 الْمُدْحِضَاتِ بِالْهُدَى ضَلَالَهَا
 أَقْطَابِهَا الْأَنْجَابِ أَوْ أَبْدَالَهَا
 وَلَنْ تَرَى لِغَيْرِهِ اسْتِعْجَالَهَا
 إِلَى عَلَاً تَوَقَّلُوا جِبَالَهَا (***) (٢)
 هُمُ اللَّيُوثُ ابْتَدَرُوا نَزَالَهَا

(١) أخذه من قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها) سورة الزلزلة آية (١).

(٢) توقلوا: صدعوا.

(*) في الطبعة (١): (أرفعت) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): سقطت هذه الكلمة وأضفناها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (هو الشفاء لعضال) تركناها كما وردت ولعل صوابها (هو الشفاء من عضال).

(****) في الطبعة (١): (حبالها) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

قائِلَةٌ فاعِلَةٌ بِقَوْلِهَا
 إِنَّ قَرِيبَتْ مِنَ الْأَعَادِي قَرِيبَتْ
 هُمُ الَّذِينَ نَالُوا صِعَابَهَا
 وَحَرَمُوا مِنْ رِيِّهِمْ حَرَامَهَا
 بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ طَمَى خِضْمُهُ
 سَلَّ مَا تَشَاءُ عَنْ عَوِيصِ مُشْكَلِ
 أَيْنَ الْأَعَادِي مِنْ عَلَوْ قَدْرِهِ
 لَوْرَامٍ أَعْلَى بُغْيَةٍ يَرُومُهَا
 تُسْكِرُنَا عَذِيبَةٌ مِنْ لَفْظِهِ
 لَهُ التَّصَانِيفُ الَّتِي كَانَتْهَا
 رَقَّتْ حَوَاشِيهَا فَلَوْ قَرَأْتَهَا
 مِثْلَ السَّمَاءِ بِالسَّنَاءِ وَالسَّنَا
 كَمْ حُجَّةٍ أوردَهَا قَاطِعَةٌ

سَابِقَةٌ أفعالُها أقوالُها
 إلى الهدى هِمَّتْهُمْ أجالها
 هُمُ الَّذِينَ دُوخُوا أقيالها
 وَحَلَّلُوا بِأمره حلالها
 وَارِدُ كُلِّ وَارِدٍ نوالها
 فَإِنَّهُ لَمَوْضِعٌ إِشْكالها
 إِنَّ طاولته في المَعالي طالها
 وَلَوْ غَدَتْ مِثْلَ النُّجُومِ، نالها
 إِذَا أَدَارَ لَفْظُهُ جريالها
 تروِي بِحُسْنِ صَبِّها جَمالها
 عَلَى الغُصُونِ مَرَّةً أَمالها
 قَدْ طَلَعَتْ خِلالَهُ خِلالها
 وَحِكْمَةٌ فِي كَلِمَاتٍ قالها

(٢٣)

(١) هو السيد عبدالرحمن المحض بن علي بن سليمان القادري الكيلاني، نقيب أشراف بغداد ولد ببغداد سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م ونشأ في بيت المجد والفضل، ودرس على أجلة علماء بغداد، وولي النقابة بعد أبيه سنة ١٣١٥هـ. وهو أول رئيس للوزارة العراقية بعد ثورة العشرين ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م. وكان مرشحاً لعرش العراق. واستقال بعد تولي الملك فيصل الأول ابن الحسين عرش العراق سنة ١٩٢١م، ثم أُلِّفَ الوزارة مرة ثانية وثالثة. وكان رجلاً فاضلاً محباً للخير. له كتاب (الفتح المبين في الرد على ترياق المحبين) مطبوع، ورسالة في الأدب، وكانت له مكتبة حافلة بأمهات المصادر الجلية في الفقه والأدب والتاريخ أوقفها على المكتبة القادرية. وكان الشعراء يقصدونه، ويقيمون في داره أياماً لينشدوا القصائد في مدحة في الأعياد والمناسبات، وكان يجزل لهم العطاء، منهم الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي والد الشيخ محمد علي اليعقوبي ومنهم الشيخ محمد القزويني والشاعر حسين القيم الحلبي والسيد إبراهيم الطباطبائي والسيد حيدر الحلبي مدحه بعدة قصائد قال في بعضها:

بنورك لا بالنيررات الثواقب
 أضاء حمى الزوراء من كل جانب
 طلعت طلع البدر فيها فلم تدع
 على الأرض فخرًا للسما في الكواكب
 =

هَلْ عَرَفْتَ الدِّيارَ مِنْ آلِ نُعَمَى
تُنْكِرُ العَيْنُ بَعْدَ مَعْرِفَةٍ مِنْ
فَسَقَى الأَرْسَمَ الدَّوَارِسَ دَمْعُ
قَدْ ذَكَرْنَا بِهَا العُصُورَ الخِوَالِي
ووقوفي على المنازل ممّا
وأذاعتُ سرَّ الهوى عَبرَاتُ
يومِ هاجتُ بالإدكارِ قلوباً
أين أيامنا وتلك التّصابي
يا ابنِ وديّ إنَّ المودَّةَ عندي
أفتروى وما تبلُّ غليلاً
سَلَبْتُ صِحَّتِي مِراضُ جَفُونِ
حَكَمْتُ بِالهوى على دَنفِ القلْبِ
وبنفسِي عدلُ القَوامِ ظِلومُ
لا تَلْمُنِي على هِواهِ فلا أسد
ظَعَنَ الظَّاعِنُونَ فاستمطرَ الدم
أعدُّ النُّفْسَ مِنْهُمُ بالأمانِي
أنصِفونا من هجركم بوصولِ
وَهَبُوا النُّومَ أَنْ يَمُرَّ بِجفني

وَمَحَلًّا عَفَا لِبَيْنِ أَلَمَّا
ها طلولاً كأنّما كنَّ رَقَمًا
لم يَغادرُ مِنْ أرسَمِ الدارِ رَسَمًا
عَهْدَ هِنْدٍ ودارِ سَعْدِي وسَلْمِي
خَضَبَ الطَّرْفِ بِالنَّجِيعِ وَأُدْمِي
هي لا تَسْتَطِيعُ لِلحَبِّ كَتْمًا
أَصْبَحْتُ مِنْ صِوارِمِ البينِ كَلْمِي (١)
صَرَمَتْها أَيْدِي الحِوَادِثِ صَرَمًا
أَنْ أَرانِي أُرْمِي بِما أَنْتِ تُرْمِي
مُهَجُّ يا (هُذَيْمٌ) بِالجِدِّ تَظْمًا
ما كَسَتْنِي إِلاَّ غِرامًا وَسُقْمًا
بِ وَأَمْضَتُ على المُتَيْمِ حُكْمًا
ما اتَّقَى اللَهَ في دَمٍ طُلَّ ظِلْمًا
مَعُ عَدَلًا ولا أَعِي مِنْكَ لَوْمًا
عَ فَوادِي سَحًّا عَلَيْهِمُ وَسَجْمًا
وأعدُّ الأيَّامَ يَوْمًا فَيَوْمًا
أنا راضٍ مِنْكُمْ بِحَتِّي وَلَمَّا
فلعلَّ الخيالَ يَطْرُقُ نوما

فيا ابن المزايا القادرية أعجزت

مزايك في تعدادها كل حاسب

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ودفن في حجرة خاصة بالحضرة القادرية ببغداد. أخباره في ديوان السيد
حيدر الحلي ٢ / ١٨ - ١٩ و ٣٦ وديوان يعقوب الحاج جعفر ص ٦٤ وديوان حسين القيم ٤٠ والروض الأزهر ٢٨٧
ولب الألباب ٢ / ١٣٣ وعنوان المجد ٨٨ وديوان الطباطبائي ٢٢٨ والبغداديون ٩ - ١٠ والأعلام ٤ / ٩٢.

(١) كلمي: جرحي.

رَبِّ لَيْلٍ فَطَعَّتْهُ بِمَلِيحٍ
وَإِذَا وَسَّوَسَتْ شَيَاطِينٌ هَمٌّ
فَكَأَنَّ الْهَلَالَ نَصْفُ سِوَارٍ
بِتُّ حَتَّى تَبَلَّجَ (*) الصُّبْحُ مِنْهُ
ذَاكَ عَيْشٌ مَضَى وَلَهُوَ تَقْضَى
ذَقْتُ طَعْمَ الْحَيَاةِ حُلُوًّا وَمُرًّا
وَتَحَنَّنْتُ بِاللُّجَارِ حَتَّى
قَد تَقَلَّبْتُ فِي الْبِلَادِ طَوِيلًا
لَمْ يَطِشْ لِي سَهْمٌ إِذَا أَنَا سَدُّ
لِي بِأَلِ النَّبِيِّ كُلُّ قَصِيدٍ
حُجَّجٌ تَفَحُّمُ الْمَجَادِلِ فِيهَا
وَإِذَا عَانَدَ الْمُعَانِدُ يَوْمًا
سَرَّنِي فِي الْأَشْرَافِ نَجْلُ (عَلِيٍّ)
عَلَوِيٌّ يُرِيكَ وَجْهًا حَيِيًّا
نَاشِئٌ بِالتُّقَى عَلَى صَهَوَاتِ الدِّ
طَائِعٌ خَاشِعٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ
بِأَبِي النَّسَاسِكِ الْأَبِيِّ فَلَا يَحِدُ
كَمْ رَمَى فِكْرَهُ دَقِيقَ الْمَعَانِي
لَا تَرَى فِي الْأُنْجَابِ أَثْقَبَ زَنْدًا
عَنْصَرٌ طَيِّبٌ وَأَصْلٌ كَرِيمٌ
سَادَةٌ أَشْرَفُ الْأَنْامِ نِجَارًا

أَشْهَدُ الْبَدْرَ مِنْ مُحْيَاهِ تَمًّا
رَجَمَتْهَا شُهْبُ الْمُدَامَةِ رَجْمًا
وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا قَرَطُ أَسْمَا (١)
أَرَشَفُ الرَّاحَ مِنْ مَرَاشِفِ الْأَمَى
أَبْدَلَ الْجَهْلَ بِالتَّصَرُّمِ حِلْمًا
وَبَلَوْتُ الزَّمَانَ حَرْبًا وَسَلْمًا
كَشَفْتُ لِي عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مَعْمَى
وَقَتَلْتُ الْخَطُوبَ عَزْمًا وَحَزْمًا
تُ إِلَى غَايَةِ الْمَطَالِبِ سَهْمًا
أَسْمَعْتُ بِالْفَخَارِ حَتَّى الْأَصْمَا
وَتَرَدُّ الْحَسَادِ صُمًّا وَيُكْمًا
أَرْغَمْتُ أَنْفَ مَنْ يُعَانِدُ رَغْمًا
وَهُوَ (عَبْدُ الرَّحْمَنِ) فَضْلًا وَفَهْمًا
وَفَوْادًا شَهْمًا وَأَنْفًا أَشْمًا
خَيْلَ عِزًّا وَفِي الْمَدَارِسِ عِلْمًا
يَنْقُضِي دَهْرَهُ صَلَاةً وَصَوْمًا
مِلُّ وَزْرًا وَلَا يُحْمَلُ ضَيْمًا
فَأَصَابَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ وَأَصْمَى
مِنْهُ فِي صَحْبِهِ وَأَبْعَدَ مَرْمَى
وَجَمِيلٌ قَدْ خَصَّ مِنْهُمْ وَعَمًّا
ثُمَّ أَذْكَى أَبَا وَأَطْهَرُ أَمَّا

(١) اسما: مقصور أسماء.

(*) في الطبعة (١): (انبلج) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

شَرَّفَ اللهُ ذَاتَهُمْ وَأَجْتَبَاهُمْ
لَا يَزَالُونَ يَرْفَعُونَ بَيْوتاً
تَسْتَخِفُّ الْجِبَالَ مِنْهُمْ حُلُومٌ
وَإِذَا اعْتَلَّتِ الْعِلَاءُ بِدَاءٍ
وَعَلَى سَائِرِ الْبَرِيَّةِ فَضْلاً
قَسَمُوا الْعُمُرَ لِلْعِبَادَةِ قِسْماً
شَرَبُوا خَمْرَةَ الْمَحَبَّةِ فِي اللهِ
وَسَرَّتْ مِنْ وَجُوهِمْ نَفْحَاتٌ
تَنْجَلِي فِيهِمُ الْكَرُوبُ إِذَا مَا
مَا تَجَلَّتْ وَجُوهُهُمْ قَطُّ إِلَّا
هِمَمٌ فِي بَنِي النَّبِيِّ كَفَفْتُنَا
يَا ابْنَ مَنْ لَا تَشِيرُ إِلَّا إِلَيْهِ
يَا عَلِيَّ الْجَنَابِ وَابْنَ (عَلِيٍّ)
رَضِيَ اللهُ عَنْكُمْ مِنْ أَنْسَابِ
أَوْجَبَتْ مَدْحَكُمْ عَلِيٌّ أَيَادٍ
أَبْتَغِي الْفَوْزَ بِالتَّنَائِ عَالِيكُمْ
حَيْثُ أَمْحُو وَزراً وَأَثَبْتُ أَجْراً
وَالْقَوَافِي لَوْلَا جَزِيلُ عَطَايَا
قَدْ تَحَلَّتْ بِكُمْ فَكُنْتُمْ حُلَاهَا
وَالِيكُمْ غُرُّ الْمَنَاقِبِ تُعْزَى
مَا اسْتَطَاعَ الْإِنْكَارَ مِنْهُنَّ شَيْئاً

وَاصْطَفَاهُمْ عَلَى الْبَرِيَّةِ قَوْمًا
لِلْمَعَالِي لَا تَقْبَلُ الدَّهْرَ هَدْمًا
طَالَمَا اسْتَنْزَلَتْ مِنَ الشَّمْسِ عَصْمًا
حَسَمُوا دَاءَهَا عَلَى الْفُورِ حَسْمًا
سَالَ سَيْلُ النُّوَالِ مِنْهُمْ فَطَمًّا
مَنْذُ عَاشُوا وَلِلْمَكَارِمِ قِسْمًا
وَفَضُّوا عَنْهَا مِنَ الْمِسْكِ خْتَمًا^(١)
كَنَّ رُوحَ الْوُجُودِ إِنْ كَانَ جِسْمًا
لُحْنٌ غُبْرًا أُنَى يَلْحَنُ وَقَتْمًا
وَجَلَّتْ لَيْلَ خَطْبِهَا الْمُدْلَهَمًا
مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ مَا قَدْ أَهَمَّا
أَنْمُلُ الْعِزِّ إِنْ أَشَارَ وَأُومَى
طَابَقَ الْإِسْمُ بِالصِّفَاتِ الْمُسَمَّى
شَيَّدُوا لِلْعُلَا مَنَارًا وَإِسْمًا
فِي زَمَانٍ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُذَمَّا
وَأَرَاهُ فِي مَا أَحَاوَلُ غُنْمًا
فَائِزًا بِالْمُنَى وَأَمْحَقَ إِثْمًا
كَشَكَّتْنَا بِفَقْدِهَا الْأَهْلَ يُتَمَّا
وَحَلَّتْ فِي الْأَذْوَاقِ نَثْرًا وَنَظْمًا
وَالِيكُمْ جُلُّ الْمَكَارِمِ تُنْمَى
حَاسِدٌ عَنْ مَحَاسِنِ الصُّبْحِ أَعْمَى

(١) هذا البيت لم يرد في نسخة (أ) وفي نسخة (ب) والمطبوع ورد عجزه: (وفضوا عليها المسك ختما). كذا. والصواب ما أثبتناه.

فَخَارُ الْمُلُوكِ بِأَعْوَانِهَا
 وَمَا ثَبَّتَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ
 أَلَسْتَ تَرَى دَوْلَةَ الْمُسْلِمِينَ
 وَمَا رَفَعَ اللَّهُ مِنْ قَدْرِهَا
 وَمَا بَلَغَتْ فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ
 فَدَانَ الْأَنْبَاءُ إِلَى حَكْمِهَا
 فَكَانَ الْفَتْوحُ عَلَى عَهْدِهَا
 فَيَا لِكَ مِنْ دَوْلَةٍ أُسِّسَتْ
 بِمَا شَرَعَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ
 وَمَا جَاءَنَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ
 وَخَيْرُ الْبِلَادِ بِعُمَرَانِهَا [١]
 بِغَيْرِ عَدَالَةٍ سُلْطَانِهَا
 وَمَا كَانَ مِنْ (أَلِ عَثْمَانِهَا)
 وَمَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ شَأْنِهَا
 تُضَافُ لِقُوَّةِ إِيْمَانِهَا
 وَلَا حُكْمَ إِلَّا بِقُرْآنِهَا
 وَسَعَدَ الْبِلَادِ بِأَزْمَانِهَا
 قَوَاعِدُ أَرْكَانِ بَنِيَانِهَا
 وَأَبْطَلَ سَائِرَ أَدِيَانِهَا

[١] الوزير محمد نامق باشا الكبير، من أهل قونية، ورد استانبول صغيراً، وانخرط في سلك العسكرية وتقلب في مناصب الجيش منذ سنة ١٢٤١هـ / ١٨٣٤م حتى نال منصب سر عسكر وفي سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م نال منصب المشير لبغداد والحجاز. ثم نقل في سنة ١٢٦٩هـ إلى مشير المدفعية في استانبول ومنصب سر عسكر. وفي ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م عاد والياً على بغداد ثانية ومشيراً للعراق والحجاز. ومنح الوسام المرصع سنة ١٢٨١هـ ثم نقل إلى الأستانة بمنصب سر عسكر سنة ١٢٨٤هـ ثم أصبح ياور أكرم (المرافق الأقدم) ودعي بشيخ الوزراء. وقد عمر طويلاً وكان مستقيماً عادلاً قوياً متصلباً في رأيه، ونظم الأمور المالية تنظيماً حسناً، وكان في شبابه من المتفرنجين إلا أنه مال إلى مشايخ الطرق الصوفية وسلك الطريقة. ومن أعماله إنشاء بلدة العمارة حيث أنشأ فيها معسكراً يعرف بـ (الأوردي) وعين لها متصرفاً هو عبدالقادر بك الكولند. وكان قد نفى بعض الأشرار والمفسدين من بغداد إلى البصرة. وزار البصرة في ١٢ شعبان سنة ١٢٧٨هـ. ومعه السيد علي النقيب القادري ومكث فيها بضعة أيام. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم أحمد عزة الفاروقي والشايخ أحمد قفطان النجفي وعبدالباقي العمري بقوله من قصيدة:

من جانب الشام ذر ببارق طبق في صوته المشارق
 يبرق في لمعه فخلنا من أبرق الفرد لاح بارق

وكان يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية إلى جانب لغته التركية وهو شجاع مستقيم، توفي في ٢٢ صفر سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م. وهو الذي أعاد بناء مسجد الجنيد ببغداد سنة ١٢٦٩هـ قبل نقله من بغداد. أخباره في نشوة المدام ٤٩ وعنوان المجد ١٦٧ والترياق الفاروقي ٢٨٤ وديوان أحمد ٣ / ١٠١ ودليل خارطة بغداد ٢٩٢ وتاريخ مساجد بغداد وآثارها ١٢٣.

(*) في الطبعة (١): كل هذه العبارة ساقطة وواضح من سياق القصيدة أنها في مدح الوزير محمد نامق باشا الكبير والي بغداد ومشير العراق والحجاز.

إلى عهد أيام عبد العزيز^(١)
فولّى الأمور لأربابها
فنعّم الرجال ونعم الكمال
فلم تَرِ يوماً كآرائها
صناديد أبطالها في الوغى
وقد صدّقته بما عاهدت
ومن نعمة شكرت للمليك
أحال (العراق) إلى (نامق)
فذلّل منها صعاب الأمور
إذا افتخرت دولة بالرجال
فمن فخر دولتنا (نامق)
وما زال نائله منهلأ
أباد الطغاة وأفنى العصاة
وألبس (بغداد) تاج الفخار
فكانت إليه أحب الديار
ومكّنه الله من عزة
فلاحت عليه سطور الهنا
وكم فتنة أوقدت قبله
أحلّ رعيته في أمان
وكلّ له منه ما يستحق
لدولته صارم باتر
وحزب من الله في عونها
ومنذ تولّى أمور (العراق)

وقام الدليل ببرهانها
مجدد أحكام إتقانها
وأهدى السيوف لأجفانها
بأفكارها وبأذهانها
ولا للحروب كشجعانها
وأبطال أقيال فرسانها
عليه العلا جهد إيمانها
وقد أوجبت حق شكرانها
ليصلح ما شان من شانها
وقاد المعالي بأرسانها
وباهت محاسن أقرانها
بحسن المزايا وإحسانها
لصادي الحشاشة ظمّانها
ودمرها بعد عصيانها
وقرب أشراف قطنانها
وحب الديار لسكّانها
من الأمن غاية إمكانها
قرأنا السرور بعنوانها
فكان الخمود لنيرانها
أقرّ الجميع بأوطانها
بوزن الرجال ورجحانها
يبت الخطوب بأيمانها^(٢)
وذلك أكبر أعوانها

(١) هو عبدالعزيز خان السلطان العثماني ستاتي ترجمته.

(٢) في الأصول: بيت (كذا).

أراح البلادَ وسرَّ العبادَ
وفي (البصرة) الآن سعدُ السُّعودِ
أميرٌ عليها رؤوفٌ بها
محبَّبتهُ مُزجتُ بالقلوبِ
تريكَ فصاحةً أفاظه
وإنَّ البلاغةَ حيثُ أنتمتَ
وتعرفُ من لفظه حكمةً
عقولُ الرجالِ بأقلامها
كأنَّ ترسُّلهُ خمرةً

وكفَّ يديَّ ظلمَ عدوانها
وكان جلاءً لأحزانها
يلوحُ لها من (سليمانها)^(١)
حريصٌ على جلبِ أعيانها
مزاجَ النفوسِ بجثمانها
مجانِي فصاحةٍ (سحبانها)^(٢)
إليه (قلائدُ عقيانها)^(٣)
تفسرُ حكمةً (لقمانها)^(٤)
وفضلُ العقولِ بعرفانها

(١) هو سليمان فائق بك بن الحاج طالب آغا (كتخدا بغداد) من الماليك. ولد ببغداد سنة ١٢٢٢هـ / ١٨١٦م ودرس على علمائها وتقدم في الوظائف حتى نال وظيفة رئاسة ديوان الإنشاء في ولاية ديار بكر، ثم انتقل إلى بغداد، واشتغل في الحسابات العسكرية في أيام الوالي محمد نجيب باشا والوالي محمد نامق باشا، بعد علي رضا باشا اللاظ، كما عمل مع مدحت باشا، وكان من مؤازريه. وعين محاسباً في البصرة، ثم محافظاً لها، وكان له دور بارز في إنشاء مدينة الناصرية، وبعد عزل مدحت باشا، سافر إلى الأستانة واصطحب معه ولده محمود شوكة وأدخله المدرسة العسكرية، وبقي في الأستانة إلى أن نفي إلى جزيرة رودس، ثم أطلق سراحه وعاد إلى بغداد. وكان بينه مؤثلاً للعلماء والأدباء وأرباب الفضل من أعيان الناس، وقد أنجب أولاداً كثيرين، مات أغلبهم في حياته، ومن أشهر أبنائه محمود شوكت باشا الذي خلع السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٨م ومراد بك وخالد بك وكامل بك وحكمت بك الذي تولى رئاسة الوزارة العراقية في انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦م وهو أصغر أولاده. كان سليمان فائق رجلاً عاقلاً فاضلاً محباً للخير. قال عنه أبوالتثاء: «ما صحب ذا عقل من الوزراء إلا كان مقدم حزبه. والمستولي على سمعه وبصره وقلبه. كل ذلك لعلو همته ومزيد صدقه في خدمته. وله محبة للسادة الصوفية ونسبة للطريقة النقشبندية». وكان شاعراً ناثراً ومؤرخاً فاضلاً له عدة مؤلفات منها (تاريخ الكولند في العراق) و(مرآة الزوراء) - تاريخ بغداد - (وتاريخ المنتفق) مطبوعة و(المكاتيب المقدسة) مخطوط و(حروب الإيرانيين في العراق) مخطوط. توفي في بغداد يوم ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ هـ ودفن في المسجد الذي عمره والده قرب بناية أمانة العاصمة ملاصقاً لعمارة المرحوم قاسم محمد الرجب. وقد مدحه كثير من الشعراء وأرخ وفاته محمد سعيد التميمي بقوله من قصيدة:

ذلك الذي فاق إيماناً ومعرفةً
حتى تشوقه في الخلد رضوان
قد غاب واحدها نادى مؤرخه
قد حل في رحمة الباربي سليمان

أخباره في غرائب الاعتراق ٤٤ - ٤٦ ومجموعة عبدالغفار الأخرس ١ - ١٣١١ / ١٣١٥ وتاريخ الماليك (الكولند) ٣ - ٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٦ / ٧ ومباحث عراقية ق / ٨٥ والبغداديون ٧٠ - ٧١.

(٢) هو سحبان وائل من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة.

(٣) إشارة إلى كتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان للفتح بن خاقان الإشبيلي الوزير المقتول سنة ٥٢٨هـ - هدية العارفين ١ / ٨١٤.

(٤) لقمان الحكيم: اختلف العلماء فيه، فقالوا نبي وقالوا رجل حكيم، وفي القرآن الكريم سورة باسمه.

وَيَبْغَتْ إِمْلَاؤُهُ نَشْوَةً
 وَإِنَّ الْقَوَافِي لَدَى فَضْلِهِ
 فَمَنْ تَمَّ يَقْطِفُ نُوَارَهَا
 وَفِي (البصرة) الْفَصْلُ فِي حِكْمِهِ
 وَلَمَّا أَرَادَ بِهَا أَنْ تَكُونَ
 تَسَبَّبَ فِي حَفْرِ أَنْهَارِهَا
 وَعَادَتْ هُنَاكَ مَاءٌ طَهُورًا
 وَكَانَتْ لِعَمْرِكَ فِي مَا مَضَى
 عَسَى أَنْ تَكُونَ لِسُلْطَانِهَا
 إِلَيْهَا بِرَأْفَتِهِ لِفْتَةً
 تَطُوفُ النَّوَادِرُ فِي حَانِهَا
 فَيُهْدِي السُّرُورَ لِنَشْوَانِهَا
 تُبَاعُ بِأَنْفَسِ أَثْمَانِهَا
 وَيَجْنِي أَزَاهِيرَ بَسْتَانِهَا
 لِعَهْدِ الْمَسْرَةِ إِبَانِهَا
 كَرُوحِ الْجِنَانِ وَرِيحَانِهَا
 وَمَنْعِ خَبَائِثِ جِيرَانِهَا
 وَعَذَابِ فُرَاتٍ لِعَطْشَانِهَا
 تُشَابُّ بِأَقْذَارِ أَدْرَانِهَا
 مَلِيكَ الْمُلُوكِ وَخَاقَانِهَا

(٢٥)

قال يمدح عثمان سيفي أفندي^(١) رئيس كتاب بغداد لدى الوالي علي رضا باشا

فَوَادُ كَطَرْفِكَ أَمْسَى عَلِيلاً
 وَأَضْنَاهُ حُبُّكَ حَتَّى اغْتَدَى
 وَجِسْمٌ كَخَصْرِكَ يَشْكُو النُّحُولَا
 كَمَا تَبْصِرِينَ ضَعِيفاً نَحِيلاً

(١) عثمان سيفي بك، كان محصل ضرائب في كوتاهية بالأناضول، وقدم بغداد بمعية الوزير علي رضا اللاط، وكان من أعوانه وأركان حكمه، فعينه رئيس كتاب ديوان الإنشاء، وكان أديباً بارعاً بالعربية والتركية. وله ترجمة لقصيدة الشاعر عبد الباقي العمري في مدح السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤هـ. وقد أجرى تعبيرات في جامع الشيخ عمر السهروردي. وكانت له صلوات مودة مع علماء بغداد وشعرائها وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبد الباقي العمري والشيخ صالح التميمي مدحه بقصائد روائع قال في بعضها:

أحيا وجودك فينا العلم والأدبا
 فشكر معروف ما أوليت قد وجبا
 أظهرت معجزة لو يدعي أحد
 بها النبوة في الآداب ما كذبا

توفي سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م. أخباره في الترياق الفاروقي ص ١٩٤ ص ٢٢٧ وديوان التميمي ١٧ و ٦٨ و ٨٥ ومراة الزوراء ٨٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧ / ٥٦.

فَرَفِقاً بِهِ إِنَّهُ فِي هَوَاكَ
يَبِيْتُ بِطَرْفِ كَثِيرِ السُّهَادِ
وَشَوْقَهُ الْبَرْقُ جَنَحَ الدُّجَى
فَأَصْبَحَ يَشْكُو حَرِيقَ الْفَوَادِ
وَتَسْكُرَنِي نَسَمَاتُ الشُّمَالِ
وَكَمْ شَرِبَ الصَّبُّ مِنْ عَبْرَةٍ
فَمَا بَلَّ فِيهَا غَلِيلَ الْحِشَا
قَتَلْتُمْ أَحَبَّتْنَا الْمُسْتَهَامَ
وَرَوَّضْتُمَا رَوْضَ هَذَا الْهَوَى
وَلَمَّا أَخَذْتُمْ بِتَرْحَالِكُمْ
غَدَاةً اسْتَقَلْتُمْ حُدَاةَ الظُّعُونِ
فَهَلَّا بَعَثْتُمْ إِلَيْنَا النَّسِيمَ
بَخَلْتُمْ بِطَيْفٍ يَزُورُ الْمُجِبَّ
سَدَدْتُمْ سَبِيلَ خِيَالِ الْكُرَى
قَفَا يَا خَلِيلِي دُونَ (الغوير)
لِنَقْضِي حَقَّ دِيَارٍ عَفَّتْ
وَكَانَتْ بُرُوجاً لِتِلْكَ الْبَدُورِ
فِيَا دَارِنَا لَا عَدَاكَ الْحَيَا
لِعَيْنِيكَ قَدْ ذَلَّ أَخْتُ الْمَهَا
إِلَى كَمْ أَدَارِي وَأَرْضِي الْوُشَاةَ
لَقَدْ لَامَنِي فِي هَوَاكَ الْعَدُولُ
فَظَلَّ الْعَدُولُ ضَلَالاً بَعِيداً
إِذَا الْمَرءُ ضَلَّ سَبِيلَ الْغِنَى

على حالة في الهوى لن تحولا
فلم يذق الغمض إلا قليلا
ونذب الحمامة ليلاً هديلا
ويقذف من مقلتيه سيولا
فأغدو كأي سقيت الشمولا
بذكر الأحبة دهرأ طويلا
وكيف تبل الدموع الغليلا
وكم راح مثل المعنى قتيلا
وربع التصبر أمسى محيلا
أخذتم فؤادي أخذاً وبيلا^(١)
تجوب المهامة ميلاً فميلا
فكان النسيم إلينا رسولا
وما كنت أعهد فيكم بخيلا
فما وجد الطيف نحوي سبيلا
ولا يترك الخليل الخليلا
ونبكي الديار فنسقي الطلولا
فيا ليبتها لم تلاق الأفولا
وجرت عليك الغواذي ذيولا
فهان وكان عزيزاً جليلا
وأسمع في الحب قالاً وقبيلا
وألقي على السمع قولاً ثقيلا^(٢)
وحاول أمراً غداً مستحيلا
فأنوار عثمان تهدي السبيلا

(١) أخذه من قوله تعالى (فعضى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا) سورة المزمل، الآية ١٦.

(٢) أخذه من قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) سورة المزمل الآية (٥).

إلى بذلِ نائلِهِ المُستفادِ
 متى أنكرتَ فضلَهُ الحاسدونَ
 وإن حلَّ نائلُهُ موطننا
 سريعُ الإجابةِ سُؤالَهُ
 نما فرعهُ إذ زكا أصلُهُ
 وفيه نمتُ روضةُ المكرماتِ
 وقد رفعَ الفضلَ بعدَ الخمولِ
 وجدَّ فنالَ بما قد سعى
 ولمْ لا ينالُ العُلا ماجدُ
 ولما استظلَّ به الخائفونَ
 أخو البأسِ يمنعُ صرْفَ الزمانِ
 يُنبئُ وإن لأمه اللائمونَ
 تعشقتُ علويَّ فضلِ العلومِ
 لقد جئتُ في معجزاتِ الكمالِ
 وحيرتُ فيها فهمَ الرجالِ
 عزائمك الكاشفاتُ الكروبِ
 ولله من هممٍ في علاك
 فلورمتُ قلْعَ الرواسي بها
 وأفنتُ يمينك جَمعَ الحُطامِ
 وأبقيتُ في الدهرِ ذكراً حميداً
 بِخَطِّكَ صَيَّرتَ طرفَ العُلا
 أتى بِقَوافِ إليك العُبيدُ
 أجزني عليها الرضا بالقبولِ

نؤمُّ إليه قَبِيلاً قَبِيلاً
 أقامتُ عليه المَعالي دليلاً
 ينادي الهنا بالعناءِ الرَحِيلاً
 وما زال في كلِّ خيرٍ عَجولاً
 فطابَ فروعاً وطابَ أصولاً
 ولم يِرَ عودُ الأمانِي دُبولاً
 فلا شَهدَ الفضلُ فيه الخُمولاً
 مَقاماً علياً ومَجداً أثيلاً
 يمدُّ إلى المجدِ باعاً طويلاً
 رأوه لذلِكَ ظللاً ظليلاً
 ويعطي المقلَّ عطاءً جزيلاً
 ومن يمنعُ الغيِّتَ أن لا يُنيلاً
 فما تَبَتَّغي بالمعالي بديلاً
 وها أنت تُعي بهنَّ الفُحولاً
 فأبَهتَ في ما أتيت العُقولاً
 تكادُ الجبالُ بها أن تزولا^(١)
 تعيدُ الحُزونَ سريعاً سهولاً
 أعدتُ الرواسي كثيباً مهيلاً^(٢)
 لكي تَسْتَحِقَّ الثناءَ الجميلاً
 تذاكرهُ الناسُ جيلاً فجيلاً
 كحِيلاً وخَدَّ الأمانِي أسِيلاً
 تجولُ بمدحك عرضاً وطولاً
 فأقصَى المني أن أنالَ القَبولاً

(١) أخذه من قوله تعالى (.. وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) سورة إبراهيم، الآية (٤٦).

(٢) أخذه من قوله تعالى (.. وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) سورة المزمل الآية (١٤).

طَرْفُ يِرَاعِي النَّجْمَ وَهُوَ مَوْرِقٌ
 وَمَعَ الَّذِينَ أَوْدَهُمْ لِي فِي الدُّجَى
 إِنِّي لِأَذْكُرُهُمْ عَلَى شَحَطِ النَّوَى
 يَا سَعْدُ قَدْ أَلْفَ السُّهَادَ مَتِيماً
 مَاذَا تَقُولُ وَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْكَرَى
 أَمْ هَلْ يَعُودُ لَنَا الزَّمَانُ بِمَا مَضَى
 أَيَّامَ نَرْفُلُ بِالشَّبَابِ وَعَيْشُنَا
 وَهَاءَ لَعَيْشِكَ بَيْنَ أَكْنَافِ الْحِمَى
 فِي مَنْزِلٍ نَشَأْتُ بِهِ زَهْرَ الرِّبَا
 وَالْوَرِقُ تَطْرِبُنَا بِسَجْعِ لُحُونِهَا
 أَمْأَ خَمَائِلُهُ وَأَيُّ خَمَائِلٍ
 كَشَفَ الرَّبِيعُ لَنَا مَخَايِلَ وَجْهِهِ
 فَرِيَاضُنَا زَهْرُ النُّجُومِ وَكَأْسُنَا
 بَرَزَتْ بِنُورِ الشَّقِيقِ فَلَمْ يَزَلْ
 فَكَأَنَّ كَأْسَ الرَّاحِ بَرِقَ لَامِعٌ
 وَمُهَفَّفَهُفِ الْأَعْطَافِ تَحْسَبُ أَنَّهُ

وَجَوَى تَكَادُ بِهِ الْجَوَانِحُ تُحْرَقُ^(٢)
 عَتَبَ يِرِقٌ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقَّرِقُ
 فَتَظَلُّ عَيْنِي بِالمَدَامِ تَشْرَقُ
 دَامِي الحَشَاشَةَ مُسْتَهَامٌ شَيِّقُ
 أُيْرَاجِ الْأَجْفَانِ وَهُوَ مَطْلُقُ
 مِنْ لَهْوِهِ وَالْعُودُ غَضٌّ مُورِقُ
 فِي مَا تُسَرُّ بِهِ النُّفُوسُ مُنَمَّقُ
 وَأَحِبَّةٌ ب (الْجَزْعِ) لَمْ يَتَفَرَّقُوا
 وَسَقَاهُ رِيْقَتَهُ السَّحَابُ الْمُغْدِقُ
 وَالْبَانُ يِرْقَصُ تَارَةً وَيُصَفِّقُ
 فَالْسُّنْدُسُ الْمُخْضَرُّ وَالْإِسْتَبْرِقُ
 فِيهَا وَطَابَ صَبُوحُنَا وَالْمَغْبِقُ
 يَسْعَى بِهَا سَاقٍ أَعْنُ مُقْرَطِقُ
 بَدْرُ الدُّجْنَةِ عِنْدَهَا يَتَشَقِّقُ^(٣)
 وَكَأَنَّ جَنَحَ اللَّيْلِ غَيْمٌ مُطْبِقُ
 قَمَرٌ بَدْرِيٌّ النُّجُومُ مُنْطَقُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (المنصوري).

(٣) الشقيق والشقيقة، جمعه شقائق، وهو نبات له زهر أحمر، سمي بذلك على التشبيه بشقيقة البرق لحرته، وأضيف إلى النعمان بن المنذر، لأنه حمى أرضاً فكثر فيها الشقيق، وسمي شقائق النعمان، والنعمان من أسماء الدم، فسميت هذه الزهرة بحمرة الدم وأضيفت إليه فقالوا: شقائق النعمان، انظر لسان العرب مادة (شقق) ويديع ذلك الجنس في البيت بين الشقيق ويتشقق.

يرنو إليك بمقليةٍ سحارةٍ
 أرايتَ ما فعلتَ نواظرُ شادنٍ
 يا أيها الرِّشَاءُ الذي أَلْحَاظُهُ
 قلبي أسيرٌ في هوكِ مُعَذِّبٍ
 ولقد أَرَقْتُ لكَ الدَّمُوعَ بِأَسْرَهَا
 هلاً رجعتَ إلى وصالِ مُتَمِّمٍ
 فامننْ عليَّ بقبلةٍ تسخوبها
 هيهات فاتت بعد فائتة الصِّبَا
 ذهبَتْ ولم تذهبْ عليها حسرةٌ
 وَعَفَتْ منازلٌ للهوى ومَعَالِمُ
 أَعْدِ الحديثَ عن الديارِ وقلْ لنا
 لا جازَ أرضكِ يا منازلُ مُرْعِدُ
 واعشوشبَتْ منكِ البقاعُ وأينعتْ
 أني تَغَيَّرَتِ البلادُ وأهلُها
 وتَبَدَّلَتْ تلكَ الوجوهُ بغيرها
 نَعِمَ الذينَ شقيتُ من أدبي بهم
 هذي هي الدنيا كما تريانها
 فصبرتُ فيها والخطوبُ مُتَاحَةٌ
 حتَّى رأيتُ النائباتِ تقولُ لي
 ومُدَّ أمتدحتُ (أبا الجميل) فلا يدي
 حَمَلَتْ مَنَاقِبَهُ الرُّوَاةُ بِأَسْرَهَا
 من مُبْلِغِ الشُّعْرَاءِ عَنِّي أَنَّنِي
 وسِوَايَ فِي الشُّعْرَاءِ عَن ممدوحِهِ

تهوى ملاحَتَها القلوبُ وتشفقُ
 لم يلتفتْ لدمٍ يُطَلُّ وَيُهْرَقُ
 ترمي بأسنهمها القلوبَ وترشِقُ
 فأنا المُقَيِّدُ في هوكِ المُطَلِّقِ
 شوقاً فما لك لا تَرِقُ وتَرْفُقُ
 شبَّ الغرامُ وشابَ فيه المَفْرِقُ
 كرمًا كما يَتَصَدَّقُ المُتَصَدِّقُ
 لذاتنا اللاتي لها أَتَشَوَّقُ
 في كلِّ يومٍ تَسْتَجِدُّ وتَخْلُقُ
 كان الزَّمَانُ بها عليه رَوِّقُ
 بأبيك ما فعلَ (الحمي) و(الأبرق)
 من عارضٍ يسقي ثراكٍ ومُبْرِقِ
 منك الأزاهيرُ التي تَتَأَنَّقُ
 وأتى عليها الدهرُ وهو مُفَرِّقُ
 غَرِبَتْ بدورُ ما هُنَالِكَ تُشْرِقُ
 في ما لقيتُ فما نَعِمْتُ ولا شَقُوا
 حَرِمَ اللبیبُ بها وفازَ الأحمقُ
 لا ضاجرٌ منها ولا أنا مُشْفِقُ
 عَجَباً لَصَبْرِكَ كيف لا يتمزقُ
 صفرٌ ولا أنا من نداءِ مُمَلِّقِ
 فمغربٌ بثنائهِ ومُشَرِّقُ
 في الجدِّ شاعره المُجيدُ المُفَلِّقُ
 راوٍ بمثلِ حَدِيثِهِ لا يَوثُقُ

عَرَدْتُ فِيهِ مُطَوَّقًا بِجَمِيلِهِ
 أَنْبَأْتُ عَنْهُ وَكُنْتُ أَصْدَقَ لَهْجَةٍ
 نَبَأًا عَنِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَمُنْبِئِيَّ
 لَوْ بَارَزَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ أَعَانَهُ
 يَسْطُو عَلَى الْأَرْزَاءِ سَطْوَةَ ضَيِّغٍ
 مُتَّصِرَفٌ فِي الْبِئْسِ حَيْثُ وَجَدْتُهُ
 وَيَرُوقُ عِنْدَ لِقَائِهِ وَعَطَائِهِ
 فَكَأَنَّمَا الْعَافُونَ مِنْهُ بَرُوضَةٌ
 فَا نَظَرُ إِلَى الْأَحْرَارِ وَهِيَ عَبِيدُهُ
 خَلَقَ الْجَمِيلَ بِذَاتِهِ لَوْجُودِهِ
 كَرَمٌ عَلَى عُسْرِ الزَّمَانِ وَيُسْرِهِ
 وَلَقَدْ كَفَانِي اللَّهُ فِيهِ عَصَابَةٌ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَدْرَكَ فَوْقَهُمْ
 يَا لَابَسًا بُرْدَ الْأَبُوءِ وَالْعُلَا
 فَلَكُمْ يَضُوعُ مَكَارِمًا وَمَفَاخِرًا
 لَمْ تَبْصُرِ الْعَيْنَانِ مِثْلَكَ لَاحِقًا
 أَحْيَيْتَ مَجْدًا رَمَّ بَعْدَ فَنَائِهِ
 تَفْدِيكَ مِمَّا تَشْتَكِيهِ مِنَ الْأَذَى
 وَفَقْتَ لِلْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَصُنْعِهِ
 فَسَعَى إِلَى جَدِّوَاكَ كُلُّ مُؤْمَلٍ
 تُمْلِي عَلَيْكَ الشُّكْرَ السِّنَّةَ لَهَا

إِنَّ الْحَمَامَ كَمَا عَلِمْتَ مُطَوَّقٌ
 وَيَسْرَتِي أَنِّي أَقُولُ فَأُصَدِّقُ
 تَصْغِي لَهُ أُذُنُ الزَّمَانِ فَيُطْرِقُ
 مِنْ صَبْحِ عُرْتِهِ عَلَيْهِ فَيَلْقُ
 إِحْدَى بَرَائِنِهِ السَّنَانُ الْأَزْرَقُ
 مَا زَالَ يَفْتَقُ مَا يَشَاءُ وَيَرْتُقُ
 غَيْثٌ يَصُوبُ وَيَبَارِقُ يَتَأَلَّقُ
 أَنْهَارُهَا مِنْ كَفِّهِ تَتَدَفَّقُ
 بِالْبِرِّ إِلَّا أَنْهَا لَا تُعْتَقُ
 خَلَقًا وَهَا هُوَ فِي سِوَاهِ تَخَلَّقُ
 لَا يَسْتَقِرُّ الْمَالُ حَتَّى يُنْفَقُ (١)
 لَا أَرْتَجِيهِمْ أُرْعَدُوا أَمْ أُبْرُقُوا
 وَعَلَاكَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مُحَلَّقُ
 أَرْجُ الثَّنَاءَ بِطَيِّ بُرْدِكَ يَعْبَقُ
 يَحْيَا بِطَيْبِ أَرْبِجِهِ الْمُسْتَنْشِقُ
 لِلأُولَيْنِ وَسَابِقًا لَا يُلْحَقُ
 فَالْمَجْدُ حَيٌّ فِي حَيَاتِكَ يُرْزَقُ
 خَلَقَ وَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلَقُوا
 إِنَّ الْمَوْفُوقَ لِلْجَمِيلِ مَوْفُوقُ
 بَابُ الْمَوَاهِبِ دُونَهُ لَا يُغْلَقُ
 يَحْلُو لَهَا لَفْظٌ وَيَعْدُبُ مَنْطِقُ

(١) حتى هنا لا تنصب الفعل المضارع بعدها لأنه بمنزلة الحال.

أهَاجَ الْجَوَى بَرَقاً أَعَارَ وَأَنْجَدَا
 وَبِتُّ وَفِي قَلْبِي لَهَيْبُ كَنَارِهِ
 تَذَوْدُ الْكُرَى عَن مَقْلَتِي عَبْرَاتُهَا
 فَكَيْفَ وَكَمْ لِي زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ
 أَحَاوَلُ مِنْ سَلْمَى زِيَارَةَ طَيْفِهَا
 وَمَا أَطْوَلُ اللَّيْلِ الَّذِي لَمْ تَصِلْ بِهِ
 إِلَامَ أَدَارِي لَوْعَتِي غَيْرَ صَابِرٍ
 أَمَا أَنْ لِلنَّارِ الَّتِي فِي جَوَانِحِي
 وَلَوْ كَانَ غَيْرُ الْوَجْدِ يَقْدَحُ زَنْدَهُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ سَنَا بَارِقٍ بَدَا
 يَذْكُرُنِي تَبَسَامَ سَعْدِي فَلَمْ أَجِدْ
 وَأَيَّامُنَا اللَّاتِي مَرَّرْنَ حَوَالِيَّ
 وَلِلَّهِ هَاتِيكَ الْمَوَاقِيْتُ إِنَّهَا
 وَرَدْنَا بِهَا مَاءَ الْمَوْدَةِ صَافِيًا
 شَرَبْنَا نَمِيرَ الْمَاءِ عَن ثَغْرِ الْعَسِ
 وَمَا كَانَ عَهْدُ (الْخَيْفِ) إِلَّا صَبَابَةً
 وَصَبَّتْ عَلَيْهِ الْغَادِيَاتُ ذُنُوبَهَا^(٢)

أَرُقْتُ عَلَيْهِ الدَّمْعَ مِثْنِيَّ وَمَوْحِدَا
 تَضَرَّمُ فِي جَنَحِ الدُّجَى وَتَوَقَّدَا
 فَتَشْرُقُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْقَلْبُ فِي صَدَى
 تُصَيِّرُ مِنِّي فِضَّةَ الدَّمْعِ عَسْجَدَا
 وَأَنْتَى يَزُورُ الطَّيْفُ جَفْنًا مَسْهَدَا
 كَأَنْ جَعَلْتَ لَيْلَ الْمُتَمِيمِ سَرْمَدَا
 وَتَمَنَعْنِي يَا وَجْدُ أَنْ أَتَجَلَّدَا
 مِنْ الْوَجْدِ يَوْمًا أَنْ تَقَرَّ وَتَخْمُدَا
 بِأَحْشَايَ مِنْ تَذْكَارِ ظَمِيَاءِ أَصْلَدَا
 أَقَامَ لَهُ هَذَا الْفَوْادَ وَأَقْعَدَا
 عَلَى الْوَجْدِ إِلَّا مَدْمَعَ الْعَيْنِ مُسْعَدَا
 بَعْقَدِ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ حَتَّى تَبْدَدَا
 مَضَتْ طَرِبًا فَالْعَمْرُ مِنْ بَعْدِهَا سُدَى
 وَكُنَّا رَعَيْنَا الْعَيْشَ إِذْ ذَاكَ أَرْعَدَا
 عُدَاةَ اجْتِنِينَا الْوَرْدَ مِنْ خَدِّ أَعْيَدَا
 فَيَا جَادَهُ عَهْدُ الْمَوَاطِرِ بِالْجَدَا
 وَأَبْرَقَ فِيهَا حَيْثُ شَاءَ وَأَرْعَدَا

(١) هو السيد محمد بن السيد حامد الطباطبائي البصري الشافعي. ولد في البصرة سنة ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م. ونشأ فيها ودرس على علمائها. وقدم بغداد عدة مرات وكان رجلاً وقوراً مهيباً وفي سنة ١٢٤٨هـ نال نقابة الأشراف في البصرة. ثم عزل بعد سنة واحدة وأعيدت إليه النقابة سنة ١٢٥٥هـ. كما عين مفتياً في البصرة سنة ١٢٦٠هـ. أيام الوالي نجيب باشا وكان فاضلاً أديباً كريم النفس، طلق اليد، وللشعراء، فيه مدائح كثيرة. توفي ببغداد سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٥٩م. ترجمته في أعيان البصرة ص ١٢. وحديقة الورد ج ١ الورقة ٢٢ مخطوط.

(٢) الغاديات: السحاب، والذنوب - بفتح الذال: الدلو والسقاء.

وساق إلى تلك المنازل بـ (اللوى)
تُجَعِّعُ مثلَ الفحلِ هاجَ وكَلِمَا
فحياً رُسومَ الدارِ وهي دوارسُ
على الدارِ أن تستوقفَ الركبَ ساعةً
وليلٍ كأنَّ الشُّهْبَ في أُخْرِيَاتِهِ
كأنِّي أرى الأفاقَ في حالِكِ الدُّجَى
هصرتُ به غصناً من البانِ يانعاً
يلينُ إلى حلوِ الشَّمائلِ جانبي
تُقَلِّدُ أجْيَادَ الكرامِ قِلائِدي
وإنِّي متى ما شئتُ أنْ أنلَ الغنى
فتى من قريشٍ لم تجدْ ما يسرهُ
توددَ بالحُسْنَى إلى كلِّ أملٍ
إذا جئتُه مسترفداً نيلَ بره
فلو أنني خيَّرتُ بالجوْدِ مَوْرِداً
وما كان قَطْرُ المَزْنِ يوماً على الظُّمأِ
وما زال يَسْعَى سَعْيَ آبائِهِ الألى
فأضحى بحمدِ الله لَمَّا أَقْتَدَى بِهِمْ
وما كان إلا مثلَ ما صارَ بَعْدَهَا
وهبَ أن هذا البدرَ يحيكه بالسُّنَا
تنقَلُ في أوجِ المعالي منازلاً
فما اختارَ إلا منزلَ العزِّ منزلاً
له اللهُ مسعودَ الجنابِ مؤيداً
يساعدني في ما أرومُ بلوغه

من المزن ما ليست تميل إلى الحدا
أربع بضرب السوط أرغى وأزبدا
إلى أن تراها العين مخصلة الندى
بها وعلى الأحزان أن تتجددا
تمزق جلباباً من الليل أسودا
تذرُّ به في مقلة النجم إثمدا
وقلت لذات الخال روعي لك الفدا
على أنني ما زلت في الخطب جلمدا
وتكسول لئيم القوم خزيماً مؤبدا
وأبلغ آمالي مدحت (محمدًا)
سوى أن تراه باسطاً للندى يدا
وشأن كريم (*) النفس أن يتوددا
أنال وأولاك الجميل وأرفدا
لما اخترت إلا جود كفيهِ موردا
بأمرا نَميراً من نداء وأبردا^(١)
مفاتيح للجدوى مصابيح للهدى
لمن شمل الدين الحنفي مقتدى
وما ضرَّ قدرَ العُضْبِ إن كان مُغْمداً^(٢)
فمن أين يحكيه نجاراً ومحتدا
وشاهد في كل من الأمر مشهدا
ولا اختار إلا مقعدَ المجدِ مقعدا
زجرت إليه طائر اليمن أسعدا
إذا لم يكن لي ساعدُ الدهرِ مُسعدا

(١) بأمرا: أصلها بأمراً فحففها. مثل: أهنأ. وهي من (هنيئاً مريئاً).

(٢) العضب: من أسماء السيف.

(*) في الطبعة (١): (كرم) وصوابها من الطراز الأنفس.

وجردتُ منه المَشْرِفِيَّ ولم يزلُ
فتى هاشمٍ قد سادَ(*) بالجوْد والندى
لك الهِمَّةُ العلياءُ في كلِّ مطلبٍ
أبى اللَهُ إلا أن تُسرَّ بك العُلا
بلغتُ الأمانِي عارفاً بحقوقها
وصيرتني بالرقِّ في ما أنلتني
فما راح من والاك إلا مُنعماً
وهذا لساني مطلقُ لك بالثنا
يصوغُ لك المدحَ الذي طابَ نشرُهُ
فمن ثمَّ أقلامي إذا ما ذكرتها
مناقِبُ إحسانٍ حسانٍ ضوامِنُ
فدتكُ الأعادي من كريمٍ مُهذبٍ
نُصرتُ على خصمي به ولطالما
وأرغمتُ أنفَ الحاسدين بمجده

على عاتقِ الأيامِ عَضْباً مُجرِّداً
فيا سيِّداً لا زالَ بالفضلِ سيِّداً
فلو كنتَ سيفاً كنتَ سيفاً مهنِّداً
وتَحظَى بها حتَّى تغيظَ بها العدا
فأرغمتُ أنافاً وأكبتُ حُسداً
وقد تصبِحُ الأحرارُ بالفضلِ أعبداً
ولا عاشَ من عاداك إلا منكُداً
عليك وفي نعماك أمسى مُقيِّداً
يخلدُ فيك الذكرَ في من تخلداً
تخرُّ له في صفحة الطُّرسِ سُجداً
لعلِّيك أن تُثني عليكَ وتحمداً
غزارُ أياديهِ وقلُّ لك الفِدا
خذلتُ به خصمي علاً وسؤداً
فلا زالَ في المجدِ العزيزِ المُمجِّداً

(٢٨)

قال يمدح شيخ الإسلام السيد أبا الهدى الصيادي الرفاعي^(١) حين زار بغداد سنة

(*) في الطبعة (١): (ساجد) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

(١) الشيخ أبوالهدى محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني ولد في قرية خان شيخون من أعمال المعرة سنة ١٢٦٦هـ. وتعلم في حلب، وولي نقابة الأشراف فيها، ثم انتقل إلى الأستانة، واتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني. وتقرب إليه فأحبه السلطان وعظمت منزلته عنده وولاه مشيخة الإسلام. وكان من كبار الثقات عنده، واستمر في منصبه زهاء ثلاثين عاماً، وكان شديد الخصومة لجمال الدين الأفغاني. بسبب اتصال الأفغاني بالماسونية، ولما خلع السلطان عبدالحميد، نفي أبوالهدى إلى جزيرة الأمراء في (رينكيو) وتوفي فيها سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. كان أبوالهدى من أشد الناس زكاء وله اطلاع واسع في العلوم الإسلامية والآداب العربية. وكان مبالغاً في التصوف وصنف كتباً كثيرة منها (ضوء الشمس في قوله ﷺ بني الإسلام على خمس) مطبوع، و(قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر) مطبوع، و(فرحة الأحاب في أخبار الأربعة الأقطاب) مطبوع، و(تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار) وغيرها.

=

وله شعر كثير طبع منه ديوانين ومنه قوله:

بارقُ (الشَّامِ) إلى (الكرخ) سَرَى
 وبننا هَبَّتْ له بارِقَةٌ
 وإلى الله فؤادي كلِّما اسد
 غَنِّي لي يا حادي العيس ولا
 وأعد أخبار (نجد) إنَّها
 أه كم من ليلة طالت - وقد
 كيف لا أعشق أرضاً أهلها
 قُلْ بهم ما شئتَ واذكرْ فضلهم
 كَرُمُوا أصلاً وطابوا مغرساً
 إن تر منهم فتى ظنَّيت في (٢)
 قَسَمًا بالزُّهر من أجدادهم
 مدحهم نخري وديني حبُّهم
 يشهد الله بأنِّي عبدهم
 وإذا أنجرت أحاديثهم

فروى عن أهل (نجد) خَبَرًا (١)
 أضرمت بالري منها شرراً
 تَعَرَّتْ نارُ الطُّلولِ اسْتَعَرَا
 تهمل السَّيرَ فقد طال السُّرى
 تَجَبَّرُ القلبَ إذا ما انكسرا
 ذكروا (نجداً) - وهم قَصَرا
 شملت أطفاهم كلُّ الورى
 إن كلَّ الصَّيدِ في جوفِ الفِرا
 وَعَلَوْا قَدْرًا وجادوا عُنُصرا
 ذاته كلُّ الكمالِ انحصرا
 مَنْ به طاب ثرى (أم القُرى) (٣)
 يا ثرى هل يقبلوني (*) يا ثرى (٤)
 تحت بيع إن أرادوا وشِرا
 لا تسل عن مقلتي عمَّا جرى

= هل منقذ لأخي النوي مما به
 كالظل أضحى قائماً شبحاً به
 ما فيه إلا الروح تخبر أنه
 كمد تلهب ناره ودموعه

قطعته أيدي الحظ عن أحبابه
 جرم يلجج في رسيس ثيابه
 حي ولا رسم بطي نقابه
 كالغيث لا ينفك وبيل سحابه

وقد مدحه كثير من الشعراء والعلماء و ترجمته في تنوير الأبصار - المقدمة - والعقود الجوهريه ص ١١ وحلية
 البشر ١ / ٧٢ - ٩٤ والأعلام ٦ / ٣٢٤ - ٣٢٥ والموسوعة العربية الميسرة ٤٠.

(١) ذكر لي أستاذي الشيخ محمد بهجة الأثري أنه سمع شيخه العلامة محمود شكري الألوسي يقول: «إن أحمد
 عزة باشا العمري نظم هذه القصيدة وأضافها إلى ديوان الأخرس ليسهل أمر طبع الديوان وإنها ليست من نظم
 الأخرس» وكذلك القصيدة رقم (١٤).

(٢) ظنيت: لغة في ظننت.

(٣) أم القري: مكة المكرمة.

(٤) حذف الشاعر نون الوقاية من (يقبلوني) ومثله في الحديث الشريف «تركت فيكم الثقلين.. فانظروا كيف
 تخلفوني فيهما..» سيرة ابن كثير ٤ / ٤١٦.

(*) في الطبعة (١): (يقبلون) وتم التصويب على الطراز الأنفس.

وَهَبُوا عَيْنِي الْكُرَى وَاحْسَرْتَا
وَتُرَانِي حِينَ مَا قَدْ نَفَرُوا
شَرَفُوا الْأَرْضَ وَمِنْ هَذَا نَرَى
كَأَبِي الْقَدْرَ الْمُعَلَّى وَالْهَدَى
بُضْعَةَ السَّادَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعَبَا
وَارِثُ الْقُطْبِ الرَّفَاعِيِّ الَّذِي (١)
عَلَّمَ الْأَشْيَاخَ سُلْطَانَ الْحِمَى
يَا لَهَا وَاللَّهِ مِنْ سِلْسَلَةٍ
عَصَبَةٌ مِنْ آلِ خَيْرِ الْأَنْبِيَا
سَيِّدِي (يَا بَا الْهَدَى) يَا ابْنَ الَّذِي (٢)
يَا كَرِيمَ الطَّبَعِ يَا كَنْزَ التُّقَى
لَكَ وَجْهٌ لَمَعَتْ مِنْ بُرْجِهِ*
مَظْهَرٌ أَيَّدَهُ اللَّهُ وَكَمْ
لَكَ مِنْ مَجْدٍ (الرَّفَاعِيِّ) رَفْعَةٌ
وَيَدٌ رُوحِي فَدَاهَا مِنْ يَدٍ
وَلِسَانٌ رَاحَ يَرُوي قَلْبَهُ
لَكَ طَرْفٌ أَحْمَدِيٌّ إِنْ رَمَى
لَكَ صَدْرٌ طَاهِرٌ مِنْ دَنَسٍ
بِأَبِيكَ (ابْنَ الرَّفَاعِيِّ) وَبِأَلٍ
لَا تَرَى مِنْ حَاسِدٍ إِنْكَارَهُ
وَأَسْلَمَ الدَّهْرَ رَفِيعاً سَيِّداً
وَأَقْبَلَ الْعَبْدَ مُحِبّاً خَالِصاً الـ

ودلالاً أحرمتوا جفني الكرى
ألفت عيني البكا والسهرا
منهم في كل حي أئبرا
والندى والعلم مرفوع الذرا
كوكب الإشراق تاج الأمرا
صيته أملى الملا واشتهرا
غوث أهل الشرق شيخ الفقرا
كأما طالت نداها انحدرنا
عز من يغدو بهم مفتخرا
خضعت ذلاً له أسد الشرى
يا شريف القدر أتى حضرا
شمس رشد نورها لن ينكرا
أرجو منه فوق هذا مظهرا (٣)
ترجع الطرف قليلاً حسرا
تخجل الغيث إذا الغيث جرى
ما به بحر الفتوح انفجرا
نبأ العزم يشق الحجرا
عن مياه الحقد طبعاً صدرا
أوصيا نعم الجدود الكبرا
مثل هذا عن أبيكم ذكرا
مرشداً لم تلق يوماً كدرا
قلب لا زال بكم مفتخرا

(١) هو السيد أحمد الرفاعي وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٤).

(٢) أصلها: يا أبا الهدى.

(٣) أخذه من قول النابغة الجعدي: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

انظر أسد الغاية ٥ / ٣.

(*) في الطبعة (١): (وجه) والتصويب من الطراز الأنفس.

وقال يمدح العلامة عبدالغني آل جميل^(١) [ويهنيه بعيد الفطر وهي من الكامل]:

برقُ يمانِيُ وريحُ شمال^(٢)
 ما زادَ هذا الصبَّ غيرَ خَبال
 فأخاله تبسّامَ ذاتِ الخال
 زوراً وما خطر السُّلُوبُ ببالِي
 فتكتُ بغيرِ صوارمٍ ونِصال
 ترمي القلوبَ بنافذاتِ نِبال
 أحداقُهُنَّ مصارعُ الأقيال
 من كلِّ داءٍ يا أميمَ عُضال
 والحبُّ في أهليه ذو أفعال
 إلاّ أصبحَ جَبِينُهُ لِضلال
 لولاك ما أصبحتُ بالي الببال
 جدُّ الغرامُ فلا تملُ لِجدالي
 حُمِلتُ أثقالاً على أثقالي
 أعيتُ عليه حيلةُ المُحْتال
 تغني مذاقْتُها عن الجِريال^(٣)
 رغماً على الأنكاد والأنكال
 فنبيتُ نرقلُ في برودِ وصال
 قد كُلتُ تيجانُها بلال
 فترى الغزاةَ في يمينِ عزال^(٤)

هاجَ الغرامُ* وهيجاً بلبالي
 وتَرنُّمُ الورقاءِ في أفنانِها
 وأشيمٌ من برقِ (الغُوَيْرِ) لوامعاً
 زعمَ المفنُّدُ أن سلوتُ غرامِها
 ما بالُ أحداقِ المَها من يعربِ
 يرمينُ في المَهِجِ الهوى فتظنُّها
 هيفُ من الغيدِ الحسانِ سوانحُ
 هل أنتِ عالمةٌ بما يخفي الجوى
 لله ما فعلَ الغرامُ بأهله
 ولقد أقولُ لأبلجٍ لا أهتدي
 أبلى هواك حُشاشتي وأذابها
 باله يا مؤذي الفؤادِ بلومه
 حمأُتني ما لا أطيعُ وإنما
 كيف احتيالُك في سلوؤِ متيمٍ
 إنِّي أحنُّ إلى مَراشفِ ألعسِ
 ويشوقُني زمنُ غصبتِ سروره
 أيامَ نتخذُ المسرةَ مغنماً
 ومليكةَ الأفراحِ تبرزُ بيننا
 يسعى بها أحوى أغنُّ مهفُفٌ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (الماهوري).

(٣) الجريال: من أسماء الخمر.

(٤) الغزاة: الشمس ويشبه بها الكأس.

(* في الطبعة (١): (القرام) والتصويب من الطراز الأنفس.

ويحضُّنا داعي السُّرورِ على طِلاً
 ألهو فَيُطْرِبُ مسمعي من غادة
 وألذُّ ما يلقى الخليعُ سُوَيْعَةً
 أيامها مرَّتْ ولا ندري بها
 أين الأحيبُ بعد أسنمة (اللوى)
 سارتُ ظعونهم وما أدت لنا
 أقمارُ أفلاكِ الجمالِ تغيَّبتْ
 ما كنتُ أدري لا دريتُ بأنه
 وجهلتُ يا لمياءُ قتلَ ذوي الهوى
 سُكَّانَ (وجرة) و (العذيب) و (بارق)^(١)
 أنتم أسرتُم قلب كلِّ متيمٍ
 أو تطلقون من الإسارِ عصابةً
 ما جرّدتُ فينا صوارمها النوى
 أسفي على عمرٍ تقضى شطره
 وبنات^(*) أفكارٍ لنا عربية
 يا هذه أين الذين عهدتُم
 عجباً لثلي أن يقيم بموطن^(**)
 تقدى نواظره بأوجهٍ معشرٍ
 وليعتَ بهم أيامهم من دوننا
 لولا خبال الدهر ما نال الغنى^(***)
 هم كالبحورِ الزاخراتِ وإنني

زُفْتُ على التدمان بالأرطال
 نغم الحلي ورنّة الخيال
 خفيت عن الرقباء والعذال
 فكأنها مرّت مرور خيال
 قد حال من بعد الأحيب حالي
 حقاً على الإزماع والترحال
 بعد الطلوع على حُدوجِ جمال
 هولُ السوداعِ نهاية الأهوال
 حتّى بليتُ بحبك القتال
 تحريمكم للوصل غير حلال
 بلحاظِ أحوى مائلٍ لِملال
 غلتهم الأشواقُ في أغلال
 الألقطع حبالهم وحبالِي
 في خيبة المسعى إلى الآمال
 رخصتُ لدى الأعجام وهي غوالي
 أساد مُعتَرَكَ وغَيْثَ نوال
 متشابه الأشرافِ بالأنذال
 لا يعثرون بصالح الأعمال
 ما أولع الأيام بالجُهل
 في الناس ذوبله به وخبال
 لم أنتفع من وريدهم بببال

(١) وجرة: منزل بين البصرة ومكة المكرمة. وهي سرّة نجد، قرب ذات عراق من بلاد سليم، وهي من مواقيت الإحرام لحجاج العراق. انظر معجم البلدان ٥ / ٣٦٢ والعذيب وبارق موضعان مرّ التعريف بهما.

(*) في الطبعة (١): (ونبات) وهو خطأ طباعي وصوبت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (بمواطن) وهو خطأ طباعي، وصوبت على الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الغنى) وهو خطأ طباعي، وصوبت على الطراز الأنفس.

نَهَبَ الْمُلُوكُ الْبِازِلَاتُ أَكْفُهُمْ
 حَتَّى عَفَتْ أَطْلَالَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
 وَأَرَى النَّقِيصَةَ شَانَ كُلِّ مُبَجَّلٍ
 وَكَأَنَّما الْأَيَّامُ أَلَتْ حَافَةَ
 وَأَنَا الَّذِي حَلَيْتُ أَجْيَادَ الْعُلَا
 إِنْ كُنْتُ مِنْ حُلَلِ الْفَضَائِلِ نَاسِجًا
 مَا فَضِلَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَضِيلَتِي
 إِنَّا لَنَسْمَعُ بِالْكَرَامِ فَأَيْنَ هُمْ
 لَوْلَا وَجُودُ (ابنِ الْجَمِيلِ) وَجُودِهِ
 قَرْمٌ لِرَاحَتِهِ وَشِدَّةَ عَزْمِهِ
 يَعْطِي وَلَمْ يَسْأَلْ نَدَاهُ وَهَكَذَا
 وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْمَدْحِ أَمْرًا
 خَوَاضٌ مَلْحَمَةَ الْأُمُورِ بِهَمَّةٍ
 ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي عِزْمَاتِهَا
 لَا زَالَ يُطَلَعُ فِي سَمَاوَاتِ الْعُلَا
 خُلُقٌ يَمَازِجُهُ النَّدَى فَكَلَاهُمَا
 يَفْتَرُّ عَنْ وَبَلِ الْمَكَارِمِ مِثْلًا
 وَعَنِ الْمُرُوءَةِ وَهِيَ شَيْمَةٌ ذَاتِهِ
 يَحْمِي النَّزِيلَ بِنَفْسِهِ وَبِمَالِهِ
 وَالْخَوْفُ يَوْمَ الطَّعْنِ مِنْ وَشَكِ الرَّدَى
 إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ حَلَّتَا
 يَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ إِذْ هُوَ أَهْلُهُ
 مِثْلَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ حُلُومُهُ

بِذَلِ الْغَمَامِ بِعَارِضِ هَطَالٍ
 فَلْيَبْكُ مِنْ يَبْكِي عَلَى الْأَطْلَالِ
 فَكَمَالُ فَضْلِ الْمَرْءِ غَيْرُ كَمَالِ
 أَنْ لَا أَرَى فِي الدَّهْرِ غَيْرَ نَكَالِ
 بَعْقُودِ الْفَاطِي وَدُرِّ مَقَالِي
 أَبْرَادَهَا فَانْسَجْ عَلَى مَنْوَالِي
 كَلًّا وَلَا أَمْثَالَهُمْ أَمْثَالِي
 هِيَهَاتَ مَا هُمْ غَيْرُ لَمْعِ الْأَلِ (١)
 قَلْتُ الزَّمَانَ مِنَ الْأَكَارِمِ خَالِي
 جُودُ السَّحَابِ وَصَوْلَةُ الرَّئِبَالِ
 يَعْطِي الْكَرِيمُ وَلَوْ بِغَيْرِ سُؤْلِ
 كَثُرَتْ عَطَايَاهُ مِنَ الْإِقْلَالِ
 جَالَتْ سَوَابِقُهَا بِكُلِّ مَجَالِ
 حَتَّى غَدَا مِثْلًا مِنَ الْأَمْثَالِ
 أَقْمَارَ مَجْدٍ أَوْ نَجُومَ خِلَالِ
 كَالرَّاحِ مَازَجَهَا نَمِيرًا* زَلَالِ
 يَفْتَرُّ عَنْ وَطْفَاءِ بَرْقِ الْخَالِ
 مَا حَالَ عِنْدَ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ
 يَسْخُو بِهَا كَسَخَائِهِ بِالْمَالِ
 كَالْخَوْفِ يَوْمَ الْبِذْلِ مِنَ الْإِقْلَالِ
 مِنْهُ بِأَفْضَلِ سَيِّدٍ مِفْضَالِ**
 فَيَهْشُ لِلْإِنْعَامِ وَالْإِنْفِضَالِ
 أَمِنَ الْأَنْبَامُ بِهِ مِنَ الزَّلْزَالِ

(١) الأَل: السراب.

(*) في الطبعة (١): (غير) وصوبت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (مفضال) وهو خطأ طباعي.

عَوَّلَ عَلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ كَأَنَّهَا
 حَيْثُ الْمَحَاسِنُ قُسِّمَتْ أَشْطَارُهَا
 وَمُهَذَّبِ سَبَقِ الْمَقَالِ بِفَعْلِهِ
 وَلَطَالَمَا وَعَدَ الْعُفَاةَ فَبَادَرَتْ
 وَيَمِدَّهَا بِيخَاءٍ يَهْطُلُ وَيُلْهَى
 يَعْطِي وَلَا مَنْ يُجْزِي بِالَّذِي
 سَامٍ إِذَا مَا قِيسَتْ فِيهِ غَيْرُهُ
 قَبِيلُ تَعَاظَمَ كَالرَّوَّاسِي شَأْنُهُ
 عَزَّتْ أَبَوْتُهُ وَجَلَّ فَنَفْسُهُ
 يَمِّمْ ذُرَا (عَبْدُ الْغَنِيِّ) فَإِنَّهُ
 (أَلُ الْجَمِيلِ) وَأَهْلُهُ وَمَحَلُّهُ
 الصَّائِنُونَ مِنَ الْخَطُوبِ نَزِيلَهُمْ
 فَغَلَّتْ نَفُوسُهُمْ بِبَدَلِ مَكَارِمِ
 فَتَرَى عَلَى طُولِ الْمَدَى أَيَامَهُمْ
 يَا مَنْ سَرَتْ عَنْهُ سِبَاقُ مَحَامِدِ
 فَسَرَتْ كَمَا تَسْرِي نَسَائِمُهَا الصَّبَا
 عَنْ رَوْضَةِ غَنَاءٍ بَاكَرَهَا الْحَيَا
 وَلِقَدْ قَرَّبْتِ مِنَ الْمَعَالِي قُرْبَكَ الدُّ
 فَبَعُدْتَ عَنْ قُرْبِ الدُّنْيَا فِي الدُّنَا
 وَتَرْفَعَتْ بِكَ شَيْمَةٌ عَلْوِيَّةٌ
 سَبَقَ الْكِرَامَ الْأَوْلَى.. فَقَوْلُنَا
 مَمَّنْ يَذَلُّ لَدَيْهِ صَعْبُ خُطُوبِهَا
 فَكَأَنَّ حِدَّةَ عَزْمِهِ صَمَّصَامُهُ الدُّ
 طَلَّابُ شَأْوِ الْفَخْرِ مَا بَيْنَ الْوَرَى

وَاسْأَلْ فَتَمَّ مَحَلُّ كُلِّ سَوْأَلٍ
 فِيهِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
 حَيْثُ الْفِعَالُ نَتِيجَةُ الْأَقْوَالِ
 يُمْنَاهُ بِالْحُسْنَى (*) عَلَى اسْتِعْجَالِ
 وَيَسِيلُ شَامِلٌ بِرَّهَا السَّيَّالِ
 هُوَ أَهْلُهُ وَيُنِيلُ كُلَّ مَنَالِ
 قِيسَتْ الْهَضَابَ بِشَامَخَاتِ جِبَالِ
 وَكَذَلِكَ شَأْنُ السَّادَةِ الْأَقْيَالِ
 فِي الْعِزِّ ذَاتُ أَبَوَةٍ وَجَلَالِ
 لَمُنَاخُ مَجْدٍ أَوْ مَحَطُّ رِحَالِ
 سَادُوا الْبَرِيَّةَ فِي جَمِيلِ خِصَالِ
 وَالْبِزَالُونَ نَفَائِسَ الْأَمْوَالِ
 لِلْوَفْدِ تُرَخِّصُ كُلَّ شَيْءٍ غَالِ
 يَوْمَيْنِ: يَوْمَ نَدَى وَيَوْمَ نِزَالِ
 تَجْتَابُ بَيْنَ دِكَادِكِ وَرِمَالِ
 عَبَقَتْ بِطَيْبِ نَوَافِحِ وَعَوَالِي
 فَزَهَتْ بِقَطْرِ الصَّبِّ الْمُنْهَالِ
 دَانِي مِنَ الْعَافِينَ بِالْإِيصَالِ
 بُعْدَ الْمَكَارِمِ مِنْ يَدِ الْأَرْذَالِ
 لَمْ تَرْضَ إِلَّا بِالْمَحَلِّ الْعَالِيِ
 سَبَقَ الْأَلَى هَذَا الْمُجَلِّيِ التَّالِيِ
 بِأَسَاءٍ وَيُبْطِلُ غِيلَةَ الْمُغْتَالِ
 مَاضِي وَفِيصَلُ عَضْبِهِ الْفَصَّالِ
 فِي الْمَجْدِ بَيْنَ صَوَارِمِ وَعَوَالِي

(*) في الطبعة (١): (الحسنى) وصوابها من الطراز الأنفس.

ماضي الغرارِ وأسمرِ عَسَّالٍ
والعزُّ صهوةُ أشقرٍ صَهَّالٍ
بُراءُ من الأَسْقَامِ والإِعْلالِ
في الحُسْنِ ترفُّلُ أيِّما إِرْفالِ
لا ب (العقيق) ولا ب (ذات الضَّالِ)
لأَعْدَهَا من جُمَّلَةِ الإِقْبَالِ
وإِليكَ من دُونِ الأَنامِ مَآلي
لَتَعَلَّقَتْ آمالُنا بِمُحَالِ
تَهْنا بِعَوْدِ (*) العِيدِ من شَوَّالِ

والمجدُ يُطَلَّبُ في شَفِيرِ مُهَنَّدِ
والفخرُ في فَضْلِ الفَتَى وكَمالِهِ
لَكَ مَنْطِقُ يَشْفِي القُلُوبَ كَأَنَّهُ
وَمَنابِقُ كَسَتْ القَوافي بُرْدَةً
أضحى يَغْرُدُ فيكَ مطرِبُ مَدْحِها
فأقْبِلْ من الداعي قَصيدةَ شِعْرِهِ
فعلَيْكَ يا فَخْرَ الوجودِ مُعَوِّلي
لولا عَلاقَتُنا بِمدحك سَيِّدي
فاغْنمِ إِذا أَجَرَ الصِّيَامِ ولم تزلْ

(٣٠)

وقامتُ به بالمكرماتِ دعائمُ
نِوالٍ وإِقْدامٍ ورمحٌ وصارمُ

إذا المجدُ شادتهُ القَنَا والصَّوارمُ
فَنَمَّ المعالي والرِياسَةُ والعُلا

(*) في الطبعة (١): (بِعَوْرٍ) وهو خطأ طباعي وصوبت على الطراز الأنفس.

(١) هو الشيخ ناصر باشا بن راشد بن تامر السعدون. ثار على الوالي نامق باشا الكبير سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م فعزله الوالي وعين مكانه الشيخ فهد بن علي السعدون والد السيد عبدالحسن السعدون، ثم ولي المشيخة ثانية سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م، برتبة ميرميران وقربه مدحت باشا، وهو الذي أسس مدينة الناصرية وسميت باسمه سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م وعين متصرفاً فيها سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م وفي سنة ١٢٨٨هـ ساهم في إخماد ثورة الأحساء مع الفريق نافذ باشا، وفي سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٤م عين والياً على البصرة وقد فصلت عن بغداد وألحق بها متصرفية نجد، وفي سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٥م أخدم ثورة الأحساء، وعين ابنه (مزيد) متصرفاً في الأحساء، كما عين ابنه الثاني (فالح باشا) متصرفاً في الناصرية. وكان ناصر باشا متعاوناً مع الولاة وقد عين عضواً في مجلس شعورى الدولة في الأستانة وقد نال عدة أوسمة من السلاطين. وقضى أيامه الأخيرة في الأستانة وتوفي فيها في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ودفن بجوار الصحابي أبي أيوب الأنصاري. ترجمته في التحفة النبهانية ١٠ / ١٠٣ و ١٦٩ وفيه وفاته سنة ١٣٠١هـ وتحفة الألباء في تاريخ الأحساء ٦١ واربعة قرون من تاريخ العراق ٣٧٠ ومختصر تاريخ البصرة ١٥٤ ومباحث عراقية ق١ / ٧٦ وق٢ / ٢٥٧ والأعلام ٨ / ٣١٠ وشعراء الغري ١٩ / ٢٠ وتاريخ السعدون ٥٠ - ٥٧.

وليس يسود المرء إلا بنفسه
ولا حُرُّ إلا والزمان كما أرى
شديدٌ على الأيام يقسو إذا قستُ
أخو الحزم يقظان البصيرة لم تنم
ذر اللوم إنِّي بالمعالي مُتَمِّمٌ
تركتُ الهوى بعد المشيب لأهله
وما أنس لا أنسى زماناً قضيتُهُ
أشيمٌ به برق الثنايا وأصْطَلِي
طروقاً إلى من كنتُ أهوى ليلة
بحيثُ المواضي والأسنة شرعٌ
إذا زار الليثُ الهزبرُ بحيه
واسمرُ نفاثُ المنون سنانهُ
يسامرني إذ لا سمير اعتقلتُهُ
وعانقني ما نمتُ غضبُ مهتدٌ
ولي من رياض القولِ كلُّ حديقة
سقتُها يدٌ من (ناصرٍ) فتفتحتُ
تترجمُ عن إحسانه وجميله
بمُتَخِذِ رُزْقِ الأسنَةِ سلماً
من العالمِ العلويِّ نفساً وهمةً
رُزِقَتْ من النعماءِ أرفعَ سُوددٍ
فأرغمتُ أنافاً وأكبتُ حسداً
(أبا فالج) سدتُ الأمور بحكمةٍ
ورأي يريك الأمر قبل وقوعه
أستعصم الملهوف مما ينوبهُ

وإن نجبت فيه أصول أكارم
يُحاربه طوراً وطوراً يسالم
وإن عبست أيامهُ فهو باسم
له أعينٌ والجاهلُ الغمرُ نائمٌ
وإن لأمني فيها على الحبِّ لائمٌ
وراحعني حلمٌ لسلمي يُصارمٌ
وعودُ الصبا ريانٌ والعيشُ ناعمٌ
سنا نارِ كأسٍ والحبيبُ ملأتم
كأن دجاها عارضٌ متراكمٌ
وموجُ المنايا حوله متلاطمٌ
يُجاوبهُ ريمٌ من السربِ باغمٌ
كما نفتُ السمَّ الزعافَ الأراقمُ
وجنحُ الدجى في مهلكِ البيدِ فاحمٌ
من البيضِ لا البيضُ الحسنُ النواعمُ
زها ناظمٌ فيها وأعجبُ ناظمٌ
بنوارِ أزهارِ الكلامِ كمائمٌ
فيا حسنٌ ما أبدته تلك التراجمُ
إلى المجدِ والسُمرِ^(*) العوالي سلالمُ
رفيع المبانِي والأنام دعائمُ
من العزِّ ما تنحطُّ عنها النعائمُ
لأنفِ الأعادي حدُّ سيفك راغمٌ
وأنت خبيرٌ بالسِّياسةِ عالمٌ
فما ريع ذؤبٌ من الأمرِ حازمٌ
لك الله من شرِّ النَّوائبِ عاصمٌ

(*) في الطبعة (١): (والسحر) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطران الأنفس.

وتَرعَاكَ مِنْ عَيْنِ الْإِلَهِ عِنَايَةً
فَمَنْ نَالَهُ مِنْكَ الرِّضَا هُوَ رَابِحٌ
رَفَعْتَ مَنَارَ الْمَجْدِ فِيهَا وَحَلَقْتَ
إِلَيْكَ أَنْتَهَى الْفِعْلُ الْجَمِيلُ بِأَسْرِهِ
مَكَارِمُ تَرْتَاخُ النُّفُوسُ لَذِكْرَهَا
غِيَاثٌ وَغَوْثٌ كُلُّمَا انْهَلَّ سَاجِمٌ
يُمَيِّزُكَ الْإِقْدَامُ وَالْبِئْسُ وَالنَّدَى
وَمَا قَعَدَتْ عَمَّا أَمَرْتَ قَبِيلَةٌ
وَإِنَّكَ لَوِ دَمَّرْتَ قَوْمًا بِذَنْبِهِمْ
لَقَدْ أَعْرَبْتَ عَنْكَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا
وَقَدْ تَرَجَمْتَ عَنْ طَوْلِ بَاعِكَ فِي الْوَعَى
فِيَا لَكَ مِنْ يَشْقَى لَدَيْهِ عَدُوُّهُ
وَكَمْ لَكَ مَا بَيْنَ الْخَمِيسِينَ وَقِفَةٌ
وَرَدَّتْ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفُ مَنَاهِلُ
تَرَكْتَ بِهَا الْقَتْلَى تَمَجُّ دِمَاؤَهَا
فَلِلْأَرْضِ مِنْ تِلْكَ الدِّمَاءِ مَشَارِبٌ
بَطَشْتُ بِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ بِكَيْدِهِ
وَأَبْقَيْتُ دَارَ الْمُفْسِدِينَ بِلِاقِعًا
وَأَنْصَفْتَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحُكْمِ عَادِلًا
يُمَدُّ عَلَيْهَا مِنْكَ ظِلٌّ مُظَلَّلٌ
أَعَدْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَشِيْبِهِ

تُصَاحِبُ مَنْ صَاحَبْتَهُ وَتُسَالِمُ
وَمَنْ فَاتَهُ مِنْكَ الرِّضَا فَهُوَ نَادِمٌ
خَوَافٌ إِلَى جَوِّ الْعُلَا وَقَوَادِمٌ
وَمَا تَنْتَهَى إِلَّا إِلَيْكَ الْمَكَارِمُ
وَفِيهَا الْغِنَى يُرْجَى وَمِنْهَا الْغِنَائِمُ
تَتَابَعُ فِي آثَارِهَا مِنْكَ سَاجِمٌ
وَمَا تَسْتَوِي أُسْدُ الشَّرَى وَالْبِهَائِمُ
وَأَنْتَ عَلَيْهَا بِالْمُهَنْدِ قَائِمٌ
فَإِنَّكَ مَأْمُورٌ وَمَا أَنْتَ آثِمٌ
وَقَدْ أَفْصَحْتَ شُكْرًا وَهَنَّ أَعَاجِمُ
وَشَاعَتْ وَذَاعَتْ عَنْكَ تِلْكَ التَّرَاجِمُ
لَكَ السَّعْدُ وَالْإِقْبَالُ عَبْدٌ وَخَادِمٌ
وَقَدْ أَحْجَمْتَ عَنْهَا الْأَسْوَدُ الضَّرَاجِمُ
وَمَا لَكَ فِي ذَاكَ الْوُرُودِ مُزَاحِمُ
وَلِلطَّيْرِ مِنْهَا وَالْوَحْشِ وَلَائِمُ
وَلِلوَحْشِ مِنْ تِلْكَ اللَّحُومِ مَطَاعِمُ
وَأَنْتَ رَوْفٌ بِالرَّعِيَّةِ رَاحِمُ
خَلَا عَالَمٍ مِنْهَا وَأَقْوَتُ مَعَالِمُ
فَلَا تَمُّ مَظْلُومٌ وَلَا تَمُّ ظَالِمُ
إِذَا لَفَحَتْهَا بِالْخُطُوبِ سَمَائِمُ
فَعَادَ عَلَيْنَا عَهْدُهُ الْمُتَقَادِمُ

(١) هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الأيادي، من كبار العرب قبل الإسلام. وكان يضرب به المثل في الكرم وحسن الجواب. تقول العرب «أجود من كعب بن مامة». وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار - «إسق أخاك النمرى» قال أبو عبيدة: أجواد العرب ثلاثة كعب بن مامة وحاتم طي وهرم بن سنان. انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ١٠٩ و ١٢٣ والأعلام ٦/ ٨٦. وأبو عدي حاتم بن عبدالله الطائي من ملوك طي، قبل الإسلام، كان شاعراً جواداً ولد في نجد وتوفي سنة ٥٧٨م ودفن في جبل عوارض، وكان من فرسان العرب المشهورين ومن كرماتهم البارزين، شريف الأخلاق يضرب المثل بجلوده، وله ديوان شعر مطبوع وأخباره كثيرة. انظر الموسوعة العربية ٦٨٤ والأعلام ٢/ ١٥١ وفيه مصادر أخرى.

لئن ذكروا في الجودِ (كعباً) و(حاتماً)
وما برحتْ تَنْهَلُ جوداً ونائلاً
ولله منها عارضٌ سَحَّ مُمَطِراً
تطوَّقني نعماك تَتَرَى بمثلها
وكم لي بكم يا (آل سعدون) مدحةً
إذا أنشدتْ سَرَّتْ نفوساً وطاطأتُ
وإني بكم يا (آل سعدون) شاعرٌ
بطلعتك الغراءِ موسمُ ثروتِي

فأنتَ لهذا العَصْرِ كعبٌ وحاتمٌ^(١)
يمِينُكَ لا ما تَسْتَهْلُ الغَمائم
دنانيِرُها من قَطْرِها والدِّراهم
بأحسن ممَّا طوَّقتُهُ الحَمائم
من القَوْلِ يَسْتوفي بها الشُّكْرَ ناظم
رؤوساً ومالتُ من رجالِ عَمائم
وها أنا في وادي ثنائِكْ هائم
ولي منك في نيلِ الثِّراءِ مَواسم

(٣١)

وقال يمدح الوالي مدحت باشا^(١) حين قدم البصرة متوجهاً إلى الأحساء ونجد

سَعِدْتُ (نجدُ) إذا وافَيْتَ (نَجْدًا) بقُدومِ منكَ إقبالاً وسَعْدًا
وإذا أصبَحْتَ في (أحساءِها) قيلَ للشُّرِّ عن (الأحساءِ) بَعْدًا

(١) هو أحمد مدحت باشا بن الحاج حافظ محمد أشرف. ولد في استانبول في صفر ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م ونشأ فيها وتنقل مع أبيه وكان أبوه قاضياً شرعياً وعين في شبابه كاتباً، ثم خدم في دمشق واستانبول وقونية وتدرج في الوظائف ونال المناصب العالية في البلقان وبورصة، وتجول في أوروبا مدة، وتأثر بالحياة الأوروبية واقتبس بعض الخطط في الزراعة والصناعة. وعين والياً على العراق سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م وأنشأ في بغداد جريدة الزوراء ومطبعة الولاية وشركة التراموي بين الكاظمية وبغداد. وأنشأ مدينة الناصرية وعين ناصر باشا السعدون متصرفاً فيها. ومدينة الرمادي، وبنى سراي بغداد وأنشأ فيها مدرسة الصنائع ودوائر تسجيل العقار (الطابو) ونقل من بغداد سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م حيث عين صدراً أعظم، وكان من دعاة الدستور وأسس جمعية الاتحاد والترقي التي استغلها أعداء الدولة العثمانية من الصهاينة والماسونيين وعملاء الشرق والغرب. وكان مدحت باشا ذا صلة متينة باليهود في الأقطار التي عمل فيها.. ونفاه السلطان عبد الحميد إلى الطائف في الحجاز وقتل هناك في ١٨ رجب سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م. ترجمته في تحفة الألباء في تاريخ الأحساء ص ٦١ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٥٨ - ٣٦٠ وديوان السيد حيدر الحلبي ٢ / ٣٩ - ٤٠ وشعراء الحلة ٤ / ٥٦ - ٥٧ وغيرها.

أقبلَ الخَيْرُ عليها كُلُّهُ
وأرادَ اللهُ أَنْ يَعصِمَها
كانَ كالضَّائِعِ مُلْكاً هَمَلًا
إِذْ تَصَدَّيْتُ لِأَمْرٍ لَمْ نَجِدْ
مُنْجِدًا مُسْتَنْجِدًا أَنْقَذْتَهُ
ورجالٌ أَنْتَ قَدْ أَعَدَدْتَهُمْ
كُلُّ مَقْدَامٍ إِلَى الحَرْبِ يَرى
كاللَّوَاءِ المُقَدِّمِ الشَّهْمِ الَّذِي
وَ (فَرِيقٌ) نَفَذَتْ أَحْكامُهُ
وَ (السَّعِيدُ) السَّيِّدُ الشَّهْمِ الَّذِي
إِنَّمَا التَّوْفِيقُ وَالْإِسْعَادُ مَا
جَرَّبُوا الأَيَّامَ سَخِطًا وَرِضًا
بذَلُوا أَنفُسَهُمْ فِي خِدمَةٍ
بِعَقُولٍ لَمْ تَزَلْ مُشْرِقَةً
فَعَلَتْ أَرَاؤُهُمْ مَا لَوْ جَرى
عَامَلُوا بِاللَّطْفِ مِنْهُمْ أُمَّةٌ
جَاءَتْ طابِعَهُمْ عَن رَغْبَةٍ
صَدَقُوا اللهُ عَلى ما عَاهَدُوا
شَمَلْتَهُمْ مِنْكَ بِاسْتِخْدامِهِمْ
وَلَعَمْرِي لَيْسَ بِالْمَغْبُوبِينَ مِنْ
لِمَزايا خَصَّكَ اللهُ بِها

مُنْجِزًا فَيْكَ بِاللَّطْفِ اللهُ وَعَدَا
مِنْ شَرارِ كادَتِ الأَخْيَارَ كَيْدًا
فاسْتَرَدَّ المُلْكَ أَهلُوه فَردًّا
قَبْلَ عَليَاكَ لَهُ مِنْ يَتَّصِدِّي
بِفَرِيقٍ صالِحٍ سارٍ مُجِداً
يَوْمَ تَلَقَى الأُسْدُ فِي الهِجاءِ أُسْداً
شَكَرَ نَعَمائِكَ فَرِضًا أَنْ يَؤدِّي
كانَ فِي الهِجاءِ لا يَألُوكَ جَهداً^(١)
بِالَّذِي تَأْمُرُهُ حَلاً وَعَقْداً^(٢)
كانَ مِنْ أَسْعَدِ خَلْقِ اللهِ جِداً^(٣)
بَرِحاً سِيفاً لَعَلِيكَ وَزِندا^(٤)
وَيَلُوا أَهْوالَها شَيْباً وَمُرْداً
أورثتَهُمْ بَعْدَها عِزًّا وَمَجْداً
وَسِيوفٍ تَحْصُدُ الأَعْمارَ حَصْداً
مَعها العَضْبُ الِيمانِي لأَكْدى
لَمْ تَجِدْ مِنْ طاعَةِ السُّلطانِ بُداً
حِينَ أَقْصَتْ مِنْ أبى الطاعَةَ طَرِداً
إِنَّهُمْ لَمْ يَنْقُضُوا فِي اللهُ عَهْداً^(٥)
أَنْعَمُ تَتْرُكُ حُرَّ القَوْمِ عَبيداً
يَشْتَرى مِنْكَ الرِّضا بِالرُّوحِ نَقْداً
أَكْثَرَ النِّاسِ لَها شُكْراً وَحَمْداً

(١) فِي الأَصُولِ: لَمْ يَألُوكَ - كِذا - وَفِي نِسخةِ ب (كسليمان و منصور وَفِي ..).

(٢) هُوَ الفَرِيقُ نَافِذٌ بِأَشا مَتَصَرِّفِ البَصْرةِ وَسَتائِي تَرَجَمْتَهُ.

(٣) هُوَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ نَقِيبُ البَصْرةِ وَسَتائِي تَرَجَمْتَهُ.

(٤) هُوَ أَحْمَدُ تَوْفِيقٌ بِأَشا وَسَتائِي تَرَجَمْتَهُ.

(٥) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ..) سِورةِ الأَحْزابِ الآيَةِ (٢٣).

يا مُشيراً، بالذي يرشِدُنَا
كلُّ ما جئْت به مُبْتَكِرٌ
فاركبِ البَحْرَ وَخُضْ لُجَّتَهُ
وانظرِ المُلكَ الذي اسْتَنْقَذْتَهُ
يَتَلَقَّاكَ بِأَعْلَى هِمَّةٍ
قد أَقْرَتْ واسْتَقْرَّتْ عِنْدَما
أصْبَحَتْ في عيشةٍ راضيةٍ
يَسْرَ اللهُ لَكَ الأَمْرَ كما
لا دُمُّ سِقالٍ ولا دَمْعُ جِجْرِي
يَهْنِكُ السَّيْفُ الذي أُهْدِي من
لستُ أدري سيّدي أيُّ كما
كلِّما جَرَدْتَهُ من غَمِّدِهِ
وَإِذا أَعْمَمْتَهُ كانَ له
دُمْتُ لِلدَّوْلَةِ عَيْناً وَيَدّاً
دَوْلَةً قد أَيَّدْتُ واتَّخَذْتُ
ويميناً إِنِّها إِن صَدَمْتُ
أو أَتَتْ نارَ عَدُوٍّ أوقِدْتُ
يا لكَ اللهُ هُمَماً بالذي

إِنما أَنْتَ بطرِقِ الرُّشْدِ أَهْدِي
من عُمومِ النِّفْعِ فِعْلاً يَتَعَدَّى
يا شَبِيهَ البَحْرِ يَوْمَ الجودِ مَدّاً
واجِرِ تَرْتيِبَكَ فيه مُسْتَبِداً^(١)
فَتُحَيَّا بالتَّهْانِي وتُفَدِّي
زَجَرَتْ طائِرُكَ المِيمونِ سَعِداً
ويأياك نلقى العيشَ رَعِداً
يَنْبَغِي لُطْفاً وإِحساناً وَقَصِداً
وكفاها رَبُّكَ الخَصْمَ الأَلِداً
مَلِكِ أَهداهِ إِنْعاماً وأَسْدِي^(٢)
هو أَمْضَى إِذْ يَكُونُ الرُّوعُ حَداً
كانَ بِرِقْفاً في أَياديكَ ورَعِداً
هَامٌ من يعصيكَ في الهِجاءِ غَمِداً
والحُسامِ العَضْبِ والركنِ الأَشْداً
من جُنودِ اللهِ أَنْصاراً وَجُنُداً
جَبَلاً بِالْبأسِ مِنْها خَرَّ هَداً
لأَحالَتِ حَرَّتْكَ النارِ بَرِداً
يَدْحُضُ الغيِّ وما جانِبَ رُشْداً

(١) إشارة إلى الحملة التي وجهها مدحت باشا على الأحساء ونجد وإحافها بالدولة العثمانية سنة ١٢٨٨هـ/

١٨٧١م وكان ضمن الحملة ناصر باشا السعدون والسيد محمد سعيد نقيب الأشراف في البصرة واشتركت

الكويت فيها أيضاً مع مدحت باشا بقيادة الشيخ عبدالله الصباح.

(٢) إشارة إلى السيف المرصع الذي أهده السلطان إلى مدحت باشا لنجاحه في هذه الحملة.

(٣) المشتار: الذي يشتر العسل ويجمعه من الخلايا.

(*) في الطبعة (١): (أيدي) وصوابها من الطراز الأنفس.

مُرَّ طَعْمِ السُّخْطِ حُلْوِيَّ النَّدَى
مَا رَأَتْ عَيْنَايَ أُنْدَى رَاحَةً
رَاحَةَ الدَّنْيَا وَنَاهِيكَ بِهِ
فَلَوَ أَنِّي فُزْتُ فِي أَنْظَارِهِ
أَنْتَ كَالدَّنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتُ
أَنْتَ أَسْنَى نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي
لَكَ فِي النَّاسِ عَلَى النَّاسِ يَدٌ
فَقَدْتُ وَجِدَانَ مَا نَحْذَرُهُ
فَعَلَى الْأَقْطَارِ مَذًى وَلَيْتَهَا

يَجْتَنِي الْمُشْتَارُ مِنْ أَيْدِكَ*^(٣) شَهْدَا
مِنْكَ فِي الْجُودِ وَلَا أُتَقَبَبَ زِنْدَا
مَخْلَصٌ لِلَّهِ مَا أَخْفَى وَأَبْدَى
جَعَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبُؤْسِ سَدًا
لِأَمْرِي، وَالدهرِ إِعْرَاضاً وَصَدَاً
نَحْنُ لَا نُحْصِي لَهَا حَصْرًا وَعَدَاً^(١)
نُظِمْتُ فِي جِيدِ هَذَا الدهرِ عَقْدَا
لَا أُرَاعَتْنَا بِكَ الْأَيَّامُ فَفَدَا
ظَلُّكَ الْخَافِي عَلَى الْأَقْطَارِ مُدَاً

(٣٢)

(١) أخذَه من قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) سورة النحل الآية (١٨).

(٢) هو العلامة الشيخ أحمد نور بن الحافظ محمد شريف بن محمد أمين الأنصاري الشافعي البصري. ولد سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ودرس على أبيه وكان والده عالماً وتاجراً. ثم درس على الشيخ عثمان بن سند حتى صار خليفته من بعده. وعين مدرساً في المدرسة السليمانية في البصرة عند وفاة شيخه ابن سند سنة ١٢٤٢هـ وكان يعظ في جامع الكواز بالبصرة. وقد تزوج أحد أبناء باش أعيان بابنة الشيخ الأنصاري. وفي سنة ١٢٥٧هـ أسند إليه القضاء في البصرة ولقب قاضياً عشرين سنة. وقد حج ثلاث مرات. وكان عالماً فاضلاً أديباً بارعاً، وكان ينظم الشعر، وله تخاميس لبعض القصائد لابن الفارض كما نظم بعض كتب الأصول في الفقه، وله رسالة (الإبانة في تحريض من له على الإعانة) وله كتاب (النصرة في أخبار البصرة) وهو تقرير قدمه إلى والي البصرة منيب باشا سنة ١٢٧٧هـ وكان الشيخ الأنصاري عضواً في مجلس إدارة البصرة من سنة ١٢٧٩هـ إلى ١٢٩٢هـ ثم عين وكيلاً لرئيس محكمة استئناف البصرة سنة ١٢٩٦هـ ثم تولى عن وظائفه. وكانت له صلوات ومودة مع كثير من علماء وأدباء العراق ولهم فيه مدائح ومنهم الملا عباس الزبيوري الحلبي وكان الأخرس يقيم عنده وتوفي في بيته وكذلك أقام عنده الشيخ محمد أمين الواعظ حين نفاه الوالي علي رضا اللاظ إلى البصرة. توفي الشيخ الأنصاري يوم الأحد وشيع صباح يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٢هـ ودفن بجوار الإمام الحسن البصري، وصلي عليه ثلاث مرات كما أقيمت عليه صلاة الغائب في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمته في عنوان المجد ١٦٧ وأعيان البصرة ٧ - ١٠ وشعراء الحلة ٣ / ٢٤٩ - ٢٥٠.

(* في الطبعة (١): (أبان) خطأ طباعي.

أَلَا هَلْ لِلْمُتَيِّمِ مِنْ مُجِيرٍ؟
يُقَالِبُهُ الْأَسَى ظَهراً لِبَطْنٍ
وَكَيْفَ يَقَرُّ بِالزَّفَرَاتِ صَبٌّ
يُعَالِجُ بِالهُوَى دَمْعاً طَلِيقاً
وَكَمْ فِي الْحَيِّ مِنْ لَيْثٍ هَصُورٍ
وَكُنْتُ عَلَى قَدِيمِ الدَّهْرِ أَصْبُو
وَكُنْتُ إِذَا زَارَتْ بِأَسْدِ غَيْلٍ
فَغَادِرُنِي الزَّمَانُ كَمَا تَرَانِي
فَاعْغُدُوا لِي إِلَى خَلِّ أَنْبِيسٍ
فَاهَأْ يَا أُمَيْمَةً ثُمَّ أَهَأْ
مَحَا مِنْ أَسْرَتِي الْأَشْرَافِ مِنْهُمْ
لَقَدْ بَعُدَ الْكِرَامُ النَّجْبُ عَنِّي
عَلَى أَتْيِ دَفِيعَتِي إِلَى زَمَانٍ
تَشَبَّهَتْ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي
وَأَمَسْتُ هَذِهِ الدُّنْيَا تُرِينِي
وَلَا زَالَتْ تَتَوَقَّعُ لِذَلِكَ نَفْسِي
لِعَلِّي أَنْ أُبَلِّغَهُ غَالِيلاً
أَرَانِي إِنْ حَالَتْ بَدَارُ قَوْمٍ
وَذِي عُجْبٍ أَضْرَّ الْجَهْلُ فِيهِ
يَرَى مِنْ نَفْسِهِ رَبَّ الْمَعَالِي
ضَرَبْتُ بِوَجْهِهِ وَصَدَدْتُ عَنْهُ

كَنْبِيبِ ذِي فَوَادٍ مُسْتَطِيرٍ^(١)
وَيُسَلِّمُهُ إِلَى حَرِّ الزَّفِيرِ
وَفِي أَحْشَاءِهِ نَارُ السَّعِيرِ
يَصُوبُ لِلْوَعَةِ الْقَلْبِ الْأَسِيرِ
صَرِيحِ لَوَاحِظِ الرَّشَاءِ الْغَرِيرِ
بِأَشْوَاقِي لِرَبَّاتِ الْخُدُورِ
رَأَيْتُ الْأُسْدَ تَفْرَعُ مِنْ زَنْبِيرِي
عَقِيرًا فِي يَدِ الْخَطْبِ الْعَقُورِ
وَمَا لِي غَيْرُ هَمِّي مِنْ سَمِيرِ
لَمَّا لَاقَيْتُ مِنْ دَهْرِ مُبِيرِ
كَمَا مُحِيتِ حُرُوفٌ مِنْ سَطُورِ
فَلَيْلِي بَعْدَهُمْ لَيْلُ الْخُرِيرِ
يُخَاطِرُ فِيهِ ذُو الْمَجْدِ الْخَطِيرِ
وَقَدْ تَاهَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ
حَوَادِثُهَا أَعَاجِيبُ الْأُمُورِ
إِلَى يَوْمِ عَبُوسِ قَمْطَرِيرِ
وَيَهْدَأُ بَعْضُ مَا بِي مِنْ زَفِيرِ
أَسَاءَ بَبَعْضِ أَقْوَامِ حَضُورِي
وَأَنْفٍ مُشْمَخِرٍ بِالْغُرُورِ
وَلَا رَبَّ الْخَوْرَنُقِ وَالسَّيْدِيرِ^(٢)
كَمَا صَدَّ الْعَظِيمُ عَنِ الْحَقِيرِ

(١) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (بنج كاه) وسجلها بأسطوانة.

(٢) الخورنق: قصر بظهر الحيرة، بناه سنمار للملك النعمان بن امرئ القيس. ثم قتله الملك بعد بنائه وهو المقصود هنا، والخورنق أيضاً قرية قرب بلخ، وفي المغرب بلد يسمى الخورنق. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٠١ - ٤٠٣. والسدير: قصر قريب من الحيرة، بناه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم، ويقرن بالخورنق في الغالب، انظر معجم البلدان ٣/ ٢٠١.

وَأَلْقَى الْمُعْجَبِينَ بِكُلِّ عَجَبٍ
وَكَمْ رَفَعَ الزَّمَانَ وَضِيعَ نَفْسٍ
وَكَمْ حَطَّ الْقَضَاءُ إِلَى حَاضِيضٍ
أَصَوْنُ عَنِ الْأَرَادِلِ عَزَّ نَفْسِي
وَلَا أَهْدَيْتُ مُنْذُ قَرَضْتُ شِعْرًا
وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ حَيٍّ وَلَكِنْ
أَتَيْتُ (البصرة) الْفِيحَاءَ أَسْعَى
أَزُورُ بِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ شَيْخًا
إِلَى عَالِمٍ مِنَ الْأَعْلَامِ فَفَرِدِ
لِ (أحمد) نُحْبَةَ الْأَنْصَارِ يَغْدُو
إِذَا مَا عُدَّتْ أَعْيَانُ قَوْمٍ
فَعَيْنٌ أَوْلَيْتُكَ الْأَعْيَانَ مِنْهُمْ
وَإِنِّي مُنْذُ رَكَنْتُ إِلَى عُلَاهُ
رَعَمْتُ بِوَدِّهِ أَنْفَافَ قَوْمٍ
إِذَا أَخَذْتُ بَغَارِبَهُمْ يَمِينِي
رَعَيْتُ لَدَيْهِ رَوْضَ الْعَزِّ غَضًّا
إِلَى مِنْهَاجِ شِرْعَتِهِ وَرُودِي
رَكَنْتُ إِلَى الْمَنَاجِيِبِ الْأَعَالِي
أَبَارَ بِنُورِ تَقْوَى اللَّهِ وَجْهًا
غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ النَّاسِ عَفٌّ
تَرَى مِنْ وَجْهِهِ مَا قَدْ تَرَاهُ
يُعَدُّ مِنَ الْأَوَائِلِ فِي تَقَاهُ
وَهَلْ يَخْفَى عَلَى أَبْصَارِ بَادٍ
فَخُذْ عَنْهُ الْعُلُومَ فَقَدْ حَبَاهُ

وَأَسْحَبُ ذَيْلَ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
فَنَالَ الْحَطَّ بِالسَّبَاعِ الْقَصِيرِ
وَكَانَ مَحَلَّهُ فَوْقَ الْأَثِيرِ
وَصَوْنُ النَّفْسِ مِنْ شَيْمِ الْغَيُورِ
إِلَى مَنْ لَا يَزَالُ بِلَا شُعُورِ
يُرَى فِي النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ
وَحُبُّكَ سَعَى مِقْدَامِ جَسُورِ
حَبَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ الْغَزِيرِ
تَفِيضُ عُلُومِهِ فَيُضُّ الْبُحُورِ
مَسِيرِي إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الْمَسِيرِ
وَقَابَلْنَا نَظِيرًا بِالنَّظِيرِ
وَقَلْبٌ فِي صُدُورِ بَنِي الصُّدُورِ
كَأَنِّي قَدْ رَكَنْتُ إِلَى ثَبِيرِ^(١)
رَمُونِي بِالْعُتُوتِ وَبِالنُّفُورِ
أَخَذْتُ بَغَارِبَ الْجَدِّ الْعَثُورِ
وَأَنْهَلَنِي مِنَ الْعَذْبِ النَّمِيرِ
وَعَنْ مَوْرُودِ نَائِلِهِ صُدُورِي
وَلَمْ أَرْكُنْ إِلَى وَعْدِ شَرِيرِ
وَقَدْ يَزْهَوُ عَلَى الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
رُؤُوفٌ بِالضَّعِيفِ وَبِالْفَقِيرِ
عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ الْمُسْتَنْيرِ
وَإِنْ وَافَاكَ بِالزَّمَنِ الْأَخِيرِ
شُمُوسُ عُلَاهُ بِأَدِيَةِ الظُّهُورِ
إِلَهُ الْعَرْشِ بِالْفَضْلِ الشَّهِيرِ

(١) ثبير: جبل معروف في مكة المكرمة. تغنى به الشعراء كثيراً، وفي مكة المكرمة جبال عديدة تسمى (ثبير) وتضاف مثل ثبير الزنج وثبير الخضراء وثبير النصح وثبير الأحذب وغيرها. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٢ - ٧٤.

ولم نَظْفَرْ بِمِثْلِ عُلَاهُ يَوْمًا
فَسَلَّ مِنْهُ الْعَوَامِضُ مُشْكَلَاتٍ
تَحُومُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضْلِ طَرًّا
وَلَمْ يَبْرَحْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ ظِلًّا
وَيُغْنِينِي عَنِ الْأَنْصَارِ مَوْلَى
لَهُ مَحْضُ الْمَوَدَّةِ مِنْ خُلُوصِي
سَأَجْزِيهِ عَلَى النُّعْمَاءِ شُكْرًا
لِمَطْبُوعٍ عَلَى كَرَمِ السَّجَايَا
زَهَتْ فِي حُسْنِ مَدْحَتِكَ الْقَوَافِي
وَطَابَ بِكَ التَّنَاءُ وَإِنْ شِعْرِي
فَدُمُّ وَاسْلَمَ عَلَى أَبَدِ اللَّيَالِي

بِمُطَّلَعٍ بِصِيرٍ بِالْأُمُورِ
فَإِنَّكَ قَدْ سَقَطْتَ عَلَى الْخَبِيرِ^(١)
كَمَا حَامَ الظَّمَاءُ عَلَى غَدِيرِ
يَقِي بِظِلَالِهِ حَرَّ الْهَجِيرِ
نَصِيرِي حِينَ يَحْذُلْنِي نَصِيرِي
وَمَحْضُ الْوَدِّ إِخْلَاصُ الضَّمِيرِ
بِمَا يَرْضِيهِ مِنْ عَبْدٍ شَكُورِ
وَمَجْبُولٍ عَلَى كَرَمٍ وَخَيْرِ
كَمَا تَزْهُو الْقَلَانِدُ فِي النُّحُورِ
تَضْمَخٌ مِنْ ثَنَائِكَ بِالْعَبِيرِ
وَعِشْ مَا دَمْتَ حَيًّا فِي سُرُورِ

(٣٣)

(١) من أمثال العرب (على الخبير سقطت) قاله مالك بن جبير العامري. وكان من حكماء العرب. مجمع الأمثال ١/ ٤٨٤.

(٢) هو الشيخ محمد جلبي بن عثمان من آل الزهير، توفي بالبصرة سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٧م. وقال إبراهيم فصيح الحيدري عن آل الزهير: «بيت الزهير بيت مجد وتجارة ورئاسة وخير وصدقات، ولهم الثروة التامة والتقدم والجاه كابرًا عن كابر، وكانت لأسلافهم الصولة في البصرة. ولهم وقائع عظيمة مع عشيرة كعب [في المحمرة] حيث إن كعبًا هجموا على البصرة عند عزل داود باشا [سنة ١٢٤٧] وقبل ورود علي رضا اللاظ. فقاتلهم آل الزهير مع عشيرة النجادة ودمروهم ومنعوهم عن البصرة. ونشأ فيهم رجال تقاة منهم الشيخ علي يوسف بن يوسف آل الزهير. وهو من دهاة العرب. وكذلك إخوته الشيخ عبدالرزاق وعبدالعزیز وعيسى وعبدالوهاب وعبداللطيف. وكان أبوهم الشيخ يوسف وأخوه الشيخ سليمان من أكابر الناس في حلب. ولهم جامع هناك. والشيخ يوسف سكن الزبير. ولهم في البصرة بيوت. وبعد وفاة الشيخ علي استولى الشيخ عيسى شيخ المنتفق على البصرة وقتل الشيخ عبدالرزاق وخالد وأحمد ومصطفى وهم كبار عائلة الزهير». وآل الزهير أسرة عربية من قبيلة ربيعة من بلدة (العارض) في نجد، هاجرت من نجد عند انتشار الدعوة الوهابية، وأول من هاجر منها يحيى بن سليمان بن محمد الزهير وولده يوسف وسليمان إلى الزبير وبنوا فيها بيوتًا من القصب. ولما استقر يحيى ومن معه من العشائر أخذت تتسع بهم قرية الزبير، ثم قصد بغداد وأعانه الوالي سليمان باشا سنة ١٢١١هـ - ١٧٩٧م وشجعه على بناء سور لمدينة الزبير وأعطاه مالاً لذلك، كما زوده ببعض الأسلحة للدفاع عن =

إلى العزِّ غُوري^(*) يا نياقي وأنجدي
 فلا عزَّ حتى أترك النُوقَ ترتمي
 عليها من الفتیان كلُّ مجردٍ
 يذودُ الكرى عن مُقلَّةٍ طمحتْ به
 تعودَ أن لا يشربَ الماءَ بالقذى
 فجردَها مثلَ القسيِّ حوانياً
 يبيتُ الدجى ما بين نومٍ مُشرَّدٍ
 يُعالجُ همًّا بين جنبيهِ للعلا
 رَفَضَتْ الهوى بـ (الكرخ) واللَّهوَ بالدُمى
 وراح كعینِ الديكِ صَفْواً تُديرها
 مُوردةً في الكأسِ بَعْدَ مزاجِها
 تعاطيْتُها صِرفاً ينمُّ أريجُها

ويا همَّتي قومي إلى المجدِ واقعدِي
 بنا وجيادِ الخيلِ تَكُدُّمُ باليدِ
 من الضَّيِّمِ أمضى من حُسامٍ مُجرَّدٍ
 إلى شَيْمِ برقٍ من فَخارٍ وسُودِ
 ولم ترضُ نفسُ المرءِ ما لم تَعوِّدَ^(١)
 لقطعِ الفياقي فدَفدأً بعد فدَفدُ
 لفقدانِ مَنْ يهوى ودمعٍ مُبددٍ
 ويَحسِرُ عن باعٍ لأروعِ أصيدِ
 وأعرضتُ عن بيضٍ من الغيدِ خُردٍ
 نظيرةً قَدَّ البانةَ المُتأوِّدِ
 كأنَّ مُزجتَ من ماءٍ خَدَّ مورِّدِ
 عليها فما استَغْنيتُ عن ريقِ أعيدِ

= بلدة الزبير وصد الموجة الوهابية، ثم أصبح الشيخ يحيى واسع النفوذ وتولى مشيخة الزبير. ولما توفي يحيى سافر ولده سليمان إلى حلب واشتغل بالتجارة وبقي يوسف وقد لمع اسمه في المنطقة المحيطة بالزبير، وأخذت بعض قبائل نجد تهاجر إلى الزبير. وفي سنة ١٢٤٠هـ - ١٨٢٦م جاء إلى الزبير الشيخ إبراهيم بن ثاقب ومعه أتباعه، وتقرب إلى الولاة وأخذ يزاحم الشيخ يوسف علي المشيخة، حتى أسندت المشيخة إليه، ثم تولاها من بعده ولده محمد، وظهرت المنافسة بين الأُسرتين على مشيخة الزبير، وأدت إلى تدخل الشيخ حمود الناصر، وقتل الشيخ يوسف الزهير ١٢٥٠هـ - ١٨٣٦م وتولى المشيخة محمد بن إبراهيم ثاقب. ثم قتله والي البصرة رمياً بالرصاص. وفي عهد عزيز آغا هاجر سليمان بن عبدالرزاق الزهير إلى الكويت وأجاره الشيخ جابر الصباح وأهدى إليه مقاطعة الصوفية. وبعد أن قضت الدولة على نفوذ آل ثاقب عادت المشيخة إلى آل الزهير. وتنتشر أسرتهم اليوم في البصرة والزبير والكويت ونجد.

عنوان المجد ١٦٥ والتحفة النبهانية ٩/ ١٢٥ - ١٢٦ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٠٤ وتاريخ الممالك ٧٧ ومباحث عراقية ١/ ١٤/ ١٧ ورسالة خاصة من الأستاذ إبراهيم عبداللطيف.

(*) في الطبعة (١): (خوري) وصوابها من الطراز الأنفس.

(١) أخذته من قول المتنبي:

لكل امرئٍ من دهره ما تعودا

وعادات سيف الدولة الطعن في العدى

الديوان، شرح العكبري ١/ ٢٨١.

وما كان باقي الليل إلا كأنه
 ذكرك يا ظمياً والنار في الحشا
 وإنني إذا مضت بقلبي مضاضة
 وما سرت عن سرّ إلا لمطلب
 وأصفر ذي وجهين من غير علة^(١)
 على وجهه من خالص اللوم شاهد
 وشيبة سوء أنبت الله شعرها
 أعرفه فضلي ويعلم أنني
 فهاتيك أخبرني وتلك قصائدي
 تمزق أعراض اللئام كأنها
 يروح عليها القوم عن نفثاتها
 تسير بها الركبان شرقاً ومغرباً
 تركت لكم - أعيان بغداد - منزلاً
 ففيم مقامي عندكم ظامياً الحشا
 وإنني عزيز النفس لو تعرفوني
 تمنون إذ تعفون عن غير مذنب
 ظلمتم عباد الله حين رفعتم
 وما (البصرة) الفيحاء من بعد فعلكم
 رفعتم على السادات منها أرذلاً
 فعلتم كما تبغون لا فعل منصف
 هبوا أنكم لا تتقوها ماثماً

على حدق الأفاق آثاراً إتمد
 ولولاك تلك النار لم تتوقد
 من الوجد داريت الأسي بالتجدد
 أسر به صحتي وأكبت حسدي
 يروح كما راح اللئيم ويعتدي
 متى استشهدته رؤية العين تشهد
 على عارضتي وعد مستجهل ردي
 أنا الشمس لا تحفى على عين أرمد
 لها نشرطي الذكر في كل مورد
 تصول عليها بالحسام المهدد
 بها السم مذخور بخزي مؤيد
 فمن منشد يشدو بها ومغرد
 تجور عليه النائبات وتعتدي
 ولا أنا بالواني ولا بالمقيد
 ولي بينكم ذل الأسير المصدد
 فتبت يدا مغولكم غل من يد
 أرذل^(*) قوم من خبيث ومن ردي
 بها غير أطلال ببرقة تهمد^(٢)
 لهم في حضيض الذل أسوأ مقعد
 وقلتم ولا عن رأي هاد ومرشد
 فهلاً اتقيتم من ملام المفنند

(١) في الأصل: واصفر ذو وجهين - كذا -

(٢) برقة تهمد: في بلاد العرب برقات كثيرة، وتضاف إلى قبائل أو مواضع وتعرف بها مثل برقة يثرب، وبرقة سمنان وبرقة النجد وبرقة واسط، وبرقة تهمد هذه تعود لبني دارم. انظر معجم البلدان ١/ ٢٨٩ - ٢٩٩ وفي هذا البيت وما بعده إشارة إلى عزل آل الزهير عن المشيخة وعودتها إليهم.

(*) في الطبعة (١): (أرذل) وصوبناها على الطراز الأنفس.

بذلت لكم نصحي وما تجهلون
فَقَوَّضْتُ وَالتَّقْوِيضُ عَنْ مِثْلِ أَرْضِكُمْ
وقلت لعيسي أَخَذَكَ الْجَدُّ بِالنَّوَى
فَأوردتها نَهْرَ الْمَجْرَةِ وَالْعُلَا
فَمَا أَرَبِي مِنْ بَعْدِ (فهد) و(بندر)^(٢)
نجيبُ ابنُ أنجَابِ الزَّهِيرِ الَّذِي بِهِ
فَتَى الْقَوْمِ مِنْ يَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَيْتِهِ
فِيهَا أَيُّهَا الظَّامِي وَتِلْكَ شَرِيعَةٌ
رَفِيعٌ عِمَادِ الْمَجْدِ مُسْتَمَطَّرُ النَّدَى
وَمَا حَمَلَتْهُ غَيْرُ أُمَّ نَجِيبَةٍ
لِنَّ قَلْدِ النَّعْمَاءِ مِنْ كَانَ مُنْعَمًا
تَسَبَّبَ بِالْإِحْسَانِ لِلْحَمْدِ وَالتَّنَا
إِذَا نَلْتُ مِنْهُ الْيَوْمَ سَابِعَ نِعْمَةٍ
عَلَى سُنَنِ الْمَاضِينَ مِنْ غُرِّ قَوْمِهِ
هَمُّ الْقَوْمِ يَرَوْنَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِ
تَسْوَدُهُمْ نَفْسٌ هُنَاكَ أَبِيَّةٌ

ولكن لما في النفس من مُتَرَصِّدٍ
إِذَا لَمْ يَطْبُ عَيْشِي وَيَعْدُبُ مَوْرِدِي
وَأَيَّاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ تَتَّبَعْدِي^(١)
تُحَدِّثُنِي أَنْ قَرَّبَ السَّيْرَ وَأَبْعَدَ
مِنْ (البصرة) الْفِيحَاءِ غَيْرُ (محمد)^(٣)
أَفَاخِرُ جَمْعِ الْأَكْرَمِينَ بِمُفْرَدٍ
يَعِشُ عَيْشَةً مِنْ فَضْلِهِ لَمْ تَنْكُدْ
مِنْ الْجُودِ فَاصْدِرْ حَيْثُمَا شِئْتَ أَوْ رِدِ
أَخُو الْمَنْهَلِ الصَّافِي وَذُو الْمَنْهَلِ النَّدِي
وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِ أَعْرَ مُمَجَّدٍ
فَمَا غَيْرُهُ فِي النَّاسِ كَانَ مُقْلَدِي
وَمَنْ يَتَسَبَّبُ لِلْمَحَامِدِ يُحْمَدُ
تَرَقَّبْتُ أَمْثَالَ لَهَا مِنْهُ فِي غَدِ
بَابَائِهِ الْغُرِّ الْمِيَامِينَ يِقْتَدِي
وَجَدُّ عَرِيقٍ سَيِّدًا بَعْدَ سَيِّدِ
فَكَانُوا إِذَا مَا بَيْنَ نَسْرِ وَفَرْقَدِ

(١) أخذهُ الرِّصَافِي عِنْدَ قَوْلِهِ فِي قَصِيدَتِهِ (السَّجْنُ فِي بَغْدَادِ):

عَلَى أَيِّ حَكْمٍ أَمْ لِأَيَّةِ حَكْمَةٍ

بِبَغْدَادِ ضَاعَ الْحَقُّ مِنْ غَيْرِ مَنْشِدِ

فَأَدْنَيْتُ لِلنَّجْوَى فَمِي نَحْوِ سَمْعِهِ

وَقُلْتُ لِأَنَّ الْعَدْلَ لَمْ يَتَّبِعْ بَغْدَادَ

وَالرِّصَافِي مُتَأَثِّرٌ بِالْأَخْرَسِ فِي كَثِيرٍ مِنْ قِصَائِدِهِ. دِيْوَانُ الرِّصَافِي ١ / ٤٦ .

(٢) فَهْدُ السَّعْدُونَ وَبَنْدَرُ السَّعْدُونَ، سَتَاتِي تَرْجَمَةُ كُلِّ مِنْهُمَا.

(٣) يَقْصِدُ مُحَمَّدَ جَلْبِي الزَّهِيرِ - الْمَدْرُوحِ.

وَهَزَّتْهُمْ يَوْمَ النَّدى أَرِحِيَّةٌ
يُطْرَبُهُمْ سَجْعُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
إِذَا أَوْعَدُوا الطَّاعِينَ بِالْبَأْسِ أَرْهَبُوا
كِرَامًا إِذَا اسْتَمَطَّرَتْ وَبَلَّ أَكْفُهُمْ
يُقَالُ لِمَنْ يَرُوي أَحَادِيثَ فَضْلَكُمْ
الَّذِي مِنَ الْمَاءِ النَّمِيرِ ادِّكَارُهُمْ
سَقَاهُمْ وَحَيَّاهُمْ بِصِيْبِهِ الْحَيَا
فَكَمْ تَرَكُوا فِي الْمَادِحِينَ أَخَا نَدَى
إِذَا هُمْ لَا تَتَنَّبِيهِ عَن عَزَمَاتِهِ
يَرى رَأْيَهُ مَا لَا تَرى عَيْنٌ غَيْرِهِ
وَمَنْ لَابَسٍ بُرْدِ الْأَبْوَةِ كُلِّمَا
بَنَوْهَا وَلَكِنْ بِالسُّيُوفِ مَعَالِيًا
وَكَمْ بَدَلُوا مِنْ أَنْفَسِ الْمَالِ مَا غَلَا
فَهَذَا (ابن عثمان)** المَهْدَبُ بَعْدَهُمْ

كَأَنْ شَرَبُوا مِنْ كَأْسِ صَهْبَاءٍ صَرَّخَدٍ
بِيَوْمِ الْوَعَى لَا مَا تَرى أُمَّ مَعْبَدٍ
وَإِنْ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى فَعَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ
أَرَاقَتُهُ وَبَلًّا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسَّجَدٍ
أَعَدُّ وَاسْتَعَدُّ ذِكْرَ الْكِرَامِ وَرَدُّ
عَلَى الْكَبِدِ الْحَرَّى مِنَ الْحَائِمِ الصَّدِيِّ
وَجَادَهُمْ مِنْ مُبْرِقِ الْمُزْنِ مُرْعِدٍ
قَدِيمِ الْعُلَا يَسْعَى لِمَجْدٍ (*) مَمَّجِدٍ
إِلَى الْمَجْدِ يَوْمًا حَيْرَةً الْمُتَرَدِّدِ
وَبِالرَّأْيِ قَدْ يَهْدِي الْمَضَلَّ فَيَهْتَدِي
تَقَادِمَ قَالَتْ نَفْسُهُ وَيَكُ جَدِّدٍ
فَكَانَتْ وَلَكِنْ مِثْلَ طَوْدٍ مُوْطَدٍ
فَلَمْ يَرْغَبُوا إِلَّا بِذِكْرِ مَخْلَدٍ
يَشِيدُ عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ الْمَشِيدِ

(٣٤)

تَنْقَلَتْ مِثْلَ الْبَدْرِ يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ
بِأَمْرِ وَلِيِّ الْأَمْرِ سِرَّتْ وَلَمْ تَزَلْ

فَمِنْ مَنْزِلٍ عَزَّ إِلَى مَنْزِلٍ فَخَرَّ
كَمَا أَنْتَ تَهْوَى صَاحِبَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ

(*) فِي الطَّبَعَةِ (١): (الْمَجْد) خَطَأً طِبَاعِي.

(١) هُوَ الشَّيْخُ بَنْدَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تَامِرِ آلِ السَّعْدُونَ، زَارَ بَغْدَادَ مَرَارًا، وَتَوَلَّى مَشِيخَةَ الْمُنْتَفِقِ سَنَةَ ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٢م بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ الشَّيْخِ عَيْسَى وَكَانَ كَبِيرَ الْهَمَّةِ شَجَاعًا مُحْتَرَمًا. يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الْوَلَاةُ فِي الْأَزْمَاتِ. وَقَدْ أَبْلَى بِلَاءَ حَسَنًا فِي سُدُودِ الْفَرَاتِ عِنْدَ الْفِيضَانَاتِ، وَنَالَ أَوْسَمَةَ رَفِيعَةً وَقَدْ عَلَا صِنْتَهُ وَامْتَدَّتْ سُلْطَتُهُ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَقَدْ وَرَدَ خَيْرُ بَنْدَرِ السَّعْدُونَ فِي الْكُتُبِ وَلَمْ تُورَدِ شَيْئًا عَنِ حَصَارِهِ لِلْكُوَيْتِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرَّشِيدُ أَنَّ السَّعْدُونَ قَدْ هَمَّ بِالْهَجُومِ عَلَى الْكُوَيْتِ وَلَكِنَّهُ تَرَاجَعَ عَنِ عَزْمِهِ، تَوَفِيَ سَنَةَ ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م. انظُرْ تَارِيخَ السَّعْدُونَ ٤١ - ٤٧ وَالتَّحْفَةَ النَّبَهَانِيَّةَ ٩٠ / ٩٠ وَتَارِيخَ الْكُوَيْتِ السِّيَاسِي ١١٨ / ١١٨. وَمَخْتَصَرَ تَارِيخِ الْكُوَيْتِ ٦٥.

ومثلُّكَ من يُدعى لكلِّ مُلِمَّةٍ
تُعِدُّكَ لِلخَطْبِ المُلوكِ نَخيْرَةً
فإمَّا إلى حربٍ وقد شبَّ جَمْرُها
وإمَّا إلى بأسٍ شديدٍ وقُدْرَةٍ
طلعت على (بغداد) يوماً فشاهدتُ
تباشرت الأشرافُ حين تحقَّقتُ
إذا قيلَ وأفى (بندر) قالَ قائلٌ
فأعمرتَهُم بالفضلِ حتَّى ملكتَهُم
قَضتْ بك أعيادَ المَسْرَةِ والهناءِ
وشدَّ وزيرُ أزره بك فاعْتدى
ولمَّا نشرتَ العدلَ من بعد طيِّه
ذُكرتَ لسلطانِ السلاطينِ كلِّها
فأهدى إلى عليك ما أنت أهلهُ
وأرغمتَ أنافاً وأكبتَ حُسداً
وقد جئتُ مسرورَ الفؤادِ مُؤيداً
تجرُّ ذبولَ الفخرِ تيهاً على العدا
تحفُّ بك الفُرسانُ من كلِّ جانبٍ
ولمَّا رأيتَ الماءَ طمَّ على القُرى
طغى والذي يطغى وقد مدَّ باعهُ
وما سالَ مثلَ السَّيْلِ إلا رددتهُ
سلكتَ به النَّهْجَ القويمَ لو اهتدى
حشرتَ لِسَدِّ الماءِ كلَّ قبيلةٍ

من الدهرِ مقدامٍ على نُوبِ الدهرِ
وإنَّ الرجالَ الشُّوسَ من أنفُسِ الذُّخْرِ
لها شرٌّ ترمي به الجمعَ كالقصر^(١)
وإمَّا إلى عالٍ رفيعٍ من القُدْرِ
بوجهك يا مؤلى الورى طلعةُ البدرِ
قدومك بالإكرامِ والنائلِ الوفرِ
من البشرِ وفاقمُ إذا وابلُ القطرِ
ببِرِّك، إنَّ الحرَّ يملكُ بالبرِّ
وهاتيك أعيادُ تُعدُّ من العُمَرِ
لعمرى قويُّ الأزرِ مُنْشَرِحِ الصِّدْرِ
وأحسنتَ طيَّ الجورِ في ذلك النَّشْرِ
وقد قيلَ إنَّ الأذنَ تعشقُ بالذكرِ
فقارنَ بدرُ التَّمِّ بالكوكبِ الدرِّي
وحاقَ بأهلِ المَكْرِ عاقبةُ المَكْرِ^(٢)
من الله بالتَّوفيقِ والفتحِ والنَّصرِ
ألا إنَّ حَفْضَ العيشِ من ذلكَ الجَرِّ
وتدعوك الأملاكُ بالسِّرِّ والجَهْرِ
وأصبح في إفساده أبدأً يجري
ليُفسدَ أمسى مدَّه منك في جزرِ
وخلَّيتَ منه سائلَ البحرِ في نهرِ^(٣)
لما ضلَّ هذا الماءُ في مَهْمَةٍ قَفَرِ
لها وقفَةٌ ترضيك في وقفَةِ الحشرِ

(١) أخذته من الآية الكريمة (إنها ترمي بشرر كالقصر) سورة المرسلات الآية (٣٢).

(٢) أخذته من الآية الكريمة (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) سورة فاطر الآية/ ٤٣.

(٣) مثل السيل: يقصد سيل العرم.

تَسُدُّ تُغُوراً لَا تُسَدُّ وَلَمْ يَكُنْ
فَكَيْفَ إِذَا بَحْرٌ أَضُرُّ وَإِنَّمَا
وَمَا زِلْتَ مَدْعُوَ الْجَنَابِ لِمِثْلِهَا
تُدْفَعُ عَنْ مُلْكِ (العراق) وَأَهْلِهِ
بَضْرِبِ طُبْيِ بِيضٍ تَأْجِجُ بِالرَّدَى
وَأَنْتُمْ أَبَاةَ الضَّيْمِ مَا نَلَّ جَارِكُمْ
لَكُمْ وَاللَّيَالِي حَيْثُ تَمْضِي وَتَنْقُضِي
بِيوتُ عَلَى شَطِّ (الفرات) رَفِيعَةً
وَلَوْلَا طُرُوقُ الضَّيْفِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَمَا ضَلَّ سَارِي اللَّيْلِ إِلَّا أَهْتَدَى بِهَا
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصُوى إِلَى الْجُودِ وَالنَّدَى
فَلِلضَّيْفِ فِيهَا مَشْهَدُ الْحَجِّ فِي (مِنَى)
مَكَارِمُ قَدْ أَوْرَثْتُمُوهَا قَدِيمَةً
سَلَكْتَ بِتِلْكَ الْخِيَمِ مَا سَلَكْتَ بِهِ
تَسْلُ السُّيُوفَ الْبِيضَ كَفُّكَ لِلوَرَى
وَعَلَّمْتَهَا ضَرْبَ الرِّقَابِ فَأَصْبَحَتْ
مَلَأَتْ فَوَادَ الضُّدِّ رُعْباً وَرَهْبَةً
فَهَايَكَ مِنْ خَلَى (العراق) وَرَاءَهُ

سِوَاكَ سِدَادٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِلتُّغُرِ (١)
فَعَلْتَ بِهَذَا الْبَحْرِ فَعَلَّكَ فِي الْبَرِّ
فَتَكشِفُ مَا قَدْ حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ ضُرِّ
مُدَافَعَةَ الْمُغْتَارِ عَنْ رَبِّةِ الْخِدرِ (٢)
وَطَعَنَ قِنَاً سُمْرٍ أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ
وَلَا نَظَرْتَكُمْ أَعْيُنُ الضَّيْمِ عَنْ شَرْزِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ كَانَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
تُرَى نَارَهَا تَبْدُو لِمَنْ حَلَّ فِي (مِصر)
لَمَّا بَنَيْتِ إِلَّا عَلَى الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
كَنُورِ سَنَا الْإِسْلَامِ فِي ظُلْمَةِ الْكُفْرِ
إِلَى مَنْزَلِ رَحْبٍ إِلَى نَائِلٍ وَقَرِّ
وَلِلنُّوقِ فِيهَا لِلقَرَى مَشْهَدُ النَّحْرِ (٣)
وَتِلْكَ مَوَارِيثُ لِأَبَائِكَ الْعُورِ
وَمَا سَلَكْتَ إِلَّا بِمَسَلِكِهَا الْوَعْرِ
فَكُفُّكَ لِلجِدْوَى وَسَيْفُكَ لِلقَهْرِ
تَقْدُّ رِقَابَ الْفَاجِرِينَ وَلَا تَدْرِي
وَأَوَّلُ مَا تَرْمِي أَعَاذِكَ بِالذُّعْرِ
فَكَيْفَ بَمَنْ لَا يُسْتَنْزَلُ عَنِ الْوَكْرِ

(١) فيه تلميح إلى قول الشاعر العرجي:

أضَاعُونِي وَأَيُّ فِتْيِ أَضَاعُوا
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ تُغُرِ

الديوان ص ٤٣ بتحقيق المرحومين رشيد العبيدي وخضر الطائي.

(٢) المغتار: الغيور.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف: (أيام منى أكل وشرب) أي لا يصح الصيام بأيام التشريق للحجاج. ويقصد الشاعر كثرة الذبائح في بيت المدوح.

ولم تنج من صمصام صَوْلَتِكَ العدا
لك الله ما شَيَّدت بيتاً من العُلا
لك المدحُ منّا والثناءُ بأسره
عن النعمِ اللَّاتِي بَلَّغْنَا بها المُنَى
تَجَلُّ عن التَّعدادِ إِنَّ هِيَ أَحْصَيْتُ
عَجَزْتُ بأنْ أَقْضِي لها حقَّ شُكرها

ولو أَنَّها طارتْ بأجْنِحَةِ النَّسرِ
على غيرِ سُمْرِ الخَطِّ والقَضْبِ البُئرِ
على أَنَّ في الأخرى لك الفوزُ بالأجرِ
وبيضِ أَيْادِ مَنْكَ في الأزْمَنِ العُبرِ
فيا ليتْ شِعْري ما أقولُ منَ الشُّعرِ
فليس يَفِي (*). نَظْمِي بذاكَ ولا نَثْري

(٣٥)

نَبَّهتِ الورقاءُ ذاتُ الجِناحِ
والليلُ قد أجْفَلَ من صُبْحِهِ
مُهْفَهْفُ الأعْطافِ من قَدِهِ
فقامَ يَسْقِيها ويُهْدِي إلى
وما أَلَدَّ الرَّاحَ من شادِنِ
تَسْتَنْطِقُ العُودَ لدى مَجْلِسِ
والوَرِقُ في الأوراقِ أَلحانُها
وربَّ يَوْمٍ كانَ عِيدَ المُنَى
ورُحَّتْ في الحُبِّ على سِكرتِي
ومَنْ يَلْمُنِي بالهَوَى قَوْلُهُ
فاصْطَلَحَ القَوْمُ على أَنَّهُ

من غَفَلَةِ الصَّحْوِ إلى شُرْبِ راحِ
فأَكْثَرَ الدَيْكُ عليه الصِّياحِ
وطَرَفِهِ الفَتانِ شاكي السِّلاحِ
روحَ النَّدامَى بالمُدَامِ ارتياحِ
مُهْفَهْفِ القَدِّ وَخَوْدِ رِداحِ
أَلْسِنَةُ الأوراقِ فِيهِ فِصاحِ
مطربَةٌ بينَ الغِنا والنُّواحِ
نَحَرَتْ فِيهِ الرِّقُّ (**). نَحَرَ الأضاحِ
بالغِيِّ لا أصغِي إلى قَوْلِ لاحِ
يَمْرُبِي مِثْلَ هُبوبِ الرِّياحِ
ما بينَ عُدْالي وبيني اصْطِلاحِ

(١) مرت ترجمة أسرة آل الزهيري في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٢) ولم أعتد على ترجمة السيد عبدالله الزهيري من بينهم، وهذه القصيدة في النسخة المخطوطة (ب) رقم (٦١٥) المجمع العلمي العراقي جاء فيها أنها بمدح عبدالله الصباح شيخ الكويت وكذلك في نسخة الأنكرلي وهذا وهم من النساخ، لأن ذكر آل الزهيري في آخر القصيدة.

(* في الطبعة (١): (يعني) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الذوق) وما اثبتناه من الطراز الأنفس.

يا صاح ما أنت وطيب الكرى
 واشرب ولا تُصنع إلى قائل
 ما وجد الراحة إلا أمرؤ
 تنفس الصُّبْحُ فَمُّ قَائِماً
 وابتسم الوردُ ودمع الحيا
 فاقطع علاقات الأسي بالطلا
 وانفق نفيس العمر في قهوة
 مُستنشقا منها عبير الشذا
 مع كل ندمان كبدري الدجى
 حي على الراح وقم هاتها
 ولتك من ريقك ممزوجة
 يا أيها الساقى الذي أئخنت
 يشكو إليك القلب من ضعفه
 ما خطر السلوان في خاطري
 يجد بالنصح فالهوبه
 من سره شيء فما سرنى
 أو فضح الصب فكم مغرم
 وما يرى كتمان سر الهوى
 إذا وضعت الشعر في أهله
 إنى أرى المُنصف في أهله
 قد أئبت الودُّ بقلبي له
 فيا رعاه الله من ماجد
 قيدي في البر من فضله
 أطرب إن شاهدته مطرباً

فبادر اللذات بالإصطباح
 هذا حرامٌ ولهذا مباح
 أعرض عن عاذله واستترح
 نحو صراحيّة ماء صراح^(١)
 في وجنة الورد وثغر الأقاح
 وصل بكاسات الغدو الرواح
 تقضي على الهم قضاءً متاح
 تفوح كالمسك إذا المسك فاح
 ما اقتض بكر الدن الإسفاح
 وقُل لمن لاح الفلاح الفلاح
 لا أشرب الراح بماء قراح
 أحداقه في القلب مني الجراح
 فتور عينيك المراض الصّاح
 بلائم فيه فسادي صلاح
 وأدفع الجد ببعض المزاح
 في الدهر شيء كوجه الملاح
 أسلمه الحب إلى الإفتراح
 من كتم الحب زماناً وباح
 فلي بزند الافتخار اقتراح
 يمدح (عبد الله) أي امتداح
 محبة لم يمّحها قطّ ماح
 طاب به المغدى وطاب المراح
 فليس لي عن بابه من برّاح
 وما على المطرب فيه جناح

(١) الصراحيّة: دورق من الزجاج (البلور) يوضع فيه الماء في الشتاء وكانها مأخوذة من (الصراح) أي الخالص الصافي. وهي في لسان العرب (أنية للخمر) وأنكرها ابن دريد. انظر لسان العرب مادة (صرح).

ولم أزل في القُرب من وده
تالله ما شمت له بارقاً
يلوح لي في الحال من وجهه
يفعل بالأموال يوم الندى
أغر صافي القلب مُستبشراً
قد خصه الله وقد زانه
لا يعرفُ الهَمَّ سَميراً له
لم يُبق لي في أربِ بُغْيَةٍ
من الذين أفترت فيهم
يُصان من لاذ بعلياهم
لهم من العلياء إن سوهموا
محاسن المعروف يُبدونها
كما استهلت ديمة أمطرت
تشق يوم الرّوع أيماهم
ترعرعوا في حجر أم العلاء
وزاحموا الأنجم في منكب
كم قدموا للحرب في موطن
وأرعفوها من دماء قنبا
أسد الوعى لا زال أسيافهم
من كل من تبعت همة
لم تنب في مضر بها عزيمة^(١)
(أل زهير) الأنجم الزهر في
إن أمسكوني فبإحسانهم
لا برحت تُكسى بأمداحهم

أقرع بالأفراح باب النجاح
إلا ولاح الجود من حيث لاح
بشر ميامين الندى والسماح
ما تفعل الأبطال يوم الكفاح
بالأنس مرهوب الطبي والصفاح
برفعة القدر وخفض الجناح
ولا يلاقيه بغير انشراح
ولا على نيل الأمانى اقتراح
بيض طبي الهند وسمر الرماح
ومألهم من جودهم مستباح
سهم المعلّى من سهام القداح^(*)
وأوجه الأيام سود قبّاح
على الروابي قطرها والبطح
قلب الأعادي بصدور السلاح
وأرضعوا منها غريب اللقاح
يزيح في الأخطار ما لا يزاح
فقرّبوا بين خطاها الفساح
ترمد بالطعن عيون الجراح
تنحّر بالهيجاء كبش النطاح
تطمح للغايات كل الطماح
منهم ولم تصلد لدى الإقتداح
سماء أفلاك العلاء والسماح
أو سرحوني فجميل السراح
ذات الغواني حسن ذات الوشاح

(*) في الطبعة (١): (القراح) وهو خطأ طباعي وصوبت على الطراز الأنفس.

(١) في المطبوع: لم تنبو - كذا -

وقال يمدح العلامة عبدالغني جميل^(١) [ويشكو حاله وسوء الأوضاع في بغداد

ومن لا يعي للقول كيف خطابه؟^(٢)
سقى الدار غيثاً مُسْتَهْلَ سَحَابِهِ
بدمعِ تَوَالِي غَرْبِهِ وَأَنْسِكَابِهِ
بمغنيك شيئاً قُرْبَهُ وَاجْتِنَابِهِ
وهل راجعٌ بعد المَشْيِبِ شَبَابِهِ
يروقُ ويصفو كالرحيقِ شَرَابِهِ
أَسَى فِي فَوَادِي قَدِ أَنْاخَ رِكَابِهِ
زَهَابُ شَبَابٍ لَا يَرْجَى إِيَابِهِ
وذلك دأبي ييا أممِيمٌ ودأبُهُ
ووقفٌ على الحُرِّ الكَرِيمِ مُصَابِهِ
بمُسْتَوَظِنٍ ضَاقَتْ بِمَثَلِي رَحَابِهِ
يطولُ معَ الأَيامِ فِيهَا عِتَابِهِ
وما ينقضي هذا الزمانُ عَجَابِهِ
وقد تَلَعُ العَذْبَ الفِرَاتِ كِلَابِهِ
وفاخرَ رَأْسِ القَوْمِ فِيهَا ذِنَابِهِ
إِذَا اكْتَنَفَ الضَّرْغَامَ بِالذَّلِّ غَابِهِ
وَيُكْشَفُ عن وَجْهِ الصَّبَاحِ نِقَابِهِ
وَيَصْدُقُ من وَعْدِ الرَّجَاءِ كَذَابِهِ
تُفَلُّ مَوَاضِيهِ وَتَنْبُو حِرَابِهِ

سؤالك هذا الربع أين جوابه؟
وقفت وما يغنيك في الدار وقفة
غناؤك في تلك المنازل ناظر
إلى طلل أقوى فلم يك بعدها^(٣)
ذكرت كأيام الشبيبة عهده
وقد كان ذاك العيش والغصن ناعم
وجدت لقلبي غير ما تجدينه
يفض ختام الدمع يا مي حسرة
ودهر أعاني كل يوم خطوبه
مسوق إلى ذي اللب في الناس رزوه
وحسبك مني صبر أروع ماجد
يبيت نجي الهَمِّ في كل ليلة
قضى عجباً منه الزمان تجلداً
تُذادُ* عن الماء النَمِيرِ أسوده
ألم يحزن الأبي رؤوس تطامنت
وأعظم بها دهياً وهي عظيمة
متى ينجلي هذا الظلام الذي أرى
وتلمع بعد اليأس بارقة المني
ومن لي بدهر لا يزال محاربي

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) بعض أبيات هذه القصيدة غناها الأستاذ القبانجي بمقام (الأوج) ومقامات أخرى.

(٣) أقوى: أي خرب ولم يصبه مطر. وأقوى من الأضداد بمعنى افتقر وبمعنى استغنى، وهي هنا بمعنى افتقر، والأرض القي والقواء: الخراب. التي لم يصبها مطر ولا زرع فيها. انظر لسان العرب مادة (ق و ي).

(* في الطبعة (١): (تُزاد) وما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عَقُورٌ عَلَى شِلْوِي يَعْضُ بِنَابِهِ^(١)
رَمَتْهُ الرُّومِي بِالسَّبَابِ مَذْمَةً
تَصَفَّقَتْ إِخْوَانِي فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ
أَفِي النَّاسِ لَا وَاللَّهِ مَنْ فِي إِخَائِهِ
يُسَاوِرُنِي كَأْسُ الْهُمُومِ كَأَنَّمَا
وَأَبْعَدُ مَا حَاوَلْتُ حَرًّا دُنُوهُ
نَصِيبُكَ مِنْهُ شَهْدُهُ دُونَ صَابِهِ
يُرِيكَ الرِّضَا وَالدهْرُ غَضْبَانٌ مُعْرِضٌ
وَرَأَيْكَ لَيْسَتْ فِي الْمَشَارِعِ شَرِيعَةٌ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَثَلَمَا أَنْتَ عَارِفٌ
بَأَوْتُ بِهِمْ حَلَوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ
كَأَنِّي أَرَى (عَبْدَ الْغَنِيِّ) بِأَهْلِهِ
يُمَيِّزُهُ عَنْهُمْ سَجَايَا مَنُوطَةٌ
ثَمِينٌ لَأَلِي الْعَقْدُ حَالِيَّةٌ بِهِ
إِذَا نَابَ عَنْ صَوْبِ^(***) الْعَمَامِ فَإِنَّهُ
تَأَلَّقَ فَانْهَلَتْ عَزَالِيهِ وَارْتَوَى
أَتَعْرِفُ إِلَّا ذَلِكَ الْقَرْمَ أَبْيَاً
تَسْرِبِلٌ فَضْفَاضَ الْأَبُوتِ كَأَنَّهَا
وَلَمْ يَنْزِلِ الْأَرْضَ الَّتِي قَدْ تَطَامَنْتُ
لَقَدْ ضُرِبَتْ فَوْقَ الرُّوَاسِي وَطُنَّبَتْ

وتعدو علينا بالعوادي ذنابه
وما ضرر في عرض اللئيم سبابه
قويماً على نهج الوفاء اصطحابه
تشد على العظم المهيض عصابه
يمج بها السم الزعاف لعابه
دنوك مما يرتضي واقترابه
إذا كان ممزوجاً مع الشهد صابه
وترجوه للأمر الذي قد تهابه
ولا منهل عذب يسوغ شرابه
فلا تطلبن الشيء عز طلابه
فسيان عندي عذبه وعذابه
غريباً^(*) من الأشراف طال اغترابه
باروع من زهر النجوم سخابه^(**)
من الفضل أعناق الحجا ورقابه
- إذا لم يصب صوب الغمام - منابه
به حزن راجيه وسالت شعابه
على الدهر يقسو أو تلين صلابه
وزرت على الليث الهصور ثيابه
ولو أن ذاك الربع مسكاً ترابه
على قليل المجد الأثيل قبابه

(١) الشلو والشلا: الجلد والجسد من كل شيء، وكل مسلوخة أكل منها فبقيتها شلو وشلا. لسان العرب مادة (شلا). وقال خبيب بن عدي رضي الله عنه: وذلك في ذات الإله وإن يشأ بيارك على أوصال شلو ممزج

انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٥.

(٢) في المطبوع: وحلق في جو الفخار نقابه. من أغلاط الطباعة.

(*) في الطبعة (١): (غريب) والصواب ما أثبتناه لأن أرى تنصب المبتدأ والخبر.

(**) (سَخَاب: كل قلادة كانت جوهرًا أو لم تكن. انظر لسان العرب. مادة (سخب).

(***) في الطبعة (١): (صرب) وصوبت على الطراز الأنفس.

فأصبحت الشَّمُّ العَرَائِنُ دونه
أبى الله والنَّفْسُ الأَبِيَّةُ أن يَرى
فدانت له الأخطارُ بَعْدَ عَتَوْهَا
ولو شاءَ كَشَفَ الضَّرَّ فَرَّقَ جَمْعَهُ
ومجتهد في كلِّ علمٍ أبيَّةٌ
بفكرٍ يرى ما لا يرى فكرٍ غيرِه
مُقيمٌ على أن لا يزَالَ قِطَارُهُ
وأما خَلا ذاك الغَمَامِ فَمُقْلَعٌ
وناهيك بالندبِ الذي إن نَدَبْتَهُ
ذبابُ حُسامِ البأسِ جَوْهَرُ عَضِيهِ (١)
عليمٌ بما يقني التَّنَاءَ وعاملٌ
إذا انتسبَ الفعلُ الجميلُ فإنما
هل الفضلُ والإحسانُ إلا صَنِيعُهُ
وإني متى أُحْلِيْتُ من ثروةِ الغِنَى
بدا لي أن أعشُو إلى ضَوْءِ نارِه
فأصدرنِي عنه مَصادِرُ واري
وأصبحَ مَرْمُوقَ السَّعَادَةِ بَعْدَمَا
إذا ذهبَ المعروفُ في كلِّ مَذْهَبٍ
فلمستَ تراني ما حَيِيْتُ مُؤْمَلًا
ولا مُسْتَثْيِبًا من دَنِيٍّ مَثْوِيَّةً

وحلَّقَ في جوِّ الفَخَارِ عُقَابَهُ (٢)
بغيرِ المعالي هَمَّهُ واكتنَّابه
وذلتُ له من كلِّ خطبٍ صِعباه
وما فارقَ العَضْبَ اليماني قِرابه
فلا يتعدَّها لعمري صوابه
يَشُقُّ جَلَابِيْبَ الظلامِ شِهَابَهُ
يَصُوبُ وهذا صَوْبُهُ وأنصِباهُ
وعما قليلٍ يَخْمَحِلُّ ضَبَابَهُ
كفأك مُهَمَّاتِ الأُمُورِ انتدابهُ
وما الصَّارِمُ الهنديُّ لولا ذُبابهُ؟
وداعٍ إلى الخيرِ العظيمِ مُجابهُ
يكونُ إلى رَبِّ الجميلِ انتسابهُ
أم الحمدُ والشُّكرانُ إلا اكتسابهُ؟ (٢)
وأُغْلِقُ من دونِ المَطامِعِ بابَهُ
وأصْبُو إلى ذاك المَرِيحِ جَنابَهُ
من اليمِّ زَخَارِ التَّوَالِ عُبَابَهُ
خَلَّتْ نَمَّ لا زالتُ مِلاءً وطابَهُ
إليكَ برغمِ الحادِثاتِ مآبَهُ
سِوَاكَ ولم يعلُقُ بي التَّنْذِلُ عابَهُ
حرامٌ على الحُرِّ الأبيِّ ثوابهُ
ولا غَرْنِي في الظامئِينَ سَرَابَهُ

(١) ذباب السيف: حده وطرفه الذي يضرب به.

(٢) هذا البيت لم يرد في الأصول، وأثبتته المرجوم عباس العزاوي في مجموعة شعر الأخرس.

(٣٧)

وقال مادحاً قائماً مقام البصرة منيب باشا^(١) [وهي من البسيط]:

فاسلمُ ودمٌ سالماً بالعزِّ وافتخرِ
تَكَادُ تَلْحَقُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
والمُتَّقِي منه في أمنٍ وفي خَطَرِ
من بعد ما كنتَ قد بالغتَ في النَّذرِ
جاءتُ إليك لعمري غيرَ مُفْتَقِرِ
يدٌ إلى شَجَرٍ عَدَوًّا وَلَا عُشْرٍ^(٢)
أيمانهمُ بعدما يُودِي من العُشْرِ
قبلتُ بالعفو عنهم عُدْرَ مُعْتَدِرِ
- لو يعقلون - لذي سمعٍ وذِي بَصَرِ
فأقبلتُ زُمراً تَأوِي إلى زُمَرِ
على أعاديك تحمي البيضُ بالسُّمْرِ
في عِرْزَةِ الموتِ أو في لُجَّةِ الخَطَرِ
صَوَارِمًا طَبَعُوهَا أَفَّةَ العُمَرِ
وَالنَّقْعُ يَكْحُلُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالْحَوَرِ

هُنَيْتَ هُنَيْتَ بِالْإِقْدَامِ وَالظَّفَرِ
زَلْزَلْتَ بِالسَّيْفِ أَرْكَاناً مُشَيِّدَةً
أنتَ (المُنَيْبُ) إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزُ بِهِ
بَطِشْتَ بِطُشِّ شَدِيدِ الْبَأْسِ مُنْتَقِمِ
إِنَّ الْخَوَارِجَ عَنْ أَمْرٍ أَمَرْتَ بِهِ
هُمْ عَاهِدُوكَ عَلَى أَنْ لَا تَمُدَّ لَهُمْ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْهَا غَيْرَ مَا مَلَكَتْ
لَوْ أَنَّهُمْ صَدَقُوكَ الْقَوْلَ يَوْمَئِذٍ
كَفَى بِمَا كَانَ مِنْكَ الْيَوْمَ تَبْصِرَةً
لَبَيْتِكَ أَبْنَاءُ (نَجْدٍ) إِذْ دَعَوْتَهُمْ
جَاءَتْ إِلَيْكَ كَأَسَدِ الْغَابِ عَادِيَةً
تَهُونَ دُونَكَ مِنْهُمْ أَنْفُسٌ كَرُمَتْ
كَأَنَّمَا تَنْتَضِيهَا مِنْ عَزَائِمِهِمْ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ مِنْهُمْ عَلَى قَدَمِ

(١) هو منيب باشا عينه والي بغداد محمد نامق باشا الكبير محافظاً على البصرة سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٩م، وزوده بتعليمات خاصة حول مقاطعات البصرة وأنهاها والعناية بها واستخلاص الأملاك والنخيل من عبث العجم وبعض عشائر العرب، حيث كانوا ينهايون الأثمار والواردات. فقام خير قيام بالمحافظة على أملاك الناس، وتحصيل واردات الدولة، وكان القاضي أحمد نور الأنصاري قد رفع له تقريراً سابقاً وأيضاً، عن أحوال البصرة وتجاراتها وأنهاها وأملاكها. وسماه (النصرة في أخبار البصرة) حققه الدكتور يوسف عز الدين ونشره سنة ١٩٧٠م. وقد نال رتبة فريق وكان رئيس الفيلق السادس ببغداد سنة ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م وتوفي سنة ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م. التحفة النبهانية ٩/ ٢١٣، و(بصرة ولايتي سالنامه سنة ١٣٠٩هـ ص ٦٤) وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٣٤.

(٢) في الأصول: يداً إلى شجر.. (كذا) وهي نائب الفاعل.

وللمدافع إرعادٌ وزمجرةٌ
إذا قضى الحتفٌ من أبطالها وطراً
بغلمةٍ كسيوف الهندِ مُصقلةٍ
لا ينزلونَ على كُرهٍ بمنزلةٍ
وكم جمعتُ وشجعتُ الرجالَ وكم
نفختُ فيهم فقاموا يهرعون إلى
علمتهمُ كيف يمضي السيفُ شفرتهُ
سرتُ بهم نَفحاتٍ منك تَبَعْتُهُمْ
وأنت وحدك فيهم عسكرٌ لَجِبُ
وأنت بالله لا بالجيشِ منتصرٌ
قد أفلحَ الناسُ بأديها وحاضرها
وأنت هادٍ لها في كلِّ مُشْتَوِرٍ
وربُّ أمرٍ مهولٍ من عظامه
فعلتَ بالرأي والتدبيرِ يؤمئذٍ
وإنك العَضْبُ راعِ العينِ منتظراً
ترقُّ للناسِ ما تصفو ضمائرُها
والغلُّ يكمنُ من تلك الخوارجِ في
عادوا فَعُدتَ إلى ما كنتَ تفعله
والخيلُ تفعلُ بالقتلى سناجكها
وقممتَ تخطبُ في حدِّ الحسامِ على
والسيفُ أصدقُ ما تُنبئك لهجتهُ
دانوا لأمرِك بعد الذلِّ وأماتلوا

ترمي جهنمها الطاغين بالشَّرِّ
ففي (سليمان) منها لَذَّةُ الوَطْرِ (١)
ما شيبَ منها صفاءُ الودِّ بالكرِّ
ولا يَضامون في بدوٍ وفي حَضَرِ
علمتها الحربَ بعدَ الجينِ والخورِ
حربٍ تشبُّ بنارٍ من لظى سَقَرِ
وليس يُغني حذارُ الموتِ عن قَدَرِ
إلى الشجاعةِ بعثَ النادرِ الحذرِ
سودُ الوقائعِ من راياتك الحُمَرِ
فيا لمُستَنصِرٍ بالله مُنتَصِرِ
من أمرٍ بالذي تهوى ومؤتمِرِ
وأنت مقدامُها في كلِّ مُشْتَجِرِ
أن ليس ترنو إليه عينٌ مُحْتَقِرِ (٢)
ما ليس تفعله بالصَّارمِ الذُّكْرِ
من صنعةِ الله لا من صنعةِ البَشَرِ
برقّةِ كنسِيمِ الروضِ في السَّحَرِ
قلوبها ككُمونِ النارِ في الحَجَرِ (٣)
في حالِكٍ من ظلامِ النَّقَعِ مُعْتَكِرِ
لعبِ الصَّوالجِ يومَ الروعِ بالأكْرِ
مَنابِرِ الهامِ بالآياتِ والسُّورِ
بموجزٍ من لسانِ الحالِ مُخْتَصِرِ (٤)
وكان عَفْوُكَ عنهم عَفْوٌ مُقْتَدِرِ

(١) هو سليمان فائق بك والد حكمت سليمان، كان محاسباً في البصرة، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٢) في المطبوع: ترنو عليه.

(٣) في المطبوع: ككمين النار.

(٤) فيه تلميح إلى قول أبي تمام: السيف أصدق أنباء من الكتب

شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ١/ ٤٥.

كم من يدٍ لهم طولى تطولُ على
 ومنذُ عادوا فقد عادوا لمَهْلَكَةٍ
 في كلِّ عامٍ لهم حربٌ ومَعْتَرِكٌ
 وهم متى شئتَ كانوا منك يومئذٍ
 لا يبلُغُ الشرُّ منهم مثلَ مَبْلَغِهِ
 قابلتَهُمُ بجنودٍ أمطرتُ بدمٍ
 ورُبُّ أحمقٍ معروفٍ لشهرته
 لا يعرفون وجوه الموت ترهقُهُمُ
 أخزاهمُ اللهُ في الأدبارِ إذ ذُبِحُوا
 وفَرَّ قائدهمُ من خوفه هرباً
 ليتِ المنيةُ غالتَهُ بمَهْلَكَةٍ
 إنَّ الأباعِدَ لم يوثقُ بخدمتهمُ
 أبعدُ عن العسكرِ المنصورِ منزلهمُ
 لا يصلحُ الجاهلُ المَعْرورُ في نظري
 المُفسدونَ بأرضٍ ينزلونَ بها
 لله دُرُكٌ لم تُسبِقْ بما فَعَلْتَ
 بُعِثَتْ (للْبَصْرَةِ) الفِجَاءُ تحفظُها
 طَهَّرَتْها من فسادٍ كان يَكْنُفُها
 وصنَّتها عن شرارِ الناسِ قاطبةً
 فَعَلْتَ فَعَلَاتِكَ اللاتِي (***) فَعَلْتَ بها (٣)

سُمِرَ العوالي رماها الله بالقصر
 لما نَهوا عنه من بغيٍ ومن بَطَرٍ (*)
 وموعِدٌ للمنايا غيرُ مُنْتَظَرٍ
 لدى المنيةِ بين النَّابِ والظُّفْرِ
 في عامهمُ ذلك الماضي ولم يَثُرْ
 كما يصبوبُ مَصَابُ المَزْنِ بالمطرِ
 وافاكَ من قومه الأعجامُ في نَفَرٍ (١)
 ذُلاً وتوسِعُهُمُ طرداً إلى العَرَرِ
 قبلَ الخلائفِ ذَبَحَ الشَّاةَ والبَقَرِ
 حتى تحجَّبَ بالحيطانِ والجُدُرِ
 وقد أصيبَ لحاهُ اللهُ من دُبُرٍ (**)
 همُ العدوُّ فكن منهم على حَذَرٍ (٢)
 فشرَّهُمُ غيرُ مأمونٍ من الضَّرِّ
 إلا إذا كان مَصروفاً عن النَّظَرِ
 والبارزونَ بقُبْحِ الفِعلِ والصُّورِ
 منك العزائمُ في ماضٍ من العُصْرِ
 بصارمِ البأسِ من أحداثِها الغيرِ
 ولم تدعُ باغياً فيها ولم تَذَرِ
 صَوْنَ الجنينِ لدى الإنفاقِ بالبِدْرِ
 تَبَقَى مع الدهرِ في الأخبارِ والسيرِ

(١) يعني به الشيخ جابر شيخ الحمرة وستأتي ترجمته.

(٢) أخذته من الآية الكريمة (يحبسون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم) سورة المنافقون الآية (٤).

(٣) في الأصول: فعلت فعلتك اللاتي... - كذا -

(*) في الطبعة (١): (وطر) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (دير) وهو خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (الأتي) والتصويب من الطراز الأنفس.

(٣٨)

وقال مقرّضاً كتاب (التبيان) ومادحاً مؤلفه أبا الثناء الألويسي^(١) [وهي من

بُبرهانهِ بينَ البريَّةِ مُفحَماً
فأسلَمَ من بعد الجُحودِ وسلِّماً
وطوراً تراه للعلوم معلِّماً
سرى مُنجداً في العالمين ومُتَّهماً
فأعريتَ عما كان فيهنَّ مُعجماً
فأرضيتَ حدَّ السيفِ حتَّى تَبَسُّماً
وما زلتَ بالعلم اللدني مُفعماً
فها أنتَ والعلياءُ أصبحتَ توأماً
إذا عُدَّتْ الأُمجادُ كنتَ المُقدِّماً
أنالَ مُقلاً أو تَكْرَمَ مُعدِّماً
أردتَ بها دُرَّ المعالي مُنظِّماً
ألسْتَ تراني (أخرس) النُّطقِ أبكما

أتى ببراہینِ عَدَا كُلِّ جاحِدِ
فألزَمَهُ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ
فَطَوَّراً تراه لِلأُمورِ مُسَدِّداً
فلله ما صَنَّفْتَ كُلَّ مَصَنَّفٍ
ومن مُشكلاتِ بالعلوم عَرَفْتَهَا
وأبكيتَ أقلامَ البَراعةِ والنُّهى
وما زلتَ^(*) عما شانَ بالمجدِ خالياً
تفردتَ في عِلْمٍ وفَهِمٍ وَحِكْمَةٍ
وإن جُنَّتْنا في آخرِ الدهرِ رَحْمَةً
وحَسْبُكَ ما في الناسِ مثلكَ سَيِّدُ
وكم نَئِرْتِ نَئِراً بلاغَتِكَ التي
وقد أحرَسْتَنِي من عَلاكِ فَصاحَةٌ

(٣٩)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) في الطبعة (١): (نلت) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

(٢) هو الشيخ وادي بك بن الشيخ شفلح بن شلال بن نجم بن عبدالله بن يوسف بن خضر بن عبدالله، شيخ مشايخ زبيد. قال عنه إبراهيم فصيح الحيدري: «كان أميراً كريماً جراً، له من مكارم الأخلاق والأفعال والأقوال ما لا يسعه المقام، وكانت عطاياه كعطايا البرامكة وهو من حسنات الزمان». وكان يستعمله علي رضا اللاظ والي العراق بجمع الضرائب من العشائر، كما ساهم معه في واقعة الحمرة سنة ١٢٥٢هـ. وقد ساهم مراراً بتقوية سداد نهر الفرات عند الفيضان. وكان مالكي المذهب. وهو زوج نائلة خاتون صاحبة الخيرات والمبرات، وتوفي ستة ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م. وتزوجها من بعده مراد أفندي أبوكذيلة متصرف العمارة، وباسمها أنشأت مدرسة نائلة خاتون العلمية في بغداد، مقابل جامع الحيدر خانة في رأس الزقاق مجاور مقهى البرلمان. وقد هدمت سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

أمن بعد الهمام القرم (وادي)
وهل يسقي الغمام (بني زبيد)
لتصدى بعده الوراد طراً
شديد البأس أروع مستشيط
فكيف يقوده صرف المنايا
قريباً كان ممن يرتجيه
وذخر الأنجبين وكل ذخير
فقدنا صبح غرته بليل
وروعت النجوم الزهر حتى
كان له من الأحشاء قبراً
يعز على العوالي والمعالي
أسير بين أيديها المنايا
يغض الطرف لا عن كبرياء
فليس القول منه بمستعاد
يبيت بلا أنيس بين قوم
ولو يفدى فدهته إذا رجال
وحالت دونه بيض حداد

تصوب غمامة ويسيل وادي
فتنقع غلة ويبل صادي
وأين الماء من غلل الصوادي
يرد شكيمة الكرب الشداد
وكنت عهدته صنع القياد
رماه الحنف منا بالبعاد
ستسلمه الخطوب إلى النفاد
كسا الأيام أريفة السواد
برزن من السدجنة في حداد
فوادي لو شققت على فوادي
وسمر الخط والخيل الجياد
فلا يفدى وإن كثر المفادي
ولم يشغل بمكرمة ودادي
وليس الجود منه بمستفاد
نيام لا تهب من الرقاد
عواد بالسيوف على الأعادي
شفن بزرقه السمير الصعاد

= وقد أكثر الشعراء في مدائح الشيخ وادي، ومنهم عبد الباقي العمري والملا حسين الحلي، والشيخ عبد الحسين محيي الدين بقصائد عديدة قال في بعضها:

وليت إذا ما الحرب تسعر نارها
تخوض لظاها بالحسام المهند
فدونك يا وادي المكارم مدحة
حداني لها حق الوفا والتودد
ودم سألما من كل ريب ونكبة
بأرغد عيش لم يشب بتنكد

كما كتب الشيخ قاسم محيي الدين كتاباً في سيرته سماه (غياض الوادي ورياض النادي في سيرة الشيخ وادي) ما يزال مخطوطاً.

عنوان المجد ١١٢ والترياق الفاروقي ٢٤١ وعشائر العراق ٣ / ٢٢ و ٣٥ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٢٤٩ وشعراء الغري ٥ / ١٠٤ و ٧ / ٨٩ وشعراء الحلة ٢ / ٢٥٥.

ولاجْتَهَدَتْ بِمَنْعَتِهِ عَقُولٌ
ولكن قد أصيبَ بسبهم رامٌ
وليس لما قَضَاهُ اللهُ رَدُّ
أرى الأجالَ تَطْلُبُنَا حَثِيثاً
وأعمارُ تَنَاكُصُ بِانْتِقَاصِ
وقد غلبتُ لَشِقْوَتِنَا عَلَيْنَا
ونطمعُ بالبِقَاءِ وما بَرَحْنَا
نودعُ نائياً بالرغمِ منَّا
ونسلو عن أحبِّتنا ولسنا
لقد عَظُمَ المَصَابُ وَجَلَّ رُزُّهُ
فَقَدْنَا (واديًّا) فيها فقلنا
وقلَّ الموتُ مَضْرِبَ هِنْدَوَانٍ
أذوبُ عليكَ بالحُزْنِ ادِّكَاراً
ولي نَفْسٌ تَلَهَّبُ عن زَفِيرِ
على الليثِ الهَزْبِرِ (*) تكادُ منه
يُمَاطُ عن التُّيَابِ وكان يكسو
قد انقَشَعَتْ سَحَابُهُ كُلُّ عَافٍ
وَكُدِّرَتْ المَشَارِبُ بَعْدَ صَفْوِي
هي الأيامُ لا تصفولِحِي
ألمَ تَنظُرِ لِمَا صَنَعْتَ بـ (عادٍ)
وما أدري على أيِّ اتِّكَالِ
فكم نَطَأُ الرَّمَادَ ونحنُ نَدْرِي
وهَبْنَا مِثْلَ نَبْتِ الزَّرْعِ نَنْمُو
وتَهْلِكُ أُمَّةٌ وتجيءُ أُخْرَى
على هذا اطَّرادُ الدهرِ قِدْماً

لها في الرأْيِ حقُّ الإِجْتِهَادِ
قَضَى أَنْ لا يُرَدُّ عن المُرَادِ
وأمرُ الله يَجْرِي في العِبَادِ
ونحنُ من الغَوَايَةِ في تَهَادِ
وأمالُ تَهَافُتُ بِازْدِيَادِ
وكاد الغيُّ يَمُكِّرُ بِالرُّشَادِ
نُروِعُ بِالتَّفَرُّقِ والبِيعَادِ
إلى سَفَرٍ يَطوُلُ بِغَيْرِ زَادِ
بمُلتَقِيَيْنِ الإِفي المَعَادِ
بفقد المُكْرَمِينَ من البِلَادِ
على الدنيا العَفَا من بَعْدِ (وادي)
وأرزى بالحِمالِ والنَّجَادِ
وأشْرَقَ مِنْكَ بِالماءِ البِرَادِ
كما طار الشَّرَارُ عن الزِنَادِ
لُيُوثُ الغَابِ تُصَفِّدُ في صِفَادِ
غَدَاةَ الرُّوعِ سَابِغَةَ الدُّوَادِي
بِوَبْلِ القَطْرِ في السَّنَةِ الجَمَادِ (١)
وما يُجَدِّدُ رَفَقُ من ثَمَادِ
ولا تُبْقِي المُوَالِي والمُعَادِي
وأقْيَالٍ مَضَّتْ من بَعْدِ (عادِ)
وثَقْنَا بِالسَّلَامَةِ واعْتِمَادِ
ونَعْلَمُ أَنَّ جَمْرًا في الرَّمَادِ
فهل زرعٌ يَدومُ بلا حِصَادِ
ويَحْفَى ذَا وهذا اليَوْمَ بَادِي
فكيف نَرومُ عَكسَ الإِطْرَادِ

(١) السنة الجماد: التي لا مطر فيها ولا خصب ولا كلاء.

(*) في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (ليث هزبر) وهو خطأ طباعي يكسر الوزن ولعل الصواب ما اثبتناه.

لقد كانت بُيوتُ (بني زبيدٍ)
فراحتُ كالسُّوامِ بغيرِ راعٍ
فَمَنْ لِلجودِ بعدكَ والعَطايا
فلا تَسْتَسْقيا غَيْثاً مَريعاً
فقد فَقدَ المكارمَ ناشدوها
بربِّكَ هل سمعتَ لنا نداءً
أما أنتَ المُجيبُ لكلِّ هَوولٍ
ومُنْتَدَبُ الكُماةِ ومُقْتَداهَا
ووابِلُ صَوْبِها المَنْهَلُ تَنْدى
فمن يُدعى وقد صمَّ المُنادى
بَلَأْتُكَ بالَنْجيعِ نَجيعِ دَمعي
وقد قلتُ الرثاءَ ونَمَّ قَوْلُ
فلايتكَ كنتَ تسمعُ فيكَ قَوْلِي
تُشِقُّ لها قلوباً لا جُيوبُ
قَوافٍ تَقْطُرُ العِبراتُ منها
إذا ناحتُ عليكِ بكلِّ نادٍ

ولا (إِرمُ) بها (ذاتُ العِمادِ)
وضَلَّتْ كالجِمالِ بغيرِ حادٍ
ومَنْ لِلحربِ يُقَدِّمُ والجِلاذِ
وقَرِّي يا صِوارِمُ في الغِمادِ
فلا جودٌ يَؤمِّلُ من جِوادِ
وما يُغني النُّداءُ ولا التَّنادِي
ببيضِ الهنْدِ والزُّرْقِ الحِدادِ
إذا انْتَدَبَ الفِوارِسُ لِلطَّرادِ
بنائِلِه الرِّوائِحِ والغِوادِي
فوالهفَ الصَّرِيخِ عن المِنادِي
وأقلامِي بِمُسُودِ المِمدادِ
يُثيرُ لَطِي حَشاً ذاتِ اتِّقادِ
وما أبادِيه من مَحْضِ الوِدادِ
ولو كانتِ أفضًى من الجِمامِ
وتَسْتَسْقِي لكَ الدِّيمَ الغِوادِي
بكيِّنا المِكرِماَتِ بكلِّ نادِ

(٤٠)

وَقَفْنَا بِالرِكاَبِ يَوْمَ (سَلَعِ)
نُرِدُّ زَفْرَةً ونُجِيلُ طَرْفاً
وَقَفْنَا والنِّياقُ لها حَنِينٌ
هَوِيٌّ إنْ لم يَكُنْ مِنْها وإلّا

على دارٍ لنا أَمَسَتْ خِلاءِ (*)
يُجاذِبُنَا على الطَّلِّ البِكااءِ (١)
كأنَّ النُّوقَ أَعْظَمَنا بلاءِ
فمن إلْفِ لنا عَنّا تَناءِي

(١) أي الطرف يجاذبنا البكاء على الطلل.

(*) في الطبعة (١): جاءت بعد همزة القافية ألف ممدودة في كل الأبيات وهي تلزم قراءة لا كتابة ولذلك حذفناها.

فَجَدَدْنَا بِمَوْقِفِنَا الْعَزَاءِ
فَقَد هَاجَ الْهَوَى فِي الرِّكْبِ دَاءِ
فَغَادَرَتِ الظُّمَاءُ بِهَا رِوَاءِ
فَأَسْرَعُ يَا هُدَيْمُ لَهَا الْأَدَاءِ
دَمٌّ إِنْ كَانَ مِنْكَ الدَّمْعُ مَاءِ
وَإِنِّي قَدْ أَرَقْتُ لَهَا دِمَاءِ
بِأَهْلِهَا وَتُحْيِينِي رَجَاءِ
وَكَم سَرُّ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ سَاءِ
فَتُشْجِينَا حَنِينًا أَوْ رُغَاءِ

وَقَفْنَا عِنْدَ مُرْتَبَعٍ قَدِيمٍ
وَقَلْتُ لِمُصَاحِبِي هَلْ مِنْ دَوَاءِ
وَدَارٍ طَالَمَا أَوْقَفْتُ فِيهَا
لَهَا حَقٌّ عَلَى الْمُشْتِاقِ مِنَّا
أَرِقْ يَا (سَعْدُ) دَمْعَكَ إِنْ دَمَعِي
وَمَا لَكَ لَا تَرِيقُ لَهَا دَمِوعًا
تَكَادُ تُمَيِّتُنِي الْأَطْلَالَ يَأْسًا
هَوَى مَا سَرَّهَا إِذْ سَرَّ يَوْمًا
كَأَنَّ الْعَيْسَ تُشْجِيهَا الْمَغَانِي

(٤١)

وقال مادحاً السيد محمد أفندي جابي زاده^(١) حين قدم من الشام قاضياً ببغداد

دعاه إلى الهوى داعي التصابي فراح بذكر (*) أيام الشباب

(١) هو قاضي بغداد السيد محمد بن جابي زاده الشامي، استقدمه الوالي محمد نجيب باشا من الشام وعينه قاضياً ببغداد، بإشارة من شيخ الإسلام عارف حكمت، وقد استقبله أهل بغداد سنة ١٢٦٥هـ وكرمه العلماء ومدحه الشعراء، ومنهم عبد الباقي العمري بقصائد روائع قال في بعضها:

ظهر الدين طالعاً من أكنة
ونفى الجور عدل قاض بحق
وشقيق النعمان جاء من الشام
بيض الله وجهه ما ازدهته
أخذ الزهد والتقى عن أويس
كهلال عنه أميطة دجنه
وقع أرائه كوقع الأسنة
فخلناه شامة فوق وجنه
من سواد العراق خضراء دمنه
والهدى عن سفیان بن عيينه

كما مدحه أحمد عزة الفاروقي بقوله:

هو المرتجي فخر الموالى محمد
من السادة الغر الميامين ياله
لقد قيدت أقالمه كل شاردي
أبوعارف جابي العلاء والمكارم
نجاراً به ازدانت نؤابة هاشم
كما شتتت كفاه شمل الدراهم

إلا أن أبا الثناء الألويسي قد ذمه في كتابه (غرائب الاغتراب) وقال فيه: «حاله في العراق معلوم، وإن جهلته فسل عنه قاضي جبل أو سدوم. وآيته أسامة شيخ الإسلام. مع أنه ثعالة أهل الشام. ولعمري لو اطلع شيخ الإسلام من حاله [على] نحو ما اطلع عليه أهل مدينة السلام، ما قلده القضاء بين اثنين إلى أن يقضي الله سبحانه بين الأنام». الترياق الفاروقي ص ٢٧٨ وغرائب الاغتراب ٢٠٤ - ٢٠٥ وديوان أحمد عزة الفاروقي الورقة ٩ مخطوط، وحديقة الورود ج ١ الورقة ٨٠ - ٨١ مخطوط.

(*) في الطبعة (١): (يذكر) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

يُذِيلُ مَدَامَعًا قَدْ أَرْسَلَتْهَا
وَأَبْصَرَهُ الْعَذُولُ كَمَا تَرَاهُ
وَفِي أَحْشَائِهِ وَجَدُ كَمِينٍ
فَلَا مَ وَلَمْ يُصِبْ بِاللَّوْمِ رُشْدًا
جَفَّتْهُ الْغَانِيَاتُ وَقَدْ جَفَّاهَا
وَكَانَ يُرْوَعُهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا
يُرْوَعُ^(*) إِلَى الدُّمَى صَابٍ إِلَيْهَا
أَعْيِدِي النُّوحَ يَا رِقَاءَ حَتَّى
بَكَيْتِ وَمَا بَكَيْتِ لِفَقْدِ الْفِ
وَذَكَّرْنِي وَمَيْضُ الْبَرْقِ تُغْرَأُ
وَمَا أَظْمَاكَ يَا كَبْدِي غَلِيلاً
أَتَنْسَى يَا (هُذَيْمٌ) غَدَاةَ عُجْنَا
فَأَوْقَفْنَا الْمَطِيَّ عَلَى رُسُومٍ
وَأَطْلَالَ لِمَمِيَّةٍ بِالْيَاثِ
نُسَائِلُهَا عَنِ النَّائِنِينَ عَنْهَا
هَذَاكَ كَانَتْ الْعَبْرَاتُ مَنَّا
أُمْنِي النَّفْسَ بَعْدَ ذَهَابِ قَوْمِي
ذَرِينِي يَا أُمَيْمٌ مِنَ الْأَمَانِي
ذَرِينِي أَصْحَابِ الْفَلَاوَاتِ إِنِّي
فَمَا لِي يَا أُمَيْمَةُ فِي حُمُولٍ
سَقِيمٍ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَنْاسٍ
يُجَنَّبُنِي نَدَاهُمْ صَوْنٌ عِرْضِي
وَكَمْ لِي فِيهِمْ مِنْ قَارِصَاتٍ

لَوَاعِجُ فَرَطٌ حُزْنٌ وَاکْتِنَابُ
بِمَا قَاسَى شَدِيدَ الْإِضْطِرَابِ
يُعَذِّبُهُ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ
وَكَانَ الْعُذْرُ أَهْدَى لِلصَّوَابِ
فَلَا وَصَلَ مِنَ الْبَيْضِ الْكِعَابِ
هُوَ سَلِمَى وَزَيْنَبَ وَالرَّبَابِ
وَيَأْسُ فِي أَوَانِسِهَا^(**) الْعَرَابِ^(١)
كَأَنَّكَ قَدْ شَكَوْتِكِ بَعْضَ مَا بِي
عَلَى أَنِّي أُصِيبْتُ وَلَمْ تُصَابِي
بِرُودِ الشَّرْبِ خَمْرِي الرُّضَابِ
إِلَى رَشْفِ التَّنَائِيَاتِ الْعَذَابِ
عَلَى رِبْعِ نَهَابِ لَلذَّهَابِ
كَأَثَارِ الْكِتَابِ مِنَ الْكِتَابِ
بَكَتِ أَطْلَالَهَا مُقَلُّ السَّحَابِ
فَتَعَجَّزْ يَا (هُذَيْمٌ) عَنِ الْجَوَابِ
خِضَاباً أَوْ تَنُوبُ عَنِ الْخِضَابِ
بِمَا يَرْجُو الْمُفَارِقُ مِنْ إِيَابِ
فَمَا كَانَتْ خِلاَ وَعَدِ كِذَابِ
رَأَيْتُ الْجِدَّ أَوْفَقَ بِالطَّلَابِ
يَطْوِلُ بِهِ مَعَ الدُّنْيَا عِتَابِي
أُرُومٌ بِهِمْ شَرَاباً مِنْ سَرَابِ
وَتَرَكِي لِلدُّنْيَا وَاجْتِنَابِي
وَمَا نَفَدَتْ سَهَامٌ مِنْ جِعَابِي^(٢)

(١) عراب: جمع عرب وهي المرأة التي تحب زوجها. وكذلك عرب. وفي القرآن الكريم (عربا أتربا). سورة الواقعة الآية ٣٧.

(٢) في الأصول: (وما نفدت سهام من جعاب) وما أثبتناه أولى.

(*) في الطبعة (١): (بروع) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (أوانها) والتصويب من الطراز الأنفس.

سَأرْسُلُهَا وَإِنْ كَانَتْ حَثِيئًا
وَإِنِّي مِثْلَمَا عَلِمْتَ سَعَادُ
وَأَدْرِعُ الْقَتَامَ لِكُلِّ هَوْلٍ
وَأَصْحَبُ كُلَّ مُبْيِضِ السَّجَايَا
لِيَأْخُذَ مِنْ أَحَادِيثِي حَدِيثًا
بِمَدْحِ (مَحْمَدٍ) رَبِّ الْعَالِي
وَهَا أَنَا لَا أَزَالُ الدَّهْرَ أُتْنِي
فَأَطْرِبُ فِيهِ لَا طَرِبَ الْأَغَانِي
إِذَا دَارُ نَبْتِ بِي رَحَلَتْهَا
أَطْرَزُ بِاسْمِهِ بُرْدَ الْقَوَافِي
وَفِيهِ تُنْزَلُ الْحَاجَاتُ مِنَّا
إِذَا أَبَ الرَّجَاءُ إِلَيْهِ لَاقَى
تَوَاضَعَ وَهُوَ عَالِي الْقَدْرِ سَامٍ
شَرِيفٌ مِنْ ذَوَابِةِ آلِ بَيْتِ
يُشَرِّفُنِي إِذَا أُدْنِيَتْ مِنْهُ
وَفِي مَا بَيْنَنَا وَالْفَضْلَ قُرْبِي
أَهْمِيمٌ بِمَدْحِهِ فِي كُلِّ وَادٍ^(١)
إِلَى حَضْرَاتِهِ الْأُمْدَاحُ تُجْبَى
يَرْغَبُ فَضْلُهُ الْفَضْلَاءَ فِيهِ
عَطَاءٌ لَيْسَ يَسْبِقُهُ مِطَالٌ
وَيَنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالًا
جَزَى اللَّهُ الْوَزِيرَ الْخَيْرَ عَنَا^(٢)
فَقَدْ سَرَّ (الْعِرَاقَ) وَمَنْ عَلَيْهَا

عليها من أباة الضئيم أبي
وقور الجاش مقلق الركاب
كما أغمدت سيفاً في قراب
وجنح الليل مسود الإهاب
غنياً عن معاطاة الشراب
ورائق صفوة الحسب اللباب
عليه بالثناء المستطاب
وكأس الراح ترقص بالحباب
عزائم باسل عالي الجناب
كوشي البرد طرز بالذهب
وتنزل في منازله الرحاب
بساحة مجده حسن المآب
ولا عجب هو ابن (أبي تراب)^(١)
براء في الدنيا من كل عاب
دنوي من علاني واقترابي
من العرفان والنسب القراب
وأقرع في ثناه كل باب
ومن ثم انتمى فيها لـ (جابي)
ويطمعهم بأيديه الرغاب
وقد يعطي الكثير بلا حساب
لأبناء السبيل وفي الرقاب
وأجزاه بأضعاف التواب
بقاض لا يروغ ولا يحابي

(١) أبو تراب: كنية الإمام علي رضي الله عنه. والمدوح يتصل بنسبه إليه.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: (والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون...) ومعنى ذلك أنه شاعر جيد لأنه يهيم في كل واد. سورة الشعراء الآية ٢٢٤ و٢٢٥.

(٣) الوزير: هو محمد نجيب باشا ستاتي ترجمته.

وَأَبَقَى اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ شَيْخاً^(١)
بمثل قضاائه فَصَلُّ الْقَضَايَا
مَنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَلَوْا وَسَادُوا
أَطْلَوْا بِالْعَلَاءِ عَلَى الْبَرَايَا
ليهنك أنت يا (بغداد) منه
أَقَامَ الْعَدْلَ فِي (الزوراء) حَتَّى
وَأَنْتَى لَا يُطَاعُ الْحَقُّ فِيهَا
وسيفُ الله في يدِ هاشميٍّ
خُرُوجَكَ مِنْ (دمشقِ الشَّامِ) ضَاهِي
وَجِئْتُ مَجِيءَ سَيْلِ الطَّمِّ حَتَّى
بِعِلْمٍ مِنْكَ زَخَارِ الْعُبابِ
فمن هذا ومن هذا جميعاً
وراحَ النَّاسُ يَا مَوْلَايَ تَدْعُو
فلا أَفَلْتُ نَجُومَكَ فِي مَغِيْبٍ

به دَفَعُ الْمُصَابِ عَنِ الْمُصَابِ^(*)
ومثلِ خِطَابِهِ فَصَلُّ الْخِطَابِ
كما تَعَلُّو الرُّؤُوسُ عَلَى الذَّنَابِ
كما طَلَّ الْجِبَالَ عَلَى الرُّوَابِي
بطلعة حُسْنِ مَرْجُوِّ مُهَابِ
وَجَدْنَا الشَّاءَ يَأْنَسُ بِالذَّنَابِ
ولا تجري الأُمُورُ عَلَى الصَّوَابِ
صَقَالُ الْمَتَنِ مَشْحُوذُ الذَّنَابِ
خروج العَضْبِ أُصَلَّتْ لِلضَّرَابِ^(٢)
لقد بَلَغَ الرُّوَابِي وَالزُّوَابِي^(٣)
وفضلٍ مِنْكَ مَلَانَ الوُطَابِ
أَتَيْتِ النَّاسَ بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ
لعزكَ بالدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ
ولا حُجِبَتْ شُمُوسُكَ فِي ضَبَابِ

(٤٢)

وقال يمدح عبدالقادر جلبي [الكمركجي]^(٤) حين قدم من الشام ونزل في بيت

(١) هو شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت الله ستاتي ترجمته.

(٢) في المطبوع: للقراب. من وهم الطباغة.

(٣) الزوابي: جمع زبية وهي حفرة تتخذ في مكان مرتفع لصيد السباع وفي المثل «لقد بلغ السيل الزبي» مجمع الأمثال ٩٦/١.

(٤) هو عبدالقادر جلبي المعروف بالكمركجي بن مصطفى جلبي زيادة، من تجار الشام. جاء مع حملة علي رضا اللاط إلى بغداد سنة ١٢٤٧هـ وأصله من حلب، فعينه علي رضا مديراً للكمرك في بغداد. وأطلق يده وأصبح موضع اعتماده، فظلم الناس وابتز أموال التجار، ثم صار يشاركونهم في تجاراتهم، ولم يكتف بذلك بل حصر الاستيراد بنفسه، وصار يرأسل تجار الشام، ويستورد البضائع ويبيعها بأسعار عالية، كما كان يتدخل في شؤون الإدارة ويأخذ الرشوة من الناس لتمشية مصالحهم، وفرض على التجار في بغداد أن يقيم له كل واحد منهم وليمة يوم السبت من كل أسبوع، وكان يخرج للنزهة مع اليهود يوم السبت وذلك على حساب تجار =

(*) المصاب الأولى هي المصيبة والثانية تعني من تقع عليه المصيبة.

أَكْرِمَ بَطِيفِ خَيَالِكُمْ مِنْ زَائِرِ
 وَفَى عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ وَرَبِّمَا
 وَالنَّجْمُ يَصْرِفُ لِلْغُرُوبِ عِنَانَهُ
 وَكَأَنَّ ضَوْءَ [الصَّبْحِ] (*) فِي أَثْرِ الدُّجَى
 لَا تَحْسَبُوا أَنِّي سَلَوْتُ غِرَامَكُمْ
 جِمْرَاتُ ذَلِكَ الْوَجْدِ حَشَوُ جَوَانِحِي
 أَعَدُّ ادِّكَارَكَ يَوْمَ مُجْتَمَعِ الْهَوَى
 أَيَّامَ نَرْفُلٍ بِالنَّعِيمِ وَنَصْطَلِي
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُ الْعَيْشَ وَهُوَ كَأَنَّمَا
 وَمَلِيكَهُ الْأَفْرَاحِ فِي أَقْدَاحِهَا
 صَبَغْتُ بِإِكْسِيرِ الْحَيَاةِ لُجَيْنَهَا
 خَلَعُ الْعِدَارِ لَهَا النَّزِيفُ وَيَانُ فِي (٢)
 مُتَجَاهِرٌ يَهْفُو إِلَى لَذَاتِهِ
 نَهَبْتُ لَذَاتَاتُ الصَّبَا وَتَصَرَّمْتُ
 وَإِذَا امْرُؤٌ فَقَدَ الشَّبَابَ فَمَا لَهُ

مَا زَارَ إِلَّا مُؤَذِّنًا بَبَشَائِرِ
 بُلِّ الْغَلِيلِ بَغَائِبٍ مِنْ حَاضِرِ
 حَتَّى بَصُرْتُ بِهِ كَلِيلَ النَّظِيرِ
 إِظْهَارُ حُجَّةٍ مُسَلِّمٍ لِلْكَافِرِ
 هَجْرًا فَبُعْدًا لِلْمُحِبِّ الْهَاجِرِ
 وَجَمَالُ ذَلِكَ الْوَجْهِ مَلَأَ نَوَاطِرِي
 إِنِّي لِأَصْبُو عِنْدَ ذِكْرِ الذَّاكِرِ
 نَارَ الْمَدَامَةِ مِنْ عَصِيرِ الْعَاصِرِ
 بَرَزْتُ مَحَاسِنَهُ بِرُوضِ نَاضِرِ
 قَدْ رُصِّعْتُ تِيَجَانَهَا بِجَوَاهِرِ
 فَكَأَنَّهَا مَلَكَتْ صِنَاعَةَ جَابِرِ (١)
 جُنْحُ الظَّلَامِ مُنَادِمِي وَمُسَامِرِي
 أَحْبَبُ إِلَى اللَّذَاتِ مِنْ مُتَجَاهِرِ
 أَوْقَاتِ أُتْسِكُ فِي الزَّمَانِ الْغَابِرِ
 فِي اللَّهْوِ بَعْدَ مَشْيَبِهِ مِنْ عَازِرِ

= بغداد. كما أنه جلب أخاه (صالحاً) وعينه والياً على البصرة وأخاه الثاني عينه محافظاً في الحلة.. وبقي يسلب وينهب حتى ضح منه الناس وانهزم التجار من بغداد، فغضب عليه الوالي علي رضا وحاسبه وحبسه، وكان علي رضا شريكه، ثم عزل علي رضا فعفا عنه وأطلق سراحه قبل سفره من بغداد، ورتب عبدالقادر أمره من جديد مع الولاة، وفي سنة ١٢٦١هـ استدعي عبدالقادر إلى استانبول وعين حاكماً في إزمير. وذكره أبوالتناء الألويسي حين اجتمع به في الأستانة فقال: «... وكان يؤسنني بطيب كلامه ومزيد تواضعه. وقد نلت بتوسطه عند شيخ الإسلام معظم ما حصل لي من منافعه ورأيت له قبولاً عظيماً عند الرجال، وكانوا يحلونهُ أعلى محل ويجلونهُ غاية الإجلال، وكان يصدد أن يتسور وزارة بغداد. وقد أَرَادَهَا لَهُ مَعْظَمُ الْوُكَلَاءِ - الْوُزَرَاءِ - إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَرَادَ...» غرائب الاغتراب ١٢٦ و ٢٠١ ونشوة الشمول ٤٥ وصور مظلمة من تاريخ العراق ٣٠٠ - ٣٠٢.

(١) جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي، فيلسوف كيميائي، أصله من خراسان واتصل بالبرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى البرمكي، له تصانيف كثيرة منها (أسرار الكيمياء) و(علم الهيئة) و(أصول الكيمياء) وغيرها وقد ترجم بعضها إلى لغات متعددة، توفي في طوس سنة ٢٠٠هـ = ٨١٥م. انظر هدية العارفين ١/ ٢٤٩ ومعجم المطبوعات العربية ٦٦٤ والأعلام ٩٠/ ٢ - ٩١ وفيه مصادر أخرى.

(٢) النزيف: السكران قال اللحياني: نرف الرجل فهر منزوف ونزيف، أي سكر وذهب عقله. لسان العرب مادة (ن زف) ومنه قوله تعالى: (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) سورة الواقعة الآية (١٩).

(*) هنا كلمة ساقطة في الطبعة (١): وأثبتناها من الطراز الأنفس.

ولقد أقول لطامع برجوعها
 لله ما أوري بنا متلفت
 والركب مُرتحل بكل غريرة
 رأيت ما فعل الوداع بمقلية
 وجرت على نسق مدامع عبرة
 شيعت هاتيك الظعون عشية
 لا كان يوم وداعهم من موقوف
 والدمع يُلحق أخراً في أول
 من ناصر منكم على مضض الهوى؟
 لا تعذلن فللغرام قضية
 يا سعد حين ذكرت شرقي الحمى
 كشفت لديدك سريرة أخفيتها
 وجفا الخيال ولم يزني بعدها
 يا أهل هذا الحي كيف تصبري
 ولقد طربت لذكركم فكأنني
 وافى من (الشام) (العراق) بطلعة
 فزها بطلعته (العراق) وأهله
 وتقدمته قبل ذاك بشارة
 وافى فأشرق كل فج مظلم
 وضمفا السُرور على أفاضل بلدة
 نعموا بوجهه للنعم نضارة^(١)
 بأعر أبيض تنجلي بجبينه
 يبتاع بالمال الثناء وإنما
 صعب على صعب الخطوب وجائر

كيف اقتناصك للغزال النافر؟
 (يوم الفحيم) بجيد أحوى الناظر
 تبني الكناس بغاب ليث خادر
 ما قرحت بالدمع غير محاجري
 شبهتها باللؤلؤ المتناثر
 ورجعت بعدهم بصفقة خاسر
 وقف المتيم فيه وقفة حائر
 والبين يرفق أولاً في آخر
 هيهات ليس على الهوى من ناصر
 سدت علي مسامعي ومناظري
 هل كان قلبي في جناحي طائر
 فعرفت ثمة باطني من ظاهري
 أين الخيال من الكئيب الساهر
 عنكم ومن لي بالفؤاد الصابر
 (بغداد) يوم قدوم (عبد القادر)
 شمنا بها برق الحيا المتقاطر
 والروض يزهو بالسحاب الماطر
 ما جاءت البشري لها بنظائر
 فيه وأحيا كل فضل داطر
 سُرُوا بمحياه البهي الباهر
 فيه وقرت فيه عين الناظر
 ظلمات سُجف ستائر لدياجر
 في سوقه ربحت تجارة تاجر
 أبداً على جور الزمان الجائر

(١) أخذه من قوله تعالى: (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) سورة المطففين الآية ٢٤.

(٢) الحاجري: نسبة إلى حاجر. وهي موضع في بلاد العرب، والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي. معجم البلدان ٢/ ٢٠٤.

إن كان ذا البأس الشديدِ فرأفةً
 حَيَّيتَ ما بينَ الورى من قادمِ
 قد زَعَزَعْتَ بك عن (دمشق) أبوةً
 وشَحَدْتَ عَزْمَكَ للمَجِيءِ غرارهُ
 وطلَّعتَ كالقَمَرِ المنيرِ إذا بدا
 واختَرَّتْ من (بغداد) أشرفَ منزلِ
 فانزلِ على سَعَةِ الوقارِ ورحبِهِ
 بُنِيتَ قِوَاعِدُهُ على ما ينبغي
 فلئن تَعَبْتِ فَبَعْدَ هذا راحةً
 ولسوف تَبْلُغُ بعدَ ذلكَ مَرباً
 وكفأك رُبُّكَ شَرُّ كلِّ مُعاندِ
 (أبني جميل) إنني بجميلكم
 إنِّي لأفخرُ فيكمُ فيقالُ لي
 فلو أنني أتى بكلِّ قَصيدةٍ
 وجَلَوْتُها فكأنَّما هي عادةٌ
 وإذا تَنَاشَدَها الرِوَاةُ حَسبَتهَا
 لم أقضِ حقَّ الشُّكْرِ من إحصانكمُ
 عَذِبْتُ لديكمُ في الأنامِ مواردي

فيه أرقُّ من النَّسيمِ (الحاجري)^(٢)
 ونَعَمْتُ بينَ أكارمِ وأكابرِ
 نَتَجَّتْ به أمُّ الزَّمَانِ العاقرِ
 ولربَّ عَزْمٍ كالحُسامِ الباترِ
 زاهٍ بأنوارِ المَحاسِنِ زاهرِ
 ما بينَ خَيْرِ عِصَابَةٍ وأخايرِ
 في منزلِ رَحْبٍ وبِيتِ عامرِ
 من سوؤدِ ساميِ العُلا ومفاخرِ
 أو قِليلٍ ما قالوا فليس بضائرِ
 ما ليس يخطرُ بعضُها بالخاطرِ
 ركبَ الغرورِ فلا لَعاً للعائرِ^(١)
 مُيَزَّتْ بينَ الناسِ دونَ مُعاصري
 لله شاعرٌ مَجْدُهُم من شاعرِ
 عَذراءُ من عُررِ القِصائدِ باكرِ
 حَلَّيْتُهَا من مَدْحِكُمْ بأساورِ
 أرواحِ أنفاسِ النَّسيمِ العاطرِ
 لكن أطاولُهُ بباعِ قاصرِ
 حتَّى رأيتُ من الغريبِ مصادري

(٤٣)

(١) لَعاً ولَعاً لك، كلمة تقولها العرب للماشي حين يعثر.

(٢) هو السلطان عبدالعزيز خان ابن السلطان محمود خان، ولد في ١٤ شعبان سنة ١٢٤٥هـ = ١٨٢٠م وولي السلطنة في ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦١م بعد وفاة أخيه السلطان عبدالمجيد خان. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبد الباقي العمري بقصائد عديدة، وحسن حسني الطويراني والشيخ جابر الكاظمي والسيد إبراهيم الطباطباني بقصيدة قال فيها:

أذلَّ عداه بالأسل العزير	أعزَّ ملوكنا عبدالعزير
فمن ملك يجيز ومستجيز	أيا ملكاً تجاوز كل ملك
إذا ما النكس ألغز بالرموز	أصرح بالمديح له واثني

يا نائياً* غابَ عَنِّي الصَّبْرُ مُذْ بَنا
ما راقٍ في عَيْنِهِ شَيْءٌ يروقُ لَهَا
ولا إذا غَرَدَتْ وورقَاءُ في فَنَنٍ
وصِرَتْ في حالٍ من لا يبتغي بدلاً
ما زلتُ أَخْضِلُ أَجْفَانِي بِأَدْمُعِهَا

أَشَدَّهُمْ في الوغى بأَسًا وأكرمُهُمْ
خليفةُ الله في الأقطارِ محترمٌ^(٣)
فلا ك (نامق) وال (للعراق) ولا^(٤)
فلو وزنتُ ملوكَ الأرضِ قاطبةً
أراعَها ما رأته من عزائمه
ولم يَرِبْهُ ركوبُ البحرِ من خطرٍ
كالشَّمْسِ إذ تملأُ الدنيا أشعَّتْها
قد صانَ مملكةَ الإسلامِ أجمعَها
وما ادعى الفخرَ مجدُ في صنائعه
اللهُ يكلؤه مِمَّا يُحاذِرُهُ

هَلَّا سَأَلْتَ عَنِ المَشْتاقِ ما عانى؟^(١)
ولا اصطفى غيرَ مَنْ صافيتَ إخوانا
أملتُ عليَّ من الأوراقِ أشجانا
بالأهلِ أهلاً وبالجيرانِ جيرانا
إذا تذكَّرتُ أوطاراً وأوطانا
(٢)

كفًّا وأعظمُهُمْ في قدره شانا
إنَّ العزیزَ عزیزٌ حيثُ ما كانا
كمثل (عبدالعزیز) اليوم سلطانا
لزادهم في الندى والبأسِ رُجحانا**
فأذعنتُ لمليكِ الأرضِ إذعانا
لما تنقلَ بلداناً فبلداناً
لا تستطيعُ لها الأقطارُ كتماناً
فصانه اللهُ حفظاً مثلاً صانا
إلا أقامَ على ما قال برهاننا
وزاده اللهُ بَعْدَ الأمانِ إيماننا

= وكان السلطان عبدالعزیز قد عين مدحت باشا (صدرًا أعظم). ثم اختلف معه، فعزله مدحت باشا، وفي عهد السلطان عبدالعزیز تمردت رومانيا وصربيا على الدولة العثمانية. وقد عزل في ٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م وانتحر بعد عزله بخمسة أيام. ودفن بجوار أبيه السلطان محمود. الترياق الفاروقي ٤٣٦ وتاريخ الدولة العثمانية ٢٨٧ - ٣٢٢ والموسوعة العربية الميسرة ١١٨٢ وديوان ثمرات الحياة ١١٨ / ٢ وديوان الطباطبائي ١٤١.

(١) هذه القصيدة ناقصة في نسخة آ المصورة بالمجمع العلمي العراقي وتنقص منها الصفحات ٤٠١ و ٤٠٢ ولعلها لم تصور سهواً. لأن الصفحات مرقمة بالأصل.

(٢) هنا فراغ في الأصول وقد أشار جامع الديوان إلى أنه «وجد هذه القصيدة في أوراق غير منتظمة الأساليب ضائعاً منها أكثر النسيب».

(٣) في الأصول.. في أقطار محترم - كذا - وهو من وهم النساخ.

(٤) الوالي محمد نامق باشا الكبير وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(*) في الطبعة (١): (نائباً) والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (رحجانا) وهو خطأ طباعي.

وهل يبالي بشيءٍ أو يُحاذِرُ من
 كان مُسْتَنْصِراً بالله مُتَّخِذاً
 رأتُ من الملكِ السَّامِي جلالَتَهُ
 أبدتُ خُضوعاً وقرتُ أَعْيُنًا وِجَلتُ
 صافى فُصُوفِي حتى لم تجدُ أحداً
 صلبٌ على الخُصْمِ لو تُلقِي الخطوبُ بهِ
 يقضي النَّهارَ بأحكامٍ يدبرُها
 وأظْهَرتُ بـ (العراق) العَدْلَ رأفتُهُ
 فانقادتِ النَّاسُ عن أمرٍ لطاعتهِ
 نَعَمَ الرَّجالُ رجالٌ يُحَدِّقونَ بهِ
 كم أحرقتُ شُهْبَهُ للماردينِ فما
 رأتهِ له مُعْجِزاتِ الفُخْرِ فاخْتَلقتُ
 فأجمعتُ أممُ الإفرنجِ واتَّفقتُ
 بينا تراهمُ أسودَ الحَرْبِ إذ وُجدوا
 يقاتلونَ العدا صَفًّا فتحسبهمُ
 فد (البصرة) الآن في خفضٍ وفي دَعَة
 أجاد في ما يراهُ من سياسَتِها
 وكيف أسلو أحياءً مُنيتُ بهمُ
 يا شدُّ ما راعني يومُ الفراقِ ضُحِي
 ولا يَميلُ إذاً إلا إلى شَرْفٍ
 ولا سَمِعْتُ بشيءٍ من مناقبهِ
 تتبَّعوا المجدَ حتى قال قائلُهُ
 فأطَلقتُ ألسنُ الدنيا مدائحَهُ
 جمعتُ منها قلوباً قلماً اجتمعتُ
 وإن تَلَفَّظتُ في نطقٍ وفي قَلَمٍ

أمرٌ ويرهبُ أمثالاً وأقرانا
 حزبُ الملائكِ أجناداً وأَعوانا
 فطأطأتُ رؤُوساً منها وتيجانا
 عن القلوبِ مِنَ الأَضْغانِ أدرانا
 إلا ويوليه بالنَّعماءِ شُكرانا
 في نارها طولُ هذا الدهرِ ما لانا
 رأياً ويتلو بَجْنَجِ اللَّيْلِ قُرانا
 من بعد ما ملئتُ ظُلماً وعدوانا
 طَوَّعَ القِيادَ فلا تاباهِ عَصيانا
 كانوا لدولتِهِ الغرَّاءِ أركانا
 أبقَتُ على الأرضِ للباغينَ شيطانا
 مَذاهباً في مَعاليهِ وأديانا
 على مَحَبَّتِهِ شَيْباً وولَدانا
 يُحَلِّقونَ بجوِّ الفُخْرِ عَقبانا
 في يومِ مُعْتَرِكِ الأعداءِ بُنيانا^(١)
 وكلُّ خيرٍ أتاهَا من (سليمانا)^(٢)
 فزانَ ما كان قبلَ اليومِ قد شانا
 وما وِجَدتُ لهذا القلبِ سُلوانا
 ودَعْتُ فيه من الغادينِ أَطْعانا
 ذو اللبِّ مُتَّخِذاً الأشرافِ أُخْدانا
 إلا انثنيتُ بما أُسْمِعْتُ نَشوانا
 أحييتُ ملوكُ (بني عثمان) (عثمانا)
 وأسْمِعْتُ من بها سِراً وإعلانا
 مَحَبَّةً فيك ساداتِ وأعيانا^(٣)
 قَرِطتُ من دُرِّ الألفاظِ أذانا

(١) أخذه من قوله تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) سورة الصف الآية (٤).

(٢) هو سليمان فانق محافظ البصرة وقد ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٣) في الأصول.. ساداتاً - كذا - من وهم النساخ.

لقد حكيتَ - وما فاتتكَ فائتةٌ - (*)
أحسنْتَ في كلِّ ما دبَّرتَ من حِكمٍ
فمنَّ كمالكَ عن رأيي ومعرفةٍ
فضلُ من الله أوتينا الكمالَ بهِ
لله دركُ بين الناس من فطنٍ
حلْمٌ به تتركُ النيرانَ باردةً
لا تُنزلُ الجودَ إلا في منازلهِ
أبصرتُ أشياءَ لا تخفى منافعها
والناسُ من ذلك التَّنظيفِ يومئذٍ
سَقَيْتَنَا الماءَ عذباً ما به رنقٌ
ولم تدعُ وجميعُ النَّاسِ تملوُ
صَحَّتْ بكِ (البصرة) الفيحاءُ (***) من مرضٍ
من بعد ما كانت الأمراضُ قد صبغتُ
من ذا الذي ينكرُ الأشياءَ حينئذٍ
يا دوحَةَ المجدِ تزكو في مغارسها
على جبينك خطُّ المجدِ أسطره
ويا لك اللهُ إن حررتُ (***) من رجلٍ
تُجنى ثمارُ المعالي من رسائلهِ
ومُدُّ بداً وجهُك الزاهي لأعيننا
وفي قُدمك ما تمُّ السرورُ بهِ

(قس) (١) الفصاحة أو ناظرت (سحبانا)
جُزيتَ عن ذلك الإحسانِ إحسانا
وَضَعْتَ للعدلِ والإنصافِ ميزانا
فَضَلْتَ غيرَكَ معروفًا وعرفانا
حَيَّرْتَ في ذهنك الوقادَ أذهانا
وعَزَمْتَ تتركُ الأمواهَ نيرانا
ما عزَّ عندك من شيءٍ وما هانا
كان الأوائلُ عنها الدهرُ عُميانا
كأنما انتشقتُ روحًا وريحانا (٢)
فأصبح الظامئُ العطشانَ ريانا
مما يزيدُ بمرضى البحر بحرانا (**)
أضربُ بالناسِ أرواحًا وأبدانا
منها الوجوهُ بصيغِ الموتِ ألوانا
وقد قلبتُ من الأبدانِ أعيانا
أصلًا وفرعًا وأغصانًا وقضبانا
وكم قرأتُ لذاك الخطَّ عُنوانا
يُمثِّلُ السَّحرَ ألفاظًا وتبيانا
حتى غدتُ في رياضِ الفضلِ بستانا
جلا عن (البصرة) الفيحاءِ أحزاننا
وربما غابتِ الأقمارُ أحياننا

(١) هو قس بن ساعدة الأيادي، كان خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم في عصره. وله دور بارز في سوق عكاظ. وقد سمعه رسول الله (ﷺ) يخطب فأعجبه كلامه وعاش طويلاً وتوفي قبل البعثة النبوية. وسحبان وائل من خطباء العرب المشهورين يضرب به المثل. الأعلام ٦/ ٣٩ وفيه مصادر أخرى.

(٢) في نسخة ب: (كأنما أنشقت روحاً وريحاناً).

(*) في الطبعة (١): (فاتنة) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) بجرانا: بجران هو التغيير الذي يحدث للعليل في الأمراض الحادة. انظر لسان العرب. مادة (ب ح ر).

(***) في الطبعة (١): (الفجار) والصواب من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (حرزت) وصوابها من الطراز الأنفس.

رَمَ وَالْأَفَاضِلَ وَالْأَمَاجِدُ إِنَّ الْأَكْثَارَ وَالْمَكَامِ
 فِيَا لِمَفْقُودٍ وَفَاقِدُ فَقَدْتُ (مَحْمَدَهَا الْأَمِينَ)
 وَتَعَطَّلْتُ تِلْكَ الْمَعَاهِدَ (٢) (*) وَخَلْتُ مَعَاهِدُ لِلتُّقَى
 مِنْ بَعْدِهِ وَخَلْتُ مَسَاجِدَ وَبَكَتْ عَلَيْهِ مَدَارِسُ
 فِي السِّدِينَ تُفْجِمُ كُلَّ جَاحِدِ قَدْ كَانَ أَعْظَمَ حُجَّةً
 أَقْوَى وَأَعْدَلُ مِنْهُ شَاهِدِ مَا فِي الْبَرِيَّةِ كَلِّهَا

(١) هو السيد محمد أمين الشهير بواعظ القادرية ابن السيد محمد بن السيد جعفر الحنفي الأدهمي الحسيني الأعظمي. ولد ببغداد سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م ودرس على أجلة علماء عصره، وتخرج على أبي الثناء الأكوسي حتى نبغ وصار من كبار فقهاء الحنفية، وكان يلقب بأبي يوسف الثاني، وله معرفة واسعة باللغة والأدب والشعر الجيد ومنه قوله:

يا ليلة الوصل عودي وبالتواصل جودي
 وكري لي حديثا يزري بناي وعود
 وعلينا بذكرى سكان (وادي زرود)
 فإن لي فيه جبا معذبي بالصدود

وأخذ فنون الخط العربي عن الخطاط الشهير سفيان الوهبي البغدادي، وكان الواعظ يكتب الصكوك والإعلانات الشرعية، ومن آثاره الخطية (تسع مجلدات من تفسير روح المعاني) ونصب مدرسا في المدرسة الخاتونية وعظم مدة طويلا في الحضرة القادرية حتى لقب بواعظ القادرية، وقد اشتدت الأزمة بينه وبين الوالي محمد نجيب باشا. فنفاه الوالي إلى البصرة، ونزل على الشيخ أحمد نور الأنصاري. ثم عفا عنه الوالي وعاد إلى بغداد فهناك عبد الباقي العمري بقصيدة، واشتغل بالتدريس وكان سلفي العقيدة محاربا لأهل البدع والأهواء. وكان والده قاضيا في الحلة وقتل هناك. ومن مؤلفات الواعظ (العليم الزخار ومنهاج الأبرار) مخطوط و(فتاوى في فقه الحنفية) و(نظم التوضيح شرح التنقيح) مخطوط بالفقه. وله تعليقات على كثير من الكتب والرسائل، توفي ببغداد سنة ١٢٧٣هـ = ١٨٥٦م. وشيع بموكب كبير ودفن في تكية البكري بمحلة باب الشيخ ورتاه الأدباء والعلماء. الروض الأزهر ٧٤ - ١٣٩ والدر المنتثر ٩٢ والمسك الأنذر ١٠٢ - ١٠٩ والبغداديون ٢٤ والأعلام ٦ / ٢٦٨. ومقامات ابن الأكوسي (الرابعة).

(٢) في المطبوع: (وخلت منه المساجد) وهو معلول. وفي نسخة أ: (وخلت مساجد) والتصويب من نسخة ب.

(*) في الطبعة (١): (المساجد) والتصويب من الطراز الأنفس.

بِاللَّهِ أَقْسَمُ إِنَّهُ
كَانَتْ مَوَارِدُ عَالَمِهِ
قَدْ كَانَ لِلدِّينِ الْقَوِي
يَا وَاعِظاً بِوَجُودِهِ
يَا نَائِباً عَنْ صَاحِبِهِ
فَلَكُمْ سَدَدْتُ عَلَى أَمْرِي
وَأُذِبتَ دَمْعاً كَانَ لِي
أَيْنَ الْفَرَائِدُ وَالشُّرَا
مَا كُنْتُ أَمَلُ أَنْ نِي
وَأَلَيْنُ بَعْدَ أَحِبِّتِي
لَا سَاعِدِي فِيهِ الْقَوِي
وَلَقَدْ سَنَّمْتُ مِنَ الْحَيَا
لِمَا فَقَدْتُ الصَّالِحِي

فِي مَأَلَةِ الْإِسْلَامِ وَاحِد
شِرْعاً شُرْعِنَ لِكُلِّ وَارِد
مِ إِذَا نَظَرْتَ يَدَا وَسَاعِد
عِظَةً (*) تَلِينُ لَهَا الْجَلَامِد
هَلْ أَنْتَ بَعْدَ النَّأْيِ عَائِد
بَابَ الْمَطَالِبِ وَالْمَقَاصِد
مِنْ قَبْلِ هَذَا الْيَوْمِ جَامِد
نُدُ (١) وَالْعَوَائِدُ (**) وَالْفَوَائِدُ
أَنْعِي (***) عَلَى الْأَيَّامِ وَاجِد
لِلْحَادِثَاتِ مِنَ الشَّدَائِدِ
وَلَا عَلَى زَمَنِي مُسَاعِد
بِمَا أَشَاهِدُ أَوْ أَكَابِد
مَنْ عَلِمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ فَاسِد

(٤٥)

وقال مادحاً عبدالقادر أفندي (الكولند) (٢) كاتب العربية بالبصرة [ويهنيه بالعيد

(١) في الأصول: أين الفوائد - كذا - والصواب ما أثبتناه وذلك لتكرار كلمة الفوائد.

(٢) عبدالقادر أفندي الكولند كان رئيس الكتاب في ديوان المحافظة بالبصرة وأرسله الوالي مدحت باشا سنة ١٢٧٥هـ مع محمد باشا الديار بكري إلى البحرين لتبليغ الشيخ محمد آل خليفة برفع العلم العثماني فوق الدوائر الرسمية وعين قائمقاماً في العمارة سنة ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م وأنشأ فيها محلة عرفت باسمه (القادرية) كما أنشأ فيها الجامع الكبير وفي منارته القديمة تاريخ بنائها وهو:

فقل لمن يسأل عن تاريخها قد عمرت أيام عبدالقادر

وقد أظهر حنكته في إدارة العشائر. وأحبه الناس واتسعت المدينة في عهده وبقي في العمارة إلى سنة وفاته وهي ١٢٨٣هـ = ١٨٧٦م، ثم عين بدله مراد أفندي أبوكذيلة زوج نائلة خاتون. انظر: التحفة النبهانية ١٧٨ وموجز تاريخ عشائر العمارة ٢١ و٤٠.

(*) في الطبعة (١): (عظمة) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (والعرائد) والصواب ما أثبتناه. وفي الطراز الأنفس:

أَيْنَ الْفَوَائِدُ وَالشُّرَائِدُ وَالْعَوَائِدُ وَالْفَوَائِدُ

(*) في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (أنعي)، وقد تركناها كما وردت ولعلها (أبقى على الأيام واجد) أي أبقى حزيناً على الفقد، أو (أبقى على الأيام واحد) أي وحيداً بعد فقد الأصدقاء.

مُدَّ سَلٌّ فِي الْعُشَّاقِ سَيْفَ النَّاظِرِ
 جَرَحَ الْفَوَادَ بِصَارِمٍ مِنْ لَحْظِهِ
 مَا كُنْتَ أَعْلَمُ أَنْ أَرَى صَرْفَ الرَّدَى
 وَيَلَاهُ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونَ فَإِنَّهَا
 تَبْدُو الْعَيُونَ النُّجْلُ فِي حَرَكَاتِهَا
 قَمَرٌ إِذَا نَظَرَ الْعَدُولُ جَمَالَهُ
 يَجْفُو وَيُوصلُ فِي الْهَوَى لِمَشْوِقِهِ
 أَمْسَى يُعَاطِينِي مُدَامَةً رَيْقَهُ
 مَا زِلْتُ أَلْتِمُهُ وَأَرْشَفُ تَغْرَهُ
 لِيهِ أَيَّامُ الْوِصَالِ فَإِنَّهَا
 وَإِذَا ذَكَرْتُ لُبَانَةً قَضَيْتُهَا
 وَلِيَالِيَا ب (الأبرقين) تَصَرَّمَتْ
 إِنْ غَابَ مِنْ أَهْوَى وَعَزَّ لِقَاؤُهُ
 لِي حَسْرَةٌ مِمَّنْ أَوْدُ وَلَوْعَةٌ
 لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ أَرْجِي نَيْلَهُ
 لَوْلَمْ يَكُنْ بَحْرَ النَّوَالِ لِمَا عَدَا
 وَتَرَى الرِّكَائِبَ حَامِلَاتٍ فِي الْوَرَى
 نُوهِمَّةٍ وَعَزَائِمٍ بَيْنَ السَّمَلَا

وَسَطًا كَمَا يَسْطُو بِمَاضٍ بَاتِرٍ
 رَشَاءٌ يَصُولُ بِلِحْظِ خِشْفٍ فَاتِرٍ (١)
 مِنْ أَعْيُنٍ تَحْكِي عُيُونَ جَاذِرٍ
 فَتَكَتْ بِنَا فَتَكَ الْهَزْبِرِ النَّائِرِ
 فِي زِيٍّ مَسْحُورٍ وَسَيْمًا سَاحِرٍ (٢) (*)
 أَضْحَى عَذُولِي بِالصَّبَابَةِ عَاذِرِي
 وَالصَّدُّ مِنْ شَيْمِ الْغَزَالِ النَّافِرِ
 وَالنَّجْمُ يَلْحَظُنَا بِطَرْفٍ (** سَاهِرٍ) (٣)
 حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ مَنَاءَ الْخَاطِرِ
 مَرَّتْ وَلَكِنْ فِي جَنَاحِي طَائِرِ
 وَلِغَتِ مَدَامِعُ أَعْيُنِي بِمَحَاجِرِي
 كَانَ الْحَبِيبُ مُنَادِمِي وَمُسَامِرِي
 فَالْقَلْبُ لَمْ يَبْرَحْ بِوَجْدٍ حَاضِرِ
 وَقَدَتُ لَوَاعِجُ نَارِهَا بِضُمَائِرِي
 إِلَّا نَوَالَ يَمِينِ (عَبْدِ الْقَادِرِ)
 يَهَبُ الْمُؤْمَلُ مِنْ نَدَى وَجَوَاهِرِ
 أَخْبَارَ حُسْنِ حَدِيثِهِ الْمُتَوَاتِرِ
 أَعْنَتُهُ عَنْ حَمْلِ الْحُسَامِ الشَّاطِرِ

(١) الخشف: ولد الغزال.

(٢) في الأصول: وسيمة ساحر.

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق العزاوي: والنجم يشزرننا.

(*) في الطبعة (١): (ساهر) وما أثبتناه أولى بقرينة الهامش رقم (١)، وكلمة (مسحور) الواردة في عجز البيت وتم التصويب على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (بطرق) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

أَحْيَا حَدِيثَ الْفَضْلِ بَعْدَ مَمَاتِهِ
وَالتَّارِكِ الْعَافِي بَجَنَّةِ فَضْلِهِ
وَدَلِيلِ شَيْمَتِهِ صَفَاءِ جَنَانِهِ^(١)
شَيْمٌ لَهُ نَتَلُو بِحُسْنِ تَنَائِهَا
يَعْفُو عَنِ الْجَانِي وَيَغْفِرُ ذَنْبَهُ
لَمْ أَلْقَ بَيْنَ النَّاسِ أَكْرَمَ مَا جَدَّ
بِالرَّأْيِ (أَصْفُ) مَا يُحَاوَلُ رَأْيَهُ^(٢)
هِيَ هَاتِ أَنْ يَأْتِيَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ^(٤)
يَأْتِي مِنَ الدُّنْيَا بِكُلِّ بَدِيعَةٍ
فِي وَجْهِهِ آيَاتُ كُلِّ فَضِيلَةٍ
إِنَّ الْحَيَاةَ لَوْفَدَهُ بِيَمِينِهِ
نَوْهَمَةٌ وَشَجَاعَةٌ يَوْمَ الْوَعَى
مِنْ عَصَبَةٍ جَمَعُوا الشَّجَاعَةَ وَالنَّدَى
وَإِذَا أَتَيْتَ لِبَابِهِ فِي حَاجَةٍ
بَسَطَ الْيَدَيْنِ عَلَى الْأَنْامِ تَكْرُمًا
صَدَرَ الْمُؤْمَلُّ عَنِ مَوَارِدِ بَحْرِهِ
مُتَقَمِّصٌ بِالْمَكْرَمَاتِ مُؤَزَّرٌ
قَسَمًا بِبَارِقِ مُرْهَفٍ فِي كَفِّهِ

وَجَمَالَ ذِيكَ الزَّمَانَ الْغَابِرِ
تَرَكَ الْمُعَادِي فِي لُحُودِ مَقَابِرِ
وَالشَّيِّ بَاطِنُهُ يُرَى مِنْ ظَاهِرِ
كُتِبَتْ مَحَاسِنُهَا بِكُلِّ دِفَاتِرِ
وَالْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا أَتَى مِنْ قَادِرِ
لَوْفُودِهِ وَلِضِدِّهِ مِنْ قَاهِرِ
يَقِفُ الذِّكْرُ لَدَيْهِ وَقِفَةٌ حَائِرِ^(٣)
نَتَجَتَ بِهِ أُمُّ الزَّمَانِ الْعَاقِرِ
وَمِنَ الْفَضَائِلِ فِي عَجِيبِ بَاكِرِ
يَلْقَى الْعُفَاةَ تَرْحُبًا بِبِشَائِرِ
وَبِسَيْفِهِ قَتَلَ الْعَدُوَّ الْفَاجِرِ
فِي الْحَرْبِ يَسْطُو كَالْعُقَابِ الْكَاسِرِ
نَالُوا الْمَعَالِي كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
أَغْنَاكَ فِي بَدَلِ^(*) الْعَطَاءِ الْوَافِرِ
وَنَوَالُهَا مِثْلَ السَّحَابِ الْمَاطِرِ
يُرْوَى أَحَادِيثَ الْعَطَا عَنْ جَابِرِ^(٥)
مِنْ رَبِّهِ فِي عِرَّةٍ وَمَفَاخِرِ
حِينَ النِّزَالِ وَبَحْرِهِ الْمُتَكَاثِرِ

(١) في الأصول: صفاء جنابه، والتصويب من مجموعة عبد الخالق العزاوي.

(٢) أصف بن برخيا: هو اسم أحد وزراء النبي سليمان عليه السلام وكان من الحكماء.

(٣) في مجموعة عبد الخالق العزاوي: وقفة باكر من وهم الناسخ.

(٤) هذا البيت فيه تضمين ولم يحصره بين قوسين كما في الأصول وهو لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد:

هيهات يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل «الديوان ص ٢٢٥»

(٥) في هذا البيت توجيه لطيف في كلمتي (العتا) و(جابر) فالعتاء هو الكرم وجابر صفة الرجل الكريم الذي يجبر

كسر الفقر لقلوب الناس. كما أن هناك رجالاً من رواة الحديث اسم كل منهم عطاء منهم عطاء بن أبي رباح

التابعي المتوفى سنة ١١٤ وعطاء بن دينار المتوفى سنة ١٢٦ وغيرهم. كما أن من الصحابة رجالاً يحملون اسم

جابر منهم جابر بن عبدالله الأنصاري. وغيره. الأعلام ٥/ ٢٩.

(*) في الطبعة (١): (بذلك) مما يكسر الوزن والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

لم أَلْقَ بَيْنَ النَّاسِ قَطُّ مُمَاثِلًا
 غَوْتُ الصَّرِيخَ (*) إِذَا دُعِيَ لِمُلِمَّةٍ
 كَمْ وَارِدٍ نَهَرَ النُّضَارِ بِبَابِهِ (١)
 يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَفْضَلُهُ
 حُذُّهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مِنْ (أُخْرَسِ)
 هُنَّيْتِ بِالْعِيدِ الْجَدِيدِ وَلَمْ تَزَلِ
 لَا زِلْتَ مَسْعُودَ الْجَنَابِ مُؤَيَّدًا

لَجَنَابِهِ الْعَالِي وَلَا بِمُنَاطِرِ
 فِي كَشْفِهِ الْأَخْطَارَ أَيُّ مُبَادِرِ
 مِنْ فَضْلِهِ السَّامِي وَكَمْ مِنْ صَادِرِ
 فِي عَاتِقِي وَثَنَاؤُهُ فِي ضَامِرِي
 بِتَّنَاكَ يَنْطِقُ فِي لِسَانِ شَاكِرِ
 سَعِدَ الْكِرَامِ وَرَغَمَ أَنْفِ الْفَاجِرِ
 وَعِيدَاكَ فِي ذَلِّ وَحَالِ بَائِرِ

(٤٦)

انظُرْ إِلَى الْأَشْرَافِ كَيْفَ تَسْوَدُ
 إِذْ يَدْعِي بِالْمُلْكِ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ
 يَوْمَ تُوَوَّى فِيهِ (ثُوَيْنِي) فِي التُّرَى
 مَا لِلَّذِي عَبَدَ الصُّخُورَ مِنَ الَّذِي
 قُلُّ لِلَّذِي ذَمَّ الْإِمَامَ بِشِعْرِهِ
 وَلَقَدْ عَمِيَتْ عَنِ الْهُدَى فِي مَنْ لَهُ
 السَّيِّدُ السَّنْدُ الرَّفِيعُ مَقَامُهُ

وإلى أُبَاةِ الْخُضَيْمِ أَيْنَ تُرِيدُ
 وَالْحَزْمُ يَقْضِي وَالسِّيُوفُ شُهُودُ
 يَوْمَ ب(سَالِمِ) لِلْبَرِيَّةِ عِيدُ
 عَبَدَ الْإِلَهَ وَدِينَهُ التَّوْحِيدُ
 قَدْ فَاتَكَ الْمَطْلُوبُ وَالْمَقْصُودُ
 نَظَرَ بِغَايَاتِ الْأُمُورِ حَدِيدُ
 وَمَقَامُهُ الْمَمْدُوحُ وَالْمَحْمُودُ

(١) في مجموعة عبدالخالق العزاوي: نهر الضفار - كذا - من وهم الناسخ.

(١) الشيخ سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان، أمير عمان ومسقط، كان في صباه يعين أباه في شؤون الحكم وتبدير الأمور، ثم طمع بالملك فاعتال أباه في ميناء (صحار) سنة ١٢٨٢هـ = ١٨٦٥م وانفرد بالحكم، ثم جمع أمراء القبائل في مسقط وأخبرهم بأنه قتل أباه لظلمه. فرضوا بعمله وبإيعوه، فبقي بالحكم سنتين ثم ثاروا عليه، فاستنجد بالبرتغاليين في الخليج العربي، وكانت لهم سفن حربية هناك فاعانوه أول أمر ثم خذلوه. فاضطر إلى الهرب من عمان إلى الهند سنة ١٢٨٥هـ وتولى الحكم من بعده عمه تركي بن سعيد، وتوفي سالم في الهند سنة ١٢٩٠هـ = ١٨٧٣م. انظر الأعلام ٢/ ٦٦ و ٨٩ وفيه مصادر أخرى.

(*) في الطبعة (١): (الصريح) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

أَنْى تُحَقَّرُ بِالْفَهَاهَةِ سَيِّدًا
سَخَطَ الْحَسُودَ بِمَا بِهِ مِنْ (سَالِمٍ)
مِنْ لَامٍ (سَالِمٍ) فِي (أَبِيهِ) فَلَوْمُهُ
مَا عَقَّ وَالِدَهُ وَلَا صَدَقَ الَّذِي
وَأَفَى (ثَوِينِي) فِي الْفِرَاشِ حِمَامُهُ
هَذَا قَضَاءُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
رَأَى رَأَى فِيهِ الْإِصَابَةَ (سَالِمٍ)
فَلَهُ يَصِحُّ الْإِجْتِهَادُ بِعِلْمِهِ
لَمَّا تَيَقَّظَ عَزْمُهُ مِنْ غَفْلَةٍ
وَأَرَابُهُ أَمْرٌ يُعَمُّ وَيَبَالُهُ
وَلِي الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ فَتَصَرَّمَتْ
وَأَقْرَهَاتِيكَ الْمَمَالِكَ بَعْدَمَا
وَلَقَدْ حَمَاهَا بِالصُّوَارِمِ وَالْقَنَا
لَا خَيْرَ فِي مُلْكٍ إِذَا لَمْ يَحْمِهِ
تَرَدُّ الطُّغَاةُ الْحَتَفَ مِنْ صَمَّصَامِهِ
مَهْ يَا عَذُولُ مُفْنَدًا مِنْ جِهَلِهِ
وَلَقَدْ قَضَى نَحْبًا أَبَوْهُ وَقَدْ مَضَى
خَيْرٌ مِنَ الْمَفْقُودِ عِنْدَ وَفَاتِهِ
أَبْقَى لَهُ الذِّكْرَ الْحَمِيدَ فَصِيَّتُهُ
سَفَهَاً لِهِنْدِيٍّ أَرَادَ بِنُصْحِهِ
نَظْمَ الْقَرِيضِ لِيَسْتَمِيلَ قَلُوبَنَا
خَفِيَّتْ عَلَى فَهْمِ الْغَيْبِيِّ مَقَاصِدُ
مُتَوَعَّدُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ

مِنْ حَقِّهِ التَّعْظِيمِ وَالتَّمْجِيدِ
رَضِيَ إِلَهُ الْوَاحِدِ الْمَعْبُودِ
حُمُقٌ لِعَمْرِي مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ
نَسَبَ الْعَقُوقِ إِلَيْهِ وَهُوَ جُحُودُ
وَأَتَى عَلَيْهِ يَوْمُهُ الْمَوْعُودُ
لَا وَالِدٌ يَبْقَى وَلَا مَوْلُودُ
بِاللَّهِ أَقْسَمُ إِنَّهُ لَسَدِيدُ
فِي شَأْنِهِ وَلِغَيْرِهِ التَّقْلِيدُ
فِيهَا عَقُولُ الْجَاهِلِينَ رُقُودُ
وَعَلَى (عُمَانَ) بِمَا يَسُوءُ يَعُودُ
تِلْكَ الْحَوَادِثُ وَالْخُطُوبُ السُّودُ
كَادَتْ تَمُورُ بِأَهْلِهَا وَتَمِيدُ
فِ (عُمَانَ) غَيْلٌ وَالرَّجَالُ أُسُودُ
بِأَسْ - يَذُوبُ لَهُ الْحَدِيدُ - شَدِيدُ
هَذَا وَمَنْ هَلْ جُودُهُ مَرُودُ
مَاذَا يُفِيدُ الْعَدْلُ وَالتَّفْنِيدُ
مَا لِأَمْرِي فِي الْكَائِنَاتِ خُلُودُ
هَذَا الْإِمَامُ (السَّالِمُ) الْمَوْجُودُ
قَدْ يُخْلِقُ الْأَعْمَارَ وَهُوَ جَدِيدُ
غِيثًا وَكُلُّ مَقَالِهِ مَرْدُودُ^(١)
عِنْدَهُ وَذَلِكَ مِنَ الْمُرِيدِ بَعِيدُ
فِيهَا وَمَا عَرَفَ الْمَرَامَ بَلِيدُ
مَا ضِمْنَهُ التَّقْرِيعُ وَالتَّهْدِيدُ

(١) يبدو أن بعض الشعراء في الخليج العربي أو من العرب المقيمين في الهند قد نظم قصيدة تناول فيها سألماً. والأخرس هنا يرد عليه، ولكننا - مع الأسف - لم نعثر على قصيدة بهذا الغرض في آثار شعراء تلك الفترة. ولذلك لم نستطع معرفة الهندي الذي ذكره الأخرس.

لا يعرفُ الشَّيْطَانُ كيفَ يَكِيدُ
 (هنداً)، ولا العَرَبُ الكِرَامُ هُنُودَ
 ناراً لها في المُلْحِدِينَ وَقُودَ
 عند اللُّقَاءِ بَوَارِقُ ورُعودِ
 أَكْرَمُ بهمُ فَهَمُّ الرِّجَالِ الصِّيدِ
 (عبدُ العَزِيزِ) وظَلُّهُ الممدودِ^(١)
 أَنَّى يَشَاءُ عَسَاكِرُ وجُنُودِ
 الدينُ فيها والسُّتُقَى والجودِ
 (آل السُّعُودِ) فَإِنَّهُ لسعيدِ^(٢)
 إلا لَدِيهِ النُّصْرُ والتَّكْيِيدُ

ليَكِيدَ فيها المسلمِينَ بخدعةٍ
 ليست (عمانُ) ولا (صحارُ) و(مسقطُ)
 لو تَقَرَّبُ الأعداءُ منها لاصْطَلَّتْ
 وإمامُ (مَسْقَطِ) لا يَرُوعُ جَنَابَهُ
 قد بايَعْتَهُ على (عمانِ) رجالُهُ
 ووراءَهُ مَلِكُ الملوِكِ جَمِيعِهَا
 مَلِكٌ يَقُومُ بِنَصْرِهِ فَتَمُدُّهُ
 ووراءَ ذلكِ أُمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ
 من كانَ (عبدُ الله) من أنصارِهِ
 واللهُ خَيْرُ الناصِرِينَ ولم يَكُنْ

(٤٧)

وقال مادحاً العلامة عبدالله أفندي باش عالم^(٣) العمري [وهي من البسيط]:

(١) السلطان عبدالعزيز خان العثماني مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٢).

(٢) هو الأمير عبدالله بن فيصل بن تركي آل سعود، كان أمير الأحساء وتمرد على أخيه سعود سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧٨م واستنجد بمدحت باشا. فأرسل له جيشاً بقيادة الفريق نافذ باشا فاحتل الأحساء وألحقها بالدولة العثمانية. تحفة الألباء في تاريخ الأحساء ٦١ وتاريخ الكويت ٢/ ٢٩ - ٣٠. والعربية السعودية ص ٦٤ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٢٤٠ و٢٥٧.

(٣) العلامة الشيخ عبدالله أفندي بن محمد جليبي بن عبدالله العمري الموصلية. ولد في الموصل سنة ١٢٠٨هـ = ١٧٩٤م ونشأ نشأة دينية، ودرس على علماء عصره في الموصل وتخرج على الشيخ علي أفندي محضر باشي، وزار بغداد وأقام فيها مدة الوالي داود باشا وقرأ على بعض علمائها، وأخذ عنه أبوالثناء الألويسي علم القراءات. وكان رئيس العلماء والمدرسين في الموصل وهو شاعر مجيد، له ديوان شعر كبير في ثلاثة مجلدات كبيرة ما يزال مخطوطاً. منه نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العراقي وقد سافر إلى إستانبول وأنعم عليه السلطان برتبة (باش عالم) وتولى الإفتاء في الموصل مدة وقد مدحه كثير من الشعراء منهم أحمد عزة العمري بقوله:

كما زاد عبدالله في العلم مرقاه
 لتعظيم دين الله عظمها الله
 واستدامت لعاصم السراء
 من بنيه تعنوه الفضلاء =

لقد زادني وجداً إليه تشوقسي
 هو المتقي فخر العبادة التي
 وكذلك مدحه الشاعر عبدالباقي العمري بقوله:
 للإمام الفاروق دام الهنساء
 بفتى أحرز الفضائل طراً

إِنْ جِئْتَ آلَ سُلَيْمِي (*) أَوْ مَغَانِيهَا
تلك المغانى معاني الحُسنِ لائحةٌ
مَعَالِمُ كُلِّمَا اسْتَسْقَتْ مَعَاهِدُهَا
مَنَازِلُ وَقَفَ الْعَانِي بِهَا فَشَكَا
وَاحْسِبْ بِهَا الرِّكْبَ أَنْ تَقْضِيَ حَقُوقَ ثَرَى
قَفْ بِي أَصْبُ بِهَا دَمْعًا أَشْيَبَ دَمًا
وَيَلَاهُ مِنْ كِبِدِ حَرَى أَضْرَبُ بِهَا
لِي مُهْجَةٌ وَالْقُدُودُ السُّمْرُ مَا بَرَحْتُ
يَأْتِي إِلَيْكَ هَوَاهَا بِالصَّبَا سَحْرًا
فَمَا لِهَاتِفَةٍ تَشْجِي الْخَلِيَّ جَوَى
لِلَّهِ مَا فَعَلْتُ بِي فِي تَفَنُّنِهَا
وَهَيَّجَ الْبَرْقُ لِمَا لَاحَ وَامَضَهُ
فَعَبَّرْتُ عِبْرَاتُ الدَّمْعِ حِينَ جَرْتُ
يَا بَرْقُ سَلِّمْ عَلَيَّ حَيٌّ بِ(ذِي سَلَمٍ)
حَيٌّ حَيَاةُ الْمَعْنَى فِي مُوَاصِلِهِمْ
قَدْ طَالَ عَهْدِي بِأَحْبَابٍ شَغَفْتُ بِهَا
مَا لِلْمَلَامَةِ تُغْرِينِي وَلِي أَدْنُ
يَا عَاذِلِي كُلِّمَا أَبْصَرْتُ حَالَ شَجٍّ (١)

فاحفظ فؤادك واحذر من غوانيتها
منها لعينك فاشرح لي معانيتها
وبلا من الدمع بات الويل يسقيها
ما يشتكي من صروف الدهر عافيتها
على الممتيم حق أن يؤديها
فإنما أنا صب الدار عانيتها
منع الأحبة شرب الراح من فيها
تميتها والصبا النجدي يحييها
فهل عرفت الهوى من أين يأتيها
وما رماها بسهم البين راميتها
ورقاء في الدوح تشجيني وأشجيتها
لواعجا في هوى مي أعانيتها
عن صبوة بت أخفيها وأبديها
وجز بأحياء (ميثاء) وحبيها
كانوا منى النفس لو نالت أمانيتها
ولا أرى طول هذا العهد ينسيها
تملأها وأرى العذال تملئها
فخله فهو مشغوف وخليها (٢)

راء منه استفادات العلماء

في مدح خاتمة الأفاضل
كل مفضل وفاضل
الغرب ما في ذا مجالد

كل علم في بلدة الموصل الخضر

ومدحه أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب بقوله:
من لي بالسنة الأوائل
الفرد عبدالله سيد
أستاذ أهل الشرق ثم

انظر الترياق الفاروقي ٣٩٤ وغرائب الاغتراب ٥١ ونشوة الشمول ٧ وديوان الشدياق (كنز الرغائب) ص ٦٣
و ديوان أحمد عزة العمري ٤٤ مخطوط والموشحات الموصلية ١١٩ .

(١) في المطبوع: يا عذالي. من وهم الطباعة.

(٢) الصواب (وخلها).

(*) في الطبعة (١): (سلمي) مما يكسر الوزن، والصواب ما اثبتناه من الطراز الأنفس.

فلا تُعَذِّبْ أُخَيَّ الْيَوْمَ مُهْجَتَهُ
لا تَلْحَنِي فَتَزِيدَ الْقَلْبَ صَبُوتَهُ
أَقُولُ لِلْبَرْقِ إِذْ لَاحَتْ لَوَامِعُهُ
بِاللَّهِ كَرَّرَ أَحَادِيثَ (العُذَيْبِ) فَمَا
وَارْفَقَ بِمُهْجَةٍ مُشْتَقٍّ لِقَدْرِ رَيْتِ
وَيَا نَسِيمًا سَرَى مِنْ أَرْضِ (كَاطِمَةَ)
أَحْمَلْ إِلَى (الموصلِ الحَدْبَا) تَحِيَّتِنَا
وإِنَّمَا هُوَ (عَبْدُ اللَّهِ) عَالِمُهَا
الْفَاضِلُ الْفَرْدُ فِيهِمْ فِي فِضَائِلِهِ
مِنْ عُسْبَةِ بَرِيَّةٍ مِنْ كُلِّ مَنْقَصَةٍ
مِنْهُمْ تَبْلُجُ صَبْحِ الْفَضْلِ وَابْتَهَجَتْ
عَلَاهُمْ سَقْمُ أَكْبَادِ الْحَسُودِ كَمَا
فَلْتَفْخِرِ (الموصلُ الحَدْبَاءُ) أَنْ لَكُمْ
وَلِفِضَائِلِ أَهْلِ فِي الْوَرَى أَبَدًا
صَحْفُ الْبَلَاغَةِ قَدْ أَصْبَحَتْ نَاشِرَهَا
جُزَيْتَ عَنْ بِنْتِ فِكْرٍ قَدْ بَعَثَتْ بِهَا
فَلَوْ نُجَازِيكَ عَنْ مَعْشَارِ قِيَمَتِهَا
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهَا
يَوْمًا تَضَرَّجَ فِيهَا الْوَرْدُ وَجَنَّتُهُ
أَبْهَى وَأَبْهَجَ مِنْ نَظْمِ نَظْمَتِ بِهِ
بِيوتِ فَضْلِ حَوَتْ مِنْ كُلِّ نَادِرَةٍ
رَقَّتْ إِلَى أَنْ تَخَيَّلْنَا النَّسِيمَ سَرَى
تُمَلَى عَلَى السَّمْعِ أَحْيَانًا فَتَمْلُوهُ
كَأَنَّمَا طَلَعَةُ الْأَقْمَارِ مَطَّلَعُهَا

فإن ما لقيت في الحب يكفيها
وربما جرح العشق أسياها
يحكي تبسم ذات الخال تشببها
بغيرها غلة الأشواق تروياها
وكل نفس هواها كان مرديها^(*)
يروى أحاديث نشر عن روابيها
واقرا السلام على من قد سما فيها
ومقتداها ومهديها وهاديها
لا يستطيع حسود أن يواربها
من الورى فتعالى الله باريها
رياضه فزها بالحق زاهيها
تشقى صدور المعالي في عواليها
نهاية الفخر قاصيها ودانيها
وما برحتم مدى الأيام أهليها
من بعد ما كاد هذا الدهر يطويها
إلى محبيك تهديها فتهديها
جوزيت إذ ذاك بالدنيا وما فيها
غيث فأضحكها إذ بات يبكيها
حتى تبسم من عجب أقاحيها
زهر الكواكب نظما في قوافيها
أحكمت في يدك الطولى مبانيها
منها ولم يسر إلا من نواحيها
لأننا ومعانيها لآليها
والأنجم الزهر أمست من قوافيها^(١)

(١) تكررت القافية بعد أربعة أبيات وهذا من العيب.

(*) في الطبعة (١): (مرديتها) خطأ طباعي.

كَمْ أَسْكَرْتَنَا وَلَمْ نُسْقَ كَوُّوسَ طَلًا
مَصُوعَةً مِنْ دُمُوعِ الْعَيْنِ صَافِيَةً
مِنْ مُظْهِرِ السَّحَرِ مِنْ بَادِي رُوَيْتِهِ
رُوِيَّةً كُلَّمَا نَادَتْ بِمِعْجَزَةٍ
كَمْ أَبْهَرَ الْعَيْنَ حُسْنًا مِنْ سَنَا كَلِمٍ
وَكَيْفَ نَأْتِي لَهَا يَوْمًا بَثَانِيَةً

وَأِنَّمَا الْخَمْرُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهَا
مَا زَالَ ظَاهِرُهَا يَبْدُو كَخَافِيهَا
بِصُورَةِ الشَّعْرِ تَخْيِيلًا وَتَمْوِيهَا
مِنَ الْبَلَاغَةِ جَاءَتْهَا تَلْبِيهَا
بَدَا وَتَوْرِيَّةً فِيهَا تَوْرِيهَا
وَأَنْتَ يَا وَاحِدَ الْأَحَادِ مُنْشِيهَا

(٤٨)

مَتَى لَاحَ رَسْمِ الدَّارِ مِنْ طَلَلٍ قَفْرٍ
ذَكَرْتُ الْهَوَى يَوْمًا بِ (مُنْعَرَجِ اللَّوَى)
سَقَى اللَّهُ عَهْدًا فِي (النَّعِيمِ) وَ(حَاجِرِ)^(٣)
وَحَيًّا بِصَوْبِ الْمَزْنِ فِي الْحَيِّ مَنْزِلًا
وَأَيَّامَنَا اللَّاتِي قَضَتْ بِاجْتِمَاعِهَا
خَلِيلِي مَا بِي كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَإِنِّي لَمَطْوِي الضُّلُوعِ مِنَ الْجَوَى
كَأَنَّ التَّهَابَ الْبَرْقَ يُبْرِزُ لَوْعَتِي

فَلِي زَفْرَةٌ تَذَكُّو لِي عَبْرَةٌ تَجْرِي^(٢)
وَلَا بَدُّ لِمُشْتَقِ فِيهِ إِلَى الذِّكْرِ
وَجَادَ عَلَى أَرْجَائِهَا وَابِلُ الْقَطْرِ
لِي الْعَذْرُ فِيهِ مِنْ رَسِيسِ الْهَوَى الْعُذْرِي
عَلَى أَنَّهَا تَمْضِي^(*) وَلَمْ تَمْضِ مِنْ فِكْرِي
تَصَبَّبَ مِنْ عَيْنِي مَا لَيْسَ بِالنُّزْرِ^(٤)
عَلَى لَاعِجِ بَرْحٍ أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ
وَيُبْرِزُ لِلْأَبْصَارِ مَا كَانَ فِي صَدْرِي

(١) رفعت بك بن أحمد آغا (ينجري آغاسي) رئيس الإنكشارية ببغداد، ولد في بغداد سنة ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م. ونشأ بها وتعلم. وكان رجلاً فاضلاً بديع التحرير بالعربية. لين الجانب محباً للخير، يسعى في مصالح الناس، وكان حسن العقيدة. وهو والد شوكت باشا، وجد سامي وصائب وناجي أولاد شوكت. توفي ببغداد يوم الإثنين ١٦ ذي الحجة سنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م ودفن في صحن جامع الشيخ عمر السهروردي ببغداد. انظر البغداديون ١٣١ والدر المنتشر ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) هذه القصيدة غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (البيات).

(٣) النعيم: موضع في طريق المدينة المنورة، بين رابغ والجحفة (ينبع) أقطعته رسول الله أوفى بن موالدة العنبري. وشرط عليه إطعام ابن السبيل والمنقطع، وكتب له بذلك كتاباً. انظر معجم البلدان ٤/ ٢١٤. وحاجر: تقدم شرحها.

(٤) في الأصول: تصبب من عيني - كذا - من وهم النساخ.

(*) في الطبعة (١): (قضي) وصوابها من الطراز الأنفس.

ولم أدر ما هاج الحمام بنوحه
كأني به يشكو الفراق على النوى
أحببنا هل تذكرن ليالياً
تطوف علينا الكأس من كف أعيد
تحدثنا عن نار (كسرى) لعهد
فحياً بها أحوى من الغيد أبلج
وقلت لساقبها رويدك (***) بالحشا
بريك هل أبصرت منذ شربتها
وندمان صدق تشهد الراح أنهم
هنالك أعطينا الخلاعة حقاها
إلى أن بدا للصبح خفق بنوده
وغارت نجوم الليل من حسن معشر
بلوت الليالي عسرة بعد يسرة
فما أبلت الأيام جدة عزمتي
إذا لم تكن لي في النوائب صاحباً
وليس تفي مثل الصوارم والقنا
إذا أنا ألفت (***) الهوان بمنزل
وما العز في الدنيا سوى ظهر سابح
سواء لديه الوعر والسهل إن جرى
تعود جوب البيد فاعتاد قطعها

فهيح أشجان الفؤاد ولا يدري
ولا غاب عن ألف (*) ولا طار عن وكّر
لنا في الحمى كانت تعد من العمر
كما ذر (***) قرن الشمس في راحة البدر
قديمة عهد بالمعاصير بالعصر
مذاباً من الياقوت تبسم عن در
فقد زدني بالراح سكرًا على سكر
ألد لطيب العيش من قدح الخمر
إذا سكرنا أحلى من السكر المصري
وقمنا إلى اللذات نعتز بالسكر (١)
وطار غراب الليل عن بيضة الفجر
خلاتقهم أبهى من الأنجم الزهر
وكم نقت من حلو المذاق ومن مر
ولا أخذت تلك الحوادث من صبري
فما أنت من خير ولا أنت من شر
إذا عبت أيدي المودات بالعدر
تركت احتمال الضيم فيه إلى غيري
يقرب ما ينأى من المهمة القفر (٢)
ولف الربا بالسهل والسهل بالوعر
فأنجد في نجد وأغور في غور

(١) تكررت القافية.

(٢) أخذه من قول المتنبي: أعز مكان في الدنا سرج سابع

شرح الديوان ١/ ١٩٣.

(*) في الطبعة (١): (أنف) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (ذكر) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (وريدك) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (أنفيت) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عَتِيقٌ مِنَ الْخَيْلِ الْجِيَادِ كَأَنَّهُ
وَنَاصِيَةٌ^(*) مِيْمُونَةٌ مِنْهُ أَعْلَنْتُ
وَإِنَّ جِيَادَ الْخَيْلِ عِنْدِي هُوَ الْغَنَى
وَأَشْهَبَ يَكْسُوهُ الصَّبَاحُ رِداءَهُ
أَبَى أَنْ يَشْقُ الْلَا حَقُونَ غُبَارَهُ
إِذَا مَا أَمْتَطَاهُ (رَفَعْتُ) وَجَرَى بِهِ
أَعَدَّ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ عُدَّةً
فَتَى الْمَجْدِ مِنْ أَهْلِ الصَّدَارَةِ فِي الْعُلَا
تُنَاطِرُ جَدَوَاهُ السَّحَابِ بِالنُّدَى
إِذَا جَبَّتْهُ مُسْتَرْفِداً مِنْهُ رَفْدَهُ
وَحَسْبُكَ مِنْ أَيْدٍ تَدْفُقُ جُودَهَا^(***)
كَمَا سَقَتْ الْمِزْنَ الرِّيَاضَ عَشِيَّةً
بِيَاضٍ يَدِ تَنْدَى وَمُخْضَرٌ مَرْبَعٌ
وَمَا زَالَ مَوْصُولَ الصَّلَاتِ وَدَأْبَهُ
مَكَارِمُهُ لَا تَتْرُكُ الْمَالَ وَأَفْرَأً
وَمَا ادَّخَرَتْ لِلدَّهْرِ مَالاً يَدُ امْرِئٍ
كَمَا لَمْ يَزَلْ يُرْجَى لِكُلِّ مُلِمَّةٍ
وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ الْفَتَى وَحَيَاتِهِ
لَهُ الْمَنْطِقُ الْعَدْبُ الَّذِي رَاقَ لَفْظُهُ
فَلَا يَنْطِقُ الْعَوْرَاءُ سُخْطاً وَلَا رِضاً

لَشَدَّتْهُ صَخْرٌ وَمَا قُدَّ مِنْ صَخْرٍ
بِأَنَّ لَهَا فِيهِ مُقَدِّمَةَ النَّصْرِ
وَلَيْسَ الْغَنَى بِالْمَالِ وَالْبَيْضِ وَالصُّفْرِ
كَمَا أَشْرَقَ الْإِسْلَامُ فِي مِلَّةِ الْكُفْرِ
فَكَالْبَرْقِ إِذْ يَهْفُو وَكَالرَّيحِ إِذْ تَسْرِي
رَأَتْ أَعْيُنِي بَحْرًا يَنْوَفُ عَلَى بَحْرٍ
وَأَرْصَدَهُ فِيهَا إِلَى الْكُرِّ وَالْفَرِّ
وَلَيْسَ مَحَلُّ الْقَلْبِ إِلَّا مِنَ الصَّدْرِ
وَأَتَى لَهَا^(**) جَدْوَى أَنَامِلِهِ الْعَشْرِ
فَنَلَّ مِنْهُ مَا تَهْوَى مِنَ النَّائِلِ الْغَمْرِ
وَنَاهِيكَ مِنْ وَجْهِ تَهَلَّلَ بِالْبِشْرِ
فَأَصْبَحَ زَهْرُ الرُّوضِ مُبْتَسِمَ النَّعْرِ
تَرَوَّقُ بَرَعْدُ الْعَيْشِ فِي الْخَطِّ الْعَبْرِ
مَنْ السِّبْرِ أَنْ يُسَدِّيهِ بَرًّا إِلَى بَرٍّ
وَهَلْ تَرَكْتُ تِلْكَ الْمَكَارِمَ مِنْ وَفْرِ
يَعُدُّ التَّنَاءُ الْمَحْضَ مِنْ أَنْفَسِ الدُّخْرِ
وَيَعْرِفُ فِيهِ الْأَمْنَ فِي مَوْطِنِ^(****) الدُّعْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّفْعِ يُرْجَى وَلِلْضُرِّ^(١)
رَمَى كُلَّ مَنْطِقٍ مِنَ النَّاسِ بِالْحَصْرِ
قَرِيبٌ مِنَ الْحُسْنَى بَعِيدٌ مِنَ الْهَجْرِ

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعِ فَضُرُّ فَإِنَّمَا

الدِّيَوَانَ ص ١٧٠ وَيُنَسَبُ إِلَى عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

(*) فِي الطَّبَعَةِ (١): (وَنَاصِيَتُهُ) خَطَأٌ طَبَاعِيٌّ وَالصَّوَابُ مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

(**) فِي الطَّبَعَةِ (١): (لَهُ) وَصَوَابُهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

(***) فِي الطَّبَعَةِ (١): (جَوْرُهَا) وَصَوَابُهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

(****) فِي الطَّبَعَةِ (١): (مَوَاطِنُ) خَطَأٌ طَبَاعِيٌّ.

(*****) فِي الطَّبَعَةِ (١): (وَيَنْفَعُ) وَهُوَ خَطَأٌ طَبَاعِيٌّ.

سواءً إذا أُثْرِيَ وأملقَ جُودَهُ
صَبُورٌ على الأيام كيف تقلبت
وقد أخلصته الحادثات بسببها
إذا ما حمدنا في الرجال (ابن أحمد)
يُعْطَرُ أَرْجَاءَ القَوَافِي ثَنَاؤُهُ
نَشَرْنَا له الصُّحُفَ التي كان طيُّها
ولي في أبيه قبلة - وهو أهلها -
فيا أيها المولى الذي عمَّ فضله
خَدَمْتُكَ في حُرِّ الكلام مدائحاً
وقد راق شعري في ثنائك كله
فخذها من الداعي قصيدة (أخرس)
تريني لدى عليك ما قد يسرني

جوادٌ على الحالين في العسر واليسر
جليدٌ شديد البأس فيها على الدهر
فكان بذاك السبب من خالص التبر
فعن خالص في الود بالسر والجهر
وربَّ ثناء كان أذكى من العطر
على طيب ذات فيه طيبة النشر
محاسن أوصاف تضيق عن الحصر
لك الفضل فاسمع إن تكن سامعاً شعري
فقال لسان الحال يا لك من حر
ألا إن بعض الشعر ضرب من السحر
عليك مدى الأيام تنطق بالشكر
وترفع قدري فيك يا (رفعت) القدر

(٤٩)

وقال يمدح الشيخ سليمان الزهير^(١) ويهنيه بالظفر على من غزا قسبة الزبير

(١) هو الشيخ سليمان بن عبدالرازق بن يوسف آل الزهير شيخ النجادة في قسبة الزبير . وقد عزل الشيخ سليمان عن مشيخة الزبير . ووليها من بعده الشيخ محمد بن ثاقب، وكان الشيخ سليمان ذا أموال طائلة وقد أودعها لدى بعض رجال اليهود في البصرة وهو ساسون بن دانيال، ولما اشتد النزاع بين الشيخ سليمان الزهير وبين محمد الثاقب أمير الزبير . ذهب الشيخ سليمان إلى اليهودي واختفى عنده، إلا أن اليهودي أضمر الغدر . فوشى به لدى محمد الثاقب، فأحضره محمد الثاقب، وطلب الزهير من الثاقب أن يفدي نفسه بالمال جميعه، على أن يسلمه في الكويت . فذهب الزهير إلى الكويت ومعه رجال محمد الثاقب، فالتجأ إلى الشيخ جابر أمير الكويت فأجاره وسلم من محمد الثاقب .

وكان الشيخ سليمان الزهير وكياً للشيخ ناصر باشا السعدون على أملاكه في البصرة، وحين عين تامر باشا محافظاً على البصرة سنة ١٢٩٢هـ = ١٨٧٤م عاد الشيخ سليمان إلى البصرة وكياً للوالي على أملاكه وشيخاً للزبير . إلا أن المنافسين والحاسدين أغروا صدر الوالي عليه فعزله عن الوكالة وحاسبه . ففسد الزهير طلب الوالي وبقي بدمته مال كثير . اضطر معه إلى أن يرهن أملاكه ونخيله في دائرة الأملاك باسم ناصر باشا السعدون رسمياً . ثم عزله ناصر باشا عن مشيخة الزبير وعين الشيخ عبداللطيف بن محمد بن عون بدلاً منه، ثم بارح الشيخ سليمان البصرة متجهاً إلى الهند، ومنه إلى مكة المكرمة فأدى فريضة الحج وعاد إلى البصرة مريضاً . فتوفي فيها سنة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٥م ودفن في مقبرة الزبير . انظر عنوان المجلد ١٦٥ والتحقفة

لِللَّهِ دَرُّ (أبي داود) من رجلٍ
لورام قَلَعَ الجبالَ الشَّمَّ ما تركتُ
لَهُ مِنَ اللَّهِ فِي سَلَمٍ وَمُعْتَرِكٍ
شَيْخٍ حَمَاهَا بِفَتِيانٍ إِذَا زَارُوا
حَفَّتْ بِهِ مِنْ بَنِي نَجْدٍ أُعْيِلِمَةٌ
إِذَا دَعَاهُمْ (أبو داود) يَوْمَئِذٍ
الْمُدْرِكُونَ بِعَوْنِ اللَّهِ مَا طَلَبُوا
كَمْ فَتَكَةٌ لـ(سليمان) بِهِمْ فَتَكَتْ
لِقَدْ قَضَى اللَّهُ بِالنُّصْرِ الْعَزِيزِ لَهُ
وَاللَّهُ أَعْطَاهُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
جَاءَ الصَّرِيخُ إِلَيْهِ يَسْتَجِيرُ بِهِ
فَجَهَرَ الْجَيْشُ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
سَرَى إِلَى الْقَوْمِ فِي لَيْلٍ يَضِلُّ بِهِ (١)
بِحَيْثُ لَا يَهْتَدِي الْهَادِي بِهَا سَبِيلًا
فَوَارِسٌ بَلَغَتْ (نجد) بِهِمْ شَرْفًا
فَأَدْرَكَتْ مِنْ عِدَاكُمْ كُلَّ مَا طَلَبْتِ
وَصَبَّحَتْهُمْ بِبَيْضِ الْهِنْدِ عَادِيَةٌ
قَاتِلٌ وَأَسْرٌ وَإِطْلَاقٌ يُمَنُّ بِهِ
فَكَانَ عِيدٌ مِنَ الْأَعْيَادِ سُرٌّ بِهِ
إِذْ يُحْشِرُ النَّاسُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ ضَحَى (٢)
هَذَا هُوَ الْفَخْرُ لَا كَأْسُ تُدَارُ عَلَى
فَلْيَهْنِكِ الظَّفَرُ الْعَالِي الَّذِي انْقَلَبَتْ
وَقَرَّ عَيْنًا فَدَتَكَ النَّاسُ فِي وَلَدٍ
فَارْخَوْهُ وَقَالُوا يَوْمَ مَوْلِدِهِ

يَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ مِنْ مُسْتَعَصِمِ الْقُلِّ
عِزَائِمٌ فِيهِ يَوْمَ الرُّوعِ مِنْ جَبَلٍ
بِأَسِّ الْحَدِيدِ وَجُودُ الْعَارِضِ الْهَطَلِ
تَخَوَّفَتْهُمْ أَسْوَدُ الْغَيْلِ بِالْغَيْلِ
أَعَدَّهُمْ لِنُزُولِ الْحَادِثِ الْجَلَلِ
جَاؤُوا إِلَيْهِ بِلَا مَهْلٍ عَلَى عَجَلٍ
وَالْفَائِزُونَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ
وَمَا تَقُولُ بِفَتِكَ الْفَارِسِ الْبَطَلِ
فِي مَا قَضَاهُ مِنَ التَّقْدِيرِ فِي الْأَزْلِ
الْصِدْقَ بِالْقَوْلِ وَالْإِخْلَاصَ بِالْعَمَلِ
مُسْتَنْجِدًا مِنْهُ بِالْخَطِيئَةِ الذُّبْلِ (*)
وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ ذُو وَمَضٍ وَذُو رَجَلٍ
سَرِبُ الْقَطَا وَجَبَانُ الْقَوْمِ فِي الْكَلِّ
يَهْدِيهِمُ الرَّأْيُ مِنْهَا أَوْضَحَ السَّبِيلِ
يَسْمُو فِي غَيْرِ طَعْنِ الرَّمْحِ لَمْ يُنَلِّ
فَصَارَ يُضْرَبُ فِيهَا الْيَوْمَ بِالْمَثَلِ
فَأَصْبَحَتْ وَهِيَ حُمْرُ الْحَلِّ وَالْحُلِّ
عَلَى الْعَدُوِّ وَإِرْسَالٌ بِلَا رُسُلٍ
أَهْلُ الْحَفِيظَةِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلٍ
وَالْخَيْلُ قَدْ أَقْبَلَتْ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلُ
شَرِبَ وَلَا نَعْمَ الْأَوْتَارِ بِالْغَزَلِ
بِهِ أَعَادِيكَ بَعْدَ الْخِزْيِ بِالْفَشَلِ
يُحْيِي الْمَنَاقِبَ مِنْ آبَائِكَ الْأَوَّلِ
(يُقَرُّ عَيْنَ سَلِيمَانَ الزَّهَيْرِ عَلَيَّ) (٣)

(١) في الأصول: يظل به وما أثبتنا أولى.

(٢) أخذه من قوله تعالى: «قال موعدهم يوم الزينة وإن يحشر الناس ضحى» سورة طه الآية/ ٥٩.

(٣) لم يذكر رقم التاريخ في المطبوع.

(*) في الطبعة (١) (الذيل) وهو خطأ طباعي.

وقال يمدح أسعد مخلص أفندي^(١) دفترى بغداد [وهي من مجزوء الكامل]:

وَحَشًّا تَوَقَّدُ مِنْكَ وَقَدَا	قَلْبٌ يَذُوبُ عَلَيْكَ وَجَدَا
لُ بِهَذِهِ الْعَبْرَاتِ تَنْدَى	وَجُفُونٌ صَبَّ لَا تَزَا
عِ تَمُدُّ سَيْلَ الدَّمْعِ مَدَا	مِنْ زَقْفَرَةٍ تَحْتَ الضُّلَا
بِ وَمُقَلَّةَ الرَّشَاءِ الْمُفْدَى	يَا قَامَةَ الْغَصْنِ الرُّطِيدِ
قَدِ جَاوَزَتْ فِي الْقَتْلِ حَدَا	وَسِيُوفُ لِحْظِكَ إِنِّهَا
لُ أَعْدُهَا لِلْهَجْرِ عَدَا	سَاعَاتٍ بَيِّنِكَ لَا أَزَا
لُ وَتُنْجِزُ الْأَمَالَ وَعَدَا	وَأَقُولُ هَلْ يَدْنُو الْوَصَا
كَ وَلَا لِهَذَا الشَّقِيقِ مَعْدَى	مَا لِي مَرَّاحٌ مِنْ هَوَا
فَسَدَدَتْ عَنْهُ السَّمْعَ سَدَا	كَمْ عَادِلٌ قَدِ لَامَنِي
كَ وَقَلْتُ لِلْأَوَامِ بُعْدَا	وَعَصَيْتُ عُدَّالِي عَلِي

(١) هو أسعد مخلص أفندي، كان دفترى ولاية بغداد لدى السردار عمر باشا كانت له صلوات وثيقة مع أدباء بغداد وعلمائها. وقد كتب إبراهيم فصيح الحيدري رسالة ملمعة بالعربية والتركية على لسان أسعد مخلص أفندي وبعث بها، إلى الأديب أحمد عزة الفاروقي. كما مدحه الشاعر أحمد عزة الفاروقي بقوله من قصيدة:

مثلما ارتاح لذكرى أسعد	من غدا مثواه مثوى للنجاح
مخلص العافين مما تختشي	بل مثير المجد في هذي النواحي
مازج الأكباد ذكرى حبه	كامتزاج الراح بالماء القراح

وكذلك مدحه الشاعر عبدالباقي العمري بعدة قصائد قال في بعضها:

يا من بخدمة هذا الملك قد ظهرت	أثاره فحكّت ناراً على علم
سواك يستخدم الأقلام جارية	على قراطيسها مسودة اللمم
وأنت صابت مساعيك الحسان بها	لا زلت تستخدم الإقليم بالقلم

ثم ساءت العلاقة بين أسعد مخلص والشاعر عبدالباقي العمري فشكاه العمري إلى والي بيتين من الشعر أثار حفيظة والي عمر باشا السردار فعزله سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م ثم أعاده والي الجديد مصطفى نوري باشا بن حسن آغا إلى وظيفته، فأساء التصرف وجاوز حدود الوظيفة وتدخل بالإدارة، فنقل إلى وظيفة رئيس مجلس الرسومات في الأستانة وكانت وفاته هناك. انظر الترياق الفاروقي ٤٢٦ - ٤٢٧ و ٤٣٠ ديوان أحمد عزة باشا الفاروقي ١٠ - ١١ مخطوط. صور مظلمة من تاريخ العراق (جعفر خياط) ٣٢٧ و ٣٤٧ وفهرس مخطوطات الأوقاف ٦١ / ٣.

إِنِّي لِأُرْعَى عَاهِدَهُمْ
 يَا وَيْحَ نَفْسِي قَدْ حَفِظْتُ
 وَلِقَدْ شَرَّيْتُ هَوَاهُمْ
 وَفَقَدْتُ صَبْرِي بَعْدَهُمْ
 وَأَنَا الْفَفْدَاءُ لِمَالِكٍ
 كَالْغُصْنِ قَدْأً وَالْبَنْفُ
 يَا ظَبْيِي كَمْ صَارَعْتُ عُيُورًا
 وَرَمْتُمْ فَلَمْ تُخْطِ الْفَفُورًا
 وَسَقَامُ هَاتِيكَ الْجُفُورِ
 وَلِقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْهُمُورِ
 وَاللَّيْلِ يَفْدَحُ شُهُوبَهُ
 فَخَضْتُ دَمُوعِي وَاجْبَابًا
 أَحْيَيْتُهُ بِكَ حَسْرَةً
 هَزَلْتُ اصْطَبَارِي فِي جَفَا
 وَأَلَانِي الدَّهْرُ الْمَشُورِ
 لَوْلَاكَ كُنْتُ عَلَى الزُّمَارِ
 أُمْعَدِّي مِنْ غَيْرِ زَنْدِ
 أَنْتَ الَّذِي أَعْوَيْتَنِي
 وَهَوَاكَ أَضْنَانِي فَكُنْ
 أَطْلَقْتُ دَمْعِي بَعْدَمَا
 وَصَحَبْتُ وَجْدِي فِي هَوَا
 تَالِلَهُ لَا أَجِدُ الْمُدَا
 مُدْقَوْضَتْ عَنِّي الطُّعُورِ
 فَهَنَّاكَ أَظْفَرُ بِالْمُنَى
 حُلُوفُ الْفَكَاهَةِ لَوْتَدَا

لَمْ يَرْعَ لِي فِي الْحُبِّ عَاهِدَا
 تٌ وَضَمَّيْعَ الْأَحْبَابِ وَدَا
 بِالرُّوحِ قَبْلَ الْيَوْمِ نَقْدَا
 لَا ذَاقَ مَنْ أَهْوَاهُ فَفَقْدَا
 لَمْ يَرْضَنِي فِي الْحُبِّ عَبْدَا
 سَجَّ عَارِضًا وَالْوَرْدَ خَدَا
 نَكَ قَبْلَنَا فِي الدَّهْرِ أَسْدَا
 دَ بِسَهْمِ ذَاكَ الْأَحْظَ عَمْدَا
 نَ لِقَدْ عَدَانِي بَلْ تَعَدَّى
 مٌ تَمْرُجِي عَكْسًا وَطَرْدَا (١)
 فِي فَحْمَةِ الظُّمَاءِ زَنْدَا
 فِي مِثْلِ ذِكْرِكَ أَنْ يُؤَدَّى
 وَقَضَيْتُهُ أَرْقَاءً وَسَهْدَا
 كَ وَعَادَ هَزْلُ الْوَجْدِ جَدَا
 مٌ وَهَدَّنِي بِالْبَيْنِ هَدَا
 نِ كَمَا يُرِيدُ الْحَزْمُ صَانِدَا
 بِبِ صَبُورَةٍ وَجَوَى وَصَدَا
 حَتَّى رَأَيْتُ السَّعْيَ رَشْدَا
 تٌ مِنَ الضَّنَى عَظْمًا وَجَلْدَا
 قَيَّدْتَنِي بِالْوَجْدِ قَيْدَا
 كَ فَكَانَ لِي خَصْمًا أَلْدَا
 مَ لَذِيذَةَ وَالْعَيْشَ رَغْدَا
 نٌ وَأَرْمَعْتُ لِلْبَيْنِ سَعْدَا
 وَأَفُوزُ فِي جَدْوَاهُ فَصَدَا
 قٌ (٢) وَجَدَّتْهَا خَمْرًا وَشَهْدَا

(١) فِي الْأَصُولِ: تَمْر لِي. وَهِيَ مِنْ وَهْمِ النَّسَاخِ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: ... لَا تَذَاقُ. وَهِيَ مِنْ وَهْمِ النَّسَاخِ.

وَأَرْوْحُ أَرْجُرُ طَائِرًا
 مَا فِي الرَّجَالِ نَظِيرُهُ
 لَا زَالَ يُكْتَبِتُ حَاسِدًا
 فَجَوَابُهُ وَتَوَابُهُ
 وَمَنْ نَاقِبُ مَائِثُورَةٌ
 نَعِمَ (العِراقُ) بِمَا جَدِ
 بِأَجَلٍ مَنْ وَلِيَ الْأُمُورَ
 بَأَلَّغَتْ بِهِ غَايَاتِهَا
 حَمَلَتْ يَدَاهُ كَالْغَمَا
 فَاسْتَتَهَّدَهُ فِي كُلِّ خَيْدٍ
 وَبِذَلِكَ الْخُلُقِ الْحَمِيدِ
 الْجَامِعِ الْفَضْلِ الَّذِي
 غَمَرَ الْعُفْوَاعَ بِنَائِلِ
 مِنْ رَاحٍ يُسْـقِي مَنْ نَادَا
 وَإِذَا تَصَدَّى لِلْجَمِيدِ
 يَا مَنْ يُحِيلُ سَمُومَهَا
 كَمْ بَشَّرَ اسْتَبْشَارُهُ
 خُذْهَا وَلَا الْإِبِلَ الشُّوَا
 وَقَوَافِيًّا سَيَّرْتُهَا
 فَاهْنَأْ بِعَيْدِ لَا يَزَا
 لَا يَحْرِمَنِي مِنْكَ حَظٌّ
 وَلَقَدْ أَسَاءَ بِمَا جَنَى
 أَنْتَى وَكَوَيْفَ وَهَلْ أَرَى
 مِنْ كَمَا نَ حُرُّ زَمَانِهِ

فِي أَسْعَدِ الْأَمْرَاءِ سَعْدَا
 فِيهِمْ لِهَذَا الْقَرْمِ نِدَا
 فِي مَجْدِهِ وَيَغِيظُ ضِدَا
 قَدْ أَعْجَبَا أَخْذًا وَرِدَا
 نُظِمْتُ بِجِيدِ الدَّهْرِ عَقْدَا
 قَدْ زَادَهُ عِزًّا وَمَجْدَا
 رَ وَجَاهَهَا حَلًّا وَعَقْدَا
 عَلِيَا وَلَمْ يَبْلُغْ أَشَدَّا
 مَةَ لِنَدَى بَرْقًا وَرَعْدَا
 رَ إِنَّهُ فِي الْخَيْرِ أَهْدَى
 سِدِ وَسِعَتْهُ شُكْرًا وَحَمْدَا
 أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِيهِ فَرْدَا
 مِنْهُ إِلَى الْعَافِينَ يُسَدَى
 هُ فَلَ أَظُنُّ الدَّهْرَ يَصْدَى
 لَ فَنُتِقُ بِهِ فِي مَا تَصْدَى
 إِنْ شَاءَ بَعْدَ الْحَرِّ بَرْدَا
 بِالرَّفْدِ قَبْلَ النَّيْلِ رِفْدَا
 رَدَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ تُحْدَى
 فَمَضَتْ تَقْدُ السَّيْرِ قَدَا
 لُ كَمَا تَوَمَّلُ مُسْتَجِدَا
 بِالْأَبْوَةِ قَدْ تَرْدَى
 حَتَّى امْتَلَيْتُ عَلَيْهِ حِقْدَا
 فِي شِرْعَةِ الْإِنْصَافِ وَرِدَا
 كَانَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ وَعَدَا

وقال مادحاً المشير محمد نجيب باشا^(١) ومؤرخاً واقعة كربلاء [وهي من الطويل]:

(١) المشير الحاج محمد نجيب باشا من أهل استانبول من أسرة كبيرة معروفة هناك، تخرج من دائرة الأقاليم وتولى الدفترية وترقى في المناصب، حتى عين والياً على الشام برتبة وزير، ونقل إلى بغداد بعد علي رضا اللاط سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م. وكان ذا عدالة ومثانة وشخصية قوية وشجاعة نادرة وكان قادري الطريقة. وفي أيامه تم تثبيت الحدود بين العراق وإيران، وكان شديد الكره للأجانب وبخاصة الأفرنج وقد زار النجف سنة ١٢٥٨هـ ونزل على الشيخ حسن آل كاشف الغطاء. وهو الذي حبس زعيم البهائية محمد بن شبل العجمي ببغداد كما حبس (قرة العين) (*) في بيت المفتي (***) أبي الثناء الألويسي.

ونجيب باشا أنشأ حديقة عامة في باب المعظم سماها (النجيبية) وأقيم فيها بعد ذلك مستشفى المجيدية (مستشفى الجمهورية) بعد ذلك. كما أنشأ سدة الصقلاوية عند الفلوجة على الفرات، وأجرى تعديرات في كربلاء، وأوصل إليها المياه، وأنشأ فيها حوضاً سنة ١٢٦١هـ.

وفي أيامه عاد الأمن إلى كربلاء بعد الفوضى والاضطراب وذلك أن بعض الأشرار كانوا يفرون من السلطة ويلتجئو إلى كربلاء منذ أيام داود باشا، وكان في كربلاء السيد إبراهيم الزعفراني وأصله عجمي من إيران قد تزعم هؤلاء الأشرار والسفهاء وأطاعه بعض الأزدال والغرباء حتى صاروا قوة عظيمة مؤثرة وأعلنوا العصيان وأخذوا أموال الناس حتى أنهم اختطفوا أحد مجتهدي كربلاء وهو (السيد إبراهيم القزويني) ولم يطلقوا سراحه حتى أدى لهم أربعة آلاف قران في سكة محمد شاه.. وقد حاصرهم مرة الوالي علي رضا اللاط، فأدوا له سبعين ألف قران فعفا عنهم. قال الدكتور محمد مهدي البصير: «إن سكان كربلاء كانوا يأبون الخضوع للدولة العثمانية وإن الولاة الذين سبقوا نجيب باشا كانوا يتحاشون الفتك بهم وإخضاعهم بالقوة، رعاية لمنزلة كربلاء الدينية، إلا أن نجيب باشا أبي أن يتبع هذه السياسة، فأرسل إلى أهل كربلاء يأمرهم بنزع السلاح وإلقاء أنفسهم في أحضان الدولة كرعايا مخلصين، ولكنهم رفضوا الإصغاء إلى أوامره، فأمهلهم شهراً كاملاً يدرسون فيه موقفهم ويقررون مصيرهم بأنفسهم، وأنذرهم سوء العاقبة، إذا هم أصروا على سياستهم السابقة، وانقضى الشهر المنوح لهم ولم يطرأ أي تبدل على موقفهم فعندها ضربهم المشير العثماني ضربة قاضية».

وعزل نجيب باشا عن بغداد سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م وتوفي في شهر رجب سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م. في استانبول ودفن في جامع الصحابي أبي أيوب الأنصاري، وإليه تنسب محلة نجيب باشا في الأعظمية وهي من أوقافه. انظر الترياق الفاروقي ٢٤٤ - ٢٤٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ج/ ٦٤ - ٦٥ وماضي النجف وحاضرها ٥٨ و٢٢٢ ونهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ١٢٥ - ١٢٦ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٤٠، وتاريخ بغداد (سليمان فائق) ١٦٥.

(*) اسمها رزين تاج الدين بنت الحاج صالح القزويني.. ولدت بقزوين في إيران سنة ١٢٣١ أو ٢٢٣ أو ١٢٣٥هـ. عرفت ب (قرة العين) جاءت إلى العراق ملتحفة بالشادور الإيراني، وبعد إقامتها مع زوجها طالب العلم بكربلاء، تبنت أفكار الشيخية ثم (البابية).

لَقَدْ خَفَقَتْ فِي النَّحْرِ أَلْوِيَّةُ النَّصْرِ
وَفَتَحَ عَظِيمٌ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
عَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ وَهِيَ عَلِيَّةٌ
تَبْلَجُ دِينَ اللَّهِ بَعْدَ تَقَطُّبِ
مَحَا الْبَغْيِ صَمِصَامُ (الوزير) كما محَا
وَكُرَّ الْبَلَاءُ فِي (كربلاء) فأصبحتُ
غَدَاةً أَبَادَتْ مَفْسِدِي أَهْلِ (كربلاء) (١)
فَدَانَتْ - وما دانت لمن كان قَبْلَهُ
وما أدركوا منها مراماً ولا مَنَى
وَحَذَّرَهُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ بَطْشُهُ
وَعَامَلَهُمْ هَذَا الْوَزِيرُ بَعْدَ لِه
وَأَنْذَرَهُمْ بَطْشاً شَدِيداً وَسَطْوَةً
وَلَوْ يَصْبِرُ الْقَرْمُ الْوَزِيرُ عَلَيْهِمْ
وَصَالَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ صَوْلَةً
وَسَارَ بِجَيْشٍ وَالْخَمِيسُ عَرْمَرَمٌ

وَكَانَ أَنْمَاقُ الشَّرِّ فِي ذَلِكَ النَّحْرِ
لَيْسَتْ صَغِيرُ الْأَخْطَارِ مِنْ نُوبِ الدَّهْرِ
بِحَدِّ الْعَوَالِي وَالْمَهْنَدَةِ الْبُتْرِ
وَلَا حَتُّ أَسَارِيرُ الْعِنَايَةِ وَالْبِشْرِ
دُجَى اللَّيْلِ فِي أَضْوَائِهِ مَطْلَعُ الْفَجْرِ
مَوَاقِفَ اللَّبْلُوى وَوَقْفاً عَلَى الضَّرِّ
وَكُرَّتْ مَوَاضِيهِ بِهَا أَيَّماً كَرُّ
مِنَ الْوُزَرَاءِ السَّابِقِينَ - إِلَى الْفَخْرِ
وَلَا ظَفِرُوا مِنْهَا بَلْبٌ وَلَا قِشْرُ
وَأَمْهَلَهُمْ شَهراً وَزَادَ عَلَى الشَّهْرِ
وَحَاشَاهُ مِنْ ظَلَمٍ وَحَاشَاهُ مِنْ جَوْرِ
وَبَالَغَ بِالرُّسْلِ الْكِرَامِ وَبِالْأَنْدُرِ
لِقِيلِ بِهِ عَجْزٌ وَمَا قِيلَ عَنْ صَبْرِ
وَلَا صَوْلَةَ الضَّرْغَامِ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
فَكَاللَّيْلِ إِذْ يَسْرِي وَكَالسَّيْلِ إِذْ يَجْرِي

= رافقت (الباب)، في الدراسة بـكربلاء وقيل إنها مهندسة أفكاره، استبدلت الشادور بعباءة تسمح بكشف الوجه والكفين وحرية أكثر في حركة الجسد، وخاطبت الرجال وجهاً لوجه، بعد أن كانت تتحدث إليهم من خلف ستارة. ضاقت بها مدينة الكاظمية آنذاك ويخطبها في مجالس الرجال، برغم طلاقة لسانها ورزاقته فكرها مما لم يترك مجالاً للفتنة بجمالها، فانتهت سجنينة في دار مفتي بغداد أبي الثناء الألويسي الذي ناظرها وقدر علمها، وتم تحيلها إلى إيران. وقتلت عام ١٨٥٢م.

(**) في الطبعة (١): وردت كلمة (المغني) أمام اسم أبي الثناء الألويسي مما يسبب اللبس وصوابها (في بيت المفتي أبي الثناء الألويسي).

(١) في الأصول:..... أبيدت مفسدي - كذا - من وهم النساخ.

وقد أفسدوا شرَّ الفساد بأرضهم^(١)
رَمَتْهُمْ بِشَهْبِ الموتِ مِنْهُ مَدَافِعُ
رَأَوْا هَوْلَ يَوْمِ الحِشْرِ فِي مَوْقِفِ الرِدَى
فَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيرَ (عَادٍ) لِبَغْيِهِمْ
أَلَمْ تَرَهُمْ صَرَعَى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ
وَكَمْ فِئْتَةً قَدْ خَامَرَ البَغْيُ قَلْبَهَا
فَرَاخَتْ بِهَا الأَجْسَادُ وَهِيَ طَرِيحَةٌ
فَإِنَّ مَرَادَ [اللَّهِ] (***) جَارٍ عَلَى الوَرَى
تَجُولُ المَنَايَا بَيْنَهُمْ بِجُنُودِهَا
تَلَاطَمَ فِيهَا المَوْجُ وَالمَوْجُ مِنْ دَمٍ
فَلَاذُوا بِقَبْرِ ابْنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَإِنَّ تُرِكُوا لَا يَتْرُكُ السَّيْفُ قَتْلَهُمْ
وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُهُ الغُرُغُرَةَ
وَلَا زَالَ فِي عِيدٍ جَدِيدٍ مَوْرُخًا

إِلَى أَنْ أَتَاهُمْ مِنْهُ بِالفَتْكَةِ البِكْرِ
لَهَا شَرُّ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ كَالْقَصْرِ^(٢)
وَهَلْ تُنْكَرُ الأَهْوَالُ فِي مَوْقِفِ الحِشْرِ؟
بِصَاعِقَةٍ لَمْ تُبْقِ لِلقَوْمِ مِنْ ذِكْرِ
تَسِيلُ كَمَا سَالَتْ مُعْتَقَّةُ الخَمْرِ
عَلَى أَنَّهَا [صِيدَتْ] (*) بِأَحْبُولَةِ الحِصْرِ
تُدَاسُ عَلَى ذَنْبِ جَنَّتَهُ لَدَى الوِزْرِ
وَلَا بَدَّ أَنْ يُجْرَى وَلَا بَدَّ أَنْ يَجْرِي
بِحَيْثُ مَجَالِ الحَرْبِ أَضِيقُ مِنْ شِبْرِ
تَلَاطَمَ مَوْجِ البَحْرِ فِي لُجَّةِ البَحْرِ
فَهَلْ سَرَّ فِي تَدْمِيرِهِمْ صَاحِبُ القَبْرِ^(٣)
وَإِنْ ظَهَرُوا بِأَوْوَا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ
تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فِي طَلْعَةِ الظُّهْرِ
فَقَدْ جَاءَ يَوْمَ العِيدِ بِالفَتْحِ وَالنَّصْرِ^(٤)

(١) فِي الأَصُولِ: وَقَدْ فَسَدُوا.

(٢) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (تَرْمَى بِبَشَرٍ كَالْقَصْرِ) سُورَةُ المَرْسَلَاتِ الآيَةُ ٣٢.

(٣) هَلْ: بِمَعْنَى قَدْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) سُورَةُ الإِنْسَانِ الآيَةُ ١.

(٤) إِنْ حَادِثَةُ كَرِبَلَاءَ وَقَعَتْ يَوْمَ ١٨ ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ ١٢٥٨ هـ وَمَجْمُوعُ التَّارِيخِ بِسَاوِي ١٢٥٩ هـ. فَلَعَلَّ الحَادِثَةَ دَامَتْ أَسْبُوعَيْنِ أَوْ أَنَّ الشَّاعِرَ تَأَخَّرَ فِي نِظْمِ القَصِيدَةِ حَتَّى دَخَلَ المَحْرَمَ مِنْ سَنَةِ ١٢٥٩ هـ.

(*) فِي الطَّبَعَةِ (١): عَجَزَ البَيْتَ مَكْسُورٍ بِسُقُوطِ كَلِمَةٍ بَعْدَ (أَنَّهَا) وَصَوِّبْتَ عَلَى الطَّرَازِ الأَنْفَسِ.

(**) فِي الطَّبَعَةِ (١): صَدَرَ البَيْتَ مَكْسُورٍ بِسُقُوطِ كَلِمَةٍ بَعْدَ (مَرَادٍ) وَقَدْ صَوِّبْتَ عَلَى الطَّرَازِ الأَنْفَسِ.

وقال مادحاً السيد محمد سعيد^(١) نقيب الأشراف في البصرة [وهي من

ويبلغ من دنوك ما يريد^(٢)
ويقتله التجنب والصدود
مضت والعيش يومئذ حميد
تحاك من الربيع لها برود
يكلل تاجها الدر النضيد
وقد طافت بها حسناً رود^(٣)
فأغصان النقا إذ ذاك ميد
فكم تبدي الغرام وكم تُعيد
فيطربنا لها ناي وعود
مذاب التبر والماء الجمود
بحيث الهم شيطان مريد
وما ضمت معانيها (زرود)^(٤)

متى يشفى بك الصب العميد
شج يحيه وصل من حبيب
وما أنسى لنا ساعات لهو
ونحن من المسرة في رياض
وبنت الكرم قد طلعت علينا
معتقة تُسر النفس فيها
وقد صدحت على الأغصان ورق
تعيد علي ما تبدي غراماً
تجاوبها الغواني بالأغاني
فحينئذ يدار على الندامى
ويرجم كل شيطان مريد
سقى أيام لهو في (زرود)

(١) هو أبو رجب السيد محمد سعيد بن السيد طالب الرفاعي البصري. نشأ بالبصرة ودرس على علمائها اللغة والأدب والفقه، وكان رجلاً فاضلاً سخيّاً جواداً يقصده الشعراء ويسترفدون عطايه بمدحه. وكانت له خدمات كبيرة للدولة العثمانية وقد حصل على نياشين وأوسمة من السلاطين. وكان الولاة يستعينون به في حل مشاكلهم وبخاصة مع القبائل العربية لما له من المنزلة والاحترام في قلوبهم، وقد ساهم بحملة نافذ باشا التي وجهها مدحت باشا إلى الأحساء سنة ١٢٨٨هـ. كما ولي السيد محمد سعيد قضاء البصرة، وتوفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م. ودفن في حجرة خاصة قرب الحسن البصري في مقبرة الزبير. وهو جد السيد طالب النقيب وزير الداخلية الأسبق انظر تنوير الأبصار ١٣٥ وعنوان المجد ١١٤.

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (أورفة) كما غناها الأستاذ يوسف عمر بمقام (أورفة) كذلك. وقد خمس هذه القصيدة السيد راضي القزويني النجفي وقدمها إلى المدوح السيد محمد سعيد النقيب انظر شعراء العزي ٤/ ٣٣.

(٣) رود: أصلها رؤود - مهموز - وهي المرأة التي تطوف على جاراتها. انظر لسان العرب مادة (رود).

(٤) زرود: موضع الرمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. معجم البلدان ٣/ ١٣٩.

(*) في الطبعة (١): (وهي من الطويل) والصواب أن القصيدة من الوافر.

نُجَدِّدُ نِزْرَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
فَقَدْ مَرَّتْ لَنَا فِيهَا لَيَالٍ
لَيَالٍ لَمْ نَكُنْ نَصْغِي لِإِلَاحٍ
فَكَمْ فِي الْحُبِّ مِنْ لَاحٍ لَصَبِّ
أَحْبَبْنَا لَقَدْ طَالَ التَّنَائِي
فِيَا زَمَنَ الصَّبَا هَلْ مِنْ رَجْوَعٍ
سَلَامَ اللَّهِ أَحْبَابِي عَلَيْكُمْ
يُهَيِّجُ لَوْعَتِي وَجَدُّ طَرِيفُ
فَهَلْ أُخْبِرْتُمْ أَنِّي بِحَالٍ
تَقْرُ (البَصْرَةَ الْفِيحَاءُ) عَيْنِي
فَتَى لَا زَالَ يُؤَلِّينِي نَدَاهُ
تَدْفُقُ مِنْهَا عَذْبًا فُرَاتًا
وَلَوْلَا بَرُّهُ [مَا] (*) طَبِتَ نَفْسًا
أَشَاهِدُ مِنْهُ إِذْ يَبْدُو هَلَالًا
وَعَيْثَا كَلَّمَا يَنْهَلُ جَوْ
فَدَتْهُ النَّاسُ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ
وَشَيْدَ مَا بَنَتْهُ مِنَ الْمَعَالِي
فَتَى مِنْ (هَاشِمٍ) بَيْضِ الْأَيْدِي
رَوْفٌ بِالْمُمْلَمِ لَهُ رَحِيمٌ
وَمَنْ أَوَى إِلَيْهِ وَحَلَّ مِنْهُ
فَقَدْ أَوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (١)
هُمْ أَلُ النَّبِيِّ وَكُلُّ فَضْلٍ
هُمْ يَوْمَ النَّوَالِ بِحَارِ جُودٍ
فَمَنْ جُودٍ تَصُوبُ بِهِ الْغَوَادِي

وَهَلْ يَبْقَى مَعَ الذِّكْرِ الْجَدِيدِ
كَمَا نُظِمَتْ قَلَائِدُهَا الْعُقُودِ
أَيُنْقِصُ بِالْمَلَامَةِ أَمْ يَزِيدُ
يَفِيدُ بَزَعَمِهِ مَا لَا يَفِيدُ
وَحَالَتْ بَيْنَنَا بِيَدُ فَبِيدِ
وَيَا عَهْدَ الشَّبَابِ مَتَى تَعُودُ؟
إِلَى (بَغْدَادَ) يَحْمِلُهُ الْبَرِيدِ
لَكُمْ وَيُشَوِّقُنِي وَجَدُّ تَلِيدِ
يُسَاءُ بِهَا مِنَ النَّاسِ الْحَسُودِ
بِمَا يُولِي (مُحَمَّدُهَا السَّعِيدِ)
وَيَغْمِرُنِي لَهُ كَرَمٌ وَجُودُ
فَلِي مِنْ عَذْبٍ مَنْهَلِهِ وَرُودُ
وَلَمْ يَخْضِرْ لِي فِي الدَّهْرِ عُودُ
وَبَدْرًا مِنْ مَطَالِعِهِ السُّعُودِ
وَلَيْثًا كَلَّمَا خَفَقَتْ بَنُودُ
تَنْبَهُ لِلْجَمِيلِ وَهُمْ رُقُودُ
لَهُ الْأَبَاءُ قَدِمَاءُ وَالْجُدُودُ
بِحَيْثُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ سُودُ
صَدِيقٌ صَادِقٌ بَرٌّ وَدُودُ
بِأَكْرَمِ مَا تَحُلُّ بِهِ الْوُفُودُ
وَلَيْسَ كَمَثَلِهِ رُكْنٌ شَدِيدِ
لَدَيْهِمْ يَسْتَفِيدُ الْمُسْتَفِيدِ
وَفِي يَوْمِ النَّزَالِ هُمْ الْأَسُودُ
وَمَنْ بِأَسٍ يَلِينُ لَهُ الْحَدِيدُ

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) سُورَةُ هُودِ الْآيَةِ / ٨٠.

(*) فِي الطَّبَعَةِ (١):، كَلِمَةٌ سَاقِطَةٌ مِنْ صَدْرِ الْبَيْتِ أَتَيْنَاهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

هَمُّ الْأَقْطَابِ وَالْأَنْجَابِ فِينَا
وَإِنْ عُرِضَتْ كِرَامَتُهُمْ عَلَيْنَا
وَمَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ (١)
فَمِنْهَا مَا نُشَاهِدُهُ عِيَاناً
وَلِلْأَكْفَاءِ يَوْمئِذٍ عَلَيهِمْ
رَجَالٌ كَالْجِبَالِ إِذَا اشْتَمَخَرَتْ
يُخَلِّدُ ذِكْرُهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ
فِيَا بَيْتَ الْقَصِيدِ إِلَيْكَ تُهْدَى
فَيُطْرَبُكَ النَّشِيدُ وَكُلُّ حُرٍّ
فَإِنَّكَ وَالْثَنَاءُ عَلَيكَ مِنِّي
لَقَدْ سُدَّتْ الْكِرَامَ وَلَا عَجِيبٌ
وَمَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْكَ بِكُلِّ حَالٍ
خَدَمْتُكَ بِالْقَرِيضِ فَطَالَ بَاعِي
وَنِلْتُ بِكَ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمَانِي

إِذَا دَارَتْ دَوَائِرُهَا الوجود
فَمَا لِلْمُنْكَرِينَ لَهَا جُود
وَقَدْ شَهِدْتُ بِهِ مِنْهُ شُهود
إِذَا مَا النَّارُ أَضْرَمَهَا الْوَقُود
هَبُوطٌ فِي الْحَضِيضِ وَلَا صُعود
تَبِيدُ الرَّاسِيَاتُ وَلَا تَبِيدُ
وَمَا لِلْمَرءِ فِي الدُّنْيَا خُلُود
مِنَ الْعَبْدِ الرَّقِيقِ لَكَ الْقَصِيدُ
كَرِيمِ الطَّبَعِ يَطْرَبُهُ النَّشِيدُ
وَمَا أَمْلَيْتَهُ طَوْقٌ وَجِيدُ
فَمَثَلُكَ فِي الْأَكَارِمِ مَنْ يَسُودُ
وَهَلْ يَغْنِي عَنِ الْمَاءِ الصُّعِيدِ؟
كَمَا خَدَمْتُ مَوَالِيهَا الْعَبِيدُ
فَنِلْتَ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ مَا تُرِيدُ

(٥٣)

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي: وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

شرح الديوان ٩٢/٣.

(٢) الفريق شعبان باشا شعيب العينتابي، كان أمير العساكر ببغداد، وكانت له معرفة وتذوق للأدب العربي، وكان له مجلس حافل يرتاده علماء بغداد وأدباؤها يتطارحون فيه الأشعار والأخبار، وكانت يتردد على المجالس البغدادية وكان يكثر من زيارة أبي الثناء الألوسي.

وقد عين شعبان باشا قائمقاماً في العمارة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م وهو الذي أجاز قاسم باشا الزهير من سطوة ناصر باشا السعدون محافظ البصرة وقد أوصله إلى بغداد. وعين شعبان باشا محافظاً على البصرة =

إلى (شعبان) مَولايَ المَفدَى
إلى من لم تزلْ أيديهِ فينا
يُعرِّجُ بي الغَرامُ وينثني بي
وقد سألَ الأميرُ الأَمسَ عني
ومن كرمِ السَّجايَا والمزايَا
وقالوا كيف لا تمضي إليه
فلم أكتشفْ لهم عن كُنْهِ أمري
وما تركي زيارتهُ بقَصدي
وما استغنيتُ لا وأبيك عنه
ولا من دونِ شِرعتهِ وُرودي
نَهاري عنده لَمَعانُ برقِ
فَظَاظئةُ حاجبِ وِردِي حَظِّ
وَجَدْتُ ببابه البَوَابُ يَعدو
وصار الكلبُ يَنبَحُني بسبِّ
(وأكرهه أنْ أكونَ له مُجيباً)^(١)
فهل أبصرتمُ كلباً يُحامي
لمن أشكو الحِجابَ ومَن نصيري

ربيعِ الفضلِ والروضِ النضيرِ
كأمثالِ القلائدِ في النُحورِ
لأسبابِ تمرُّ من الخُطورِ
وعن سببِ القُعودِ عن المَسيرِ
إذا سألَ الكبيرُ عن الصَّغيرِ
فترجعُ بالسُّرورِ وبالْحُبورِ
وأطلِعَهُم على ما في ضميري
ولا كان انقطاعي عن قصوري
غِنَى الطَّامي عن الماءِ النَّميرِ
ولا من غيرِ مَوردهِ صُدوري
وليلي بعده ليلُ الخُزيرِ
يَعُوقُ العبدَ عن بابِ الأميرِ
أشدَّ عليَّ من كلبِ عَقورِ
ويُكثِرُ بالنَّبيحِ وبالهِريرِ
وما أنا من مُجاوِبَةِ الشَّريرِ
مُحافِظَةٌ على الليثِ الهَصورِ
وأبدي الاعتذارَ ومَن عذيري

= سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ثم نقل أميراً للعساكر في بغداد وفي سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م تولى إطفاء الفتنة القائمة بين عشيرتي الزقرت والشمرت في النجف. وعزل حاكم النجف ونفي بعض رجال القبيلتين إلى الشام ثم عين قائمقاماً في الديوانية وتوفي فيها وقبره في ظاهر المدينة. انظر غرائب الاغتراب ٢١٤ والمسك الأذفر ١٠٥ - ١٠٦ والتحفة النبهاية ٩ / ٢٢٦ وشعراء الغري ٢ / ١٢٤. والوقائع الحقيقية لعلي الباركان ص ٢٠.

(١) تضمين لقول الشاعر:

إذا جاء اللئيم يسب عرضي
يزيد سفاهة فأزيد حِلماً
كعود زاده الإحراق طيباً
وأكرهه أن أكون له مجيباً

ولم يحصر بين قوسين في الأصول.

حُيِّيتَ مِنْ قَادِمٍ حَلَّ السُّرُورُ بِهِ
 إِنَّ الشَّدَائِدَ وَالْأَهْوَالَ قَدْ ذَهَبَتْ
 أَرْتَكَ صَدَقَ مَوَدَّاتِ الرِّجَالِ بِهَا
 وَلَمْ تَجِدْكَ (سَلِيمَانَ) لَدَيْكَ أَخَا^(٢)
 شَكَرًا لِأَفْعَالِهِ الْحُسْنَى فَإِنَّ لَهُ
 لَقَدْ وَفَى لَكَ وَاسْتَرْضَى (الْمُشِيرَ) فَمَا
 إِنَّ (الْمُشِيرَ) أَعَزَّ اللَّهُ دَوْلَتَهُ^(٣)
 كَأَنْنِي بِكَ مَغْمُورٌ بِنِعْمَتِهِ
 أَهْدَى إِلَيْكَ سَلَامًا مِنْ سَعَادَتِهِ

وَمَا لَهُ عَنْ مَقَامِ الْعِزِّ تَأْخِيرُ
 وَلِلْخَطُوبِ اسْتِحَالَاتٌ وَتَغْيِيرُ
 وَبِأَنَّ عِنْدَكَ صَدَقُ الْقَوْلِ وَالزُّورُ
 عَلَيْكَ مِنْهُ جَمِيلُ الصَّنْعِ مَقْصُورُ
 يَدًا عَلَيْكَ وَذَاكَ الْفِعْلُ مَشْكُورُ
 أَبْقَى قُصُورًا وَلَا فِي الْبِيعِ تَقْصِيرُ
 بَرٌّ رَحِيمٌ لَدَيْهِ الذَّنْبُ مَغْفُورُ
 وَأَنْتَ مَلْحُوظٌ عَيْنِ السَّعْدِ مَنْظُورُ
 لِلطُّفِ^(*) فِيهِ إِشَارَاتٌ وَتَفْسِيرُ

(١) الشيخ منصور باشا بن راشد بن تامر السعدون، ولي إمارة المنتفق بعد ابن عمه فارس بن عقيل، وهو أول أمير من آل راشد، ثم نقل إلى عضوية المجلس الكبير ببغداد سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م. وأعادته الوالي محمد رشيد باشا الكورليكي إلى مشيخة المنتفق مرة ثانية سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥١م وفي سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٤م عين الوالي قائمقاماً لسوق الشيوخ وهو حسين حافظ باشا أحد أمراء العسكر. وأبقى منصور باشا شيخاً على العشائر وفي سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٥م أعاده الوالي عمر باشا السردار شيخاً وحاكماً برتبة قائمقام، وبقي إلى سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٥٦م حيث انتقلت المشيخة إلى بندر بن ناصر السعدون. ثم استدعاه والي بغداد محمد نامق باشا الكبير واتفق معه إلى إلغاء المشيخة سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٢م وعينه قائمقاماً على المنتفق، وعين معه سليمان فائق بك إدارياً ومحاسباً.

وكان منصور باشا في خصام مع أخيه ناصر باشا، وعند عودة منصور من بغداد بوظيفة قائمقام وإلغاء المشيخة، عارضه ناصر باشا وأبقى المشيخة وتولاها وثار على السلطة، فاضطربت الأمور وهرب الموظفون من المنتفق، فأمر الوالي بعزل منصور باشا، وتعيين فهد بك السعدون بدلاً منه. وتوفي الشيخ منصور ببغداد سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٩م ودفن في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني. انظر التحفة النبهاية ١٠ / ٩١ - ٩٥ و ٩٦ و ١٦٩ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧ / ٩٣ و ١٠٥ و ١٣٠ وعشائر العراق ٤ / ١١٥ ومباحث عراقية من ١ / ٧٥ و ٢ / ٢٥٥ وتاريخ السعدون ٤٨ - ٤٩.

(٢) هو سليمان فائق بك مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤) وكان يوازن بين ناصر باشا وأخيه منصور باشا في مشيخة المنتفق.

(٣) هو المشير محمد نامق باشا الكبير، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ٢٤. وكان قد أرسل مندبل الأمان مع ملا خضر كاتب آل السعدون. إلى الشيخ منصور.

(*) في الطبعة (١): (لطف) وهو خطأ طباعي.

فسوف يُعْنِيكَ مِنْ سُلْطَانِهِ نَظْرٌ
قَدْ كَانَ مَا كَانَ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ
حَسَبُ الْفَتَى مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَعْدَرَةٌ
وَابْتِشِيرٌ بِمَا سَوْفَ تَحْظَى مِنْ عِنَايَتِهِ
وَالنَّصْرُ فَيْكَ لَهُ وَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ

وَأِنَّمَا نَظَرَ السُّلْطَانِ إِكْسِيرٌ
وَلَا يَفِيدُ مَعَ الْأَقْدَارِ تَدْبِيرٌ
وَالْمَرْءُ فِي مَا قَضَاهُ اللَّهُ مَعْدُورٌ
وَأَنْتَ مِنْهُ بِمَا يَرْضِيكَ مَسْرُورٌ
وَأِنَّمَا أَنْتَ يَا (مَنْصُورٌ) مَنْصُورٌ

(٥٥)

وقال يمدح الشيخ صالح بن عيسى^(١) حين قدم بغداد وخلع عليه المشير وأسند

نَعَمْ مَا لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُكَ (صَالِحٌ)
سَعَيْتَ إِلَى نَيْلِ الْعُلَا غَيْرَ كَادِحٍ
وَتَاجَرْتَ لِلْمَجْدِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
فُهَنِّيتَ مِنْ بَيْنِ الشُّيُوخِ بَخْلَعَةَ
مِطَارٍ فَخَارٍ طَارَ فِي الْأَرْضِ صَيْتُهُ
بِعَلْيَاكَ قَدْ شَدَّ الْوِزَارَةَ أَرْزَاهَا
وَإِنَّ (مُشِيرًا) قَدْ أَشَارَ بِمَا رَأَى

وَإِنْ قِيلَ هَلْ مِنْ صَالِحٍ قِيلَ (صَالِحٌ)^(٢)
وَعَيْرُكَ يَسْعَى لِلْعُلَا وَهُوَ كَادِحٌ
وَأَنْتَ بِهَاتِيكَ التَّجَارَةَ رَابِحٌ
شَذَاهَا بِأَقْطَارِ (الْعِرَاقِيِّينَ) فَائِحٌ
فَأَنْتَ مَقِيمٌ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ سَائِحٌ
وَزَيْرٌ لِأَبْوَابِ الْأَبْوَةِ فَاتِحٌ
مُشِيرٌ لِعَمْرِي فِي الْحَقِيقَةِ نَاصِحٌ

(١) الشيخ صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر السعدون. أسندت إليه المشيخة بعد منصور بن راشد السعدون في أيام الوالي محمد نامق باشا الكبير حيث قصد بغداد في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٦٨هـ = ١٨٥١م واستقبله الوالي المشير وخلع عليه خلعة المشيخة، وهو الذي أنشأ في شطرة العمارة قلعة فسميت باسمه (قلعة صالح) سنة ١٢٦٩هـ = ١٨٥٢م وهي قلعة عظيمة تقع على الهور أمام ساحل الغبيشية وهي غير قلعة صالح (القضاء) الواقعة في جنوب مدينة العمارة. انظر التحفة النبهاية ٩٢/١٠ وتاريخ العراق بين احتلالين ٩٦/٧ وعشائر العراق ٤/١١٣.

(٢) وجدت في ديوان أحمد عزة باشا الفاروقي قصيدة يمدح فيها الفاروقي ابن عمته صالح أفندي وقد جاء في مطلعها:
نعم ما غلا مدحي لغيرك صالح وإن قيل هل من صالح قيل صالح

قلت: هذا ليس توافقا في الخواطر، لأن الفاروقي هو الذي جمع ديوان الأخرس. ولاشك أنه حفظ هذا البيت، ثم جاء على لسانه عفواً. انظر ديوان الفاروقي مخطوط الورقة ٢٢.

رأى بـ (ابن عيسى) بعد (عيسى) صلاحها^(١)
ورجَّحَ منك الجانبَ الضَّخَمَ في العُلا
لعلَّ بكَ النَّارُ التي شَبَّ جَمْرُها
وقد طَوَّحَتْ - من بعد (عيسى) و(بندر)^(٢)
بَكَّتْها - وَقَد تَبكى المَنازلُ - أَعْيُنُ
وكانت أمورٌ قد أصابتُ فدمَّرتُ^(٣)
أَمورٌ قَضَتْ أَنْ لا يَرى الأَمَنَ قاطِئُ
وَجَرَّتْ مِنَ الأَرزاءِ كُلِّ جَريرةٍ
وقد جَرَدوها بعد (آلِ مُحَمَّدٍ)
وكانتُ حروبٌ يَعلمُ اللهُ أَنَّها
وما نَفَعَتْ فيهم نَصيحةٌ ناصِحٍ

وفي صالح الأعمال تُقضى المصالح
وفي الناس مَرَجوحٌ وفي الناسِ راجح
من القومِ تُطْفَأُ وهو إذْ ذاكَ لافح
و(فهد) - بهاتيكَ الديارِ الطَّوائِحِ^(٤)
وناحتُ على تلكِ الرُّسومِ النِّوائِحِ
وما حَسَنْتُ في العينِ منها المَقابِحِ
لديها ولم يفرحُ بما كان نازح
وسالتُ ولكن بالدماءِ الأباطِحِ
مثقَّفَةٌ تَدْمى وبيضُ صَفائِحِ
سعييرُ أهاجتَه الرياحُ اللوافِحِ^(٥)
وهل نَفَعَتْ في الجاهِلينِ النَّصائِحِ؟

(١) الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر السعدون وهو والد الشيخ صالح صاحب (قلعة صالح) ولي المشيخة بعد أخيه عقيل سنة ١٢٤٤هـ = ١٨٣٠م. واحتل مدينة الزبير سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٥م وقتل بأهلها وانتقم من آل الزهير شيوخ الزبير وقتل رجالهم وشتت شملهم، حيث بلغه أن الشيخ يحيى الزهير قد سم عمه راشد بن ثامر السعدون فقتله، وكان الشيخ عيسى قد احترق ديوانه وهو من قصب وكان بداخله فمات فيه وذلك سنة ١٢٥٩هـ = ١٨٤٣م وتاريخ ذلك (الشيخ حريق). وكان يتردد إليه السيد جعفر الخراسان النجفي وله فيه قصائد حسان. وولي المشيخة بعده الشيخ ناصر باشا السعدون. انظر تاريخ السعدون ٤١ ومباحث عراقية ١/٧ والتحفة النبهانية ٩/١٢٤ وشعراء الغري ٩/٢ و١٠ وعشائر العراق ٤/١١٣ وتاريخ الكويت السياسي ١/١٠٢ - ١٠٣.

(٢) بندر بن محمد بن ثامر السعدون، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٤).

(٣) فهد باشا بن علي ثامر السعدون. والد السيد عبدالمحسن السعدون رئيس الوزراء الأسبق في العراق المنتحر سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م. ولي المشيخة سنة ١٢٦٧هـ = ١٨٥٠م. واختلف مع السلطة، فعزل عن المشيخة وعين بدلاً عنه الشيخ صالح بن عيسى، ثم أسندت المشيخة إليه ثانية عند تمرد ناصر باشا على أخيه منصور أيام والي محمد نامق باشا الكبير سنة ١٢٨٠هـ - ١٨٦٢م وقد أمر والي بعزل الشيخ منصور وتعيين الشيخ فهد، وبقي في المشيخة إلى سنة ١٢٨٣هـ = ١٨٦٥م، حيث حاربه الشيخ ناصر باشا وتفوق عليه وانتزع منه المشيخة، وهو الذي مد أسلاك البرق في أرجاء المنتفق. ثم عينه مدحت باشا متصرفاً في الديوانية سنة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م. توفي في صفر سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٨م ودفن في الحي بجوار ضريح التابعي سعيد بن جبير رضي الله عنه. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم السيد جعفر الخراسان النجفي. انظر التحفة النبهانية ١٠/٩٦ و١٦٩ وتاريخ السعدون ٥٠ ومباحث عراقية ١/٧٦ وعشائر العراق ٤/١١٧ وشعراء الغري ٢/٢٠.

(٤) كانت: هنا تامة. بمعنى حصلت.

(٥) في الأصول: اللوافح بالقاف. وما أثبتناه أولى.

فذلك مقتولٌ وذلك قاتلٌ
إلى أن بلغتَ اليومَ ما قد بلغتَهُ
ولاحتْ لنا منك المعالي بروقها
لمَحْنَا بك الأمالَ تُجْنَى ثمارها
وما أنتَ عمَّا تَبْتَغِيهِ ببارحِ
وإنَّ أَحْجَمَ المِقْدَامِ عن طلبِ العُلا
وإنَّ غُضَّ طرفُ عن مَكَارِمِ ماجدِ
نعم أنتمُ البحرُ الخِضْمُ لواردِ
منحتَ الذينَ اسْتَمَطَرُوا مَكَارِمًا
ليَأْمَنَ في أَيَّامِكِ الغرُّ خائفُ
فَخَذَهَا لدى عليكِ أولَ مدحةِ

وذلك مجروحٌ وذلك جارح
وما هذه الأقسامُ إلا منائح
وبرقُ المعالي من مُحَيَّاكَ لائح
كما نَتَمَنَّاها فهل أنتَ لامح
وغيركُ عنها لا محالةَ بارح
فإنك مِقْدَامٌ إليها وجامح
فلا طرفَ إلا نحوَ جَدْوَاكَ طامح
وأينَ من البحرِ الخِضْمُ الضَّحَاضِحِ
وكل كريمٍ بالمَمَكَارِمِ مانح
ويصدحُ في روضِ البِشَارَةِ صادق^(١)
ولي فيكمُ من قبلِ هذا مدائح

(٥٦)

(١) في الأصول: يصدع وما اثبتناه أولى.

(٢) أبو عيسى العلامة الشيخ محمد بن عبد الغني آل جميل. كان من أعيان بغداد وأفاضل رجالها، درس على أبيه وعلى علماء بغداد حتى نبغ. وكانت له مواقف حميدة في بغداد يقصده الناس في حوائجهم وله منزلة عظيمة في نفوس الحكام والرعية. وهو الذي شفع للشيخ عبد المجيد الملا أيوب الأعظمي خطيب الحضرة الأعظمية حين اشتدت الخصومة بينه وبين الوالي مدحت باشا فحبسه الوالي. ولمحمد آل جميل موقف مشكور في فيضان سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٤م. حيث أنجى بغداد من الغرق. وكان يشجع الناس على محافظة السداد وينقل التراب معهم على كاهله. وقد مدحه الشاعر شهاب الدين الموصللي بهذه الحادثة فقال:

طغيان دجلة خطب	من الخطوب المخلّة
طغت وزادت وكادت	تستغرق الكون كله
بغت ونالت منالاً	لم يبلغ النيل نيّله
والفضل لابن جميل	في جملة بعد جملة
لولاه ببغداد كادت	أن تغتدي مضمحلّه

وقد كان عالماً فاضلاً وأديباً كاملاً. تقلد وظائف مهمة في الدولة، وكان عطفاً على الفقراء وله صلوات وثيقة مع شعراء وأدباء عصره ونال أواسم من الولاة والسلاطين، توفي فجأة ليلة الإثنين ٢٦ رجب سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م وشيع بموكب حافل ودفن في جامع آل جميل بمحلة قنبر علي ببغداد ورثاه الشيخ محمد القزويني الحلي بقوله:

لأبي عيسى بكت عين المعالي	فهوى في فقدّه بدر الكمال
فلعيسى أسوة بالمصطفى	يتسلى ومحمود الخصال ^(*)

كما رثاه أسعد أفندي الطبقجلي وغيرهم. انظر بغداد القديمة ٢٠١ - ٢٠٢ والبغداديون ٢١ وفيضانات بغداد ٢ / ٢٧٨.

(*) عجز هذا البيت مكسور الوزن مختل المعنى ولعل صوابه (بتأسى وبمحمود الخصال).

أنا في هواكم مُطْلَقٌ ومُقَيَّدٌ
 إن تعطفوا فهو المُنَى أو تهجروا
 يا دمعَ عَيْنَيَّ المُرَاقَ له دمي
 ولقد وَجَدْتُ الوجودَ غيرَ مُفَارِقِي
 لا تسألوا عن حالِ صَبِّ بعدكم
 لا دمعُهُ يرقا ولا هذا الجوى
 وأنا المريضُ بكم فهل من مُمْرِضٍ
 بنتم فما للمُسْتَهَامِ على النوى
 هلاً وَقَفْتُمْ يومَ جَدِّ رحيُّكم
 أشكوكم ما بي وإن لم تسمعوا
 ولكم أقولُ لكم وقد أبعدتم
 ساروا وما عطفوا عليّ بلفتة
 أتبعتمهم نظري فكان وراءهم
 يا أخت مُفْتَنِصِ الغزالِ لقد رمى
 ومن القُدودِ كما علمت مُتَقَفُّ
 لم أنس - لا نُسِيَتْ - ليالينا التي
 والريِّعُ مُبْتَسِمِ الأَقْاحِ تعجُّباً
 لو أبصرتُ عيناكَ جامدَ كَأَسْنَا
 في روضةٍ سَقِيَتْ أفاويقَ الحيا
 تُملي من الأوراقِ في ألحانها
 يحكي سَقِيْطُ الطلِّ في أرجائها
 يا دارنا سَحَبَتْ عليكِ ذِيولها

ويُقْرِبُكم أجْدُ الحياةَ وأفقدُ
 فحشاً تذوبُ ولوعةً تَتَوَقَّدُ
 ما لي على الزفرياتِ غيرُكَ مُسْعِدُ
 وفقدتُ صبري وهو ممَّا يُفْقَدُ
 لا يومُهُ يومٌ ولا غَدُهُ غَدُ
 يَفْنَى ولا نارُ الجوانحِ تَخْمُدُ
 غيرُ الصَّبابةِ فلتَعُدْني العودُ
 جَلْدٌ يَقْرُبُ بمثله المُتَجَلِّدُ
 مقداراً ما يتزودُ المُتَزَوِّدُ
 وأريكُم وَجْدِي وإن لم تشهدوا
 يا مُبْعِدُونَ بحقكم لا تَبْعُدُوا
 ولربِّما انعطفَ القَوامُ الأملدُ
 يَفْقُو الأحبَّةَ أَعُورُوا أو أنجدوا
 قلبي بناظره الغزالِ الأَعْيَدُ
 ومن النواظرِ في الفؤادِ مُهَنَّدُ
 كان السُرورُ بعودِها يَتَجَدَّدُ
 منها وبناتُ النَقَا تَتَأَوِّدُ
 لرأيت كيف يُذابُ فيها العَسْجَدُ
 فالبانُ يرقصُ والحمامُ يغردُ
 ما ليس يُحْسِنُهُ هنالك (مَعْبَدُ)^(١)
 دُرراً على أغصانها تَتَنَضَّدُ
 وطفاءُ تُبرقُ ما سَقَتَكَ وترعدُ^(٢)

(١) أبوعباد معبد بن وهب المدني مولى بني مخزوم. نشأ بالمدينة المنورة وكان يرعى الغنم واشتغل بالتجارة وبيع بالغناء وكان جميل الصوت وأنغامه متسقة وأقبل عليه كبراء المدينة واتصل بالأمراء من بني أمية وكان فصيحاً أديباً توفي سنة ١٢٦هـ انظر الأعلام ٨/ ١٧٧ - ١٧٨ وفيه مصادر أخرى.

(٢) الوطفاء: السحابة الماطرة التي تدلت ذيلها.

هل أنت راجعةٌ كما شاءَ الهوى
 ذَهَبَتْ بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَأَعْرَضَتْ
 وَيَلْمُ* نازلة المَشْيِبِ فَإِنَّهَا
 ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا يَقُولُ مُعَنْفٌ
 مَنْ بَعْدَ مَا طَالَ الْمَقَامُ فَأَقْصِرُوا
 ذَهَبَ الزَّمَانُ بِحُلُوهِ وَبِمَرِّهِ
 فَاَنْظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ يَرُوقُكَ مَنْظَرٌ
 إِنَّ الْجَمِيلَ وَأَهْلَهُ وَمَحَلَّهُ
 حَدَّثَ وَلَا حَرْجٌ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
 وَأَعِدْ حَدِيثَكَ وَاشْفِ فِي تَرْدَادِهِ
 الْمَسْبُوحِ النُّعْمَاءِ لَيْسَ يَشُوبُهَا
 هَذَا أَبِي الضَّمِيمِ وَابْنُ أُبَاتِهِ
 يُهِنُ الْقَوِيَّ بِقُوَّةٍ مِنْ بَأْسِهِ
 تَفْرِي بِرَأْيِكَ غَيْرَ مَا تَفْرِي الظُّبِيَّ
 يَعِدُ الْأَمَانِيَّ مِنْ نِدَائِهِ بِفُوزِهَا
 مَمَّنْ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ قَصِيدَةٌ
 كَمْ قَرَّبَتْ لِي فِيهِ أَمَالِي بِهِ
 فَرَأَيْتُ مِنْ مَعْرُوفِهِ**** مَا لَا يَرَى
 وَإِذَا أَفَادَكَ جَاهُهُ أَوْ مَالُهُ
 شَبِيذَتْ مَعَالِيهِ وَطَالَ عِلَاؤُهُ
 كَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءٍ أَشْكُرْهَا لَهُ
 تُسْدي إِلَيَّ وَمَا نَهَضْتُ بِشُكْرِهَا
 وَلَكَمْ وَرَدْتُ الْبَحْرَ مِنْ إِحْسَانِهِ

والعيشُ أطيبُ ما يكونُ وأرغدُ
 عَنِّي بِجَانِبِهَا الْحَسَانُ الْخُرْدُ
 كَادَتْ يَشْيِبُ لَهَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ
 فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حَرَارَةٌ لَا تَبْرُدُ
 عَنِّي الْمَلَامَ فَصَوِّبُوا أَمْ صَعَّدُوا
 وَمَضَى الْمُؤْمَلُ فِيهِ وَالْمُسْتَنْجِدُ
 بَعْدَ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَتَبَدَّدُوا؟
 وَأَبُو الْجَمِيلِ ابْنُ الْجَمِيلِ (محمد)
 خَيْرُ الْكِرَامِ إِلَى عُلَاهُ** يُسْنَدُ
 قَلْبًا يَلْذُ إِلَيْهِ حِينَ يُرَدُّ
 مَنْ وَلَا فِي مَا يُؤْمَلُ مَوْعِدُ
 وَالْبَيْضُ تَرْكُوعٌ وَالْجَمَاجِمُ تَسْجِدُ
 وَإِلَى الضَّعِيفِ تَحَنُّنٌ وَتَوَدُّدُ
 فَالرَّأْيُ مُنْصَلِتٌ وَسَيْفُكَ مُغْمَدُ
 وَيَرِيحُ مِنْهُ الْأَخْسَرِينَ*** تَوَعَّدُ
 صَدَقَ الْقَصِيدُ وَقَانَ فِيهِ الْمَقْصِدُ
 أَمَلًا يَشْتَقُّ عَلَى سِوَاهُ وَيَبْغِدُ
 وَوَجَدَتْ مِنْ مَعْنَاهُ مَا لَا يَوْجِدُ
 فَهَنَّاكَ عَزُّ يَسْتَفَادُ وَسُودُّ
 إِنَّ الْمَعَالِيَّ كَالْبِنَاءِ تُشَيِّدُ
 فِي كُلِّ أَوْنَةٍ وَتَتَّبَعُهَا يَدُ
 نِعَمٌ تَعْدُ وَلَمْ تَنْزَلْ تَتَّعَدُّ
 لَا مَأْوَاهُ مَلْحٌ وَلَا هُوَ مُزْبِدُ

(* في الطبعة (١): (ويل أم) والدارج أن تكتب وتلفظ كما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (أعلاه) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الأخسدين) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (معرفة) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس..

فوردت أعذب منهل^(*) من ماجد
 مستودع في ما يثيب مثابه
 أمزِيلَ نَحْسِ الوافدين بسَعْدِهِ
 حتَّى علمت - ولم أكنُ بك جاهلاً
 إنِّي ربيبُ أبيك وابنُ جميله
 لي نسبةٌ فيكم وأيةُ نسبةٍ
 إن تُولدوا من صلبِ أكرمِ والدٍ
 من محتدٍ زاكي العناصرِ طيبٍ
 هم عودوا الناسَ الجميلَ وإنهم
 إنِّي لأعهدُ بعدَ فقدِ أبيهم
 قد كان عزُّ المسلمين ومجدهم
 ومُخَلِّدَ الذِكرِ الجميلِ إلى مدي
 تُتلى مناقبُه ويذكرُ فضله
 كقلائدِ العقيان فيه محاسنُ
 جاد الغمامِ على ثراه فإنه

لي مصدرٌ عن راحتيه وموردٍ
 بخزائنِ الله التي لا تنفد
 شقيتُ بك الحسادُ في ما تُسعد
 يا ثالثَ القمريين - أنك مفرد
 والله يعلمُ والخلائقُ تشهد
 منكم يقومُ لها الفخارُ ويقعد
 فكذلك الأخلاقُ قد تتولد
 طابت عناصرُهُم وطابَ المَحْتَدِ
 تجري عوائدُهُم على ما عودوا
 ما كنتُ منه قبلَ ذلك أعهد
 وعيادُهُم وهو الأعزُّ الأمجد
 يبقى وما في العالمين مُخَلِّد
 فيسرُ سامعها ويُطربُ مُنشد
 جيدُ الزمانِ بعقدِها يتقلد
 لأبرُّ من صوبِ الغمامِ وأجود

(٥٧)

(*) في الطبعة (١): (فهل) خطأ طباعي يكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١) المشير نافذ باشا كان متصرفاً في استانبول، ونقل قائداً للفيلق السادس في العراق، وهو برتبة فريق، وكان الأمير عبدالله بن فيصل بن تركي آل سعود، قد استنجد بمدحت باشا، لينصره على أخيه سعود، الذي احتل الأحساء سنة ١٢٨٨هـ. فاستجاب له الوالي مدحت باشا، وأرسل الفريق نافذ باشا، يقود خمسة أفواج، ومعهم المدافع والخيالة، ورافق هذه الحملة ناصر باشا السعودون، والسيد محمد سعيد نقيب البصرة، كما شاركت الكويت بقيادة عبدالله الصباح أمير الكويت، وتمكن نافذ باشا من إلحاق الأحساء بالدولة العثمانية، وعين نافذ باشا متصرفاً في نجد، ثم نقل إلى البصرة متصرفاً سنة ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م. انظر تاريخ الكويت ٢/ ٢٩ - ٣٠ وتحفة الألباء في تاريخ الأحساء ٦١ والعربية السعودية ٦٤ والتحفة النبهانية ٩/ ١٣٠ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٦٤ - ٣٦٤ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٢٤٠ و٢٥٧. كذا في الديوان المطبوع. وفي نسخة أ المخطوطة يمدح نافذ باشا وفي فهرسها (حافظ باشا) وفي نسخة ب يمدح حافظ باشا قومندان الأوردي السادس. وفي نسخة الأنكرلي حافظ باشا. أيضاً. وهو حسين حافظ باشا عينه الوالي محمد نامق باشا الكبير سنة ١٢٧٢هـ = ١٨٥٤م قائمقاماً لسوق الشيوخ أيام مشيخة منصور باشا السعودون. وهو من أمراء العساكر ببغداد.

ألا من مُبْلِغٍ عني سَلَامِي
 تحيَّةً مخلصٍ بالوَدِّ يُبدي
 ويُبْلِغُهُ على البُعْدِ اشتياقاً
 لقد طلعتُ فضاءه^(*) علينا
 سنشكره على ما كان منه
 وما أسداه من كرمِ السَّجَايا
 زَهَتْ في (ناصر) أبياتُ شِعْرِي^(١)
 لقد أثنى الرئيسُ بها عليه
 تُسرُّبها لعمري أولياءُ
 وإنَّ الفضلَ يعرفه ذووه
 رآه (مدحت) الدنيا حُساماً^(٢)
 فقدمه المشيرُ ليومِ بُؤسٍ
 فيا لله من والٍ مُشِيرٍ
 لئن باهتُ به (الزوراء) أُرِيتُ
 إذ انتظَمَ (العراق) به فأضحى
 ودَمَّرَ بالصَّوَارِمِ مُفسِدِهَا
 ومدَّ إلى (الحسا) كفاً فطالتُ
 رمى من بـ (العراق) عُصاةً (نجد)

رئيساً في (العراق) على النِّظامِ
 صبابةً ذي فؤادٍ مُسْتَهَامِ
 من الداعي إلى الشَّهْمِ الهُمَامِ
 طلوعَ البدرِ في جُنْحِ الظلامِ
 كشُّكْرِ الروضِ آثارَ الغمامِ
 وفاءً بالمَوَدَّةِ والذَّمَامِ
 أتت في المدحِ من حُرِّ الكلامِ
 ثناءً باحترامٍ واحتشامِ
 وتُعقِّدُ عنه ألسنةُ الخِصَامِ
 به امتازَ الكرامِ عن اللئامِ
 وقد يغنيه عن حملِ الحُسامِ
 يَقدُّ من الخوارجِ كلَّ هامِ
 عظيمَ الشَّانِ عالي القَدْرِ سامي
 بهمَّته على (حلب) و(شام)
 يفاخرُ غيره بالإنْتَظامِ
 وأوردَهُمُ بها وردَ الحمَامِ
 ونالَ بطولها صَعْبَ المرامِ
 وزيرُ ما رمى مَرْمَاهُ رامِي
 بهمَّتهِ لِسُلْطانِ الأنامِ

(* في الطبعة (١): (فائله) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١) ناصرباشا السعدون وكان قد ساهم في حملة نافذ باشا على الأحساء مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠). وكان الأولى بالشاعر أن يقول (نافذ) بدل (ناصر) ولكن يبدو لنا أن الأخرس قد مدح هؤلاء الثلاثة في هذه القصيدة فقال: زهت في (ناصر).. ثم زهت في (نافذ).. وزهت في (حافظ).. ووقعت هذه القصيدة بأيدي النساخ فنسبت كما نراها في المخطوطات بمدح (نافذ) وتارة (حافظ) وفي الأبيات (ناصر).

(٢) في الأصول: مدحت الدنيا. وفي المطبوع (مفخر الدنيا) ويبدو لنا أن الناشر أحمد عزة الفاروقي قد غير ذلك عند الطبع خشية أن يلتفت إلى ذلك مبغضو مدحت ويمنعوه من النشر.

فَأَيْتِي لِأَدْرِئِي مَا الضَّلَالُ وَمَا الْهُدَى
فَنَيْتُ وَشَوْقِي لَا يَزَالُ مُخَلِّدًا
وَمَنْ عَدَّهُ عَدْلًا فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى
وَإِخْطَاءُ ذَاكَ الْعَدْلُ لِمَا تُعْمَدَا
أَرَدْتُ بِهِ إِطْفَاءَ وَجْدِي تَوَقُّدَا
مَشْشُوقِ فُوَادِي عِنْدَمَا رَحَلُوا فِدَا
قَضَاهُ وَلَكِنْ فِي تَبَعْدِكُمْ سُدَى
وَمَا زَالَ طَرْفِي فِي هَوَاكُمُ مُسَهَّدَا
تَوَسَّدَ عِرْفَانِ الْهَوَى إِذْ تَوَسَّدَا
رَقِيقَ الْحَوَاشِي بِالْمَطَالِبِ أوردَا
وَهَلْ كَانَ طَرْفُ الدَّهْرِ عِنَهُنَّ أَرْمَدَا
عَلَى وَجْنَةِ الْأَيَّامِ كَانَ تَوَرَّدَا
حِظْوُطُ تَعْيِيدِ الْمَاءِ إِذْ ذَاكَ جَلَمَدَا
قَدَحْتُ زِنَادَ الْجِدِّ فَيْكُمْ فَأَصْلَدَا
وَقَدْ كَادَ أَنْ يَقْضِي مَدَاكِمَ عَلَى الْمَدَى
تَرْدَى - وَلَكِنْ مِنْ ضَنْئِي وَجَدِهِ - رِدَا

أَلِمَّا عَلَى لَوْمِي وَجِدًّا مُجَدِّدًا
فَمَنْ مَبْلُغُ السُّلُوفِ عَنِّي بَأَنِّي
عَذُولِي انْتِصَاحُ مِنْكَ لَا أُسْتَفِيدُهُ
وَمَا كَانَ أَدْرِئِي بِالذِّي قَدْ دَرَيْتُهُ
أَعْلَلُ نَفْسِي بِ (الْعُذَيْبِ) وَكَلَّمَا
خَلِيلِي ضَاعَ الْقَلْبُ هَلْ تَعْرِفَانِهِ
وَمَا أَسْفَى إِلَّا عَلَى عُمُرٍ مُغْرَمٍ
وَلَمْ تَدْرِ أَجْفَانِي بِكُمْ سِنَّةَ الْكُرَى
وَأَهٍ عَلَى يَوْمٍ قَضَى الْأَنْسُ نَحْبَهُ
لِيَالِي فِيهَا الْعَيْشُ كَانَ اخْضِرَّارُهُ
أَخْلَائِي كَمْ جَادَ الزَّمَانُ بِنَيْلِهَا
وَأُورَدْنَا صَفْوَ الْمُنَى فَكَأَنَّهُ
فَسَا قَلْبُكُمْ عَنِّي وَلَا عَرَوْ حَيْثُ لِي
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْحِظُّ أَحْظَى لِأَتْنِي
تَمَادَى مَدَاكِمُ وَاسْتَمَرَّ عَلَى الْجَفَا
وَمَنْ لِعَلِيلٍ أَنْحَفَ السُّقْمُ جِسْمَهُ

(١) الشيخ عبيدالله بن الشيخ عبدالغفور الحيدري. ولد سنة ١١٩٧هـ = ١٧٨٢م درس على علماء بغداد وشيوخها، وكان بارعاً لبقاً أديباً، له كتاب (شرح المسائل الهندية) وله رسالة في التصوف والطريقة النقشبندية، وهو أول خليفة للشيخ خالد النقشبندي ببغداد، وكان له براعة في النظم والنثر، ويدرس العلوم العقلية والنقلية، وكانت له أحوال في إذلال النفس وقهرها، وقد ولي الإفتاء ببغداد فكتب الشيخ خالد النقشبندي كتاباً إلى خلفائه يشعروهم بذلك. وفيه إشارات إلى عدم رضاه عن الحيدري لقبول هذه الوظيفة، توفي الشيخ الحيدري سنة ١٢٤٢هـ = ١٨٢٦م وخلف ولدين هما عبدالحكيم وعبدالحليم، وكانت له مكتبة حافلة باعها ورثته من بعده واشتراها السيد عبدالرحمن النقيب ووقفها في المكتبة القادرية ببغداد. انظر عنوان المجلد ١٢١ و ١٣٠ والحدائق الوردية ٢٦٠ والآثار الخطية ١/ ١٦٨ - ١٦٩ وفهرس مخطوطات الأوقاف ٢/ ٢٠٦ وتاريخ شهرزور لعباس العزاوي مخطوط ص ٢٨٤.

وإنَّ اصْطِبَارِي بَعْدَ طَوَّلِ بُعَادِكُمْ
أَعِيدَا لَهَا ذَكَرَ الدِّيَارِ لَعْلَهَا
وَمَا أَتَتْ تِلْكَ الطُّلُولَ وَرَسَمَهَا
أَنَادِي الحِمَى بِالنُّوحِ عَنِ سَاكِنِ الحِمَى
تَكْرُرُ بِهِ الأَشْوَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَمَا مَرَّبَ (الجَرَءَاءِ) إِذْ عَادَ ذِكْرُهُ
بِيَاضٍ مُحْيَاً ذَلِكَ العَيْشِ بَعْدَكُمْ
رَأَى البَيْنَ مَجْموعاً عَلَى القَرَبِ شَمَلْنَا
شَذَا وَرَدَّ ذَاكَ الوَصْلِ مِنْ رَوْضِ قُرْبِكُمْ
وَنَشْوَانِكُمْ* (١) مَا قَدَ أَفَاقَ وَلَا ارْعَوَى
وَقَدَ جَابَ وَعَرَّ الشُّوقِ فِي بَيْدِ هَجْرِكُمْ
أَضِلُّ فَأَهْدَى فِي هَوَاكُمُ وَيَنْتَنِي
رِشَادُ (عَبِيدِ اللّهِ) لِلْحَقِّ إِنَّهُ
دَرَى كُلَّ عِلْمٍ فِي الوجودِ وَجُودُهُ
يَحِلُّ عُقُودَ المَشْكَلاتِ بِرَأْيِهِ
وَأَحْيَا دُرُوسَ العِلْمِ فِي عِلْمِ دَرْسِهِ
لِعَمْرِكَ فليَفْخَرْ عَلَى السُّودِّ امْرُؤُ
وَأَفْصَحُ مِنْ (نَهْجِ البَلَاغَةِ) مَنْطِقاً
بِهِ اسْتَسْهَلُوا حَزْنَ العُلُومِ وَوَعَرَهَا
إِذْ أَضْرَمَتْ أَعْدَاؤُهُ نَارَ بَاطِلٍ
فَلو رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ لَنَالَهَا

دَعَا جَلِداً مِنْهُ يُبَيِّنُ التَّجَلُّداً
تُبَلِّغُنِي تِلْكَ المَعَاهِدَ مَقْصِداً
عَدَتْ تَشْتَكِي شَكْوَى الفِرَاقِ كَمَا عَدَا
فِيهَا حَبِّذاً لَوْ أَنَّهُ يَسْمَعُ النَّدَا
إِذَا كَرَّرَ الذِّكْرَى لَدَيْهِ وَرَدَّ
أَعَادَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فَتَجَدَّداً
فَمَا زَالَ ذَاكَ الوَجْهَ أَغْبَرَ أَسْوِداً
فَبَدَّدَهُ مَنَّا النُّوَى فَتَبَدَّدَا
هَزَارُ اشْتِيَاقِي كَلِّمَا هَبَّ عَرْدَا
عَدَا مِثْلَ مَا أَمْسَى أَوْ أَمْسَى كَمَا عَدَا
وَمَنْ زَادَ تَقْوَاهُ عَنِ العَدْلِ** (**) زُودَا
إِلَى هَوَى يَهْدِي عِيَاناً وَيُهْتَدَى
سَنَا نَوْرٍ رَشِدٍ فِيهِ يَسْتَأْنِسُ الهُدَى
وَلَمْ تَدْرِ يَمْنَاهُ سَوَى السَّيْفِ وَالنَّدَى
إِذَا أَشْكَلَ المَعْنَى الدَّقِيقُ وَعَقَّدَا
بَدَتْ فِيهِ آثَارُ الفِضَائِلِ مُذْ بَدَا
يَرَى السُّودَّ العَلِيَاءَ مَجْداً وَسُودَّداً
تَخَرَّلَهُ الأَقْلَامُ فِي الطُّرْسِ سُجِّداً
وَأَيْسَرُ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَا تَشَدَّدَا
أَثَارَ عَلَيْهَا الحَقِّ يَوْمًا فَأَحْمَدَا
وَسَارَ بِمَضْمَارِ المَرَامِ وَمَا كَدَا^(١)

(١) كدا: كدت الأرض تكدو كدواً فهي كادية: إذا أبطأ نباتها، والكادي: البطيء الخير من الماء، وكدا الزرع وغيره من النبات: ساءت نبتته. والكدية: صخرة صلبة تبرز في الطريق فتعثر بها المارة، وكدا: عثر. انظر: لسان العرب مادة (كدا).

(*) في الطبعة (١): (ونشواتكم) وهو خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (العزل) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وما مالَ إلا للعبادة والتُّقى
وما هو إلا قطبُ دائرة العُلا
تُنيلُ نوالَ اليَمْنِ يَمْنَاهُ بسَطُّها
ولم تُبلِّغِ الأمالَ في غيرِ ماله
ألا يا سَحَاباً أَعْرَقَ الوَفْدَ غَيْثُهُ
فلو حاولَ المجدُ الأثيلُ مقامَهُ
مكارمُ طبعِ في علاهُ ظُهورُها
وَأُنْبِتَ بالتَّقْوَى بأحسنِ منبتِ
يُقْضِي لِعَمْرِ اللهِ صوماً نهارَهُ
ولمَّا ادَّعى ما إن أتى الدهرُ مثْلَهُ
وأشْرَعَ للشَّرْعِ الحَنِيفِ مَنَاهِجاً
تَصَرَّفُهُ في باطنِ الحالِ باطنُ
ومُتَّبِعُ شَرْعاً لِمَا هو ذاهِبُ
وما كانَ إلا حينَ يُسْأَلُ رَدُّهُ
وأدركَ مَمَّنْ فَضْلُهُ يَملاً الفَضَا
وللهِ في ما قد أنالكِ حكمةُ
سَعَيْتِ وَيُجِدِي السَّعْدُ بالسَّعْيِ رَبِّهِ
فيا زَهْرَ رَوْضِ أَنْتُمْ زَهْرُ كُمْهِ
ظَهَرْتُمْ ولا يَخْفَى من الشمسِ نورُها
إذا ما مَضَى منكم عن المجدِ سيِّدُ
وَذِكْرُكَ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ أَمْرَهُ
أَبْرَتْ - على ما تدَّعيه - يمينُها

كَأَنَّ عَنْهُ شَيْطَانُ الوَسَاوِسِ صُفْدَا
إِمَامٌ لِأَرْبابِ الطَّرِيقَةِ مُفْتَدَى
وما مدُّ إلا نحوَ خالِقِهِ يَدَا
وفي غيرِ ذاكِ العَدْبِ لا يَنْقَعُ الصَّدَى
لظامي النَّدَى كانتِ أياديهِ مَوْرِدَا
لحاولِ ذاكِ المجدُ بالمجدِ أَمْجِدَا
وكانَ لهاتيكِ المكارمِ مَوْعِدَا
وقد طابَ أصلاً مثلاً طابَ مَحْتَدَا
ويُحْيِي لِيالِيهِ دُعَاً وتعبُدَا
فأتبعَ في ما يدَّعيهِ وَقَلْدَا
قَوَاعِدَ دِينِ اللهِ أَضْحَى مُمَهَّدَا
إلى الرشدِ أصحابِ الحَقِيقَةِ أرشَدَا
ومَذْهَبُهُ يَنحُو طَرِيقَةَ (أحمدا)
بأسْرَعِ من حاكِ يُجاوبُهُ الصَّدَى
تُعَدُّ أياديهِ بألسِنَةِ العِدا
فأَعَدَمَ فيكِ الجَهْلَ والعِلْمَ أَوْجِدَا
وأصْبَحْتَ في صدرِ السَّعَادَةِ أسْعِدَا
لقد ماسَ غُصْنُ الفَخْرِ فيكُم تَأَوَّدَا
وحادي انتشارِ الذِكرِ في ذِكْرِكُمْ حِدا
أقامَ لَكُمْ في موقفِ الفَخْرِ سيِّدا
على طولِ ما طالَ الزمانُ تَأَبَّدَا
مَتى تُقَسِّمُ الأيَّامُ أَنَّكَ مُفْرِدَا^(١)

(١) جعل الشاعر اسم إن وخبرها منصوبين وهي لغة كقول عمر بن أبي ربيعة:

خطاك خفافاً إن حراسنا أسدا

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن

انظر مغني اللبيب ١/ ٣٦.

ولما دعاكَ الأصلُ يوماً لفرعه
 رؤاة المعالي عن جنابك أخبروا
 ويوردُ عنك المدح والحمد كله
 غياتٌ وغوثٌ لا يجارى جواده
 ونلتُ بتوفيق العناية رتبةً
 وحسبُ الذي عاداك في ما يرومه
 على رغم من عاداك قلت مؤرخاً

وردتَ فما أبقيت للناس موريا
 حديثاً عن العلياء صحَّ وأسندا
 كما لك يروينا كما لك أوردنا
 وملجأً من آويت كنت ومُنجدا
 عدوك يلقى دونها موريا الردى
 جعلت عليه ليل هجرك سرمداً
 (بفتوى عبّيدِ الله لا زال يفتدى)^(١)

(٥٩)

وقال مادحاً الحاج محمد أمين أفندي [الزند]^(٢) مفتي بغداد ويهنيه بختان أولاده

(١) مجموع حساب التاريخ يساوي سنة ١٢٢٥هـ. إذا اعتبرنا الباء ألفاً. وهذا التاريخ لا يناسب عمر الأخرس وإذا اعتبرناه (ياء) فيكون التاريخ ١٢٤٣هـ. والحيدري توفي سنة ١٢٤٢هـ والأنسب أن تكون رثاء. وتاريخاً للوفاة لا تاريخاً للإفتاء.

(٢) أبو كامل الحاج محمد أمين أفندي الزند المعروف بالكهية. ذكره محمود شكري الألوسي فقال «كان مفتي الحنفية ببغداد، ثم صار كتحدا لوالي بغداد، ثم سافر إلى الآستانة وصار من الأعيان ورجال الدولة هناك. وكان ذا أخلاق حميدة وحياء وورع وحلم وكان محباً للخير وعمل البر، حتى أنه لما ختن أولاده في بغداد ختن معهم أربعمائة ولد من الأيتام والفقراء وكساهم أحسن اللباس..» ولد في بغداد سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ودرس على والده وعلى علماء بغداد حتى نبغ وعين نائباً للقاضي في المحكمة الشرعية ثم عين مفتياً ببغداد، وفي تلك الأيام طبع كتاب (تاريخ القرمانى) بمطبعة مجرية ببغداد. ثم عينه والي بغداد نامق باشا بوظيفة (كهية) أي وكيل الوالي أو نائبه ثم سافر إلى الآستانة وانتخب نائباً عن بغداد ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م ثم عينه السلطان عبدالحميد عضواً في (مجلس شورى الدولة) وكان عضواً في لجنة (مجلة الأحكام العدلية) وهو عالم فاضل له بحوث ومقالات وكان رجلاً حازماً كريماً سخياً وكان يحسن اللغات العربية والكردية والتركية والفارسية وكان قد جمع كتباً كثيرة مختلفة الفنون، وكان ينوي إنشاء مكتبة عامة في منزله ببغداد، إلا أن المنية عاجلته في الآستانة سنة ١٢١١هـ / ١٨٩٢م وكان ولده كامل بك قد قدم من الآستانة إلى بغداد سنة ١٢٢٠ - ١٩٠٢م ونفذ رغبة والده فعمر قسماً من داره وجعله مسجداً. عرف باسم (جامع الكهية). في محلة الميدان - رأس الكنيسة - وجعل في المسجد مكتبة حافلة بأمهات الكتب الخطية بأحسن نظام، وقد هدم المسجد عند توسيع الشارع وأنشئ بدلا منه مسجد صغير بجوار مقبرة الإمام الغزالي ببغداد سنة ١٢٩١هـ - ١٩٧١م. وما تزال أسرته في بغداد تعرف باسم (بيت الكهية). كما أن له أحفاداً في الآستانة وأقارب بين عشيرته (زند) في قضاء (كفري - صلاحية) في محافظة كركوك. انظر تاريخ مساجد بغداد وآثارها للألوسي ٥٩ - ٦٢ ومشاهير الكرد وكردستان ١٤١ / ٢ - ١٤٢ وتاريخ مساجد بغداد الحديثة ٢٨١.

لِيَهْنِكَ مَا بَلَغْتَ مِنَ الْأَمَانِي
تُسْرُ وَقَدْ تَسُرُّ النَّاسَ طُرّاً
وَفِي مَا قَدْ فَعَلْتَ جُزَيْتَ خَيْراً
فَعَلْتَ الْوَاجِبَ الْمَأْمُورَ فِيهِ
وَأَوْلَمْتَ الْوَلَانِمَ فَاسْتَلَدَّتْ
وَأَكْثَرْتَ الطَّعَامَ بِهِنَّ حَتَّى
وَجَاءَ النَّاسُ أَفْوَاجاً إِلَيْهَا
شَرَابُهُمْ شَرَابٌ سَكَّرِيٌّ
لَقَدْ قِيلَ الطَّعَامُ فَلِمَ تُدَانِ
بِذِكْرِ اللَّهِ إِنَّكَ قَبْلَ هَذَا
وَمَا تَلْهُو عَنِ السَّبْعِ الْمَثَانِي
خَتَنْتَ بَنِيكَ فِي أَيَّامِ سَعْدٍ
وَأَرْبَعِمَائَةِ خُتَنْتَ وَكَانَتْ
كَسَوْتَهُمُ الْمَلَابِسَ فَاخْرَاتٍ
فَمَنْ خُضِرَ وَمَنْ صَفِرَ وَحُمِرَ
كَازْهَارِ الرَّبِيعِ لَهَا ابْتِهَاجٌ
أَتَيْتَ بِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ بِكُوراً
أَرَدْتَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ لَا مَا
أُحِبُّكَ لَا لِمَالٍ أَقْتَنِيهِ
وَلَا أَثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ إِلَّا أَعَدُّ
وَكَيْفَ وَأَنْتَ لِلْإِسْلَامِ رُكْنٌ
أَعَزُّ لِلَّهِ فِيكَ الْدِينُ عِزّاً
فَكُنْتَ الرُّوحَ وَالْمَعْنَى الْمَعَالِي
تَقُولُ الْحَقُّ لَا تَخْشَى مَلَاماً

فَلَمْ تَبْرَحْ بِأَيَّامِ التَّهَانِي
بَبَيْضِ فَعَالِكَ الْغُرِّ الْحِسَانِ
وَهَلْ تُجَزَى سِوَى خُلْدِ الْجِنَانِ
وَمَا سَنَّ النَّبِيُّ مِنَ الْخِتَانِ
لَهَا الْفُقَرَاءُ مِنْ قَاصِ وَدَانِ
لَقَدْ ضَاقَ الطَّعَامُ عَنِ الْجِفَانِ^(١)
فَلَمْ يُعْرِفْ فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ
وَمِمَّا يَشْتَهُونَ لِحُومِ ضَانٍ
وَقَدْ قِيلَ السَّمَاعُ فَلِمَ تُدَانِ
قَدْ اسْتَعْنَيْتَ عَنِ كُلِّ الْأَغَانِي
بِأَصْوَاتِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي
بِمَعْتَدِلِ الْفُصُولِ مِنَ الزَّمَانِ
يَتَامَى لَمْ تُسَنَّ بِالْخِتَانِ
فِرَاحُوا مِثْلَ رَوْضِ الْأَقْحَوَانِ
كَأَمْثَالِ الشَّقِيقِ الْأَرْجَوَانِي
وَقَدْ سُقِيَتْ حَيَا الْمِزْنِ الْهَتَانِ
وَمَا كَانَتْ لِعَمْرِكَ بِالْعَوَانِ
يُقَالُ وَيُسْتَفَاضُ مِنَ اللِّسَانِ
وَلَا طَمَعٌ بِجُودٍ وَامْتِنَانِ
تَقَاداً بِاللِّسَانِ وَبِالْجِنَانِ
تُشَادُ بِهِ الْقَوَاعِدُ وَالْمَبَانِي
وَلَمْ يَكُ قَبْلَ ذَلِكَ بِالْمُهَانِ
فَقُلْ مَا شِئْتَ عَنِ (رُوحِ الْمَعَانِي)^(٢)
وَلَسْتَ عَنِ الْمَقَالَةِ بِالْجَبَانِ

(١) يريد ضاقت الجفان عن الطعام

(٢) توجيهه لطيف إلى كتاب (روح المعاني) وهو التفسير الكبير لأبي الثناء الألويسي.

ولا داريتَ أو ماريتَ قوماً
 ولم تحكُم على أمرٍ بشيءٍ
 فتدركُ ما تحاولُ بالتَّائِي
 (محمَّدُ الأمين) أمَّنتَ ممَّا
 كفاكَ اللهُ السَّنَةَ حَدَاداً
 ولم أسمعُ مَقَالاً فيكَ إلاَّ
 بقيتَ لنا وللدنيا جميعاً

برفعة منصبٍ وعُلوِّ شانٍ
 إلى أن يَسْتَبِينَ إلى العيانِ
 وإن رُمْتَ الجميلَ فلا تَوَانِ
 تُحَاذِرُهُ وإنَّكَ في أمانِ
 لها وَخَزٌ ولا وَخَزُ السَّنَانِ
 مقالَ الخيرِ أنا بَعْدَ أن
 وكلُّ غيرٍ وَجَهَ اللهُ فإنِ

(٦٠)

وقال مادحاً السيد محمود أفندي النقيب^(١) حين دخول علي رضا باشا لبغداد

بدا والصُّبْحُ غَارَ على الظُّلَامِ
 فحياً بالرُّضَابِ وبالحُمَيَّا
 إذا ما الشَّيْخُ في الكَأْسِ احْتَسَاهَا

وعقدُ النُّجْمِ مَحْلُولُ النِّظَامِ
 فأحياً بالرُّضَابِ وبالمُدَامِ
 غدا في الحالِ أنشَطَ من غُلامِ

(١) السيد محمود بن السيد زكريا القادري نقيب الأشراف ببغداد، كان من ألمع شخصيات بغداد في أيامه وله التأثير الكبير في المجتمع، وقد أجرى تعميمات في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني في سنة ١٢٤١هـ - ١٨٢٦م وقد أثنى عليه أبوالتناء الألوسي في مقاماته. وكان السيد محمود من أشد أعوان الوالي داود باشا، وقد وقف إلى جانبه أيام عزله ومحنته. وأخرج راية الشيخ عبدالقادر الكيلاني ونشرها ثم أمر بضرب الطبول والدمامات فهيج الناس لنصرة داود باشا ومقاومة علي رضا اللاط. وبقي على ذلك أياماً. وكان السيد أحمد متولي الإمام الأعظم قد خشي من الفتنة وعلم أن داود باشا لا يستطيع مقاومة الحصار طويلاً، فأرسل المتولي بعض الرجال من الأعظميين فاختطفوا السيد محمود النقيب وأطفأوا الفتنة وشفَعوا له عند الوالي علي رضا وكذلك شفَعوا لداود باشا، فاستجاب علي رضا اللاط وعفا عنهما وأكرمهما. وكان السيد محمود النقيب رجلاً محترماً كريماً محبوباً مدحه كثير من الشعراء منهم عبدالباقي العمري. والشيخ صالح التيمي بقوله:

كل بدعواه فيه ينتهي الجود
 وغير محمود ما بالعصر محمود
 ليس السماح مواعيداً مجردةً
 وليس تورق حتى يورق السعود

كما مدحه السيد مهدي القزويني الصغير الحلي. انظر مقامات ابن الألوسي (الثالثة) وحديقة الورود ج ٢ الورقة ١٢٢ مخطوط والترتياق الفاروقي ٤٢٤ وشعراء الحلة ٥/ ٣٩٢ وديوان التيمي ٣١ والآثار الخطية ١/ ١٩.

لئن عللتني يا صاح يوماً
دعاً عني الملامة في التصابي
ألا يا صاحبي وبني غراماً
ويا ريح الصببا النجدي بلعاً
ومن لي بالكري يوماً لعلّي
وما أنسى لها في الركب قولي
نحولي ما بخصرِك من نحول
سقى الأثلاث (*) في (سَلْع) سيولاً (١)
بكيت وما بكت في الدوح ورق
ولو كان الهوى من غير دمع
أداوي مهجئة يا (سعد) جرحي
رمين قلوبنا غزلان (سَلْع)
فبت جريح الحاظ (***) مراض
قدود البيض لا سمر العوالي
كتمت الحب متهماً عليه
وكيف أطيقت والعبرات مني
وما نقص اشتياق الصب شيئاً
يدب هواك يا سلمى بروحي
وفيت بعهد من نقضت عهودي
فليت (المالكية) حين صدت (٣)

بأحبابي فعألني بجام
فقد روعتُماني بالملام
أعيناني على داء الغرام
سليمي يا صبا (نجد) سلامي
أرى طيف المليحة بالمنام
وقد نظرت لأجفان دوامي
وسقمي ما بطرفك من سقام
فقد جلبت حمامها حمامي
تظن هيامها أبداً هيامي
قضىنا بالغرام على الحمام
رماها من رمة الحُسن رام
فما أخطأن (***) هاتيك المرامي
ورحت طعين ديبك القوام
ولحظ السرب لا حد الحُسام
وما لي طاقة بالإكتمام
تعبّر عن فؤاد مُستتهام
على وجه حكي بدر التمام
ديب الصرخدية في العظام (٢)
وما لوفاء مي من دوام
رعت زمامها ورعت زمامي

(١) سلع: جبل وموضع قرب المدينة المنورة - وهو المقصود هنا - وقد تغنى به الشعراء كثيراً، وطلع حصن بوادي موسى قرب القدس، وطلع جبل في ديار هذيل، انظر معجم البلدان ٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) الصرخدية: الخمر، ومن أسماء الخمر (صرخد).

(٣) المالكية: هي عيلة بنت مالك ابنة عم عنترة وحبيته.

(*) في الطبعة (١): (الأثلاث) وتم تصويبها من الطراز الأنفس..

(**) في الطبعة (١): (أخطات) وبذلك ينكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الفاظ) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

صَبَرْتُ عَلَى الْحَوَادِثِ صَبْرَ حُرٍّ
 وَقَلْتُ مُعَلَّلاً نَفْسِي وَلَكِنْ
 سَأَحْمَدُ عِنْدَ (مَحْمُودِ) السَّجَايَا
 وَأَسْتَعِينِي بِهِ عَمَّا سِوَاهُ
 وَأَرْجُو أَنْ تُظَفِّرَنِي سَرِيعاً
 لَقَدْ دَرَّتْ سَحَائِبُهُ إِلَى أَنْ
 فَحَدَّثْتُ عَنْ مَكَارِمِهِ فَإِنِّي
 إِذَا مَا جِئْتَنِي بِحَدِيثِ جُودٍ
 فَمَا حَدَّثْتُ إِلَّا عَنْ أَشْمٍ
 ذَكَاءٍ فِيهِ أُرَى مِنْ زَنَادٍ
 وَأَرَاءٍ إِذَا نَفَقَذَتْ لِأُمُرٍ
 يَرَى فَعَلَ الْجَمِيلِ عَلَيْهِ فَرَضاً^(٢)
 وَقَامَ لَهُ عَلَى الْأَعْنَاقِ شُكْرٌ
 سَرِيعُ الْجُودِ إِنْ يُدْعَ لِحُسْنِي
 أَيَادِيهِ حَطْمَنَ الْمَالِ جُوداً
 عَلَى أَبْوَابِهِ الْأَمَالِ مَنَّا
 تَخَيْرَ مَا تَشَاءُ وَسَلَّهُ تُعْطَى
 تَيَقَّنْ أَنَّ أَمْرَكَ سَوْفَ يُقْضَى
 أَخُو الْهَمِّ الَّتِي تَحْكِي الْمَوَاضِي
 تَسَامَى مَجْدُهُ فَعَلَا مَحَلًّا

يَرَى بِالصَّبْرِ إِبْلَاحَ الْمَرَامِي
 مَقَالِي كَانَ أَصْدَقَ مِنْ حَذَامِ^(١)
 عَوَاقِبِ أَمْرٍ أَخْطَارِ عِظَامِ
 كَمَا يُغْنِي الرِّكَامُ عَنِ الْجَهَامِ
 عِنَايَتُهُ بِغَايَاتِ الْمَرَامِ
 زَهَتْ فِيهِنَّ أَزْهَارُ الْكَلَامِ
 لَتُعْجِبُنِي أَحَادِيثُ الْكِرَامِ
 لِقَرْمِ جُودِهِ كَالْغَيْثِ هَامِ
 وَلَا أَخْبِرْتُ إِلَّا عَنْ هُمَامِ
 وَكَفُّ مِنْهُ أُنْدَى مِنْ غَمَامِ
 فَهِنَّ الْيَوْمَ أَنْفَذَ مِنْ سِهَامِ
 كَمُفْتَرَضِ الصَّلَاةِ مَعَ الصِّيَامِ
 فَلَا يُقْضَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
 وَهِيَ هُوَذَا بَطِيءُ الْإِنْتِقَامِ
 فَمَا أَبَقْتُ يَدَاهُ مِنْ حُطَامِ
 قَدْ ازْدَحَمَتْ لَنَا أَيُّ ازْدَحَامِ
 مِنْ ابْنِ (الْمِصْطَفَى) خَيْرِ الْأَنَامِ
 إِذَا مَا شِمَّتْ مِنْهُ سَنَا ابْتِسَامِ
 وَتَفْتِكُ فَتَنُكَ خَوَاضِ الْقِتَامِ
 وَإِنَّ مَحَلَّ أَهْلِ الْمَجْدِ سَامِي

(١) حذام هي بنت العتيك بن أسلم، وهي زوجة لجيم بن صعب، وكانت ذكية حاذقة صادقة قامت عند الفجر فرأت القطا قد ترك مفاحصه وطار فأخبرت زوجها وأهلها أن عدواً أو سيلاً سيطر قههم. وقد وقع ذلك. فقال زوجها لجيم:

إذا قالت حذام فصدقوها
 فإن القول ما قالت حذام
 ولولا المزعجات من الليالي
 لما عاف القطا طيب المنام

والاسم حذام بكسر الميم معدول عن حاذمة. انظر لسان العرب مادة (حذم).

(٢) في الأصول: فرض. وهو من وهم النساخ.

(*) في الطبعة (١): (جوان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

جَمِيلُكَ قَاطِنٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ
طَمِئْتِ وَأَنْتِ يَوْمَ الْجُودِ بِحَرٍّ
وَمَنْ جَدُّوَاكَ كَمْ قَدْ سَالَ سَيْلٌ
لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا جِسَامًا
دَعَاكَ لِأَمْرِهِ الْمَوْلَى (علي^(١))
وَعُدَّتْ لَدِيهِ يَا عَيْنَ الْمَعَالِي

وَذِكْرُكَ سَارَ جَوَابَ^(*) الْمَوَامِي
وَيَحْرُكَ لَا يَزَالُ الدَّهْرَ طَامِي
فَرَوَى سَيْلٌ جُودَكَ كُلَّ ظَامِي
فَمَا أَهْدَاكَ لِلنُّعْمِ الْجِسَامِ
فَكُنْتَ وَأَنْتَ فِي أَعْلَى مَقَامِ
بِرَأْيِكَ نَاطِرًا أَمْرَ النُّظَامِ

(٦١)

عَدُّ عَمَّنْ لَجَّ فِي قَالٍ وَقِيلِ
وَأَعْدُ لِي ذِكْرَ مَنْ صَحَّ الْهَوَى
فَقَدْ الصَّبْرَ مَعَ الْوَجْدِ فَمَا
مَنْ قُدُودٍ طَعَنْتَ طَعْنَ الْقَنَا
دَنْفٌ لَوْلَا تَبَارِيحُ الْجَوَى
كَلَّمَا شَامَ سَنَا بَارِقِهِ
إِنَّ مَا أُضْرِمَ فِي أَحْشَائِهِ
وَإِذَا هَبَّتْ بِهِ رِيحٌ صَبَّأَ
كَبِيدٌ حَرَّى وَدَمْعٌ وَكَفُّ
لَوْ تَرَاهُ إِذْ نَأَتْ أَحْبَابُهُ
لَا تَسْلُ عَنْ مَا جَرَى كَيْفَ جَرَى
أَيَّ يَوْمٍ يَوْمَ سَارَتْ عَيْسُهُمْ
وَتَرَانِي بَعْدَهُمْ أَشْكَو الْأَسَى
وَيَرْسُمُ الدَّارَ مِنْ أَطْلَالِهِمْ

أَنَا لَا أَصْغِي إِلَى قَوْلِ الْعَذُولِ
مِنْهُ بِالطَّرْفِ^(*) وَبِالْجِسْمِ الْعَلِيلِ
لَاذًا بِالصَّبْرِ عَنِ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ
وَلِحَاطِ فَتَكَتَ فَتَكَتِ النُّصُولِ
مَا قَضَى الْوَجْدُ عَلَيْهِ بِالنُّحُولِ
جَدُّ جَدُّ الْوَجْدِ بِالدَّمْعِ الْهَمُولِ
مَنْ خَلِيلٍ فِي الْهَوَى نَارُ الْخَلِيلِ
رَاحَ يَسْتَشْفِي عَليُّ بَعْلِيلِ
فَهُوَ مَا بَيْنَ حَرِيْقٍ وَسُيُولِ
تَطَّأُ الْأَرْضَ بِوَحْدٍ وَذَمِيلِ
سَائِلُ الدَّمْعِ عَلَى الْخَدِّ الْأَسِيلِ
وَدَعَا دَاعِي نَوَاهِمُ بِالرَّحِيلِ
لِبَقَايَا مِنْ رُسُومٍ وَطُلُولِ
مَا بِجِسْمِي مِنْ سَقَامٍ وَنُحُولِ

(١) هو علي رضا باشا اللاظ الوزير، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

(*) في الطبعة (١): (بالطرق) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

بخلوا بالوصلِ لَمَّا أَعْرَضُوا
 لَيْتَ شِعْرِي وَلَكُمْ أَشْكَو إِلَى
 لَا أَرَى الْمَحْنَةَ كَالْحَبِّ وَلَا
 بِأَبِي مَنْ أَخَذَتْ أَحْدَاقُهُ
 وَشِفَائِي قُرْبُ مَنْ أَسْقَمَنِي
 هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَحْدَاقَ الْمَهَا
 يَا دِيَاراً لِأَحِبِّاءٍ نَأَتْ
 كَانَ رَوْضُ الْعَيْشِ فِيهَا يَانِعاً
 بِمُدَامٍ أَشْرَقَتْ أَفْدَاحُهَا
 وَشَدَتْ وَرْقَاءً فِي أَفْنَانِهَا
 حَبْبُذَا اللَّهْوِ وَأَيَّامُ الصُّبَا
 وَنَدَامِي نَظَمْتُهُمْ سَاعَةً
 عَلَّلَانِي بَعْدَهَا عَنْ عَوْدِهَا
 إِذْ مَضَتْ وَهِيَ قَصِيرَاتُ الْمَدَى
 جَاهِلَ اللَّائِمُ مَا بِي وَرَأَى
 لَا يَنَالُ الْحَمْدَ فِي مَدْحِي لَهُ
 وَأَرَانِي وَالْحَاجِجَا مِنْ أَرْبِي
 كَلَّمَا أَنْظَمْتُهَا قَافِيَةً
 وَعَلَى خِفَّتِهَا فِي وَزْنِهَا
 بَالِغٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّبِي
 لَا يُرِينِي الْعَيْشَ إِلَّا رَعْداً
 يَنْظُرُ النُّجْمَ إِلَى عَلِيَّائِهِ
 يَرْتَقِيهَا دَرَجَاتٍ فِي الْعُلَا
 قَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِهِ حُسَّادُهُ
 نُسِبَ الْجُودُ إِلَى رَاحَتِهِ
 وَرَوَى نَائِلُهُ عَنْ سَيِّبِهِ

وَمَنْ الْبَلَوَى نَوَالٌ مِنْ بَخِيلٍ
 بَارِدِ الرِّيْقَةِ مِنْ حَرِّ الْغَلِيلِ
 كَالهَوَى لِلصَّبِّ مِنْ دَاءٍ قَتُولِ
 مُهْجَةِ الْوَامِقِ بِالْأَخْذِ الْوَبِيلِ
 بِسَقَامِ الطَّرْفِ وَالخَصْرِ النَّحِيلِ
 خَلَقَتْ حِينِئْذٍ سِحْرَ الْعُقُولِ
 الْإِنَاءِ عَنْكَ يَوْمًا مِنْ وُصُولِ؟
 قَبْلَ أَنْ أَدْنَ عَوْدِي بِالذُّبُولِ
 بَزَعْتَ كَالشَّمْسِ فِي ثُوبِ الْأَصِيلِ
 أَوْتَيْتَ عِلْمًا بِمَوْسِيقَى الْهَدِيلِ
 وَشَمَالٌ وَكُوُوسٌ مِنْ شَمُولِ
 وَقَعْتَ مِنَّا بِأَحْضَانِ الْقَبُولِ
 بِمِرَامٍ غَيْرِ مَرْجُوِّ الْحُصُولِ
 فَلَهَا طَالَ بِكَائِي وَعَوِيلِي
 أَنْ يَفِيدَ الْعِلْمَ نُصْحًا مِنْ جَهُولِ
 مِنْ يَعُدُّ الْفَضْلَ مِنْ نَوْعِ الْفُضُولِ
 فِي عَرِيضِ الْجَاهِ ذِي الْبَاعِ الطَّوِيلِ
 تَنْظُمُ الْإِحْسَانِ فِي قَوْلِ مَقُولِ
 تَطَأَ الْحُسَّادَ بِالْقَوْلِ التَّقْوِيلِ
 مِنْ (أَبِي عَيْسَى) نَوَالًا مِنْ مُنِيلِ
 فِي نَعِيمٍ مِنْ جَمِيلِ (ابْنِ الْجَمِيلِ)
 نَظَرَ الْمُعْجَبَ بِالطَّرْفِ الْكَلِيلِ
 فَتَرَى الْحَاسِدَ مِنْهَا فِي نُزُولِ
 وَأَنْتَنَى عَنْهُمْ بِبَاعِ مُسْتَطِيلِ
 نِسْبَةَ السِّحْرِ إِلَى الطَّرْفِ الْكَحِيلِ
 مَا رَوَى الرَّيُّ عَنِ الْغَيْثِ الْهَطُولِ

كَادَ أَنْ تَمَزَّجَهُ رِقَّتُهُ
 أَيُّهَا الْأَخِذُ عَنْ أَبَائِهِ
 مَكْرُمَاتٍ جِئْتُ لِلنَّاسِ بِهَا
 هَذِهِ النَّاسُ الَّتِي فِي عَصْرِنَا
 شَرَفٌ أَوْضَحُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
 إِنَّ هَزْرَنَّاكَ هَزْرَنَّا صَارِمًا
 أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ الْعِزَّ الَّذِي
 دَائِمَ النِّعْمَةِ مُنْهَلِّ الْحَيَا
 فَلِنَعْمَائِكَ عِنْدِي أَثَرٌ
 لَوْ شَكَرْتُ الدَّهْرَ مَا خَوَّلْتَنِي
 إِنَّمَا أَنْتُمْ غِيوْثٌ فِي النَّدَى
 نُجَبَاءٌ مِنْ كِرَامِ نُجَبِ
 الْبَسُونِي الْفَخْرَ فِي مَدْحِي لَهُمْ
 وَأَرُونِي الْعِزَّ خَفْضًا عَيْشُهُ
 زَيْنُوا شِعْرِي بِذِكْرِي مَجْدَهُمْ
 إِنَّهُمْ فَضْلٌ وَبِئْسَ وَنَدَى
 وَزَكَتْ أَعْرَاقُهُمْ مِنْذُ نَمَتْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَدْ أَنْفَقُوا
 أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَادَّخَرُوا
 تَخَلَّقَ الدَّهْرَ وَتَكَسَّوْا جِدَّةً
 يَا نُجُومًا أَشْرَقَتْ فِي أَفْقِنَا
 أَنْتُمْ الْكَنْزُ الَّذِي أَنْخَرَهُ
 وَإِلَيْكُمْ يَنْتَهِي لِي أَمَلٌ
 كَمْ وَكَمْ لِي فِيكُمْ مِنْ مِدْحٍ
 فَمَتَى أَغْدُو إِلَى إِحْسَانِكُمْ
 لَمْ أزلْ أَحْظَى لِدَيْكُمْ بِالْغِنَى

بِنَسِيمٍ مِنْ صَبَا (نَجْدٍ) بَلِيلٍ
 سُنَّنَ الْمَعْرُوفِ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
 عَجَزَتْ عَنْهَا فَحُولٌ مِنْ فَحُولٍ
 مَا رَأَيْنَا لَكَ فِيهِمْ مِنْ مَثِيلِ
 لَيْسَ يَحْتَاجُ سَنَاها لِدَلِيلِ
 يَفْلِقُ الْهَامَ بَرِيًّا مِنْ فُلُولِ
 كَانَ مِنْ أَشْرَفِ أَمْوَالِي وَسُولِي
 مُورِدِ الظَّامِي بَعْدَ سَلَسَبِيلِ
 أَثَرُ الْوَابِلِ فِي الرُّوضِ الْمُحِيلِ
 لَا أَفِي حَقِّ كَثِيرٍ مِنْ قَلِيلِ
 وَإِذَا كَانَتْ وَغَى أَسَادُ غِيلِ
 وَالْكَرَامُ النُّجَبُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ
 وَكَسَوْنِي كُلَّ فَخْضِ الْذَيْلِ
 وَالرَّدَى أَهْوَنُ مِنْ عَيْشِ الذَّلِيلِ
 فِي أَعَارِيضِ فَعِيلٍ وَفَعُولِ
 زِينَةُ الْإِفْرِنْدِ لِلْسَيْفِ الصَّقِيلِ
 بِفُرُوعِ زَاكِيَاتٍ وَأُصُولِ
 لِيَتَامَى وَلِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ
 حَسَنَاتِ الذِّكْرِ فِي الْمَجْدِ الْأَثِيلِ
 وَتُعِيدُ الذِّكْرَ جَيْلًا بَعْدَ جَيْلِ
 لَا رِمَاكَ اللَّهُ يَوْمًا بِالْأَفُولِ
 لِلْمُلَمَّاتِ مِنَ الْخَطْبِ الْجَلِيلِ
 كَادَ أَنْ يُطْمَعَنِي بِالْمُسْتَحِيلِ
 رَفَعَتْ ذِكْرِي بِكُمْ بَعْدَ الْخُمُولِ
 إِنَّمَا أَغْدُو إِلَى ظِلِّ ظَلِيلِ
 وَالْعَطَاءِ الْجَمِّ وَالْمَالِ الْجَزِيلِ

ضَحِكَ الْبَرْقُ فَأَبْكَانِي دَمَا
وَأَهَاجَ الْوَجْدُ فِي إِيْمَاضِهِ
مَا أَرَى دَائِي إِلَّا لَوَعَةً
مِنْ سِنَا لَاحٍ وَمِنْ بَرْقٍ أَضَا
فَكَأَنَّ الْبَرْقَ فِي جُنْحِ الدُّجَى
بَاحَ فِي الْحُبِّ بِأَسْرَارِ الْهَوَى
يَا أُخْلَاتِي وَهَلْ مِنْ وَقْفَةٍ
أُنْشِدُ الدَّارَ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
وَجَرَى دَمْعِي لَهُ وَأَنْسَجَمَا
كَبِدًا حَرَّى وَقَلْبًا مُغْرَمَا
مَنْ حَشَا تُورَى وَمَنْ دَمَعِ هَمَى
مَا بَكَى الْوَامِقُ إِلَّا ابْتَسَمَا
أَلْبَسَ الظُّلْمَاءَ بُرْدًا مُعْلَمَا
وَأَبَى سِرُّ الْهَوَى أَنْ يُكْتَمَا
بَعْدَكُمْ بِ(الْجَزَعِ) مِنْ ذَاكِ الْحِمَى
نَاشِدًا أَطْلَالَهَا وَالْأَرْسَمَا

(١) السيد داود أفندي بن الحاج سعدي البغدادي، درس على علماء بغداد من آل السويدي ورافق أبا الثناء الألويسي مدة وأخذ عنه وتخرج به. وقد عينه الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكي مدرساً في المنتفق ومفتياً فيها سنة ١٢٦٩هـ = ١٨٥٣م ذكره إبراهيم الدروبي بقوله: «كان من العلماء الأعلام، أخذ من شتى العلوم نصيباً وافراً وحاز من فنون الأدب ما جعله في الطبقة الممتازة من مراجع الأدب، عرف بكثرة حفظه وحدة ذكائه وقوة ذاكرته، حفظ للعرب أخبارهم وحوادثهم وأيامهم ووقائعهم وأسواقهم ومآثرهم ولهذا عرف بحجة العرب وصار مرجع الناس والعشائر والقبائل والأفخاذ في أنسابهم وأحسابهم، وكانت له أبهة الملوك ويمتطي من الخيل جيادها». وهو الذي أنقذ سليمان فائق حين حاول أهل سوق الشيوخ قتله لما تشدد في الأمور الحسابية. وله شعر حسن ومنه قوله شاكرًا أستاذه أبا الثناء الألويسي حين زاره في مرضه:

لقد شرفت فيك الديار وأهلها
ولا غرو إذ أنت الرؤوف المشرف
وان تك للمرضى رعيت حقوقهم
فأنت لكل الخلق مولى ومسعف
ولا زلت محمود الفعال وقودة
ولا زلت بالجاني المقصر ترأف

وتصدر للتدريس والفتوى بجانب الكرخ وكان يصلي الجمعة في جامع الشيخ صندل، وهو واسع الثراء سخي اليد، يحب الأبهة توفي سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م ودفن في الكرخ قرب الشيخ داود الطائي. وهو والد السيد محمد رشيد السعدي صاحب كتاب قرة العين في تاريخ العراق والجزيرة والنهرين، وجد الأستاذ المحامي داود السعدي. انظر حديقة الورود ج ٢ الورقة ٢٥ و٦ مخطوط وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٤٤ ومباحث عراقية ق/ ٨٥ والبغداديون ٥٨ - ٥٩.

يا دياراً ب(الغضا) أعهدُها
سَوَّلْتُ لِلدَّمْعِ أَنْ يَجْرِيَ بِهَا
أَيْنَ سَكَّانُكَ لَا كَانَ النَّوَى
كَانَ عَهْدِي بِظِبَاءِ (الْمُنْحَنَى)
وَبِنَفْسِي بَيْنَ أُسْرَابِ الْمَهَا
إِنَّ فِي أَحْدَاقِ هَاتِيكَ الظُّبَا
وَمَلِيحِ بَابِلِي طَرْفُهُ
حَرَّمَ اللَّهُ دَمِي وَهُوَ يَرَى
كَمْ أَرَأَشْتُ أَسْهَمًا أَلْحَاطُهُ
أَشْتَهِي عَذْبَ ثَنَائِيهِ الَّتِي
وَصَلْتُ أَيَّامُهُ وَأَنْتَ قَرَضْتِ
عَلَّلَانِي بِعَسَى أَوْ رَبِّمَا
حَارَ حُكْمُ الْحُبِّ فِي الْحَبِّ فَمَا
لَيْتَهُ يَعْدُلُ فِي الْحَكْمِ بِنَا
أَيُّدِ اللَّهِ بِهِ السِّدِينَ أَمْرُؤُ
نَوْمَ زِيَا تُرْتَضَى أَطْلَعَهَا
بَلَغَ الرَّشْدَ كَمَا لَوْ وَحَجًّا
وَمَبَانِي الْمَجْدِ فِي أَفْعَالِهِ
نَاشِئٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَتَى
قَدْ عَلَا بِالْفَضْلِ فِي مَنْ قَدْ عَلَا

مَرَبُضَ الْأُسْدِ وَمِحْرَابِ الدُّمَى
وَقَضَّتْ لِلوَجْدِ أَنْ يَخْضَطِرْمَا
أَعْرَقَ الْبَيْنُ بِهِمْ أَمْ أَشْأَمَا؟
تَصْرَعُ الظَّبِيَّةُ فِيهِ الضَّيِّغَمَا
ظَالِمٌ لَمْ يَعْفُ عَمَّنْ ظَلِمَا^(١)
صَحَّةٌ تَوَرَّتْ جَسْمِي سَقَمًا
سَاحِرِ الْمُقْلَةِ مَعْسُولِ اللَّمَى
أَنَّهُ حَلَّ لَهُ مَا حُرِّمًا
يِيَالَهُ فِي الْحُبِّ مَنْ رَامَ رَمَى
جَرَعْتَنِي فِي هَوَاهِ الْعَلَقَمَا
أَفْكَانَتْ لَيْتَ شِعْرِي حُلْمًا
فَعَسَى تُغْنِي عَسَى أَوْ رَبِّمَا
أَنْصَفَ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلِمَا
عَدْلَ (دَاوُدَ) إِذَا مَا حَكَمَا^(٢)
كَانَ لِلدِّينِ بِهِ مُسْتَعْصَمَا
مَنْهُ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي أَنْجُمَا
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ فِيهَا الْحُلْمَا
قَدْ بِنَاهَنَّ الْبِنَاءَ الْمُحْكَمَا
لَمْ يَزَلْ بَرًّا رُوُوفًا مُنْعِمَا
وَسَمَا بِالْعِلْمِ فِي مَنْ قَدْ سَمَا

(١) في الأصول: ممن ظلما. وما أثبتناه هو الصواب.

(٢) تورية لطيفة بين اسم الممدوح والنبي داود عليه السلام وفيه إشارة إلى قوله تعالى: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط) سورة ص الآية (٢١ و٢٢).

كم وكم في من تولى أمره
 رجل لو ملك الدنيا لَمَا
 فإذا جاد فما ويل الحيا
 بسطت أيديه بالجود فما
 أظهر الحق بياناً وجلاً
 سيّد من (هاشم) إذ ينتمي
 واعظاً إن وعظ الناس اهتدت
 كما ألقى إلينا كلاماً
 تكشف الرآن عن القلب وما
 قوله الفصل وفي أحكامه
 إن قضى بالدين أمراً ومضى
 يحسم الداء من الجهل وكم
 نجم العلم به إذ نجما
 وبدين الله في أقرانه
 يدفع الباطل بالحق الذي
 واكتفى بالسمر عن بيض الظبي
 وجد الفضل به مفتاحاً
 علماء الدين أعلام الهدى
 إنما أنت لعمري واحد
 أنت أندى الناس إن تثرى ندى
 إن أيامك أعياد المني
 سيدي أنت وهما أنت لنا ال
 نظم الشعّر لكم داعيكم
 ذاكرًا من أنعم الله لكم

أعين قرت وأنف أرغما
 تركت أيديه شخصاً معدماً
 وإذا جادل خصماً أفحماً
 تركت ممّا اقتناه درهما
 من ظلام الشك ليلاً مظلماً
 لرسول الله أعلى منتمى
 لسبيل الرشيد من بعد العمى
 لفطت من فيه كانت حكماً
 تركت في الدين أمراً مبهماً
 ما يريك الحكم أمراً مبرماً
 أذعن الأبى له واستسأماً
 حسم الجهل به فانحسماً
 ونما الفضل به منذئماً
 لم أجيد أثبت منه قدماً
 يفلق الهام ويبري القمماً
 أعمد السيف وأجرى القلماً
 لا أرى في فقده مخرتماً
 كل فرد كان منهم عاماً
 ما رأينا لك فينا توأماً
 يا غماماً سحّ يا بحرأ طمى
 حيث كانت للأمانى موسماً
 عروة الوثقى التي لن تفضماً
 فتقبل فيك ما قد نظماً
 نعماً تسدي إلينا النعماً

(٦٣)

وقال مادحاً ومودعاً المشير محمد نامق باشا^(١) عند انفصاله عن ولاية بغداد
وتعيينه مشير المدفعية في الأستانة [وهي من الطويل]:

دعا مسرعاً في ما يروم مسابقا
عن السَّيرِ في تلك الإجابة عائقا
تحتُّ إلى المجد الجياد السَّوابقا
وما كان إلا في جنابك واثقا
رأكَ طبيباً للممالك حازقا
وعزم إذا استلَّ الطُّبى كان فالقا
بعيد المدى حتى عرفت الحقائقا
خلائق ما زالت تسرُّ الخلائقا^(٢)
وتخذلُ أعلاجاً له وبطارقا
ويكبتُ فيها ملجداً ومُنافقا
إذا استفتَح الإسلام فيه المغالقا
وأرسلت الشهب المنايا صواعقا
وسوسن أوراق الحديد شقائقا
وكم (أخرس) بالشَّعر أصبح ناطقا
ببأسك تكفيها الخطوب الطَّوارقا
فأنبتن بالذکر الجميل حدائقا

دعاك أمير المؤمنين وإنما
فلبيته لَمَّا دعاك ولم تجد
وقدمت للترحال عزمك التي
على ثقة منه بما أنت أهله
فكان إذا ما اعتلَّ أمر بملكه
برأي إذا هزَّ الأسننة واخز
نظرت بنور الله في كل غامض
وفيك مع الإقدام والبأس في الوعى
صلابة دين تُرغم الشرك أنفه
يسرُّ بها من كان بالله مؤمناً
ولا غرو من كان الفتوح بوجهه
إذا النقع أمسى عارضاً متراكماً
تحيل نهار الحرب أسود حالكا
فكم ناطق بالكفر أصبح أخرساً
جزيت جزاء الخير عن أهل بلدة
عرست من الإحسان فينا أيدياً

(١) نقل إلى وظيفة مشير المدفعية بإستانبول سنة ١٢٦٩هـ = ١٨٥٢م وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٢) الخلائق الأولى: جمع خليفة. وهي الصفة الحميدة من الأخلاق.

أَجَدْتَ نِظَامَ الْمُلْكِ حَتَّى كَانَتْهُ
 وَفَارَقْتَنَا بِالْكُرْهِ مِنَّا وَلَمْ تَزَلْ
 فَحَقَّ لِي (بِغَدَادِ) الْبِكَاءُ وَكَيْفَ لَا
 وَكَنْتَ بِنَا بَرًّا رُوُوفًا وَوَالِيًّا
 وَعَوْدَنَا مِنْكَ الْجَمِيلُ عَوَايِدًا
 فَدَبَّرْتَ مِنَّا رِقْعَةً مَا تَدَبَّرْتُ
 وَفِي مَا أَرَاكَ اللَّهُ إِصْلَاحَ شَأْنِهَا
 تُرُوقُ وَتَصُفُّوْا إِنْ كُودِرْتَ سَرِيرَةٌ
 فَسِرِّ فِي أَمَانِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ طَارِقٍ (١)
 إِلَى مَلِكٍ تَحْظَى (***) لَدَيْهِ بِحُظُوءٍ
 تَكُونُ بِمَرَأَى مِنْ عُلَاهُ وَمَسْمَعٍ
 إِذَا كُنْتَ مِنْ سُلْطَانِنَا بِمَكَانَةٍ
 عَلَيْكَ وَلَا رَيْبُ بِذَلِكَ اعْتِمَادُهُ
 عَزَمْتَ إِلَيْهِ بِالرَّحِيلِ وَطَالَمَا
 وَشَاقَكَ مِنْهُ حَاضِرَةٌ مَلَكِيَّةٌ
 سَتُرَزَّقُ مِنْ ثَمِّ السَّعَادَةِ كُلِّهَا
 وَفِيكَ مَعَ الْإِقْدَامِ وَالْبِئْسِ سَطْوَةٌ
 فَمَا وَجَدَ السُّلْطَانُ مِثْلَكَ نَاصِحًا

من الحُسن أضحي لؤلؤاً مُتناسقا
 حميدَ السَّجَايا مُقبِلاً ومُفارقا
 وقد فارقَتْ فخرَ الوزارَةِ (نامِقا)
 عَطُوفًا وَبَحْرًا بِالْمَكَارِمِ دَافِقا
 إِذَا عُدَّتِ الْعَادَاتُ كُنَّ خَوَارِقا
 وَكَمْ فَرَزَنْتَ (*) أَيْدِيكَ فِينَا بِيَادِقا
 سَدَدْتَ عَلَى أَهْلِ الْفَسَادِ الطَّرَائِقا
 فَلَوْ كُنْتَ مَاءً كُنْتَ إِذْ ذَاكَ رَائِقا
 مُهَمٌّ فَلَا تَخْشَى مَعَ الْأَمْنِ طَارِقا
 بَنَيْتَ بِهَا فَوْقَ النُّجُومِ سُرَادِقا
 فَتَتَّخِذُ الْبُشْرَى رَفِيقًا مُوَافِقا
 فَقَدْ أَمِنَ السُّلْطَانُ فَيْكَ الْبَوَائِقا
 كَمَا اعْتَمَدَ الْمَرْءُ الْجِبَالَ الشَّوَاهِقا
 قَطَعْتَ إِلَى الْأَمْرِ الْمُهِمِّ الْعَوَائِقا
 وَمَا كُنْتُمْ إِلَّا مَشُوقًا وَشَائِقا
 فَتَحْمَدُ رِزَاقًا وَتَشْكُرُ خَالِقا
 تُعِيدُ فَوَادَ الدَّهْرِ بِالرَّعْبِ خَافِقا
 وَلَا وَجَدَ السُّلْطَانُ مِثْلَكَ صَادِقا

(*) فرزن: الفرزان؛ من لعب الشطرنج، أعجمي معرب، وجمعه فرازين. انظر: لسان العرب. مادة (فرزن).

(١) في الأصول: من كان طارق.. وهي من وهم النساخ وما أثبتناه أولى.

(**) في الطبعة (١): (تخطى) وهو خطأ طباعي.

دَنَفٌ ذُو مُهْجَةٍ فِي الْحَبِّ تَصُدَا
 أَمْطَرَتْ أَدْمُعُهُ وَبَلَّ الْحَايَا
 مُغْرَمٌ أَخْفَى الْهَوَى عَنْ عَاذِلٍ
 فَتَكَتْ أَعْيُنُهَا الْغَيْدُ بِهِ
 كَيْفَ يَسْتَطِيعُ اصْطِبَاراً وَهُوَ لَا
 لَا تَلْمَنِي فَصَبَابَاتُ الْهَوَى
 عَبْرَةٌ أَهْرَقْتُهَا مِنْ أَعْيُنٍ
 وَبِمَا قَاسَيْتُ مِنْ حَرِّ الْجَوَى
 أَنْحَلَّ الْحُبُّ ذَوِيهِ فَاغْتَدَتْ
 كَلِّمًا يَفْقَرُ مِنِّْي عَاذِلٌ
 كَلِّمًا زَيْدَ مَلَاماً زَادَ وَجِدًا^(*)
 وَهُوَ يَشْكُو مِنْ لَطَى الْأَشْوَاقِ وَقَدْ
 فِي الْهَوَى الْعَذْرَى مَا أَخْفَى وَأَبْدَى
 وَرَمَتْهُ أَسْهُمُ الْأَحَاظِ عَمْدًا
 يَجِدُ الْيَوْمَ مِنَ الْأَشْوَاقِ بُدًّا
 جَعَلَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ اللُّومِ سَدًّا
 أَلْفَتْ فِي هَجْرهَا لِلْغَمِّضِ سَهْدًا
 فِي غَرَامٍ مَدَّ سَيْلَ الدَّمْعِ مَدًّا
 مِنْ مَعَانَاةِ الضَّنَى عَظْمًا وَجِدًّا
 بِمَلَامٍ قَلْتُ لِلْعَاذِلِ بُعْدًا

(١) القاضي الشيخ عبد الحميد ابن القاضي عبدالله بن محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبدالنافع الرحبي الموسوي الحنفي، تولى قضاء البصرة من سنة ١٢٤٥هـ إلى وفاته سنة ١٢٤٧هـ. وله كتاب في الدفاع عن الصحابة سماه (الزلزلة العظمى) رد فيه على سليمان البحراني. ألفه بطلب من عزيز آغا متسلم البصرة، وله كتاب (المنظومة السراجية) وله (نظم تنوير الأبصار) في الفروع بأربعة مجلدات وله (نظم منار الأنوار) في الأصول. وكانت له صلوات طيبة مع علماء وأدباء عصره وقد مدحه الشاعر السيد عبدالجليل الطباطبائي البصري بقصيدة جاء فيها:

يا إماماً أجاد فصل الخطاب
 وكريماً حاز المعالي إرثاً
 لا يليق الجفا وقد رق طبع

فتأجابه الشيخ عبدالحميد:

يا حبيباً وافى على الأحباب
 وقديماً حاز السيادة قدماً
 وأدبياً من فيضه انتهل

توفي في البصرة سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٢١م. انظر ديوانه الخل والخليل ص٦٤ مخطوط وهدية العارفين / ١
 ٥٠٦ والآثار الخطية / ٢ / ١٢ و٤٨٨ وفهرس مخطوطات الأوقاف / ١ / ٣٦ والبغداديين ص٨٨ و١٣٦ وفيه
 عبدالحميد بن محمود.

(*) في الطبعة (١): (وحدا) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

رُبَّ لَيْلٍ أَطْبَقَتْ ظُلُمَاؤُهُ
بِتُّ لَا أَسْتَطِيعُ الْغَمُضَ بِهِ
أَذْكَرُ الْأَعْصَانَ مِنْ بَانَ (النَّقَا)
وَمَعَ السَّرْبِ الَّذِي مَرَّبْنَا
مَنْ مَعِيدٌ لِي أَيَّامًا (*) مَضَتْ
أَهْصِرُ الْغُصْنَ إِذَا مَا كَانَ قَدًّا
كَمْ أَهَاجُ الشُّوقُ مِنْ وَجَدٍ بِهَا
وَجَرَى دَمْعِي مِنَ الْوَجْدِ فَمَا
خَبَّرَانِي بَعْدَ عِرْفَانِي بِهَا
أَيْنَ قَطَانُكَ فِي عَهْدِ الصَّبَا
يَوْمَ سَارَتْ عَنْكَ لِلرَّكْبِ بِهِمْ
قَدْ ذَكَّرْنَا عَهْدَكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ
وَلَوْ أَنَّ الْوَصْلَ مِمَّا يُشْتَرَى
وَقُصَارَى مُنْيَةِ الصَّبِّ بِكُمْ
فَسَقَاكُمْ وَسَقَى أَرْبِعَكُمْ
وَإِذَا مَرَّتْ بِكُمْ رِيحُ صَبَاً
زَارَنِي الطَّيْفُ فَمَا أَشْفَى (** جَوَى
مَا عَلَيْهِ لَوْ تَرَشَّفْتُ لَمَى
نُسِبَ التَّشْبِيبُ فِي الْحَبِّ إِلَى
وَالِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) أَنْتَسَبْتُ
عَالِمَ (الْبَصْرَةِ) قَاضِيهَا الَّذِي
قَوْلُهُ الْفَصْلُ وَفِي أَحْكَامِهِ

تَحْسَبُ الشُّهْبَ عَيْوناً فِيهِ رُمْدَا
وَأَوَارِي عَبَّرْتِي أَنْ تَتَّبِدِي
كَلَّمَا أذْكَرُ مِنْ هَيْفَاءَ قَدًّا
رَشَاءً يَصْرَعُ بِالْأَلْحَاطِ أُسْدَا
كَانَ فِيهَا الْغَيُّ لَوْ أَنْصَفْتَ رُشْدَا
وَأَشْمُ الْوَرْدِ إِذَا مَا كَانَ خَدًّا
كَلَّمَا جَدَّدَهُ الذُّكْرُ اسْتَجَدًّا
يَمْلِكُ الطَّرْفُ لَجَارِي الدَّمْعِ رَدًّا
كَيْفَ أَقْوَتِ دَارُ سَعْدِي بَعْدَ سَعْدِي (١)
يَا مَرَاحاً كَانَ لِلْهُوِّ وَمَعْدِي
مُشْمَعَلَاتٌ تَقْدُّ السَّيْرَ قَدًّا (٢)
هَلْ ذَكَرْتُمْ بَعْدَنَا لَلْوَدِّ عَهْدَا
لَا شَتْرَيْنَا وَصَلَاكُمْ بِالرُّوحِ نَقْدَا
مَطْلَبُ جَدِّ بِهِ الْوَجْدُ فَأَكْدِي
مِنْ قَطَارٍ حَامِلٍ بَرْقاً وَرَعْدَا
حَمَلْتُ رِيحَ الصَّبَا شَيْحاً وَرُنْدَا
مِنْ حَشَا الصَّادِي وَلَا نَوْلَ رِفْدَا
مُزْجَتْ رِيْقَتُهُ خَمْرًا وَشَهْدَا
ذَلِكَ الْحُسْنُ فَكَانَ الْهَزْلُ جَدًّا
عُرِّرُ الشُّعْرَ لَهُ شُكْرًا وَحَمْدَا
لَا تَرَى فِيهَا لَهُ فِي النَّاسِ نِدًّا
يَدْحَضُ الْبَاطِلَ وَالْخَصْمَ الْأَدَّا

(*) في الطبعة (١): (إذا ما) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١) أقوت: خلت وقفرت.

(٢) المشمعل: السريع يكون في الناس والإبل. يقال: ناقة مشمعة وامرأة مشمعة. لسان العرب مادة (شمعل).

(**) في الطبعة (١): (أشوى) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

إِذْ يُرِيكَ الْحَقَّ يَبْدُو ظَاهِرًا
 أُوجِبَ الشُّكْرَ عَلَيْنَا فَضَّلَهُ
 سَيِّدُ إِحْسَانُهُ فِي بَرِّهِ
 وَبِأَمْرِ اللَّهِ قَاضٍ إِنْ قَضَى
 ثَابِتُ الْجَاشِ شَدِيدُ رُكْنُهُ
 سَيِّدٌ مَنْ سَيِّدٍ إِذْ يَنْتَمِي
 أَلْ بَيْتٍ لِبَسْوَا ثَوْبِ التُّقَى
 هُمْ أَغَاطُوا بِالَّذِي يَرْضَوْنَهُ
 نَلَّلُوا الصَّعْبَ وَقَادُوا لِلْعُلَا
 هَلْ تَرَى أْبَعَدَ مِنْهُ مَنْظَرًا
 بَاسِطُ أَيْدِيهِ لِمَا خُلِقَتْ
 عَدْدًا لِي نِعْمَةَ اللَّهِ بِهِ
 مَكْرُمَاتٍ لِأَيْدِيهِ الَّتِي
 حَبَّبْنَا (البصيرة) فِي أَيَامِهِ
 وَجَمِيلُ الذِّكْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ
 تَوَامُّ الْمَجْدِ فَرِيدٌ فِي الْحِجَا
 بِيَمِينِ الْحَقِّ سَيْفٌ صَارِمٌ
 طَالَمَا أَلْقَتْ إِلَيْهِ كَلِمًا
 فَتَرْنَمَتْ بِهَا قَافِيَةً
 وَكَفَانِي صَوْلَةَ الْهَمِّ امْرُؤٌ
 رَعْدُ الْعَيْشِ لِمَنْ فِي ظِلِّهِ
 كَلَّمَا يَلْحَظُنِي نَاطِرُهُ
 بِأَبِي أَفِيدِهِ مِنْ قَاضٍ بِهِ

لَازِمًا فِي حُكْمِهِ لَا يَتَعَدَّى
 فَمَنْ الْوَاجِبِ (*) عِنْدِي أَنْ يُؤَدَّى
 لَمْ يَزَلْ مِنْهُ إِلَى الْعَافِينَ يُسَدَّى
 كَانَ أَمْضَى مِنْ شَفِيرِ السَّيْفِ حَدًّا
 إِذْ تَخَرُّ الرَاسِيَاتُ الشَّمُّ هَدًّا
 أَكْرَمُ النَّاسِ أَبًا فِيهِمْ وَجَدًّا
 تَلْبَسُ الْفَخْرَ (نزاراً) وَ(مَعَدًّا)
 زَمْنَا - تَشَقَّى بِهِ الْأَحْرَارُ - وَغَدَا
 حَيْثُ مَا انْقَادَتْ لَهُمْ قُودًا وَجُرْدَا
 أَوْ تَرَى يَوْمئِذٍ أَتَّقِبَ زَنْدَا
 دِيمًا مَا بَرِحَتْ بِالْجُودِ تَنْدَى
 أَنَا لَا أُحْصِي لَهُ النِّعْمَاءَ عَدًّا
 تَرَكْتُ بِالْبِرِّ حُرَّ الْقَوْمِ عَبْدَا
 لَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ عَلَيْهِ فَفُقْدَا
 سَارَ فِي أَقْطَارِهَا غَوْرًا وَنَجْدَا
 جَامِعُ الْفَضْلِ بَرَاهُ اللَّهُ فَرْدَا
 يَجْعَلُ الْبَاطِلَ فِي غَرْبِيهِ غِمْدَا
 أَوْرَثَتْ مَا لَمْ يَرِثُهُ النَّثْرُ خُلْدَا
 نُظِمَتْ فِي جِيدِ هَذَا الدَّهْرِ عِقْدَا
 جَاعِلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَمِّ سَدًّا
 عَاشَ طَوْلَ الدَّهْرِ بِالْأَفْرَاحِ رَعْدَا
 عَكْسَ الْأَمْرِ فَكَانَ النَّحْسُ سَعْدَا
 صَرْتُ فِي رَاقِفَتِهِ مِمَّنْ يُفْدَى

(*) في الطبعة (١): (الواجد) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

إِنَّ مَنْ أَخْلَصَ فِيكُمْ وَدَّه
نَاطِلُكُمْ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى
فَهُوَ مُهْدِيهَا إِلَيْكُمْ عَبْدُكُمْ

مَخْلَصٌ فِي حُبِّهِ الْأَمْجَادَ وَدَا
مَدْحًا تَرْفَعُ لِي بِالْفَخْرِ مَجْدًا
فَتَقَبَّلْ مَا إِلَيْكَ الْعَبْدُ أَهْدَى

(٦٥)

وقال مادحاً الأمير سالم^(١) إمام مسقط ويهنيه بالظفر على عمه الأمير تركي بن

اليوم أصبح فيك الوقت مُنْتَظِماً
أَمَسْتُ (عُمانُ) وَأَنْتَ الشَّهْمُ سَيِّدُهَا
مُدَّتْ إِلَيْهَا يَدُ الْجَانِي فَمَا ظَفِرْتُ
مِنْ بَعْدِ مَا هَاجَ شَرًّا مِنْ مَكَانَتِهِ
تَمَسَّكَ بِحِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ طَمَعٍ
فَلَمْ يُوَفِّقْ إِلَى نَجْحِ يَوْمِهِ
لَمْ يَهْدِهِ الرَّأْيُ إِلَّا لِلضَّلَالِ وَلَا
أَضَلَّ مَسْعَاهُ (تُرْكِي) فِي غَوَايَتِهِ
نَصَحَتُهُ وَبَذَلَتْ النُّصْحَ تُنْذِرُهُ
فَمَا ارْعَوَى لَكَ عَنْ وَهْمِ تَوْهَمِهِ
أَرَادَ فِي زَعْمِهِ أَنْ يَسْتَطِيلَ عَلَى
وَكَانَ غَايَتُهُ الْحِرْمَانُ يَوْمئِذٍ
خَيْرَتُهُ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ فِي نِعَمٍ

وهونَ الله أمراً كان قد عَظِماً
لَا يُسْتَبَاحُ لَهَا فِي الْحَادِثَاتِ حِمَى
إِلَّا بِمَا أَعْقَبَ الْخُسْرَانَ وَالنُّدْمَا
وَكَادَ يُوَقِّدُ فِي أَطْرَافِهَا ضَرْمًا
وَمُورِدًا مِنْ سَرَابٍ لَا يَبْلُغُ ظِلْمَا
وَالْمَرْءُ إِنْ فَقَدَ التَّوْفِيقَ أَوْ عَدِمَا
يَزِيدُهُ عَدَمُ التَّوْفِيقِ غَيْرَ عَمَى
كَأَنَّهُ اخْتَارَ عَنْ وَجْدَانِهِ الْعَدَمَا
مُسْتَعْمَلًا بِالنَّذِيرِ السَّيْفِ وَالْقَلَمَا
كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ عَنِ نَاصِحِ صَمَمَا
(عُمانُ) قَهْرًا فَلَمْ يَظْفِرْ بِمَا زَعَمَا
وَلَوْ أَطَاعَكَ وَاسْتَرْضَاكَ مَا حُرِمَا
وَلَمْ يَكُنْ تَمَّ مِمَّنْ يَشْكُرُ النُّعَمَا

(١) الأمير سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان بن الإمام البوسعيدي، سلطان مسقط وعمان، قتل أباه سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م وتولى الحكم من بعده، فتمرد على عمه تركي بن سعيد بن سلطان، وكان يحكم عمان في عهد أخيه ثويني فانتهصر سالم على عمه تركي. ورحل تركي إلى الهند، وأقام فيها إلى أن آل الأمر إلى (عزان بن قيس) فعاد تركي إلى مسقط وثار على عزان وساعده بعض النجادة فقتل عزان واستولى على أكثر مملكة عمان وتوفي سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٨م. الأعلام ٢/ ٦٦ و٨٩ وفيه مصادر أخرى.

وجاء يطلبُ مُلكاً منك ليس له
حتى إذا^(*) كان لا يُصغي إلى حَكْمٍ
قضى لك السيفُ في ما قد قُضِيَ ومضى
وما تجاوزتِ الإنصافَ شَفَرَتُهُ
وقالتِ الناسُ باديها وحاضِرُها
أنزلتُهُ من مَنيعاتِ الحُصونِ ولو
أراد مُستَعصماً فيه ومُعْتَصِماً
ولم يجدُ سلماً يرقى السَّماءَ به
وإنه قَبْلَ إعطاءِ الأمانِ له
وغيرُهُ من دَعاهُ في خِيانَتِهِ
أذقتُهُ العَفوَ حلواً عن جِنايَتِهِ
عَفَوْتُ عنه ولكنَّ عَفوَ مُقْتَدِرٍ
وما هتكتَ وأيمُ الله حُرْمَتُهُ
وربِّما لامَكَ اللَّوامُ عن سَفَهٍ
أما وربُّكَ لو أربى طَغَى وبَغَى
رَحِمَتُهُ ولو استَوَلَّى عليكَ لَمَّا
أراد ربُّكَ أنْ تعفو بقدِرتِهِ
واللهُ يَعْلَمُ والدنيا بأجمَعِها
لا زالَ يولي جَميلاً من صنائِعِهِ
من سيِّدٍ بالغِ رُشدِ الشيوخِ نُهى

فقيلَ خصمان في إرثِ العلا اختَصَما
حكمتُما الصَّارمَ الهنديَّ بينكما
فيا له حَكَمًا عدلاً^(**) إذا حَكَمَا
وما أضلَّ بمظلومٍ وإنْ ظلَّما
ما جارَ (سالمٌ) في حُكْمٍ ولا ظلَّما
تركتَ (تركي) رهينَ الحِصنِ ماتَ ظلَّما
وما رأى في منيعِ الحِصنِ مُعْتَصِماً
ولو رمى نفسه في البَحْرِ لالتَقَما
ما استَشعرَ الموتَ حتى استَشعرَ النِّدما
فجاءها عَقباتِ الموتِ وأقتَحَما
وكان عَفْوُكَ عَمَّنْ قد جنى كراماً^(***)
والعفوُ أقربُ للتَّقوى كما علما^(١)
وكان عندكَ حتى زالَ، مُحْتَرِماً
وقد يلومُكَ بينَ الناسِ من لَوْما
وما عفاً مثلما تعفو بل انتَقَما
أبقى عليكَ ولم يلحقْ بمن رَحِما
ليُظهِرَ الفضلَ والتَّمييزَ بينكما
لو نالَ من (سالمٍ) (تركي) لما سلِّما
وهكذا كَرَمُ الشَّهْمِ الذي كَرِّما
رضيعِ ثديِ المعالي قبلَ أنْ فُطِّما

(١) أخذه من قوله تعالى: (... وأن تعفوا أقرب للتقوى) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(*) في الطبعة (١): (ذا) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (حكّم عدل) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(***) في الطبعة (١): (كراما) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

تبارك الله ما أبهى سنأه فتى
الثابت الجأش في سلم ومعترك
الباسم الثغر والهيأء عابسة
فمن صدور العوالي ما يرى وصبا
تساهما هو والجذ السعيد بما^(٢)
ويا له ولد^(*) أعنيه من ولد
تحفه من (عمان) سادة نجب
يحمون سيدهم من كل نازلة
ولم يكن غير الحامي لحوزتها
تبيت لا كملوك (الهند) تكلوها
لولا وجودك هذا الداء ما حسما
لطف من الله فيك الله أظهره
وافت إلينا فوافت بالسرور كما
سرت بها (البصرة الفيحاء) وأبتهجت
بشارة عمم الدنيا مسرتها
قد يسر الله أمرا أنت فاعله^(****)
لا زلت بالجد والإحسان مبتدرا
فمن مزاياك ما تكسو النجوم سنا
ولم أزل كلماتي فيك أنظمها

كالنجم يهدي سبيل الرشد مذ نجما
في موطن الفخر قد أرسى له قدما
والسيف يقطر من هام الكمة دما^(١)
ومن نفوس المعالي ما شفى سقما
حازاه من كرم الأخلاق وأقتسما
أحيا له ذكره الماضي وإن قدما
تسمو لهم في سماوات العلاء سما
بفصيل يفلق^(**) الهامات والقما
إذا أدلهم من الأخطار ما دهما
ترعى الأسود وهم يرعونها غنما
وذلك الصدع لولا أنت ما التما
من بعد ما كان سر اللطف مكتما
ندعو من الله فيها فاغرين فما
منها النفوس وأنف الضد^(***) قد رغا
واهتر منها العلاء والمجد وابتسما
وإن لله في تقديره حكما
كالغيث حيث همى والبحر حيث طمى
ومن عطايك ما قد يخجل الديما
كما تتابع قطر المزن وأنسجا

(١) فيه تلميح إلى قول أبي الطيب المتنبي:

تمر بك الأبطال كمي هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم

شرح الديوان ٣/ ٢٨٧.

(٢) الجد: هنا تورية. بمعنى جده واسمه سعيد بن سلطان. والجد السعيد تعني الحظ السعيد.

(*) في الطبعة (١): والطرار الأنفس (ولد) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (يغلق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الصند) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (فعله) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٦٦)

وقال مادحاً السيد حسام الدين أفندي الحلبي القدسي^(١) قائمقام البصرة [وهي

ما أنت^(*) أوَّلُ مُغْرَمٍ مَفْتُونٍ
وَجَنَتْ عَلَيْهِ بِمَا جَنَّتْهُ لَوَاحِظٌ
مَاذَا يَقِيكَ مِنَ الْمَوَائِسِ بِالْقَنَا
وَسَطَّتْ عَلَيْكَ جَفُونُهَا بِصَوَارِمٍ
إِنَّ الْعَيُونَ الْبَابِلِيَّةَ طَالَمَا
لَأَنْتَ مَعَاطِفٌ مِنْ تَحَبُّ وَإِنْ قَسَا
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ أَرْبَابَ الْهَوَى
وَيَلِي مِنَ اللَّحْظَاتِ مَا لِقَتِيلِهَا

فَتَكَتْ بِهِ حَدَقُ الظُّبَاءِ الْعَيْنِ
تَرَكَتُهُ مِنْهَا فِي الْعَذَابِ الْهُونِ
إِنْ طَاعَنْتَكَ قُدُودُهَا بِغُصُونِ
مَا أُغْمِدَتْ أَمْثَالُهَا بِجُفُونِ
جَاءَتْ بِسِحْرِ الْعُقُولِ مُبِينِ
قَلْباً فَلَـمْ يَكُ وَصْلُهُ بِمَدِينِ
لَا زَالَ تَشْكُو قَسْوَةً مِنْ لَيْنِ
قَوْدٌ وَلَيْسَ أَمِينُهَا بِأَمِينِ^(٢)

(١) حسام الدين أفندي بن تقي الدين أفندي قدسي زاده الحلبي. قدم بغداد بصحبة علي رضا اللاط سنة ١٢٤٧هـ = ١٨٣٢م وأشغل بعض الوظائف الإدارية، وبقي في بغداد بعد عزل علي رضا. ثم عين بمنصب قائمقام في البصرة سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠م في عهد الوالي السردار عمر باشا ثم عينه مدحت باشا سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٧٠م حاكماً في الحلة وقد مدحه كثير من الشعراء منهم السيد حيدر الحلبي بقوله:

اطلع شمس السراج ليلاً أغيدُ
ورفها تحت الدجى فاشتبهت
أما ترى الفيحاء كيف أصبحت
هذا حسام الدين بين أهلها
كانه من نورها مجسداً
مدامه وخسده المورد
والجور من ورائها مشرد
أصبح والملك به مقلد

كما مدحه السيد ميرزا جعفر القزويني بقوله من قصيدة:

يا ملكاً أضحت عقول السورى
في نعت ما جاد به حائره

وشطر هذه القصيدة السيد نعمان خيرالدين الألوسي. كما شطرها السيد عباس العذارى أيضاً. انظر ديوان حيدر الحلبي ٢/ ٢٧ - ٣٠ وشعراء الحلة ١/ ٤٢٦، وفهرس مخطوطات الأوقاف ٢/ ٨١ والشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٨٤.

(٢) القود: بفتح القاف والواو: الدية.

(*) في الطبعة (١): (زلت) وصوابها من الطراز الأنفس.

والمُسْعَدُونَ مِنَ الْغَرَامِ بِمَعزِلٍ
ظَعَنَ الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ فَتَنَاهَبَتْ
وَتَرَكْنَ أَرْيَابَ الرِّجَالِ كَأَنَّمَا
مَا إِنْ أَطْلُتْ إِلَى الدِّيارِ تَلْفُتِي
وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى المَنَازِلِ وَقِفَةً
وَجَرْتُ بِذِيكَ الوَقُوفِ مَدَامَعِي
فَسَقَى مُصَابُ المَزنِ كُلِّ عَشِيَّةٍ
يَا (سعدُ) قَدْ نَفَرْتُ وَأَنْسُ رَبِّي
فاسْعُدْ أَخاك عَلَى مِسانِدَةِ الجَوَى
كَانَتْ مَنَازِلُنَا مَنَازِلَ صَبُوءٍ
تَتَلَاعَبُ الأَرَامُ فِي عَرَصَاتِهَا
جُمِعَتْ فَكَانَتْ ثَمَّ مِجْتَمَعُ الهَوَى
أَيامَ كُنْتُ أديرُها ياقوتَةً
والرُوضُ مُتَفِقُ المَحاسِنِ زَهْرُهُ
وَتَفَنُّنُ الوَرِقَاءِ فِي أَفنانِها
والكَاسُ تُبَسِّمُ فِي أَكْفِ سُقَاتِها
ضَمَنْتُ لِشارِبِها السُّرُورَ فَحَبَّذَا
وَمَهْفَهْفٍ يَنْشِقُّ فِي غَسَقِ الدُّجَى
وَأنا الطَّعِينُ بِسَمِّهِرِي قَوامِهِ
قَدْ بَعَثَهُ رُوحِي وَلا عِوَضُ لَها

عَنِّي فَهَلْ مِنْ مَسْعِدٍ وَمُعِينٍ
مُهَجِّ القُلُوبِ حَواجِبُ بَعِينٍ
شَرِبْتُ رُعاْفَ السَّمِّ بِالزَّرْجُونِ (١) (*)
إِلَّا أَطْلُتُ تَلْفُتِي وَحَنِينِي
فَقَضَيْتُ لِلأَطْلالِ فَرَضَ دُيونِ
وَمَرَّتْ لِهاتِيكَ الدِّيارِ شِوُونِي
عَهْدًا يَصُوبُ عَلَيْهِ كُلُّ هَتُونِ
بَنوِي يَشْطُ بِه المَزارُ شَطُونِ (٢) (**)
إِنْ كانَ دِينُكَ فِي الصَّبابةِ دِينِي
وَدِيارِ وَجَدَ عِلاقَةَ وَفُتونِ
فِيجِدُ بِي تَلْفِي وَفَرَطُ شُجُونِي
ظَبِي الكِناسِ بِها وَلِيثُ عَرِينِ
حَمراءَ بَيْنَ الوَرْدِ وَالنَّسْرِينِ
بَعْدَ اِختِلافِ الشُّكْلِ وَالتَّلَوِينِ
يُنَبِّيكَ أَنَّ الوَرِقَ ذاتُ فُنُونِ
عَنْ دَرِّ مُبْتَسِمِ الحَبابِ ثَمِينِ
ذاكَ الضَّمانُ لِذالكِ المَضْمُونِ
مَنْ لَيْلِ طُرَّتِهِ صَباحُ جَبِينِ
يَا لِلرِّجالِ لِصَبِّه المَطْعُونِ
وَرَجَعْتُ عَنْه بِصَفْقَةِ المَغْبُونِ

(١) الزرجون: الماء الصافي يستنقع في الجبل، يطلق على الخمر أيضاً. انظر: لسان العرب، مادة (زرجن).

(٢) شطن: بعد والشطون: البعيد والطويل، ونوى شطون: سفر شاق بعيد متعب. ومنه سمي الشيطان لأنه بعيد عن الخير وعن رحمة الله. انظر لسان العرب مادة (شطن).

(*) والزرجون: كرم العنب، ومن هنا قيل للخمرة ابنة الزرجون وهو ما عناه الشاعر. انظر: لسان العرب، مادة (زرجن).

(**) شطون: الشطن هو البعد وهنا جاءت صفة للنوى فاقتضى حذف الياء والتصويب من الطراز الأنفس.

عَلِمَ الضَّنِينُ بَوَصْلِهِ فِي صَدِّهِ
قَارَعْتُ أَيَّامِي لَعْمَرَكُ جَاهِدًا
جَرَدْتُهُ عَضْبًا يَلُوحُ يَمَانِيًا
فَإِذَا رَكَنْتُ إِلَى نَجِيبٍ لَمْ يَكُنْ
أَعْلَى مَقَامِي فِي عَلِيٍّ مَقَامِهِ
وَوَظَفَرْتُ مِنْهُ بِمَا بِهِ كَانَ الْغِنَى
وَصَدَدْتُ عَنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَوَالَهُمْ
فَتَكَاثَرْتُ نَعَمَ عَلِيٍّ بِفَضْلِهِ
السَّيِّدِ السَّنْدِ الَّذِي صَدَقْتُ بِهِ
يَمْحُو ظِلَامَ الشَّكِّ صَبْحُ يَقِينِهِ
مُتَيَّقِظُ الْأَفْكَارِ يَدْرِكُ رَأْيَهُ
مَنْ أَسْرَةٍ رَغَمُوا الْأَنْوْفَ وَأَصْبَحُوا
قَوْمٌ يُصَانُ مِنَ الْخَطُوبِ نَزِيلُهُمْ
الْبَابِسُونَ مِنَ الْفَخَارِ مَلَابِسًا
إِنَّ الَّذِي نَجَبَتْ بِهِ أُمُّ الْعُلَا
مَا زَلَتْ فِي وُدِّي لَهُ مُتَمَسِّكًا
أَنْفَكَ أَقْسَمُ مَا حَيَّيْتُ أَلْيَةً^(١)
لَوْلَاهُ مَا فَارَقْتُ مَنْ فَارَقْتُهُ
وَوَجَدْتُ مَنْ شَغَفَنِي إِلَيْهِ زِيَارَتِي
وَحَيَّيْتُ يَوْمئِذٍ رِكَائِبِي الَّتِي
كَمْ مِنْ يَدٍ بِيضَاءٍ أَنْهَلَنِي بِهَا
وَرَأَيْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ بِوُجُودِهِ
وَلَكُمْ تَجَلَّى بِالْمَسْرَةِ فَاَنْجَلَى

أَنِّي بَبَذَلِ الرُّوحِ غَيْرُ ضَنَّينِ
حَتَّى انْتَضَيْتُ لَهَا (حُسَامَ الدِّينِ)
جَادَتْ بِصَيِّقَلِهِ يَمِينُ الْقَيْنِ^(١)
إِلَّا إِلَى ذَاكَ الْجَنَابِ رُكُونِي
فَرَأَيْتُ مَنْزِلَةَ الْكُوكَبِ دُونِي
عَنْ غَيْرِهِ فِي الْعِزِّ وَالتَّمَكِينِ
مَالُ الْيَتِيمِ وَثِرُوهُ الْمَسْكِينِ
مَنْ فَضْلُهُ وَأَقْلُهَا يَكْفِينِي
فِي مَا تُحَدِّثُ عَنْ عُلَاهُ ظُنُونِي
وَالشَّكُّ يَنْفِيهِ تُبُوتُ يَقِينِ
مَا لَمْ يَكُنْ بِالظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ
مَنْ أَنْفَ هَذَا الْمَجْدِ كَالْعَرْنِينِ
وَنَوَالَهُمْ بِالْبِرِّ غَيْرُ مَصُونِ
وَمَنْ الْوَقَارِ سَكِينَةٌ بِسُكُونِ
ظَفَرْتُ بِهِ فِي الْأَكْرَمِينَ يَمِينِي
أَبْدًا بِحَبْلِ مَنْ عُلَاهُ مَتِينِ
بِاللَّهِ بِلِ الْبَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ
وَهَجَرْتُ ثَمَّةَ صَاحِبِي وَخَدِينِي
ضَرْبًا مِنَ الْمَفْرُوضِ وَالْمَسْنُونِ
لَفَّتْ سُهُولَ فِدَائِدِ بَحْزُونِ
مَا أَنْهَلَ مِنْ وَبْلِ السَّحَابِ الْجُونِ
مَا أَبْدَعَ الْخَلْقَ بِالتَّكْوِينِ
صَدَأُ الْهُمُومِ لِقَلْبِي الْمَحْزُونِ

(١) القين: الحداد: وصانع السيوف وشاحذها. وهو بسكون الياء واستعمال الأخرس له في القافية يعتبر سناداً. لأن حرف الروي متحرك وهذا ساكن وهو عيب.

(٢) أنفك: أصلها: لا أنفك. والألية: القسم واليمين والحلف.

حيثُ السَّعادةُ والرَّئاسةُ والعُلا
يا مَنْ جعلتُ لِمَا يَقولُ مَسامِعي
إِنِّي أَهشُّ إِذا ذُكِرْتَ فَأَجتَلِي
وَإِذا صَحوتُ ففِي حَدِيثِكَ نَشوتِي
بفِكاهاةٍ تَشفي الصُّدورَ وبَهجَةٍ
أَطلَقَتُ ألسِنَةَ الثَّناءِ عَلَـيكَ فِي
إِنْ دَوَّنوا فِيكَ المَدِـحَ فَإِنَّمَا
فاسلَمَ وِدمُ أبدأً بارغَدِ عِيشَةٍ

تَبَدو بطلَعَةٍ وَجِـهَ المَـيْمونِ
أَصْدافَ ذاكَ اللؤلؤِ المَـكـنـونِ
راحاً تَسُـرُّ فؤادَ كُلِّ حَـزِينِ
وَإِذا مَرِضتُ فَأنتَ مَنْ يَشْفِينِي^(*)
قَرَّتْ بِها فِي الأَنجَبِينَ عِـيـونِي
ما أَبدَعَتُهُ بأَحْسَنِ التَّضْمِينِ^(**)
مَدَحِ الكِرامِ أَحقُّ بِالتَّـدوينِ
تَبَقَى المَدَى فِي الحَـينِ بَعْدَ الحَـينِ

(٦٧)

سَطًا بِحُسامِ مُقلَتِهِ وَصَـلا
وَجارَ عَلَي المَـتَمِّمِ فِي جَـفاهُ
وَمَهْمَا ازْدَدتُ بَـينَ يَدَيهِ ذَلا
حَكَى البَدْرَ التَّمَامَ لَهُ مُحَيًّا
وَأذَنَ حُسْنَهُ لِلوَجَدِ فِيهِ

كَأَنِّي جِئْتُ أَسْأَلُهُ الوِصَالَ^(٢)
وَأَجْرِي أَدْمَعُ الصَّبِّ أَنهَمِالا
يَزِدُ عِزًّا وَيُتَّبِعُهُ دِلالا
وَشابَهَ قَدَهُ العُصْنَ اعْتِدالا
فشاهَدنا بِوَجْـنَتِهِ بِلالا^(٣)

(١) السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد إسماعيل بن السيد خليل بن السيد إسماعيل البغدادي الطبقجلي، ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين. ولد سنة ١٢٠٣هـ - ١٧٨٩م ودرس على علماء بغداد الفقه والأدب واللغة وتخصص بالشيخ عبدالرحمن الروزيهاني ولازمه حتى تخرج عليه وبرع وأجاد. ثم عين مدرسا في مدرسة علي باشا ببغداد (العلية) ثم تركها وأخذ يدرس طلابه في داره، وكان طيب النفس كريما طلق الوجه. ولم يعقب أحدا، وله كتاب في التوحيد، شرح به والده بكلمة التوحيد، وقد وقف كتبه في داره الواقعة بجوار جامع العاقولي ببغداد، وجعلها مدرسة وهي التي تعرف (بمدرسة الطبقجلي) ووقف عليها أملاكا، توفي ببغداد سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م ودفن في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني. انظر المسك الأذفر للألوسي ص ٩٠ - ٩٣.

(٢) لم ترد هذه القصيدة في الأصول، وقد وردت في كتاب (المسك الأذفر) لمحمود شكري الألوسي ص ٩٠ - ٩٣.

(٣) توجيه لطيف حيث أشار بكلمة بلال إلى الخال في وجنة الحبيب.

(*) ينظر الشاعر إلى قوله تعالى «وإذا مرضت فهو يشفين» سورة الشعراء الآية (٨٠) ويقصد الشاعر في ذلك أن الممدوح يعالجه في حالة المرض سواء بالبذل أو بالسلوك والمعاملة، وانظر ماذا يقول الشاعر في البيت التالي، وما الشافي إلا الله عز وجل.

بقلبي نارٌ خَدُّ قَد تَلَخْتُ
وفي جسمي سَقَامٌ عُيُونِ خَشْفٍ
وما أنسى ب(ذاتِ الرمثِ) عَهْدًا^(٢)
زماناً لم نُحَاذِرْ فِيهِ وَاشٍ^(٣)
وكم قد زارني رَشَاءٌ غَرِيرٌ
وعَهْدِي لِيْلُهُ أَبَدًا قَصِيرٌ
وأنى يَرْتَجِي اللّاحي سَأْوِي
أيهديني عن الأشواقِ لِاحٍ
فلا تسألُ وَقِيَتِ الشَّرِّ دَمْعاً
أَحَلَّتْ سِرْبُ ذَاكَ الرَّبِّعِ قَتْلِي
ولو أَبْصَرْتَ إِذْ رَحَلُوا فَوَادِي
ألا لله ما فَعَلَتْ بِقَلْبِي
وربُّ قد كسا الأَحْبَابَ حُسْناً
وإني في الغرامِ وفي التَّصَابِي
فَتَى فِي العِلْمِ وَالإِكْرَامِ بَحْرٌ
له عَزْمٌ حَكَى الشَّمُّ الرُّوَاسِي
ومرتاحٌ إلى الإِكْرَامِ طَبْعاً
أحبُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لَدِيهِ
ويَهْوَى المَكْرُمَاتِ بِكُلِّ أَنْ

فتورثُ في جَوَانِحِي اشْتَعَالاً
عَدَتْ مِنْهَا لِي الدَّاءُ العُضَالاً^(١)
مضى لكنْ حَسْبُنَاهُ خَيَالاً
ولم نَسْمَعْ لِعُدَالٍ مَقَالاً
فأرشفَني على ظَمَأٍ زَلالاً
فلَمَّا سارَ مَنْ أهْوَاهُ طالاً
وقد ذابتْ حُشاشَتِي أنْسِلالاً
ومما قَد زادني إِيضالاً
إذا ما لِاحَ بَرَقَ (الخَيْفِ)^(*) سِلالاً
ولم يَكُ قَبْبُ أهنِّ دمي حلالاً
رأيت الصَّبْرَ يَتَّبِعُ الجِمالاً
جُفُونٌ لَمْ تُخَلِّ إِلا نِصالاً
كساني من صَبَابَتِهَا أنْتِحالاً
كمثل (محمَّدٍ) حَزَتْ الكِمالاً
وكان وُروْدُهُ عَذْباً زَلالاً
وخلُقٌ قد حَكَى الرِّيحَ الشَّمالاً
ولا يَحْوِي - لبذلِ المالِ - مالاً
فَتَى أَبَدِي لِنائِلِهِ السُّؤالاً
ولن نَلْقَى به عَنها مَلالاً

(١) في الأصل (عدت منها إلى الداء العضال) وقد سها المؤلف فأضاف حرف الألف في كلمة (لي) فصارت (إلى)

وجعل المحقق كلمة (كذا) عند نهاية البيت ولم يتبين له وجه الصواب

(٢) ذات الرمث: واد لبني أسد ومرعى من مراعيهم. قال دريد بن الصمة:

ولولا جنون الليل أدرك ركضنا
بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

انظر معجم البلدان ٦٨ / ٣ .

(٣) واش في لغة طي ومنه قول القائل:

ولو أن واش باليمامة داره
وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

(*) في الطبعة (١): (الحيف) خطأ طباعي.

وكان نَدَاهُ لِلْعَافِينَ وَصَلًّا
كسَاهِ اللّهُ تَاجًا مِنْ فَخَارٍ
فلو زالت جِبَالُ اللّهِ عَنْهَا
نَدِيُّ الكِفِّ رَاحَتُهُ غَمَامٌ
وما بَخَلْتُ لَهُ أَبَدًا يَمِينٌ
هُمَامٌ لَو يَرُومُ الأَفُقَ نَيْلًا
ويؤذِنُ بِبَشْرِهِ بِسَحَابِ جُودٍ
لقد نَأْنَا بِهِ صَعْبَ الأَمَانِي
وَحَبْرُ العِلْمِ بِلِ بَحْرٍ غَزِيرٍ
بدا مِنْهُ مُحَيًّا ثَم نَورٌ
وَمَدَّ يَمِينَهُ فِي البَسْطِ يَوْمًا
حَبَاهِ اللّهُ فِي حُسْنِ السَّجَايَا
خِلَالَ كَالصَّوَارِمِ مُرْهَفَاتٍ
فإن قُلْنَا لَدَى الدُّنْيَا جَمِيلٌ
أَتَحْصِي المَادْحُونَ لَهُ كَمَالًا
وما غَالَتْ بِكَ المُدَاخُ حَمْدًا
أَعُوذُ بِبِبَاسِهِ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ
وعَزْمٌ يَقْهَرُ الأَعْدَاءَ قَهْرًا
فلو طَاوَلَنَّهُ السُّمُرُ العَوَالِي
وقد كَمَلَ العُلُومَ وَكُلَّ فَخْرٍ
وما هُوَ غَيْرُ بَدْرٍ فِي المَعَالِي

وكان على أعاديهِ وَيَالَا
وَأَلْبَسَهُ المَهَابَةَ والجَلالَا
لكان وَقَارُهُ فِيهَا جِبَالَا
فلو لَسَ الحَصَى فِيهَا لَسالَا
وما عَرَفَ المَواعِدَ والمِطالَا
ببِباعٍ مِنْ عَزائِمِهِ لَنالَا
وكان تَبَسُّمُ الكُرَماءِ خالَا^(١)
فلم نَعْرِفُ بِسَاحَتِهِ المُحالَا
أجلُ النَاسِ فِي الدُّنْيَا نَوالَا
فأَمَسَى فِي ذَوِي الأَمالِ فالَا
فأَغَمَرْنَا عِطَاءً وَأَتصالَا
وَتَلَكَ عَطِيَّةُ البَاري تَعالِي
أجادتْها مَحاسِنُهُ الصِّقالَا
عَنيْنَا حُسْنَ خُلُقِكَ والخِصالَا
ومن ذا عَدَدٌ فِي الأَرْضِ الرَمالَا
إذا ما فَيِكَ أَطَنَّ بَ ثَمَّ غَعالِي
فقد أَضْحَى عَلى الدُّنْيَا عِقالَا
وإنْ لَمْ تَلْتَقِ مِنْهُ قَتالَا
عَلى نَيْلِ المَرامِ إذا لَطالَا
وقد زانَ المَفاخِرَ وَالكمالَا
فلا عَجَبٌ إذا نالَ الكَمالَا^(٢) (*)

(١) الخال: السراب (*).

(٢) تكررت القافية.

(*) والخال: ليس السراب، بل من معانيه البرق والوهم والظن، والخال أيضاً: السحاب الذي يظن فيه المطر ثم لا يمطر أو السحاب الذي لا يخلف مطره فهو من الأضداد... والمعنى الأخير هو الذي أرادته الشاعر وللخال معانٍ أخرى، منها: الكبر والخيلاء. انظر: لسان العرب، مادة (خيل).

(**) لعل صوابها (اكتمالا) حتى لا تتكرر القافية.

فلو شاهدتَ في التَّقْرِيرِ مِنْهُ
ويهدِي اللّهُ فِيهِ الخَلْقَ رُشْدًا
ولم يَتْرُكْ لِأَهْلِ الفَخْرِ فُخْرًا
فَمَا خَابَتْ ظَنُونُ أَخِي مَرَامٍ
فَخُذْهَا سَيِّدِي مِنِّي (*) قَصِيدًا

بَيَانًا خَلَّتْهُ السَّحَرُ الحَلَالَا
وفِيهِ يَكْشِفُ اللّهُ الخُلَا
ولم يَتْرُكْ لِذِي قَوْلٍ مَقَالَا
أَصَارَكَ فِي مَطَالِبِهِ مَالَا
وصَيِّرْ لِي رِضَاكَ بِهَا نَوَالَا

(٦٨)

زَيْدٌ (**)
لَوْ مَا فَزَادَ فِي الحُبِّ وَجْدًا
مَازَجَ الحُبِّ مَرَّةً فَمَآرَاهُ
وَرَمَى قَلْبَهُ بِجَذْوَةِ نَارٍ
مِنَ غِرَامٍ رَمَى بِهِ كُلُّ مَرْمَى
لَوْ صَغَى لِلعَذُولِ مَا كَانَ أَمْسَى
يَسْأَلُ الرِّكْبَ عَن مَنَازِلِ (نَجْدٍ)
يَتَشَافَى مِن عَهْدِهَا بِالأَحَادِيدِ
فَهُوَ يَقْضِي لَهَا حُقُوقًا عَلَيْهِ
يَا ابْنَ وِدْيٍ وَأَكْثَرَ النَّاسِ حَقًّا
كَفَكَفَ الدَّمْعَ مَا اسْتَطَعْتَ فِإِنِّي
وَإِذَا مَا دَعَوْتُ لِلصَّبْرِ قَلْبِي
زَارَنِي طَارِقُ الخَيَالِ وَوَأْفَى
كَيْفَ زَارَ الخَيَالُ فِي غَسَقِ اللِّيدِ
وَتَوَالَى حَرُّ الحَشَا وَتَوَالَى

مُسْتَهَامٌ تَخَيَّلَ الغَيِّ رُشْدَا
أَنْ هَزَلَ الغِرَامِ يَصْبِحُ جِدًّا
أَوْقَدْتَهُ بِلاعِجِ الشُّوقِ وَقَدَا
يَتَلَطَّى فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ بُدًّا
دَنِفًا فِي شِئُونِهِ يَتَرَدَّى
نَاشِدًا مِنْهُ كَيْفَ خَلَفْتَ (نَجْدَا)
ثَ وَيَرَعَى لَهَا عَلَى النَّأْيِ عَهْدَا
وَيُودِي مَا يَنْبَغِي أَنْ يُودَى
فِي التَّصَابِي عَلَيْكَ أَكْثَرُ وِدًّا
لَسْتُ أُسْطِيعُ لِلْمَدَامِ رَدًّا
كَانَ لِي يَا هُدَيْمُ خَصْمًا أَلْدَا
مِن سُلَيْمِي يَجُوبُ غَوْرًا وَوَهْدَا
لِإِلَى أَعْيُنِي وَأُنِّي تَسَدَّى
إِذْ تَصَدَّى لِمْغْرَمٍ مَا تَصَدَّى

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(*) في الطبعة (١): (منها) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (زيد) وهو خطأ طباعي.

وَشَجَّتْنِي وَالصَّبُّ بِالْبَيْنِ يَشْجِي
 وَرُسُومٌ مِنْ آلِ مِيٍّ بِسُؤَالٍ
 بَعْدَمَا كَانَ لِلنِّيَاقِ مُنَاخًا
 زَجَرَ الْعَيْسَ صَاحِبِي يَوْمَ أَقْبَلُ
 خَلْنَا وَالْمَطِيَّ نَسْتَفْرِغُ الدَّمَ
 وَنُوعَانِي أَسَى لَأَرْسُمَ دَارٍ
 يَا سَقَّتْهَا السَّمَاءُ وَيَلَّ عَوَادٍ
 كُلُّمَا قَطَّبْتَ مِنَ الْجَوِّ وَجْهًا
 مِنْ نِيَاقٍ ضَوَامِرٍ جَاوَزَ الْوَجْدُ
 تَتَرَامَى بِنَا لِدَارٍ (عَلِيٍّ)
 كُلُّمَا أَصْدَرْتَ أَيْدِيهِ وَقَدْ
 بَاذَلَ مِنْ نَفِيسٍ مَا يَقْتَنِيهِ
 أَرِيحِي تُهْدِي إِلَيْهِ الْقَوَافِي
 فَيُرِينَا السَّحَابَ يَمْطُرُ وَبَلًا
 يَنْظُمُ الْمَجْدَ مِنْ مَنَاقِبِ عَلِيَا
 وَلِأَبَائِهِ الْكَرَامِ الْأَعَالِي
 حَضْرَاتُ تَطْوِي إِلَيْهَا الْفِيَا فِي
 إِنْ سَرَتْ مِنْ ثَنَائِهِمْ نَفَحَاتُ
 فَكَأَنَّ السَّرَّ الْإِلَهِيَّ مِنْهُمْ
 يَا (عَلِيٍّ) الْجَنَابِ وَابْنَ (عَلِيٍّ)
 أَنْتَ أَعْلَى يَدَا وَأَطْوَلُ بَاعَا
 هَلْ تُدَانِي بِرَفْعَةٍ وَعَلَاءٍ
 مَتُّلْتُ لِي أَيْدِيكَ وَهِيَ تُهَادِي
 لَا أَرَى الْوَرْدَ بَعْدَ ظِلِّكَ عَذْبَا

أَيْنِقُ* (**) فِي ظَعُونٍ ظَمِيَاءٍ تُحْدَى
 أَصْبَحَتْ فِيهِ أَعْيُنُ الرِّكْبِ تَنْدَى
 وَلِعَهْدِ الْهَوَى مَرَاحًا وَمَعْدَى
 مِنْ عَلَيْهَا فَقَلْتُ مَهْلًا رَوِيدَا
 عَ لِأَطْلَالِهَا وَنَذَكُرُ عَهْدَا
 شَقِيَّتٍ مِنْ بُعَادِ سَلْمَى وَسَعْدَى
 حَامِلَاتٍ لِلرِّيِّ بَرْقَا وَرَعْدَا
 عَادَ فِيهَا بَيَاضُهُ مُسْوَدَا
 دُ بِأَحْشَائِهَا مِنَ الْحَبِّ حَدَا
 ذِي الصِّفَاتِ الْعُلَا ذَمِيلًا وَوَحْدَا
 أَوْرَدَتْ مِنْ نَمِيرٍ** جَدْوَاهُ وَقْدَا
 مِنْ نَوَالٍ مَا يُخْجَلُ الْغَيْثُ رِفْدَا
 وَالْقَوَافِي لِمِثْلِ عَلَيْهَا تُهْدَى
 وَنُورِيهِ الرِّيَاضَ تُنْبِتُ وَرْدَا
 هَ بِجَيْدِ الْأَنَامِ عِقْدَا فَعَقْدَا
 زَادَهُمْ رَبُّهُمْ نَعِيمًا وَخُلْدَا
 وَتَقْدُ الْبَيْدَاءُ بِالسَّيْرِ قَدْ
 عَادَ فِيهَا حَرُّ الْهَوَاجِرِ بَرْدَا
 لَازِمٌ فِي أَهْلِيهِ لَا يَتَّعَدَى
 أَكْرَمَ النَّاسِ أَحْسَنَ النَّاسِ جَدَا
 فِي الْمَعَالِي وَأَنْتَ أَثَقَبُ زَنْدَا
 أَوْ تُضَاهَى فَلَمْ نَجِدْ لَكَ نِدَا
 مِثْلُ وَيَلِ الْغَمَامِ بَلْ هِيَ أَنْدَى
 لَا وَلَا الْعَيْشَ بَعْدَ جُودِكَ رَعْدَا

(* في الطبعة (1): (أنيق) خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (1): (غير) وصوابها من الطراز الأنفس.

كَلَّمَا قَلْتُ أُورِدُ الْعُدْمَ نَقْصِي
يَرْتَجِي غَيْرِي الثَّرَاءَ وَأَرْجُو
فَإِذَا زِدْتُ مِنْ جَنَابِكَ قُرْبَاءً
كُلُّ يَوْمٍ أَنْالُ مِنْكَ مَرَاماً
فَإِذَا كُنْتَ رَاضِياً أَنْتَ عَنِّي
إِنَّ نِعْمَكَ كَلَّمَا صَيَّرْتَنِي
لَسْتُ أَقْضِي شُكْرَانَهَا وَلَوْ أَنِّي
فَاهِنٌ يَا سَيِّدِي بِأَشْرَفِ عِيدِ

مَدَّنِي بِالنَّوَالِ جُودُكَ مَدّاً
مِنْكَ بَعْدَ الثَّرَاءِ عِزّاً وَمَجْداً
زِدْتُ عَنْ خُطَّةِ النَّوَائِبِ بُعْداً
مِنْ بُلُوغِ الْمُنَى وَأَبْلُغُ قَصْداً
لَا أَبَالِي أَنْ يُضْمَرَ الدَّهْرُ حَقْداً
لَكَ عَبْداً أَرَى لِي الدَّهْرَ عَبْداً
أَمْلاً الْخَافِقِينَ شُكْرًا وَحَمْداً
كُلُّ عَامٍ عَلَيَّ يُرَزِّقُ عَوْداً

(٦٩)

مَنْ يَحَاوِلُ فِي الدَّهْرِ مَجْداً أَثِيلاً
جُعِلَ السَّيْفُ ضَامِناً وَكَفِيلاً
فِي ظِلَالِ السُّيُوفِ أَيِّ مَقِيلٍ
وَإِذَا مَا سَلَكَتْ ثُمَّ سَبِيلاً
عَرَفْتُمْ حَوَادِثَ الدَّهْرِ أَمْراً
كَشَفْتُمْ عَنْ ضَمَائِرِ تَضْمِيرِ الْغَدِ
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ خَلِيلاً وَفِيّاً
طَالَمَا عَرَفَ الزَّمَانَ بِقَوْمٍ
لَا تَبْلُ الْغَلِيلَ مَا عِشْتُمْ مِنْهُمْ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِحِائِمِكَ أَهْلٌ
لَا أَرَى فِعْلَكَ الْجَمِيلَ بِمَنْ لَمْ

فَلْيَجَرِّدْ لَهُ الْحُسَامَ الصَّقِيلاً
بِالْمَعَالِي لِمَنْ أَرَادَ كَفِيلاً
لِبَنِي الْمَجْدِ فَاتَّخِذْهُ مَقِيلاً
فَاجْعَلِ السَّيْفَ هَادِياً وَدَلِيلاً
كَانَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ مَجْهولاً
رَ وَتَبْدِي وَفَاءَهَا الْمُسْتَحْيِلَ
فَاعْلَمْ أَنَّ الْحُسَامَ أَوْفَى خَلِيلاً
بَدَلْتَهُمْ خُطُوبَهُ تَبْدِيلاً
أَوْ يَبْلُ الصَّمْصَامَ فِيهِمْ غَلِيلاً
فَمَنْ الْحَلْمُ أَنْ تَكُونَ جَهولاً
يَرَعُ عَهْداً مِنَ الْجَمِيلِ جَمِيلاً

(١) الشيخ فارس بن عجيل (عقيل) بن محمد بن ثامر بن سعدون، ولي إمارة المنتفق سنة ١٢٦٥هـ = ١٨٤٧م وبقي فيها حتى نازعه المشيخة ابنا عمه ناصر ومنصور فانتصرا عليه، وأخذ المشيخة منه سنة ١٢٦٦هـ - ١٨٤٨م وكان رجلاً شجاعاً كريماً، مدحه كثير من الشعراء منهم السيد صالح القزويني النجفي. انظر التحفة النبهاية ٩١ / ١٠ ومباحث عراقية ق١ / ٧ و٢٨٢ وشعراء الغري ٤ / ٢١٢ وتاريخ السعدون ٤٨.

رَضِيَ اللهُ عَنْكَ أَغْضَبْتَ قَوْمًا
فَلْبَسُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ أَرَادُوا
وَسَعَوْا فِي خَرَابِهَا فَاسْتَفَادُوا
وَيَمِينًا لَوْ يَمْلِكُوهَا عَلَيْنَا^(١)
إِنَّمَا حَاوَلُوا أَمَانِي نَفْسٍ
رَبِمَا غَرَّتْ الْمُطَامِعُ قَوْمًا
أَمَلُوا وَالْمُحَالُ مَا أَمَلُوهُ
لَمْ يَنَالُوا مَا نَلْتَ مِنْ رَفْعَةِ الْقَدِّ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَلِلَّهِ أَمْرٌ
ثُمَّ لَمَّا جَاؤُوا إِلَيْكُمْ سِرَاعًا
فَعَبَّرْتُمْ نَهْرَ الْمَجْرَةِ مُخْلِينَ^(٢)
نَزَلُوا مَنْزَلَ الشُّيُوخِ وَتَأَبَى
ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا خِلَافَكَ فِي الدَّاءِ
رَحَلْتَهَا عَنْهُمْ سَيُوفٌ حِدَادٌ
إِنْ تُصَادِمُ بِهَا قَوَاعِدَ (رَضْوَى)^(٤)
بَذَلْتَ نَفْسَهَا لَدَيْكَ وَرَامَتْ
كَلِمًا اسْتَلَّتْ الْمُهَنْدَةَ الْبِيدَ
فَتَرَكْتَ الْأَعْدَاءَ تَرْتَقِبُ الْمَوْتَ
وَمَلَأْتَ الْأَقْطَارَ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ
إِنْ يَوْمًا عَبَّرْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ
يَوْمَ ضَاقَ الرَّحْبُ الْفَسِيحُ عَلَيْهَا

ما أرادوا غيرَ الفسادِ حصولاً
بك من سائِرِ الأَنَامِ بَدِيلاً
أَمَلًا خَائِباً وَعَوْناً خَذولاً
تَرَكوها مَعَالِماً وَطُلولاً
حَمَلْتَهُمْ إِذْ ذَاكَ عِبْنًا ثَقِيلاً
غَادَرْتُ مِنْهُمْ الْعَزِيزَ ذَلِيلاً
سَوَّدُوا عَنْكَ فِيهِمْ لَنْ يَحُولُوا
رِوَلُو جِيءَ بِالْجِيوشِ قَبِيلاً
كَانَ مِنْ فَوْقِ أَمْرِهِمْ مَفْعُولاً
نَزَلُوا عَنْ مَرَابِضِ الْأَسَدِ مِيلاً
نَ مَكَانًا لَهُمْ عَرِيضًا طَوِيلاً
شَفَرَةُ السَّيْفِ أَنْ يَكُونُوا نَزُولاً
رِ كَمَا يَشْتَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً^(٣)
وَرَجَالٌ تُعْيِي الرِّجَالَ الْفُحُولاً
أَوْشَكَتْ فِي صِدَامِهِمْ أَنْ تَزُولاً
مَنْكَ فِي بَذْلِهَا الرُّضَا وَالْقَبُولاً
ضَ أَسَالَتْ مِنَ الدِّمَاءِ سُيُولاً
تَ مِنْ الرِّعْبِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
لِ صَلِيلاً - مُرْبِعَةً - وَصَهِيلاً
كَانَ يَوْمًا عَلَى الْعُدَاةِ مَهُولاً
فَتَنَادَتْ عَنْكَ: الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ

(١) الصواب: لو يملكونها، وبها يختل وزن البيت.

(٢) نهر في ميسان (محافظة العمارة).

(٣) اقتباس من الآية الكريمة (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً) سورة الإسراء، الآية (٧٦).

(٤) رضوى: جبل في الحجاز بين مكة المكرمة والمدينة المنورة قرب ينبع وقد تغنى بها الشعراء كثيرا. معجم البلدان ٣/ ٥١.

هربوا قبل أن يروا صولة الليد
يوم كان الفرار أهون من أن
ذل من لا يرى المنيّة عزاً
لو أقاموا فيها ولو بعض يوم
ولأكثرت فيهم القتل والسب
وتركت النساء تكلّى أيامي
إن لله حكمة حيّرت في
بلغت الأقدار ما كنت تبغي
وشفيت الصدور منا فقلنا
أيّد الله (فارس بن عجيل)
وبما رحمة من الله حات^(١)
أمن الخائفون في ظل قوم
عاد للملك حافظاً ومن الد
كلما كرّرة بعد أخرى
ما ثناه عن المكارم^(***) ثان
يقتفي إثر جدّه وأبيه

ث وأن يشهدوا^(*) دماً مَطْلولا^(**)
تستبيح السيوف منها قتيلاً
في سبيل العلاء وعاش ذليلاً
لأخذت الأعداء أخذاً ويلاً
بي ومثّلتهم بها تمثيلاً
تكثر النوح بعدهم والعويلاً
ك حلوماً سليمةً وعقولاً
ه وكفت عدوك المخذولاً
صح جسم العلاء وكان عليلاً
مثل ما أيّد الإله (عجيلة)^(١)
بلغ اليوم أمل مأمولاً
منع الخطب بأسه أن يصلوا
ه على الناس ستره المسبولاً
بعث الرعب في القلوب رسولاً
وأبى أن يرى الكريم بخيلاً
وكذا تنبع الفروع الأصولاً

(١) عجيل (عقيل) بن محمد بن ثامر السعدون، عينه داود باشا أميراً على المنتفق سنة ١٢٤٢هـ = ١٨٢٧م بعد عزل عمه حمود بن ثامر، حين تحالف حمود مع الشيخ عيث بن عضبان أمير كعب في الأحواز وحاصر الزبير وضمها إلى إمارته، فقاومه شيخ الزبير علي بن يوسف الزهير. وقد استطاع الشيخ عقيل أن يكسب إلى جانبه بعض شخصيات الزبير مثل عبدالله الفداغ وأخيه سليمان وكان قوياً محافظاً على الأمن تخشاه القبائل وتهابه، حتى أنه كان يضع التمر على عيدان البردي ويجعلها في نهر الفرات ويمضي بها الماء وتخاف الناس من التقرب إليها. وتمكن عقيل من اعتقال عمه حمود في أطراف البصرة وأرسله إلى بغداد فسجنه داود باشا وتوفي حمود في السجن سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٢٨م. انظر: مختصر تاريخ البصرة لعلي ظريف ص ١٥٠ والأحواز في أدوارها التاريخية ٢/ ٢٨٠ و٢٨٢ وتاريخ السعدون ٢٩ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ٩٩.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ لقلب لانتفضوا من حولك).

(*) في الطبعة (١): (ويشهبوا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (مطولا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (المكلام) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فهنيئاً لكم معارج للمج
رفعة في العلاء أورثتموها
والمعالي لا ترتضي حيث شاءت
إن أسلافكم إذا خطبوها
قد بذلتكم من النضار سيولاً
لا تنال العداة منكم مراماً
كيف تدنوا منكم وأنتم أسود
فإذا ما ادعيتكم الفخر يوماً
قد خلقتكم صباباً في المعالي
فانتشيتم وللهوى نشوات^(١)
لا برحتم مناهلاً ترد العا
وبقيتم مدى الزمان وأبقي

د شباباً تسمونها وكهولا
من قديم الزمان جيلاً فجيلاً
غير أكفائها الكرام بوعولا
جعلوا مهرها قناً ونصولا
وجررتكم من الفخار ذيولا
أفيرجون للنجوم ووصولا
ما اتخذتم غير الأسنة غيلاً
فكفى بالقنا شهوداً عدولا
صبوة الصب ما أطاع العذولا
فكأنني بكم سقيتم شمولاً
فون من عذب وردها سلسبيلاً
تم حديثاً عن بأسكم منقولا

(٧٠)

(١) في الأصول (فانتشيتم بها وللهوى نشوات) زائدة ويختل الوزن معها.

(٢) راشد باشا أرسله السلطان عبدالمجيد خان لتفتيش الولايات، والنظر في معاملة الحكام والولاة للرعية، وقد وصل بغداد في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ١٢٧٣هـ وكان لا يحسن العربية، وقد رحب به الشاعر عبدالباقي العمري بقوله:

من الروم للزوراء شرف راشد
بأمر ملك العصر للخلق يرشد
ومن وطنت أرض العراق ركابه
إلى الأوج جربناه لا شك يصعد

وقضى أياماً في بغداد في الولايم والدعوات التي أقامها له الوالي عمر باشا السردار، وبعض كبار تجار بغداد من اليهود، ورتب له الوالي منهجاً لزيارة الإمام الأعظم والصحابي الجليل سلمان الفارسي والإمام موسى الكاظم والمراد الشريفة في النجف وكربلاء، وقضى أيامه متنعماً ولم يعد بائطاً، وكان أبوالتناء الألويسي قد زاره في استانبول أثناء رحلته سنة ١٢٦٧هـ، واستعار راشد باشا من أبي التناء مجموعة شعرية، وعندما عزم أبوالتناء على العودة كتب إلى راشد باشا يقول:

أيها المفرد الذي لا يُتني
بكمال تُتني عليه الخناصر
عندكم للفقير مجموع شعر
فتفضل به فاني مسافر

انظر الترياق الفاروقي ٤٣١ وروضة الأزهار وجامعة كل ممتاز ومختار، لنعمان الألويسي، مخطوطة تحت رقم ٥٦٤٠ في مكتبة الأوقاف المركزية العامة ببغداد.

قَدِمْتَ قُدُومَ الْخَيْرِ مِنْ بَعْدِ غَيْبَةٍ
وَأَقْبَلْتَ إِقْبَالَ السَّعَادَةِ كُلِّهَا
فَكُنْتَ كَصَوِّبِ الْمَزَنِ صَادِفَ مِمْحَلٍّ
وَشِمْنَا سَنَا بَرَقِ الْمُنَى غَيْرَ خُلْبٍ
تَنَقَّلْتَ مِنْ دَارٍ لِدَارٍ تَنَقُّلاً
وَجِئْتَ إِلَى (بَغْدَادَ) تَكْشِفُ مَا بِهَا
فَأَهْلًا وَسَهْلًا مَا أَقَمْتَ وَمَرْحَبًا
بِأَصْدَقِ مَنْ وَاقَى مِنَ الرُّومِ لَهْجَةً
أَمِينٌ عَلَى الْعُمَّالِ تَخَذَلُ ظَالِمًا
فَقَلْنَا عَدَاةً اسْتَبْشَرَ النَّاسُ كُلَّهُمْ
وَفِي ضِمْنٍ لَحْنِ الْقَوْلِ لَوْلَا مَوَانِعُ
وَكَمْ فَرَجٌ لِلَّهِ مِنْ بَعْدِ شِدَّةٍ
فَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ يُحْسِنِ الْكَشْفُ حَالَنَا
وَمَنْ نَظَرَ الْأَشْيَاءَ نَظْرَةَ عَارِفٍ
وَحَسِبُ الْفَتَى ذِي اللَّبِّ مَتْنُ إِشَارَةٍ^(١)
وَمَا اخْتَصَّكَ السُّلْطَانُ إِلَّا لِعِلْمِهِ
فَمَنْ فَضَلَهُ وَاللَّهُ يَجْزِي بِفَضْلِهِ

كَمَا غَابَ بَدْرٌ ثُمَّ أَشْرَقَ وَأُنْجَلَى^(١)
عَلَيْنَا فَحَيَّا اللَّهُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا
وَكُنَّا بِكَ الظَّمَانَ صَادِفَ مَنَهْلًا^(٢)
تَهَلَّلَ يَمْرِي الْعَارِضَ الْمُتَهَلِّلاً
وَمِنْ عَادَةِ الْأَقْمَارِ أَنْ تَتَنَقَّلَا^(*)
مِنَ الضَّرِّ حَتَّى تَرْجِعَ الْحَالَ أَوْلَا
عَزِيزًا بِأَكْنَافِ الْمَعَالِي مُبْجَلًا
وَمَنْ بَعَثَ السُّلْطَانَ عَيْنًا وَأَرْسَلَا
وَتَنَصَّرُ مَظْلُومًا وَتُنْقِذُ مُبْتَلَى^(٣)
عَسَى هَذِهِ الْأَحْوَالُ أَنْ تَتَبَدَّلَا^(٤)
دَقَائِقُ لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ تَأَمَّلَا
تُعَلَّلْنَا فِيهِ الْأَمَانِي تَعَلُّلًا
وَلَا شَتَّتْنَا خِرْقَاءَ وَاهِيَةَ الْكَلَالَا^(٥)
رَأَاهَا لَدَيْهِ مُجْمَلًا وَمُفْصَلًا
يَرَى شَرْحَهَا لَوْ كَانَ شَرْحًا مَطْوَلًا
بَأَنَّكَ لَنْ تُرْشَى وَلَنْ تَتَبَرَّطَلَا^(٦)
عَلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَفْضَلَا

(١) هذه القصيدة لم ترد في الديوان المطبوع ولا نسخه الخطية. وإنما وردت في مجموعة أدبية مخطوطة تحت رقم [١١/ ٢٢٨١١ مجاميع] في مكتبة الأوقاف المركزية العامة ببغداد.

(٢) في الأصل: الضمنان (كذا).

(٣) في الأصل: وتنقد بالبدال المهملة. وهي من السهو.

(٤) يبدو أن الأخرس أرسل هذه القصيدة إلى المدوح مباشرة. ولم تلق في مجلس أو ناد. لأنه لا يستطيع أن يقول ذلك أمام الحاضرين كالوالي وحاشيته. وبعض المنتفعين.

(٥) كذا في الأصل، وأرجح أنها (ولايتنا خرقاء...).

(٦) في الأصل: ذو اللب.

(٧) البرطيل: الخطام يقاد به الحيوان، ويستعار للرشوة لأنها تقود المرتشي كالخطام.

(*) في الطبعة (١): (تننقلا) وهو خطأ طباعي يكسر الوزن ولعل الصواب ما أثبتناه.

لَتُدْهَبَ عَنَّا الْبَغْيَ جِيئُهُ (راشد)
 ومنتظر العُقْبَى فَإِنْ وراءها
 فلا زال ظلُّ الله يَأْتِي بَعْدَهُ
 ومن عَدْلِهِ أَنْ يَصْطَفِيكَ لِقُرْبِهِ
 ولم أَرْ مَثَلُ الْفَضْلِ يَرْفَعُ أَهْلَهُ
 فَقُلْ مَا تَشَاءُ وَالْقَوْلُ فِي مَا تَقُولُهُ
 وَدُمْ وَابْقُ وَأَسْلَمْ تَرْتَقِي كُلَّ مَنْصَبٍ

وَنَحْمَدُ فِيهِ أَمِلاً وَمُؤَمَّلًا
 مِنْ اللَّطْفِ مَا يَحْظَى بِهِ سَائِرُ الْمَلَا
 وَمَا وَلِيَّ الْأَحْكَامِ إِلَّا لِيَعْدِلَا
 وَيُدْنِيكَ مِنْ نَيْلِ الرِّيَاسَةِ وَالْعُلَا
 وَلَا حَلِيَّةً كَالصَّدْقِ فِي الْقَوْلِ مِنْ حُلَى
 جَلِيٍّ وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ تَتَّقَوْلَا
 إِلَى قَلَّةِ الْعُلِيَاءِ تَعْلُو وَتُوقِلَا^(١)

(٧١)

وقال مخمساً القصيدة اللامية لمفتي بغداد العلامة السيد عبدالغني آل جميل^(٢)

[وهي من الطويل]:

أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ مَنْظَرٍ
 مَتَى تَخْتَبِرُهُ كَانَ الْأَمَّ مَخْبِرٍ
 فَلَمْ أَدْرِ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَغْيِيرٍ
 (أَيْذَهَبُ عَمْرِي هَكَذَا بَيْنَ مَعْشَرٍ)
 (مَجَالْسَهُمْ عَاقَ الْكَرِيمِ حُلُولُهَا)^(٣)
 أَسْفَتُ عَلَى مَنْ لَيْسَ يَرْجَى لِعُودَةٍ
 وَكَانَ يُرَى عَوْنًا عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ

(١) تَوَقَّلْ: تَصْعَدُ.

(٢) مرت ترجمته في تعليقتنا على القصيدة رقم (٢) وقد نظمها بعد نكته سنة ١٢٤٧هـ على يد أتباع الوالي علي رضا اللاذ، وقد خمستها الأخرس في صفر سنة ١٢٦٨هـ كما ذكر المرحوم عباس العزاوي في مجموعة شعر الأخرس، قلت: ويبدو أن الأخرس خمستها عند نكبة أبي الثناء الألويسي على يد الوالي نجيب باشا سنة ١٢٦٧هـ فجمع الأخرس شكوى النكبتين.

(٣) في المجموعة للعزاوي: (مجالسهم عاف الكريم حلولها) وهذا خطأ لأن القافية مرفوعة.

قَضَى اللهُ أَنْ يَقْضِيَ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ
(وأبقى وحيداً لا أرى ذا مودة)
(من الناس لا عاشَ الزَّمانَ مَلوئُها)
إذا الحُرِّفي (بغداد) أصبحَ مُبْتَلَى
وعاشَ عَزِيزُ القومِ فيها مُنْذَلاً
فلا عَجَبٌ إِنْ رُمْتُ عَنْهَا تَحْوِلاً
(وكيف أرى (بغداد) للحُرِّ منزلاً)
(إذا كانَ مَفْرِيَّ الأديمِ نزيئُها)
لقد كنتُ لم أَحْفَلُ بِأَيامِ عرسِها
ولم يتبدَّلْ شَهْمُها بِأَخْسِها^(١)
فكيف بها إِنْ سادها غيرُ جِنْسِها
(ويسطو على أسادها ابنُ عِرْسِها)
(ويرقى على هامِ السَّمَكِ ضئِئُها)
عجبتُ لندبِ ثابتِ الجأشِ مُفضِلِ
يرى بدلاً من أرضه بِمُبدَلِ
ولم يكُ عن دارِ الهوانِ بِمعزَلِ
(فما منزلُ فيه الهوانُ بِمنزلِ)
(وفي الأرضِ للحُرِّ الكَريمِ بديئُها)
سأركبُها^(*) يا سعدُ كلَّ مُعدَّةٍ
أجوبُ عليها شِدَّةً بعدَ شِدَّةٍ

(١) في المجموعة ص ٤٦ حاشية (١) قال العزاوي: من هذا المقطع لم يرد في الديوان ص ٤٧٢. قلت: هذا وهم وهو مثبت في الديوان، وسنشير إلى ابتداء المجموعة في ما يلي.
(*) في الطبعة (١): (سأركلها) والتصويب من الطراز الأنفس.

وإن ميت أُلْفِي البِيدَ مَوْتَةً وَحِدَةً
 (فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ أَنْ أَقِيمَ بِبِلْدَةٍ)
 (يَفُوقُ بِهَا الصَّيِّدَ الْكَرَامَ ذَلِيلُهَا)
 فَكَمْ قَرَصَتْني مِنْ عِدَاً بِقَوَارِصِ
 هَوَابِطٍ مِنْ أَرْضِ الْمَسَاوِي شَوَاخِصِ
 وَلا قَيْتُ صَعَبَ الْمُرْتَقَى غَيْرَ نَاكِصِ
 (وَأَصْعَبُ مَا أَلْقَى رِئَاسَةً نَاقِصِ)^(١)
 (مَسَاوِيهِ إِنْ عُدَّتْ كَثِيرٌ قَلِيلُهَا)
 أَنْبَهُ طَرْفَ الْحَظِّ وَالْحَظُّ رَاقِدٌ
 وَأَنْهَضُ لِلْعَلِيَاءِ وَالْجَدُّ قَاعِدٌ^(٢)
 وَأَنْتَى أَسْوَدَ الْيَوْمِ وَالدهْرُ فَاسِدٌ
 (وَمَا سَادَ فِي أَرْضِ الْعِرَاقَيْنِ) مَا جَدٌ
 (مَنْ النَّاسِ إِلَّا قَدَمُهَا وَرِذِيلُهَا)
 بِلَادٌ بِقَوْمٍ قَدْ سَعَوْا فِي خَرَابِهَا^(٣)
 فَلَيْسَ شَرَابٌ يُرْتَجَى مِنْ سَرَابِهَا*
 وَلا لِكْرِيمٍ مَنْزَلٌ فِي رَحَابِهَا^(٤)
 (فَسِرُّ عَنْ بِلَادٍ طَوَّحَتْ لَا تَرَى بِهَا)
 (مَقِيلٌ كَرِيمٌ لِلْعِثَارِ مَقِيلُهَا)

(١) في المجموعة: قال العزاوي حاشية ٢ ص٤٦: «في الديوان ص٤٧٢ (واصعب ما ألقاه صحبة ناقص)» قلت: في الديوان رئاسة ناقص. كما في الأصول.

(٢) في الديوان (وانهض للعياء...) من غلط الطباعة.

(٣) في المجموعة ص٤٧ (بلاد سعت جهالها في خرابها) وهو أجمل.

(٤) في المجموعة ص٤٧ (... في قرابها).

(* في الطراز الأنفس:

وقد لاح للأبصار ماءً سرابها	بلاد يكون البغضُ حشواً إهابها
(فسر عن بلاد طوّحت لا ترى بها)	فهل لكريم منزل في رحابها

فليس عليها بعد هذا مَعَوْلٌ
ولا عندها لالأمِليْنِ مُؤْمَلٌ
فيالكِ داراً قد نبتَ بي ومنزلٌ*
(بها الجودُ مذمومٌ بها الحرُّ مُهْمَلٌ)
(بها الشُّحُّ محمودٌ فهل لي بديلُها)
ورُبَّ أخٍ للمجدِ في المجدِ أَلْفٌ
له في ربوعِ الألامِينِ(**) مَواقِفُ
أقولُ له والقولُ كالسُّمِّ زاعِفُ
(ألا يا شقيقَ النفسِ عندي صحائفُ
لِقومٍ لِنِامٍ هل لديك قَبولُها)
صحائفُ ذي غيظٍ على الدهرِ واجِدِ
عليها طوى قَسراً جَوانِحَ حاقِدِ
وَأَنْ لِمَا يُبَدِي لِسَانِي وساعدي
(سأَنشُرُها والهندوانيُّ شاهدي)
(وأذكرُها والسُّمَهرِيُّ وكيْلُها)^(١)
فمن مبلغُ عني كلاماً مُلَخَّصاً
أهانَ به عِرْضَ اللئيمِ وأرْخَصاً
أناساً يعيشُ الحرُّ فيهمُ مُنْغَصاً^(٢)
(ولي كلماتٌ فيهمُ تصدعُ الحَصَى)
(إذا حَكَّموا العَضْبَ اليماني أقولُها)
فكم مَهْمَةٌ* قفرِ طَوَيْتُ مُشافَها
بها كلُّ هولٍ لم يزلْ مَتَشابِها

(١) في المجموعة ص ٤٧ قال العزاوي: لم يرد في الديوان ص ٤٧٢. قلت ورد في صفحة ٤٧٢.

(٢) في المجموعة ص ٤٨: أناس... والصواب أناساً.

(* وردت في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (فيالك دار قد نبت بي ومنزل)، ولعل صحتها (داراً) ولكن يبدو أن القافية ألجأت الشاعر إلى رفعها حتى يعطف عليها (ومنزل).

(**) في الطراز الأنفس (المُحَنَّقِينَ).

وواجهني ما لم يكن لي مُواجهها
 (عفا الله عني كم أجوبُ مهامِها)
 (من الأرضِ يَسْتَفُّ التُّرابَ دليُّها)^(١)
 طويتُ فيافيها ذهاباً ورجيئةً
 أكانَ عَناءً طيُّها أم بليئةً
 كمن يَبْتَغِيها مُنيَّةً أو مَنِيَّةً
 (لعلِّي ألقى عصبَةً عِشَمِيَّةً)
 (فُروعَ مَناجيبِ كرامٍ أصولُها)^(٢)
 إذا نَطَقُوا بالقَوْلِ فالقولُ مُفْلِقٌ
 وإنْ حاولوا مَجْداً فعزْمٌ مُحَلِّقٌ
 لَهُمُ أَرْجٌ لم يُكْتَتَمَ فَهُوَ مُعَبِقٌ
 (ينمُّ بهمُ مجدٌ رفيعٌ ومنطقٌ)
 (ويُنْبِي عن الخيلِ العِتاقِ صَهيْلُها)^(٣)
 لقد طالما قد بُتُّ أطوي وأنطوي
 على مِضْضٍ أَمَسَتْ على الضَّيْمِ تحوي
 فيا سعدُ قلْ لي إنْ نصحتَ فأرعوي
 (متى يلثمُ اللَّبَّاتِ رُمحي وترتوي)
 (سيوفٌ بأعناقِ اللئامِ صَليْلُها)^(٤)
 أحنُّ إلى يومِ عَبوسٍ عَصَبُصَبٍ
 يَبْلُ غَليلي مُنْجِبٌ وابنُ مُنْجِبِ

(١) في المجموعة ص ٤٨: يستاف. وهي خطأ. ويستف أي يثير الغبار.

(٢) في المجموعة ص ٤٨ قال العزاوي: هذا المقطع لا يوجد في الديوان. قلت هو في صفحة ٤٧٣.

(٣) في المجموعة ص ٤٨ (ويبني...) ثم قال في الحاشية (كذا) ولم يتبين له وجه الصواب.

(٤) في المجموعة ص ٤٨ قال العزاوي: ليس له ذكر في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٣.

فِيا لَيْتِ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي بِمَوْكِبٍ
 (وحولي رجالٌ من مَعَدٍّ ويعربُ)
 (مَصالِيْتُ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ قَبِيلُهَا)
 شِفَاءً لِنَفْسِي يَا أُمِيمَةً حَشْرَجْتُ^(١)
 أَوْ السَّاعَةَ الْخَشَنَّا إِلَى الْأَمْرِ أَحْوَجَتْ
 فَهَلْ مِثْلُ أَسَادِ الشَّرَى حِينَ هُيِّجَتْ
 (إِذَا أَوْقَدُوا لِلْحَرْبِ نَارًا تَأَجَّجَتْ)
 (مَجَامِرُهَا وَالْبَيْضُ تَدْمَى نُصُولُهَا)
 كَهَوْلٌ وَشُبَّانٌ كُماةٌ بَأْيِّهِمْ
 ظَفَرْنَا رَأَيْنَا كَهْلَهُمْ كَفَتِيَّهِمْ
 حِمَاةٌ بِمَاضِيهِمْ وَفِي سَمَهَرِيَّهِمْ
 (وَبِالسُّمْرِ تَحْمِي الْبَيْضِ شِبَّانِ حِيَّهِمْ)
 (وَبِالْبَيْضِ تَحْمِي السُّمْرِ قَسْرًا كَهَوْلُهَا)^(٢)
 مِنْ الْقَوْمِ مَا زَالَتْ تُطَبِّقُ سَحْبُهُمْ
 وَفِي عَدَمِ الْجَدْوَى تَفَارَطَ صَوْبُهُمْ
 كِرَامٌ بِيَوْمِ الْجَدْبِ يُعْرِفُ خِصْبُهُمْ
 (يَهْشُونَ لِلْعَافِي إِذَا ضَاقَ رَحْبُهُمْ)
 (وَجَوْهًا كَأَسْيَافٍ يُضِيءُ صَقِيلُهَا)
 نَمَاهُمْ أَبُ عَالِي الْجَنَابِ سَمِيدَعُ
 وَعَنْ أَصْلِ زَاكِي الْعَنْصَرِينَ تَفَرَّعُوا
 فَإِنْ يَدْعُوا الْعَلِيَاءَ كَمَا ادْعُوا^(٣)
 (إِلَى خِنْدِفٍ^(*) يُنْمَى عَلَاهُمْ إِذَا دُعُوا)^(٤)
 (وَمِنْ خَيْرِ أَقْبِيالٍ إِذَا عُدَّ قَبِيلُهَا)^(٥)

(١) في المجموعة ص ٤٨: شفاء لنفس.

(٢) في المجموعة ص ٤٩ قال العزاوي: ليس له ذكر في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٣.

(٣) هنا العين مفتوحة وهو عيب.

(٤) خندف: لقب لقبيلة قريش وهو اسم جدة لهم.

(٥) في المجموعة ص ٤٩ قال العزاوي: لم يكن في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٤.

(*) في الطبعة (١): (خندق) وهو خطأ طباعي والصواب ما اتبناه من الطراز الأنفس.

فَمَنْ لِي بِأَبْيَاتِ يَرُوقُكَ وَصَفُّهَا
يُهَانُ مُعَادِيهَا وَيُكْرَمُ ضَيْفُهَا^(١)
بحيث العُلا والعِزُّ مما يَحْفُفُهَا*
(وما العِزُّ إلا في بيوت تَلْفُهَا)
(عَذَارَى وَأَبْكَارُ الْمَطِيِّ حَمُولُهَا)
تُلِمُّ بِهَا إِنْ دَاهَمَتْهَا مُلْمَةٌ^(٢)
رِجَالٌ مَسَاعِيهَا إِلَى الْمَجْدِ جَمَّةٌ
وَإِنْ هِيَ زَمَّتْهَا عَلَى السَّيْرِ أَرْمَةٌ
(تَحْفُفُ بِهَا مِنْ آلٍ وَائِلٍ غَلْمَةٌ)
(لَهُمْ صَوْلَةٌ فِي الْحَرْبِ عَالٍ تَلِيْلُهَا)^(٣)
وَإِنِّي لِأَشْكُو عُصْبَةً مَا تَطَّاطَأْتُ
لِرُشْدٍ وَإِنْ تُدْعَ إِلَى الرُّشْدِ أَبْطَأْتُ
لِهَا الْوَيْلُ قَدْ خَطَّتْ ضَلَالًا وَأَخْطَأْتُ^(٤)
(إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُصْبَةً قَدْ تَوَاطَأْتُ)
(عَلَى دَخْنٍ بَغِيًّا فَضَلَّتْ عُقُولُهَا)^(٥)
إِلَامَ الْمَعَالِي يَمْلِكُ الرَّذْلُ رِقِّهَا^(٦)
وَيَمْنَعُهَا مِنْ ظَلَمِهِ مُسْتَحَقُّهَا
أَلَا دَعْوَةٌ لِلْمَجْدِ نَعْرِفُ^(**) صِدْقُهَا
(أَلَا غَيْرَةٌ تَقْضِي الْمَنَازِلَ حَقُّهَا)
(وَتَوْقِظُ وَسَنَانِ التُّرَابِ خِيُولُهَا)

(١) في الأصول: طيفها. (كذا).

(٢) في الأصول: ... ساهمتها ملمة. وما أثبتناه أولى.

(٣) في المجموعة ص ٤٩ قال العزاوي: لا يوجد في الديوان. قلت هو في صفحة ٤٧٤.

(٤) في الديوان: .. قد أخطت ضلالاً وأخطأت. وصوبتها إلى (خطت..) من الخطه. وفي المجموعة قال العزاوي: لا يوجد في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٤. وقال: «في غرائب الاعتراب (..) واخطلت) وهو الصواب» قلت: بل الخطأ. لأن الشاعر التزم الهمزة في القافية.

(٥) الدخن: بفتح الدال والخاء. الحقد والضغينة، وفي المثل: (هدنة على دخن).

(٦) في المجموعة ص ٤٩ (.. رقمها) وهي غلط.

(*) في الطبعة (١): (يحضها) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (نُوفٌ) خطأ طباعي ولعل الصواب ما أثبتناه، وبه يستقيم الوزن.

عَوَادٍ بِمِيدَانِ الْوَعَى لِمَفَاخِرٍ
 بِكُلِّ نِزَارِيٍّ عَلَى الْمَوْتِ صَابِرٍ
 إِذَا أَقْبَلَتْ مِنْ كُلِّ عَوْجَاءٍ ضَامِرٍ
 (عَلَيْهَا رِجَالٌ مِنْ نِزَارٍ وَعَامِرٍ)
 (مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا كَرِيمٍ قَتِيلُهَا)
 إِذَا نَحْنُ لَمْ نَحْمَدُ بِحَالِ زَهَابِنَا
 إِلَى شَرِّ جَيْلٍ شَرُّهُمْ قَدْ أَنْابِنَا
 فَلِمَ لَا نُعَانِي حُزْنَنا وَاكْتِئَابِنَا
 (كَفَى حُزْنَنا أَنَا نُعْنِي رِكَابِنَا)
 (إِلَى مَعْشَرٍ مِنْ جَيْلٍ يَأْفَتْ جَيْلُهَا)^(١)
 تَرَكْتُ دِيَارَ الْلَّهْوِ وَالْعَقْلِ تَابِعِي
 وَبَدَّلْتُ سُكْنَاهَا بِسُكْنَى الْمَرَابِعِ
 وَمَا غَرَّنِي فِي الْكُونِ بَرَقُ الْمَطَامِعِ
 (إِذَا كَانَتْ الْعَلِيَاءُ حَشْوًا مَسَامِعِي)
 (يَرِينِي الْمَعَالِي سَفْحُهَا وَطُلُوبُهَا)^(٢)
 لَقَدْ خَابَ مَسْعَاهَا إِلَيْهِمْ وَبَنَسَ مَا
 تَقَحَّمَتِ الْأَمْرَ الْخَطِيرَ تَقَحُّمًا
 تَرُوحُ رِوَاءً تَرْتَمِي أَيَّ مُرْتَمَى^(٣)
 (فَتَرْجِعُ حَسْرَى ظُلْعًا شَفَّهَا الظُّمًا)
 (فِيهَا لَيْتَهَا ضَلَّتْ وَسَاءَ سَبِيلُهَا)
 لَسْنُ كَانَ صَحْبِي كُلُّ أَرْوَعٍ يَجْتَرِي
 عَلَى كُلِّ لَيْثٍ فِي الْكُرَيْهَةِ قَسُورٍ

(١) في المجموعة ص ٥٠ قال العزاوي: لم يوجد في الديوان، قلت: هو في صفحة ٤٧٤.

(٢) في المجموعة ص ٥٠ قال العزاوي: إنه في صفحة ٤٧٣ من الديوان. قلت: لم يرد هذا المقطع في الديوان.

(٣) في المجموعة ص ٥١: تروح رِوَاءًا.. وهي خطأ.

ترفعتُ عن رذلِ الصِّفَاتِ مُصَعَّرٍ^(١)
 (فلا ألوي*) للأندالِ جيدي ومعشري)
 (بهاليلُ مُسْتَنُّ المنايا نزولُها)
 إذا لم يكنْ ظلُّ خليِّاً من الأذى
 تلذذتُ في حرِّ الهَجِيرِ تلذُّذاً
 وبدلتُ هذا بعد أن عِفَّتُهُ بذا
 (رعى الله نفسِي لم تردِ مَوْرِدَ القَدَى)
 (وتصدى وفي ظلِّ الهَجِيرِ ظلياً لها)
 يرى المجدَّ مجداً من أغارَ وأنجداً
 ولم يُبقِ في جَوْبِ الفَدَافِدِ فدُفداً
 إلى أنْ شكَّتُهُ البيدُ راحَ أو اغتدى
 (ومن رامَ مجداً دونهُ جَرَعَ الردى)
 (شكته الفيافي وعَرُّها وسهولُها)
 رجالُ المعاني بالمعالي منالُها
 مُناها إذا ما حانَ يوماً نزالُها
 هي المجدُّ أو ما يُعجِبُ المجدَّ حالُها
 (وما المجدُّ إلا دولةٌ ورجالُها)
 (أسودُ الوغَى والسَّمْهَرِيَّةُ غيلُها)^(٢)
 ديارٌ بها نيطتُ عليَّ تمائمي^(٣)

(١) في المجموعة ص ٥١: مصغر (بالغين المعجمة) والصواب بالمهملة.

(٢) إلى هنا في الديوان المطبوع والباقي من مجموعة شعر الأخرس للمرحوم عباس العزاوي.

(٣) تضمين لقول الشاعر:

بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي
 وأول أرض مسَّ جسمي ترابها

ولم يحصره بين قوسين في الأصول.

(*) هكذا وردت في الطبعة (١): والطراز الأنفس وبها ينكسر الوزن، ولعل صوابها (فلم ألو).

وكان العُلا إذ ذاك عَبْدِي وخادِمي
 فكيف أرى في اللُّهُو لَمْعَةً شائِم
 (إذا أُبرِقَتْ في السَّفْحِ صوبَ الغنائِم)
 (وشاقَّ لعينِ الناظرينَ هُمُولُها)
 يُذَكِّرُنِي ذاكَ العِهادِ مَعاهدا
 يروِّقُكَ مَراهُ إذا كَنتَ رائِدا
 فكنْ لي على صوبِ الدموعِ مُساعدا
 (متى سَمِعْتَ أذْناكَ مِنِّي رَواعدا)
 (تصوبُ عَزالِها وتَهْمِي سيولُها)
 ذَكَرتُ زماناً قد مَضَى في رِحابِها
 سَقَّتْهُ عِيونُ المَزنِ حينَ انْسِكابِها
 لَقد شاقَّنِي ظِبي الكِناسِ الَّذِي بِها^(١)
 (فكم مرةٍ في بُعْدِها واقتِرابِها)
 (تشافَتْ من الأرضِ الجَرازِ^(*) مُحولُها)
 فأنبَتَتْ الخِضراءُ مُحَمَّرٌ ورْدِها
 وفاخَرتِ البِيداءُ في وَشْيِ بُرْدِها
 ولما طَغَتْ في جَزْرِها بَعدَ مَدِّها
 (سَقَى كُلَّ أرضٍ صوبُها فوقَ حَدِّها)
 (ورواحُها^(**) عَقَبَى النَّسِيمِ بليُّها)
 فيا ليت شعري هل أرى بَعدَ دارِها
 من العَنَبَرِ الوَرديِّ مَوقِدَ نارِها
 وهل ناشقُّ من رَنْدِها وَعَرارِها
 (على أَنَّها مَعَ قُربِها من مَزارِها)

(١) من عيوب القافية أن يجعل الشاعر (الذي بها) بالياء. مع (رجالها وانسكابها) بالالف.

(*) الأرض الجراز: الأرض المجدبة التي لا نبات فيها أو الأرض التي أكل نباتها.

(**) في الطبعة (١): (ورواحها) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(تَلُوْحٌ لَعَيْنِي فِي الْبُعَادِ تُلُوْهَا)
 قَضِيْتُ بِهَا عَيْشاً عَلَى الرَّغْمِ نَاعِماً
 أَرَى صَادِحاً فِي صَفْحَتَيْهِ وَبَاغِماً^(١)
 فَيَوْقِظُ مَنْ قَدْ كَانَ فِي الطَّيْفِ حَالِماً
 (وَلَمْ يَسْتَمِعْ فِيهَا عَذُولاً وَلَا ثَمّاً)
 (إِذَا كَانَتِ الْوَرَقَاءُ فِيهِ عَذُولُهَا)
 فَكَمْ رَاكِبٍ فَوْقَ الْكُمَيْتِ وَسَابِقٍ
 بِحَلَبَةِ مَجْرَاهُ عَدَا غَيْرَ لَاحِقٍ
 إِذَا لَمَعَتْ فِي اللَّيْلِ لَمْعَةً بَارِقٍ
 (يَذُرُّ عَلَيْهِ بِالسَّنَا ضَوْءٌ شَارِقٍ)
 (كَمَا نَزَّهُ مِصْبَاحُهَا وَقَتِيْلُهَا)
 فَكُنْ مُسْعِدِي يَا سَعْدُ حِينَ انْقِضَائِهَا
 مَتَى نَفَرْتَ جِيرَانُهَا مِنْ فِنَائِهَا
 وَأَقْفَرَ ذَاكَ الْمُنْحَنَى مِنْ ظِبَائِهَا
 (وَحَلَّ سَوَادٌ فِي مَكَانِ ضِيَائِهَا)
 (وَمَا أُعْطِيَتْ عِنْدَ التَّوَسُّلِ سَوْلُهَا)
 فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مُنِيَّةٌ أَوْ مُنِيَّةٌ
 بِهِ النَّفْسُ تَرْضَى وَهِيَ فِيهِ حَرِيَّةٌ
 فَهَذَا بُرُودٌ نَسَجَهَا سُنْدُسِيَّةٌ
 (وَمَا النَّفْسُ إِلَّا فِطْرَةٌ جَوْهَرِيَّةٌ)
 (يَرُوقُ لَدِيهَا بِالْفِعَالِ جَمِيْلُهَا)
 فَفِيهَا يَكُونُ الْمَرْءُ شَهْمًا مُعْظَمًا
 لَدَى كُلِّ مَنْ لَاقَاهُ يَغْدُو مُكْرَمًا
 فَهَذَا تَرَاهُ بِالْفَخَارِ مُعَمَّمًا
 (إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَجْعَلْ حِلَاهَا تَحَلُّمًا)

(١) الصادح: الطير.. والباغم: الطباء..

(٢) في المجموعة (وظل) - كذا -

(فقد خابَ مَسْعَاهَا وَضَلَّ مَقِيلُهَا)^(٢)
فألطفُ آثارَ الحبيبِ طُلُوْلُهَا
وأنفسُ أطرارِ السُّيُوفِ نُصُولُهَا^(١)
فهذي المزايا قلَّ من قد يقولُهَا
(وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ عقولُهَا)
(وأحسنُ أنواعِ النِّيَاقِ فحولُهَا)
كمالُ الفتى يحلو بحسنِ صفاته
فيزهو لدى الأَبصارِ لطفُ سِمَاتِهِ^(٢)
يفوقُ الفَتَى أقرانهُ في هباته
(وهل يقبلُ الإنسانُ نَقْصاً لِيذَاتِهِ)
(إذا كان أنوارُ الرجالِ عُقولُهَا)
فلا العِرضُ من هذا الفَتَى بمدنُسِ
إذا حلَّ في نادٍ بخيرِ مؤسسِ
وهذا الذي قد فان في كلِّ أنفَسِ
(فكم أثمرتُ بالجدِّ أغصانُ أنفُسِ)
(إذا ما زكتُ أعراقُهَا وأصولُهَا)
يُورِّقُنِي في ذكرهمُ حينَ يَعْرِضُ
نسيمُ الصِّبَا يسري أو البرقُ يومضُ
أحبُّهُ قلبي حينَ صدّوا وأعرضوا
(ويوحشُنِي مَنْ بالرُّصافةِ قَوْضوا)^(٣)
أرى جاهلاً قد نالَ في جَهْلِهِ المُنَى
كذا عالِماً عانى على عِلْمِهِ العِنا
وذلك من جَوْرِ الزمانِ وما جَنَى
(ومن نكَدِ الأيامِ أنْ يُحرَمَ الغِنَى)

(١) في المجموعة (أطوار...) - كذا - وما أثبتناه أولى. واطرار جمع طرير وهو حد السيف.

(٢) في المجموعة فتزهو.

(٣) في المجموعة (ويوحش من بالرصافة قوضوا) ولا يستقيم معها المعنى ولا الوزن.

(كريمٌ، ويحظى بالثراءِ بخيلُها)
أراني وأنياقي لإلفٍ وصاحبي
إلى جانبٍ أصبو وتصبو لجانبِ
فما بالنا لم نتَّفِقْ في المذاهبِ
(تحنُّ إلى أرضِ العراقِ ركائبِي)
(وصحبي بأرضِ الشامِ طابَ مَقِيلُها)
فهل تسمعُ الأيامُ لي بـرجوعِها
فأحظى بأحبابٍ كرامٍ جميعِها
لقد عاقني عنها نوىً بنزوعِها
(وأخّرني عن جِلْقٍ وربوعِها)
(علائقُ قد أعيا البخاتي حمولُها)^(١)
لقد عادتِ الأيامُ تزهبو بوصلِها
وإشراقِ محياها وأبيضِ فِعْلِها
تذكّرتُها والعينُ غرقتُ بوِبْلِها
(وعاودني ذكّري دمشقَ وأهلِها)
(بكاءُ حماماتٍ شجاني هديلُها)
شجّنتني وما قلبُ الشجيِّ كقلبِها
ولم تحك من عينيّ منهلٌ صوبِها
فما برحتَ من شجّوها أو لحبِّها*)
(تُرَدُّ أَلحاناً كأنَّ الذي بها)
(من الوجدِ ما بي والدموعُ أذيلُها)
منازلُ أشواقِي ومنشأ عِلاقَتِي

(١) البخاتي: جمع البخت وهو البعير [ومفردُها بختي]. والبختية وهي الإبل الخراسانية تنتج بين عربي وفالج، وقيل إن البخت عربي] انظر: لسان العرب. مادة (بخت) وفي الحديث يصف شعور النساء (كأسمة البخت).

(*) في الطبعة (١): (لجّها)، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وسكّر صباباتي بها وإفاقتي
 حَلَفْتُ يَمِيناً صَادِقاً جَهْدَ طَاقَتِي
 (لَسْنُ بَلَّغْتَنِي رَمْلَ يَبْرِينَ نَاقَتِي) (١)
 (عَلَيَّ حَرَامٌ ظَهْرُهَا وَمَشْيُهَا)
 ولم أنس - لا أنسيت - في كلِّ ضامرٍ
 وقوفي على ربعٍ لظمياءٍ (*) دائرٍ
 بحسرةٍ ملهوفٍ وصفقةٍ خاسرٍ
 (وكم لي على جيرونٍ وقفه حائرٍ) (٢)
 (له عَبَرَاتٌ أَغْرَقَتْهُ سُبُوءُهَا)
 أَلَمْ تَنْظُرِ الْأَرْزَاءَ كَيْفَ تَعَدَّدَتْ
 وساعدت النحسَ الشقيَّ وأسعدت
 قعدنا وقامت أرذلونا فسودت
 (وكم باسقاتٍ بالرصافة أقعدت)
 (على عجزها حيث استطال فسيؤها)
 لقد نالها دنيا دنِّي تجبِّرا
 فتاه على أشرافها وتكبِّرا
 وكان أذلَّ العالمين وأحقِّرا
 (لحَا الله دنيا نالها أحقرُ الوري)
 (وتاه على القوم الكرام فسولها)
 لعلَّ خطوباً قد أساءت تسُرُّني
 عواقبها حتى أراها بأعيني
 وإنِّي على وهني لما قد أمضني

(١) يبرين: عدة مواضع في بلاد العرب وبهذا الاسم منها قرية قرب حلب. وصقع في البحرين، معجم البلدان ٥/ ٤٢٧.

(٢) جيرون: حصن في دمشق، وقيل هي دمشق عينها. معجم البلدان ٣/ ١٩٩.

(*) في الطبعة (١): (الظمياء) وهو خطأ طباعي.

وقال يرثي الشيخ بندر بن محمد بن ثامر آل السعدون^(١) شيخ المنفق [وهي

عيونُ ذوي الحاجاتِ من كلِّ مَعْشَرٍ
لواعجُ حزنٍ في الجوانحِ مُضْمَرٍ
ولا عَبْرَةٌ من مقلّةٍ لم تَحَدَّرْ
لربيعٍ على نهرِ المَجْرَةِ مُقْفَرٍ
يخدُّ أخايدَ الفلّاةِ ومُغَوِّرٍ
صُدورِ المطايا ما ثوى قبرُ (بندر)
من الحزنِ مُبَيضُ الدموعِ بأحمرٍ
لعالٍ كما صَدَرَ القنّاةُ مُشْهَرٍ
بكائيٍ على وفدٍ من العزِّ مُكْثَرٍ
بأكثرَ من قطرِ الغمامِ وأَعَزَّرِ
كما لي فيه عبْرَةٌ المُتَفَكَّرِ
خلا منه يوماً خاطري وتذْكَري
ووارى ترابُ الأرضِ طلعةَ نَيْرٍ
ولم تَسْتَتِرْ أضواؤه بمُسْتَتِرٍ
وما حَذْرِي إنْ كان يجدي تحذُري
فأعدمني صبري فأئني تَصْبُري
ومن يعتذرُ مثلي إلى الصبرِ يُعَدِّرِ
من الصيِّدِ مفتولِ الذراعِ غَضَنْفَرِ

بَكَتْ بدمٍ من بعد (عيسى) و(بندر)^(٣)
وأهْرَقَتْ الدمعَ الغزيرَ عليهما
فلم تَبْقَ منه زفرةٌ ما تَأَجَّجَتْ
أقولُ لركبِ راحٍ يرتادُ منزلًا
سَرَى ضارباً في الأرضِ ما بينَ مُنْجِدٍ
أقيموا عل قَبْرِ ثوى فيه (بندر)
ولا تَسَامُوا من واكفِ الدمعِ وامزجوا^(*)
ولا تندبوا غيرَ المكارمِ والعُلا
بكيْتُ فأكثرْتُ البكاءَ وحقُّ لي
وإني لمعذورٌ إذا ما بكيتُهُ
ولي عبْرَةٌ لم تَرَفَا عند ادِّكاره^(٤)
وهيهات أن أسلوه يوماً وأنني
حسامٌ صقيلُ المتنِ أغمَدَ في الثرى
وقد كان لم يحجبْ سنّاه بحاجبٍ
فوا أسفي إنْ كان يغني تأسُفي
وكنْتُ أراني في النوائبِ صابراً
وإني لمَقْبُولُ المعاذيرِ في الأسي
لقد ضِيقْتُ ذرعاً بَعْدَ فِقْدانِ باسلٍ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٤).

(٢) هذه القصيدة لم ترد في أصول الديوان وقد وردت في (مخطوطة شعر الأخرس) التي حققها ونشرها الدكتور يوسف عز الدين وهي رقم ٢ في المخطوطة. وأصل المخطوطة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم [٦٥٢٥].

(٣) الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر آل السعدون. مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٥).

(٤) في الأصل: لم ترق. والصواب بإثبات الألف وتخفيف الهمزة ولا يجوز حذف الألف.

(*) في الطبعة (١): (وافرجوا) والصواب ما أثبتناه من مخطوطة شعر الأخرس، شاعر العراق في القرن التاسع عشر، تحقيق الدكتور يوسف عز الدين، منشورات دار البصري، بغداد ١٩٦٣م..

وما سرّ نفسي بعده ما يسرّها
 فيا عبّراتي كلّ أنّ تحدرّي
 فقد غاض بحرٌ كلّما مدّ راحةً
 فتسخرُ من وبل السحاب أكفّه
 إلى الله خطبُ كلّ يومٍ يعادُ لي
 مُصابٌ أُصيبتُ فيه (أل محمد)
 أُصيبتُ بقومٍ* ما أُصيبتُ ولم تصب
 أرتنا المنايا كيف تُصمي سهامها
 ولو أنه يُفدى فدته أماجِدُ
 ولو أنه يدعو الكُماة لنصره
 ولكنها اغتالته إذ ذاك غيلةً
 خذي من تشائي بعد أخذك (بندراً)
 فما كان مَفقودٌ تشقُّ جيوبها
 سقاك الحيا المنهلُ يا قبر (بندر)
 سألتك والأجفان يرفض ماؤها
 تدلى عقيراً فيك والحتف صارمُ
 محاسن ذاك الوجه كيف تغيّرتُ
 وكان يلاقي ضيفه متهللاً
 وقد نُكّرت من بعد علمي بأنّها
 مضى لا مضى إلا إلى عفوربه
 فهل ودّعته المشرفيّة والقنا
 لمن ترك الخيل الجياد كأنّها

ولا راق - ما قد راق - شيء لمنظري
 ويا نار أحشائي عليه تسعري
 إلى الوفد فاضت منه خمسة أبحر
 بأبرع من وبل السحاب المسخر^(١)
 برزء من الأرزاء يقطع أبهري
 برغم العوالي من وشيخ وسمهري^(٢)
 به (مضّر الحمرا) ولا آل (حمير)
 وكيف تصول النائبات وتجتري
 ترى الموت - إلا فيه - أربح متجر
 عليها أجابته بنصر مؤزر
 ولم تمتنع عنه بجند وعسكر
 من الناس من قد شنته وتخيري
 عليه المعالي يوم مجد ومفخر
 وحيك مهراق الغمام الممطر
 عن الضيغم العادي فهل أنت مخبري
 لعمري متى يعقر به الليث يعقر
 وكان على الأيام لم تتغير
 بوجه صباح بالمحاسن مسفر
 معارف للمعروف لم تتنكر
 ومسرح جنات ومورد كوثر
 وناحت عليه البيض في كل محضر

(١) في الأصل: وبل الحساب. وهي من غلط الطباعة.

(٢) في الأصل: (من مشيخ..) بالحاء المهملة وكتب المحقق في الحاشية: في نسخة ش و ب (من نشيخ). قلت:
 والصواب ما أثبتناه والوشيح هو الرمح.

(* في الطبعة (١) وفي مخطوطة شعر الأخرس: (بقوم) ولعل صوابها (بقوم).

صَوَاهِلَ يَعْشَقْنَ الطَّرَادَ بِمَوْقِفِ
دَعْوَاهِ لِلجَدْوَى مِرَاراً فَلَمْ يُجِبْ
وكان من الداعي بمرأى ومسمع
قريب من الحُسنى مجيب لمن دعا
تُراه سَلاناً بعد هذا بغيرنا
ألم يدِرْ أَنَّ المُلْكَ أَهْمِلَ بَعْدَهُ
وَأَنَّ بني العلياءِ ضاقتْ صُدُورُها
ومن نَظَرَ الأَيامَ مُعْتَبِراً بِها
تَحذَرنا صَرَفُ المَنونِ نُزولَها
وَنَغْتَرُ بِالآمالِ لا في سَرابِها^(٢)
ونبكي على الدنيا على غير طائلٍ
نؤمِّلُ فيها أَنْ يدومَ لَنَا بِها
ونطمعُ منها بِالْمُحالِ ولم تَكُنْ
وهذي هي الأَجالُ قد قُدِّرَتْ لَنَا
ولا بد أن يُمَشَى بنا فوق أَرَبِيعِ
ولو أَننا كُنَّا بِقَصْرِ مُشَيِّدِ
وإنَّ المَنايا كائِناتٍ لِوَقْتِها
ولا وَزَرَ مِمَّا قَضَى اللّهُ عاصِمُ
على أَنها الدنيا إذا ما صفا لَنَا
ومن ترك الدنيا رَأها بِعَينِهِ

عرائس ما زُفَّتْ لِغَيرِ مُظَفَّرِ
تَبيعُ الردى فيه الكُماةُ وتشتري
دُعاءَ لَنَا عن عِزَّةٍ وتكُفِّرُ
وفي منظرٍ مِمَّا يروقُ وَمَخْبَرِ
زَعيمٍ بأخذِ الفارسِ المُتَجَبِّرِ
بأرْعَدِ عَيشِ أم بأكْرَمِ مَعْشَرِ
وليس سوى (فهد) له من مُدَبِّرِ^(١)
لِفقدانِ ذاكِ السَيِّدِ المُتَصَدِّرِ
رَأها بعينِ الذاهِلِ المُتَحَيِّرِ
وَتُنذِرنا في كلِّ يَوْمٍ بِمُنذِرِ
شِرابٍ ولا منها ورودٌ لِصَدْرِ
وما أَحَدٌ من أَهلِها بِمُعَمَّرِ
حِياةٍ وما دامتْ لـ (كسرى) و(قيصر)
أمانِينا إلا أَحاديثُ مُفْتَرِ
ولم يَنلِ الإنسانُ ما لم يُقَدِّرِ
إلى حَفرةٍ لا مِشِيَةَ المُتَبَحِّثِرِ
وحصنِ حَصىنِ بِالْحديدِ مُسَوَّرِ
إِذا قُدِّمَتْ لِلمرءِ لَمْ تَتَأخَّرِ
ولا يُتَّقَى مِنْهُ بِدِرْعٍ وَمِغْفَرِ
بِها العِيشُ شابَتْ صَفوهُ بِمَكْدَرِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٥).

(٢) في الأصل: وتغتر. وهي من غلط الطباعة.

(٣) في الأصل: أضفر (كذا).

يَرِدُ النَّاسُ بِحَرِّهِ الْمُتَلَاظِمُ^(٢)
 إِنَّمَا هَذِهِ الرَّجَالُ عَوَالِمُ
 مَا لِذَلِكَ السَّرِّ الرَّيُّوبِيِّ كَاتِمِ
 مُسْتَقِيمًا وَعَارِضًا مَتْرَاكِمِ
 تَبَيَّنَ مِنْ فَضْلِ [رَبِّكُمْ هُوَ] (*) حَايِمِ
 طَرِقُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ نَاجِمِ
 أَيْنَ مِنْ فَضْلِكَ السُّيُوفُ الصُّوَارِمِ
 نُنْ لِعَمْرِي بِمِثْلِ ذَاتِكَ قَائِمِ
 ضِ عَلَى أُمَّةٍ لَهَا اللَّهُ رَاحِمِ
 رَاحٍ يَجْلُو لَيْلًا مِنَ الشُّكِّ فَاحِمِ
 لَمْ تُسَلِّمْ بِالْحَقِّ مِنْ لَا يُسَالِمِ
 طَلِّ وَالجَّاحِدِ الْأَلَدِ الْمُخَاصِمِ
 طِ وَفِيهَا لَا زَالَ دَفْعُ الْمِظَالِمِ
 قَصَّرْتُ دُونَهَا يَدَا كُلِّ ظَالِمِ
 قَطَّبْتُ وَجْهَهَا وَتَغْرُكَ بِاسْمِ
 لَهُ وَالْعَدْلِ بِالَّذِي أَنْتَ حَاكِمِ
 كَرِ اتِّ بِالْحَقِّ مَاضِي الْعِزَائِمِ
 لَسْتَ تَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمِ

أُتْرَى فِي الْوُجُودِ مِثْلُكَ عَالِمِ
 أَنْتَ مِنْ أَشْرَفِ الْعَوَالِمِ ذَاتًا
 أَظْهَرَ اللَّهُ فِيكَ لِلنَّاسِ سِرًّا
 وَلَكَ اللَّهُ مَا بَرَحْتَ صِرَاطًا
 كُلُّ ظَالِمٍ عَلَى مَنَاهْلِ مَا أَوْ
 تَتَلَقَّى الْأَفْهَامُ مِنْكَ وَمَا تَنْدُ
 كَلِمَاتُ كَأَنَّهُنَّ سَيُوفُ
 يَا قِوَامَ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ وَالِدِي
 إِنَّمَا أَنْتَ رَحِمَةُ اللَّهِ فِي الْأُرَى
 أَنْتَ لِلْحَقِّ وَالْيَقِينِ صَبَاحُ
 شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهَا مَعْجَزَاتُ
 حُجَجٍ تُفَحِّمُ الْمُجَادِلَ بِالْبَا
 وَضَعْتَ لِلوَرَى مَوَازِينَ بِالْقَسِ
 طَاوَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءَ بِأَيْدِي
 قَدْ رَأَيْنَا وَلِإِيَالِي صُرُوفُ
 لَا تُبَالِي إِذَا حَكَمْتَ بِأَمْرِ الدِّ
 أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهٍ عَنِ الْمُنْذِ
 وَإِذَا مَا أَمَرْتَ لِلَّهِ أَمْرًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الديوان المطبوع. وهي موجودة في مخطوطة الديوان تحت رقم (٦١٤) في مكتبة المجمع العلمي العراقي. وقد نشرتها الدكتورة عاتكة وهي الخرجي في المجلد (٢٧) من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٦م.

(*) عجز البيت مكسور، ولعل صواب النص:

تبَيَّنَ مِنْ فَضْلِ [رَبِّكُمْ هُوَ] حَايِمِ

كُلُّ ظَالِمٍ عَلَى مَنَاهْلِ مَا أَوْ

لَكَ جِدُّ الْكَلَامِ وَالْكَلِمِ الطَّيِّبِ
نَبَّهَتْ مِنْ أَرَدَتْ مِنْ سِنَّةِ الْغَفْرِ
رَجَعَ الْمَجْرُمُ الَّذِي اقْتَرَفَ الذَّنْدَ
أَعْرَبَتْ عَنْ بِلَاغَةِ لِكَ أَقْلًا
عَرَدَتْ مَا جَرَتْ بِأَيْدِيكَ فِي الطَّرِّ
نَافِثَاتٌ وَهِيَ الْجَدَاوِلُ لِلْفَضْرِ
اتَّبَعْنَا بِالْحَقِّ مَلَّةً (إِبْرَا
وَاتَّخَذْنَا قَبْلَهُ وَإِمَامًا
أَنْتَ لَا غَيْرُكَ الْإِمَامُ لِقَوْمٍ
نَشَرُوا ذَكَرَ مَا طَوَّهَ اللَّيَالِي
كَتَبُوا فَوْقَ جَبْهَةِ الدَّهْرِ أَنَّ الدُّ
زَهَدُوا فِي الدُّنَا فَمَا رَاقَهُمْ فَيَدِ
دَرَّ دَرُّ النَّدَى أَعَادَ أَكْفَاءً
بِأَبِي سَادَةَ الْأَنْبَاءِ جَمِيعًا
مِنْ لَيْوِثِ ضَرَاغِمٍ وَعُيُوثِ
قَالَ مِنْهُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ قَوْلٌ
يَتَعَدَّى جَمِيلٌ فَعَلَهُمُ النَّا
طَهَّرَ اللَّهُ ذَاتَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ
دَائِمُ الْفَخْرِ خَالِدُ الذِّكْرِ مَا غَيَدِ
وَارِدُ شَرْعَةِ الْعُلُومِ الَّتِي لِيَدِ
لَمْ يَنْزَلْهَا سِوَاكَ نِعْمَةَ مَوْلَى
طَالَمَا حَثُّحَتْ النِّيَاقُ حَثِيثًا
قَدْ وَفَدْنَا عَلَى كَرِيمٍ إِذَا اسْتَجَّ

سِبِّ يُوْتِي كُلَّ امْرئٍ مَا يُلَائِمُ
لَا فَاسْتَيْقَظَ الَّذِي كَانَ نَائِمًا
بِ مَنْيَبًا فِيهَا وَأَصْبَحَ نَادِمًا
مُ فَصَاحُ الْإِعْرَابِ وَهِيَ أَعَاجِمُ
سِ شَبِيهًا تَغْرِيدُهَا بِالْحَمَائِمِ
لِ بِلْقَابِ الْعَدَا سُمُومِ الْأَرَاقِمِ
هِيمِ) حُنْفَاءً (*) وَالْحَقُّ بِالْحَقِّ قَائِمُ
وَمُشِيدَ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الدَّعَائِمِ
سَلَكُوا فِي النَّدَى سَبِيلَ الْمَكَارِمِ
قَبْلَ هَذَا مِنْ عَهْدِ كَعْبٍ وَحَاتِمِ (١)
دَهْرَ عَبْدٍ لَهُمْ رَقِيقٌ وَخَادِمُ
هِيَ نَفِيسٌ مِنَ الْغِنَى وَالْغَنَائِمِ
مِنْ أَنْبَاءِ أَعْدَائِهِنَّ السُّدْرَاهِمِ
وَهُدَاةُ الْأَنْبَاءِ أَبْنَاءُ (هَاشِمِ)
وَبُحُورِ سَوَاجِمِ (**) وَخَضَارِمِ
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَكَارِمِ
سِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ لِأَزْمِ
قَبْلَ مَا يُنْتَجُونَ مِنْ صُلْبِ آدَمِ
رَفْخَارٍ لَكُمْ مَدَى الدَّهْرِ دَائِمِ
سِ عَلَيْهَا إِذَا وَرَدَتْ مُزَاجِمِ
أَنْتَ فِيهَا تَحُلُّ فَوْقَ (***) النِّعَائِمِ
رَاغِبٌ فِي بَدِيعِ فَضْلِكَ هَائِمِ
سِدِّي جَادَتْ يَمِينُهُ بِالْكَرَائِمِ

(١) كعب بن مامة وحاتم الطائي وهما من كرماء العرب وممرت ترجمتها في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٠).

(*) في الطبعة (١): (حنيفاً) ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (سواهم) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(***) في الطبعة (١): (طوق) ولعل الصواب ما أثبتناه.

وَوَقَّفْنَا بِمَوْقِفِ الْعِلْمِ وَالتَّوَدُّ
وَشَهَدْنَا مَعَالِمَ الْمَجْدِ فِيهَا
ثُمَّ شَمْنَا بَرَقَ الْمَكَارِمِ قَدْ لَا
وَلْتَمْنَا يَدِي عَظِيمِ قَرِيبِ
كَشَفَتْ غُمَّةَ النَّوَائِبِ عَنَّا
لَمْ تَزَلْ تُتَّبِعِ الْجَمِيلَ جَمِيلاً
هَذِهِ سَيِّدِي عَرِيضَةٌ دَاعِي
كَلَّمَا أُثْبِتَتْ مَدِيحَكَ فِيهَا
أَطْلَبُ الْعُفُوفِي مَدِيحَكَ وَالْغُفْدُ
فَتَقْبَلْ مِنِّي وَمَا زَالَ قِدْمًا

رَيْسِ وَالْفَضْلِ وَالنَّدَى وَالْمَكَارِمِ
قَدْ تَعَالَتْ فِيهَا لَهَا مِنْ مَعَالِمِ
حَسَنَاهُ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْمَبَاسِمِ
مِنْ عَظِيمِ نُعِيدُهُ لِلْعِظَائِمِ
ثُمَّ نَابَتْ لَنَا مَنَابَ الْغَمَائِمِ
فَهِيَ إِذْ ذَاكَ سَاجِمٌ إِثْرَ سَاجِمِ
كَ وَكَانَتْ عَنِ الْوُدَادِ تَرَاجِمِ
كَانَ إِثْبَاتُهَا لِمَحْوِ الْمَاتِمِ
رَانَ وَالصَّفْحَ عَنْ جَمِيعِ الْجَرَائِمِ
نَاطِرًا فِي مَدِيحِكَ الْعَبْدُ نَاطِمِ

(٧٤)

يَا ابْنَ الْخَيْزِيمِ وَأَفْتِنَا رِسَائِلَكُمْ
جَاءَتْ بِأَعْدَبِ الْفَاطِمِ مَنْظَمَةً
زَهَتْ بِأَوْصَافٍ مِنْ تَعْنِيهِ وَابْتَهَجَتْ
عَلُّتُمُونَا بِكُتُبٍ مِنْكُمْ وَرَدَتْ
فِيهَا مِنَ الشُّوقِ أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ
وَرَبِّمَا عَرَضَتْ بِاللُّطْفِ وَاعْتَرَضَتْ
قَضَيْتُ مِنْ حُسْنِ مَا أَبْدَعْتَهُ عَجَبًا
فَنَحْنُ مِمَّا انْتَشَيْنَا مِنْ عُدُوبِهَا
فَأَطْرَبْتُنَا وَهَزَّتْنَا فَصَاحَتْهَا

مَشْحُونَةً بِضُرُوبِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
حَتَّى لَقَدْ خَلَّتْهَا ضَرْبًا مِنَ الضَّرْبِ (٢)
كَمَا زَهَتْ كَأَسْهَا الصَّهْبَاءُ بِالْحَبِّ
وَرَبِّمَا نَفَعَ التَّعْلِيلُ بِالْكَتُبِ
تَطْوِي جَوَانِحَ مُشْتَقَاتٍ عَلَى لَهَبِ
دَعَابَةٍ هِيَ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
وَأَنْتَ تَقْضِي عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْعَجَبِ
بِبَنْتِ فِكْرِكَ نَلْهُو لَإِبْنَةِ الْعَنْبِ
فَلَا بَرِحْتَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي طَرَبِ

(١) هو عيسى بن محمد الخيزيم ولد في إحدى السنوات العشر الأولى من القرن الثالث عشر الهجري، له تجارة واسعة وأعمال خير كثيرة وصلات مع عدد كبير من الناس في داخل الكويت وفي خارجها، وقد توفي في أواخر القرن المذكور، له ترجمة في كتاب «محسنون من بلدي» ص ٦٣٥ - ٦٤٠، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، بيت الزكاة، الكويت (٢) الضرب: العسل.

أَمَّا (النَّقِيبَانِ) أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَهُمَا^(١)
 الطَّاهِرَانِ النَّجِيبَانِ اللَّذَانِ هُمَا
 دَامَ (السَّعِيدُ) لَدَيْكُمْ فِي سَعَادَتِهِ^(٢)
 إِنَّ الْكُوَيْتَ حَمَاهَا اللَّهُ قَدْ بَلَغَتْ
 تَالِهَ مَا سَمِعَتْ أُذُنِي وَلَا بَصُرَتْ
 فـ(يُوسُفُ بْنُ صَبِيحٍ) طَيْبٌ عُنُصْرِهِ^(٣)
 و(يُوسُفُ الْبَدْرِ) فِي سَعْدٍ وَفِي شَرَفٍ^(٤)
 فَخَرُّ الْأَكَارِمِ وَالْأَمْجَادِ قَاطِبَةً
 مِنْ كُلِّ مَنْ بَسِطَتْ فِي الْجُودِ رَاحَتَهُ
 لَوْلَا أُمُورٌ أَعَاقَتْنَا عَوَائِقُهَا

فِي الْخَافِقَيْنِ وَنَالَا أَرْفَعَ الرَّبِّ
 مِنْ خَيْرٍ أَمْ زَكَتْ أَعْرَاقُهَا وَأَب
 وَسَالِمٌ سَالِمًا مِنْ حَادِثِ النَّوَبِ
 بـ(الْيُوسُفَيْنِ) مَكَانَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
 عَيْنِي بَعَزَّهُمَا فِي سَائِرِ الْعَرَبِ
 أَذْكَى مِنَ الْمَسْكِ إِنْ يَعْبَقُ وَإِنْ يَطِبُ
 بَدْرُ الْأَمْجَادِ لَمْ يَغْرُبْ وَلَمْ يَغِبْ
 وَأَفْئَةُ الْفَخْصَةِ الْبَيْضَاءِ وَالذَّهَبِ
 صَوْبُ الْمَكَارِمِ مِنْ أَيْدِيهِ فِي وَصَبِ
 جُنَّا إِلَيْكُمْ وَلَوْ حَبُوءًا عَلَى الرَّكْبِ

(١) النقيبان هما السيد محمد سعيد بن السيد طالب الرفاعي وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٢).
 وأخوه السيد عبدالرحمن بن السيد طالب الرفاعي البصري نقيب البصرة يتصل نسبه بالسيد شعبان نقيب
 مندلي. ولي أمر النقابة بعد أبيه. واشتهر أمره وقصده العلماء والشيوخ وأرباب الحاجات وكان عظيم المنزلة في
 قلوب الولاة والحكام. وكان يضرب المثل بكرمه وجوده، وقد ذكر إبراهيم فصيح الحيدري أن عبدالرحمن وأخاه
 محمد سعيد قد استوليا على أملاك وأموال بيت المفتي الحلبي عند انقراضهم وتوفي في البصرة سنة ١٢٩١هـ.
 انظر عنوان المجد ١٦٤ وتنوير الأبصار ص ١٣٥.

(٢) يعني به السيد محمد سعيد نقيب البصرة ويفهم منها أن النقيب كان في الكويت تلك الفترة.

(٣) يوسف الصبيح تاجر معاصر للتاجر يوسف البدر كان واسع الثراء، ولكنه لم يبخل بما له في سبيل الخير ولم
 يتوقف عن مذهب العون إلى محتاج، فكان يبادر إلى تقديم ما لديه من إمكانات مادية يفرج بها كربة مكروب أو
 يقضي بها دين مدين، أو يسد حاجة مسكين. ترجمته في كتاب (محسنون من بلدي) ص ١٦٦ - ١٦٦٣.

(٤) يوسف البدر من تجار الكويت المشهورين، كانت له تجارة واسعة في تصدير الخيل إلى الهند، كما كان مشتغلاً
 ببعض أعمال الغوص (الطواشة) كانت له أعمال خير كثيرة مشهورة، توفي في سنة ١٨٧٩م، (ترجمته في
 (محسنون من بلدي) ص ١٧٦ - ١٧١، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، بيت الزكاة، الكويت.

تَذَكَّرَ فِي رُبُوعِ الضَّالِّ عَهْدًا
 وَأَضْنَاهُ الْهَوَى بِغَرَامِ (نَجْدِ)
 وَشَامَتْ مِنْهُ أَعْيُنُهُ فَأَوْرَى
 فَمَنْ لِحَوَانِحِ مُلِنَتْ غَرَامًا
 وَفِي تِلْكَ الْمَنَازِلِ كَانَ قَلْبِي
 سَقَى أَطْلَالَ (رَامَةً) فِي غَوَادِ
 وَحَيَّاهَا حَيًّا يَحْكِي دَمُوعِي
 وَكَيْفَ سَأَلُوا أَهْلَ (الْخَيْفِ) وَدِي
 تَصَدَّى ظَبْيِي (لَعْلَعِ) فِي تَلَافِي
 وَظَلَمٌ مِنْهُ حَرَمٌ رَشَفَ ظَلَمٍ^(٣)
 وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَى دَنْفِ كَيْبِ
 أَعْيُنَا مُغْرَمَ الْعَيْنِينَ صَبًّا
 لِعَمْرِكَ مَا الْهَوَى إِلَّا هَوَانٌ
 وَكَمْ مَوْلَى تَعَرَّضَ لِلتَّصَابِي

فَزَادَ بِهِ وَجُودُ الذِّكْرِ وَجَدًا
 فَأَصْبَحَ بِالضَّنَى عَظْمًا وَجِلْدًا
 وَمَيْضُ الْبَرْقِ فِي الْأَحْشَاءِ زِنْدًا
 كَمَا مُلِنَتْ عَيُونُ الصَّبِّ سَهْدًا
 فَمُذُ فَقَدَ الْأَحْبَبَةَ رَاحَ فَقَدًا
 تُخَدِّدُ ثُمَّ وَجَهَ الْأَرْضِ خَدًّا
 بِهَا، يَسْقِي لَهَا^(*) عِلْمًا وَوَهْدًا
 وَلَمْ أَسْأَلِ^(**) لَهُمْ فِي الْبَيْنِ وَدًّا^(٢)
 وَأَسَلَبَنِي التَّصَبُّرَ حِينَ صَدًّا
 سِوَاهُ لَا يُرِينِي الْوَجْدَ بَرْدًا
 وَقَدْ حَاكَى عُصُونَ الْبَانَ قَدًّا
 تَعَدَّتْهُ السَّهَامُ وَمَا تَعَدَّى
 وَمَنْ رَامَ السَّمْلَاحَ وَمَا تَرَدَّى؟^(٤)
 فَصَيَّرَهُ الْهَوَى بِالرَّغْمِ عَبْدًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في الأصول: ولم أسلا لهم.

(٣) الظلم بفتح الظاء. ماء الأسنان. قال الشاعر:

من لم يجد ظلم الحبيب كظلمه

(٤) في حديثه الورد: ومن راد.

(*) في الطبعة (١): (أسل) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) الشاعر هو كمال الدين ابن النبيه، من شعراء العصر الأيوبي، توفي عام ١٢٢٢م، ونص البيت:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة وادعى

خَلِيلِي اسْأَلْكَ فِينَا حَدِيثًا
 وَهَاتَا لِي بِ(مَحْمُودٍ) مَدِيحًا
 بِهِ الرَّحْمَنُ أَوْدَعَ كُلَّ فَضْلِ
 إِذَا عَدُوا أَكَابِرَ كُلِّ قَوْمٍ
 لَقَدْ زَرَعَ الْجَمِيلَ بِكُلِّ قَلْبٍ
 وَحَلَّ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ شُكْرٌ^(*)
 وَعَمَّ ثَنَاؤُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا
 وَيَبْسُطُ رَاحَةً تَنْهَلُ جُودًا
 وَنُورِدُ مِنْ يَدَيْهِ إِذَا ظَمِينَا
 وَنَدْفَعُ فِي عِنَايَتِهِ خُطُوبًا
 مَتَى يَمُمَّتْهُ تَجَدُّو نَدَاهُ
 فَهَذَا أَعْلَمُ الْعُلَمَاءِ طُرًّا
 وَكَمْ مِنْ حَاسِدٍ لِعَلَاهُ يَوْمًا
 وَأَمَلٌ مَجْدُهُ فَغَدَا كَلِيلًا
 أَرَدْنَا أَنْ نَعُدَّ لَهُ صِفَاتٍ^(١)
 وَحَاوَلْنَا نَرُومُ لَهُ نَظِيرًا
 تَقَلَّدَ مِنْهُ هَذَا الدِّينُ سَيْفًا
 وَقُلْنَا كَالْحُسَامِ الْعَضْبِ عَزْمًا
 وَقَسِينَا كَفَّهُ بِالْمِزْنِ جُودًا
 وَيَمْرُجُ لُطْفُهُ أَنَا وَقَارًا

لَنَجْفُو عِنْدَهُ سَلْمِي وَسَعْدِي
 وَقُولَا فِيهِ مَدْحًا مَا تَوَدَّا
 وَفِي بُرْدِ الْفَضَائِلِ قَدْ تَرَدَّى
 فَأَوَّلُ مَا جَنَابُ عَلَيْهِ عُدَا
 فَكُلُّ فَاهٍ فِي عَلَيْهِ حَمْدًا
 فَصَارَ عَلَيْهِمْ فَرَضًا يُؤَدَّى
 وَسَيَّرَ ذِكْرَهُ غَوْرًا وَنَجْدًا
 أَحَبُّ مَكَارِمِ الْكُرَمَاءِ وَقَدَا
 فَيَسْقِينَا بِذَلِكَ الْكَفِّ شَهْدًا
 إِذَا أَضْحَتْ لَنَا خُصْمًا أَلْدَا
 أَفَادَكَ مِنْ كَلَا الْبَحْرَيْنِ رِفْدًا
 وَأَكْرَمُ مِنْ أَفَادِ نَدَى وَأَجْدَى
 فَمَاتَ بَغِيظُهُ حَسَدًا وَحِقْدًا
 وَرَامَ بَلُوغَ هِمَّتِهِ فَآكِدَى
 فَمَا اسْتَطَعْنَا لِذَلِكَ الْفَضْلِ عَدَا
 فَكَانَ^(**) بَعْصَرْنَا فِي النَّاسِ فَرْدًا
 وَزَيْنَ فِيهِ هَذَا الْعَصْرُ عَقْدًا
 فَفَاقَ^(***) غِرَارَهُ قَطْعًا وَحَدًّا
 فَكَانَ يَمِينُهُ مِنْ ذَاكَ أَنْدَى
 يَذُوبُ فَكَاهَةٌ وَيَشْدُ وَجْدًا
 وَهَدَّ عَقِيدَةَ الْأَغْيَارِ هَدًّا^(٢)

(١) في الأصول: صفاتا.

(٢) أغيار: جمع غير، وهو يقصد هنا (غيرنا) وهي غير سليمة وفي النسخ الخطية (الأعجام) وكان النساخ بدلوها.

(*) في الطبعة (١): والطاراز الأنفس (شكرًا) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (فان) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (نفاق) وصوابها من الطراز الأنفس.

وصالَ بِمُحْكَمِ الْآيَاتِ يَوْمًا
 أَبَانَ لِأَهْلِ (إِيرَانِ) بَيَانًا^(١)
 دَلَائِلَ مَا اسْتَطَاعُوا يَنْكُرُوهَا^(٢)
 وَبَحْرُ مَا لَهُ جَزْرٌ وَلَكِنْ
 يُجْرِدُ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ بِيضًا
 كَفَى أَهْلَ (العِرَاقِ) بِهِ افْتِخَارًا
 فَمَا ضَلَّتْ لِعَمْرٍ أَبِيكَ قَوْمٌ
 بِرُوحِي وَاطِيٍّ هَامَ الْمُعَالِي
 طَلَبْتَ الْعِلْمَ لَا طَلَبًا لِمَالٍ
 وَلَوْ يُعْطَى الرِّجَالُ عَلَى حِجَاهَا
 وَلَمْ لَا مِنْكَ تَغْتَاظُ الْأَعَادِي^(٤)
 فَظَنُّنَا قَارِبُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلَيْكَ (أَبَا التَّنَائِ) يُبِثُّ عَبْدٌ

فَحَايَرَهُمْ بِمَا أَخْفَى وَأَبْدَى
 وَكَيْفَ الْحَقُّ يُنْكَرُ إِذْ تَبَدَّى
 يَكُونُ لَهُ مَدَى الْأَيَّامِ مَدَا^(٣) (*)
 وَيَرْكَبُ مِنْ خِيُولِ الْعَزْمِ جُرْدًا
 فَقَدْ نَالُوا بِهِ عِزًّا وَمَجْدًا
 تَرُومُ بِعِلْمِهِ لِلْحَقِّ رُشْدًا
 وَمَا أَرْضَى بِهَا إِلَّاكَ يُفْدَى
 فَنَلْتَ بِذَلِكَ تَوْفِيْقًا وَسَعْدًا
 إِلَيْكَ مِنَ الْقَلِيلِ الْأَرْضُ تُهْدَى
 وَهُمْ جِيْفٌ وَشَمُّوا مِنْكَ نَدَاً
 وَهِيَهَاتِ التَّقَارِبُ صَارَ بَعْدًا
 مَدَى أَيَّامِهِ شُكْرًا وَحَمْدًا
 وَلَا نَبْغِي سِوَى الْمَرْضَاةِ قَصْدًا

(٧٦)

خُذْ بِالْمَسْرَةِ وَاعْنَمْ لَذَّةَ الطَّرَبِ وَرُوجِ ابْنَ سَمَاءٍ بِأَبْنَةِ الْعِنَبِ^(٧) (***)

(١) يشير إلى كتابه (الأجوبة العراقية عن المسائل الإيرانية).

(٢) الصواب: ينكرونها. ويختل معها وزن البيت.

(٣) الصواب: يكون له مدى الأيام مدً.

(٤) في الديوان المطبوع: تغتاض (كذا).

(٥) في الأصول: نعيد باسمك.. وفي حديقة الورد (نعيد باسمك). وهو أنسب ولذلك أثبتناه.

(٦) مرت ترجمته في تعليقا على القصيدة رقم (٥٢).

(٧) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (البيات).

(*) بل صوابها (مدًا) لأن الشاعر أراد أن يكون المدى مدًا لبحر الممدوح وعلى هذا فهي منصوبة لأنها خبر يكون، وهي كذلك في الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (نعيد) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) ورد عجز البيت بشكل متطابق لدى كل من محمد بن موسى المقدسي وصفي الدين الحلبي.

واشربَ على نَعَمِ الأوتارِ صافيةً
 ولا تُضِعِ فرصةً جادَ الزمانُ بها
 أما ترى الروضَ قد حاكتَ مطارِفَهُ
 والوردَ قد ظهرتْ بالحُسنِ (***) شوكتُهُ
 وزانَ ما راقَ دمعَ الطلِّ حينَ بدأ
 والراحُ منعشةُ الأرواحِ إنْ مُزِجَتْ
 وإنْ بدتْ وظلامُ الليلِ مُعْتَكِرٌ
 دابها كلُّ ما تشكوه من وصبٍ
 ودُرٌ بحيثُ ترى الأقداحَ دائرةً
 يعودُ ما فات من عهدِ الشَّبَابِ بها
 يَمُجُّ منها فَمُ الإبريقِ رائقةً
 في جنةِ راقٍ للأبصارِ رَوْنَقُها
 والورقُ تُملِي من الأوراقِ ما خُطِبَتْ
 وما بَرِحَتْ لأيامٍ مَضَتْ طَرِباً
 حتَّى إذا العيدُ وافانا بغيرته
 بالسيدِ العَلَوِيِّ الهاشميِّ لنا
 أحييتْ مكارمَهُ ما كنتِ أعرفُها
 اللهُ أَلْهَمَهُ فَهَمًّا ومعرفةً
 إنني أباهي به الأشرافَ أجمعها
 فداؤه كلُّ مَمَقُوتِ بشانئه
 هو (السَّعيدُ) الذي يَشْقَى العدوُّ به

مذابةً في لُجَيْنِ الكأسِ من ذهبٍ
 ساعاتِ أنسِكَ بينَ الجدِّ (*) واللعبِ
 أيدي الربيعِ وجادتْها يدُ السُّحْبِ
 وخُضِّبَتْ وَجَنَتَاهُ من دمِ كَذِبِ
 تبسّمُ الأَفْحوانِ الغَضُّ عن شَنَبِ
 صاغَ المزاجُ لها تاجاً من الحَبِيبِ
 رَمَتْ شياطينَ همِّ المرءِ بالشُّهْبِ
 ففي المدامةِ ما يَشْفِي من الوَصْبِ
 فإنها لِمَدَارِ الأُنسِ كالقُطْبِ
 يَشِبُّ فيها مُعاطيها ولم يَشِبْ
 تخالُّها أنها صيغَتْ من اللَّهَبِ
 وأدمعُ المزنِ ما تنفكُ في صَبَبِ
 على منابرِ غصنِ الدوحِ من خُطْبِ
 داعي المَسَرَّةِ والأفراحِ يهتفُ بي
 أقرُّ شَوَالِ عَيْني في (أبي رَجَبِ) (١)
 فوزُّ يَوْمُلُ من قَصْدٍ ومن أربِ
 من الأوائلِ في الماضي من الحَقْبِ
 وحُسْنِ خُلُقٍ وحِلْمًا غيرَ مُكْتَسَبِ
 بذلك النَّسَبِ العالِي لذي (***) حَسَبِ
 فلا إلى حَسَبِ يُعزَى ولا نَسَبِ
 من ذا يُعاديهِ في الدنيا ولم يخبِ

(١) أبو رجب. هو السيد محمد سعيد. وولده رجب والد السيد طالب النقيب وزير الداخلية الأسبق في العهد الملكي ببغداد.

(*) في الطبعة (١): (المجد) والطباق والمقابلة التي اشتهر بهما الشاعر يقتضيان أن تكون (الجد) وتم تصويبها على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (بالحسف) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الذي) وصوابها من الطراز الأنفس.

لَمَّا دَعَاهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ مُنْتَدِباً
 دَعَاهُ مُسْتَنْصِراً فِي عَسْكَرِ لَجِبِ
 فَسَارَ مُسْتَنْصِحَبَ (التَّوْفِيقِ) يَوْمَئِذٍ^(١)
 وَصَارَ تَدْبِيرُهُ يُغْنِي عَسَاكِرَهُ
 كَمِ كَرْبَةٍ نَفَسَتْ لِلجَيْشِ هَمَّتَهُ
 دَعَا إِلَى طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَاجْتَمَعَتْ
 لِقَدِّ أَجَابَتِهِ وَانْقَادَتْ لَطَاعَتِهِ
 أَرَاعَهُمْ مَا أَرَاهُمْ مِنْ مَكَارِمِهِ^(٢)
 تِلْكَ الْمَزَايَا لِأَجْدَادِهِ لَهُ سَلَفَتْ
 مِنْ سَادَةِ شَرَفِ اللَّهِ الْوُجُودَ بِهِمْ
 فَلَمْ تَجِدْ مِنْ لِسَانٍ غَيْرِ مَنْطَلِقٍ
 فَلَا تَقْسَمُهُمْ بِقَوْمٍ دُونَهُمْ شَرَفاً
 لِقَدِّ كَفَى العَسْكَرِ الْمَنْصُورِ نَائِبَةً
 وَقَوْمَتْ كُلُّ مُعْجُوجٍ صَوَارِمُهُ
 وَأَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَانَا (الْفَرِيقِ) بِهِ
 وَكَانَ أَعْظَمَ أَسْبَابِ الْفَتْوحِ لَهُ

أَجَابَهُ وَأَرَاهُ خَيْرَ مُنْتَدِبٍ
 وَقَدْ يَنْوِبُ مِنْبَابَ العَسْكَرِ الْأَجِبِ
 فَسَارَ أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ وَمُصْطَحَبٍ
 عَنِ الْكُتَائِبِ بِالْأَقْلَامِ وَالْكُتُبِ
 فَحَقُّهُ أَنْ يُسَمَّى كَاشِفَ الْكُربِ
 لَهُ الْقِبَائِلُ مِنْ بُعْدٍ وَمِنْ قُرْبٍ
 وَلَوْ دَعَاهَا سِوَى عَلَيْهِ لَمْ تُجِبْ
 وَجَاءَ مِنْ بَرِّهِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَجِبِ
 فَأَعْقَبَ اللَّهُ مَا لِلْمَجْدِ مِنْ عَقِبِ
 قَدْ أَوْرَثُوهَا عَلَاءً مِنْ أَبِي فَأَبِ
 وَلَا فَوَاداً إِلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْجَذِبِ
 يَوْمًا وَكَيْفَ يُقَاسُ الرَّأْسُ بِالذَّنْبِ
 تَجَثَّوْهَا نُوبُ الدُّنْيَا عَلَى الرُّكْبِ
 وَسَكَّنَتْ مِنْدُ وَافَى كُلِّ مُضْطَرَبِ
 فَكَانَ ثَابِتٌ سَعْدٌ غَيْرَ مُنْقَلَبِ
 فَيَا لَهُ سَبَبًا^(*) نَاهِيكَ مِنْ سَبَبِ

(١) الفريق أحمد باشا توفيق باشا. ذكره سليمان فائق فقال: «كان قائمقاماً مدة، ودام في رئاسة الجيش نحو سنة. فكان عارفاً بالمهمة وله كفاءة وقدرة على العمل، إذ كان يتطلع للمصلحة من طرف خفي ويعلم بالنافع والضار، فجاء المنصب عن خبرة فاتصل به مباشرة اتصال عارف.. فمنع الإسراف في المال وأزال الحيف الذي أجراه الوالي السابق في الالتزامات وتوقى المصاريف الزائدة فاقتصد كثيراً...» وقد كان رئيس الفيلق السادس، وساهم في حملة نافذ باشا على الأحساء وفي هذه القصيدة إشارة إلى تلك الحملة. وعند قدومه قائمقاماً ببغداد مدحه الشاعر عبد الباقي العمري بقصيدة جاء فيها:

جاء أمر لسلطان يصحبه التوفيق إن التوفيق خير رفيق
 فتباهاه بلاده برفيق وتهنت أجناده بفريق

ثم عين والياً على بغداد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٦٠م وهو الذي عين الشيخ بندر بن ناصر السعدون قائمقاماً على المنتفق وأعطاه المشيخة. وفي عهده أسست إدارة البرق ببغداد وعزل عن ولاية بغداد يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول ١٢٧٨هـ - ١٨٦١م وتوجه إلى استانبول وودعه أعيان بغداد وكبار رجالها. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم السيد محمد الفزويني الحلبي انظر: الترياق الفاروقي ٤٢٩ ومرآة الزوراء ١٤٢ وتاريخ بغداد ١٧١ ومباحث عراقية ق١/ ٧٥ وشعراء الحلة ٥/ ٢٦٠ وتاريخ العراق بين احتلالين ١٣٢٧/ ١٣٢ - ١٣٤.

(٢) في الأصول: أراعهم ما رآهم.

(*) في الطبعة (١): والطران الأنفس (سبب) ولعل الصواب ما أثبتناه.

أما وربك لولاه لما خمدت
دهياء تفرغ فاهما لا سبيل إلى
المطمعين بنيل المجد أنفسهم
وكان خيراً لهم لو أنهم رجعوا
بغوا لما نزع الشيطان بينهم
حتى إذا دبروا للحرب أمرهم
فأقبلت برجال لا عداد لها
لله درك ماذا أنت فاعله
والحرب قائمة والنار موقدة
يساقط الموت من أبطالها جثثاً
برزت فيهم بروز السيف منصلاً
كففت أيديهم عما تمد له
وشتت الله ممن قد طغى وبغى
ودمر الله في إقدامهم فئة
تعبتهم فأرحتم بعدها أمماً
وعم فضلك ذاك القطر أجمعه
رأس الأكاير والأشراف من (مضرب)
ليهنك النصر والفتح المبين وما
لئن حباك بنيشان تسر به (١)
هذا (المشير) أعز الله دولته (٢)
وخذ إليك بقيت الدهر قافية

نار لها غير فعل النار بالحطب
ترك ابتلاع سراة القوم بالنوب
لا يسأمون من الإقدام في الطلب
عن غيهم بعد ذاك الجهد والنصب
والبغي يسلم أهليه إلى العطب
وهم عن الرأي والتدبير في حجب
وحير الترك ما لاقت من العرب
بذلت نفسك فوق المال والنشب
يقول منها جبان القوم واحربي
كما يساقط جذع النخل بالرطب
من غمده وأخذت القوم بالرعب
فما استفادوا سوى الخذلان في الغلب
جمع الخوارج بين القتل والهرب
فكان أعدى إلى أخرى من الجرب
كم راحة يجتنيها المرء من تعب
يا حسن ما أصبحت في مربع خصب
صدر الرئاسة فخر السادة النجب
بلغت من جانب السلطان من أرب
بطالع لقران السعد لم يغيب
أبان فضلك إعلاناً لكل غبي
تلوح منك عليها بهجة الأدب

(١) إشارة إلى النيشان الذي أهده السلطان عبدالعزيز خان إلى السيد محمد سعيد النقيب.

(٢) المشير نافذ باشا قائد الحملة. وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ٥٧.

فَهُمُ الْيَوْمَ فِي هَوَاكَ سُكَارَى^(٢)
 حِ فِرَاحَتُ بِهِ الْعُقُولُ حَيَارَى
 وَمِنَ الْقَدِّ ذَابِلًا خَطَّارَا
 هِيَ أَمْضَى مِنَ الْحُسَامِ غِرَارَا^(٣)
 لَسْتُ أَشْكُو إِلَّا إِلَيْكَ أَفْتَقَارَا
 فَقَدْ جَاوَزَ^(*) الْحُدُودَ وَجَارَا
 صَيَّرَتْهَا حَرَارَةَ الْوَجْدِ نَارَا
 بِهَوَاهَا تَسْتَعْبِدُ الْأَحْرَارَا^(**)
 أَعْدَمْتَنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ الْقَرَارَا
 تَرَكْتَنِي أَعَالِجُ الْأَفْكَارَا
 مِنْ وَقَلْبًا مِنْ بَعْدِهِمْ مُسْتَطَارَا
 وَجَدْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ عَلَيْهِ اصْطَبَارَا
 بَ وَقَوْلًا عَنْ رُكْبِهِمْ أَيْنَ سَارَا
 هَلْ عَرَفْتُمْ مِنْ بَعْدِهِنَّ الذَّمَّارَا
 ظَلُّ يَرَعَى ذِمَامَكُمْ وَالْجَوَارَا
 نَ كَمَا قِيلَ صَفْوُهُ أَكْدَارَا
 وَقَلُوبٍ بِ (الرَّقْمَتَيْنِ) أُسَارَى
 تَحْمَلُ الرُّنْدَ^(***) عَنْهُمْ وَالْعَرَارَا
 طَالَمَا قَدْ خَلَعْتُ فِيهَا الْعِذَارَا

شَرِبَ الْقَوْمُ مِنْ لِمَاكَ عُقَارَا
 وَتَجَلَّى لَهُمْ جَبِينُكَ كَالصَّبِ
 قَلْدَتِكَ الْجُفُونُ سَيْفًا صَقِيلًا
 يَا لَهَا مِنْ لَوَاحِظٍ فِي فَوَادِي
 يَا غَنِيَّ الْجَمَالِ عَنْ كُلِّ حُسْنٍ
 سَائِلِينَا يَا مِيَّ مَا صَنَعَ الْحَبِّ
 فِي سَبِيلِ الْهَوَى حُشَاشَةٌ صَبِّ
 مَلَكْتُ رِقَّةَ الْحَسَانِ وَأَضْحَتُ
 لَا أَقْرَ النَّدَى عِيُونَ ظَبَاءِ
 مِنْ مُجِيرِي مِنْ لَوْعَةٍ وَغَرَامٍ
 وَدُمُوعًا يُذِيلُهَا أَلَمُ الْبِيدِ
 سَاعِدَانِي عَلَى الْغَرَامِ فَهَذَا الـ
 وَأَنْشُدَا لِي قَلْبًا مَضَى أَثَرَ الرِّكْ
 أَلْ مِيٍّ وَلِلْمُحِبِّ حُقُوقُ
 مَا رَعَيْتُمْ حَقَّ الْجَوَارِ لَصَبِّ
 وَاصْطَفَى قَلْبَهُ هَوَاكُمْ وَإِنْ كَا
 كَمْ دُمُوعٍ قَدْ أَطْلَقَ الْوَجْدُ مَنَّا
 بَاكَرَتْهَا الصَّبَا صَبَاً فَجَاءَتْ
 بَلِّغِينَا يَا رِيحُ أَنْفَاسَ أَرْضِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (عجم).

(٣) الغرار: حد السيف.

(*) في الطبعة (١): (جاور) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الأحرار) وهو خطأ طباعي.

(***) في الطبعة (١): (الزند) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

وَوَهَبْنَا مِنْهُ الْعُقُولَ عَقَارًا
أَطْلَعَتْ أَكْوَسُ السُّقَاةِ شُمُوسًا
تَحْسِبُ الْكَأْسَ وَالْحَبَابُ عَلَيْهِ
كَمْ تَبَدَّتْ لَنَا بِوَجْهِ مَلِيحٍ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ طَرْفُ حَسُودٍ
إِذْ تَجَلَّى كَأَنَّهُ ظُلْمَةٌ الشُّعُ
وَعَلَى هَذِهِ اللَّذَائِذِ مَرَّتْ
أَفِيئُ قَضَى لَهَا بَرْدٌ فَأَقْضَى
قَوُضِي لِلْمَسِيرِ أَيْتَهَا النُّو
أَهْبُوبُ النَّسِيمِ ذَكَرَكَ الْحَيِّ
وَادْكُرْتَ الْأَطْلَالَ حَيًّا فَأَرْسَلْتُ
وَالهَوَى لِلنَّفُوسِ لَا زَالَ كَالرِّيدِ
وَكَمَا تَرَى أَرَى هَوَاكَ وَإِنْ لَمْ
لَا سَقَاكَ الْحَيَا إِذَا أَنْتَ حَاوِدٌ
أَيُّهُ اللَّهُ يُفْجِمُ اللَّهُ فِيهِ
يُذْهِلُ الْفِكْرَ بِالْمَعَانِي وَبِالْحَطِّ (٢)
رَاكِبٌ مِنْ سَوَابِقِ الْعِزْمِ خَيْلًا
أَظْهَرَ الْمُعْجَزَاتِ فِي الْعِلْمِ حَتَّى
حُجِّجَ تُلْزِمُ الْجَحُودَ فَمَا يَفْقَدُ
قَلَدَ اللَّهِ دَيْنَنَا بِ(شَهَابِ الدِّ

أَدْرَكْتَ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ ثَارًا
يَسْتَحِيلُ الظَّلَامُ مِنْهَا (*) نَهَارًا
فَلَا كَفَا فِي نُجُومِهِ دَوَارًا
جَنَّةٌ تُدْخِلُ الْمُحِبَّ النَّارًا
قَدْ رَأَى طَلْعَةَ الصَّبَاحِ فَغَارًا
رَبِّ تَبَدَّى عَلَى نُحُورِ الْعِذَارَى (١)
وَاسْتَمَرَّتْ أَوْقَاتُهَا اسْتَمْرَارًا
مِنْ لِيَالِي أَيَامِهَا أَوْطَارًا
قُوجُوبِي مَهَامَهَا وَقِفَارًا
يَ وَأَذْكَى مِنْكَ الْجَوَى تَذْكَارًا
تَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّمُوعِ الْغِزَارًا
حُجَّ يَذِيْعُ الْأَشْجَانَ وَالْأَسْرَارًا
تُظْهِرِيهِ إِلَى الْحِمَى إِقْرَارًا
تَ سَوَى أَرْبَعٍ لِمَحْمُودٍ (***) دَارًا
كَلَّ مَنْ كَانَ فَاجِرًا كَفَّارًا
طَيَّرُوقُ الْعُيُونَ وَالْأَبْصَارًا
أَمَنْتَ فِي سَبَاقِهِنَّ الْعِثَارًا
كَادَ (***) مِنْهَا الْحَسُودُ أَنْ يَتَوَارَى (٣)
دَرُّ يَوْمًا لَشَمْسِهَا إِنْكَارًا
دِينِ) سَيْفًا مَهَنْدًا بَتَّارًا

(١) في نسخة ب وحديقة الورد ومجموعة الأستاذ عبد الخالق العزاوي ورد البيت هكذا:

إذ تبدى كأنه حجة الإسلام في ظلمة كدين النصارى

(٢) في الأصول: وباللحظ. وفي مجموعة العزاوي (وبالخط) وهو الصواب. لأن الخط يبهز العيون والأبصار. وهو

أقرب إلى كلمة المعاني من اللحظ.

(٣) في حديقة الورد: (كاد منها الحساد أن تتواري).

(*) في الطبعة (١): (منا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (سوى ربع محمود) ولعل صوابها كما أثبتناه (أربع لمحمود).

(***) في الطبعة (١): (كان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فَحَقِيقٌ لِمِثْلِ (بغداد) أَنْ تَفْ
يا (أبا عبدالله) قَدْ نِلْتَ عِزًّا^(١)
كُلُّ مَنْ نَالَ غَيْرُ ذَاتِكَ فَخْضَلًا^(٢)
كَلَّمَا زِدْتَ بِالْعُلُومِ اطَّلَاعًا
وَإِذَا طَاوَلْتِكَ أَبْوَاعُ قَوْمٍ
أَنْتَ فِي الْعِلْمِ وَاحِدٌ لَا يُسَاوُو
هَلْ تَنْوِبُ الْعِصِيَّ عَنْ مَضْرِبِ السَّيِّ
فَإِذَا قَيْسَتْ الْأَكَابِرُ فِي عَد
أَعْجَزَ الْخَلْقَ مَا صَنَعْتَ إِلَى أَنْ
وَبِتَّفْسِيرِكَ (الكتاب) الَّذِي أَوْ
قَدْ حَلَا لَفْظُهُ وَرَاقَ فَهَلْ كُنْ
وَمَبَانِيهِ تَمَلِكُ اللَّبَّ فِي الْحُسْ
كَمْ رُمُوزٍ كَشَفْتَهَا بِذِكَا
بِتَصَانِيْفِكَ الَّتِي الْهَدَيْ فِيهَا
فَإِذَا كُنْتَ أَكْبَرَ النَّاسِ قَدْرًا
أَنْتَ مَعْنَى كُوْنَتْ فِي خَاطِرِ الدَّهْ
وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَذْنَبَ حَتَّى
فَتَنَقَّلْتَ فِي مَنَاصِبِ مَجْدٍ
صِرْتَ تَاجًا عَلَى رُؤُوسِ الْمَعَالِي
مَالِكِي فِي جَمَالِ بَرِّ سَجَايَا
حَيْثُ لَمْ أَسْتَطِعْ مُكَافَاتِكَ الْفَضْ
وَقَلِيلٌ لَكَ الْمَدِيحُ وَإِنْ كُنْ
لَا عَدِمْنَا عَلَى دَوَامِ اللَّيَالِي

خَرَ فِيهِ وَتَفْخُضَلُ الْأُمُصَارَا
كَانَ ذَلًّا عَلَى عِيدِكَ وَعَارَا
كَانَ حَلِيًّا مِنْ غَيْرِهِ مُسْتَعَارَا
زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَوَقَّارَا
أَصْبَحْتَ عَنْ مَدَى عَمَلِكَ قِصَارَا
كَ مَقَامًا وَرُتْبَةً وَفَخَارَا
فِ وَتَغْنِي عَنِ الْعُقَابِ الْحُبَارِي
يَاكَ كَانُوا - كَمَا عَلِمْتَ - صِغَارَا
عَلِمُوا أَنَّكَ الَّذِي لَا يُجَارِي
ضَحَّتَ فِيهِ مِنَ الْعُلُومِ مَنَارَا^(٣)
تَ مِنْ الشَّهْدِ لَفْظُهُ مُشْتَارَا
نِ بِلَاغًا وَحِكْمَةً وَاخْتِصَارَا
كَاشَفَ عَنْ دَقِيقِهَا الْأُسْتَارَا
قَدْ مَلَأْتَ الْفِجَاجَ وَالْأَقْطَارَا
مَا لَنَا لَا نَرِي بِكَ اسْتِكْبَارَا
رِ إِلَى أَنْ بَرَزْتَ مِنْهُ ابْتِكَارَا
بِكَ قَدْ جَاءَنَا الزَّمَانُ اعْتِدَارَا
وَكَذَا الْبَدْرُ لَمْ يَزَلْ سَيَّارَا
وَأَرَى الْمَجْدَ حَيْثُمَا صِرْتَ صَارَا
أَعُورَتْنَا الْأَشْبَاهَ وَالْأَنْظَارَا
لَ بِشَيْءٍ، أَنْشَدْتُكَ الْأَشْعَارَا
تُ بِمَدْحِيكَ شَاعِرًا مِثْلَارَا
طَلَعَةٌ مِنْكَ تُخَجِّلُ الْأَقْمَارَا

(١) هو بهاء الدين عبدالله نجل أبي التثاء ستاتي ترجمته في القصيدة رقم (٧٨).

(٢) في حقيقه الورود: (كل من نال عز ذاتك فضلاً).

(٣) يشير إلى التفسير الكبير (روح المعاني).

لِيَهْنِكَ يَا نَحْرِيرَ أَهْلِ زَمَانِهِ
وَيَا مَنْبَعًا لِلجُودِ وَالْفَضْلِ وَالنَّدَى
وَيَا مَنْ يَحُلُّ الْمَشْكَلاتِ بِذَهْنِهِ
بِطِفْلِ زَكِيِّ قَدْ أَتَاكَ وَإِنَّمَا
وَبَشَّرْتَنِي فِيهِ فَقَلْتُ مَوْرخًا

ويا كاملاً عنه غدا الطُّرْفُ قاصرا
ومن لم يزلَ بَحْرًا من العِلْمِ زاخرا
وأفكاره - رأياً - تُحِيرُ البَصائرَا
يُضَاهِيكَ بالأخلاقِ سِرًّا وظاهرا
(بمولدِ عبدِ الله نلتُ البشائرا)^(٣)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) بهاء الدين عبد الله بن أبي الثناء محمود الألويسي، ولد في بغداد يوم الاثنين ١٥ ربيع أول سنة ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م ونشأ في حجر والديه، ودرس القرآن الكريم على أبيه كما درس عليه سائر الآداب والفنون حتى غدا من أفذاذ العلماء. وأخذ فنون الخط عن الخطاط الشهير سفيان الذهبي البغدادي، وقد رافق أباه في رحلته إلى استانبول، وأفاد كثيراً من هذه الرحلة التي استغرقت سنتين. وبعد وفاة والده انتصب للتدريس والإفادة في بغداد، أيام الوالي عبد الكريم نادر عبيدي باشا. ثم اشتد به المرض، فباع داره وكتبه وعزم على الرحيل من بغداد إلى استانبول، فخرج منها وتصدى له بعض الأعراب في طريق الشام فسلبوه ماله وعاد إلى بغداد فقيراً حزيباً. كان رجلاً فاضلاً لا يرغب في مخالطة الحكام ورعاً وترفعاً، وقد عرض عليه منصب القضاء فرفضه مراراً، ثم اضطر لقبوله. فعين قاضياً في البصرة وبقي فيها سنتين. ثم مرض هناك فعاد إلى بغداد وقد مدحه كثير من الشعراء منهم الشاعر عبد الباقي العمري بقوله:

حرف لام قد حرروه بمسك
وجرى مسكه بنهر نهـار
وبه عبدالله حاز وقاراً
من أبيه أبي الثناء شهاب

فغدا نزهة لعين الرائي
فأرانا(*) الإصباح في الإمساء
حار في وصفه نهى الشعراء
الدين محمود قدوة العلماء

وله مؤلفات قيمة منها (الواضح في علم النحو) و(التعطف على التعرف) ومن آثاره الخطبة كتاب (الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب) في المكتبة القادرية ببغداد. وتوفي ببغداد يوم الثلاثاء الثالث من شعبان المعظم سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م. فتولى غسله الشيخ عبد السلام الشواف ودفن بوصية منه بجوار مرقد الشيخ الجنيد البغدادي وهو والد العلامة الكبير محمود شكري الألويسي. وقد رثاه كثير من الشعراء والأدباء منهم الشيخ عبد الوهاب أفندي أمين الفتوى ببغداد والشاعر الشيخ محمد سعيد التميمي بقوله:

هممت الجفون بمدمع مدرار
بالحبر عبدالله جل مصابنا
ما مات من كان الأكارم بعده
وأخوه نعمان الجليل أخو التقى

شَجَّوْا بما صنعت يد الأقدار
فكأنما فَصَمَّتْ عرَى الأبرار
يحيون ما اندرست من الآثار
والفضل والأفضال والأسرار

انظر: الترياق الفاروقي ص ٣١٩، وغرائب الاعتراب ص ٣ وهدية العارفين / ١ - ٤٩٠ والمسك الأذفر ٣٨ - ٤٥ وتاريخ الأدب العربي للزواوي ٢ / ١٤٢ والبغداديون ص ٢٦٣ وأعلام العراق ٤٤ - ٥٠ وحديقة الرود ٢ / ٣٩ و٨٩ مخطوط.

(٣) لم يرد رقم التاريخ في الأصول. ومجموعة يساوي ١٢٤٩هـ.

(*) في الطبعة (١): (فأرانا) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

الدينُ أَصْبَحَ مَنْصُوراً بِتَأْيِيدِ
 إِذْ سَلَ مِنْ مُرْهَفَاتِ اللّهِ بِيضَ ظُبِّي
 وَاسْتَمَلَكَ الْمُلْكََ عَنِ رَأْيِي يُسَدِّدُهُ
 سَدُّ التُّغُورِ وَتَمْهِيدُ الْأُمُورِ بِهِ^(١)
 أَيَّامَ دَوْلَتِهِ الْغُرَاءِ^(*) تَحْسَبُهَا
 الدَّهْرُ يَرْهَبُ مِنْ مَاضِي عَزَائِمِهِ
 رَوَتْ مَعَالِيهِ عَنِ سَعْدٍ وَمَا عَدَلَتْ

- وَالْحَمْدُ لِلّهِ - فِي أَيَّامِ مُحَمَّدٍ
 فَشَيْدَ الدِّينِ فِيهَا أَيُّ تَشْيِيدِ
 بَحْدِ سَيْفٍ وَفَضْلِ غَيْرِ مَحْدُودِ
 فَالْمُلْكَُ مَا بَيْنَ تَسْدِيدِ وَتَمْهِيدِ
 خَالاً عَلَى وَجَنَاتِ الْخُرْدِ الْغَيْدِ
 وَالْبَحْرُ يُطَلِّبُ مِنْهُ سَاحَةَ الْجُودِ
 بِالْعَدْلِ إِذْ ذَاكَ عَنِ حُكْمِ ابْنِ مَسْعُودِ

(١) السلطان محمود خان بن السلطان عبدالحميد خان الأول. ولد في ١٣ شهر رمضان سنة ١١٩٩هـ - ١٧٨٥م كان من كبار الخطاطين وله لوحة (بسملة) كتبها بالثلث ٢×٥ قدم وعليها توقيعها (محمود خان) وهي في المكتبة المحمودية بالحرم النبوي الشريف. كما أن الستارة الخضراء المحيطة بالحجرة النبوية الشريفة بخطه أيضا وهي مطرزة بالكليدون الأبيض. وقد مدحه كثير من الشعراء على رأسهم الشاعر عبدالباقي العمري بقصائد عديدة قال في بعضها:

كثير عدل أمير المؤمنين وسل
 طان السلاطين محمود السجيات
 محمود سيرته ما الغزنوي أتى
 بزيها فهو فرد في المزيات
 نظام مملكة الإسلام رتبه
 صفاً بصف كمرصوص البنيات

وفي عهده أخضع المحمرة إلى الحكم العثماني ووقعت عدة حوادث في عهده. وتوفي فجأة يوم ١٩ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م وولي السلطنة من بعده ولده عبدالمجيد خان. وأخباره مستفيضة. الترياق الفاروقي ٣٣٥ وحديقة الورود ٢/ ١٢١.

(٢) في الأصول (سد الأمور وتمهيد الثغور به) والتصويب من حديقة الورود لأن المعنى أنسب وقد أثبتتها صاحب الحديقة ظاناً أنها في مدح أبي الثناء محمود وهو وهم منه.

(*) في الطبعة (١): (الفراء) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وَلَدٌ قَدْ أَشْرَقَ الْكَوْنُ بِهِ
بُشِّرَ الْإِسْلَامُ فِي مَوْلِدِهِ
فَزَهَتْ (بِغَدَادُ) حَتَّى إِنَّهَا
وَعَدَتْ تُشْرِقُ مِنْ أَنْوَارِهِ
زَادَنَا بِشْرًا فَزِدْنَا طَرِبًا
قَدْ حَبَانَا اللَّهُ فِي مَوْلِدِهِ
فَتَرَانَا دَائِمًا فِي فَرَحٍ (*)
وَإِذَا الْكَوْنُ أَضَا أَرْخَتُهُ

من علا سلطاننا (عبد المجيد)
فأسر الناس من هذا السعيد
قابلت أيام (هارون الرشيد)
مثلما قد أشرق البدر بعيد
ما عليه قبل هذا من مزيد
كل ما نهواه من عز مديد
كل يوم نحن في عيد جديد
(فضياء الكون من عبد الحميد)
١٢٥٨هـ

(١) السلطان عبد الحميد الثاني ابن السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان. ولد سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م وولي السلطنة يوم الخميس ١٨ شعبان ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م وفي عهده أنشئت سكة الحديد من الشام إلى المدينة المنورة. وكان رجلاً قوياً عاقلاً حازماً. وقف بصلاية أمام مطامع الغرب والشرق وحاول الصهاينة والماسونيون التقرب منه والتأثير عليه وإغراءه فلم يفلحوا، وحاربهم وكشف خططهم ثم هددوه، وقد عمل العرب والأترك والصهاينة والماسونيون على عزله فعزل سنة ١٩٠٩. ونفي إلى سلانك وتوفي في منفاه سنة ١٢٣٦هـ - ١٩١٨م وقد مدحه كثير من الشعراء منهم حسين حسني التونسي بقصائد حسان قال في بعضها:

عبدك الدهر والأيالي وصيفه
مرهما يسمعا الرسوم المنيفه
مر وأنت المطاع ديننا ودنيا
يخضع الكون فالصروف حليفه

وقد حارب روسيا واليونان وصربيا. ومدحه السيد جعفر كمال الدين الطي بقصائد روائع قال في بعضها:

من آل عثمان الذين سيوفهم
لا زلن من علق السرقاب دوامي
إننا بنو النجف المشرف لم نزل
لمايكنا ندعو مدى الأعوام
لولا أمير المؤمنين وسيفه
فالدين مثل وسواس الأحلام

انظر ثمرات الحياة ١ / ١٠٠ وشعراء الحلة ٨ / ٢٤١ الموسوعة العربية ١١٨٠ وتاريخ الدولة العثمانية ص ٢٢٦.

(*) في الطبعة (١): (فرج) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٨١)

وقال مداعباً صديقه (عبدالقادر الهنداوي)^(١) ومادحاً السيد علي النقيب^(٢) وآل^(*)

وَقَدَّمْتُ الطَّرِيقَ عَلَى الرَّفِيقِ^(٣)
هُمُوماً فَهِيَ بَارِزَةٌ الْفُتُوقِ
إِلَى الرَّحْبِ الْفَضَاءِ مِنَ الْمَضِيقِ
بَقِينَا صَابِرِينَ عَلَى السُّوِيقِ
حَمَدْنَا التَّمْرَ يُعْجَنُ بِالْدَقِيقِ
أَعَزُّ لَدَيَّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ^(**)
وَزَنْدِيقٌ يَتُوبُ مِنَ الْفُسُوقِ
رِءَاءِ^(***) النَّاسِ كَالْبَرِّ الصَّدُوقِ
وَأَوْنَهُ يَسْبَحُ فِي فَرِيقِ
بِأَنَّ لَا زَالَ فِي كَرْبٍ وَضِيقِ
فِي سِتَشْفِي مَشُوقٌ مِنْ مَشُوقِ
كَمَا كَتَبَ الشَّفِيقُ إِلَى الشَّفِيقِ
وَأَهْدِيهِ إِلَى بَسِّ الطَّرِيقِ^{(٤)(****)}

حَثُّتُ عَلَى عَنَيْفِ السَّيْرِ نُوقِي
وَقَدْ فَتَّقَ الزَّمَانَ عَلَى فَوَادِي
خَرَجْتُ إِلَى جَمِيلِ (أَبِي جَمِيلِ)
وَلَوْلَا تَمَرُّهُ وَالْبُرُّ مِنْهُ
فَلَوْ جَادَ (النَّقِيبُ) لَنَا بِسَمَنِ
رَأَتْ عَيْنَايَ فِي سِفْرِ عَجِيبِ
أَخَا رُشْدٍ يَغُضُّ مِنَ الْمَعَاصِي
وَقَالُوا إِنَّ (قَدُورِي) تَرْدَى
فَأَوْنَهُ يُصَلِّي فِي فَرِيقِ
وَأَخْبَرَنِي ثِقَاتُ النَّاسِ عَنْهُ
فَكَادَ الشُّوقُ يَحْمِلُنِي إِلَيْهِ
وَلَكِنِّي كَتَبْتُ لَهُ كِتَاباً
أَعَزَّهُ عَلَى تَرْكِ الْحُمَيَّا

(١) السيد عبدالقادر الهنداوي، كان وكيلاً للأسرة الكيلانية على أوقافها في محافظة ديالى. وبخاصة في ناحية أبي صيدا، وكان بحكم عمله على اتصال بالأسرة الكيلانية، قد تعرف على العلماء والشعراء والأدباء الذين يحضرون مجلس النقيب الكيلاني ونشأت بين الهنداوي وبينهم صلة ومودة. وكان الهنداوي من مشاهير ظرفاء بغداد أمثال عبدالله الخياط ومحمد أفندي الخشالي وكان بيت (قدوري) الهنداوي وحقيقته في محلة المربعة ببغداد مجمع ذوي الظرف الأكابر وهو جد الشاعر الكبير خيرى الهنداوي. انظر: تاريخ مساجد بغداد الفواتح ص ٢ وخيري الهنداوي، حياته وشعره ص ٣٥ للدكتور يوسف عزالدين.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٣) أخذ الشاعر هنا بعكس المثل (الرفيق قبل الطريق).

(٤) جعل الشاعر (بس) اسماً، على مذهب بعض الكوفيين النحويين والطريق مضاف إليه ولم يعتبرها (اسم فعل) حتى لا يكون ما وراءها مرفوعاً.

(*) في الطبعة (١): (ومال) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) الأنوق: على وزن فعول هي الرخمة وقيل ذكر الرخم، وأنوق الرجل إذا اصطاد الرخمة، وفي المثل: أعز من بيض الأنوق لأنها تحزره فلا يكاد يظفر به لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة. انظر: لسان العرب. مادة (أنق).

(***) في الطبعة (١): (رواء) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (الطرق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

أَقُولُ لَهُ وَبِعَضِ النَّصْحِ غِشٌّ
وُثُوقُكَ بِالْعَذَابِ نَهَاكَ عَنْهَا
وَكَمْ لِي مِنْ فَرَجٍ قَرِيبٍ
أَتَنْسَى لَا أَقْتَرَفْتَ الْإِثْمَ إِلَّا
لِيَالِينَا الَّتِي أَنْصَرَمْتَ وَوَلَّتْ
وَكَانَ مَكَانُنَا أَنَّى سَكِرْنَا
يَمْرُؤُنَا الشَّقِيَّ فَنَبْتَلِيهِ
وَقَوْلِكَ لَلَّتِي سَكِرْتُ وَنَامَتْ
سَدَدَتْ مَسَامِعَ الْحَسَنَاءِ قَهْرًا
تَخْبِرُنِي ضِيُوفُكَ حِينَ* جَاءَتْ
تَنَادِي بِالطَّعَامِ بِلَا شَرَابٍ
وَمَا هَذَا الَّذِي عُوْضَتْ عَنْهَا
أَلَمْ تَكُ بِالْفَسَادِ كَمَا تَرَانِي
فَلَا طَابَتْ أَوْيَاقَاتُ لِصَاحٍ
لَقَدْ كَدَّرْتَ يَوْمًا ذِصَفَائِي
وَأَصْبَحَ عَنْكَ (رَاضِي) غَيْرَ رَاضٍ^(١)
وَقَدْ رَزِقَ السَّعَادَةَ بِالْمَعَاصِي
لَقَدْ أَمْسَى يَعْضُ عَلَى يَدَيْهِ
وَكَمْ خَمْرٌ مُعْتَقَّةٌ رَأَهَا
وَكَانَ الدَّنُّ لَا يَرُوي مُنَاهَا
وَكَمْ مِنْ تَائِبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا
وَحَدُّ التَّائِبِينَ الْيَوْمَ عِنْدِي أَخْ
فِيَا لِكَ تَوْبَةٍ عَادَتْ عَلَيْهِ

بَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ حُقُوقٍ
وَعَفْوُ اللَّهِ أَوْلَى بِالْوُثُوقِ
وَكَمَّ لِلْعَبْدِ مِنْ سَعَةِ وَضِيقِ
كَبِيرًا بَيْنَ مِزْمَارٍ وَبِوقِ
حَلَّتْ إِلَّا بِكَأْسٍ مِنْ رَحِيقِ
مَكَانَ الْكَلْبِ، قَارِعَةَ الطَّرِيقِ
وَنَزْهَدُ بَالْتَقِي الْمُسْتَفِيقِ
فَعَلْتُ بِكَ الْمَقَابِحَ أَوْ تُفِيقِي
بِمِثْلِ الْجَذَعِ مِنْ نَخْلِ سَحُوقِ
بَأَنَّكَ قَدْ بَعَدْتَ عَنِ اللُّحُوقِ
كَمَا نَهَقَ الْحَمَارُ عَلَى الْعَلِيقِ
وَهَلْ يُغْنِي الْحَدِيثُ عَنِ الْعَتِيقِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ أَعْصِي شَقِيقِي
رَمَى أُمَّ الْخَبَائِثِ بِالْعُقُوقِ
وَقَدْ أَيَّبَسَتْ بَالْتَّائِبِ رِيقِي
فَلَا تَرَكْنِي إِلَى سَخَطِ الصَّدِيقِ
بِسُلْطَنَةِ (ابْنِ سُلْطَانِ رِزْوَقِي)^(٢)
وَيَخْتَارُ الرَّحِيقَ عَلَى الْحَرِيقِ
فَفَضَّلَهَا عَلَى الْخَلِّ الْعَتِيقِ
فَأَصْبَحَ يَشْمَتُّ مِنَ النَّشُوقِ
مَرُوعٍ مِنْ كِبَائِرِهِ فَرُوقِ
تِيَارًا رَمِيَهُمْ بِالْمَنْجَنِيقِ
بَأَنَّ يَهْوِي سَحِيقًا مِنْ سَحِيقِ

(١) لم أَعثر له على ترجمة وهو من أصدقاء الشاعر.

(٢) لم أَعثر له على ترجمة وهو من أصدقاء الشاعر.

(٣) على لغة طي. ومنه قول الشاعر (ولو أن واش باليمامة داره..).

(* في الطبعة (١): (أين) وصوابها من الطراز الأنفس.

رَأَيْنَاهُ يَصَلِّيَ الْخَمْسَ بَاقٍ^(٣)
فَسَلَطْنَا شَيَاطِينَ الْقَوَافِي
وَأَغْوَيْنَاهُ^(*) فِي سِحْرِ مُبِينٍ
إِلَى أَنْ عَادَ أَفْسَقَ مِنْ عَلَيْهَا
فَمَا يَدْنُو مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا
وَكَانَ بِنِعْمَةٍ لَوْ كَانَ يَرَعَى
وَهَا هُوَ بَعْدَهَا فِي كُلِّ حَالٍ
قَضَى فِي خِدْمَةِ النَّقَبَاءِ عُمُرًا
غَرِيقًا يَا (أَبَا سَلْمَانَ) فِيهَا^(٢)
يَقُولُ رَجَاءً مِنْ أَوْى إِلَيْهِ
يَوْمَلُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَمَانِي
فَلَا غَابَتْ شَمُوسُ بَنِي (عَلِيٍّ)
تَلُوحُ لَنَا بِهِمْ صُورُ الْمَعَالِي
لِبَابِكَ سَيِّدِ النَّقَبَاءِ وَافَتْ
وَتَكشَفُ عِنْدَكَ الْأَسْتَارَ كَشْفًا
تَحْتُ السَّيْرَ مَسْرَعَةً تَهَادَى

بمحراب الصلاة على الشَّهيق
عليه بالصُّبُوح وبالغُبُوق
من التَّبْيَانِ بالشَّعْرِ الرَّقِيقِ
وَأَسْرَعُ بِالْإِجَابَةِ مِنْ سَلُوقِي^(١)
تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْحَبْلِ الْوَثِيقِ
لَهَا حَقًّا وَيُوفِي بِالْحَقُوقِ
تَغَيَّرَ بِالْمَجَازِ عَنِ الْحَقِيقِي
وَتِلْكَ نَضَارَةُ الْعَيْشِ الْأَنْبِقِ
وَكَمْ فِي بَحْرِ جُودِكَ مِنْ غَرِيقِ
لَقَدْ حَنَنْتُ أَلَى الْخَيْرَاتِ نَوْقِي
وَيَرْقُبُ مِنْكَ صَادِقَةَ الْبُرُوقِ
وَقَدْ أَذِنْتُ عَلَيْنَا بِالشُّرُوقِ
فَتَهْدِينَا إِلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ
مُنْبِئَةً عَلَاكَ عَنِ الْعُلُوقِ
بَحْرُ الْقَوْلِ عَنِ حَالِ الرَّقِيقِ
إِلَى عَلِيَّكَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقِ

(٨٢)

رَمَى وَلَمْ يَرْمِ عَنِ قَوْسٍ وَلَا وَتَّرِ
مَوْنَتْهُ الطَّرْفُ مَا زَالَتْ لَوَاحِظُهُ
مُهْفَهْفُ الْقَدِّ مَعْسُولُ اللَّمَى غَنَجٌ

بِمَا بَعَيْنَيْهِ مِنْ غُنَجٍ وَمِنْ حَوْرٍ
تَسْطُو وَتَفْتِكُ فَتُكَّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
أَقْضَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهُ فِي الْهَوَى وَطَرِي

(١) السلوقي: نوع من كلاب الصيد.

(٢) هو السيد علي النقيب ومرة ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٣) مرة ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

(*) في الطبعة (١): (وأغويناه) والصواب ما أفتناه من الطراز الأنفس.

ما لي بمقلة أَحْوَى الطرف من قبل
 يَعْطُو إِلَيَّ بِجِدِّ الظَّبِيِّ مُلْتَفِتاً
 وكلِّما ماسَ قَلْتُ الغصنُ حَرَكَهُ
 عَجِبْتُ مَمَّنْ قَسَا والعهدُ كان به
 أشكو إليه صَبَابَاتٍ أكابدها
 نيرانُ خديكُ ها قد أَحْرَقْتُ كبدِي
 إن لم تكن بوصولِ منك تُسَعِّفُنِي
 جُدْ لي بطيفِكَ واسمَحْ إن بَخَلْتُ به
 واذكرْ لِياليِنَا الأولى ظفرتُ بها
 تَلَذُّ لِي أنتَ في سمعي وفي بَصْرِي
 حيثُ المَسْرَةُ أَفلاكُ تدورُ بنا
 في رَوْضَةٍ فَوَفَّتْ أَيْدِي الربيعِ لها
 والطلُّ في وَجِنَاتِ الزهرِ يومئذٍ
 ومَنْ أُحِبُّ - كما أهواهُ - مُعْتَنِقِي
 إذا تَبَسَّمَ أَبْصَرْنَا بمَبْسَمِهِ
 خَافَ العيونُ صباحَ الفَرْقِ (*) تَنْظُرُهُ
 أَطْلُ حديتِكَ في قدِّ قُتِنْتُ به
 يقولُ لي في تثنِيهِ مُفَاخِرَةً
 يا قاتِلَ اللهِ غَزَلانَ (الصَّرِيم) فما
 وما لأَعينِنَهُنَّ النَّجْلَ حينَ رَنَّتْ
 وقفتُ منهنَّ والأشجانُ تلعبُ بي
 وبي من النَّافِرِ النَّائِي بِجانِبِهِ
 عهدي بها ورداءُ الوصلِ يجمَعُنا

مؤيِّدٍ بجنودِ الحُسْنِ مُنْتَصِرِ
 تَلَفَّتْ الظَّبِيِّ من خوفٍ ومن حَذَرِ
 رِيحُ الصَّبَا وهو في أوراقِهِ الخُضْرُ
 أَرَقُّ من نَسَمَاتِ الروضِ في السَّحَرِ
 كأنَّما رُحْتُ أشكوها إلى حَجَرِ
 يا جِنَّةً أنا منها اليومَ في سَقَرِ
 فلا أَقلُّ من الإِسْعافِ بالنَّظَرِ
 إنِّي لأَقْنَعُ بعدَ العَيْنِ بالأَثَرِ
 والدهرُ يَعْجَبُ والأيامُ من ظَفْرِي
 وما أَلذَّكَ في سمعي وفي بَصْرِي
 والشَّمْسُ تُشْرِقُ ليلاً في يَدِ القَمَرِ
 ما أَدْعُ القَطْرُ من وَشْيٍ ومن حَبِرِ (١)
 ما بين مُنْتَضِمٍ منه ومُنْتَثِرِ
 ومُرْشِفِي السُّكَّرِ المِصْرِيِّ في السُّكَّرِ
 ما أودعُ اللهُ في الياقوتِ من دُرِّ
 حتَّى تَعوَّذَ بالأصْداغِ والطُّرَرِ
 وإنْ ذَكَرْتَ حديثَ الخَصْرِ فاختصر
 البانُ من شَجْرِي والوردُ من ثَمْرِي
 أَبَقْتُ - وقد نَفَرْتُ - صبراً لمُصْطَبِرِ
 أَصَبَنَ قَلْبِي وما الجاني سِوَى نظْرِي
 في موقِفِ الرَبْعِ بينَ الخوفِ والخَطَرِ
 صِبابَةٌ تُعَلِّقُ الأَجْفانَ بالسَّهَرِ
 والوصلُ يَدُهَبُ طولَ الليلِ بالقِصْرِ

(١) التفويف والتحبير: التطريز والتجميل.

(*) في الطبعة (١): (الغرق) وصوابها من الطراز الأنفس، ولعل صواب تشكييلها (خاف العيون صباح الفرق) أي العيون التي يعلوها جبين وضاح.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (الواشي) وقد حذفنا (الياء) لاستقامة الوزن، و(الواش) لغة في (الواشي).

لم يرقب الواش^(**) يخشى من تطلعه
 تركتني ولكم مثلي تركت لقي
 هيجت أشجان قلبي فانتدبت لها
 إن السلامة في (سلمان) من كدر
 يسر نفسي ويقضي لي ماريها
 تالله ما أبصرت عيناى طلعتة
 توقع الروض ما تسديه غادية
 إذا استقلت تراءى من مخاليلها
 أصبحت من يده البيضاء في دعة
 كأنما أنا من لألاء غرته
 تهب منه رياح اللطف عاطرة
 أمعن بدقة معنى ذاته نظراً
 وسل إذا شئت عن أجداده فلقد
 أعظت في مدحه قوماً بقافية
 وحاسداً قصرت أيدي المنال به
 تسر قوماً وأقواماً تغيطهم
 كالراح تسري إلى الأرواح نشوتها^(٢)
 هم الذين أراشوني بنائلهم^(٣)
 المطلقون لساني بالثناء على
 بيض تضيء بنور الله أوجههم
 النافعون إذا عاد الزمان على
 تقوى على أزمات الكون أنفسهم
 فيا لك الله سادات إذا افتخرت

ما أولع الدهر بالتبديل والغير
 فريسة بين ناب الخطب والظفر
 بكل منتدب للشجو مبتدر
 يجني علي ومن همي ومن فكري
 بنائل من ندى كفيه من همر
 إلا وأيقنت أني بالنوال حري
 أناخ كلكها ليلاً (ذي بقر)
 مبشر الوارد الظمان بالغدر
 وحسن أنظاره في منظر نضر
 في روضة باكرتها المزن بالمطر
 من طيب عطر عن طيب عطر
 وانظر بعينيك واستغن عن الخبر
 ضاقت بذاك صدور الكتب والسير
 عن المقيم تجوب الأرض في سفر
 كمفلس الحي رام اللعب بالبدر^(١)
 والشهب ترمي ظلام الليل بالشبر
 فالروح في خفة والجسم في خدر
 لولاهم الآن لم أنهض ولم أطر
 تلك الشمائل بعد العي والحصر
 في حنيس من ظلام الخطب معتكر
 بنيه في الساعة الحشناء بالضرر
 وليس تقوى عليها أنفس البشر
 كانت هي المفخر الأسنى لمفتخر

(١) البدر: بكسر الباء وفتح الدال جمع بدرة. وهي صرة فيها نقود.

(٢) في الأصول: نشأتها.

(٣) أراشوني: جعلوا لي ريشاً.

لا تُذْكَرُ النَّاسُ فِي شَيْءٍ إِذَا ذُكِرُوا
يَا أَيُّهَا الدَّهْرُ يَا تَيْنَا بِهِمْ نَسَقًا
وَيَا مَعَانِي الْمَعَالِي مِنْ شَمَائِلِهِمْ
دَعُ مَا تَقُولُ الْبَرَايَا فِي مَنَاقِبِهِمْ
سِرٌّ مِنْ اللَّهِ إِلَّا أَنْ نُورَهُمْ
عَلَوْا عَلَى النَّاسِ إِعْلَانًا فَقُلْتُ لَهُمْ
لَأَنْتُمْ النَّفَرُ الْعَافُونَ مِنْ مُضَرٍ
أَنْتُمْ لَنَا وَزُرٌّ مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ^(١)
مَوْلَايَ أَصْبَحْتَ وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ

كَالْيَمِّ يَقْذِفُ بِالْأَلْوَابِحِ وَالذُّسْرُ
هَلْ جِئْتُ مِنْهُمْ بِمَعْنَى غَيْرِ مُبْتَكِرٍ
لَقَدْ بَرَزْتَ لَنَا فِي أَحْسَنِ الصُّورِ
فَكَيْفَ قَوْلُكَ بِالْآيَاتِ وَالسُّورِ
فِي الْخَافِقَيْنِ وَمَا صُبِحَ بِمُسْتَتِرٍ
بِالْهَلِ أَقْسَمُ لَا بِالرَّكْنِ وَالْحَجَرِ
بِوَرُكْتُمْ نَفَرَ السَّادَاتِ مِنْ نَفَرٍ
وَنِعَمَ مُدْخَرُ أَنْتُمْ لِمُدْخَرٍ
وَأَنْتَ فِي عُنُقِ الْوَانِ الْعِزِّ وَالْعُمُرِ

(٨٣)

بَارِقٌ لَاحَ فَأَبْكَانِي ابْتِسَامَا
وَلَمَنْ أَشْكَو عَلَى بَرْحِ الْهَوَى
وَيَحَ قَلْبَ لَعِبِ الْوَجْدِ بِهِ
دَنْفٌ لَوْلَا تَبَارِيحُ الْجَوَى
مَا بَكَى إِلَّا جَرَّتْ أَدْمُعُهُ
وَبِمَا يَسْفَحُ مِنْ عَبْرَتِهِ
فَفَوَّادِي وَالْجَوَى فِي صَبُوتِي
لَيْتَ مَنْ قَدْ حَرَمُوا طَيْبَ الْكُرَى

نَبَّهُ الشَّوْقَ مِنَ الصَّبِّ وَنَامَا^(٣)
كَبِدًا حَرَّى وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا
وَرَمَتْهُ أَعْيُنُ الْغَيْدِ سَهَامَا
مَا شَكَا مِنْ صِحَّةِ الْوَجْدِ سَقَامَا
فَوْقَ خَدَيْهِ سَفُوحًا وَأَنْسَجَامَا
بَلْ كُفْمِيهِ وَمَا بَلُّ أَوَامَا
لَا يَمْلَأَنَّ جِدًّا وَخِصَامَا
أَذْنُوا يَوْمًا لَعَيْنِي أَنْ تَنَامَا^(٤)

(١) الوزر: المدافع، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر، إلى ربك يومئذ المستقر) سورة القيامة الآية (١١).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦٦).

(٣) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (بنج كاه).

(٤) أخذه من قول مهيار الديلمي:

وابعثوا اشباحكم لي في الكرى
إن أذنتم لجفوني أن تناما

ديوان مهيار ٣/ ٣٢٨.

مَنَعُونَا أَنْ نَرَاهُمْ يَقْظَةً
 قَسَمًا بِالْحَبِّ وَاللُّومِ وَإِنْ
 وَالْعِيُونَ الْبَابِلِيَّاتِ الَّتِي
 وَفُؤَادٍ كُلَّمَا قَلْتُ اسْتَفَقْتُ
 إِنَّ لِي فِيكُمْ وَمِنْكُمْ لَوْعَةً
 وَعَلَيْكُمْ عَبْرَتِي مُهْرَاقَةٌ
 وَمَتَى يَذْكُرْكُمْ لِي ذَاكِرٌ
 يَا خَلِيلِي وَمَنْ لِي أَنْ أَرَى
 أَحْسَبُ الْعَامَ لَدَيْكُمْ سَاعَةً
 لَمْ يَدُمْ عَيْشٌ لَنَا فِي ظِلِّكُمْ
 حَيْثُ سَأَلْنَا عَلَى الْقُرْبِ النَّوَى
 وَرَضَعْنَا مِنْ أَفَويقِ الطَّلَا
 أَتُرَى أَنَّ الْهَوَى ذَاكَ الْهَوَى
 كُلَّمَا هَبَّتْ صَبًا قَلْتُ لَهَا
 وَبِنَفْسِي ظَالِمٌ لَا يَتَّقِي
 مَا قَضَى حَقًّا لِمَفْتُونٍ بِهِ
 لَوْ تَرَشَّفْتُ لَمَاهُ لَمْ أَجِدْ
 وَلَأَطْفَأْتُ لَطَى نَارِ الْجَوَى
 شَدًّا مَا مَرَّ جَفَاءً مُسْتَعَذِبٌ
 لَا سُقَيْتُنَّ الْحَيَا مِنْ إِبْلِ
 قَذَفْتُهَا بِالنَّوَى أَيْدِي السَّرَى
 وَرَمْتُهَا أَسْهُمُ الْبَيْنِ فَمَنْ
 قَدْ بَلَّوْنَا النَّاسَ فِي أَحْوَالِهَا

مَا عَلَيْهِمْ لَوْ رَأَيْنَاهُمْ مَنَامًا
 كُنْتُ لَا أَسْمَعُ فِي الْحَبِّ مَلَامًا
 مَا أَحَلَّتْ مِنْ دَمِي إِلَّا حَرَامًا
 يَا فُؤَادِي مَرَّةً زَادَ هَيَامًا
 أَنْحَلْتُ بِلْ أَوْهَنْتُ مِنِّْي الْعِظَامَا
 كُلَّمَا نَاوَحْتُ فِي الْأَيْكِ حَمَامَا
 قَعَدَ الْقَلْبُ لَذِكْرَاكُمْ وَقَامَا
 بَعْدَ ذَاكَ الصَّدْعِ لِلشَّمْلِ التَّنَامَا
 وَأَرَى بَعْدَكُمْ السَّاعَةَ عَامَا
 أَيُّ عَيْشٍ قَبْلَهُ كَانَ فَدَامَا
 وَأَخَذْنَا الْعَهْدَ مِنْهَا وَالذَّمَامَا
 وَكْرَهْنَا بَعْدَ حَوْلَيْنِ الْفَطَامَا
 وَالنَّدَامَى بَعْدَنَا تَكَ النَّدَامَى
 بَلَّغِيهِمْ يَا صَبَا (نَجْد) السَّلَامَا
 حَوْبَةَ الْمُضْنَى وَلَا يَخْشَى أَثَامَا
 رَبَّمَا يَقْضِي وَمَا يَقْضِي مَرَامَا
 فِي الْحَشَا نَارًا وَلَوْ هَبَّتْ ضِرَامَا
 وَلَعَفْتُ الْمَاءَ عَذْبًا وَالْمُدَامَا
 مِنْ عَذَابِي فِيهِ مَا كَانَ غَرَامَا
 تَقَطَّعَ الْبَيْدَ بِطَاحًا وَأَكَامَا^(١)
 فِي مَوَامِيهَا عِرَاقًا وَشَامَا
 مُهَجِّجٌ تَرْمَى وَعَيْسٌ تَتَرَامَى
 وَعَرَفْنَاهُمْ كَرَامًا وَلِنَامَا

(١) قال مهيار الديلمي:

أيها الغادي على أجماله

يقطع البيد فجاءاً وأكاماً

وجدت ذلك في كتاب (مختارات آل عبدالقادر) ص ١٤٨. ولم أجد البيت في ديوان مهيار الديلمي.

وشربناهم نَميراً سائغاً
 فَمُحَالٌ أَنْ تَرَى عَيْنٌ رَأَتْ
 إِنَّ تُجَرِّدَهُ عَلَى الدَّهْرِ يَدٌ
 مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ لَا تُبْصِرُ فِي
 جَوْهَرٍ أَوْ دَعَا اللَّهَ بِهِ
 نَظَرَتْ عَيْنَايَ مِنْهُ أَرْوَعاً
 مِنْ كِرَامٍ سَادَةٍ لَمْ يَخْلُقُوا
 رَقّاً حَتَّى خَلَقَتْهُ مِنْ رِقَّةٍ
 أَوْ كَمَا هَبَّتْ صَبَباً فِي رَوْضَةٍ
 ثَابِتُ الْفِكْرَةِ فِي آرَائِهِ
 وَإِذَا مَا قَوْمَ الْمُعْجُوجِ فِي
 ثَابِتٍ فِي مَوْقِفٍ مِنْ مَوْطِنٍ
 يَوْمَ تَعْرَى الْبَيْضُ مِنْ أَعْمَادِهَا
 فِي نَهَارٍ مِثْلَ مُسْوَدِ الدَّجَى
 وَإِذَا مَا أَشْرَقَ النَّيَادِي بِهِ
 لَمْ يَخْضِمُهُ مِنْ زَمَانٍ طَارِقٍ
 قَدْ وَجَدْنَا عَهْدَهُ فِي وَدِّهِ
 شَمَلَ النَّاسَ فَأَعْنَى بِرُّهُ
 بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا جَدُّ
 شَيْدَ الْفَضْلِ وَأَعْلَى قَدْرِهِ
 وَكَفَتْ يُمْنَاهُ بِالْوَبْلِ نَدَى
 حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ عُلُوِّي التَّنَا
 إِنَّمَا (البصيرة) فِي أَيَامِهِ

وَزُعَافاً وَأَكَلْنَاهُمْ طَعَاماً
 ك(حسام الدين) لِلدِّينِ حُسَاماً
 فَلَقْتُ مِنْ خَطْبِهِ هَاماً فَهَاماً
 حَدَّهُ الْمَاضِي فُلُولاً وَأَنْثَلَاماً
 لَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ فِي النَّاسِ انْقِسَاماً
 طَيِّبَ الْعَنْصَرِ وَالْقَرَمِ الْهُمَاماً
 بَيْنَ أَشْرَافِ الْوَرَى إِلَّا كِرَاماً
 أَرَجَ الشَّيْخِ وَأَنْفَاسَ الْخِزَامِي
 تُنْبِتُ الرِّندَ صَبَاحاً وَالنُّمَاماً
 يُظْهِرُ الصَّبْحَ كَمَا يُخْفِي الظَّلَاماً
 رَأْيَهُ الْعَالِي مِنَ الْأَمْرِ اسْتِقَاماً
 يَجْمَعُ الْأَعْدَاءَ وَالْمَوْتَ الزُّوَاماً
 وَبِهِ يُكْسِي الْفَرِيقَيْنِ الْقَتَاماً
 تَلْبَسُ الشَّمْسُ مِنَ النَّقْعِ لِثَاماً
 أَشْرَقَ النَّيَادِي بِهِ بَدراً تَمَاماً
 عَزَّ جَاراً وَجِوَاراً أَنْ يُضَاماً
 عَرُوةَ الْوَثْقَى فَقَلْنَا لَا أَنْفِصَاماً
 وَكَذَا الْبَحْرُ إِذَا الْبَحْرُ تَطَامِي
 فِي سَمَاوَاتِ الْمَعَالِي يَتَسَامِي
 بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ أَطْلَالاً رِمَاماً
 فَكَفْتَنَا الْغَيْثَ سَقِيّاً وَالْغَمَاماً
 عَنْ (علي) قَامَ بِالْحَكْمِ مَقَاماً^(١)
 أَعْجَبَتْ مِنْ سَارَ عَنْهَا أَوْ أَقَاماً

(١) علي رضا باشا اللازم مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩) وهو الذي استقدم المدوح حسام الدين القدسي من حلب.

أَفْصَحَتْ عَنْ (أُخْرَسٍ) فَيْكَ لَهُ
عَرَبِيَّاتُ الْقَوَافِي غُرُرٌ
شَاعِرٌ يَهْوَى مَعَالِيكَ وَفِي
يَا (حَسَامَ الدِّينِ) يَا هَذَا الَّذِي
فَتَفْضَلُ وَتَقْبَلُ كُلَّ مَا
وَتَنَاءً طَيِّباً طَابَ بِكُمْ

من قريضِ النثرِ نثراً ونظاماً
نَصَبْتُ فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ خِيَاماً
كُلُّ وادٍ مِنْ مَدِيحِ فَيْكِ هَاماً
أَشْكُرُ الْيَوْمَ أَيَادِيهِ الْجِسَامِ
جَمَعْتُ فَيْكِ مِنَ الْحَقِّ كَلَاماً
يَنْعَشُ الرُّوحَ أَفْتِتَاحاً وَخِتَاماً

(٨٤)

(١) نجم الدين أبوالسعود عبد الباقي ابن أبي الثناء محمود الألويسي. ولد ببغداد ليلة الجمعة ١٩ صفر سنة ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م ونشأ فيها، ودرس على والده المفتي الألويسي. ثم أكمل المادة على الشيخ عيسى صفاء الدين البندنيجي، واشتغل بالعلوم حتى برع وأجاد، وأنشد الشعراء يوم إجازته ومنهم عبد الباقي العمري حيث قال:

ما للهواتف بالبشارة أعلنت
فوعت صداها أهل سبع طباق
وسرى نسيم صبا العراق به كما
يسري البريد لسائر الآفاق
وبالحنها قد أعربت فكانما
أخذت فنون اللحن عن اسحاق

ونصب للتدريس أيام الوالي عبدالكريم نادر (عبدي باشا) وحج بيت الله الحرام، وسافر إلى استانبول عدة مرات. واعتلى المناصب الرفيعة. وفي سنة ١٢٨٤هـ تقلد قضاء كركوك. وله مؤلفات جليلة منها (البهجة البهية في إعراب الأجرومية) و(الفوائد السعدية في شرح العضدية) و(النفحة المرضية شرح الأندلسية) و(الفوائد الألويسية في شرح الرسالة الأندلسية) و(فيوضات القريحة شرح الصفيحة) و(أسعد كتاب في فصل الخطاب) و(أوضح منهج في مناسك الحج) و(القول الماضي في ما يجب للمفتي والقاضي) و(الروضة اليانعة في بيان السفارة الرابعة). وكان ذا هيبة ووقار. محترماً لدى الولاة والوزراء. وآخر ما تقلد من الوظائف قضاء بتليس. ثم مرض وعاد إلى بغداد، وتوفي صباح يوم السبت ٢١ صفر سنة ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م. ودفن بجوار والده. وقد رثاه الشعراء ومنهم الشيخ عباس العذاري، ومطلع قصيدته:

أدرى حين نعى ناعي الكمال
أي قلب راع فيه للمعالي

انظر: حديقة الورد ٢/ ٨٩ مخطوط والمسك الأذفر ٤٦ - ٥١ والآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢/ ١٤ وديوان الشيخ عباس العذاري وأعلام العراق ص ٥٢ - ٥٥.

بُشْرَى لَنَا فِي وَكْدٍ بَوَجْهِهِ
 وَلَا عَجِيبٌ لَذِكِّي مُنْجِبٍ
 أَبُوهُ مَنْ فَاقَ الْوَرَى بِعَلَمِهِ
 بَحْرٌ يَفِيضُ جَوْهَرًا وَنَائِلًا
 لَدَى الْأَنَامِ جُودُهُ وَفَضْلُهُ^(١)
 تِلْكَ أَيْيَادِيهِ الَّتِي يَبْذُلُهَا
 بِشَارَةً إِذْ جَاءَ قَدْ أَرْخَتْهَا
 أَبْدَى مَبَادِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ
 مِنْ أَطْيَبِ الْأَصَالِ وَالْأَعْرَاقِ
 وَفَاقَ بِالْفَضْلِ عَلَى الْآفَاقِ
 وَيَاسِطُ الْكَفَّيْنِ لِلْإِنْفَاقِ
 أَضْحَى عَلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَعْنَاقِ
 كَانَتْ عَلَى الْأَعْنَاقِ كَالْأَطْوَاقِ
 (فَجَاءَتْ الْبُشْرَى بَعْبِدِ الْبَاقِي)^(٢)

(٨٥)

وقال مخمساً رائية الشاعر عبد الباقي العمري^(٣) [وهي من الطويل]:

سَرَيْنَا لِنَمْحُو الْإِثْمَ أَوْ نَغْنِمَ الْأَجْرَا
 لِسُرُورَةٍ مَنْ تَمَحَّوْزِيَارَتُهُ السُّوْرَا
 وَسَارَتْ وَقَدْ أَرْخَى عَلَيْنَا الدُّجَى سِتْرَا
 (بْنَا مِنْ بِنَاتِ الْمَاءِ لِلْكَوْفَةِ الْغَرَا)
 (سَبَّوْحُ سَرَتْ لَيْلًا فَسَبْحَانُ مِنْ أَسْرَى)
 تَخَيَّرْتُهَا دُونَ السَّفَائِنِ مَرْكَبَا
 وَأَعَدَدْتُهَا لِلسَّيْرِ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
 فَكَانَتْ كَمَثَلِ الطَّيْرِ إِنْ رُمْتَ مَطْلَبَا
 (تَمَدُّ جَنَاحًا مِنْ قَوَادِمِهِ الصَّبَا)
 (تَرُومُ بِأَكْنَافِ الْغَرِيِّ لَهَا وَكْرَا)
 وَكَانَتْ تُحَلِّي قَبْلَ هَذَا تَجْمَلَا

(١) في حديقة الورود (عم الأنام جوده وفضله).

(٢) لم يرد التاريخ في الأصول، ومجموعة يساوي ١٢٥٠هـ. وهو مثبت في حديقة الورود.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤).

وقد غُذِّيتُ في ما أَمَرَ وما حَلَا
 أَظُنُّ على فَقْدِ الشَّهيدِ بـ(كربلا)
 (كساها الأسي ثوبَ الحدادِ ومِن حُلَى)
 (تجمّلها بالصَّبْرِ لأعجَبها أُعْرَى)
 إلى موقِفٍ سِرْنَا بغيرِ تَوَقُّفٍ
 يزيدُ بكائي عنده وتلهُّفي^(١)
 ولما تجاريْنَا بفُكِّك ومُدُنْفٍ
 (جرتُ وجَرى كلُّ إلى خيرِ موقِفٍ)
 (يقولُ لِعَيْنَيْهِ قِفا نَبْكِ من ذكري)
 ترامتُ بنا فُكُّكُ فيا نَعَمَ مُرْتَمَى
 إلى دُرَّةِ الفخرِ التي لن تُقَوِّما^(٢)
 فحُضْنَا إليه [البحر] (*) والبحرُ قد طَمَى
 (وكم غمرةٌ حُضْنَا إليه وإنما)
 (يخوضُ عُبابَ البحرِ من يطلبُ الدرَّأ)
 إلى مرقدِ يعلو السُّماكينِ منزلاً
 وقد نالَ ما نالَ الصُّرَّاحُ من العُلا
 نسيرٌ ولا نُلوي عن السَّيْرِ معدلاً
 (نؤمُّ ضَريحاً ما الصُّرَّاحُ وإنْ علا)
 (بأرفعَ منه لا وساكنه قَدراً)
 فزوجُ ابنةِ المُختارِ كانَ غَضُنْفِرا
 علا وارْتَضَتْهُ الطُّهْرُ من سائرِ الوري
 أتعرفُ من هذا الذي طالَ مَفْخَرا
 (هو المرتضى سيفُ القضا أسدُ الشرى)

(١) في الترياق الفاروقي (.. بتلهف).

(٢) في الأصول (.. الذي لن تقوما) والتصويب من الترياق.

(*) في الطبعة (١): سقطت هذه الكلمة وقد أثبتناها من الطراز الأنفس.

(عليُّ الذُّرَّاءُ بل زَوْجُ فاطمة الزهراء)
 عيونُ الوريِّ إنْ لاحَظتْ منه كُنْهَهُ
 تُردُّ عن التَّشْبِيهِ حَسْرَى فينْتَهِوا
 وإنْ مَقاماً لا تَرى العَيْنُ شِبْهَهُ
 (مَقامُ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ)
 (مَقامُ عليٍّ رَدَّ عَيْنَ العُلا حَسْرَى)
 لَقَدْ صَيَّرَ العُبرَاءَ خَضْرَاءَ قَبْرَهُ
 وَأشْرَقَ فِيهَا في الحَقِيقَةِ بَدْرَهُ
 وَقَدْ وافقَ الإِعْجَازَ لِللهِ دَرَهُ
 (أثِيرٌ مَعَ الأَفْلاكِ خالفَ دَوْرَهُ)
 (مَنْ فَوْقَهُ العُبرَاءُ وَمَنْ تَحْتَهُ الخَضْرَاءُ)
 أَحاطَ بِنَا عِلْماً فَلَيْتَ سَلِيقَةً
 تَفِيدُ عِلْوماً عَن عُلَاهِ دَقِيقَةً
 مَجَازاً، وَقَدْ جُرْنَا إِلَيْهِ طَرِيقَةً
 (أَحَطْنَا بِهِ وَهُوَ المَحِيطُ حَقِيقَةً)
 (بِنَا فَتَعَالَى أَنْ نُحِيطَ بِهِ خُبْرًا)
 فَطُفُّ فِي مَقامِ حَلِّ فِيهِ وَلَبَّهِ
 تَرى العالَمَ الأَعْلَى حَفِيفاً بِتُربِهِ
 فَكالمَسْجِدِ الأَقْصَى وَأَيُّ تَشْبِيهِ
 (تَطوَّفُ مِنَ الأَمْلاكِ طائِفَةٌ بِهِ)
 (فَتَسْجِدُ فِي مِحْرابِ جامِعِهِ شُكْرًا)
 فَأَتَنَى عَلَيْهِ مِنْ عَلا مِثْلَ مَنْ دَنَا

وكلُّ بما أثنى أجاد وأحسنا
 فحزبٌ* (١) من الدانين إذ ذاك أعلننا
 (وحزبٌ من العالين يهتفُ بالثنا) (١)
 (عليه بوحي كدتُ أسمعُهُ جَهْرًا)
 حَجَجْنَا إلى بيتِ عَلَا بجنابه
 عَشِيَّةً أويْنَا إلى بابِ غابه
 ومن قد سَمَتَ أركانُ كَعَبَتِنَا به
 (جديرٌ بأن يأوي الحَجيجُ لبابه)
 (ويلمسُ من أركانِ كعبته الجُدرًا)
 فَيُوضَ عُلُومَ اللهِ من قَدَمِ حَوَى
 فَقَسَمَ مِنْهَا ما أَفادَ وما احْتَوَى
 ومن قبل ما يَثْوِي ومن بَعْدَ ما ثَوَى (٢)
 (حَرِيٌّ بتقسيمِ الفَيوضِ وما سَوَى)
 (أبي الحَسَنِينِ الأحسَنِينِ بهِ أُحْرَى)
 ظَلَلْنَا وكم جانٍ لَدِيهِ ومُذْنِبِ
 وذِي حاجَةٍ مِنَّا وصاحبِ مَطْلَبِ
 يَقْبَلُ والأجْفانُ تَهْمِي بِصَيِّبِ
 (ثَرَى مِنْهُ في الدنِيا التُّرَاءُ لِمُتْرِبِ)
 (وللمُذنبِ الجاني الشفاعةُ في الأخرى)
 خَدَمْنَا أميرَ المؤمنِينِ بموطنِ
 نُعَفِّرُ فيه الوجَّهَ قَصْدَ تَيْمُنِ
 وَيَخْدِمُ قَبِرَ المُرْتَضَى كُلُّ مؤمِنِ
 (بأهدابِ أجْفانٍ وأحْداقِ أعينِ)

(١) في الأصول: تهتف والتصويب من الترياق.

(٢) في الأصول: (ومن قبل ما يثوي ومن قبل ما ثوى) والصواب ما أثبتناه.

(* في الطبعة (١): (فخر) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(وَحُرٌّ وَجُوهٌ عَفَّرَتْهَا يَدُ الْغُبَيْرِ)
أَزَلْنَا غُبَاراً كَانَ فِي قَبْرِ حَيْدِرِ
فَلَا حَ كَغَمْدِ الْمَشْرِفِيِّ الْمَشْهَرِ
وَلَا غَرَوْ فِي ذَاكَ الْمَكَانِ الْمُطَهَّرِ
(أَمَطْنَا الْقَذَى عَنْ جَفْنِ سَيْفٍ مُذَكَّرِ)
(أَجَلَّ سَيْوْفِ اللَّهِ أَشْهَرَهَا ذِكْرًا)
تَبَدَّى سَنَا أَنْوَارِهِ وَتَبَيَّنَا
غَدَاةَ جَلُونَا قَبْرَهُ فَتَزَيَّنَا
فَحَيَّرَ أَفْهَامًا وَأَبْهَرَ أَعْيُنَا
(فَوَاللَّهِ مَا نَدْرِي وَقَدْ سَطَعَ السَّنَا)

(٨٦)

هو البرق ممَّا راعها وشجاها
ومما جوى تطوي عليه ضلوعها^(٣)
حكَّتْ بِلِسَانِ الْحَالِ حَتَّى وَدِدْتَنِي
جَوَى مِثْلَ مَا بِي أَوْ يَزِيدُ بَزْعُمِهَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا فَاتَكَ الْوَرْدُ صَافِيًا
وَرَوَّضَتْ مِنْ أَكْنَافِ (نَجْدِ) رِيَاضِهَا
سَقَاهَا مِنَ النُّجْبِ الْكِرَائِمِ نَاقَةً
تَعَاْفُ النَّمِيرِ الْعَذْبُ يُمَزَّجُ بِالْقَذَى
تَجَافَتْ عَنِ الدَّارِ الَّتِي تُنْبِتُ الْأَذَى

فَهَيَّجَ مِنْهَا دَاءَهَا وَأَسَاها^(٢)
بَكَتْ بَدْمٍ قَانَ فَطَالَ بَكَاهَا
أَقْبَلُ مِنْ تِلْكَ الْمَطِيَّةِ فَاهَا
وَهِيهَاتَ مِنِّي وَجَدُّهَا وَعَنَاها
وَلَا حَبَسَتْ عَنْكَ السَّمَاءُ حَيَاهَا
وَحَقَّ لِنَفْسِ الْحَرِّ عَنْكَ رِضَاهَا
وَأَكْرَمَ مِنْهَا أُمَّها وَأَبَاهَا^(٤)
وَتَخْتَارُ فِي رِيِّ الْهُوَانِ صَدَاهَا
وَهَا قَدْ نَأَتْ عَنِ مِثْلِهَا لِسِوَاهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) ذكر المرحوم عباس العزاوي في ص ٣٢ من مجموعة شعر الأخرس. أن الشاعر الأخرس نظم هذه المدحة سنة ١٢٦٥هـ وأن الشاعر عبدالباقي العمري ألقى هذه القصيدة نيابة عن الأخرس في مجلس العلامة أبي الثناء الألويسي.

(٣) في الأصول: (ومما جوى تطوي عليها ضلوعها).

(٤) ناقة منصوبة على الاختصاص أو أنها حال جامد.

لقد سرَّها أن لا تُساءَ فأرقلتُ
فجاوزتِ البِيداءَ غيرَ مَرُوعَةٍ
تُباعدُ ما بينَ الخُطى فكَأَنَّمَا
تَهيمُ بأعلامِ المُحَصَّبِ من (مِنَى)
عليها من الفتَيانِ من لا تروعهُ
رَمَاهُ إِبَاءُ الضَّئِيمِ في كُلِّ مَهْمِهِ
من الصَّيْدِ لا يَسْتَصَعِبُ الحَتْفَ إن دنا
ويأنفُ أن يُلقِيَ القِيادَ لنكبةٍ
إذا همَّ لا تَنبُو مَضارِبُ عَزْمِهِ
تَصَفَّحَ يَرتادُ المنازلَ في (اللَّوى)
ولم يَناَ عن دارِ القَلَى باخْتِيارِهِ
قليلُ ائْتِلافِ الجَفْنِ من سِنَةِ الكرى
ولا بكَثِيرِ الالْتِفاتِ إلى التِي
لقد شامَ بَرَقاً بالحمى غيرَ مُمَطَّرٍ
وحَتُّ حَتِّها والليلُ يَبْدي ظلامَهُ
وسارَ بها إذ ذاكَ في كُلِّ مَهْمِهِ
وما راحَ إلا وهو فيها سَميرُها
يذكَرُها بـ(الرَقْمَتَيْنِ) مَنازلاً
رَعَتْ من خُزامِها وفازتُ بمائِها
هَلْمِي بنا يا ناقُ نذكَرُ ما مَضَى
وأيامنا في الرُّبْعِ والرُّبْعِ أَهْلُ
مَضَى وانْقَضَى عَهْدُ الأَحْبَةِ في (النقا)
فكيفَ إذا يا ناقُ تَرجعُ جيرةً
بَعِيشِكَ هل تَدْرينَ من أنا طالِبُ

إلى حيثُ مَنُوى الأكرمينَ حِمَها
كَأَنَّ المَنايا قَصَدَها ومُناها
تَبوعُ الفَلا أَخْفافُها بِخُطَها^(١)
وأفَنَةُ نَفْسِ المُسْتَهامِ هَواها
مُكابِدَةُ الأَهْوالِ حينَ يَراها
يَروعُ العَفرَني أن يَجسَّ ثَراها^(٢)
ولا باتَ يَشكو للخُطوبِ إذاها
يَرى فَرَجَ اللهِ القَريبِ وراها
ولا فَلَ أحداثُ الزمانِ شَبَهاها
ويَطْلُبُ فيها مَرْتَعاً ومِياها
ولكن جَفَنَهُ أَهْلُها فَجَفاها
فلو راودتُهُ مَرَّةً لَعَصَها
نأى ماضياً عنها فَعَزَّ عَزاها
فأَعرضَ عن أنوائِها بِنَواها
إلى عَينِ هادي من يَضلُّ عَماها
وليسَ إلى غيرِ العَلاءِ سَراها
شَكَتَهُ تَباريحُ الجوى وشَكاها
مَراتعَها أعلامُها ورُبَهاها
سَقاها شَبابِيبَ الحِيا ورعاها
ونبكي شَؤنَها لا يَفيدُ بَكاها
فواهاً لَتلكَ المَاضِياتِ وأها
وقد نَفَرتُ أسرابُها ومَهاها
يَقَرُّ لَعَينِي أن يَلوحَ سَناها
ولم تَدْرِ في ما إذا يَكونُ حِداها

(١) تبوع: تقيس الأرض بالباع. مثل: تدرع. بالذراع.

(٢) العفرنى: الأسد.

أروم رُبوعاً يُهْتَدَى لِبَيْوتِهَا^(١)
وما افْتَقَرْتُ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ يَدُّ
له الخَيْرُ مَجْبُولٌ عَلَى الخَيْرِ كُلِّهِ
فلم يَبْقُ مِنْ أَكْرَمَةِ مَا أَجَادَهَا
مَبَانِي الكِرَامِ الأُولَى تَهْدَمْتُ
عَزِيزٌ عَزِيزُ النَّفْسِ إِنْ ضَمِيمٌ جَارُهُ
له الفَتَكَاتُ البِكْرُ تُشْهَدُ أَنَّهُ
تَقَلَّدَ عَزْماً مِثْلَ إِفْرَنْدِ عَضْبِهِ
هو الغَيْثُ يَوْمَ الجُودِ والليثُ فِي الوَعْيِ
إِذَا كَانَ مَجْدٌ كَانَ مِنْهُ عِمَادُهُ
مَتَى شَاءَ أَوْرَاهَا وَأُنْقَبَ زَنْدَهَا
أَحْلَى بِذِكْرَاهُ القَوَافِي أَصَوغَهَا
تَأْرَجُ فِي النَّادِي بِذِكْرِ جَمِيلِهِ
وَإِنِّي لِأَهْدِيهَا إِلَى خَيْرِ مَا جَدِ
إِلَى الغَايَةِ القُصْوَى وَأَيَّةُ غَايَةٍ
سَمَا غَيْرَ مَمْنُوعٍ إِلَى كُلِّ سُوْدٍ
إِلَى أَيْنَ تَبْغِي بِالْأَبْوَةِ والعُلَا
تَعَالَيْتِ حَتَّى انْحَطَّ مِنْ دُونَكَ الوَرَى
فَدَاؤُكَ عَبْدٌ أَنْتَ مَا لَكَ رَقَّةُ
فَشُكْرًا لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعْمَةٍ بِهَا
وَجَدْتُ عَلَى دُنْيَا أَضَاعَتْ عَوَارِفِي
وَوَجَدِي عَلَى هَذَا الزَّمَانِ سَفَاهَةً
وَلَوْ كَانَتْ الأَيَّامُ تَعْقِلُ مَا أَتَتْ
لَهَا الحِطُّ مِنْ مِثْلِي، وَجُودِي بِمِثْلِهَا
إِلَيْكَ (أَبَا مُحَمَّدٍ) أَشْكَو حَوَادِثًا
أُمْنِي بِهَا النَّفْسَ الأَمَانِيَّ ضِلَّةً
وَتَلَسَّعُنِي فِيهَا أَفَاعِ قَوَارِعُ

بِنُورِ مُحَايَاها وَنَارِ قِرَاهَا
إِذَا كَانَ مِنْ (عَبْدِ الغَنِيِّ) غِنَاهَا
وَخَيْرُ الوَرَى مَنْ لَمْ يَزَلْ لِرَجَاها
وَمِنْ قَبَةِ مَا حَازَهَا وَحَوَاهَا
فَاعْلَى مَبَانِيها وَشَادَ بِنَاهَا
فَدَاهَا إِذَا فِي نَفْسِهِ وَوَقَاهَا
(عِصَامِيها) المَعْرُوفُ وَ(ابْنُ جَلَاهَا)
إِذَا اعْتَرَضَتْهُ النِّائِبَاتُ بَرَاهَا
فَغَيْثُ نَدَاهَا كَفَّ لَيْثَ وَغَاهَا
وَإِنْ كَانَ حَرْبٌ كَانَ قُطْبَ رَحَاهَا
وَشَبَّتْ بِفِرْسَانَ الرِّجَالِ لَظَاهَا
أَلَا إِنَّمَا ذَكَرَ الكِرَامَ حُلَاهَا
وَإِنْ كَانَ نَدِيَّ النِّسِيمِ شَذَاهَا
نَعَمَ إِنَّهُ مَصْنُوحُهَا وَهُدَاهَا
عَلَا مُسْتَطِيلًا شَأُوهَا وَذُرَاهَا
فَلُورَامَ أَنْ يَرْقَى السَّمَاءَ رَقَاهَا
بِنَفْسِ جَمِيعِ النَّاسِ دُونَ عُلَاهَا
فَكَنْتَ تُرِيَاهَا وَشَمْسَ ضُحَاهَا
بِأَيْدِي كَرِيمٍ يُسْتَفَاضُ نَدَاهَا
تَوَلَّيْتُ مَالًا مِنْ نَدَاكَ وَجَاهَا
وَمَا انْتِاشَ أبنَاءَ الزَّمَانِ لِقَاهَا
وَعَتَبِي عَلَى القَوْمِ اللِّئَامِ سَفَاهَا
إِذَا لَنَهَاها عَقْلُهَا وَنُهَاها
وَحَظِّي مِنْهَا هَجْرُهَا وَقِلَاهَا
كَثِيرٌ عَلَى الحُرِّ الكَرِيمِ أَذَاهَا
وَتَمْنَعُنِي مِنْ عَوْدِهَا وَجَنَاهَا
وَمَا عَرَفَ الرَّاقُونَ كَيْفَ رَقَاهَا

(١) فِي الأَصُولِ: (أروم ربوعاً يهتدى لبئوتها) والتصويب من مجموعة الأخرس للمرحوم عباس العزاوي.

أرى هذه الدنيا لمن ذلَّ أصبَحَتْ
تَسَنَّمَهَا من كان من دونِ حُفِّهَا^(١)
وما بُحِتْ بالشُّكُوى وفي بَقِيَّةِ
وعِلْمِكَ بي يُخْبِرُكَ عَنِّي فما الذي^(٢)
وما هي إلا مُهْجَةٌ شَفَّهَا الصَّدَى
وإلا تَلَفَانِي بِلُطْفِكَ لم تَكْدُ^(٣)
جَزْتِكَ جَوَازِي الخَيْرِ من مُتَفَضِّلٍ
فَأنتَ بعَصْرِ لا خَلْتُ مِنْكَ أَهْلُهُ
نَشَرْتَهُ به صُحْفَ المَكَارِمِ والنَّدَى

ذَلُولاً ولو كان الأبيُّ أبَاهَا
وكنَّا نَراهُ تَحْتَهَا فَعَلَاهَا
من الصَّبْرِ إلا وانْتَهتْ وتَناهى
أقولُ بأحوالي وأنتَ تَراها
إذا هي تَسْتَسْقِي نَدَاكَ سَقَاهَا
بَوَادِرٍ حَظِّي أن تَروحَ تَجاها
دَعَتُهُ الأمانِي فاستَجابَ دُعَاها
خَلِيقُ السَّجَايا بالجميلِ، خلاها
ومن بعد ما قد لَفَّها وطَوَّاهَا

(٨٧)

أَيُّهَا القَبْرُ لا بَرِحْتَ مَصُوباً
دَفَنُوا في تَراكِ أكَرَمَ مَيتٍ
من أبِ كانَ بي رُووفاً رَحِيماً
سوفَ أبكيه ما حَييتُ وإنِ كا
نالَ من رَبِّهِ مَقاماً كَرِيماً
قَلتُ لَمَّا مَضَى وأرَحَّتُهُ قد

من غزيرِ الحَيَا بصَيِّبِ مُزْنٍ
حالَ ما بَينَهُ المَنونُ وبَينِي
جُزِي الخَيْرِ والمَثوبَةُ عَنِّي
نَ بكائيَ عليه ليسَ بمُغْنٍ
يَتَمَنَّى مَكانَهُ المُتَمَنَّى
(نَلتَ عبدَ الوهابِ جَناتِ عَدَنٍ)
١٢٨٣هـ

(١) في مجموعة شعر الأخرس ص ٣٦ (... من دون حققها).

(٢) جزم الشاعر (يخبرك) دون سبب سوى الوزن. وليته قال (... بينيك).

(٣) تلافاني بحذف إحدى التائين وأصلها (تتلافاني). والصواب (تلافني) وبها يختل الوزن.

(٤) السيد عبدالوهاب ابن الحاج عبدالرزاق ابن الحاج أبوبكر بن حسن بن الحاج عثمان البرزلي. نسبة إلى قرية (بارزان) وقيل إلى (البرزان) أي البوق بالتركية. كان رئيس تجار بغداد، وبيتهم بيت عز وتجارة ولهم أملاك واسعة في بغداد وغيرها من المدن. منها الخان التجاري المعروف بخان البرزلي كان بموضع بناية الدامرجي بشارع السمواال ببغداد. ومنها بستانان في محلة السفينة بالأعظمية وتعرف ببستان البرزلي. ولهم مسجد في محلة المربعة ببغداد وتوفي السيد عبدالوهاب سنة ١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م. ودفن في مسجدهم بجوار أبيه المتوفى سنة ١٢٦٨هـ. انظر البغداديون ص ١٠٣ ومعجم اللغة العامية البغدادية ١/ ٤٩٤.

وقال مادحاً حضرة الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه.

يا إماماً في الدين والمذهب الحَقُّ	قِ على علمك الأنامُ عيالُ
رَضِيَ اللهُ عنكَ أوْضَحَتْ لَنَا	سِ مَنْارَ الهُدَى فَبَادَ الضَّلَالُ
قَدْ مَلَأْتَ الدُّنْيَا بِعِلْمِكَ حَتَّى	نَلَيْتَ بِالْعِلْمِ غَايَةً لَا تُنَالُ
كَلَّمَا قَالَتْ الْأَتَمَّةُ قَوْلًا	فَالِي مَا تَقُولُ أَنْتَ الْمَالُ
إِنَّمَا أَنْتَ قُدْوَةُ الْكُلِّ بِالْكُلِّ	وَعِنكَ التَّفْصِيلُ وَالْإِجْمَالُ
رَحْمَةُ اللهِ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالِي	مَا تَوَالِي الْغُدُوُّ وَالْأَصَالُ
شَمِلَتْ حَضْرَةً مُقَدَّسَةً فِيهِ	كَ وَقَبْرًا عَلَيْكَ(*) مِنْكَ جَلالُ
فَبَابِهَا تُنَاخُ الْمَطَايَا	وَبِأَفْنَائِهَا(**) تُحَطُّ الرَّحَالُ
فَازَ مِنْ زَارِهَا وَمَنْ حَلَّ فِيهَا	وَعَلِيهِ الْخُضُوعُ وَالْإِذْلالُ

(١) هو إسماعيل صادق كمال باشا نجل والي بغداد محمد صالح وجيهي باشا، كان محباً للخير وله معرفة وذوق باللغة والأدب، له رسالة في تفسير سورة الإخلاص، وقد قرضها المفتي أبو الثناء الألويسي، وكانت له صلوات ومودة مع علماء بغداد وأدبائها، واثني على تفسيره الشاعر عبد الباقي العمري بقوله من قصيدة:

لله تفسير عديم المثال	أزرت مبانِيه بنثر اللال
وسورة الإخلاص فيه ازدهت	كما ازدهت وجنة خد بخال
على الجلالين علا قدره	فجل عن تشبيهه بالجلال
نجل الوجيهي الوزير الذي	أراؤه في الحكم تحكي النصال
من بعد ما غاب لقد أرخوا	(تفسيره العماد بدر الكمال)

١٢٦٩هـ

وقد أرسله السلطان عبدالعزيز إلى بغداد لينوب عنه في استقبال ناصر الدين شاه القاجاري عند زيارته للعتبات المقدسة وقد مدحه المفتي محمد فيضي الزهراوي بقصيدة باللغة الفارسية سنة ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م. انظر: الترياق الفاروقي ٢١٥ - ٢١٦ وحديقة الورود ٢ / ١٠٩ مخطوط وتاريخ العراق بين احتلالين للجزاوي ٧ / ٢٤٢.

(*) هكذا وردت في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس، ولعل صوابها (عليه).

(**) في الطبعة (١): (وبأفنائها) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (نفحات) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يا مفيضاً من روجه نَفَحَات (***)
 سار بالشوقِ قاصداً من (فروق) (*)
 زُورَةٌ تَمَحَقُ الذُّنُوبَ وفيها
 عن خُلُوصٍ وعن ثَبَاتِ اعْتِقَادِ
 ودَعَاهُ إِلَيْكَ وَهُوَ بَعِيدٌ
 لم تَعُفَّهُ فَدَافِدٌ وَحُزُونٌ
 فَطَوَى فِي مَسِيرَةِ الْأَرْضِ طَيًّا
 إن يُصَادَفُ مِنْكَ الْقَبُولَ فَقَدْ فَا
 لم يَخْبُ أَمَلٌ بِمَا يَرْتَجِيهِ
 أنتَ قَطْبٌ فِي عَالَمِ الْعِلْمِ مِنْهُ

مِنْكَ يَسْتَوْهِبُ الْكَمَالَ (كمال)
 وَإِلَيْكَ الْمَسِيرُ وَالْإِنْتِقَالَ
 لِمُنْدِيبِينَ مِنْحَةً وَنَوَالَ
 أَوْقَفَتْهُ بِبَابِكَ الْأَمَالَ
 سَفَرٌ عَنِ بِلَادِهِ وَارْتِحَالَ
 وَقِفَارٌ مَهَوْلَةٌ وَجِبَالَ
 حَيْنَ وَاقَى وَمَا اعْتَرَاهُ مَلَالٌ
 زَ وَنَمَّ الْإِسْتِعَادُ وَالْإِقْبَالَ
 وَلَهُ فِيكَ عِزَّةٌ وَأَتْصَالَ
 تَسْتَمِدُّ الْأَقْطَابُ وَالْأَبْدَالَ

(٨٩)

وقال مادحاً العلامة أبا الثناء الألوسي^(١) والذوات الحاضرين بمجلسه [وهي

أَيُّ جَمْعٍ هَذَا وَأَيُّ اتَّفَاقٍ
 خَالَفُوا دَاعِيَ الشُّقَاقِ وَشَقُّوا
 كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْفَضْلِ كَنْزٌ
 أَيُّ نَادٍ نَادِي الْأَجَلِّ (شهاب الدُّ
 لُو أْفَيْضَتْ عُلُومُهُ فِي الْبَرَايَا
 مُحَرِّقٌ حَجَّةَ الْعِنَادِ (***) وَلَا بَدُ
 كَاشَفُ الْغَمِّ إِنْ تَوَالَتْ غُمُومٌ
 فإِلَى فَضْلِهِ تَهَادَى الْمَطَايَا
 فَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَلْجَأُ النَّاسِ طُرًّا

وَصِحَابِ أَمَاجِدٍ وَرِفَاقٍ
 بِالتَّئَامِ مِنْهُمْ عَصِيَّ الشُّقَاقِ
 لَيْسَ يَحْشَى الْإِمْلَاقَ فِي الْإِنْفَاقِ
 دِينِ) بَحْرِ الْعُلُومِ مُفْتِي الْعِرَاقِ
 شَمَلَ الْعَالَمِينَ بِالْإِغْرَاقِ
 عَ فَإِنَّ الشُّهَابَ لِلْإِحْرَاقِ
 فَارِحُ الْهَمِّ عِنْدَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ
 وَإِلَى رَبِّعِهِ حَنِينُ النَّيَاقِ
 وَأَجَلُّ السُّورَى عَلَى الْإِطْلَاقِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) فروق، اسم من أسماء استانبول.

(**) في الطبعة (١): (الغياد) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فتأمل في ما حوى اليوم نادي
جمعا بين شدة البأس في الجد
إنما الساعة التي جمعتهم
فغدت مثل روضة باكرتها
فكان الحديث فيه مدام
مجلس ما انطوى على غير أنس
يا له مجلس (ب) (أحمد) قد أشد
دب فيه السرور من كل وجه
وتعالى إلى المعالي (علي) (٣)
وعلا قدره بقدر (علي)
قلد الناس أيدياً من نداءه
كم شكرنا غداة يفتسم الوفاء
(أسعد) الله و(السعيد) (*) لديهم (٥)

له فففيه مكارم الأخلاق
د، وفي الهزل رقة العشايق
جمعت لي محاسن الآفاق
غاديات بالوايل المهرق
حملتها إلي كف الساق
وخلا من تحاسد ونفاق
رق في الحسنة غاية الإشراق (١)
بأديب الزمان (عبد الباقي) (٢)
بالعوالي وبالسيف الرقاق
وتسامى فكان في الفخر راق (٤)
فهى مثل الأطواق في الأعناق
سد نداءه مقسام الأرزاق
كل عذب الكلام حلو المذاق

- (١) أحمد عزة باشا بن محمود بن سليمان العمري، شاعر باحث فاضل ولد في الموصل سنة ١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م وبها نشأ ودرس على علمائها أمثال عبد الله باش عالم العمري والشيخ عبدالرزاق الجبوري وقدم بغداد وواصل دراسته على أبي النشاء وغيره. وعين متصرفاً في سهرزود، ثم متصرفاً في الأحساء ونقل إلى تعز باليمن، ثم عاد إلى الأستانة وله مؤلفات قيمة، منها العقود الجوهريّة مطبوع ورحلة إلى نجد وله رسالة في التصوير الشمسي (مخطوطة) وترجم عن التركية كتاب (أحكام الأراضي) وجمع شعر الأخرس في ديوان سماه (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) وطبعه في الأستانة سنة ١٣٠٤هـ وله ديوان شعر كبير مخطوط منه نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي، وله كتاب (السفينة) جمع فيه بعض شعره ورسائله، وتوفي في الأستانة سنة ١٣١٠هـ وهو ابن أخي الشاعر عبدالباقي العمري، وقد مدحه أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب بعدة قصائد. انظر: تاريخ الموصل ٢/ ٢٦٢، وحلية البشر ١/ ٢٥٥ - ٢٥٩ وديوان الشدياق ٥٩ ومختارات آل عبدالقادر ٣٥٢، والأعلام ١/ ١٦٢ - ١٦٣.
- (٢) الشاعر عبدالباقي العمري مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤).
- (٣) السيد علي النقيب القادري مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).
- (٤) هذا البيت تقدم على الذي قبله في حديقة الورد.
- (٥) أسعد أفندي الحيدري بن عبيد الله بن صبغة الله الحيدري، كان من كبار الصوفية ومن خلفاء الشيخ خالد النقشبندي كثير الطاعة له، وكان مفتي الحنفية ببغداد وقد حج واجتمع بعلماء الشام ومصر واليمن وله إجازة من مرتضى الزبيدي شارح القاموس. كما أخذ منه جماعة من علماء بغداد منهم والوالي العالم داود باشا. ونال منه الإجازة وله حاشية على حاشية العلامة ناصرالدين اللقاني على شرح العري في الصرف للسعد التفتازاني. توفي بالطاعون سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م ودفن في حجرة خاصة في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد قرب المنارة. انظر: عنوان المجد ص ١٤٢ و١٣٦ وحلية البشر ١/ ٢٠٨ والحدائق الوردية ٢٥٧ والبغداديون ص ٣٦ وفيه وفاته ١٢٥٨هـ وهو خطأ. وتاريخ الأدب العربي للعاوي ٢/ ١٢٩ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٤٢.
- والسعيد هو مفتي بغداد السيد محمد سعيد الطبقجلي وستأتي ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٠).
- (*) في الطبعة (١): (السعيد) وصوابها من الطراز الأنفس.

وقال مادحاً العلامة السيد محمد سعيد أفندي^(١) [الطبقجلي] مفتي بغداد ويهنيه

جَدُّ اللَّذَّةِ حَتَّى نَتَجَدُّ
وَحُذِّ الْيَوْمَ بِهَا لَدَّتْنَا
بَيْنَ نُدْمَانِ كَأَزْهَارِ الرُّبَا
نَظَّمْتُ شَمْلَهُمْ كَأَسُّ الطَّلَا
بَرَزَ الرُّوْحُ بِأَبْهَى هَيْبَةٍ
وَلَقَدْ جُرِّدَ مِنْ غَمِّ الدُّجَى
وَبَقَايَا غَلَسٍ أَبْصَرْتُهَا
وَاسْقَنِيهَا فِي لُجَيْنِ الكَأْسِ عَسَجِدٌ^(٢)
وَأَعْدَهَا يَا نَدِيمِي لِي فِي غَدٍ
كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِالْفَضْلِ مُفْرَدٌ
فَهُوَ كَالْعُقْدِ وَكَالدَّرِّ الْمَنْضَدِ
فَتَهَيَّا لِلسُّرُورِ الْيَوْمِ وَأَعْتَدُ
صَارِمَ الْفَجْرِ عَيَانًا فَتَجَدُّ
مَا تَبَقَّى مِنْ دُخَانِ الْعُودِ وَالنُّدْ^(*)

(١) السيد محمد سعيد بن السيد محمد أمين الشهير بالمدرس ابن محمد صالح أفندي بن الحاج إسماعيل بن خليل الطبقجلي، ولد ببغداد وبها نشأ، وكان والده عالماً فاضلاً فقرأ عليه وعلى علماء عصره الأعلام كالوزير داود باشا وعبدالرحمن أفندي الروزيهاني وغيرهم. ثم عين مفتياً في الحلة عدة سنوات، وناب في إفتاء بغداد، ثم نصب مفتياً للحنفية في بغداد أول عهد الوالي علي رضا اللاط، ثم عزله علي رضا، وكان المترجم له رجلاً مهيباً جليل القدر لدى الوزراء والحكام والعلماء والأدباء، حاد المزاج وكان رديء الخط للغاية. وكان ينفق على الفقراء والأيتام بسخاء وكان لا يفتاب أحداً ولا ينم على أحد. ولا يرضى بذلك لغيره وقد امتدحه الشعراء بقصائد حسان. وترك الوظيفة وانصرف إلى التدريس والتأليف وله من المؤلفات (موجب النداء في شرح شواهد قطر الندى) و(شرح القصيدة الأعظمية) للعمري و(شرح عصام في الوضع).

وكانت له مكتبة حافلة بأهمات المصادر. وهو والد العلامة السيد محمد نافع الطبقجلي مفتي الحلة. وتوفي يوم الثلاثاء ١٢ شوال سنة ١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م. ودفن في مقبرة كلية الإمام الأعظم خلف قبة الإمام ورثاه الشاعر محمد أمين العمري بقصيدة قال فيها:

له القدر المعلى في المعالي
ثنت أقلامه البيض المواضي
وكم أحييت قريحته رميمًا
سهام نكاه لم تخطئ مرامًا
إذا ما أعوز القوم القداح
فلانت عندها السمر الرماح
كا أحياء الوري الماء القراح
كأن مضاهها قدر متاح

كما رثاه الأخرس بأبيات كتبت على رقيم قبره. انظر: الترياق الفاروقي ٢١٥ و ٢٥٦ وعنوان المجد ١٤٩ وحديقة الورد ١٦٧ مخطوط والدر المنتثر ١٧٠ وهدية العارفين ٢ / ٣٧٤ والمسك الأنذر ٩٦ وتاريخ الأدب العربي في العراق ٢ / ٥٦ و ١٤١ والبغداديون ٣٤.

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الأصول، وإنما وردت في نسخة (الأنكلي) وقد تداخلت أبياتها مع قصيدة أخرى في الديوان موجهة إلى السيد عبدالغني جميل ص ١٠٢ - ١٠٤ في الطراز.

(*) في الطبعة (١): (والغد) ولعل الصواب ما أثبتناه.

نَبَّهَ الْوَرْقَاءَ حَتَّى نَبَّهَتْ
 أَطْرِبَتْنَا الْوَرْقُ فِي أَلْحَانِهَا
 فِي رِيَاضِ نَضْرَاتِ أَنْبَتَتْ
 وَلَكُمْ عُدْنَا إِلَى أَمْثَالِهَا
 وَشَهَدْنَا مَشْهَدَ الْأَنْسِ بِهَا
 وَقَضَيْنَا عَجَباً مِنْ رَوْضَةٍ
 وَمَدِيرُ الْكَاسِ فِي أَرْجَائِهَا
 إِنَّ أَشْهَى الرَّاحِ مَا تَأْخُذُهُ
 خَلْتُ مَا فِي يَدِهِ فِي خَدِّهِ
 بِأَبْلِي الطَّرْفِ حُلْوِي اللَّمَى
 أَلْعَسُ مَذْ بَرَدَتْ رِيْقَتُهُ
 فَشَرِبْنَا خَدَّهُ مِنْ يَدِهِ
 وَاتَّخَذْنَاهُ - وَإِنْ يَأْبَ التُّقَى -
 يَبْعَثُ الْوَجْدَ إِلَى كُلِّ حَشَا
 لَوْ رَأَى تَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ
 جَحَدَتْ أَعْيُنُهُ سَفْكَ دَمِي
 لَسْتُ أَدْرِي أَيَّمَا أَمْضَى شَبَاباً
 إِنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ لَقَدِ
 لَيِّنُ الْأَعْطَافِ حَتَّى إِنَّهُ
 يَا لَهُ مِنْ مُطَّرِبٍ يُعْجِبُنِي
 نِي يَدِ طَوْلَى فَشَكَرَ لِيَدِ

لِلْحُمَيَّا أَعْيُنًا لِلشَّرْبِ هُجْدٌ
 يَا فَدَّتْهَا فِي الْغَوَانِي أُمُّ مَعْبَدٍ (١)
 وَرَقَ الْيَاقُوتِ مِنْ قُضْبِ الزَّبْرِجَدِ
 بَعْدَ حِينٍ فَوَجَدْنَا الْعُودَ أَحْمَدَ
 وَقَعَدْنَا لِلْهَوَى فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
 شَرِبَ الْغُصْنُ فَمَا لِلطَّيْرِ عَرَبِدٍ
 قَمَرٌ يَبْدُو وَغُصْنٌ يَتَأَوَّدُ
 مِنْ يَدِي سَاقٍ نَقِيَّ الْخَدِّ أَمْرَدٍ
 فَسَوَاءٌ بَيْنَ مَا فِي الْيَدِ وَالْخَدِّ
 لَيِّنِ الْجَانِبِ قَاسِيِ الْقَلْبِ جَلْمَدٍ
 أَوْرَثْنَا نَارَ شَوْقٍ تَتَوَقَّدُ
 وَاقْتَطَفْنَا مِنْهُ غُصْنَ الْأَسِّ وَالْوَرْدِ (٢)
 صَنَمًا لَكِنَّهُ لِلْحُسْنِ يُعْبَدُ
 لِيَخْلِي مِنْ هَوَاهُ حَيْثُ لَا وَجْدُ (٣)
 قَدْ تَبَدَّى وَهُوَ مِثْلُ الْبَدْرِ لَارْتَدَّ
 وَعَلَيْهِ خَدُّهُ فِي الْوَجْهِ يَشْهَدُ (٤)
 فِي فَوَادِي ذَلِكَ الطَّرْفِ أُمُّ الْقَدِّ
 أَخَذَا عَنْهُ حَدِيثَ السَّحْرِ مُسْنَدَ
 كَادَ مِنْ شِدَّةِ ذَاكَ اللَّيْنِ يُعْقَدُ
 غَزَلِي فِيهِ وَمَدْحِي لِ(مُحَمَّدِ)
 مِنْ عَرِيقٍ فِي الْمَعَالِي الْغُرِّي نِي يَدِ

(١) مرت ترجمتها في تعليقنا على القصيدة رقم ٥٦.

(٢) جعل الشاعر هنا القافية وحرف الروي ساكنين وهذا عيب.

(٣) فيها عيب كما في (الورد).

(٤) أخذه من قول الحمصي القيرواني:

يا من جحدت عيناه دمي

وعلى خديه تورده

ديوان ليل الصب ص ٢٠.

ضمَّ بُرداهُ تَقِيًّا ما جِداً
 قد نَظَرنا جِدهُ أو جَدَّهُ
 يَفْتَنِي آثارَ آبِاءِ له
 وعلى ما عَوَّدتْ أبِاؤُهُ
 علماءً عملوا في عِلْمِهِمْ
 وَلَكَمْ حُلٌّ بِهِمْ من مُشْكَلٍ
 رَفَعَتْ آثارُهُ أعلامَهُمْ
 ماجدٌ يَعْلُو على أَقرانِهِ
 ليس يَخْفَى فِهمُهُ أو عِلْمُهُ
 قَصَدَتْ وَقُودُهُ إِحْسانُهُ
 غيرَ بَدْعٍ إن تَحَرَّينا لَهُ
 فإذا أَفْسَدَ حالاً زَمَنُ
 وأَمَدَّتْني يَداهُ بالنُّدى
 إذ حَلَّنا نادِياً حَلٌّ بِهِ
 وإلى نادِيهِ في يَوْمِ النُّدى
 عارِضٌ من فَضْلِهِ مُمَطَّرِنا
 لا أزالُ اللُّهُ عن أَبْصارِنا
 فَالِكَ الأَيْدِي على طُولِ المَدَى
 فَتَوَلَّ من ثَنائِي مَدْحَةً
 قد مَضَى الشَّهْرُ صِياماً وَتَقَى
 واهنَ بالَعِيدِ فقد عادَ بما
 لَسْتُ أُدْرِي أأَهْـنِيكَ بِهِ

وَجَدَ التَّقْوَى مَزاداً فَتَزَوَّدَ
 فنَظَرنا بِالْعُلما ما يَصنَعُ الجِدَّ
 أَثَرَ المَجْدِ اقْتَفَى عَنهِمْ وَقَلَّدَ
 عَوَّدتُهُ من قَدِيمٍ فَتَعَوَّدَ
 مَهَّدوا الدِينَ من المَهْدِ إلى اللُّحْدِ (١)
 وَهْمٌ إذ ذاكَ أَهلُ الحَلِّ وَالعَقْدِ (٢)
 فَبَنَى بَيْتاً* مَعالِيهِمْ وَشَيَّدَ
 وَقَدِ احْتَلَّ رِعانَ العِزِّ وَالْمَجْدِ (٣)
 لَاحَ لِلعَالِمِ مِثْلَ العَلَمِ الفُرْدِ (٤)
 قَلٌّ من يُرَجى لِإِحْسانٍ وَيُقْصَدُ
 مَكْرُماتٍ من كَرِيمِ الأبِّ وَالجَدِّ
 أَصْلَحَتْ ما أَقْصَدَ الدَهرُ وَأفْسَدَ
 وَكَذاكَ البَحْرُ يَوْمَ الجِزْرِ وَالْمَدِّ
 لَم نَحُلْ إلا بِغابِ الأَسَدِ الوَرْدِ (٥)
 أَدبٌ يُجَبى وَمالٌ يَتَبَدَّدُ
 لا كِما العارِضُ إنْ أَبْرَقَ أرْعَدُ
 طالِعاً مِنْهُ يَزيلُ النُّحْسَ بالسُّعْدِ (٦)
 أَبْداً بَياضُ بَجنَجِ الخُطْبِ أَسودُ
 أَيُّها المَوْلَى فَقَدِ لادَّ بِكَ العَبْدُ (٧)
 فابْقِ واسْلَمْ دائِمَ العِزِّ مُخْلِداً
 تَشْتَهِيهِ أَنْتَ من عِزِّ وَسُودِ
 أَمْ أَهْـنِي بِكَ في إِكْرامِكَ الوَفْدِ (٨)

(١) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٢) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٣) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٤) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٥) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٩) كذا.

(٨) كذا.

(٧) كذا.

(٦) كذا.

(* في الطبعة (١): (بي) خطأ طباعي ولعل الصواب ما أثبتناه.

في رَحْمَةِ اللهِ مَضَى وَأَنْقَضَى قَرَّمْ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى شَانُ
 قد كان طُودَ الْمَجْدِ حَتَّى هَوَتْ له بِرَعْمِ الْمَجْدِ أَرْكَانُ
 مَاتَ شَهِيداً فَإِلَى رُوحِهِ من رَبِّهِ عَفْوٌ وَعُفْرَانُ
 وَكَمْ مَضَتْ قَوْمٌ لَهُمْ صَوْلَةٌ حَتَّى كَانُ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
 مَاتَ ابْنُ غَنَامٍ فَأَرْخَتْهُ (في الخلد قد راح سليمان)^(٢)

(١) الشيخ سليمان الغنام من رؤساء قبيلة (عقيل) ينزل في جانب الكرخ من بغداد. وكانت عشيرة عقيل في أيامه فخذين (القصيمات) أو العقيل الأصليين و(الشمامرة) وأصلهم من شمر الجريا وكان الولاة يعينون لكل فخذ شيخاً وسليمان الغنام رئيس الشمامرة. وقد رافق علي رضا اللاظ عند قدومه إلى بغداد ومعه أتباعه من عقيل وأتباع صفوق من شمر، وحاصروا بغداد وقطعا طريق الحلة واحتل الشيخ سليمان جانباً من السراي واشعل فيه النار، وساهم بعزل داود باشا. كما أنه ساهم في واقعة المحمرة مع علي رضا اللاظ وقد مدحه الشعراء كعبدالباقي العمري والشيخ صالح التميمي بقوله:

شهدت لبأسك يعرب ونزار
 قسماً لأنت الفارس المغوار
 ما نال ما نال الوزير بعسكر
 بل أنت وحدك عسكر جرار
 لبس (ابن غنام) برود مكارم
 ومحامد لم تمحها الأعصار

كما مدحه التميمي بقصائد عديدة . جدد سد نهر الصقلاوية الذي هدد الكرخ بالعرق وقد أنشأ سليمان الغنام مسجداً في الكرخ سنة ١٢٥٢هـ يعرف باسمه إلى اليوم وفيه مدرسة وقف عليها بعض كتبه سنة ١٢٥٤هـ وكان عارفاً بأحكام القبائل وأنسابها ويحكم في نزاعها ومشاكلها. قتله الوالي محمد نجيب باشا سنة ١٢٥٨هـ كما هو المشهور ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. انظر الترياق الفاروقي ٢٤١ وتاريخ المماليك في العراق ٦١ و٧٥ وتاريخ بغداد لسليمان فائق ٨٤ وديوان التميمي ٤٢ - ٤٤ و١٢٨ وتاريخ مساجد بغداد للألوسي ١٢١ ورحلة فريزر ١٩٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٦٤ / ٦٤ والبيغداديون ٦٣ والأحوال (٣) ١٥ - ١٧ وفهرس مخطوطات الأوقاف / ١ / ٦٦٣.

(٢) مجموع التاريخ يساوي ١٢٥٩هـ وفي الأصول ١٢٥٨هـ.

أعد اللّهُوَ فَإِنَّ اللّهُوَ أَحْمَدُ
 وَأَسْقِنِيهَا قَهْوَةً عَادِيَّةً^(٣)
 لَوِ رَأَى (كسرى) سَنَا أَنْوَارِهَا
 لَبِستُ مِنْ حَبَبِ الْمَزْجِ لَهَا
 فَاسْقِنِي الْيَوْمَ أَفَوايِقَ الْطُّلَا
 قَدِمْتُ لَكِنَّا فِي شَرِبِهَا
 فِي رِياضٍ لَعِبْتُ فِيهَا الصَّبَا
 أَخَذْتُ زُخْرُفَهَا مِنْ بَعْدِ مَا
 نَثَرَ الطُّلُّ عَلَيْهَا لَوْلُؤًا
 أَحْسَبُ الْقَطْرَ عَلَى أَزْهَارِهَا
 فَاثْنَنْتُ أَغْصَانُهَا مَائِسَةً
 فَخَضْتُ عَيْنَايَ مِنْهَا عَجَبًا
 هَذِهِ أَغْصَانُهَا قَدْ شَرِبْتُ
 زَمَنَ الْوَرْدِ وَمَا يُعْجِبُنِي
 تَنْقِضِي أَيَّامَهُ مَحْمُودَةً

وَأَدْرِهَا فِي لُجَيْنِ الْكَأْسِ عَسْجَدًا^(٢)
 أَخْبَرْتُ عَمَّا مَضَى فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ^(٤)
 ظَنَّهَا النَّارَ الَّتِي فِي الْفُرْسِ تُعْبَدُ
 تَاجَ (إِسْكَندَرَ) ذِي الْقَرْنَيْنِ وَالسَّدَّ
 وَأَعْدَهَا يَا نَدِيمِي لِي فِي غَدِّ
 كُلِّ يَوْمٍ فِي سُرُورٍ يَتَجَدَّدُ
 وَأَذَاعَتْ سِرَّ نَشْرِ الشَّيْخِ وَالرَّئْدِ^(٥)
 حَاكَتْ الْمَزْنَ لَهَا أَثْوَابَ خَرْدٍ
 أَيْنَ مِنْ لَوْلُؤِهَا الدَّرُّ الْمُنْخَدُ
 أَدْمَعًا سَأَلْتُ مِنَ الْعَيْنِ عَلَى الْخَدِّ
 طَرَبَ النَّشْوانِ رَاحَتَ تَتَأَوَّدُ
 وَمِنَ الْقُمْرِيِّ إِذْ غَنَى وَغَرَّدُ
 فَعَلَّامَ الطَّيْرِ فِي الْأَفْنَانِ عَرِيدِ^(٦)
 زَمَنَ لِلَّهِوَ إِلَّا زَمَنَ الْوَرْدِ^(٧)
 فِي أَمَانِ اللَّهِ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ بَرْدِ^(٨)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) انظر القصيدة رقم (٩٠) فقد تداخلت أبيات القصيدتين. ويبدو لي أن الشاعر قد مدح المفتي محمد سعيد الطبقجلي أولاً بالقصيدة رقم (٩٠) وعدد أبياتها (٥١) بيتاً. توفي المفتي سنة ١٢٧٣هـ. فعاد الشاعر إلى القصيدة ذاتها وأضاف إليها (٧) أبيات ومدح بها السيد عبدالغني وأولاده وهذه القصيدة مؤرخة سنة ١٢٧٣هـ وربما فعل الشاعر ذلك بعد وفاة الطبقجلي بأشهر.

(٣) عادية نسبة إلى عهد عاد، ويقصد بذلك أنها قديمة ومعتمدة.

(٤) القافية معيبة لوجود ساكنين.

(٥) كذا.

(٦) هذا البيت أخذه الشيخ باقر الشيبيني بقوله:

المستشار هو الذي شرب الطلاد
 فعلام يا هذا الوزير تعريد

(٧) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٨) كذا.

فَاعْتَنِمَهَا فُرْصَةً مَا أَمَكْتُ
 بَيْنَ شَادٍ تَطْرَبُ النَّفْسُ بِهِ
 مَا أَلَدَّ الرَّاحُ يُسْقَاهَا امْرُؤٌ
 يُخْجَلُ الْأَقْمَارَ حُسْنًا وَجْهَهُ
 فَالْعَوَالِي وَالغَوَالِي إِنَّمَا اذْ
 أَرَأَيْتَ السَّحْرَ فِي مَا زَعَمُوا
 أَنْزَلْتُ لِلْحُسْنِ آيَاتٌ بِهِ
 مَا رَمَى قَلْبِي إِلَّا عَامِدًا
 يَأْخُذُ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَرْبَابِهَا
 سَمِحُ الْمُهْجَةِ لَا مُمْتَنِعُ
 لَا يَشُوبُ الْوَصْلَ بِالصَّدِّ وَيَا
 بَأَبِي الْأَعْيَدُ لَا يَمَزْجُهَا
 وَبِأَحْشَائِي مِنَ الْوَجْدِ إِلَى
 حَبْذَا الْعَيْشِ بِمَنْ قَدْ تَصَطَّفِي
 تَحْتَ ظِلِّي مَا لَكِي رَقِي وَمَا
 النَّجِيبَيْنِ الْأَذِينَ انْتُدِيَا
 وَالْمَجِيدَيْنِ وَكُلُّهُمَا
 وَالكَرِيمَيْنِ وَمَا صَوَّبَ الْحَيَا
 وَالرَّقِيقَيْنِ كَأَنِّي بِهِمَا
 إِنَّ أَفَاخِرُ بِهِمَا غَيْرُهُمَا
 خُلِقًا لِلْفَضْلِ وَارْتَحَالَ لَهُ
 إِنَّ هَذِينَ هُمَا مَا بَرِحَا

قَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ يَا صَاحِ وَتُفْقَدَ
 يَتَغَنَّى وَمَلِيحٍ يَتَأَوَّدُ
 مِنْ يَدَيِ سَاقِ نَقِيِّ الْخَدِّ أَمْرَدُ
 وَعُصُونُ الْبَانِ لِينًا ذَلِكَ الْقَدُّ
 تَسَبَّتْ مِنْهُ انْتِسَابَ الْقَدِّ وَالنَّدُ
 إِنَّهُ رَاحَ إِلَى عَيْنَيْهِ يُسْنَدُ
 أَمَّنَ الْعَاشِقُ فِيهِنَّ وَمَا ارْتَدَّ
 قَاتِلٌ لِي وَلَقَاتِلِي يَتَعَمَّدُ
 لَعِبًا مِنْهُ فَمَا قَوْلُكَ إِنْ جَدَّ
 عَنْ مُحِبِّ خَضِلِ الطَّرْفِ مُسْهَدُ
 رَبِّ أَلْفٍ لَا يَشُوبُ الْوَصْلَ بِالصَّدِّ
 مِنْ لَمَاهُ بِسُورَى الْعَذْبِ الْمُبْرَدِ
 بَارِدِ الرِّيْقَةِ نَارٌ تَتَوَقَّدُ
 لَا النَّوَى بَادٍ وَلَا الشَّمْلُ مُبَدَّدُ
 غَيْرُ (محمود) وَلَا غَيْرُ (محمد) (١)
 بِجَمِيلِ الصُّنْعِ وَالذِّكْرِ الْمُخَلَّدِ
 طَيِّبِ الْعَنْصُرِ زَاكِي الْأَصْلِ وَالْجَدِّ
 إِنْ يَكُنْ أَبْرَقَ بِالْجُودِ وَأُرْعَدُ
 بَلَاغَا الْغَايَةِ مِنْ مَجْدٍ وَسُودُ
 فَلَقَدْ أَفْخَرَ بِالْحَرِّ عَلَى الْوَعْدِ (٢)
 لَا كَمَنْ عَوْدٌ قَسْرًا فَتَعَوَّدُ
 لِلْمَعَالِي بِمَحَلِّ الْكِفِّ وَالزَّنْدِ (٣)

(١) هما أولاد عبدالغني جميل. وقد مرت ترجمة محمد في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

(٢) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٣) كذا.

فَتَأْمَلُ بِهِمَا أَيُّهُمَا الذُّ
 إِنَّ يَكُونَا قَلْدَانِي نِعْمَةً
 وَصَلَا حَبْلِي وَشَادَا مَفْخَرِي
 هَكَذَا فَلْتَكْ أِبْنَاءُ الْعُلَا
 إِنَّمَا الشُّبْلُ مِنَ اللَّيْثِ وَمَا
 مِنْ أَبِي يَفْتَخِرُ الْمَجْدُ بِهِ
 هُوَ بَحْرٌ مَا لَهُ مِنْ سَاحِلٍ
 وَهَزْبٌ بِسَاسِلٍ بُرْتُنُهُ الْـ
 هُوَ مَوْلَايَ إِذَا اسْتَعَطَفْتُهُ
 مَالِكٌ حَكْمَنِي فِي مَالِهِ
 وَحَبَانِي نِعْمًا أَشْكُرُهَا
 لَا أَبَالِي إِنْ يَكُنْ لِي جُنَّةٌ
 طَاوَلَ الْأَيْدِي فَطَالَتْ يَدُهُ
 حَفِظَ الْحَافِظُ نَجَائِيهِ وَلَا
 لَمْ يَلِدْ مِثْلَ أَبِيهِمْ وَالِدٌ
 نَصَرُوا الْمَجْدَ وَكَانُوا حَزْبِيهِ
 فَلَقَدْ طَابُوا وَطَابَتْ خِيَمُهُمْ^(٤)
 نَبَتْوا فِيهَا نَبَاتًا حَسَنًا
 وَإِذَا أَمْعَنْتَ فِيهِمْ نَظْرًا
 كَأَمَّا زَادَ وَقَارًا زِدْتُهُ

ابِلُ الْخَطِيءِ وَالسَّيْفُ الْمُهَنْدُ
 أَنَا فِيهَا فَنَعَمًا أَتَقَلَّدُ
 وَلِثَلِي فِيهِمَا الْفَخْرُ الْمُشِيدُ
 تَقْتَفِي الْأِبْنَاءُ إِثْرَ الْأَبِ وَالْجَدِّ
 يَلِدُ الْأَصِيدُ يَوْمًا غَيْرَ أَصِيدٍ
 إِنْ رَمَى أَصْمَى وَإِنْ سَاعَدَ أَسْعَدُ
 وَحُسَامٌ لَمْ نَقِفْ مِنْهُ عَلَى حَدِّ
 أَسْمَرُ الْعَسَالُ وَالْعَضْبُ الْمَجْرَدُ
 عَطَفَ الْمَوْلَى مِنَ الْبِرِّ عَلَى الْعَبْدِ^(١)
 فَلِي الْأَخْذُ خِيَارًا وَلِي الرِّدُّ
 فَلَهُ الشُّكْرُ عَلَيْهَا وَلَهُ الْحَمْدُ^(٢)
 بِزَمَانٍ كَانَ لِي الْخَصَمُ الْأَلْنَدَدُ^(٣)
 مَا عَلَى أَيْدِيهِ^(*) لِلْعَالَمِ مِنْ يَدِ
 بَرِحَا فِي أَطْيَبِ الْعَيْشِ وَأَرْعَدِ
 لَمْ يَلِدْ قَبْلُ وَلَا مِنْ بَعْدِ يُوَلِدُ
 فَهَمُّ الْأَنْصَارِ وَالْحَزْبِ الْمُؤَيَّدِ
 طَيَّبُوا الْأَعْرَاقَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ^(٥)
 وَغَذَاهُمْ بِلَبَانِ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ^(٦)
 لَمْ تَجِدْ إِلَّا شَهَابًا ثَاقِبَ الزُّنْدِ^(٧)
 مِدْحًا تُتْلَى مَدَى الدَّهْرِ وَتُنْشَدُ

(١) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٢) الأندد لغة في الألد.

(٤) الخيم: بكسر الخاء: الأصل والطبع.

(٦) كذا. (٧) كذا.

(٢) كذا.

(٥) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٨) في الأصول تحت عبارة التاريخ رقم وهو ١٢٧٣هـ. مع العلم أن مجموع عبارة التاريخ يساوي ١٢٠٢هـ. والأخرس توفي سنة ١٢٩١هـ. فتأمل ذلك وربما سطا بعضهم على قصيدة الأخرس في مدح المفتي محمد سعيد الطبقجلي. فانتحلها ومدح بها محمد آل جميل. ومع ذلك فالتاريخ لا يوافق أيام شباب محمد آل جميل حتى يصف عذاره. إلا إذا ظن أن أحدًا لم يحسب التاريخ من بعده. والله أعلم.

(*) في الطبعة (١): (أيدي) خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(٩٣)

أرى في لفظ هذا الشَّهْمِ مَعْنَى
وَمَهْمَا زِدْتَهُ نَظْرًا بِفِكْرِي
يُنَبِّئُ عَنْ مَدَى عِلْمِ عَظِيمِ
رَأَيْتُ نُهَاهُ قِسْطَاسَ الْعِلْمِ

(٩٤)

(١) العلامة الشيخ محمد أمين فيضي بن أحمد بن حسن بن رستم بك ابن كيخسرو بك ابن مير سليمان باشا الزهاوي ويتصل نسبه بالصحابي الجليل خالد بن الوليد.

ولد في زهاو (زهاب) سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٦م) ودرس على علماء عصره ثم لازم الشيخ أفندي الساجيلاغي وتخرج عليه. وقدم بغداد واحتفى به علماءها وحكامها سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠ وعين مدرساً في المدرسة السليمانية ببغداد، وأنشأ مكتبة عامرة، ثم عين مفتياً في بغداد سنة ١٢٧٣هـ بعد العلامة الحاج محمد أمين الزند، وكان فقيهاً أصولياً محدثاً مفسراً أديباً، له نظم جيد ونثر حسن ومساجلات مع عدد كبير من الشعراء والأدباء. وكان له مجلس في داره ببغداد (في محلة جديد حسن) [باشا] ومساجلات مع عدد كبير من الشعراء والأدباء والقضاة وكان شديد الذكاء. ترد إليه المسائل من أنحاء الدنيا. وتخرج عليه خلق كثير، وقد مدحه كثير من الشعراء ومنهم عبد الباقي العمري بقوله:

قد قيل لي إذ رحلت أنشد عندما
شاهدت دين محمد يتجدد
في مذهب النعمان بالزوراء قد
أفتى الإمام الشافعي محمد

وتوفي ببغداد سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠ ودفن في المدرسة السليمانية ورثاه جمع من العلماء والشعراء منهم تلميذه الشيخ عبدالوهاب النائب بقوله:

سأبكي على فيضي ويكي الأوائل
وينعيه ناد للعلی ومحافل
يعز على أهل العراق بأسرهم
إمام إلى تلك المقابر راحل
سقى جدتاً قد ضمّ قبر إمامنا
سحاب من المولى المعظم شامل

والمترجم له هو جد العلامة الكبير أستاذنا المرحوم الشيخ أمجد الزهاوي.

انظر الترياق الفاروقي ٣٧٩- -٣٨٠ وعنوان المجد ٩٨ - ١٤١ وتاريخ مساجد بغداد للكلوسي ٨٢ ولب الألباب ٨٦/١ - ٨٩ والبغداديين ١٢٨ - ١٣٩ وبغداد القديمة ١٩٦ وفيه وفاته ١٤١١هـ وهو غلط.

أَيُّ نَارٍ بِهَا الْجَوَانِحُ تَصَلِّي
كَلَّمَا لَاحَ بَارِقُ هَاجٍ وَجِدٌ
مُغْرَمٌ لَا يَعِي الْمَلَامَةَ فِي الْحَبِّ
مَا يُفِيدُ الْمَشُوقَ يَا سَعْدُ أَمْسَى
صَرَغَتْهُ الْعُيُونُ نُجَلًا وَهَلْ تَصُدُّ
وَسَقَّتُهُ كَأْسَ الْغَرَامِ - وَمَا كَا
مَا يُعَانِي مِنَ الصَّبَابَةِ صَبُّ
قَدْ أَدَلَّ الْغَرَامُ كُلَّ عَزِيزٍ
وَبِنَفْسِي مَهْفَهْفُ الْعِطْفِ أَحْوَى
قُلُّ لِأَحْبَابِنَا وَهَلْ يَجْمَعُ الدَّه
مَا تَسَلَّيْتُ فِي سِوَاكُمْ وَمَنْ لِي
فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا بِالتَّنَائِي
عَلَّلُونَا مِنْكُمْ وَلَوْ بِخِيَالٍ
فَعَسَى الْمُهْجَةُ الَّتِي أَظْمَأْتَهَا
إِنَّ وَرَقًا نَاحَتْ عَلَى الْغُصْنِ شَجْوًا
وَشَجَّتْنَا بِنُوحِهَا حِينَ نَاحَتْ
ذَكَرْتَنِي وَرَبِّمَا هَيَّجَ الذِّكْرُ
وَهَوَى مَرْبِعَ لِظْمِيَاءِ أَقْوَى
فَسَقَى مَلْعَبَ الْغِزَالِ وَمِيضُ
أَفْأَشَفِي الْجَوَى بِأَرَامِ رَبِّعٍ
رُبَّ طَيِّفٍ مِنْ أَلِ مِيٍّ طَرُوقٍ
نَوَلَّتْنِي الْأَحْلَامُ مِنْهُ الْأَمَانِي
إِذْ تَصَدَّى لِمُغْرَمٍ مَاتَ صَدًّا

وَجُفُونٍ تَصُوبُ بِالدَّمْعِ وَيَلَا
وَجَرَى مَدْمَعٌ لَهُ وَاسْتَهَلَّا
وَلَا يَرَعَوِي فَيَقْبَلُ عَذْلًا
مُكْثِرًا مِنْ بُكَائِهِ أَوْ مُقْلًا
نَ لِيَشْفِي الْغَرَامَ - عَلًّا وَنَهْلًا
كَانَ قَبْلَ الْهَوَى عَزِيزًا فَذَلًّا
وَالْهَوَى يَتْرُكُ الْأَعَزَّ الْأَذْلًا
حَرَمَ اللَّهُ مِنْ دَمِي مَا اسْتَحَلَّا
رُ عَلَى بُعْدِهِمْ مِنَ الدَّارِ شَمْلًا
بِفَوَادٍ فِي غَيْرِكُمْ يَتَسَلَّى
وَقَضَى بِالنَّوَى وَمَا كَانَ عَدْلًا
يَهْتَدِي طَيِّفُهُ فَيَطْرُقُ لَيْلًا
زَفْرَةَ الْوَجْدِ بَعْدَكُمْ أَنْ تُبْلَا
أَنَا مِنْهَا بِذَلِكَ النَّوْحِ أَوْلَى
فَكَانَ الْوَرَقَاءَ إِذْ ذَاكَ تَكَلَّى
رُ زَمَانًا مَضَى وَعَصْرًا تَوَلَّى
تَسْحَبُ الْمُنْزَنُ فِي مَغَانِيهِ ذَيْلًا
مَنْ هَطُولٍ يَسْقِي رَذَاذًا وَهَطْلًا
صَحَّ فِيهِ نَسِيمُهُ وَاعْتَلَّا^(١)
زَارَ وَهِنًا فَقَلَّتْ أَهْلًا وَسَهْلًا^(٢)
وَأَنْقَضَى عَهْدَهُ وَمَا نَلَتْ نَيْلًا
وَتَوَلَّى حَرَّ الْغَرَامِ وَوَلَّى

(١) العجز فيه زحاف.

(٢) الوهن: آخر الليل.

زائراً كالسُّرابِ لآحِ لصاد
واللَّيالي تُريكُ كلَّ عَجيبٍ^(١)
وإذا ما مَحَتْ أَعاجيبَ شَكْلِ
قد أَكَلْتُ الزَّمَانَ حَلِوًا ومُراً
وأبَتَ لي أَبَدُوتِي أنْ أَداري
لا أَداري ولا أَمـَّـاري ولا أشـ
قد كَفاني رَبِّي اسْتِـمَاحَةَ قومِ
بـ(أبي القاسم) الذي طابَ في النـا
وإذا عَدَدَتْ بَنِيها المَعالي
فَخَرُّ (أَلِ الزَّهير) والجَبَلُ البـا
ظَلُّ من يَسْتَظِلُّ مِنْهُ بِظِلِّ
كلِّ يَـومٍ وِكلِّ أنٍ لـسـديـه
بأبي وافِرُ العَطايا إذا ما

قَبْلَ أنْ يذَهبَ الظَّماءُ اضمَّحَـلا
وتزِيدُ الخُطوبُ بِالشَّهْمِ عَقْلا
أُثْبِتَتْ من عَجائبِ الدَهرِ شَكْلا
وشَرِبْتُ الأيَّامَ حَمُراً وخَلاً
مَعَشَراً عن مَدَارِكِ الفِضْلِ غُفْلا
— هَدُّ زوراً ولا أُبَدِلُ نَقْلا
أُشْرِبُوا في الصُّدورِ غِلاً وبُخْلا
سِ نِجاراً وطابَ فَرَعاً وأَصْلاً^(٢)
كانَ أَعلى بَنِي المَعالي مَحْلاً
ذُخُّ أَضحى عَلى الجِبالِ مُطْلاً
لا عَدَمُناه في الأماجدِ ظِلاً
يَجْتَدِي سائِلٌ وَيَبْلُغُ سَؤْلاً
أَكثَرَ النِّيلِ بِالعَطاءِ اسْتِقالاً

(١) مقتبس من قول الشاعر: والليالي من الزمان حبالى

منقلات يلدن كل عجيب

(٢) هو قاسم باشا بن محمد جلبي ابن عثمان آل الزهير. ولد في حلب، وقدم البصرة سنة ١٢٦٢هـ واستوطنها وكان من الأفراد القلائل في الهمة والرشاد والذكاء والكرم وهو من كبار التجار، وكان رئيساً لمحكمة التجارة سنة ١٢٨٦هـ. وهو صهر سليمان باشا الزهير وابن خاله. وقد اختلف مع ناصر باشا السعدون والي البصرة سنة ١٢٩٣هـ. وسبب ذلك أن سليمان الزهير حين عزم على مغادرة البصرة. أبقى عنده قسماً من أموال ناصر باشا والي البصرة، ليستعين بها على سفره، ورهن عنده أملاكه ونخيله خشبية أن يتصرف فيها قاسم الزهير. لأنه كان سخيًّا كريماً جواداً طلق اليد، وكذلك لئلا يستولي عليها ناصر باشا، فهي مرهونة عنده. وبعد وفاة سليمان الزهير طلب الوالي ناصر باشا من قاسم الزهير، أن يفك الرهن. فامتنع الزهير من ذلك وقال للوالي: إن الدين يسدد من واردات الأملاك حسب العقد والرهن. فعزم الوالي على سجنه فخرج قاسم الزهير من البصرة ليلاً والتجأ إلى قنصلان البحرية (خالد بك) فنقله إلى العمارة. فاستقبله فيها شعبان باشا (قائمقام العمارة) بالاحترام وعجل بسفره إلى بغداد. وكان ناصر باشا قد أبرق إلى قائمقام العمارة بالقبض على قاسم الزهير، إلا أن شعبان باشا اعتذر إليه وأخبره أنه تابع إلى بغداد ويتلقى أوامره منها. فوصل قاسم الزهير إلى الأستانة ورفع أمر الوالي إلى السلطان فعزل ناصر باشا عن ولاية البصرة كما عزل ابنه مزيد السعدون، عن الأحياء وفالح السعدون عن الناصرية سنة ١٢٩٤هـ. وبقي قاسم الزهير في الأستانة حيث عين عضواً في مجلس شورى الدولة سنة ١٣٠٢ وتوفي فيها سنة ١٣٠٤ - ١٨٨٦م ودفن بجوار الصحابي أبي أيوب الأنصاري.

انظر عنوان المجد ١٦٦ والتحفة النبهانية ٢٢١/٩ - ٢٢٣.

وعِيَالٌ ذُوو الْعُقُولِ عَلَيْهِ
عَصْمَةٌ لِلْأَفْكَارِ مِنْ خَطَأِ الرَّأْيِ
نُورَ اللَّهِ مِنْكَ قَلْبًا زَكِيًّا
غَادِرَ الْمَحَلِّ فِي أَيَادِيهِ خِصْبًا
كَمْ أَيَادٍ تِلْكَ الْأَيَادِي أَفَاضَتْ
سَابِقُ مَنْ يَجِيءُ بِالْفَضْلِ بَعْدًا
شَهِدَ اللَّهُ وَالْأَنَامُ جَمِيعًا
إِنْ تُجَرِّدَهُ كَاشِفًا لِمُلِمِّ
وَعَلَى مَا يَلُوحُ لِي مِنْهُ مَرَأَى
يَا حُسَامًا هَزَزْتُهُ مَشْرِفِيًّا
مَنْ جَلِيلٍ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي الْعَا
أَيُّ نَادٍ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِ
قَدْ حَكَيْتَ الشَّمَّ الرُّوَاسِيَّ وَقَارًا
لِبَسِّ الشَّعْرِ مِنْ مَدِيحِكَ حَلِيًّا
وَبِنَاتِ الْأَفْكَارِ لَمْ تَرْضَ إِلَّا
أَيُّهَا الْمُنْعَمُ الْمُؤْمَلُ لِلْفَضْلِ
أَلْبَسْتَنِي نُعْمَاكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا
كُلُّ يَوْمٍ تَرَكَ عَيْنَيَّ عَيْدٌ
فَإِذَا قُلْتُ فِي نِنَائِكَ قَوْلًا

فِي أُمُورٍ تَدَقُّ فَهَمًّا وَعَقْلًا
يِ وَهَادٍ لِلْفَكْرِ مِنْ أَنْ يَضِلًّا
ظَلَمَ الشُّكُّ فِيهِ لَا شَكَّ تُجَلَّى
فِي زَمَانٍ يَغَادِرُ الْخِصْبَ مَحَلًّا
وَأَسَأَلْتُ مِنْ وَابِلِ الْجُودِ سَيِّلًا
لَا حَقَّ بِالْجَمِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلًا
أَنَّهُ الصَّارِمُ الَّذِي لَنْ يُفْلَأَ
فَكَمَا جَرَدْتَ يَمِينَكَ نَصْلًا
قَرَأَ الْمَجْدُ سَطْرَهُ وَأَسْتَمَلًا
صَقَلْتَهُ قَيْنَ الْمَرْوَةِ صَقْلًا
لَمْ قَدْرًا سَمَّا فَعَزَّ وَجَلًّا(*)
أَيَّةٌ مِنْ جَمِيلِ ذِكْرِكَ تُنْتَلَى
وَتَبَاتًا فِي الْحَادِثَاتِ وَنُبْلًا
لَا أَرَاهُ بِغَيْرِهِ يَتَحَلَّى
كَفَوَّهَا مِنْ أَكَارِمِ النَّاسِ بَعْلًا
لِ حَبَابِكَ الْإِلَهَ مَا دَمْتَ فَضْلًا
جِدَّةً مِنْ مَفَاخِرِ لَيْسِ تَبْلَى
عِنْدَ مَنْتَلِي وَلَا أَرَى لَكَ مِثْلًا
قِيلَ لِي أَنْتَ أَصْدَقُ النَّاسِ قَوْلًا

(٩٥)

(١) الحاج عبدالواحد جلبي بن عبدالله بن مبارك، من قبيلة خالد، قدم جدهم مبارك البصرة ونزل في أبي الخصب وكان من أهل البسار.

والحاج عبدالواحد من أعيان البصرة وكان عضواً في مجلس ولايتها. وكان سخياً جواداً وهو من كبار التجار، وله علاقات تجارية مع الهند وغيرها من أقطار الخليج العربي. وإليه تنسب الأسرة البصرية الشهيرة (آل عبدالواحد)، وللشعراء فيه مدائح كثيرة.

انظر: عنوان المجد ١٦٨ و١٧١.

(*) في الطبعة (١): كان هذا البيت مكرراً.

أَعْلَمْتَ أَيَّ مَعَالِمٍ وَمَعَاهِدٍ
وَقَفَّ الْمُشَوِّقُ بِهَا فَشَقَّ فُؤَادَهُ
ولذلك الركبُ المُنَاخِ بِهَا جَوَى
مَنْ نَاشِدٌ لِي فِي الْمَنَازِلِ مَهْجَةً
وَتَرَدُّدُ الزَفَرَاتِ بَيْنَ جَوَانِحِي
أَضْنَانِي الشُّوقُ الْمُبْرَحُ فِي الْحِشَا
ظَعْنَ الْأَلَى فَتَسَابَقْتُ أَطْعَانُهُمْ
قُلُّ لِلطَّعِينِ مِنَ الْهَوَى بِقَوَامِهِمْ
إِنِّي لِأَذْكُرُهُمْ عَلَى حَرِّ الظُّمَأِ
مَنْعُوا طُرُوقَ الطَّيْفِ فِي سِنَةِ الْكُرَى
بَانُوا فَشَيَّعَهُمْ فُؤَادٌ وَامِقٌ^(٣)
جَاهَدْتُ فِيهِمْ لَوْمَ كُلِّ مُفْنِدٍ
مَهْ يَا عَذُولُ فَقَدْ أَطَلْتُ مَقْصِرًا
يَا دَارُ حَيَاكِ الْغَمَامُ بِصَيِّبٍ
وَسَقَى زَمَانَ الْأَهْوُوفِ فَإِنَّهُ
زَمَنُ لَهْوَتُ بِهِ بِكُلِّ خَرِيدَةٍ
دَارَتْ عَلَيَّ الْكَأْسُ فِي غَسَقِ الدُّجَى
وَجَرَيْتُ طَأْقًا فِي مَيَادِينِ الْهَوَى
وَلَقَدْ صَحَوْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَسُكْرِهِ
مَنْ رَاحَ تُغْرِيه مَطَالِعُ نَفْسِهِ
إِنْ كَادَنِي الطَّمَعُ الْمُبِيدُ بِكَيْدِهِ

تذري عليها الدَّمْعَ عِبْرَةً وَاجِدِ
وَأَهَاجَ نَارًا مَا لَهَا مِنْ خَامِدٍ
لَا يَسْتَقِرُّ بِهَا فُؤَادُ الْفَاقِدِ
لَوْ كَانَ يُجَدِّدُهَا نَشِيدُ النَّاشِدِ
مِمَّا يَصُوبُ بِمَدْمَعِي الْمُتَّصَاعِدِ
حَتَّى خَفَيْتُ مِنَ الضَّنَى عَنِ عَائِدِي^(١) (*)
تَجْتَابُ بَيْنَ دَكَادِكِ وَفَدَافِدِ
مَاذَا لَقَيْتِ مِنَ الْقَوَامِ الْمَائِدِ
قَدْ كَدْتُ أَشْرَقُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ^(٢)
هِيَهَاتُ يَطْرُقُ سَاهِرًا مِنْ رَاقِدِ
وَرَجَعْتُ عَنْهُمْ بِاصْطِبَارٍ بَائِدِ
لَوْ أَنَّ لِي فِي الْحَبِّ أَجْرَ مُجَاهِدِ
فِي وَاجِدٍ تَلْحُوهُ لَا مُتَوَاجِدِ
يَنْهَلُ بَيْنَ بَوَارِقِ وَرَوَاعِدِ
زَمَنُ مَضَى طَرِبًا وَلَيْسَ بِعَائِدِ
لَعَبْتُ مَحَاسِنَهَا بِلُبِّ الْعَابِدِ
فَشَرِبْتُهَا ذَهَبًا بِمَاءِ جَامِدِ^(٤)
لِمَصَارِعِ مِنْ غَنِيَةٍ وَمَصَائِدِ
وَنظَرْتُ لِلدُّنْيَا بِعَيْنِي زَاهِدِ
فِي مَا يُشَانُ بِهِ فَلَيْسَ بِرَاشِدِ
فَأَيْنَ نَظَرَنْ مَخَادِعِي وَمَكَايِدِي

(١) أخذته من قول الشاعر:

زارني صاحبي فلم ير مني
قال أين أنت، قلت التمسني

(٢) أشرق: بفتح الراء. أغص وأختق.

(٣) الوامق: المحب.

(٤) الماء الجامد: يقصد به الزجاج.

(*) في الطبعة (١): (عابدي) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فوق فراش السقام شيئاً يراه
فبكى حين لم تجدني يداه

وَإِذَا قَسَا الْخَطْبُ الْمُلِمُّ فَلَا تَلْمُ
 أَعْرَضْتُ عَنْ (بغداد) إِعْرَاضِ أَمْرِي
 مِنْ بَعْدِ مَا غَالَ الْحَمَامُ أَحْبَبْتِي
 حَتَّى رَأَيْتُ الْخَيْرَ يَخْصِبُ رُبْعَهُ
 بِأَجَلٍ مَنْ أَفْرَدْتَهُ بِفَرَائِدِي
 وَجَهْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمَالِ أُسْرَةٌ^(٢)
 فِي صَبْحِ ذَلِكَ الْوَجْهِ سَعْدُ الْمُشْتَرِي
 (ابْنُ الْمُبَارِكِ) لِاسْمِهِ وَسِمَاتِهِ
 سَوْقُ الْأَفْضَالِ لِلْفَضَائِلِ كُلِّهَا
 تُفْنِي أَيْدِيهِ الْحَطَامَ تَكْرُمًا
 تَنْهَلُ رَاحَتَهُ بِصَيْبِ جُودِهِ
 لَمْ تُبْقِ رَاحَتَهُ وَجُودُ يَمِينِهِ
 لَا زَالَ فِي نَعْمَائِهِ وَوَلَائِهِ
 لَا تَنْكُرُ الْحُسَادُ مِنْ مَعْرُوفِهِ
 وَأَعْرَقَ قَدْ خَفَضَ الْجَنَاحَ لِأَمَلٍ
 وَمَنْ السَّعَادَةُ أَنْ أَجِيءَ بِسَابِقٍ
 فَأَفُوزُ مِنْهُ بِطَأْعَةٍ تَجْلُو الدُّجَى
 وَلَكُمْ وَرَدَتْ مَوَارِدًا مِنْ سَيْلِهِ
 فَإِذَا اعْتَرَفْتُ مِنَ الْكِرَامِ بِفَضْلِهِ
 شَهِدَ الرِّجَالُ بِفَضْلِهِ وَبِرَأْيِهِ
 يَمْضِي مُعَادِيهِ وَيَخْطُو هَابِطًا
 يَا مَنْ يُغْرِ لَجْهَلَهُ فِي حَلْمِهِ
 نَقَدَ الرِّجَالُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ
 بَعُدَتْ عَنِ الْفَحْشَاءِ مِنْهُ خَلَائِقُ

حَارِبُ زَمَانِكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَجَالِدُ
 يَرْتَادُ مَا يَرْضِي مُرَادَ الرَّائِدِ
 وَلَوْ يَدِي بِالنَّائِبَاتِ وَسَاعِدِي
 (بِأَبِي الْخَصِيبِ) وَوَجْهٌ (عَبْدُ الْوَاحِدِ)^(١)
 وَأَجَلٌ مِنْ قَلَّدْتَهُ بِقَلَائِدِي
 تَبْدُو فَتُنْبِي عَنْ جَمِيلِ عَوَائِدِ
 وَشَهَابُ ذَاكَ الْوَجْهِ حَدْسُ عَطَارِدِ
 وَ(مُبَارِكُ) فِي النَّاسِ أَكْرَمُ وَالِدِ
 فِي سَوْقِهِ انْفِاقُ شِعْرِ الْكَاسِدِ
 فَيَفُوزُ يَوْمئِذٍ بِذِكْرِ خَالِدِ
 عَذْبُ الْمَوَارِدِ مَنَهْلٌ لِلْوَارِدِ
 مِنْ طَارِفِ^(*) لِلْمَكْرَمَاتِ وَتَالِدِ
 فَرَحُ الْوُدُودِ وَرَغْمُ أَنْفِ الْحَاسِدِ
 شَيْئًا وَلَيْسَ لِفَضْلِهِ مِنْ جَاحِدِ
 بَرٌّ رَفَعَتْ إِلَيْهِ غُرُقَ قِصَائِدِي
 مِنْ بَرِّهِ أَسْعَى إِلَيْهِ وَقَائِدِ
 وَتَضِيءُ بِالْحَسَبِ الصَّمِيمِ الْمَاجِدِ
 فَحَمَدَتْ فِيهِ مَصَادِرِي وَمَوَارِدِي
 جَاءَتْ مَكَارِمُهُ بِالْفَيْ شَاهِدِ
 بِمَوَاطِنِ شَتَّى مَضَتْ وَمَشَاهِدِ
 وَتَرَى مُوَالِيَهُ بِفَخْرٍ صَاعِدِ
 إِيَّاكَ مِنْ وَثَبَاتِ لَيْثٍ لِابْدِ
 وَالزَّيْفُ يَظْهَرُ عِنْدَ نَقْدِ النَّاقدِ
 بَعْدَ الصَّلَاحِ مِنَ الزَّمَانِ الْفَاسِدِ

(١) أبوالخصيب. قصة جميلة في جنوب البصرة، ذات بساتين ورياض وأنهار وهي اليوم قضاء في محافظة البصرة.

(٢) أسرة الوجه، خطوطه وتجاعيده، تنبسط عند السرور، وجمعها (أسارير).

(*) في الطبعة (١): (طارق) خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

ولدى الصَّلَاةِ تراه أولَ ساجدٍ
لَتَفَجَّرَتْ بِالماءِ صُمُّ جَلامدٍ
شِعْرٍ يُقَيِّدُ فِي عَلاه شِوارِدِي
كَم قائمٍ يَسْعَى بِخِدمَةِ قاعدٍ
ولَانتَ أولَ مُكْرِمٍ لِلوافِدِ
أرأيتَ غيرَكَ مقصداً لِلقاصِدِ
من شاكِرٍ لكَ بِالقَرِيضِ وحامِدِ

يَوْمَ النِّوَالِ تراه أولَ مُنْعَمٍ
لو لَامَسَتْ صُمُّ الجَلامِدِ كَفَّهُ
أطلقتُ ألسِنَةَ الثَّناءِ عليه في
قامتُ بِخِدمَتِهِ السَّعادَةَ عن رِضا
وفَدتُ عليك مَعَ الخُلوصِ قَصيدَةً
لا عَرَوُ إنْ قَصَدتْكَ تَرغَبُ بِالغِنَى
فاقبلُ مِنَ الدَّاعيِ إِلَيْكَ ثِناءه

(٩٦)

فَتَجَلَّى لَنَا بِنورِ أَزهرِ
مَعَدِنِ الدَّرِّبلِ مَقَرِّ الجِوهرِ

من (أبي الهدى) لاحَ فينا مَظهِرُ
هو كَالبَحْرِ إنْ تَرَدَّه تَراه^(٢)

(٩٧)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٨).

(٢) الصواب: (... إن ترده تره).

(٣) في الأصول: (أدم الفضل...) وما أثبتناه أولى.

(٤) محمد وأحمد، ولدا ياسين بن طه الرئيس ويطلق على هذه العائلة لقب (المعلمان) ولهذه العائلة مواقف في تاريخ أبي الخصب في البصرة. وكانوا يتنافسون مع (آل عبدالواحد) على الزعامة. حتى آلت إليهم فعرفوا ببيت (الرئيس) وكان الولاة يستعينون بهم في تأديب بعض القبائل التي لا تدفع الضرائب. وكان محمد وأخوه أحمد من أهل الكرم والسخاء والنجدة. وقد تولى محمد رئاسة بلدية البصرة سنة ١٢٨٩/١٨٧١م. انظر عنوان المجد ١٧١ والتحفة النبهانية ١٣٥/٩، وأفادني بعض أخباره الصديق الكريم الأستاذ عبدالعزيز عمر العلي برسالة من البصرة.

زَوْاجُ (ابن ياسين) زَوْاجٌ مُبَارَكٌ
 بِهِ الْخَيْرُ مَجْلُوبٌ إِلَيْهِ جَمِيعُهُ
 تُسَرُّ بِهِ مِنْ (أَلِ يَاسِينَ) عُسْبَةٌ
 مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يَصْنَعْ سِوَاهُمْ صَنِيعَهُمْ
 وَقَدْ وَرَثُوهَا عَنْ أَبِيهِمْ مَكَارِمًا
 وَلَمْ يَبْرَحُوا (أَبْنَاءَ يَاسِينَ) فِي النَّدَى
 هُمَا مَا هُمَا فِي الْمَكْرُمَاتِ كِلَاهُمَا
 تُعَدُّ كِرَامُ النَّاسِ فِي بِلَدَيْهِمَا
 بَقِيَتْ بَقَاءَ النَّيِّرِينَ (مُحَمَّدٌ)
 وَفِي الْبِشْرِ وَالْأَرْوَاحِ قَوْلِي مُؤْرَخًا

يَقْرُبُهُ عَيْنًا وَيَهْنَأُ وَيَسْعَدُ
 وَفِيهِ التَّهَانِي كُلُّهَا تَتَوْلَدُ
 لَهُمْ شَرَفٌ فِي الْأَكْرَمِينَ وَسُودٌ
 بِلِ الْبِرِّ بِلِ سَادُوا بِهِ وَتَفَرَّدُوا
 وَهِيَ فِي أَبْنَائِهِمْ تَتَجَدَّدُ
 مَنَاهِلُ جُودٍ كَالْمَنَاهِلِ تَوْرِدُ
 (مُحَمَّدٌ) فِي النَّجْبِ الْكَرَامِ (أَحْمَدُ)
 فَعَدَا وَلَمْ تُعْقَدْ رِأْيُهُمَا يَدُ
 بِنَاعِمِ خَفْضِ الْعَيْشِ لَا تَتَنَكَّدُ
 (تَزَوَّجَتْ فَبَقِيَ فِي الْهِنَا يَا مُحَمَّدُ) (١)
 ١٢٨٩ هـ

(٩٨)

طَهَّرَ فَوَادَكَ بِالرَّاحَاتِ تَطْهِيرًا
 بَادِرٍ إِلَى أَخَذِ صَفْوِ الْعَيْشِ مَبْتَهَجًا
 فَالْوَقْتُ رَاقٌ وَقَدْ رَاقَتْ مَسْرَتُهُ
 أَمَا تَرَى الْوَرَقَ بِالْأَوْرَاقِ صَادِحَةً
 وَالْبَرْقَ مِثْلَ انْقِضَاضِ الصَّقْرِ وَامِضُهُ (٥)

وَدُمٌ عَلَى نَهْبِكَ اللَّذَاتِ مَسْرُورًا (٣)
 فَمَا أُوْدُ لَوْقَتِ الْأَنْسِ تَأْخِيرًا
 وَالْيَوْمُ أَصْبَحَ طِيَّ الزَّهْرِ مَنْشُورًا
 كَأَنَّهَا ضَرَبَتْ بِالرُّوحِ صَنْطِيرًا (٤)
 تَخَالَهُ مِنْ غُرَابِ اللَّيْلِ مَذْعُورًا

(١) الصواب: فابق، بحذف الألف المقصورة، إلا أن الشاعر أثبتها وعدّها (ياء) من أجل التاريخ.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (١).

(٣) بعض أبيات هذه القصيدة غناها الأستاذ القبانجي بمقام (همايون) وكذلك الأستاذ يوسف عمر.

(٤) السنطير والسنطور، بالسین والصاد، آلة موسيقية قديمة، بشكل شبه منحرف، ورد ذكرها في التوراة أيام الملك نبوخذ نصر، ودخلت بغداد في القرن السادس الهجري وطورها البغداديون، وزادوا في أوتارها، وأوتاره من نحاس وعددها (٢٣) وترًا وهي من آلات (الجوق البغدادي).

انظر: الطرب عند العرب. للعلاف ٢٥٢ والمقام العراقي. هاشم محمد الرجب ١٧٣.

(٥) في الأصول كلها: (مثل انتقاض) وفي المطبوع (انقضاض).

يبدو فَتَحَسَبُهُ فِي جُنْحِ دَاجِيَةٍ
وَرُبَّ لَيْلَةٍ أَنَسِ بِتِ أَسْهَرِهَا
غَصَبَتْ فِيهَا الْهَنَا مِنْ كَأْسِ غَانِيَةٍ
مَزَجَتْ بِالرِّيقِ صَرْفًا مِنْ مُعْتَقَةٍ
وَبِتُّ مُلْتَثِمًا وَجِنَاتِ ذِي حَوْرٍ
فَالوِاشِ يَعْذِلْنِي وَالوَجْدُ يَعْذِرُنِي
وَعَنْبَرُ اللَّيْلِ مَا وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ
لِلَّهِ أَحْوَى إِذَا صَالَتْ لَوَاحِظُهُ
إِذَا تَجَلَّى بِأَنْوَارِ الْجَبِينِ عَلَيَّ
كَأَنَّ صُورَتَهُ لِلْعَيْنِ إِذْ جَلِيَتْ
قَدْ خَطَفَ فِي خَدِّهِ لَأَمْ الْعِذَارِ بِهِ
يَا أَيُّهَا الرَّشَاءُ الْمُغْرِي بِنَاظِرِهِ
لَقَدْ نُصِرْتُ عَلَى كَسْرِ الْقُلُوبِ بِهِ
عَهْدِي وَعَهْدُكَ لَا زَالَ اخْتِلَافُهُمَا
صَفَا لِي الْعَيْشُ مُخْضَرًا جَوَانِبُهُ
لَمْ لَا أَسْرُ بِأَيَّامِ الْهَنَا وَأَنَا
هُوَ الْمُشَارُ إِذَا أَمَّتْ حَوَادِثُهَا
اللَّهُ أَلْهَمَهُ فِي كُلِّ مَعْرِفَةٍ
بِالسَّعْيِ لَا بِالْمُنَى وَالْعَجْزِ أَدْرَكُهَا
هَذَا الْإِمَامُ (شَهَابُ الدِّينِ) ثَاقِبُهُ
كَمْ مُلْحَدٌ هُوَ (بِالْبِرْهَانِ) أَفْحَمُهُ (٤)
إِنَّ الشَّرِيعَةَ بَاهَتْ مِنْهُ فِي بَطَلٍ
لَوْ لَامَسَتْ حَجَرَ الصَّمَاءِ رَاحَتُهُ

بَكْفٍ (حَامٍ) حُسَامًا لَاحَ مَشْهُورًا
مُسْتَرًّا بِظِلَامِ اللَّيْلِ تَسْتِيرًا
فَطَاعَنِي الدَّهْرُ مَغْضُوبًا وَمَجْبُورًا
فَصِرْتُ مِنْ تَلَكُمَا الْخُمُرَيْنِ مَخْمُورًا
وَبَاتَ يَلْتَمُ لَيْثُ الْغَيْلِ يَعْفُورًا
وَالصَّبُّ لَا زَالَ (*) مَعْذُولًا وَمَعْذُورًا
حَتَّى رَأَى مِنْ جِيُوشِ الصُّبْحِ كَافُورًا
أَمْسَى بِصَارِمِهَا الْمُشْتَاقُ مَنْذُورًا
عُشَاقَهُ دَكَّ مِنْ أَحْشَائِهِمْ طُورًا (١)
مِنْ فِضَّةٍ قُدِّرْتُ بِالْحُسْنِ تَقْدِيرًا (٢)
مَسْكَأً فَأَصْبَحَ تَخْطِيطًا وَتَحْرِيرًا
قَدْ عَادَ هَارُوتُ مِنْ جَفْنِيكَ مَسْحُورًا
مَالِي أَرَى طَرْفَكَ الْمَنْصُورَ مَكْسُورًا
كَانَا كَحِظِّي مَنْسِيًّا وَمَذْكُورًا
فَمَا وَجَدْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَكْدِيرًا
إِنْ سُرَّ (مَحْمُودٌ) يَوْمًا كُنْتُ مَسْرُورًا
وَأَحْسَنُ الرَّأْيِ مَا اسْتَخْلَصْتَهُ شُورِي
فَهُمَا وَعِلْمًا وَأَخْلَاقًا وَتَدْبِيرًا
قَدْ ضَلَّ مِنْ ظَلٍّ بِالْأَمَالِ مَغْرُورًا (٣)
أَزَالَ فِي نَوْرِ صَبْحِ الْحَقِّ دَيْجُورًا
مَنْ يَنْصُرُ اللَّهَ يَوْمًا كَانَ مَنْصُورًا
حَامِي حِمَاها وَبَانِي حَوْلِهَا سُورًا
تَفَجَّرَتْ بِزَلَالِ الْمَاءِ تَفْجِيرًا

(١) في حديقة الورد: من أحشاشهم، وهي من وهم الناسخ.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: .. «قوارير من فضة قدروها تقديرًا» سورة الدهر الآية ١٦.

(٣) في الأصول: قد ضل من ضل.. والصواب ما أثبتناه.

(٤) إشارة إلى كتاب (البرهان) لأبي الثناء الألويسي. وفي مجموعة الأستاذ عبد الخالق العزاوي (مفحمة).

(**) في الطبعة (١): (غزال) والصواب ما أثبتناه من الطراز الألفس.

سَعَى إِلَى الْمَجْدِ فِي سَيْفٍ وَفِي قَلَمٍ
لَوْ صُورَ الْمَجْدُ تَصْوِيرًا عَلَى رَجُلٍ
وَكَمْ نَثَرْتَ عَلَى الْأَسْمَاعِ دُرًّا فَمِ
فَأَنْتَ أَدْرَكَ مَنْ فِيهَا غَوَامِضُهَا
حَجَّتْ لِبَيْتِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَجْمَعُهُمْ
لَقَدْ زَهَتْ بِكَ دَارُ الْعِلْمِ حَيْثُ غَدَتْ
غَمَرْتَنَا بِأَيْدِيكَ الَّتِي سَلَفَتْ
أَرَى اجْتِمَاعَ الْغِنَى لِي وَالْكَامِلِ إِذَا^(١)
وَإِنْ أَنْخَتَ لَدَى عَليَاكَ رَاحِلَتِي
لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ أَبْنَاءُ لَهُمْ نَسَبٌ
إِنَّ الرُّوَاةَ الَّتِي تَرَوِي مَنَاقِبَهُمْ

وَعَانَقَ الْبَيْضَ حَتَّى عَانَقَ الْحُورَا
مَا كَانَ إِلَّا أَوْصَافًا وَتَصْوِيرَا
فَكَانَ ذِيَالِكَ الْمَنْثُورُ مَنْثُورًا^(١)
وَأَنْتَ أَفْصَحَ أَهْلَ الْعِلْمِ تَقْرِيرَا
فَكَانَ حَاجَهُمْ إِذْ ذَاكَ مَبْرُورَا
دَارًا تُفَاخِرُ فِي سُكَّانِهَا دُورَا
لَا زَلْتَ فِي نِعْمَاءِ اللَّهِ مَغْمُورَا
رَأَيْتُنِي مِنْكَ مَلْحُوظًا وَمَنْظُورَا
كَنْتُ الْأَمِيرَ وَكَانَ الدَّهْرُ مَأْمُورَا
أَضْحَى عَلَى جِبْهَةِ الْأَيَّامِ مَسْطُورَا
عَنْهُمْ رَوَتْ خَبْرًا بِالْمَجْدِ مَأْثُورَا

(٩٩)

مَا لِي أَوْدَعُ كُلَّ يَوْمٍ صَاحِبًا
وَأُصَارُمُ الْأَحْبَابَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ
فَارَقْتُهُمْ وَمَدَامَعِي مِنْهُ لَهْلَهٌ
وَتَرَكْتُهُمْ وَرَجَعْتُ عَنْهُمْ صَابِرًا
أَعْمَدْتُهُمْ فِي بَطْنٍ مُنْخَفِضِ النَّرَى
وَلَقَدْ سَنَمْتُ الْعَيْشَ بَعْدَ وِفَاتِهِمْ
أَنْى تَطْيِيبُ لِي الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى
وَأَرَى أَحِبَّائِي يُسَاقِطُهَا الرَّدَى

إِذْ لَا تَلَاقِي بَعْدَ طَوْلِ فِرَاقٍ
مَنْى وَلَا مُتَعَرِّضًا لِشِقَاقٍ
وَجَوَانِحِي لِلْبَيْنِ فِي إِحْرَاقٍ
حَتَّى كَأَنِّي لَسْتُ بِالْمُشْتِاقِ
بِيضًا كَأَمْثَالِ السُّيُوفِ رِقَاقٍ
وَقَطَعْتُ مِنْ طَمَعِي بِهِمْ أَعْلَاقِي
صَحْبِي لَدَيَّ وَأَسْرَتِي وَرِفَاقِي
مَنْ بَيْنَنَا كَتَسَاقُطِ الْأُورَاقِ

(١) المنتور: نوع من الورود.

(٢) في الأصول: (أرى اجتماع غنائى والكمال إذا) والتصويب من مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي.

(٣) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي (مولائى).

(٤) مرت ترجمته فى تعليقنا على القصيدة (٤).

فَارَقْتُ أَذْكَى الْعَالَمِينَ قَرِيحَةً
 وَفَقَدْتُ مُسْتَنْدَ الرَّجَالِ إِذَا رَوَتْ
 قَدْ كَانَ مُنْتَجِعِي وَشَرْعَةً مَنْهَلِي
 كَانَتْ لَهُ الْأَيْدِي يُطَوِّقُنِي بِهَا
 وَلَقَدْ أَقْبُولُ لَهُ وَقَدْ شَيَّعْتُهُ
 أَيْنَ الذَّهَابُ وَعَمَّ تَوَخُّدُ بَعْدَهُ
 قَدْ طَبَّتْ حَيَاءً فِي الرِّجَالِ وَمِيَّتًا
 فَسَقَاكَ صَوْبُ الْمُزْنِ كُلِّ عَشِيَّةٍ
 أَفْنَيْتَ فِي هَذَا الْمُصَابِ تَصْبِرِي
 لَا بَدَّ مِنْ شُرْبِي كَوْوَسَ مَنِيَّةٍ
 رِزٌّ أَصِيبَ بِهِ الْعِرَاقُ فَأَرْخُوا

وَأَجَّأَهَا فَضْلاً عَلَى الْإِطْلَاقِ
 عَنْهُ التُّقَاتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
 وَمَنَاطُ فَخْرِي وَارْتِيَادَ نِيَاقِي
 مِثْلًا هِيَ الْأَطْوَاقُ فِي الْأَعْنَاقِ
 يَوْمَ الرَّحِيلِ بِمَدْمَعِ مُهْرَاقِ
 عُرِّرَ الْكَلَامَ وَحَكْمَةَ الْإِشْرَاقِ
 يَا أَطْيَبَ الْأَفْرَاعِ وَالْأَعْرَاقِ
 مُتَتَابِعِ الْإِرْعَادِ وَالْإِبْرَاقِ
 حَزَنًا وَمَا أَنَا إِذْ مَضَيْتَ بِبَاقِ
 طَافَتْ عَلَيْكَ بِهَا أَكْفُ السَّاقِي
 (رِزُّ الْعِرَاقِ بِمَوْتِ عَبْدِ الْبَاقِي)
 ١٢٧٨هـ

(١٠٠)

وقال مشطراً بيتي الأديب الشيخ صالح التميمي^(١) في مدح المحمودين^(٢) المفتي

(لَالِ الْمِصْطَفَى عِلْمٌ وَجُودٌ) يَحُوزُهُمَا مَجِيدٌ أَوْ نَجِيبٌ
 وَفِي هَذَا الزَّمَانِ مِنَ الْبَرَايَا (لِمَحْمُودَيْنِ سَاقَهُمَا النَّصِيبُ)

(١) الشيخ صالح ابن الشيخ درويش بن علي زيني التميمي البغدادي. ولد في الكاظمية سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٧ وتوفي والده وهو صبي فسافر إلى النجف ودرس على علمائها وكان شاعراً مجيداً مكثرًا وقد اتصل بالوزير داود باشا ومدحه بغرر القوائد، فقره الوزير وقد أثنى عليه العلامة علي علاء الدين بقوله: «سابق حلبه البيان وحامل لواء الإحسان رب الفصاحة واللسان» وكانت له صلات مع أدباء عصره أمثال الأخرس والعمرى، وكان يفتد إلى بغداد لمحذ آل النقيب وآل الألووسي وآل الشادي وآل الجميل، وقد خمس كثيراً من قصائد أصدقائه.. وله ديوان شعر مطبوع وله كتاب (شرك العقول وغريب المنقول) و(الأخبار المستفادة من منادمة الشاه زادة) وقد درس عليه عثمان سيفي كاتب الإنشاء كتاب مقامات الحريري. توفي في الكاظمية في ١٤ شعبان سنة ١٢٦١/١٨٤٤ ودفن بجوار الإمامين الجوادين ورثاه جماعة من الشعراء منهم عبد الباقي العمرى والشيخ عبد الحسين محبي الدين وإبراهيم العاملي. انظر مقدمة ديوانه وحديقة الورود ١٢٦/٢ مخطوط والدر المنتثر ١٢٢ والمسك الأذفر ١٤٨ - ١٥٤ وماضي النجف وحاضرها ٢٢٧/٢ - ٣٢٨ وتاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢٢٦/٢ - ٢٢٧ و٣١٨.

(٢) هما محمود النقيب ومحمود المفتي أبو الثناء الألووسي. وقد مرت ترجمتهما.

(تورثَ علمهم قمرَ الفتاوى) وشمسُ ما لها أبداً مغيب
وحازَ فخارهم وكذا علاهم (وجودهم تورثه النقيب)

(١٠١)

هذه يا صاح أوقاتُ الهنا جمعتُ من كلِّ شيءٍ أحسننا
ويُلوغُ النَّفْسَ أقصَى الأملِ لذةً في غيرِها لم تكْمَلِ



فخذنا من عيشنا صفوته بين روضٍ أخذٍ زينته
بكؤوسِ الرَّاحِ والسَّاقِي مَليحٍ ولسانِ البِمْ والزيبرِ فصيح^(٢)
ضرجُ الوردِ بها وجنته والشَّقِيقُ الغضُّ إذ ذاكَ جريحُ
تحسبُ النرجسَ فيها أعينا مالَ عُصنِ البانِ تيهاً وانثنى
شاخصاتِ نحونا بالمقلِّ في هَواها مَيلانَ التَّمَلِّ



مربعٌ للهوٍ منذُ أنتظما ما بكاه القطرُ إلا ابتسما
أطربَ الأنفُسَ في رُوحِ وراحٍ لبكاهُ بتُّغورٍ من أقاحِ
وشدَّتْ في الدُّوحِ ورقاءُ الحمى حينَ يُملي رَجَزاً في زَجَلِ
مغرمٌ ليس له عنه غنى ولقد أصغى إليها أذنا
فشجَّتْ قلبَ الخلي دُونَ المَلي^(٣)



(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) البم: الصوت الغليظ الخشن، والزيبر: الصوت الرفيع المتكلف قال الصعب بن حيان التغلبي:
وقرب الخرد من قيبانه عود له الفضل على عيدانه
أخرس تلقاه على بيانه كرامة المجلس في هوانه
واعتمد الزبير على أرنانه وبربر البسم على أقرانه
بربرة الشيخ على أقرانه

انظر: الموسيقى العراقية في عهد المغول. للعاوي ٨٤ - ٨٥.

(٣) الملى: الملىء مخففة بحذف الهمزة.

زَادَنَا لَحْنَ الْأَغَانِي طَرِباً
وَالْأُمَانِي بَلَّغْتَنَا أَرِباً
وَنَظَرْنَا فَقَضَيْنَا عَجَباً
فِي لَيَالٍ أَظْفَرْتَنَا بِالْمُنَى
تُذْهِبُ الِهْمَ وَتَنْفِي الْحَزْنَ



خَبِراً يُطْرِبُنَا عَنْ وَتْرِ
فَقَضَيْنَاهَا إِذَا بِالْوَطْرِ
تَطْلُعُ الشَّمْسُ بِكَفِّ الْقَمَرِ
وَكَوْوَسُ الرِّاحِ فِيهَا تَنْجَلِي
بِنَشَاطٍ مُطْلَقٍ مِنْ كَسَلِ

بِحَايَةِ الطَّاسِ وَالْكَاسِ عَلَيْكَ
وَتَحْكَمُ إِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَيْكَ
كَيْفَ لَا وَالْكَأْسُ تُسْقَى مِنْ يَدَيْكَ
وَلِكَ اللَّهُ حَفِيظاً وَلِنَا
وَاجِرِ حُكْمِ الْحَبِّ فِينَا وَبِنَا



نَزَهُ الْمَجْلِسَ مِنْ كُلِّ ثَقِيلٍ
وَلِكَ الْحُكْمُ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ
مَا عَلَى الْمُحْسِنِ فِيهَا مِنْ سَبِيلٍ
حَيْثُمَا كُنْتَ وَمَا شِئْتَ أَفْعَلِ
أَنْتَ مَرَضِيٌّ وَإِنْ لَمْ تَعُدِلِ

حَبِّذَا مَجْلِسُنَا مِنْ مَجْلِسِ
نَعْمُ الْعُودِ وَشَعْرُ (الْأَخْرَسِ)
يَتَعَاطُونَ حَايَةَ الْأَنْفُسِ
بَابِلِي السُّحْرِ مَعْسُولِ الْجَنَى
وَإِذَا مَرَّ نَسِيمٌ بَيْنَنَا

جَامِعُ كُلِّ غَرِيبٍ وَعَجِيبِ
وَمُحِبِّ مُسْتَهَامٍ وَحَبِيبِ
فِي بَدِيعِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى الْغَرِيبِ
أَيْنَ هَذَا مُشْتَبَاهِ الْعَسَلِ (١)
قَلْتُ هَذَا وَيُحَكِّمُ مِنْ غَزَلِي



أَهْ مَمَّنْ سَاءَنِي فِي نُسُكِهِ
قَدْ عَرَفْنَا زَيْفَهُ فِي سَبْكِهِ
قَالَ لِي تُبْتُ وَذَا مِنْ إِفْكِهِ
عَنْ مَلِيحٍ صَرَحَتْ عَنْهُ الْكُنَى
وَإِذَا سَاءَ غَيُورٌ أَحْسَنَا

وَيِرَانِي حَامِلاً عَبَاءَ الذُّنُوبِ
فَإِذَا كُلُّ مَزَايَاهُ عُيُوبُ
أَنَا لَا وَاللَّهِ لَا أَرْضَى أَتُوبُ
تَوْبَةً فِي حُبِّهِ لَمْ تُقْبَلِ
بِحُمَيَّا رَشَفَاتِ الْقُبُلِ



أَتْرُكُ الْمَغْبِقَ وَالْمُصْطَبِحَا
بَعْدَ أَنْ أَعْدُو بِهَا مُنْشَرِحَا

زَمَنَ السُّورِ وَأَيَّامَ الرَّبِيعِ
كَيْفَ أَصْغِي لِعَعْدُولِي وَأَطِيعُ

(١) أصلها من اشتييار العسل. وهي كذلك في النسخ الخطية وهي أصوب من المطبوع.

إِنْ أُطِعَ فِي تَرْكِهَا مِنْ نَصَاحَا
فَأَدْرَهَا وَأَنْتَهَبُ لِي زَمَنَا
وَأَرْحَنِي (*) إِنَّمَا أَلْقَى الْعَنَا



فَلَقَدْ جِئْتُ لِعَمْرِي بِشَنْيَعٍ
بِحُلُولِ الشَّمْسِ بُرْجِ الْحَمَلِ
مِنْ خَلِيلٍ مُغْرَمٍ بِالْعَذَلِ

أَجْتَلِي الْكَاسَاتِ تَهْوِي أَنْجُمَا
وَأَرَى أَوْقَاتَهَا مُغْتَنَمَا
لَمْ أُضِعْهَا فَرِصَةً لَا سَيِّمَا
عَلَوِي الْأَصْلَ عَلَوِي الثَّنَا
الرَفِيعُ الْقَدْرَ وَالْعَالِي الْبِنَا

وَلَهَا فِينَا طُلُوعٌ وَمَغِيبٌ
وَالِيهَا رُحْتُ أَلْهُو وَأَطِيبٌ
فِي خِتَانِ الْغُرِّ (أَبْنَاءِ النَّقِيبِ)
سَيِّدِ السَّادَاتِ مَوْلَانَا (عَلِي)
مُسْتَهْلُ الْوَبْلِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ



ابْنُ بَازِ الْإِلَهِ (عَبْدُ الْقَادِرِ) (١)
لَمْ يَزَالُوا طَاهِرًا مِنْ طَاهِرٍ
وَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاضِرٍ
يَلْحَظُونَ السَّعْدَ يَغْشَوْنَ السُّنَا
لَهُمُ التَّشْبِيهُ فِي هَذِي الدُّنَا

عَلِمَ الشَّرْقِ وَسُلْطَانُ الرَّجَالِ
فَهُمُ الطُّهْرُ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ
فِي جَمَالٍ مُسْتَفَاضٍ وَجَلَالٍ
يَلْبَسُونَ الْفَخْرَ أَسْنَى الْحَلَلِ
مِلَّةُ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الْمِلَلِ



لَأَوَيْقَاتِ زَمَانِ الْإِعْتِدَالِ
لِخِتَانِ النَّجْبِ الْبَيْضِ الْفِعَالِ
فَأَقْدَ أَرْحَهُ الْعَبْدُ فَقَالَ
بِخِتَانٍ فِي سُرُورٍ وَهَنَا
وَبِحَمْدِ اللَّهِ قَدْ نَلْنَا الْمُنَى

قَدْ تَحَرَّيْتُمْ وَمَا أَحْرَاكُمُ
الْمَيَامِينَ وَمَا أَدْرَاكُمُ
(أَلْ بَيْتِ الْمِصْطَفَى بِشُرَاكُمُ)
دَائِمٍ بِالْوَصْلِ لَمْ يَنْفَصِلِ
وَوَظَّفِرْنَا مِنْكُمْ بِالْأَمَلِ

هـ ١٢٥٨

(*) في الطبعة (١): (وأرخني) وهو خطأ طباعي، والصواب من الطراز الأنفس.

(١) هو الإمام الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنه ومرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٦).

متى أرى هذه الأيام مُسْعِفَةً
والنفس تَقْضِي بِمَطْلُوبٍ لَهَا وَطَرًا
أَلْقَى خُطُوبَ اللَّيَالِي وَهِيَ عَابِسَةٌ
فَمَا أَطَعْتُ الْهَوَى فِي مَا يُرَادُ بِهِ
وَلَا رَكَنْتُ إِلَى صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ
إِنِّي لَأَنْزِعُ مُشْتَاقًا إِلَى وَطَنِي
وَطَالَمَا قَدَفْتُ بِي فِي مَفَاوِزِهَا
لِنِّ زَفِيرَتِ بَدْمَجٍ (محمود) وَإِخْوَتِهِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَمْثَالِ الْبُدُورِ سَنَا
تُرْوِي شَمَائِلَهُمْ مَا كَانَ وَالِدُهُمْ
فِي آلِهِ وَالِدٌ عَزَّ النَّظِيرُ لَهُ
مِنْ طَيِّبِ طَابٍ فِي الْأَنْجَابِ مَحْتَدُهُ
إِذَا ذَكَرْتُ أَيَادِيهِ الَّتِي سَلَفَتْ

والدَّهْرُ يُنْجِزُ وَعَدَاً غَيْرَ مَوْعُودٍ^(٢)
يَنْوِبُ عَنْ كُلِّ مَفْقُودٍ بِمَوْجُودٍ
كَمَا تَصَادِمُ جُلْمُودٌ بِجُلْمُودٍ
وَلَا تَطَرَّبَتْ بَيْنَ النَّيِّ وَالْعُودِ
قَدِيمَةِ الْعَصْرِ مِنْ عَصْرِ الْعِنَاقِيدِ
وَالنُّوقُ تَنْزِعُ بِي شَوْقًا إِلَى الْبِيدِ
أَخْفَافُ تِلْكَ الْمَطَايَا الضَّمْرُ الْقُودِ
ظَفَرْتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَقْصُودِي
يَطْلُعُنَّ فِي أَفْقِ تَعْظِيمٍ وَتَمَجِيدِ
يُرْوِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالْجُودِ
وَجَاءَ مِنْهُ لِعَمْرِي خَيْرٌ مَوْلُودِ
كَمَا يَطِيبُ عَبِيرُ النَّدِّ وَالْعُودِ
جَاذَبَتْ بِالْمَدْحِ أَطْرَافَ الْأَنْشَادِ

(١) الحاج محمود باشا بن الحاج عبدالواحد جليبي. كان من أعيان البصرة ووجهائها وكان عضواً في جمعية الائتلاف العثمانية وقد أنشأ مطبعة في البصرة باسمه (المطبعة المحمودية) وذلك سنة ١٣٢٧/١٩٠٩م).
وكان وكيلاً للسلطان عبدالحميد الثاني على الاملاك السنّية في البصرة وتعرف عائلة عبدالواحد وأتباعهم بلقب (الحوار).

انظر: عنوان: المجد ١٧١ والتحفة النبهانية ٦٦/٩ و١٣٥. وأفادني الصديق الأديب عبدالعزيز عمر العلي بعض أخباره برسالة من البصرة مشكوراً.

(٢) بعض أبيات هذه القصيدة غناها الأستاذ القبانجي بمقام (رست).

قَلَدْتُ جَيْدَ الْقَوَافِي فِي مَدَائِحِهِ
يُغَرِّدُ الطَّرِبُ النَّشْوَانَ حِينَئِذٍ
(أبو الخصيب) خَصِيبٌ فِي مَكَارِمِهِ
لَا تَصْدُرُ النَّاسُ إِلَّا عَنْهُ فِي جِدَّةٍ^(١)
تَدْعُو لَهُ بِمَسْرَاتٍ يَفُوزُ بِهَا
يَزِيدُنِي شُكْرُهُ فَضْلاً وَمَكْرَمَةً
يَرْجُو الْمُؤْمِلُ فِيهِ مَا يَوْمُهُ
تَجْرِي مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِ عَارِفِهِ
فَكَلَّمَا سِرَّتْ مُشْتِاقاً لَزُورَتِهِ
وَإِنْ أَتَتْهُ الْقَوَافِي الْغُرُّ اتَّحَفَهَا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ تُرَوَّى عَنْ أَبِي فَابٍ
لِلَّهِ دَرْكٌ مَا أَنْدَاكَ مِنْ رَجُلٍ

مَا لَا يُقَلِّدُ جَيْدَ الْخُرْدِ الْغَيْدِ
فِيهَا بِأَحْسَنِ تَغْرِيدٍ وَتَرْيِدِ
وَمَنْزَلِ السَّعْدِ لَا يَشْقَى بِمَسْعُودِ
وَنَائِلٍ مِنْ نَدَى كَفَّيْهِ مَوْرُودِ
لَيْسَ الدُّعَاءُ لَهُ يَوْمًا بِمَرْدُودِ
كَأَنَّني قَلْتُ يَا نَعْمَاءَ زَيْدِي
بَابُ الرَّجَاءِ لَدَيْهِ غَيْرُ مَسْدُودِ
لِفَضْلِهِ مِثْلَ مَجْرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ
وَجَدْتُ مَسْرَايَ مُحَمَّدًا لِي (محمود)
بِشَاهِدٍ مِنْ مَعَالِيهِ وَمِثْهُ هُودِ
مَنْ الْأَكَارِمُ عَنْ أَبَائِهِ الصَّيِّدِ
بَيْضُ أَيْدِيكَ فِي أَيَّامِنَا السُّودِ

(١) الجدة: بكسر الجيم: العطاء.

(*) في الطبعة (١): (إذا) وبها ينكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس

وَزُرْتَنَا فَحَبَّبْنَا مِنْ زَائِرٍ
لِكُلِّ بَادٍ وَلِكُلِّ حَاضِرٍ
وَكُنْتَ كَالرُّوْحِ زَهَاهَا لِنَاطِرٍ
نَمَّقَهُ بِدَفْتَرِ الْمَفَاخِرِ
فَعَمَّرْتَ كُلَّ مَكَانٍ دَاثِرٍ
مَعْمُورَةً الْأَكْنَافَ (*) بِالْعِشَائِرِ
بِنَاطِمٍ لِلْعَدْلِ غَيْرِ نَاثِرٍ
وَلَمْ يَدْنِ مُتَتَنِعٍ لِحَائِرٍ
بِالنَّاسِ فِي أَمْنٍ وَخَيْرٍ وَافِرٍ
حَوْشِيَّتٍ مِنْ عَهْدِ الْخَوَّانِ الْغَادِرِ
غَيْرُكَ فِي مَا بَيْنَهُمْ مِنْ جَابِرٍ
وَهَذِهِ مِنْ شَيْمِ الْأَكَابِرِ
وَأَنْتَ أَهْدَى لِدَوِي الْبَصَائِرِ
وَتَارَةً تَطْعَنُ بِالزَّوَاجِرِ
أَغْنَاكَ عَنْ هَزِّ الْحُسَامِ الْبَاتِرِ
تُغْنِي عَنِ الْأَلْفِ مِنَ الْعَسَاكِرِ
بَوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ كَالظُّوَاهِرِ
أَمْنَعُ مِنْ لَيْثٍ هَصُورٍ خَادِرِ
وَكَمْ لَكُمْ يَوْمئِذٍ مِنْ شَاكِرِ
كَمَا أَرَدْتُمْ لِمُرَادِ الْخَاطِرِ
(قَدْ عَمَّرْتَ أَيَّامَ عَبْدِ الْقَادِرِ)

قَدِمْتَ بِالْبَشْرِ وَبِالْبَشَائِرِ
وَجِئْتَ بِالْخَيْرِ عَلَيْنَا مُقْبِلًا
فَكُنْتَ كَالْمِزْنِ هَمَّتْ بِمَاطِرِ
لَوْ نَظَرَ النَّاطِرُ مَا صَنَعْتَهُ
أَنْضَيْتَ لِلْعُمَرَانِ فُلْكَ هَمَّةً
وَهَذِهِ (الْعِمَارَةُ) الْيَوْمَ لَكُمْ
نَظَّمْتَ بِالتَّدْبِيرِ مِنْكَ شَمْلَهَا
وَأَنْتَ مَا دَانْتَ لِحُكْمِ عَادِلٍ
أَمْنَتْهَا مِنْ شَرِّ مَا يَنْوِيهَا
وَلَمْ تَخُنْ عَهْدَ أَمْرِيءَ عَاهِدْتَهُ
جَبَرْتَ بِالْإِنْصَافِ كَسْرًا مَا لَهُ
عَفْوَتٌ عَنْ كِبَارِهِمْ تَكْرُمًا
وَقُمْتَ فِي الْحِكْمِ مَقَامَ (نَامِقٍ) (١)
فِتَارَةً تَزْجُرُ فِي مَوَاعِظِ
إِذَا هَزَزْتَ بِالْبِنَانِ قَلَمًا
هَذَا وَأَنْتَ وَاحِدٌ مُنْفَرِدٌ
يُرِيكَ رَأْيِي بِشَهَابِ فِطْنَةٍ
مَلَكَتْ بِاللُّطْفِ رِقَابَ عُصْبَةٍ
فَكَمْ لَكُمْ حِينَئِذٍ مِنْ حَامِدٍ
عَمَّرْتُمُوهَا فَغَدَّتْ عِمَارَةً
فَقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ تَارِيخِهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٥).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(*) في الطبعة (١): (الأكشاف) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(١٠٤)

وقال مؤرخاً القصر الذي شاده السيد عبدالرحمن أفندي^(١) نقيب البصرة لنزول
المشير مدحت باشا^(٢) [وهي من الوافر]:

نَقِيبُ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ زَانَتْ بَطَّلَعَتْهُ الْمَنَازِلُ وَالْقُصُورُ
بَنَى مَقْصُورَةً شَرَفَتْ بِنَاءً أُعِدَّتْ بِالسُّرُورِ لِمَنْ يَزُورُ
فَقُلْتُ لِسَيِّدِ النُّقَبَاءِ أَرْحُ (مَبَانِيهَا يُشْرَفُهَا الْمُشِيرُ)^(٣)
هـ ١٢٨٦

(١٠٥)

وقال^(٤) (مؤرخاً قدوم المشير محمد رشيد باشا الكوزلكي^(٥) والي بغداد)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣١).

(٣) في النسخة الخطية رقم ٦١٣ بالمجمع العلمي العراقي. التاريخ ١٢٦٨هـ (كذا) وهو خطأ.

(٤) هذه القصيدة لم ترد في المطبوع. وإنما وردت في النسخة الخطية رقم ٦١٣ في المجمع العلمي العراقي ولم ترد في سواها.

(٥) محمد رشيد باشا الكوزلكي (أي صاحب النظارات) ولد في كرجستان. وقد أسره الأتراك وكان عمره تسع سنوات وهو مسيحي فأسلم ونشأ على الإسلام. وكان ذكياً بارعاً وتخرج في المعاهد العسكرية بإستانبول، ثم زار أوروبا، وأرسل إلى فرنسا للتخصص بالمدفعية فتخرج بتفوق على أقرانه ثم نال رتبة يوزباشي وبقي يتدرج في الوظائف حتى نال ولاية (خربوط) ثم قاد حملة على الأكراد أيام (بدرخان) فأطفا الفتنة وأسر (بدرخان) وكان رشيد باشا عسكرياً لامعاً وقد عرضت عليه الوزارة في إستانبول أو ولاية بغداد، فاخترت ولاية بغداد سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م وكان إدارياً حازماً. فسير البواخر في دجلة ونشط التجارة وكثرت في عهده الواردات. وكان شديد المراقبة للموظفين. وأنشأ إصلاحات في الري. وهو الذي أوصل ماء نهر الخالص إلى بغداد. من (التحويلة) وهو الذي أنشأ محلة (الوزيرية) ببغداد وإليه تنسب وتسمى (المشيرية) أيضاً.

كما أنه أخضع نجداً والحجاز وكانت رتبته مشير أوردى العراق والحجاز. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبد الباقي العمري حيث أرح ولايته بقول:

شدت به الزوراء أزرأ فإن ضاق خناق حل منه الوثاق
لا زال مريحاً لمحق العدا ودام بدرأ سألماً من محاق
بشرى لبغداد فقد أرحوا (إلى رشيد أب قطر العراق)

=

نُهَنِّي (العراق) بحكمٍ جديدٍ
بحكم (الرشيد) مُشيرِ (العراق)
مُشيرٍ إذا استمطرَ البَرَقاتِ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ لَقَدْ خَصَّهُ
فَنَامَتْ بِهِ فَتَنٌ بِأَسْهَاهَا
وَقَدْ أَقْبَلَ السَّعْدُ إِذْ أَرَّخُوا
وَسُرَّ (الحِجَازُ) بِرَأْيِ سَدِيدِ
مَلَاذِ الطَّرِيدِ مُجِيرِ الرِّشِيدِ
أَغَاثِ الْأَنْبَامِ بَوْدَقِ الْحَدِيدِ
بِأَهْلِ (العراق) الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ
يُبِيدُ الطَّرِيفَ وَيُفْنِي التَّلِيدِ
(أَمَامَ الْمُشِيرِ مُحَمَّدِ رَشِيدِ)

(١٠٦)

وَذَبِّي دَعْتَنِي لِلْحُرُوبِ لِحَاظُهُ
تَصَدَّى لِحَرْبِ الْمُسْتَهَامِ وَمَا لَهُ
فَلَمَّا أَجَلَّتِ الطَّرْفُ أَدْمَيْتُ خَدَّهُ
وَهَيْهَاتَ مِنْ تَلْكَ اللَّحَاطِ خَلَاصُ
سِوَى اللَّحْظِ سَهْمٌ وَالنَّقَابِ دِلَاصُ^(١)
وَأَدْمَى فَوَادِي وَالْجُرُوحُ قِصَاصُ

(١٠٧)

وقال مرحباً بالعلامة أبي الثناء^(١) ومهنياً بالعودة من إستانبول إلى دار السلام

= توفي ببغداد في آخر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٧٣/١٨٥٦م وشيع بموكب مهيب ودفن عند مدخل حفرة الإمام الأعظم بين الرواق وحجرة المرقد. ثم نقل رفاتة إلى مقبرة كلية الشريعة خلف قبة الإمام سنة ١٩٤٠ وكان له ولد اسمه (رشدي باشا) كان متصرفاً في العمارة من سنة ١٢٠٥هـ إلى سنة ١٢١١هـ.

انظر: الترياق الفاروقي ٢٣٢ - ٢٣٣ و٢٤١ وتاريخ بغداد لسليمان فائق ١٦٦-١٦٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧٨/٨ ونشوة المدام ٤٩ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٢٨٦ وموجز تاريخ عشائر العمارة ٤١ وأعيان الزمان وجيران النعمان. مخطوط (للمحقق).

(١) الدلاص: الدرع.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

يَمِيناً بَرَبَ النُّجْمِ والنَّجْمِ إِذْ يَسْرِي
لَقَدْ أَشْرَقَتْ (بِغْدَادُ) مُنْذُ أَتَيْتَهَا
فَرَاخَتْ كَمَا رَاخَتْ خَمِيلُهُ رَوْضَةً
وَمَا سَرَّهَا شَيْءٌ كَمَقْدَمِكَ الَّذِي
وَكَمْ فَارِحَ مِنْ بَعْدِ حُزْنٍ وَرَاخَةً
فَلَا ذَنْبَ لِلْأَيَّامِ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ
تَنَايَيْتَ عَنْهَا لَا مَلَالاً وَلَا قَلِيًّا
وَمَا غَبَّتْ عَنْهَا حِينَ غَبَّتْ حَقِيقَةً
رَأَيْتَ مَقَاماً لَا يَرَى الْفَرَّقُ عِنْدَهُ
وَلَا بَدًّا لِلْأَشْيَاءِ مِنْ نَقْدِ (عَارِفٍ) (٣)

وَمَنْ أَنْزَلَ الْآيَاتِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ (١)
كَمَا تُشْرِقُ الظُّلُمَاءُ مِنْ طَلْعَةِ الْبَدْرِ
سَقَّتْهَا الْغَوَادِي الْمُسْتَهْلُ مِنَ الْقَطْرِ
يُبْدِلُ مِنْهَا صُورَةَ الْيُسْرِ بِالْعَسْرِ (٢)
مَنْ النَّصَبِ الْجَانِي عَلَى الْعَدْلِ بِالْجُورِ
فَقَدْ جَاءَتْ الْأَيَّامُ لِلنَّاسِ بِالْعُدْرِ
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْوَصْلَ مِنْ ثَمَرِ الْهَجْرِ
وَكَيْفَ وَلَمْ تَخْرُجْ هُنَيْهَةً مِنْ فِكْرِ
مَنْ الْعَالَمِ النَّحْرِيرِ وَالْجَاهِلِ الْغَمْرِ
يُمَيِّزُ بَيْنَ الصُّفْرِ وَالذَّهَبِ التَّبْرِ

(١) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (بيات).

(٢) في الأصول (يبدل منها صورة العسر باليسر) والصواب ما أثبتناه. لأن الباء تدخل على الشيء الذي نرفضه ونتركه. والشاعر يريد أن اليسر حل محل العسر.

(٣) السيد أحمد عارف حكمة الله بن إبراهيم عصمة الله بن إسماعيل رائف باشا بن إبراهيم باشا ينتهي نسبة إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما. ولد في محرم من سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٥م، ودرس على علماء عصره. ونبغ في الآداب والفنون وسائر العلوم العقلية والنقلية، وتقلد قضاء مدينة القدس ثم قضاء القاهرة ثم نقل قاضياً في المدينة المنورة. ثم رقي إلى منصب شيخ الإسلام في إستانبول سنة ١٢٦٢هـ. وقد أنشأ له في المدينة المنورة مكتبة عامة ونقل إليها كتبه المخطوطة وجمع إليها نفائس المخطوطات من العالم، وهي لا تزال أمام الحجرة النبوية الشريفة من جهة القبلة ومجاورة لدار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري (وقد زرتها مراراً عديدة) وأقيل من منصب شيخ الإسلام سنة ١٢٧٠هـ وانكب على المطالعة والعبادة وله تأليف ونظم بالعربية والتركية والفارسية. ومن مؤلفاته: (الأحكام المرعبة في الأراضي الأميرية) و(مجموعة تراجم لعلماء القرن الثالث عشر) وكان شاعراً مجيداً وقد قال عن نفسه:

ألم تعلم بأن سماء فكري
تفرس والسدي في المزايبا
تلوح بأفقها شمس المعارف
فيوم ولدت لقبني بعارف

ومن شعره قوله:

إن الزمان يعادي من له شرف
فللشموس زوال حيثما ارتفعت
قواه عند أولي الأنظار برهان
وللبدور إذا يكملن نقصان

وكانت له صلات ومودة مع سائر علماء العالم الإسلامي وأدبائه وشعرائه. وقد مدحه كثير منهم، ولأبي الثناء الألويسي كتاب (شهي النغم في ترجمة عارف الحكم) مخطوط. وتوفي في إستانبول سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م ودفن هناك.

انظر: غرائب الاغتراب ١٣٢ - ١٣٣ والتريق الفاروقي ٢٢٣ و٢٢٥ وحقية البشر ١٤١/١ - ١٤٦ وإيضاح المكنون ٣٧/١ وهدية العارفين ١٨٨/١ والأعلام ١٣٨/١.

غضبت ولا يرضيك إلا نهوضه
فجردتها كالمشرفي عزيمة
وأقلعت عن دارٍ جديرٍ بأنّها
وما زلت تطوي كلَّ بيداءٍ نَفْنَفٍ
وسرت إلى مجدٍ أثيلٍ وسؤددٍ
إلى الغاية القصوى التي ما وراءها
نشرت بأرض الروم علماً طويته
وسرَّ أمير المؤمنين بما رأى (١)
أشار إليك الدين أنك ركنه
وما ظنت الروم (العراق) بأنه
وما شاد (قسطنطين) ما شدت من علأ
فدتك الأعادي من رفيعٍ مخلقٍ
كفى الروم فخراً لو درت مثلما تدري
بما قد حباك الله منه بفضله
وآيتك الآيات جئت بما انطوت
كشفت معماها وخضت غمارها
وأوضحت أسرار الكتاب بفطنة
وقفت على إيضاح كلِّ عويصة
وأغنيت بالأسفار وهي كوامل
ومن حاز ما قد حزت علماً فإنه
إذا احتاجك السلطان تعلم أنه
أرى دولةً أصبحت من علمائها

إذا ربض الليث الهصور على الضر
تتبع آثار الخطوب وتستقري
تشين أباة الضيم فيها وأن تزري
وتركب منها ظهر شاهقة وعر
فمن منزل عز إلى منزلٍ فخر
إذا عدت الغايات مأوى لذي حجر
بجنبك حتى ارتاع في ذلك النشر
ولاح وايم الله منشرح الصدر
وقال له الإسلام أشدُّ به أزي
يجر عليها فيك أريّة الفخر
مؤيدة تبقى على أبد الدهر
كان يبتغي وصلاً من الأنجم الزهر
وهيهات أن تدري وهيهات أن تدري
من الهيبة العظمى ومن شرف النجر
عليها من الأسرار في السر والجهر
وأنفقت في تفسيرها أنفس العمر (٢)
تزيل ظلام الليل عن غرة الفجر
مواقف لم تعرف لزيد ولا عمرو
ثمانية عن ما حوت مائتا سفر (٣)
غنى عن الدنيا ملي من الوفر
بذلك يمتاز المقل من المثري
مؤيدة الأحزاب بالفتح والنصر (*)

(١) السلطان عبدالمجيد خان مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩).

(٢) إشارة إلى تفسير روح المعاني.

(٣) إشارة إلى المجلد الثامن من التفسير المخطوط.

(*) إشارة بديعة جمع فيها أسماء ثلاث سور من القرآن الكريم.

أرعت أولي الألباب منها بحكمة
 قضت عجباً منها العقول بما رأت
 برزت مع (البرهان) في كل موطن^(١)
 فأفسدت للإلحاد أمراً دحضته
 عذوبة لفظ في فصاحة منطلق
 ورب بيان في كلام تصوغه
 وما زلت بالحساد حتى تركتها
 فتكت بها فتك الكمي بسيفه
 وكنت أمني النفس فيك بأن أرى
 وما زال قولي قبل هذا وهذه
 فله عندي نعمة لا يفي بها
 وما نلت مقدار الذي أنت أهله
 كأني بقوم فارقوك فأصبحوا
 تحن إلى مرآك في كل ساعة
 وإن سمحت منهم بمثلك أنفس
 وما صبرت عنك النفوس وإنما
 تغربت عاماً طال كالشهر يومه
 تكلفت أمراً للحلاوة بعده
 وإني بتذكاريك أنا فمئله
 ملأت النوى حتى طربت إلى النوى
 ولو أنني أستطيع عنه تزحزحاً
 وليس لنفسي عنك في أحد غنى
 بعنت إلينا بالحياة لأنفس
 فضم إلينا من يعيد حياتنا
 فيا كثر ما قد نولتنا يد المني

يروح^(*) أرسطاليس منها على دعر
 وما بصرت يوماً بمثلك في عصر
 من البحث لا يبقى اللباب مع القشر
 فليس له فيها ولي من الأمر
 - وعينك - لولا حرمة الخمر كالخمر
 إذا لم يكن سحراً فضرب من السحر
 وقد طويت منها الضلوع على الجمر
 كما يفتك الإيمان في ملة الكفر
 صديقك في خير وخصمك في شر
 لعلي أرى الأيام باسممة الثغر
 بما قد بلغت اليوم حمدي ولا شكري
 على عظم ما نولت من رفعة القدر
 ولوعتهم تذكو وعبرتهم تجري
 فتأسف إن سافرت عنهم مع السفر
 فما هي إلا أسمح الناس بالبر
 يصبرها تعليل عاقبة الصبر
 ويا رب يوم كان أطول من شهر
 ولا تخطب الحسناء إلا على مهر
 صريع مدام لا يفيق من السكر
 وحتي رأيت الأرض أضيقت من شبر
 قذفت إليك العيس في المهمة القفر
 وكيف يرى الظامي غنياً عن البحر
 على رفق يدعو إلى البعث والنشر
 كما ضم شطر الشيء يوماً إلى شطر
 وعادتها الإمساك بالنائل النزر

(١) إشارة إلى كتاب (البرهان في طاعة السلطان) للالوسي.

(*) في الطبعة (١): (بروح) وهو خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

وضاءً مُحَيِّها بِأَيامِكَ العُمرُ
فلا قَابِلَتْنَا بَعْدَ ذاكِ بِالنُّكْرِ
نُشِيرُ إلى رُؤيا الهلالِ مِنَ الفِطْرِ
إِذا كانَ في فِطْرِ وَإِنْ كانَ في نَحْرِ
لِيُذْهِبَ تَعْبِيسَ الحِوادثِ بِالبِشْرِ
وَأيدٍ لِأيدٍ مِنَ أَنامِلِها العِشْرِ
ولِكنَّها مِمَّا يَجِلُّ عَنِ الحِصْرِ

لَتَصِفُوا لَنَا الدنِيا فَقدَ طابَ عَيشُنَا
أَعادَتْ عَلينا العُرفَ مِنَ بَعْدِ فَقدِهِ
نُشِيرُ إلى هِذا الجِنايِ كَأَنَّنا
وما كانَ يَومُ العَيدِ عِندي بِمِثْلِهِ
وذلكَ يَومُ يَعلَمُ اللهُ أَنَّهُ
لَكَ الفِضْلُ والحُسنى قَريباً وَنائياً
ولو حُصِرَتْ^(*) أيدِيكَ فينا حَصَرَتْها

(١٠٨)

وقال [وهي من الوافر]:

وقَد شَهِدَتِ عَلَيبَ بِهِ الدُّمُوعُ
لِما أودَى بِكَ البَرَقُ اللَّمُوعُ
تُكْتَمُ ما تُكابِدُ أو تُذِيعُ
تُشَوِّقُهُ المَنازِلُ والرُّبُوعُ
بِحيثُ الشَّمْلُ مُلِتَتْمُ جَمِيعُ
ألا بَعْدَ العُروبِ لَها طُلُوعُ
عَلى مَخَضٍ وَلِكنَّ لا يُطِيعُ
تَحَمَّلُ بِالهَوى ما يَسْتَطِيعُ

أَتُنْكَرُ مَنكَ ما تَطُوي الضُّلُوعُ
وَلِولا أَنَّ قَلْبَكَ مُسْتَهَامُ
ولا هاجتِ شُجونَكَ هاتِفاتُ
تَشَوِّقُكَ الرُّبُوعُ وَكلُّ صَبِّ
لَيالٍ بِالتَّواصِلِ ماضِياتُ
وأقمارُ غَربِينَ فليتِ شِعْري
أَمَرْتُ القَلْبَ أَنْ يَسْأَلُواها
وما أَشْكو الهَوى لو أَنَّ قَلْبِي

(١٠٩)

وقال مادحاً السيد عبد الحميد أفندي^(١) متصرف العمارة [وهي من الوافر]:

(*) في الطبعة (١): (حُصِدَتْ) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه. بدليل قوله (حصرتها) في نهاية الصدر، و(الحصر) في نهاية العجز، وتم تصويبها من الطراز الأنفس.

(١) لم نعثر له على ترجمة.

أَنِيخَاهَا فَقَدْ بَلَغَتْ مُنَاهَا
 سَلَكَتُ بِهَا فِجَاجَ الْأَرْضِ حَتَّى
 فَسَلَّنِي كَيْفَ جَابَتْهَا قِفَاراً
 وَمَا أَنْسَى الْوُقُوفَ عَلَى رُسُومِ
 قَضَى بِوُقُوفِهِ الْمُشْتَقُّ فِيهَا
 وَقَفْتُ أَنْاشِدُ الْأَطْلَالَ مِنْهَا
 وَادُّكُرُ مَا هُنَالِكَ طَيْبَ عَيْشٍ
 جَرِينَا فِي مَيَادِينِ التَّصَابِي
 فَوَاهِئاً لِلذَّائِدِ كَيْفَ وَلَّتْ
 تُدَارُ مِنَ الْمُدَامِ عَلَى النَّدَامِ
 وَالْحَانَ الْمَثَلُ وَالْمَثَانِي
 وَيَنْظُمُنَا اجْتِمَاعُ فِي رِيَاضٍ
 وَقَدْ أَمَلَتْ حَمَائِمُهَا عَلَيْنَا
 كَأَنَّ الْوُرُقَ حِينَ بَكَتْ وَأَبَكَتْ
 تُكْتَمُ أَدْمَعاً وَتَبُوحُ وَجْداً
 وَرُبَّ مُدِيرَةٍ كَأَسِّ الْحُمَيَّا
 وَمُسْوَدِّ الْإِهَابِ مِنَ الدِّيَاجِي
 وَعَانَقْتُ الْقَوَامَ الْأُدْنَ مِنْهَا
 فَأَوْنَةً تُرَشِّفُنِي طِلَاهَا
 وَمَنْ عَجِبَ أَذِلُّ لِيذَاتِ دَلٍّ
 وَلِي نَفْسٌ مَتَى دَعِيَتْ لِذُلٍّ
 أَبَتْ نَفْسِي مُدَانَةَ الدُّنْيَا
 وَهَلْ تَسْتَعْبِدُ الْأَطْمَاعُ حُرّاً
 وَلَسْتُ أَلَيْنُ وَالْأَيَّامُ تَفْسُو
 وَأَرْضٌ يَفْرُقُ الْخَرِيَّتُ فِيهَا (١)

وَغَادَرَهَا الْمَسِيرُ كَمَا تَرَاهَا
 أَضْرَبُ بِهَا وَأُوَهِّنُهَا قُوهَا
 وَكَيْفَ طَوْتُ فِدَافِدَهَا خُطَاهَا
 عَنَانِي فِي الصَّبَابَةِ مَا عَنَاهَا
 وَجُوهَا يَا أُمَيْمَةً لَا أَرَاهَا
 دُونَاً لِلْمَنَازِلِ مَا قَضَاهَا
 بِهِ تَجْرِي النَّفُوسُ عَلَى مَدَاهَا
 إِلَى اللَّذَاتِ نَسْتَحْلِي جِنَاهَا
 وَأَهَا مِنْ تَصَرُّمِهَا وَأَهَا
 كَوْسُ الرِّاحِ تُشْرِقُ فِي سَنَاهَا
 يُغَنِّيهَا فَتَطْرَبُ فِي غِنَاهَا
 نِثَارُ الطَّلِّ يُلْبِسُهَا حُلَاهَا
 مِنَ الْأَوْرَاقِ شَيْئاً مِنْ أَسَاهَا
 رَمَاهَا بِالْقَطِيعَةِ مِنْ رَمَاهَا
 وَتُعْرَبُ مَا هُنَالِكَ عَنْ جَوَاهَا
 أَخَذْتُ بِكَفِّهَا وَرَشَفْتُ فَاها
 كَشَفْتُ بِشُهْبِ أَكُوسِنَا دُجَاهَا
 وَعَيْنُ الْوَاشِي يَحْجُبُهَا عَمَاهَا
 وَأَوْنَةً تُرَشِّفُنِي لِمَاهَا
 وَتَسْبِينِي الْمَحَاسِنُ فِي هَوَاهَا
 نَهَاها عَنْ إِجَابَتِهِ نَهَاها
 وَأَعْنَتُهَا الْقَنَاعَةُ عَنْ غِنَاهَا
 إِذَا عُرِضَتْ لَهُ الدُّنْيَا زِدْرَاهَا
 بِشِدَّتِهَا وَلَمْ أَطْلُبْ رَخَاهَا
 وَيَفْرَعُ مِنْ مَهَالِكِ مَا يَرَاهَا

(١) الخريت: الدليل المجرب الماهر.

سَلَكْتُ فِجَاجَهَا وَمَرَقْتُ مِنْهَا
سَلِينِي كَيْفَ جَرَبْتُ اللَّيَالِي
بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ
فَلَمْ أَزِدْ بِهَا إِلَّا اخْتِياراً
وَفِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) بَدِيعُ شِعْرِي
نَعِمْتُ بِفَضْلِهِ وَشَكَرْتُ مِنْهُ
فَمَا اسْتَعَذَبْتُ غَيْرَ نَدَى يَدِيهِ
فَلَوْ أَنِّي وَرَدْتُ الْبَحْرَ عَذْباً
وَإِنَّ اللَّهَ أَوْدَعَ فِيهِ مَعْنَى
مِنَ السَّادَاتِ مِنْ أَعْلَى (قَرِيشٍ)
شَدِيدُ الْبَأْسِ الْلَطْفُ مِنْ نَسِيمٍ
يَخُوضُ غِمَارَهَا الْهَيْجَاءُ خَوْضاً
وَيَرْفَعُ رِايَةَ الْمَنصُورِ فِيهَا
وَتِلْكَ رِئَاسَةٌ وَعُلُوٌّ قَدْرٌ
تُورِيهِ بِوَاطِنِ الْأَرَاءِ تَبْدُو
أَرْثُهُ زِينَةَ الْأَمْجَادِ تَزْهُو
تَوَلَّى وَالْوَلَايَةَ فِيهِ أَضْحَتْ
أَمْوراً فِي الرِّيَاسَةِ يَبْتَدِيهَا
وَأَحْيَا ب(الْعِمَارَةَ) كُلَّ أَرْضٍ
وَأَمَّنَ بِالصِّيَانَةِ سَاكِنِيهَا
حَمَاهَا حَيْثُ كَانَتْ مِنْ لَدُنْهُ
وَدَبَّرَهَا بِالطَّفْلِ لَا بَعْنَفٍ
وَكَفَّ يَدَ الْخُطُوبِ السُّودِ عَنْهَا

مُرُوقَ النَّبْلِ يَبْعُدُ مُرْتَمَاهَا
وَكَيْفَ عَرَفْتُهَا وَعَرَفْتُ دَاهَا
وَكَانَتْ بِهَا أَحَقُّ مِنْ ابْتِلَافِهَا
وَلَمْ أَزِدْ بِهَا إِلَّا أَنْتِبَافِهَا
مَنْاقِبُ عَنْ مَعَالِيهِ رَوَاهَا
يَدًا لَا زَالَ يَغْمُرُنِي نَدَاهَا
وَمَا اسْتَعَذَبْتُ مِمَّا عَدَاهَا
أَنْفَتُ مِنَ الْمَوَارِدِ مَا خَلَاهَا
لِتَسْمِيَةِ الْمَكَارِمِ مُذَبَّرَاهَا
سَلَالَةَ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ (طه)
تُعَطَّرُهُ الْأَزَاهِرُ مِنْ شَذَاهَا
وَمَاءُ الْمَوْتِ يَرْشَحُ مِنْ ظَبَاهَا
وَيَخْفِضُ مِنْ أَعْيَادِهِ الْجِبَاهَا
إِلَيْهِ الْعِزُّ يَتَّجِهُ اتِّجَاهَا
فَلَمْ تَحْجُبْ لِعَمْرِكَ مَا وَرَاهَا
بِأُرْدِيَةِ الْمَحَاسِنِ فَارْتَدَاهَا
تَزِيدُ بَعِزَّهُ عِزًّا وَجَاهَا
وَيَعْلَمُ بَعْدَ ذَلِكَ مُنْتَهَاهَا
وَأَجْرِي فِي ضَوَاحِيهَا الْمِيَاهَا
وَأَصْبَحَ فِيهِ مَحْمِيًّا حِمَاهَا
بِعَيْنِ عَنَايَةِ مَمَّنْ رَعَاهَا
فَأرْشَدَهَا وَالْهَمَّهَا هُدَاهَا
فَمَا مُدَّتْ إِلَى أَحَدٍ يَدَاهَا

فَهَلْ مِنْ مُبْلَغِ عَنِّي ثَنَاءً
بِمَا (*) أُسْدَى مِنَ الْحُسْنَى إِلَيْنَا
تَفَرُّسَ بِالرِّجَالِ فَزَادَ عِلْمًا
بَاغْنَا غَايَةَ مِنْ لُطْفِ مَوْلَى
وَسَيَّرْنَا لِسَاحَتِهِ الْأَمَانِي
إِلَيْكَ رَكِبْتُهَا فِي الْبَحْرِ تَجْرِي
تَنْفَسُ بِالدُّخَانِ وَفِي حَشَاهَا
وَيَخْفِقُ وَهِيَ مِثْلُ الطَّيْرِ سَبْحًا
جَرَّتْ مَجْرَى الرِّيحِ بِلَا تَوَانٍ
وَمَا زَلْنَا بِهَا حَتَّى بَلَّغْنَا
بَقِيَّتَ لَنَا مَدَى الْأَيَّامِ نُحْرًا
فَمِثْلُكَ فِي الْمَكَارِمِ لَا يُجَارَى

(تقي الدين) يشكره شفاها (١)
وما عرف الأماجد فاجتباها
فولأها الأمور بمقتضاها
بشير للمؤمل مبتداها
فألقت في مغانيه عصاها
من الفلك السوابق في سراها
لظى نار مسعرة لظاها
جناحها إذا دارت رحاها
فما احتاجت إلى ريح سواها
من الآمال أقصى مبتغاها
نراها فيك أحسن ما نراها
ومثلك في الأكارم لا يضاهي

(١) الوالي تقي الدين باشا تسلّم ولاية بغداد يوم الأربعاء ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م وبقي فيها سنتين، ثم وليها ثانية سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م وبقي فيها سبع سنوات، وكان والياً جيداً مصلحاً ذكياً، مدحه كثير من الشعراء منهم أحمد عزة الفاروقي بقصيدة جاء فيها:

وَإِذَا تَتَبَعْتَ الرِّجَالَ بِدَهْرِنَا
فَاذْكَرْ (تقي الدين) خَيْرَ رِجَالِهِ
تَتَفَاخِرُ الوُزَرَاءُ فِي أَفْعَالِهَا
أَنْ يَنْسَجُوا يَوْمًا عَلَى مَنْوَالِهِ

كما مدحه الشيخ عباس العذاري الحلي بقوله:

وَالِي الْوِلَايَةِ مِنْ تَسَاوَى عِنْدِهِ
فِي حِكْمِهِ الضَّعُفَاءُ وَالْعِظْمَاءُ
هَذَا (تقي الدين) وَالْمَلِكُ الَّذِي
خَضَعَتْ لِهَيْبَتِهِ عِزُّهُ الْأَمْرَاءُ
وَعَلِيهِ عُنْوَانُ الوِزَارَةِ ظَاهِرٌ
وَيُوجِهُهُ مِنْهَا لَهُ سَيِّمَاءُ
فَلْتَهْنِ بِغَدَادِ بَأَنْ وَزِيرِهَا
الْمَلِكُ الْأَغْرَ الْمَاجِدِ الْمَعْطَاءُ

ومدحه كذلك الشيخ محسن العذاري وغيره.

انظر: ديوان أحمد عزة الفاروقي الورقة ١٢٦ مخطوط، وشعراء الحلة ٣/٢٥٤ و٤/٣١٠ ودليل خارطة بغداد ٢٩٤.

(*) في الطبعة (١): (ربما) وهو خطأ طباعي وتم التصويب على الطراز الأنفس.

(١١٠)

فِي الْأَرْبَعَاءِ لِحَمْسٍ كَنْ مِنْ صَفَرٍ
بَدْرُ الْمَسْرَّةِ شَاهِدُنَا مَطَالَعَهُ
أَرْخَتْ (طَالِعَ دَاوِدَ بِمَوْلِدِهِ
كَانَتِ الشَّمْسُ بِالْجَوَازِ طَالِعَهُ)
١٢٨٥هـ

(١١١)

وقال مادحاً المشير محمد نامق باشا^(٢) ومهنياً بالوسام الذي منحه إياه السلطان

هُنَيْتَ بِالْفَرْمَانَ وَالنَّيْشَانَ^(٤)
مَلِكٌ إِذَا عُدَّ الْمُلُوكُ وَجَدَتْهَا
مُتَفَرِّدٌ فِي الْعَالَمِينَ وَوَاحِدٌ
وَتَقُولُ إِنْ أَبْصَرْتَهُ فِي مَوْكَبٍ
خَلَبَ الْقُلُوبَ جَمَالُهُ وَجَلَالُهُ
نَعِمْتَ بِدَوْلَتِهِ الْبِلَادُ وَأَشْرَقَتْ
مِنْ جَانِبِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
مِنْ دُونِهِ بِالْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ
بَيْنَ الْأَنْبَاءِ فَمَالَهُ مِنْ ثَانِ
أَسَدُ الْأَسْوَدِ بِحَوْمَةِ الْمَيْدَانِ
فَجَلَالُهُ وَجَمَالُهُ سَيِّانِ
إِشْرَاقَ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَيَّانِ

(١) السيد داود ضياء الدين ابن السيد سلمان ابن السيد علي النقيب القادري. ولد ببغداد سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م ونشأ محباً للعلم والفضل، وكان عضواً في مجلس الأمة العراقي عند تشكيل الحكومة العراقية. وله خدمات مشكورة ومواقف محمودة في قضاء حوائج الناس. وكان له مجلس عامر يتردد إليه أفاضل الناس أمثال علي علاء الألويسي قاضي بغداد وعبد الوهاب النائب ومحمد طاهر الراضي كما كان يتردد إليه أعيان الطوائف من اليهود والنصارى. توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤/١٩٣٥م ودفن في الحضرة الكيلانية ببغداد وأعقب ذرية من بعده وهم السادة أحمد جمال الكيلاني المتوفي سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م وحسن صائم الكيلاني ومحمد قاسم وكاظم نزار مع ثلاث بنات. انظر: البغداديون للدروبي ١٣ - ١٥.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

(٤) الفرمان: المرسوم السلطاني، والنيشان: هو الوسام الذي منحه السلطان عبدالعزيز خان إلى الوزير نامق باشا سنة ١٢٨١هـ.

وَأَمَدَهَا مِنْ سِيرَةٍ نَبَوِيَّةٍ
وَلَقَدْ أَعَزَّ الدِّينَ دِينَ مُحَمَّدٍ
وَلَقَدْ تَلَفَى اللَّهُ فِيهِ عِبَادَهُ
فَاللهُ يَعْلَمُ وَالْبَرِيَّةُ كُلُّهَا
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوِهَا
قَدْ كَانَ سِرَّ اللَّطْفِ فِيهِ مُكْتَمًا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللهُ فِي تَأْيِيدِهِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى طَوِيَّةِ ذَاتِهِ
أَيَقْنَتَ أَنْ وَجُودَهُ لَوْجُودِنَا
مَلِكٌ إِذَا زَحَرَتْ بِحَارِ نَوَالِهِ
فَاقَتْ (بنو عثمان) فِي سُلْطَانِهَا
فَتَحَوُا الْبِلَادَ وَدَوَّخُوهَا عَنُودَةً
فَهُمُ الْعِبَادُ الصَّالِحُونَ وَذِكْرُهُمْ
هَذَا (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) وَهَذِهِ
جَعَلَ (العراق) بـ(نامق) فِي جَنَّةٍ
فَرَدُّ مِنَ الْأَفْرَادِ بَيْنَ رِجَالِهِ
نِعْمَ (*) الْمُشِيرُ عَلَيْهِ فِي آرَائِهِ
مَا حَلَّ فِي بَأْسٍ وَأَبَ لِنَزْلِ
لَا تَعْجَبَنَّ لـ(نامق) فِي فَتْكِهِ
تَرَوِي صَوَارِمَهُ الْفَخَارَ عَنِ الْوَعَى
يَفْتَضُّهَا بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا
وَلِرَبِّمَا أَعْنَتُهُ شِدَّةٌ بِأَسِهِ
أَعْيَانٌ مِنْ رَفَعِ الْوِزَارَةِ شَأْنَهَا

فِي حِكْمَةٍ بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ
(عَبْدُ الْعَزِيزِ) بِمَلِكِهِ الْخَاقَانِي
فَالنَّاسُ مِنْهُ بِحَوْزَةٍ وَأَمَانٍ
أَنَّ الْمَلِيكَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ
يَغْشَى بِكُلِّ النَّفْعِ كُلِّ مَكَانٍ
حَتَّى اسْتَبَانَ وَضَاقَ بِالْكَتْمَانِ
أَنْ يُرْجَعَ الطَّاعِينَ بِالْخِذْلَانِ
نَظَرًا إِلَى الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ
كَالْمَاءِ يَنْقَعُ غُلَّةَ الظُّمَّانِ
يُخْشَى عَلَى الدُّنْيَا مِنَ الطُّوفَانِ
بِالدِّينِ وَالدُّنْيَا (بَنِي سَاسَانَ)
وَجَرَتْ مَدَائِحُهُمْ بِكُلِّ لِسَانٍ
قَدْ جَاءَ بَعْدَ الذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ (١)
أَثَارُهُ مِنْ حَازِمٍ يَقْظَانِ
مَحْفُوفَةٍ بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ
لَمْ يَخْتَصِمِ بِكَمَالِهِ إِثْنَانِ
الصَّادِقُ الْعِزْمَاتُ (**) فِي التَّوَرَانِ
إِلَّا وَأَمَنَّا مِنْهَا مِنَ الْحَدَثَانِ
لَيْتُ الْحَرُوبِ وَفَارَسُ الْفُرْسَانِ
لَا عَنْ فُلَانٍ حَدِيثُهَا وَفُلَانِ
بِكُرًّا مِنَ الْهَيْجَاءِ غَيْرِ عَوَانِ
عَنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ وَكُلِّ يَمَانِيٍّ
أَلْفَتُهُ عَيْنُ أَوْلَيْكَ الْأَعْيَانِ

(١) اقتباس من قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) سورة الأنبياء الآية (١٠٥).

(*) في الطبعة (١): (تعم) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.
(**) في الطبعة (١): (العرفات) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يا أيها الركن الأشد لدولة
دارت بشأنيها رحي تدميرها
أحكمتها بالصدق منك مبانياً
فحظيت من ملك الزمان بما به
ولقد بلغت من العناية مبلغاً
سُست (العراق) سياسةً ملكيةً
وسعت كل الضيق من أحوالها
قربت أرباب الصلاح بأسرهم
وكذا (الهماوند) الذين تنمروا^(٢)
دمرتهم لما علمت فسادهم
خلعوا من السلطان طاعته التي
لله درك من حكيم عارف
جردت من همم الرئيس مهتداً
وعلمت ما في بأسه من شدة
لباك حين دعوته لقتالهم
فمضى بأعناق العصاة غراره
فكسا بما أمضى بهم بيض الظبي
وسرت به من طيب ذاتك نفحة
هئيت بالولد (الجميل) ونيله^(٣)

بُنيت قواعدها على أركان
فكأنها الأفلاك بالدوران
في غاية الأحكام والإتقان
فخر على الأمثال والأقران
يسمو برتبته على كيوان^(١)
ما ساسها ذو التاج (نوشروان)
حتى من الطرقات والبنيان
ومحوت أهل البغي والعصيان
وتمردوا بالظلم والعدوان
وضرارهم بالأهل والأوطان
في غيرها نزع^{*} من الشيطان
إن الحسام دواء داء الجاني
ما أعمدته القين في الأجان
مع أنه في لطفه روحاني
لا بالبطي لها ولا المتواني
والسيف لم يقطع بكف جبان
بدم من الأوداج أحمر قاني
عطريته الأنفاس والأردان
رتب العلاء من حضرة السلطان

(١) كيوان: زحل.

(٢) قبائل الهماوند في عراق العجم، وهي من القبائل الكردية.

(٣) جميل باشا بن نامق باشا. كان برتبة أمير لواء. وقد زار بغداد في ولاية أبيه، وكانت له صلوات ومودة مع علماء

بغداد وأديانها. ومدحه الشعراء ومنهم عبد الباقي العمري وأحمد عزة العمري بقوله:

يا كعبة الفضل التي طاف حولها ليستلم الأركان وفد على وفد
وحجت لها الآمال من كل وجهة وفازت بما ترجوه من غاية القصد
ولما رأيت الطالبين لبابها تحت المطايا في ذميل وفي وخذ

وقد اجتمع به أبو الثناء الألويسي في الأستانة سنة ١٢٢٧هـ وأثنى عليه.

انظر: نشوة الشمول ٤٧ وحديقة الورود ١/١٥٢ - ١٥٣ مخطوط.

(* في الطبعة (١): (نزع) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفاس.

لا زال مَنْصُوراً مَدَى الأَزمانِ
والفَخْرُ في نِيشانِك العِثماني
كالنَّجْمِ بُلْ كَالشَّمْسِ في اللِّمَعانِ
بالعِزِّ والتَّمكِينِ والإِمكانِ
فَرَأَتْ بهِ (بِغدادُ) سَعَدَ قِرانِ
تَجَلُّو القُلُوبِ بهِ مِنَ الأَحزانِ

أَضْحَى أُميرَ لوائِهِ في عَسْكرِ
وبِما حَبابَكَ اللهُ في تَأْييدِهِ
لأَحْتِ أَشعَّتُهُ عَلَيبِكَ لَجُوهِرِ
هَذَا مَحَلُّ الإِفْتِخارِ فَدُمَ بِهِ
قِرْنِ (*) المُوَيْدُ جُوهراً في جُوهِرِ
فَرَحٌ عَلَي فَرَحٍ يَدُومُ سُرُورُهُ

(١١٢)

وقال مادحاً السيد عبدالرحمن وصفي بك ابن شريف بك^(١) معاون متصرف

فاقْضِ فيهِها لَها عَلَيبُ دِيونِنا
أَشْرَقَتْ أَوْجُهاً ولانَتْ عُصونِنا
جَنَّةً أُلْزِفَتْ وِجِوراً وَعَينِنا
مِثْلَما كُنْتَ لِلهَزْبِ عَربِنا

هذه الدارُ ما عسى أن تكونا
كان عهدي بها ومن كان فيها
يا دياراً عَهدتُها قَبْلَ هذا
كنتِ لِلشَّابِينِ الأَعَنُّ كِناساً

(١) عبدالرحمن وصفي بك ابن شريف بك ابن ياسين أفندي زاده الموصلية. ابن خال الشاعر عبدالباقي العمري. وقد هنأه العمري بزفافه سنة ١٢٧٠ هـ حيث قال:

وتلك وسطى العقد الفريد	دام لجيد الفخار عقداً
يمرح في عيشه الرغيد	تحت ذرى والسد شريف
من راح يزري بابن العميد	ما راق شعري بنعت (وصفي)
ينشي فينسي عبدالحميد	فيما لله كاتب بليغ
بالبشر في أطيب النشيد	وافى بريد الهنا ينادي
ابن شريف بنت السعيد	إذ قال باليمن حاز أرخ

وكان أديباً بليغاً عارفاً وإدارياً حازماً، ترقى في الوظائف الإدارية، حتى نال وظيفة معاون متصرف في (الناصرية) المنتفق. ثم تسلم ولاية بغداد سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م وبقي فيها سنتين.

انظر: الترياق الفاروقي ٣٨٦ ودليل خارطة بغداد ٣٩٤.

(*) في الطبعة (١): (فرن) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (دراسات) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

قَدْ وَقَفْنَا عَلَى بَقَايَا رُسُومٍ
 فَبَذَلْنَا لَهَا ذَخَائِرَ دَمْعٍ
 ذَكَّرْتَنَا الْهَوَى وَعَهْدَ التَّصَابِي
 هَلْ عَجِبْتُمْ وَالْحُبُّ أَمْرٌ عَجِيبٌ
 أَوْ سَأَلْتُمْ بَعْدَ النَّوَى عَنْ فَوَادِي
 وَبِنَفْسِي أَحَبُّهُ يَوْمَ بَانُوا
 عَرَضُوا حِينَ أَعْرَضُوا ثُمَّ قَالُوا
 إِنَّ أَطْلُنَا الْحَنِينَ شَوْقاً إِلَيْكُمْ
 رَبُّ وَرِقَاءٍ غَرَّدَتْ فَشَجَّتْ نِي
 رَدَّدَتْ نَوْحَهَا فَرَدَّدَتْ مَنِي
 رَدَّدِي مَا اسْتَطَعَتْ أَيَّتَهَا الْوَرْدُ
 وَأَعِيدِي شَكْوَى الْغَرَامِ عَلَيْنَا
 لَوْ شَكَوْنَاكَ مَا بَنَا لَشَرْحْنَا
 مَا أَطْعَمْنَا اللَّوَامَ وَالْحُبُّ يَأْبَى
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَرَاشِفِ أَلْمَى
 لِأَنَّ عَطْفاً مَهْفُفٌ الْقَدُّ قَاسٍ
 يَا شِفَائِي مِنْ عِلَّةٍ بَرَّحْتُ بِي
 يَا تُرَى تَجْمَعُ الْمَقَادِيرُ مَا كَا
 فِي لَيْالٍ أَمْضَيْتُهَا بَعْنَاقٍ
 فَرَقْتُنَا أَيَدِي النَّوَى فَاْفْتَرَقْنَا
 بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ نَنْتَحِيهِ
 أَسْعَدَ اللَّهُ فِرْقَةَ الْعَزِّ لَمَّا (١)
 قَدَّمْتَهُ الْوَلَاةُ وَاتَّخَذْتَهُ
 وَاسْتَمَدَّتْ مِنْ رَأْيِهِ فَلَقَّ الصَّبَّ
 جَذَبَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ إِلَيْهِ

دَارِسَاتٍ (**) كَأَسْطَرٍ قَدْ مُحِينَا
 كَانَ لَوْلَا الْوَقُوفُ فِيهَا مَصُونَا
 فَذَكَّرْنَا مِنْ عَهْدِهَا مَا نَسِينَا
 كَيْفَ يَسْتَعْذِبُ الْعَذَابَ الْمُهِينَا
 فَسَلُّوا الظَّاعِنِينَ وَالنَّازِحِينَ
 حَرِّمُوا النَّوْمَ أَنْ يَمَسَّ الْجُفُونَا
 قَدْ فَتَنَّاكَ فِي الْغَرَامِ فُتُونَا
 فَعَلَى الصَّبِّ أَنْ يُطِيلَ الْحَنِينَا
 وَكَذَلِكَ الْحَزِينَ يُشْجِي الْحَزِينَا
 زَفْرَةً تَصْدَعُ الْحَشَا وَأَنْيِينَا
 قُ شَجُونَا مِنْ الْأَسَى وَلُحُونَا
 وَاجْهَدِي لَا شَقِيَّتِ أَنْ تُسْعِدِينَا
 لَكَ مِنْ لَوْعَةِ الْغَرَامِ مُتُونَا
 أَنْ يُطِيعَ السَّمْتِيمُ اللَّائِمِينَا
 أَوْدِعِ التَّغْرُ مِنْهُ دَرًّا تَمِينَا
 كَأَمَا زَادَ قَسْوَةً زِدْتُ لِينَا
 إِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ دَاءً دَفِينَا
 نِ وَأَنْئِي لَنَا بِهَا أَنْ تَكُونَا
 لَا يَظُنُّ الْمُرِيبُ فِينَا الظُّنُونَا
 وَرُمِينَا بِبَيِّنِهَا وَابْتُلِينَا
 فَشِمَالاً طَوْرًا وَطَوْرًا يَمِينَا
 كَانَ (عبدالرحمن) فِيهَا خَدِينَا
 فِي الْمُلَمَّاتِ صَاحِبًا وَمُعِينَا
 حَ بَيَانًا مِنْهُ وَعِلْمًا رَصِينَا
 وَحَبَابَهُمْ بِفَضْلِهِ أَجْمَعِينَا

(١) فِي نَسْخَةِ الْإِنْكِرَالِي: (أَسْعَدَ اللَّهُ أَلْ سَعْدُونَ لَمَّا).

فَرَأَتْ مَا يَسْرُهَا مِنْ كَرِيمٍ
شَيْمٍ عَنِ أَبَائِهِ فِي الْمَعَالِي
تَسْتَحِيلُ الْحُزُونَ فِيهِ سُهُولاً
وَيَهُونَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ لَدِيهِ
زَانَ مَا شَانَ فِي حَوَادِثِ شَتَى
فَإِذَا قَسَمْتُهُ بِأَبْنَاءِ عَصْرِي
قَدْ وَجَدْنَاكَ وَالرَّجَالَ ضُرُوبُ
عُرُوةً مِنْ عُرَى السَّعَادَةِ وَتُقَى
هَذِهِ النَّاسُ مِنْذُ جِئْتَ إِلَيْهَا
كُلَّ أَرْضٍ تَحُلُّهَا كَانَ أَهْلُو
وَإِذَا رُوِعَتْ وَمِثْلُكَ فِيهَا
يَا شَرِيفَ الْأَخْلَاقِ وَابْنَ شَرِيفِ
أَحْمَدُ اللَّهُ أَنْ رَأَيْتُكَ عُيُونِي
وَشَمَمْنَا مِنْ عَرَفِ ذَاتِكَ طَيْباً
وَوَرَدْنَا نَدَاكَ عَذْباً فُورَاتاً
لَكَ فِي الصَّالِحَاتِ مَا سَوْفَ يَبْقَى
حُزْنَتْ فَهَمّاً وَفَطْنَةً وَذُكَاءً
وَتَوَلَّيْتَ فِي الْحَقِيقَةِ أَمْراً
سِيرَةً تُرْتَضَى جُبِلَتْ عَلَيْهَا
فَاهِنٌ (*) بِالصُّومِ وَالْمَثُوبَةِ فِيهِ

مِنْ سَرَاتِ الْأَشْرَافِ وَالْأَنْجَبِينَا
أَسَاكِنَتُهُ طَرِيقَهَا الْمَسْنُونَا
بَعْدَ مَا كَانَتْ السُّهُولُ حُزُونَا
وَحَرِيٌّ بِمِثْلِهِ أَنْ يَهُونَا
وَمَحَا مَا يَشِينُ فِي مَا يَزِينَا (١)
كَانَ أَعْلَى كَعْباً وَأُنْدَى يَمِينَا
وَالتَّجَارِيْبُ تُظْهَرُ الْمَكْنُونَا
قَدْ وَثِقْنَا بِهَا وَحَبْلًا مَتِينَا
زَجَرْتُ مِنْكَ طَائِراً مَيِّمُونَا
هَا بِمَا تَرْتَجِيهِ مُسْتَبْشِرِينَا
أَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ أَمِينَا
أَشْرَفَ النَّاسِ أُثْبِتَ النَّاسِ دِينَا
فَرَأَتْ مَا يَقْرُفِيكَ الْعُيُونَا
فَكَأَنِّي إِذْ ذَاكَ فِي (دَارِينَا) (٢)
إِنَّمَا أَنْتَ مَنْهَلُ الْوَارِدِينَا
ذَكَرْهَا فِي الْجَمِيلِ حِينَا فَحِينَا
وَتَفَنَّنْتَ فِي الْأُمُورِ فُنُونَا
كَانَ مِنْ لُطْفِهِ الْمُهَيِّمِ فِيْنَا
وَمَزَايَا تَرْضَى بِهَا الْعَالَمِينَا
وَجَزِيلِ الصِّيَامِ فِي الصَّائِمِينَا

(١) جعل الشاعر (ما) بمعنى (أن) وأعطاهما حكمها.

(٢) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري. فتحها الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ هجرية (معجم البلدان ٤٢٢/٢).

(*) في الطبعة (١): والطران الأنفس (فاهنا) مما يكسر الوزن، فضلاً عن أنه فعل أمر يجزم بحذف الألف، أو أنه (فاهنا) وسهلت الهمزة والألف هنا لا تلفظ.

رَفِيقِي بِالْفُسُوقِ وَبِالْفُجُورِ
لَقَدْ ضَيَّعْتَ أَوْقَاتَ السُّرُورِ
وَمَا لَكَ فِي مَتَابِكٍ مِنْ عَذِيرِ
تَصِيرُ بِهَا إِلَى بئْسَ الْمَصِيرِ^(٣)
فَأَسْحَبُ ذَيْلَ مُخْتَالِ فَخُورِ
بِهِ الْأَيَّامُ بِاسْمَةِ التَّنْغُورِ
وَرُحْنَا بِالْمُدَامِ بِلا شُعُورِ
فَمَا نَدْرِي الْمَسَاءَ مِنَ الْبُكُورِ
تَطَاعُنُهُنَّ بِالرُّمَحِ الْقَصِيرِ
وَحُذَّهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ^(٤)
سَلَلْتَ سُلُولَ غَرْمُولِ الْحَمِيرِ
وَمَيَّزْتَ الْإِنَاثَ عَلَى الذُّكُورِ

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَرَضِيعِ كَأْسِي
عَلَامَ صَدَدْتِ عَنْ كَأْسِ الْحَمِيَا
أَبْعُدَ الشَّيْبَ وَيُحَكَّ تُبِتَ عَنْهَا
وَكَيْفَ عَدَلْتَ عَنْ حَالَاتِ سَوْءِ
لَبَسْتِ بِهَا وَإِيَاكَ الْمَخَازِي
أَتَنْسَى كَيْفَ قَضَيْنَا زَمَانًا
وَكُنَّا كَلَّمَا بِنْتِنَا سُكَارِي
وَقُمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ وَاصْطَبَحْنَا
وَأَنْتَ مَعَ الْعَوَاهِرِ وَالزَّوَانِي
وَكُنْتَ تَقُولُ لِي إِشْرَبْ هَنِيئًا
وَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ وَلَوْ عَجُوزًا
وَمَنْ سَفَهَ رَكَنتَ إِلَى الْغَوَانِي

(١) الملا خضر، كان كاتباً لدى ناصر باشا السعدون في تدبير أمور المشيخة وكان يقوم مقام (السكرتير) وهو الذي تولى المفاوضات مع الوالي المشير محمد نامق باشا سنة ١٢٨٠/١٨٦٤م حينما تمرد ناصر باشا على السلطة. ثم عزله الوالي وعين بدله الشيخ فهد باشا بن علي السعدون ثم أعاد الوالي ناصر باشا إلى المشيخة وأرسل (مندبل الأمان) مع ملا خضر إلى ناصر باشا. انظر: مباحث عراقية ق ١٥٥/١.

قلت: ولقب (ملا) كان يطلق أيام العثمانيين على الذين يحسنون القراءة والكتابة. وإن لم يكونوا من علماء الدين. ولقب (ملا) أصله يطلق على الذين يعلمون الأطفال قراءة القرآن، ثم أطلقوه على من يحسن الكتابة والقراءة مطلقاً وذلك لتفشي الجهل وقلة المتقنين.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (٣٠).

(٣) يعتبر الكوفيون غير الكسائي أن (بئس ونعم) اسمان وأنشدوا لحسان بن ثابت:
السُّتُ بِنَعْمِ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أَخَا قَلْبَةٍ أَوْ مَعْدَمِ الْمَالِ مِصْرَمَا

وبهذا أخذ الشاعر الأخرس وجعلها مضافاً إلى المصير.

(٤) أخذه من قول أبي نواس (أدرها بالصغير والكبير).

تركت طريقيتني وفررت عني
وتوبتكَ التي كانت نفاقاً
كصبغ الشئيب ينصل بعد يوم
وما كتبت لتخطر لي ببال
لئن أخذوا عليك بها عهداً
فعد عنها إلى ما كنت فيه
وأكثر ما استطعت من المعاصي
ونعم بالملاح بخفض عيش
فإن حضر الفساد وغبت عنه
لسودت الصحائف فيك هجواً
تطيع مشورتني وترى برأيي
لنقضي العمر في طرب ولهو
وأنفق ما ملكت ولا تبال
فنحن بفضلله وندى يديه

فرار الكلب من أسد هصور
غرور وأنغماسك في الغرور
ولم يبعد مداه عن الظهور
ولا اختلجت - وشيبك - في الضمير
بما كتبت يداك من السطور
كمن شم الفسا بعد العبير
فإن الله يعفو عن كثير
مدى الأوقات من بزم وزير
ولم تك من يعد من الحضور
وإني اليوم أهجى من (جرير)^(١)
وحق المستشير على المشير
فمرجعنا إلى رب غفور
ف(ناصرنا) ثراء للفقير
كمن أوى إلى روض نضير

(١١٤)

وقال يخاطب الوالي داود باشا^(٣) وكان قد استعار من الشاعر كتاب سيبويه^(٤)

(١) جرير بن عطية بن حذيفة بن الخطمي بن بدر اليربوعي، شاعر أموي شهير، ولد سنة ٢٨هـ واتصل بولاية العراق، وصار شاعر الحجاج بن يوسف الثقفي، ومدح الخليفة عبد الملك بن مروان والخلفاء من بعده، ومدح أشرف الشام، وكانت له مناقضات مع الفرزدق والأخطل، توفي سنة ١١٠هـ وله ديوان شعر مطبوع. وأخباره مستفيضة في كتب التاريخ والأدب.. انظر الموسوعة العربية ٦٢٤ والأعلام ١١١/٢ وفيه مصادر أخرى.

(٢) الهيم: بكسر الهاء: الإبل العطاش.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٢).

(٤) أبوشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب (سيبويه) ومعناه (رائحة التفاح) إمام النحاة. ولد في قرية قرب شيراز سنة ١٤٨هـ وقدم البصرة ولزم الخليل بن أحمد الفراهيدي وتخرج عليه، ونفع بالنحو، وصنف كتابه الشهير في النحو ويطلق عليه اسم (الكتاب) أو (كتاب سيبويه)، وقدم بغداد وناظر الكسائي وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. ثم عاد إلى الأحواز فشيراز، وتوفي بها سنة ١٨٠هـ وبها قبره، وتناول العلماء كتابه بالشروح وطبع عدة مرات، وأخباره مستفيضة في كتب الأدب واللغة.

انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٩٥/٢ ووفيات الأعيان ٣٨٥/١ والبداية والنهاية ١٧٦/١ والأعلام ٢٥٢/٢ وغيرها.
(٥) أبو الحسن محمد بن علي بن محمد الحضرمي الأندلسي، ولد في إشبيلية سنة ٥٢٤هـ/١١٢٠م وأصله من

ياناحياً^(*) نحو كلِّ مَكْرُمَةٍ
وطالباً بالكمالِ ما عَجَزَتْ
ومن سَهَامِ الآراءِ فَكْرَتُهُ
إنَّ الكِتَابَ الَّذِي نَظَرْتُ بِهِ
فلو تَأَمَّلْتَ فِي دِقَائِقِهِ
إِنَّ أَطْلُقُوا لَفُظَّةَ (الكتاب) فما
وغيره لا يَفِيدُنِي أَرِيأاً
لأنَّ هَذَا الإِمَامَ أَعْلَمُ خَلد
ولم يَزَلْ وهو مَرْجِعُهُمْ
قد نَاطَرْتُهُ الحُسَادُ مِنْ حَسَدٍ
وراح يَطْوِي الأَحْشَاءَ - مِنْ أَسْفٍ
وأدركتُهُ فَمَاتَ مَغْتَرِباً
فإن تَكُنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ
نَقَلْتُهُ إِنْ أَرَدْتَ نُسْخَتُهُ
وليس نَقْلِي لَهُ عَلى طَمَعٍ
إِنَّ أَيَادِيكَ مِنْكَ سَابِقَةٌ
هَذَا لِسَانِي يَعْوِقُهُ ثَقَلٌ
فلو تَسَبَّبْتَ فِي مُعَالَجَتِي
وليس لي حَرْفَةٌ سِوَى أَدبٍ
من بَعْدِ (داود) لا حُرِمْتُ مُنَى

يَبْلُغُ فِيهَا أَعَالِي الرُّتَبِ^(١)
فَحَوْلُ قَوْمٍ عَن ذَلِكَ الطَّلَبِ
إِنْ يَرِمُ فِيهَا أَعْرَاضَهُ يُصِيبُ
أَبْلُغُ مَا أَلْفَوهُ فِي الكُتُبِ
لَقُلْتُ هَذَا مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ
يُشَارُ إِلَّا إِلَيْهِ فِي الكُتُبِ^(٢)
وَأَيْنَ كُتُبِ النُّحَاةِ مِنْ أَرِي
قِ اللّهِ فِي نَحْوِ مَنْطِقِ العَرَبِ
لِدَائِرَاتِ العُلُومِ كَالقُطْبِ
فغَالِبَتُهُ بِالزُّورِ وَالكَذِبِ
لِكُتْمِهِمْ فَخُذْلُهُ - عَلى لَهَبِ
بَارِضِ (شِيرَازِ) حَرْفَتُهُ الأَدبِ
لِما حَوَى طَيِّبُهُ مِنَ النُّخَبِ
وَلَا أَبَالِي بِشِدَّةِ التُّعَبِ
وَلَا لِمَالٍ يُرْجَى وَلَا نَشَبِ
عَلي قَدَمًا فِي سَالِفِ الحَقَبِ
وَذَاكَ عِنْدِي مِنْ أَعْظَمِ النُّوَبِ^(٣)
لِنَلْتِ أَجْرًا بِذَلِكَ السَّبَبِ
جَمٌّ وَنَظْمِ القَرِيضِ وَالخُطَبِ
فَقَدُ مَضَتْ [تَمَّ] دَوْلَةُ الأَدَبِ^(**)

= حضرموت. وكان ينتقل في البلاد ويسكن في الربط والخانقاهات. ولم يتزوج وتوفي في إشبيلية سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢ وله من الكتب (شرح كتاب سيبويه) أهدها إلى سلطان المغرب فأعطاه ألف دينار، وله (شرح الجمل) للزجاجي.

انظر وفيات الأعيان ٣٤٢/١ والأعلام ١٥١/٥ وفيه مصادر أخرى.

(١) في الأصول [ما يوحى] أن كثيراً من أبيات هذه القصيدة قد ضاع.

(٢) تكررت القافية.

(٣) هذه الأبيات جعلت الوالي داود باشا يأمر بإرسال الشاعر الأخرس إلى الهند للمعالجة على نفقته. وقال له الطبيب: أنا أعالجك فيما أن ينطلق لسانك أو تموت فرفض الشاعر ذلك وقال (لا أبيع كلي ببعضي) وعاد إلى بغداد.

(*) في الطبعة (١): (ناجياً) وصوابها من الطراز الأنفس.

وَنَطْمَعُ بِالْبِقَاءِ وَلَا بِقَاءَ^(٢)
 وَمَا يَجْرِي الْقَضَاءُ كَمَا نَشَاءُ
 وَلَيْسَ حَدِيثُهَا إِلَّا افْتِرَاءُ
 وَسَعْيِي بِالتَّكْلُفِ وَاعْتِنَاءُ
 وَمَنْ عَجِبَ نُسْرُ بِمَا نُسَاءُ
 لِحَقِّ لَنَا التَّغَابُنِ وَالْبِكَاءِ^(٣)
 عَنِ الْعِظَةِ الَّتِي فِيهَا ارْعَوَاءُ
 إِذَا مَا أَسْمَعُ الصَّمَّ النَّدَاءُ
 تَلَذُّ لَنَا وَمَا فِيهَا عِنَاءُ
 وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ النَّجَاءُ
 لَهُ بَدءٌ لَعَمْرُكَ وَأَنْتِهَا
 فَأَوْلُنَا وَأَخِرُنَا سَوَاءُ
 يَعِزُّ عَلَيَّ مُفَارِقَهُ الْعِزَاءُ
 إِلَى حَيْثُ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ
 أَسِيرُ الْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ فِدَاءُ
 إِلَى الْآخِرَى وَمَا نَحْنُ الْبِطَاءُ
 إِلَى أَيْنَ السُّرَى وَمَتَى الْإِقَاءُ
 لَمَا اسْتَوْفَى حَقْوَقَهُمُ الْبِكَاءُ
 وَنَحْنُ - كَمَا تَرَى - طِينٌ وَمَاءُ
 وَهَذَا السِّدَاءُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

نُؤْمَلُ أَنْ يَطْوِلَ بِنَا التَّوَاءُ
 وَتُغْرِينَا الْمَطَامِعُ بِالْأَمَانِي
 تُحَدِّثُنَا بِأَمَالٍ طَوَالٍ
 وَإِنَّ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا غُرُورٌ
 نُسْرُ بِمَا نُسَاءُ بِهِ وَنَشَقَى
 وَنَضْحُكُ أَمْنِينَ وَلَوْ عَقَانَا
 الْإِلَامَ يَصُدُّنَا لَعَبٌّ وَلَهْوٌ
 وَتَنْذِرُنَا الْمَنُونَ وَنَحْنُ صَمٌّ
 وَأَيُّهُ لَذَّةٌ فِي دَارِ دُنْيَا
 سَتُدْرِكُنَا الْمَنِيَّةُ حَيْثُ كُنَّا
 ظَهَرْنَا لِلْوُجُودِ وَكُلُّ شَيْءٍ
 لِنَنْ نَهَبَتْ أَوَائُنَا نَهَاباً
 نُودِعُ كُلَّ أَوْنَةٍ حَبِيباً
 تَسِيرُ بِهِ الْمَنَايَا لَا الْمَطَايَا
 وَلَوْ يُفْدِي فِدَيْنَاهُ وَلَكِنْ
 مَضَتْ أَحْبَابُنَا عَنَّا سِرَاعاً
 وَمَا قُلْنَا وَقَدْ سَارُوا خِفَافاً
 وَلَوْ نَبِكِي دَمًا حَزْنًا عَلَيْهِمْ
 مَتَى تَصْفُو لَنَا الدُّنْيَا فَنَصْفُو
 فَهَذَا السُّقْمُ لَيْسَ لَهُ طَبِيبٌ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٢).

(٢) غنى الأستاند القبانجي بعض أبياتها بمقام (أورفة).

(٣) فيه إشارة إلى الحديث الشريف (لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً).

فَقَدْنَا لَا أَبَاكَ مَنْ فَقَدْنَا
وَبَعْدَ (مَحْمَدٍ) إِذْ بَانَ عَنَّا
لَقَدْ كَانَتْ بِهِ الْأَيَّامُ تَزْهُو
وَكَانَ الْكُوكَبُ الْهَادِي لِرَشْدِ
وَكَانَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَفَاءً
فِي أَيِّ مَنْ يُضَامُ إِلَى عَلَاهُ
عَلَا أَقْرَانَهُ شَرَفًا وَمَجْدًا
عَصَامِي الْأَبُورَةِ وَالْمَعَالِي
وَمَا عَقِدَتْ يَدُ الْأَعْلِيَّةِ
سَقَاكَ الْوَابِلُ الْهَطَّالُ قَبْرًا
وَحَيَّاكَ الْغَمَامُ بِمُسْتَهْلٍ
قَدْ اسْتُودِعَتْ أَكْرَمَ مَنْ عَلَيْهَا
وَقَدْ وَارَيْتَ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا
وَقَدْ أَفْعَمْتَ مِنْ كَرَمِ السَّجَايَا (٢)
فَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ
مَضَى فِي مَنْ مَضَى وَكَذَلِكَ نَمَضَى
فَمَا يَأْتِي الزَّمَانُ لَهُ بِثَانٍ
فَقَدْنَاكَ (ابْنَ عَثْمَانَ) فَقُلْنَا
سَتَبْكِيكَ الْأَيَّامُ وَالْيَتَامَى
وَكَانَتْ عَلِمْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَمُضَى
فَمَا قَصَّرْتَ عَنْ تَقْدِيمِ خَيْرٍ
تَفُوزُ بِبِرِّكَ الْأَمَالِ مَنَّا
إِذَا وَافَتْ إِلَى مَغْنَمِكَ فَازَتْ
رُزِقَتْ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ فِيهَا

فَحَلَّ الرَّزْءُ إِذْ عَظُمَ الْبَلَاءُ (١)
عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا الْعَفَاءُ
عَلَيْهَا رَوْنَقٌ وَلَهَا بَهَاءُ
يَضِلُّ الْفَهْمُ عَنْهُ وَالذِّكَاءُ
لِمَنْ فِيهِ الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ
وَيَعْصِمُهُ مِنَ الضَّيْمِ الْإِبَاءُ
كَمَا تَعْلُو عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
لَهُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُّ وَالسَّنَاءُ
إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ الْأَتْقِيَاءُ
تَوَتْ فِيهِ الْمَرْوَةُ وَالسَّخَاءُ
يَصُوبُ فَتَرْتَوِي الْهَيْمُ الظَّمَاءُ
فَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرَمَةٍ وَعَاءُ
لِضَاقِ بَفَضْلِهِ الْوَافِي الْفَضَاءُ
وَطَيِّبُهَا كَمَا فُعِمَ الْإِنَاءُ
بِدَارِ الْخُلْدِ لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ
وَعَايَتْنَا - وَمَا نَبَقَى - الْفَنَاءُ
إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَلِدُ النِّسَاءُ
فَقَدْنَا الْجُودَ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ
وَتَرْتِيكَ الْمَكَارِمُ وَالْعَلَاءُ
وَيَبْقَى الْحَمْدُ بَعْدَكَ وَالنُّنَاءُ
تُنَالُ بِهِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ
وَيُرْفَعُ بِالْأَكْفَلِ لَكَ الدُّعَاءُ
ذَوُو الْحَاجَاتِ وَاتَّصَلَ الْحَبَاءُ
وَإِنْ رَغِمَتْ عِدَاكَ الْأَشْقِيَاءُ

(١) فِي الْأَصُولِ (مَحَلُّ الرِّزْوِ...) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٢) فِي الْأَصُولِ (وَقَدْ أَنْعَمْتَ...) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ عِزُّ الْبَيْتِ.

لَوَجَّهَ اللهُ مَا أَنْفَقْتَ لَا مَا
صَفَاءً لَا يُمَارِجُهُ مِرَاءً
فَضِيَّتَ وَمَا أَنْقَضَى كَمَدِي وَحَزْنِي
يُذَكِّرُنِيكَ مَا وَافَى صَبَاحُ
وَمَا قَصُرَتْ رِجَالُ (بَنِي زَهَيْرِ)
بَنِيَّتَ لَهُمْ عَلَى الْعَيُوقِ نَجْمًا
بُدُورُ مَجَالِسٍ وَأَسْوَدُ غَيْلِ
شِفَاءً لِلصُّدُورِ بِكُلِّ أَمْرٍ
وَخَيْرُ خَلِيفَةِ الْمَاضِينَ عَنَا
(وَقَاسِمُ) مِنْ زَكَأَ أَصْلًا وَفَرَعًا^(٣)
إِذَا زَكَتِ الْأَصُولُ زَكَتْ فُرُوعُ
هُوَ الشَّمْسُ الَّتِي بَزَغَتْ ضِيَاءً
أَعَزِّيهِ وَإِنْ عَزَّيْتَ نَفْسِي

يُرَادُ بِهِ أَفْتِخَارٌ وَأَقْتِنَاءٌ
وَتَقْوَى لَا يُخَالِطُهَا رِيَاءٌ
عَلَيْكَ وَمَا أَظُنُّ لَهُ أَنْقِضَاءٌ
وَمَا أَنْسَاكَ مَا وَافَى مَسَاءً^(١)
وَفِيكَ لَهَا أَقْتِنَاءٌ وَأَقْتِنَاءٌ
وَشَيْدٌ بِالْعُلَا ذَاكَ الْبِنَاءُ
إِذَا الْهَيْجَاءُ حَانَ بِهَا اصْطِلَاءُ
إِذَا مَرَضَتْ وَأَعْيَاهَا الشِّفَاءُ
(سَلِيمَانُ) وَفِيهِ الْاِكْتِفَاءُ^(٢)
وَمَا فِي طَيْبِ عُنُصُرِهِ مِرَاءٌ
فَطَابَ الْعُودُ مِنْهَا وَاللِّحَاءُ
فَلَا غَرُبَتْ وَلَا غَرُبَ الضِّيَاءُ
بِمَنْ فِيهِ الْمَدَائِحُ وَالرِّثَاءُ

(١١٦)

لِلَّهِ مَنْزِلٌ (جَابِرٍ) مِنْ مَنْزِلٍ فِيهِ الْكِرَامَةُ لِلْمُحِبِّ الزَّائِرِ^(٥)

(١) ينظر إلى قول الخنساء: يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمس

أعلام النساء / ١ / ٣٦٦.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٩).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٤).

(٤) الأمير الحاج جابر خان بن مرداو بن جاسب الكعبي العامري. ولد سنة ١٢١١هـ - ١٧٩٦م. ونشأ عصامياً فقير الحال، وعلا شأنه بين الناس حتى ولي المشيخة في عربستان على قبائل كعب سنة ١٢٤٧هـ - ١٨٣٢م وذلك أيام الوالي علي رضا اللاط، فتوجه إليه الوالي علي رضا بجيش عرمرم ومعه قبائل زبيد والمنتفق وعقيل وجيش من الكويت سنة ١٢٥٢هـ - ١٨٣٧م. فقاتلهم الحاج جابر، واستولى على المحمرة، ثم أقره الشاه ناصر الدين القاجاري أميراً على المحمرة بمعاودة مع الدولة العثمانية، وبقي أميراً حتى وفاته في ١٠ ذي الحجة يوم عيد الأضحى سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٧١م ونقل جثمانه إلى النجف، وتولى الإمارة من بعده ولده الأمير مزعل خان. انظر: الأحواز في أدوارها التاريخية ٣ / ٩ - ١٨.

(٥) هذه القصيدة وردت في نسخة الأنكرلي فقط.

رُفِعَتْ قَوَاعِدُهُ وَشُيِّدَ بِنَاؤُهُ
مَلَأَتْ قُلُوبَ الزَّائِرِينَ مَسْرَةً
مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ بِخِدْمَةِ (جَابِرٍ)
حَازَ الشُّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ فَارْتَقَى
تَرْدُ الْعُفَاةِ مَنَاهلاً مِنْ جُودِهِ الـ
شَهِدَتْ مَبَانِيهِ بِحُسْنِ صَنْيَعِهِ
حَلَّ الْأَمِيرُ أَبُو الْمَكَارِمِ (جَابِرٌ)
وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِهَا فَعَلْتُ مُؤْرَخاً

لِمَكَارِمٍ وَأَكَارِمٍ وَأَكَابِرٍ
فَعَدَّتْ تَقَرُّبَهَا عِيُونَ النَّاضِرِ
مِنْ شَادِنِ أَحْوَى وَلَيْثِ خَادِرِ^(١)
رُتِبَ الْعُلاَ مِنْ سُوْدِدٍ وَمَفَاخِرِ
وَوَافِي وَتَصَدَّرُ بِالْعَطَاءِ الْوَافِرِ
وَبِمَا يُجَدِّدُ مِنْ بَدِيعِ مَآثِرِ
فِيهَا فَنَزَانَتْ بِالْبَهَاءِ الْبَاهِرِ
(دَارُ الْإِمَارَةِ قَدْ بُنِيَتْ بِجَابِرِ)^(٢)
[١٢٥٧هـ]

(١١٧)

نَكَّرَانِي عَهْدَ الصَّبَا بِسُعَادِ
وَرَوَّاحِي مَعَ الْهَوَى وَغُدُوِي
وَبِيَاضِ الْمَشْيِبِ سَوْدَ حَظِي
يَا ابْنَ وَدِيِّ وَلِلْمَوْدَةِ حَقُّ
وَأَعِدْ لِي مَا كَانَ مِنْ بُرَحَاءِ
يَوْمِ حَانَ الْوَدَاعُ مِنْ آلِ مِي
تَرَكَوْا عَبْرَتِي تَصُوبُ وَوَجْدِي
هَلْ عَلِمْتُمْ فِي بَيْنِكُمْ أَنْ عَيْنِي
لَا أَدُوقُ الْكَرَى وَلَا أَطْعَمُ الْغُمَّ

وَحَوَافِي الْجَوَى عَلَيَّ بِوَادِي^(٤)
لَا عَدَاهَا يَوْمًا مَصَّبَ الْغَوَادِي
عِنْدَ بِيضِ الْمَهَا سَوَادَ الْمِدَادِ
فَاقْضِ إِنْ شِئْتَلِي حَقُوقَ الْوِدَادِ
كَنْتُ مِنْهَا فِي طَاعَةٍ وَأَنْقِيَادِ
فَأَرَانَا تَفْتَتُّ الْأَكْبَادِ
فِي هِيَاجٍ وَمُهْجَتِي فِي اتِّقَادِ
لَمْ تَذُقْ بَعْدَكُمْ لَذِيذَ الرُّقَادِ
ضَ لَا تَنْتَنِي لِطَيْفٍ وَسَادِي

(١) في الأصل: وليث جاذر (كذا) والصواب ما أثبتناه.

(٢) لم يرد الرقم في الأصل. ومجموع التاريخ يساوي ١٢٥٧هـ.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(٤) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (بنج كاه).

والليالي التي تمر وتمضي
كل يوم أرى اضطرابي عنكم
قد أخذتم مني الفؤاد فردوا
وأعيدوا ما كان منا ومنكم
أين عهدي بهم فقد طال عهدي
ممرضني (*) في هواك زدني سقاماً
فدموعي على هواك غزار
يا عدولاً يظن أن صلاحي
أنافي ما أراه عنك بواد
إنما أعين الظباء وما يج
ما أراني من القوام المفقدي
ولحاظ كأنهن بقلبي
أي قلب عذبتة بصود
لم يفدني تطلبي من ثماد
ما لحظي من اغترابي وما لي
ويد البين طالما قدفتني
وتقلبت في البلاد وماذا
ليت شعري وليتني كنت أدري
وب (بغداد) من أحاول فيها
وهو (عبد الرحمن) نجل (علي)
التقي النقي قولاً وفعلاً
رفع الله ذكره في المعالي
شرف باذخ ورفعه ذكر
هكذا هكذا المكارم تروى
ساد بالعلم والتقى سيد النا
يقتني المال للنوال وإن كا

ألفت بين مقلتي والسهاد
في انتقاص ولو عتي في ازدياد
في تدانيكم علي فؤادي
وليكن ما جرى على المعتاد
فسقي عهدهم بصوب عهد
فلعلي أراك في عوادي
وفؤادي إلى رضاك صادي
في سلوي وذاك عين فساد
في هيامي وأنت عني بواد
همل منها مصارع الأساد
ما أراني من القنا المياد
مرهفات سلئت من الأعماذ
ودنو نغصته ببعد
أبتغيه ورقته من جماد
مولع بالاثهام والإنجاد
غرة في دكادك ووهاد
أبتغي من تقلبي في البلاد
ما مرامي من النوى ومرادي؟
أشرف الحاضرين في (بغداد)
علوي الأبياء والأجداد
والكريم الجواد وابن الجواد
من علي العلأ رفيع العماد
رغمت عندها أنوف الأعادي
والمزاييا من طارف وتلاد
س فخاراً للسادة الأمجاد
ن لعمري فيه من الزهاد

(*) في الطبعة (١): (فمرضني) خطأ طباعي، والصواب من الطراز الأنفس.

شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ فَأَرَانَا
 كَمْ رَوَّتْنَا الرُّوَاةَ عَنْهُ حَدِيثًا
 وَأَعَدَّتْ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَقَالُوا
 فَيُرِينِي حَلَاوَةَ الْجُودِ جُودًا
 عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ فِي حِجَابِهِ
 صَيْرَفِي الْكَلَامِ لَفْظًا وَمَعْنَى
 يَعْرِفُ الْفَضْلَ أَهْلُهُ وَذَوُوهُ
 إِنْ تَغَابَتْ عَنْهُ أَنْاسٌ لِأَمْرِ
 فَكَذَلِكَ الْبَيَاضُ وَهُوَ نَقِيٌّ
 يَا بَنِي الْعَوْتِ وَالرُّجُوعُ إِلَيْكُمْ
 يَكْشِفُ اللهُ فِيكُمْ الْخُضْرَ عَنَّا
 كَيْفَ لَا نَسْتَمِدُّ مِنْ رُوحِ قَوْمٍ
 (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (١)
 فَوَلَّائِي لَهُمْ وَخَالِصُ حُبِّي
 فَعَلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ اعْتِمَادِي
 فَضْلًا كُمْ يَشْمَلُ الْعُفَاةَ جَمِيعًا
 إِنَّ لِلَّهِ فِيكُمْ كَنْزَ عِلْمٍ
 إِنَّ حَادًا هَذِهِ الْقِصَائِدَ حَادٍ
 وَعَلَيْكُمْ تُمْلِي الْقَوَافِي ثَنَاءً
 وَإِذَا مَا أَرَدْتُ مَدَحَ سِوَاكُمْ
 رِيحَتْ فِيكُمْ تِجَارَةُ شِعْرِي
 أَنَا فِي شُكْرِكُمْ أَرْوَحُ وَأَعْدُو

فِي سَوَادِ الْخُطُوبِ بِيضَ الْأَيْدِي
 صَحَّ عِنْدِي بِصِحَّةِ الْإِسْنَادِ
 مَا أُحْيَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْمُعَادِ
 وَأَرِيهِ حَلَاوَةَ الْإِنْسَانِ شَادِ
 مُفْرَدُ الْعَصْرِ وَاحِدُ الْأَحَادِ
 مِنْ بَصِيرٍ بِذَوْقِهِ نَقَّادِ
 وَأَمْتِيَّازُ الْأَضْدَادِ بِالْأَضْدَادِ
 أَوْ عَمَّتْ عَنْهُ أَعْيُنُ الْحُسَّادِ
 مُبْتَلَى فِي نِقَائِهِ بِالسَّوَادِ
 حِينَ تَعْدُو مِنَ الْخُطُوبِ الْعَوَادِي
 وَبِكُمْ نَقَّتْ فِي سَبِيلِ الرَّشَادِ
 شُفَعَاءِ لَنَا بِيَوْمِ الْمَعَادِ
 خِيَارُ الْعِبَادِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 هُوَ دِينِي وَمَذْهَبِي وَاعْتِقَادِي
 وَإِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ اسْتِنَادِي
 وَنَدَاكُمْ لِلصَّادِرِ الْوَرَادِ
 مَا لَهُ مَا بَقِيْتُمْ مِنْ نَفَادِ
 فَلَهَا مِنْ جَمِيلِ فِعْلِكَ حَادِي (٢)
 عَطِرَاتِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ نَادِ
 فَكَأَنِّي اخْتَرْتُ شَوْكَ الْقَتَادِ
 لَا رِمَاهَا فِي غَيْرِكُمْ بِالْكَسَادِ
 فَأَنَا الرَّائِحُ الشُّكُورُ الْغَادِي

(١) اقتباس من قوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله..) سورة المجادلة الآية (٢٢).

(٢) في الأصول: هادي. وما أثبتناه أولى، لأنه يتفق مع صدر البيت.

وقال مادحاً السيد سلمان القادري النقيب^(١) [وهي من الطويل]:

ويقضي لُباناتِ الهوى فيك مُغْرَمٌ
 وأسهرُ ليلي والخلّيون نُومٌ
 وإن أُكثرتُ لومي على الحبِّ لومٌ
 وفي القلبِ منِّي لوعةٌ تتضرمُ
 ومن لي بمشكوٍ يرقُّ ويرحمُ
 وأظهرُ ما أخفي عليك وأكتمُ
 وأبني المباني في هواك وأهدمُ
 ومن مُرسلاتِ الدمعِ فذُّ وتوأمُ
 تُصرِّحُ أحياناً به وتُجمِّعُ
 غرانيقُ في موجٍ من اليمِّ عومُ
 ينارُ لني لهم جيشٌ عرمرمُ
 صدورُ العوالي، والقنا المتحطمُ
 وأعضائي داءٌ من الوجدِ مؤلمُ
 تطيشُ بأحناءِ الضلوعِ وتحلمُ
 سواجعُ في أفنانها تترنمُ
 وتملي أحاديثَ الغرامِ فننهمُ
 طولُ لها تُشجّي المشوقَ وأرسمُ
 كأنهم طيرٌ على الماءِ حومُ
 وإن طال فيها عهدُها المتقدِّمُ
 هو العيشُ إلا أنه يتصرمُ
 وجيءُ بأخبارِ الأناشيدِ عنهمُ
 وأبكي لبرقِ شيمتهُ يتبسّمُ

متى يشتفي هذا الفؤادُ المتيمُّ
 أبيتُ أداري الوجدَ فيك صبابَةً
 أجيبُ دواعي الشوقِ حيثُ دعونني
 وأهريقُ من عيني ماءً مدامعِ
 وأشكو إليك الشوقَ لو كنت سامعاً
 إلام أذيعُ الوجدَ، عندك أمره
 أعللُ نفسي في تدانك ضلّةً
 ولي حسرةٌ ما تنقضي وتلهفُ
 وللصَّبِّ آياتٌ تدلُّ على الهوى
 وليلِ أقاسيه كأنَّ نجومه
 بمُعتركِ بين الأضالعِ والحشا
 كأنَّ بصدري من تباريحِ ما أرى
 أمضُ بأحشائي غرامٌ مبرحُ
 عدتكَ العوادي إنما هي زفرةٌ
 لقد برحتُ بي وهي في برحائها
 تعيدُ علينا ما مضى من صبابة
 ولم أنسَ لا أنسى الديارَ التي عفتُ
 وقوفاً عليها الركبُ يقضون حقها
 تذكّرنا ما كان في زمن الصبا
 وعيشاً قضيناها نعيماً ولذةً
 خليلي ما لي كلما عن ذكرهمُ
 أكفكفُ من عيني بوادِرِ عبّرةٍ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (٨).

رَعَى اللّٰهَ جِيرَاناً مُّنِيْتُ بِحُبِّهِمْ
رَعِيْتُ بِهِمْ رَوْضَ الْمَحَبَّةِ يَانِعاً
أَلَ مَنْ مُّجِيرِي يَالْقَوْمِي وَمُسْعِدِي
هُمَّ أَعْوَزُونِي الصَّبْرَ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
بِنَفْسِي الظُّعُونُ السَّائِرَاتُ كَأَنَّهَا
إِذَا رَحَزَحَتْ عَنْهَا اللَّثَامُ (*) عَشِيَّةً
أَيَزَعُمُ وَاشِي الْحُبُّ أَنِّي سَلَوْتُهُمْ
خَلَا عَصْرُنَا هَذَا مِنْ النَّاسِ فَارْتَقِبْ
وَمَا بَعْدَ (سَلْمَانَ النَّقِيبِ) مِنْ أَمْرِي
بِذِي طَلْعَةَ تُنْبِيكَ سِيْمَاؤَهَا الْعُلَا
عَلَيْهِ وَقَارٌ ظَاهِرٌ وَسَكِينَةٌ
مِنْ السَّادَةِ الْغُرِّ الْمِيَامِينَ سَيِّدٌ
وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ نَوَابِةٍ (هَاشِمِ)
تُنَاخُ لَدَيْهِ لِلْمَطَامِعِ أَيُّنُقُ (**)
فَمَا دُونَ هَذَا الشَّهْمِ لِلْوَفْدِ مَقْنَعٌ
لَنَا مِنْ أَيَْادِيهِ وَشَامِلٍ فَضْلُهُ
تَصَدَّرَ فِي دَسْتِ النَّقَابَةِ سَيِّدَا
نَهْزُ مُعَالِيهِ لِكُلِّ مُلَمَّةٍ
وَمَا زَالَ كَالسَّيْفِ الْمُهَنْدِ يُنْتَضِي
تَمَسَّكَتُ بِالْحَبْلِ الَّذِي مِنْهُ لَمْ يَرْمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَْادِيهِ نَعْمَةٌ
فَلِلْفَضْلِ فِي أَيَّامِهِ الْبَيْضِ مَوْسِمٌ
بَطْلَعَتِهِ نَسْتَطْلِعُ الشَّمْسَ فِي الضُّحَى

أَحَلُّوا دَمِي فِي الْحَبِّ وَهُوَ مُحَرَّمٌ
وَحَكَمْتُهُمْ فِي مُهْجَتِي فَتَحَكَّمُوا
عَلَى ظَالِمٍ فِي حُكْمِهِ يَتَظَلَّمُ
وَسَارَ فَوَادِي حَيْثُ سَارُوا وَيَمَّمُوا
بُدُورٌ تَدَاعَتْ لِلْمَغِيبِ وَأُنْجَمُ
أَضَاءَ بِهَا جُنْحٌ مِنَ اللَّيْلِ مَظْلَمُ
أَلَا سَاءَ وَاشِي الْحَبِّ مَا يَتَوَهَّمُ
أَنَاسًا سِوَاهُمْ تُحْسِنُ الظَّنَّ فِيهِمْ
بِـ(بَغْدَادِ) مِنْ يُعْزَى إِلَيْهِ التَّكْرَمُ
وَيَصْدُقُ فِيهَا الْقَائِفُ الْمَتَوَسِّمُ (١)
يُمَثِّلُ (رَضْوَى) دُونَهَا وَ(يَلْمَلَمُ) (٢)
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَنْدَى وَأَكْرَمُ
هُوَ الرَّأْسُ فِيهِمْ وَالرَّئِيسُ الْمُقَدَّمُ
إِذَا حَتَّحَتِ الرِّكْبُ الْمَطِيَّ وَيَمَّمُوا
وَلَا بَعْدَهُ فِي الْبِرِّ لِلنَّاسِ مَعْنَمُ
مَوَاهِبُ تَتَرَى مِنْ لَدُنْهُ وَأَنْعَمُ
وَمَا لِسِوَاهِ فِي الصُّدُورِ التَّقَدُّمُ
كَمَا هَزَّ لِلطَّعْنِ الْوَشِيحِ الْمُقَوِّمُ
عُرَى كُلِّ خُطْبٍ فِي غِرَارِيهِ تُفْصَمُ
بِحَادِثَةِ الدُّنْيَا وَلَا يَتَصَرَّمُ
مَكَارِمُ تُسْتَوْفَى وَرِزْقٌ يُقَسَّمُ
وَلِلْجُودِ مِنْهُ وَالْمَكَارِمِ مَوْسِمُ
وَيَنْجَابُ مِنْ لَيْلِ الْخُطُوبِ التَّجَهَّمُ

(١) القايِف: العارف. من القيافة.

(٢) رضوى جبل في ينبع قرب المدينة المنورة. ويلملم جبل في موضع قرب الطائف وهو ميقات الحجاج من أهل اليمن. وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه. انظر معجم البلدان ٥ / ٤٤١.

(*) في الطبعة (١): (اللثام) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (أنيق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

وذِي هَمَّةٍ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَدُّهَا
 تَطِيرُ بِذِكْرِهِ الْقَوَافِي شَوَارِدًا
 (أبا مصطفى) لَمْ أَرَوْ مَدْحَكَ لِأَمْرِي
 لَتَهْنَأَ (قريش) حَيْثُ كُنْتَ زَعِيمَهَا
 وَمَنْ كَانَ (عبد القادر) الشَّيْخُ جَدُّهُ
 وَكَمْ نِعْمَةٌ أَوْلَيْتَنِي فَشَكَرْتُهَا
 فَمَا سَاغَ لِي إِلَّا بِفَضْلِكَ مَشْرَبٌ
 لِكُلِّ أَمْرِيءٍ حَظُّ لَدَيْكَ مِنَ النَّدَى
 إِلَيْكَ وَلَا مِنْ عَالِيكَ قَوَافِيًا
 إِذَا أَفْصَحْتَ عَنْ كُنْهِ ذَاتِكَ غَادَرْتُ
 وَمِنْكَ ثِرَائِي حَيْثُ كُنْتُ وَثِرَوْتِي
 رَأَيْتُ بِكَ الدُّنْيَا كَمَا شَتَّتْ طَلْقَةً
 خَدَمْتُكَ بِالْمَدْحِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 أَرَى الشُّعْرَ إِلَّا فِيكَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ
 وَنَتْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ

لِأَظْفَارِ أَحْدَاثِ الزَّمَانِ تُقَلِّمُ
 فَتُنَجِّدُ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ وَتُنْتَهِمُ
 مِنَ النَّاسِ الْأَقَالِ قَالَ هَذَا مُسَلِّمٌ
 تُبَجِّلُ فِي أَشْرَافِهَا وَتُعَظِّمُ
 فَمَاذَا يَقُولُ الْمُفْصِحُ الْمُتَكَلِّمُ
 وَلَوْ لَمْ يَفْهَمْ مَنِّي لِسَانٌ وَلَا فَمٌ
 وَلَا لِسْذُلِي إِلَّا بِظُلْمِكَ مَطْعَمٌ
 فَلَا أَحَدٌ مِنْ نَيْلِ جَدِّوَاكَ يَحْرَمُ
 بِأَوْصَافِكَ الْحُسْنَى تُصَاغُ وَتُنْظَمُ
 حَسُودَكَ فِي إِعْرَابِهَا وَهُوَ أَبْكُمْ
 وَمَا زَالَ يَنْتَرِي فِي نَوَالِكِ مُعَدِّمٌ
 وَعَيْشِي لَوْلَا شَهْدُ جُودِكَ عَلِقَ
 وَمِثْلِكَ يَا مَوْلَايَ بِالْمَدْحِ يُخَدِّمُ
 وَدِينَارُهُ فِي غَيْرِ مَدْحِكَ دَرَاهِمٌ
 وَنَبْتَدِي الذِّكْرَ الْجَمِيلَ وَنَخْتَمُ

(١١٩)

هَذِهِ الدَّارُ وَهَاتِيكَ الْمَغَانِي
 دَنْفٌ عَابِرْتَهُ مُهْرَاقَةٌ
 فِي رُسُومِ دَارِسَاتٍ لَقِيَتْ
 كَانَ عَهْدُ الْأَهْوِ فِيهَا وَالْهَوَى
 تَزْدَهِي بِالْغَيْدِ حَتَّى خَلَّتْهَا
 تَتَهَادَى مِثْلَ بَانَاتِ النَّقَا

فَسَقَاهَا بِدَمٍ أَحْمَرَ قَانِي
 مِثْلَمَا أَهْرَقْتَ الْمَاءَ الْأَوَانِي
 مَا يُلَاقِي الْحُرْفُ فِي هَذَا الزَّمَانِ
 خَضِلَ الْمُنْبَتِ حَلْوِي الْمَجَانِي
 رَوْضَةٌ تَنْبِتُ بِالْبَيْضِ الْحِسَانِ
 بِقُدُودٍ خَطَرْتُ مِنْ خَوْطِ بَانَ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

أَتَمَرْتُ بِالْحُسْنِ إِلَّا أَنْهَا
 فَاتَكَاتِ بَعِيونَ مِنْ ظُبِي
 مَنْ مُجِيرِي مِنْ هَوَاهُنَّ وَمَا
 أَهْوُونَ الْأَشْيَاءَ فَيِهِنَّ دَمِي
 قَدْ رَمَانِي شَادِنٌ مِنْ يَعْرُبٍ
 مُسْتَبِيحاً دَمٌ صَبُّ طَلَّهُ
 حَسْرَةً أَوْرَثَتْهَا مِنْ نَظْرَةٍ
 يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ يَشْقَى بِهَا
 نَفَرْتُ أَسْرَابُ هَاتِيكَ الْمَهَا
 وَتَنَاثَرْنَ عَقُوداً طَالَمَا
 مَا قَضَى دَيْنِي عَنِّي مَا طَلُّ
 يَا أَحْبَابِي عَلَى شَحَطِ النَّوَى
 مُسْتَلِذاً فِي أَحَادِيثِكُمْ
 مَا صَحَا فِيكُمْ لِعَمْرِي ثَمَلٌ
 أَتُرَى الْوَرِقَاءَ فِي أَفْنَانِهَا
 فَكَأَنَّ قَدْ أَخَذَتْ مِنْ قَبْلِهَا
 رَابَ سَلْمَى مَا رَأَتْ مِنْ هِمَّةٍ
 لَمْ تَكُنْ تَدْرِي وَمَنْ أَيْنَ لَهَا
 وَاثِقاً بِاللَّهِ رَبِّي وَالْغَنَى
 قَرْنَ الْإِحْسَانَ بِالْحُسْنَى مَعاً
 لَمْ يَرُعْنِي حَادِثٌ أَرْهَبُهُ
 هُوَ رَكْنُ الْمَجْدِ مَبْنَى فَخْرِهِ
 جَعَلَ اللَّهُ بِهِ لِي عِصْمَةً
 فَفَدَاهُ مِنْ لَدِيهِ مَالَهُ
 ثَانِي أَثْنَيْنِ مَعَ الدَّرِّ سَنّاً
 عَجَبٌ مِنْهُ وَمِنْ أَخْلَاقِهِ

لَمْ تَكُنْ مُدَّتْ إِلَيْهَا كَفُّ جَانِي
 طَاعِنَاتِ بِقَوَامٍ مِنْ سِنَانِ
 حِيلَتِي بَيْنَ ضِرَابٍ وَطِعَانِ
 وَالْهَوَى أَكْبَرُ دَاعٍ لِلْهَوَانِ
 لَا رَمَى إِلَهُ بِسَوْءٍ مِّنْ رَمَانِي
 سَهُمْ عَيْنِيهِ حَرَاماً غَيْرَ وَاوَانِي
 مَا لَهَا فِي مُلْتَقَى الصَّبْرِ يَدَانِ
 دُونَ أَعْضَائِي طَرْفِي وَجَنَانِي
 وَذَوِي مِنْ بَعْدِهَا غَصْنُ الْأَمَانِي
 نُظِمْتُ فِي جَمْعِنَا نَظْمَ الْجُمَانِ
 كَلَّمَا اسْتَقْضَيْتُهُ الدِّينَ لَوَانِي
 كَمْ أَعَانِي فِي هَوَاكُمُ مَا أَعَانِي
 لَذَّةُ الشَّارِبِ مِنْ خَمْرِ الدَّنَانِ
 لَمْ يَذُقْ رَاحاً وَلَا طَافَ بِحَانَ
 قَدْ شَجَّاهَا فِي هَوَاكُمُ مَا شَجَّانِي
 عَن قُمَارِي الدُّوْحِ أَقْمَارُ الْقِيَانِ (١)
 نَهَضَتْ مِنِّي وَحِظٌ مُتَوَانِ
 مَبْلَغُ الْعِلْمِ وَمَا تَعَرَّفُ شَانِي
 مِنْ نَدَى (عَبْدِ الْغَنَى) فِي ضَمَانِ
 فَأَرَانِي فِيهِمَا سَعْدُ الْقِرَانِ
 أَنَا مَا عَشْتُ لَدِيهِ فِي أَمَانِ
 لَا وَهَتْ أَرْكَانُ هَاتِيكَ الْمَبَانِي
 فَإِذَا اسْتَكْفَيْتُهُ الْأَمْرَ كَفَانِي
 بِمَكَانِ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِ الْجَبَانِ
 وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ ثَانِ
 لَوْ تَتَبَّعْتَ أَعَاجِيبَ الزَّمَانِ

(١) القماري: جمع قمرية، وهو ضرب من الحمام، لسان العرب مادة (قمر). والقيان: جمع قينة وهي المغنية.

كَرَمٌ مَحْضٌ وَبِأَسُّ وَنَدَى
وَأَذَلُّ الْمَالِ مِعْطَاءٌ يَرَى
بِأَبِي مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْذُ نَشَا
بُسْطَطٌ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ فَمَا
وَلَهُ مُبْتَكِرَاتٌ فِي الْعُلَا
قَائِلٌ فِي مِثْلِهَا قَائِلُهَا
رَجُلٌ فِي مَوْقِفِ اللَّيْثِ لَهُ
تَحْتَ ظِلِّ النَّفْعِ فِي حَرِّ الْقَنَا
وَالْمَوَاضِي الْبَيْضِ مَا إِنْ أَشْرَقَتْ
وَلَكَ اللَّهُ فَقَدْ أَمَّنْتَنِي
إِنَّمَا قَيَّدْتَنِي فِي نِعْمَةٍ
دُونَكَ النَّاسُ جَمِيعًا وَالرُّبَا
يَا (أبا محمود) يَا هَذَا الَّذِي
مَنْزِلِي قَفْرٌ وَدَهْرِي جَائِرٌ
وَزَمَانٌ مِنْهُ حَظِّي مِثْلَمَا
لَسْتُ أَدْرِي وَالَّذِي فِي مِثْلِهِ
أَفْأَيَّامٌ صِيَامٌ أَقْبَلَتْ
سَاعِنِي مِنْهُ لِعَمْرِي شَرَفٌ
لَوْ أَرَى لِي سَفَرًا قَطَعْتُهُ
نَائِيًا عَنِ وَطَنِ قَاطِنُهُ
يَا غَمَامًا لَمْ يَزَلْ صَيِّبُهُ

فِي نَجِيبٍ قَلَّمَا يَجْتَمِعَانِ
عِزَّةَ الْأَنْفُسِ بِالْمَالِ الْمُهَانَ
خَضِلَ الرَّاحَةَ مِنْهَلَّ الْبَنَانِ
زَلْتُ مِنْهَا حَشَوَجَنَاتٍ ثَمَانِ
تَرْفَعُ الذِّكْرَ إِلَى أَعْلَى مَكَانِ
هَكَذَا تُفْتَضُّ أَبْكَارُ الْمَعَانِي
فَتَكْفُو الْبِكْرَ مِنَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ
فَوْقَ رَحْبِ الصَّدْرِ مَوَارِ الْعِنَانِ
شَرِقَتْ ثُمَّ بَلُونِ أَرْجَوَانِي (١)
كَلَّمَا عَشْتُ صُرُوفَ الْحَدَثَانِ
أَطْلَقْتُ فِي شِكْرِهَا الْيَوْمَ لِسَانِي
أَبَدًا تَنْحَطُّ عَنْ شَمِّ الرَّعَانِ (٢)
عَمَّ بِالْفَضْلِ الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي
فَأَجِرْنِي سَيِّدِي مِنْ رَمْضَانَ
كَانَ حَظُّ الشَّيْبِ مِنْ وَدِّ الْغَوَانِي
أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالسَّبْعَ الْمِثْنَانِي
هِيَ أُمُّ أَيَّامٍ بَوْسٍ وَامْتِحَانِ
لِي مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ التُّلْثَانِ (٣)
إِرْبَاءٌ بِالْأَيْتِقِ (*) النُّجْبُ الْهَجَانِ
يَحْسُدُ اللَّاطِمَ وَجَهَ الصَّحْحَانَ (٤)
وَإِكْفِ (**) الدِّيمَةَ أَنَا بَعْدَ أَنْ

(١) يعني غصت السيوف واختنقت بالدماء.

(٢) في الأصول (أبدا تخط..) والصواب ما أثبتناه.

(٣) يعني (الشر) وهو ثلثا حروف الشرف.

(٤) اللاطم الفارس. واللطيم الفرس. والصححان: الأرض الجرداء المستوية.

(*) في الطبعة (١): (بالأيتيق) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (واكف) وصوابها من الطراز الأنفس.

أَجْرَ شَهْرِ الصَّوْمِ بِالْخَيْرِ الْمَدَانِ
غَيْرُ مَا نَوَعَدُ فِيهِ بِالْجِنَانِ
إِنَّ أَعْيَادَكَ أَيَّامُ التَّهَانِي

صُمْ كَمَا شِئْتَ بِخَيْرٍ وَاعْتَنَمْ
مَا جَزَاءُ الصَّوْمِ فِي أُمَّتَالِهِ
وَتَهَنَّا بَعْدَهُ فِي عِيدِهِ

(١٢٠)

أَضْحَى يُذِيلُ لَهُ الدُّمُوعَ وَرَادَا^(٢)
يَأْبَى قَتِيلُكَ أَنْ يَكُونَ مُفَادَى
إِنْ سُمْتُ صَبَّكَ جَفْوَةً وَبُعَادَا
جَفَّتِ الرَّقَادَ فَمَا تَمَلُّ سُهَادَا
مَا رَاوَحَ الْقَلْبَ النَّسِيمُ وَغَادَى
مَلَأَ الْجَوَانِحَ كَلَّهَا إِيقَادَا
فِيهِ وَمُلِقُ لَلنَّيَاقِ قِيَادَا
قَنَصَتْ لِحَاطَ ظِبَائِهِ الْأَسَادَا
جَادَ الْغَمَامُ دِيَارَهَا وَأَجَادَا
فِيهَا وَشَقَّ عَلَى الطُّلُولِ مَزَادَا
مِنْهَا وَمَا كَانَتْ لَهَا أَعْمَادَا
إِلَّا وَطَاوَعُ أَمْرَهَا وَأَنْقَادَا
لَمْ أَحْشَ فِيهَا لِلدَّمُوعِ نَفَادَا
فَقَدْتُ لَهَا ب(الرَّقْمَتَيْنِ) فُوَادَا^(٥)

عَادَ الْفُؤَادَ مِنَ الْجَوَى مَا عَادَا
بَلْ أَنْتَ قَاتِلَةُ النَّفُوسِ فَرَبِّمَا
قُولِي لَطِيفُكَ يَا سَعَادُ يَزُورُنِي
هَيْهَاتَ أَنْ يَصِلَ الْخَيَالُ لِمُقْلَةٍ
وَلَكَّمْ أَرْوَحُ بِلُوعَةٍ أَغْدُو بِهَا
خُذْ يَا هُدَيْمُ إِلَيْكَ قَلْبِي إِنَّهُ
وَاسَلُّكَ بِصَحْبِكَ غَيْرَ مَا أَنَا سَالِكُ
حَذْرًا عَلَيْكَ مِنْ (الصَّرِيمِ) فَرَبِّمَا^(٣)
تَلِكِ الْأَحْبَبَةُ فِي (الْغَمِيمِ) دِيَارَهَا^(٤)
مِنْ مُتَّقَلَاتِ الْمُزْنِ أَلْقَى رَحْلَهُ
يَسْتَلُّ مِنْهُ الْبَرْقُ بَيْضَ سَيُوفِهِ
مَا قَادَتِ الرِّيْحُ الْجَنُوبُ زَمَامَهُ
وَسَقَاكَ دِفَاعُ الْحَيَا مِنْ أَرْبَعِ
وَقَفَّتْ بِنَا فِيهَا الْمَطِيُّ فَخَلَّتْهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (حسيني).

(٣) الصريم. واد وموضع باليمن. معجم البلدان ٣/ ٤٠٥.

(٤) الغميم: موضع قرب الحديبية بين مكة المكرمة وجدة.

(٥) الرقمتان: مواضع كثيرة بهذا الاسم في بلاد العرب، منها: الرقمتان وهما روضتان الأولى قرب البصرة والثانية في نجد. والرقمتان موضع قرب المدينة المنورة. والرقمتان: روضتان في بلاد بني العنبر، والرقمتان: بشط فليح من أرض بني حنظلة. انظر معجم البلدان ٣/ ٥٨. والشاعر لا يريد موضعاً بعينه. وإنما هي أسماء مواضع يتغنى بها الشعراء.

وَأَبْتُ بِرَاحاً عَنْ طَوَامِسِ أَرْسُمٍ
 هل أنت ذاكرةٌ، وهاج بكِ الجوى،
 وهاهاً لعيشكِ بـ(الغوَيْر) لقد مضى
 ولقد رأيتُ الدارَ تُدمي أعيناً
 فَنَحَرْتُ هَذَا الطَّرْفَ فِي عَرَصَاتِهَا
 وسقيتها بالدمع حتى لو سقى
 يا ورقُ! أين غرامُ قلبك من شج
 أو تُشْبِهين الصَّبَّ عِنْد نُوَاهِهِ
 بلغ البكاء من الشَّجِيِّ مُرَادَهُ
 فمتى خُمودُ النارِ بين جوانحي
 ومُسالِماتِ الحادِثاتِ وَأَنْ أَرَى
 أني يسالمني الزمانُ وقد رأى
 وعداوةُ الأيامِ ليستَ تنقضي
 لولا جميلُ (أبي الثناء) وإنه
 قَلَقْتُ عَنْ أَرْضِ (العراق) رِكَائِي
 هو مُورِدِي ما لم أَرِدْهُ مِنَ النُّدَى
 ومُطَوَّقُ جِيدي بنائله الذي
 مُتَّفَرِّدٌ بِالْفَضْلِ يَعْرِفُ قَدْرَهُ
 إن قلتُ: ما بالخافقينِ نَظِيرُهُ،
 هذِي البلادُ وهذِهِ عُلَمَاؤُهَا
 إن الشَّرِيعَةَ أَلْبَسَتْ بِجَنَابِهِ
 أَجْدَادُهُ بَنَتْ العِلاءَ وشَيَّدَتْ
 وكأَنَّمَا أَقْلَامُ أَنْمَلِهِ غَدَتْ^(١)
 وكأَنَّمَا جُعِلَ الصَّبَّاحُ لَخَطَّهُ

أضحت لها ولصحبها أقيادا
 مرعى وماءً عندها مبرادا
 ورأيتُ بَعْدَ نَعِيمِهِ أَنْكَاداً
 غَرَقِي وَيَحْرَقُ دَمْعُهَا الأَكْبَاداً
 فمدامعي متنى لها وفُرَادِي
 وبُلِّ الغَمَامِ رَسومَها ما زاداً
 جَعَلَ النُّوُوحَ لِشَجْوِهِ مُعْتاداً؟
 ولقد بخلتِ بِمَدْمَعَيْكِ وَجَاداً
 منه وما بلغَ الشَّجِيِّ مُرَاداً
 والنَّارُ أَوْنَةٌ تَكُونُ رِماداً؟
 زمني لأمرِي طائِعاً مُنْقاداً
 هممي على حربِ الزمانِ شِداداً
 والحُرْفِي هَذَا الزمانِ مُعادِي
 يولي الجميلَ وَيُكْرِمُ الوَفَّاداً
 وَسَكَنْتُ غَيْرَكَ يا بلادُ بلاداً
 لولاه لم أكُ صادراً ورَّاداً
 مَلَكَ الرِّقَابَ وطَوَّقَ الأَجْياداً
 من يَعْرِفُ الأَفْرادَ والأَحاداً
 أوردتُ في ما قلتُهُ أَشْهاداً
 هل فَاخَرَتْ بِنَظِيرِهِ (بغداداً)؟
 تاجاً وألبسَهُ التَّقَى أَبْراداً
 فَبَنَى على ذاكِ البِناءِ وشاداً
 زُرْقاً على أهلِ العِنادِ حِداداً
 مَعْنَى وَمُسَوِّدُ الظلامِ مِداداً

(١) في الأصول: (وكانما الأقلام أتملة غدت) والصواب ما أثبتناه.

نهدي إلى عين القلوب سُطوره
 له فضلك في الوجود فإنه
 عزّ النّظيرُ لمثل فضلك بينهم
 لو أنصفوا شكروا مواهب ربهم
 أحييت علم الأنبياء وقد أرى^(٢)
 أفنيت دهرك في اكتساب فضائل
 ولأنت أجرى السابقين إلى مدى
 لحقت مداك اللاحقون فقصرت
 ولقد جريت على مذاكي همّة^(٣)
 ها أنت في الإسلام أكبر آية
 فإذا نطقت فحجة مقبولة
 ما أم فضلك مستفيد في الوري^(٤)
 لولا ورود بحار علمك إذ طمت
 ولكم زرع من الجميل مكارماً
 ولك الجميل إذا قبلت مدائحاً
 فليهنك العيد الجديد ولم تزل

نوراً يخال على البياض سوادا
 ترك البرية كلها حسّادا
 فليطأبوا لك في السما أندادا
 إذ كنت للدين القويم عمادا^(١)
 بوجود ذاتك رجعة ومعادا
 تفري الزمان وتخلق الأبادا
 ولأنت أوري القادحين زنادا
 ولو أنها ركبت إليك جيدا
 لا تسأم الإتهام والإنجادا
 له تمحو الغي والإلحادا
 أو قلت قلت من الكلام سدادا
 إلا استفاد فضيلة وأفادا
 لم تعرف الإصدار والإيرادا
 لا ترتجي مما زرعت حصادا
 أنشدتها لك معلنا إنشادا
 أيام دهرك كلها أعيادا

(١٢١)

تنفس عن وجد توقد جمره
 وبات يعاني هم ليس ببارج
 تمنى وما يغني التمني مطالباً
 ودون أمانيه عوائق جمّة

فأجرى مسيل الدمع ينهل قطره
 على قلبه إقدامه ومكره
 حري به لولا الدنيّة دهره
 يضيق لها في المنزل الرحب صدره

(١) في حديقة الورد (أن كنت..).

(٢) في حديقة الورد (... وقد رأى).

(٣) المذاكي: الخيل العراب.

(٤) في حديقة الورد (ما أم بابك..).

(٥) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

تَحْمَلُ أَعْبَاءَ الْمُتَاعِبِ وَالتُّقَى
وَأَشْقَى بَنِي هَذَا الزَّمَانِ أَرِيْبَهُ
وَرُبَّ خَمِيصِ الْبَطْنِ مِمَّا يَشِيْنُهُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَقِفَةٌ بَعْدَ وَقِفَةٍ
يَطْوُلُ مَعَ الْأَيَّامِ فِيهَا عِتَابُهُ
يَشِيْمُ سَنَا بَرَقِ الْمَطَامِعِ وَامْضَاءُ
فَأَمْسَى يَغْضُ الطَّرْفَ عَنْهُ وَدُونَهُ
وَحَالَفَ مُخْتَاراً عَلَى الْعِزِّ نَفْسَهُ
بِنَفْسِي أَمْرُؤُ يُقْسُو عَلَى الدَّهْرِ مَا قَسَا
إِذَا مَا رَأَى الْمَرْعَى الدَّنِيَّ تَنَوَّشُهُ
تَنَاولَ أَفْنَانَ الْخُصَاصَةِ وَارْتَدَى
جَلِيْدٌ عَلَى عُسْرِ الزَّمَانِ وَيُسْرِهِ
فَلَا الْبُؤْسُ وَالْإِقْلَالُ مِمَّا يَسُوؤُهُ
لِنَّ تَخْلُصُ الْإِبْرِيْزَ نَارَ تَذِيْبِهِ
فَقَدْ أَخْلَصَتْ نَارَ التَّجَارِبِ سَبْكُهُ
قَرِيْبٌ مَجَانِي الْجُودِ مِنْ مُسْتَمِيْحِهِ
فَلَا يَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ مَكْرِي فَاثْنِي
وَمَا أَنَا بِالْمَدْفُوعِ إِنْ ضَمِيْمٌ شَرُهُ
مَنْحَتْ الصَّبَا عَذْبَ الْمَوَارِدِ فِي الْهَوَى
فَضِيْتُ بِهِ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ
تَفْتَحُ نَوَارَ الْمَشِيْبِ بِلَمَّتِي
وَمَا فَاتَنِي هَذَا الْوَقَارُ الَّذِي أَرَى
صَحَا وَالْهَوَى الْعَذْرِيُّ بَاقِ خُمَارِهِ
مُعْذِبْتِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ يَلُومُهَا
أَرَابِكِ مَنِّي أَنْ أَقَمْتُ بِمَوْطِنِ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى
فَلَا زَالَ مَوْصُولاً مِنَ اللَّهِ لُطْفُهُ
بِأَبْلَجِ وَضَّاحِ الْجَبِيْنِ أَغْرَهُ

عَلَى غَرَّةٍ صَرَفُ الزَّمَانِ وَغَدْرُهُ
وَأَتَعَبَ مَنْ فِيهِ مِنَ النَّاسِ حُرَّهُ
يَنْوِي بِأَثْقَالِ الْأَبْوَةِ ظَهْرَهُ
يُهَيِّجُ جَوَى أَحْشَاءِهِ وَتُقْرَهُ
وَيَسْهَرُ لَيْلًا مَا تَبَلَّجَ فَجْرَهُ
تَالَّقَ إِلَّا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ
وَقُوفُ الْفَتَى يَفْضِي إِلَى الضَّمِيْمِ أَمْرُهُ
إِبَاءً وَلَمْ يُؤَخِّذْ عَلَى الذَّلِّ إِصْرَهُ
وَلَمْ يَتَّصِدَعْ فِي الْحَوَادِثِ صَخْرَهُ
يَدُ الرِّذْلِ يَسْتَحْلِي مَعَ الْهَوْنِ مَرَّهُ
بِفَاضِلِ ذَيْلِ الْفَخْرِ يُسْحَبُ طَمْرُهُ
وَمَا ضَرَّهُ عُسْرُ الزَّمَانِ وَيُسْرُهُ
وَلَيْسَ ثَرَاءُ الْمَالِ مِمَّا يَسْرُهُ
فَمَا نَفَعَهُ إِلَّا بِمَا قَدْ يَضُرُّهُ
إِلَى أَنْ صَفَا مِنْ شَائِبِ الرِّيفِ تَبْرُهُ
بَعِيدٌ عَلَى مَنْ سَامَهُ الْخَسْفُ غَوْرُهُ
مَنْ الْقَوْمِ لَمْ يُوْمِنُ بِمَنْ سَاءَ مَكْرُهُ
وَلَا أَنَا بِالْمَنْوَعِ إِنْ سِيْمَ خَيْرُهُ
بِمُبْتَسِمِ بِاللُّوْلُو الرُّطْبِ تَغْرُهُ
فَهَلْ رَاجِعُ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ؟
وَأَيْنَعُ فِي رَوْضِ الشَّبِيْبَةِ زَهْرُهُ
إِذَا فَاتَنِي وَصَلُ الْمَلِيْحِ وَهَجْرُهُ
بَنْشَوَانَ مِنْ خَمْرِ الصَّبَابَةِ سَكْرُهُ
وَأَعْدَبُ شَيْءٍ فِي هَوَاكِ أَمْرُهُ
تَجْوَعُ ضَوَارِيهِ وَتَشْبَعُ حَمْرُهُ
وَهَذَا نَدَى (عَبْدِ الْغَنِيِّ) وَوَفْرُهُ
إِلَيَّ وَمَسْبُوباً مِنَ اللَّهِ سَتْرُهُ
فَاللَّهُ وَضَّاحُ الْجَبِيْنِ أَغْرَهُ

كما لم يزل منِّي عليه ولم يزل
كفاني مُهَمَّاتِ الْأُمُورِ جَمِيعِهَا
وما باتَ إِلَّا وَهُوَ فِي الْخُطْبِ كَالنِّي
وما لَأَمْرِي عِنْدِي جَمِيلًا أَعْدَهُ
وإنَّ الْجَمِيلَ الْمَحْضَ مَعْنَى وَصُورَةً
حَيَاةً جَمِيلَ الصُّنْعِ فِيهَا حَيَاتُهُ
حَيَاضُ الْعَطَاءِ الْمُسْتَفَاضِ أَكْفُهُ
يَمِينٌ كَصَوْبِ الْمُنْزَنِ يَهْرَقُ جُودَهَا
دعاه إلى المعروف من نفسه لها
أدرت له أخلاف كل حابوبة^(١)
تَنصَلُّ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ ذَنْبِهِ بِهِ
فَمَا ذَنْبُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ذَنْبُهُ
ولي منه ما أهدي لديه وأبتغي
فيا قَمَرًا فِي أَفْقِ كُلِّ أَبِيَّةٍ
فداؤك نفسي والمناجيب كأها
أفي الناس إلا أنت من عم خير
وما غيرك المدعو إن شب جمرها
قواض على صرف الحوادث بيضه
إذا ما غزا معروفه النكر مرة
تدفق في حوض المكارم جوده
فهل يعلمن المجد أنك فخره
ومستعصم بالعز منك وثوقه
وما خفيت حال عليك ظهورها

ثنائي على طول الزمان، ويره
فما سرتني إن ساءني الدهر - غيره
بطرف يريع الدهر إذ ذاك شززه
وكيف وقد غطى على البحر نهره
خلائقه بين الأنعام وذكره
وعمر المعالي والأبوة عمره
ومن فيضها جزل العطاء وعمره
ووجه كروض الحزن قد راق بشره
وتلك سجاياه وذلك طوره
من المجد حتى قيل لله دره^(٢)
فلا تعتبن الليل والصبح عذره
ولا وزره من بعد ذلك وزره
ومنِّي له المدح الذي طاب نشره
سريع إلى المعروف والبر سيره
ومن سره في الناس أنك فخره
بيوم على الدنيا تطاير شره
وأنشب ناب الخطب فينا وظفره
مواض لعمرى في الكريهة سمره
فلله مغزاه وبالله نصره
وحلق في جو من الفخر صقره
وهل يعلمن الجود أنك فخره
إليك إذا هاب الدنيا مفره
وكيف وسر العبد عندك جهره

(١) الأخلاف: أشر الضرع.

(٢) تورية لطيفة بين الدر: اللبن. والدعاء (لله دره).

فلا تحسبني من ثراك مملقاً
وليس فقيراً من رأك له غني
فشكراً لأيدك التي قد تتابعت
ولو نظم الجوزاء فيك لما وفى
وما يملأ الأقطار إلا ثناؤه

ورب غني ليس يبرح فقره
ولا أيساً من أنت ما عاش ذخره
إلي بما يستوجب الحمد شكره
بها نظمه المثني عليك ونثره
ويعدب إلا في مديحك شعره

(١٢٢)

ليالينا على الجرعاء عودي
بحيث منازل الأحباب تزهو
وفي تلك المنازل لا عداها
مسارح للمها يسنحن (***) فيها
تعلقها هوى قيس ليلي
هنالك تفتك اللحظات منها
وكم في الحي من كبد تلظي
ولمّا أن وقفت بدارمي
نثرت بها دموع العين نثراً
وللركب المناخ بها حنين
سقتك بمستهل المزن قطر
فأين ملاعب الغزلان فيها
وفي تلك الشفاه اللعس ري
وما أنسى الإقامة في ظلال

بماضي العيش للصبب (*) العميد (٢)
ونظم الشمّل كالدر النضيد
حياً ينهل من ذات الرعود
وإن كانت مرائب للأسود
سوانح ربرب وقطيع غيد
وتنتسب الرماح إلى القود
وتصلي حر نيران الخدود
لذكر الماضيات من العهود
كما انتثر الجمان من العقود
حنين الفاقدين على الفقيد
ووشاك الحيا وشي البرود
وصفو العيش في الزمن الرغيد
فواظم الفؤاد إلى الورود
على ماء من الوادي برود

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٢).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (أورفة).

(*) في الطبعة (١): (للصيب) وصححت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (يسخن) وصححت علي الطراز الأنفس.

تُغَنِّينَا مِنَ الْأُورَاقِ وَرُقٍ
وتنشدنا الهوى طرباً فنلهو
لقد كانت ليالينا ب(جمع)
أبيت ومن أحب وكأس راح
وقد غنت فأعربت الأغاني
فما مالت إلى الفحشاء نفس
وما زالت بي الألحاظ حتى
ولم تملك يمين الحرص نفسي (١)
وليل قد لبست به دجاء
لبيد يفرق الخريت فيها
يجاؤني لديها الحنف نفس
وتمنع جانبي بيض شداد
وكم يوم ركبنا الفلك تطفو
إذا عصفت بها ریح هوت بي
فأونة تكون إلى هبوط
ولولا (اليوسفان) لما رمت بي (٢)
وقد أهوى الكويت وأنتحيها
إذا طالعت بهجته أرتني
أنامله جداول للعطايا
وأكرم من غدت تُثني عليه
مفيد كل ذي أمل وحاج
ومنتجع العفاة ينال فيه
تحط رحالها فيه الأماني

وتشردونا على الغصن الميود
وتطربنا بذيالك النشيد
مكان الخال من وجنات خود
كذوب التبر في الماء الجمود
عن اللذات من ناي وعود
ولا ركنت إلى حسناء رود
ألانت هذه الأيام عودي
ولا ألوت إلى الأطماع جيدي
بأردية من الظلماء سود
ولم أصحب سوى حنش وسيد (٣)
فيلمس ملمس الصعد الشديد
ولي بأس أشد من الحديد
بسيط الماء في البحر المديد
كما يهوي المصلي للسجود
وأونة تكون إلى صعود (٤)
مراميهما إلى خطر مبيد
إلى معنى (محمد السعيد)
مطالعها مطالع للسعود
وبهجته رياض للوفود
بنو الدنيا بقافية شرود
يمد إليه راحة مستفيد
مكانة رفعة ونال جود
وتعنيه المدائح من بعيد

(١) في الأصول: (ولم تملك يمين الحرص نفس) والصواب ما أثبتناه.

(٢) الحنش: الأفعى. وما أشبهت رؤوسه رؤوس الحيات من الحرابي وسوام أبرص والضباب (لسان العرب مادة حنش). والسيد: بكسر السين الذئب.

(٣) في الأصول: (فأونة تكن... وأونة تكن..) والصواب ما أثبتناه.

(٤) هما السيدان يوسف البدر ويوسف الصبيح وقد مرت ترجمتهما في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).

وتأوي كما أوت إليه
فَتَى من عِقْدِ ساداتِ كرامِ
نَعِمْتَ فَتَى من الأَشْرَافِ خِلاً
ولولا جُودُهُ والْفَضْلُ مِنْهُ
مَنَاقِبُ في المَعالي أَوْرَثُوهَا
أُسُودُ مَواطِنِ الهَيْجاءِ قَوْمٌ
هو الشَّرْفُ الَّذِي يَبْدُو سَنَاهُ
ويُخْمِدُ نورَهُمُ ناراً تَلْظَى
وما اعترفَ الجُودُ بِها وفاقاً
رِفَاعِي رَفِيعُ القَدْرِ سامِ
ومُبدي كُلِّ مَكْرَمَةٍ مَعِيدٌ
مَكَارِمٍ مُنْعَمٍ ونِوالِ بَرٍّ
وما مَلَكَتْ يَداهُ من طَريفِ
عمودِ المَجْدِ من بيتِ المَعالي
مَدَحَتْ سِوَاهُ من نِقَباءِ عَصْرِ
وُلِدَتْ بِهِ فَأُلِدَتْ إِذا بَظَلَّ
ولستُ بَبارِحٍ عن بابِ قَرَمِ^(١)
إِذا جَرَدَتْهُ عَضْباً صَقِيلاً
وإنْ ذَكَروا لَه خالِقاً وَخالِفاً
إِليك بَعَثْتُها أباياتِ شِعْرِ
كَقَطْرِ المُرْنِ يَسْجُمُ من نَميرِ
لِئِنَّ كائِنَ بنو الدنِيا

ومأواها إلى رُكنِ شَدِيدِ
يَتِيْمَةٌ ذلِكَ العِقْدِ الفَريدِ^(*)
فِيها لَـلله من خِلِّ وُدودِ
كما^(**) مَنَّ الوُجُودَ على وجودي
عن الآبِاءِ مِنْهُمُ والجُودِ
لَهُم شَرَفُ العُقُولِ على الأَسودِ
فِيخضَعُ كُلُّ جَبَّارٍ عَنيدِ
وَكانَ الظنُّ أبايَةَ الخُمُودِ
ولكنْ لا سَبيلَ إلى الجُحودِ
أبِي راعِمٌ أنْفَ الحَسُودِ
فِيها لَـلله من مُبَدِّ مَعِيدِ
غَنِيٌّ بِالنَّجَازِ عَنِ الوُعُودِ
- فلم تُضِعِ الجَميلِ - ومِن تَلِيدِ
وَهلْ بَيتٌ يَقومُ بلا عَمُودِ
فَكُنْتُ كَمَن تَيَمَّمُ بِالصَّعِيدِ
يَمُدُّ ظِلالَ جَناتِ الخُلُودِ
أُقَيِّدُ من نَداهُ في قُيُودِ
وَقَفْتُ مِنَ الحَدِيدِ على حَدِيدِ
فَقَلْ ما شَنَّتْ بِالخُلُقِ الحَمِيدِ
يَسيرُ بِها الرِسالُ مَعَ البَرِيدِ
رِروضِ المُرْنِ يَبسِمُ عَن وِروِدِ
قَصِيداً فَإِنَّكَ بَيْنَهُمُ بَيتُ القَصِيدِ

(١) في الأصول: (.. عن باب قوم) والصواب ما أثبتناه.

(*) إشارة وتوجيه لطيفين إلى كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.

(**) في الطبعة (١): والطران الأنفس (كما) ولعل صوابها (لما).

وتَوَالَى الْبِشْرُ مِنْهُ وَالسُّرُورُ
 مُذْ بَدَا وَانْشَرَحَتْ مِنْهَا الصُّدُورُ
 وَكَذَا تَطَّلَعُ فِي الْأَفْقِ الْبُدُورُ
 مِنْصِفٌ بِالْحُكْمِ عَدْلٌ لَا يَجُورُ
 هُوَ إِلَّا الْعَالَمُ الْبَحْرُ الْغَزِيرُ
 مَا جَرَتْ إِلَّا بِمَا شَاءَ الْأُمُورُ
 يَسْعُدُ السُّلْطَانَ فِيهَا وَالْوَزِيرُ
 أَنْ لِرَحْمَةِ وَاللُّطْفِ الظُّهُورُ
 حَبِّذَا الْمَأْمُورُ فِيهَا وَالْأَمِيرُ
 فَأَقْدُ طَالَتْ وَمَا فِيهَا قُصُورُ
 أَنْ يَرَى النَّاسَ وَمَا فِيهِمْ فُقِيرُ
 وَسَحَابٌ مِنْ أَيْدِيهِ مَطِيرُ
 أَهْلُ هَذَا الْقُطْرِ أَنْ حَانَ الْهَجِيرُ
 إِنَّمَا أَنْتَ بِشِيرٌ وَنَذِيرُ
 مِثْلَمَا يَمْحُو الدُّجَى الصُّبْحُ الْمُنِيرُ
 وَكَبَا بِالْمُفْسِدِ الْجَدُّ الْعَثُورُ
 حَاضَتْ الْبَيْضُ بِهَا وَهِيَ ذُكُورُ^(١)
 وَجَنَابُ الْحَقِّ مَوْلَانَا النَّصِيرُ
 ضَمَّنَهَا الْفَوْزُ وَعُقْبَاهَا الْحُبُورُ
 مِثْلَمَا تَحْتَطِفُ الطَّيْرُ الصُّقُورُ

شَرَّفَ (الْبَصْرَةَ) مَوْلَانَا الْمُشِيرُ
 قَرَّتْ الْأَعْيُنُ فِي طَلْعَتِهِ
 أَشْرَقَتْ فِي أَفْقِنَا وَأَنْتَهَجَتْ
 يَرْفَعُ الْجُورَ وَيُبْدِي عَدْلَهُ
 أَوْتِي الْحُكْمَةَ وَالْحُكْمَ وَمَا
 فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ مَلِكُ
 مِنْ وَزِيرٍ أَصْـبَحَتْ أَرَاؤُهُ
 كَانَ سِرُّ اللَّطْفِ مَكْتُومًا وَقَدْ
 مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ انْبَعَثَتْ
 دَوْلَةٌ أَيْدِيهَا إِلَهُ بِهِ
 وَبَشِيرٌ لِمَالِكٍ هَمَّهُ
 أَنْتَ سَيْفٌ صَارِمٌ فِي يَدِهِ
 أَنْتَ ظَلٌّ مَدَّهُ إِلَهُ عَلَى
 جِئْتَ بِالْبَأْسِ وَبِالْجُودِ مَعًا
 تَمَحَّقُ الْبِغَاغِينَ عَنْ آخِرِهِمْ
 أَصْلَحَتْ بَيْضُكَ مَا قَدْ أَفْسَدُوا
 فِي حُرُوبٍ تَدْرِكُ الْوَتِيرَ بِهَا^(٢)
 عُدَّتْ مَنْصُورًا بِجَيْشِ ظَافِرٍ
 بِذَلُوهَا أَنْفُسًا عَنْ طَاعَةٍ
 تَخْطِفُ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَعْدَائِهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(١) الوتر: الثار.

(٢) البيض السيوف ومن أسماء السيف الذكر. وحاضت السيوف يعني جرت عليها دماء القتلى. وهو مثل قول الشاعر:

تحيض بأيدي القوم وهي ذكور

ومن عجب أن الذوابل والقنا

إِنَّمَا قَرَّبْتَهُمْ عَنْ نَظَرِ
 عَارِفًا إِخْلَاصَ مَنْ قَرَّبَتْهُ
 فَتَحَتْ بَاباً لِرَاجِيكَ يَدُ
 وَحَمَى أَطْرَافَهَا ذُو غَيْرَةٍ
 أَسْمَعَتْ صَمَّ الْأَعَادِي رَهَبًا
 مُهْلِكُ أَعْدَاكَ الرَّعْبُ كَمَا
 يَا لَكَ أَلَّهُ مُشِيرًا بِالَّذِي
 فَإِذَا جَادَ فَغَيْثٌ مُمَطَّرٌ
 وَإِذَا حَلَّ بَدَارٌ قَدْ بَغَتْ
 إِنْ تَسَلَّ عَمَّنْ بَغَى فِي حُكْمِهِ
 أَوْ قَدُوا النَّارَ الَّتِي أُورُوا بِهَا
 إِذْ يَسِيرُ النَّصْرُ فِي مَوْكِبِهِ
 كَيْفَ لَا يُرْجَى وَيُخْشَى سَطْوَةٌ
 وَإِذَا طَاشَتْ رِجَالٌ لَمْ يَطِشْ
 ذُو أَنْتِقَامٍ شَقِيَّ الْجَانِي بِهِ
 أَبْغَضَ الشَّرَّ فَلَا يَصْحَبُهُ
 أَنْقَذَ الْأَخْيَارَ مِنْ أَشْرَارِهَا
 فَ(العِزَّةُ) الْآنَ فِي خَفْضٍ وَفِي
 أَنْتَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا مَوْرِدٌ
 أَنْتَ لِلنَّاسِ لِعَمْرِي مَنَهْلٌ
 هَذِهِ (البَصْرَةُ) مِنْذُ اسْتَبَشَّرْتَ
 حَدَّثْتَ بِالْقُرْبِ مِنْ عُمَرَانِهَا
 كَبَقَايَا أَسْطَرٍ مِنْ زُبْرِ
 فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَعْمُرَهَا
 تَتَلَفَّاهَا وَإِنْ أَشْفَتْ عَلَى
 لَكَ بِالْخَيْرِ مَسَاعٍ جَمَّةٌ

ما له في هذه الناسٍ نظير
 ولأنت الناقدُ الشَّهْمُ البَصِير
 سُدَدْتَ فِي حَدِّ مَاضِيهَا التُّغُور
 وَهُوَ أَنْتَ الْبَاسِلُ الشَّهْمُ الْغُيُور
 مِنْ مَوَاضِيكَ صَلِيلٌ وَزُنَيْر
 أَهْلَكَتَ عَادًا مِنَ الرِّيحِ الدَّبُور
 يُرْتَضَى مِنْهُ وَبِالْخَيْرِ مُشِير
 وَإِذَا حَارَبَ فَالْيَيْتُ الْهَاصُور
 حَلَّ فِيهَا الْوَيْلُ مِنْهُ وَالتُّبُور
 فَقَتِيلٌ مِنْ ظُبَاهِ وَأَسِيرٌ^(١)
 وَسَعَى فِي هُلُوكِهِمْ ذَاكَ السَّعِير
 مُعْلِنًا تَأْيِيدَهُ حَيْثُ يَسِير
 لَا النَّدَى نَزْرٌ وَلَا الْبَاعُ قَصِير
 أَيْنَ (رَضْوَى) مِنْ عِلَاهِ وَ(تَبِير)
 وَلَنْ تَابَ عَفْوٌ وَعَفُور
 وَأَنْطَوَى مِنْهُ عَلَى الْخَيْرِ الضَّمِير
 وَشَرَارُ الشَّرِّ فِيهِمْ مُسْتَطِير
 مَجْدِكَ الْبَاذِخُ مَخْتَالٌ فَخُور
 وَلِهَا مِنْكَ وَرُودٌ وَصُدُور
 وَنَدَاكَ السَّائِغُ الْعَذْبُ النَّمِير
 بِكَ وَأَفَاهَا مِنَ السَّعْدِ بَشِير
 بَعْدَمَا أَخْرَبَهَا الدَّهْرُ الْمُبِير
 بَلِيَّتٌ وَأَبْتَلِيَّتُ تِلْكَ السُّطُور
 بِكَ وَاللَّهُ بِمَا شَاءَ قَدِير
 جُرْفٌ هَارٍ وَأَبْلَتْهَا الْعُصُور
 وَبِمَا تَعَزَّمُ مِقْدَامٌ جَسُور

(١) الظباء طلبا السيوف مدت للضرورة.

وَإِذَا بَاشَرْتَ أَمْرًا مُعْضَلًا
قَدْ شَهِدْنَا فَوْقَ مَا نَسَمَعُهُ
فَشَهِدْنَا صِحَّةَ الْقَوْلِ وَإِنْ
وَنَشَرْتَ الْفَضْلَ حَتَّى خَلَّتْهُ
طَلَعَتْ مِنْ أَنْجُمِ الشُّعْرِ بِكُمْ
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ سَعْدٌ مُقْبِلٌ

هَانَ فَيْكَ الْأَمْرُ وَالْأَمْرُ عَسِيرٌ
عَنْكَ وَالْقَوْلُ قَلِيلٌ وَكَثِيرٌ
قَصَّرَ الرَّأْيِي وَمَا فِي الْقَوْلِ زُورٌ
قَامَ مِنْكَ الْبَعْتُ حَشْرٌ وَنُشُورٌ
وَيَدَّتْ مِنْ أُنْفَقِ الشُّعْرَى الْعَبُورُ^(١)
وَعَلَى الْبَاغِي عَبُوسٌ قَمَطَرِيرٌ

(١٢٤)

هَاتَهَا حَمْرَاءَ تَحْكِي الْعَنْدَمَا
وَأَنْتَهَبِزَهَا فِرْصَةً قَدْ أَمَكَنْتُ
وَأَنْتَهَبِزَهَا لَذَّةً إِنْ تَنْقُضُ^(٤)
وَأَعِدْ لِي مِنْ شَبَابِي مَا مَضَى
حَبِّبَا أَخْتُ عَرُوسٍ زُوجَتْ^(٥)
أَخْبَرْتُ عَنْ نَارِ (كَسْرِي) مَا رَوْتُ
لَطُفْتُ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ نَرَهَا
فِي رِيَاضٍ أَخَذْتُ زُخْرُفَهَا
يَوْمَ أَنْسِ نَشَرَ السُّحْبِ بِهِ
حَجَبَ الشَّمْسِ فَأَبْرَزْنَا لَنَا

وَاسْقِنِيهَا مِنْ يَدِي عَذْبَ اللَّمَى^(٣)
فَاعْتَنِمَهَا وَاتَّخِذْهَا مَعْنَمَا
يَا نَدِيمِي أَعْقَبَتُكَ النَّدْمَا
بِعَجُوزٍ لَمْ تُلَاقِ الْهَرْمَا
وَهِيَ بِكْرُ الدَّنِّ مِنْ مَاءِ السَّمَا
مِنْ أَعَاصِيرِ الْأَلَى مَا قَدَّمَا
فَتَخَيُّنَا الْوَجُودَ الْعَدْمَا
وَبِكَى الْغَيْثِ لَهَا وَابْتَسَمَا
فِي نَوَاحِي الْجَوِّ بَرْدًا مُعْلَمَا
شَمْسَ رَاحٍ وَالْحَبَابَ الْأَنْجَمَا

(١) الشعري: نجم في السماء، وهما نجمان (الشعري الغميصاء والشعري العبور) وكان العرب قبل الإسلام يعبدون الشعري العبور. وفي القرآن الكريم (وأنه هو رب الشعري) سورة النجم الآية (٤٩). وفي البيت جناس بديع بين الشعر والشعري.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(٣) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (١) في مخطوطة شعر الأخرس التي حققها ونشرها الدكتور يوسف عز الدين.

(٤) في الأصل: (إن تنقض) كذا.

(٥) في الأصل: (حبذا أخذ عروس) ولا يستقيم معه المعنى. والصواب ما أثبتناه.

مَعْ مَلِيحٍ قَدْ قَضَى الْحُسْنَ لَهُ
لَوْ رَأَاهُ عَاذِلٌ يَعْذِلُنِي
أَشْتَكِي الظلمَ وَهَذَا ظَالِمِي
وَرِمَانِي عَامِداً مِنْ لِحْظِهِ
مَا اتَّقَى اللَّهَ بِأَحْشَائِي وَلَا
حَرَمَ الْوَصْلَ عَلَى مُغْرَمِهِ
يَا مَلِيحاً أَنَا فِي طَاعَتِهِ
مِنْكَ أَشْكُو مَا أَقْاسِيهِ وَمِنْ
وَسَوَاءٍ فَيْكَ مَسْلُوبِ الْحَشَا
يَا لِقَوْمِي مِنْ مُشِيرٍ بَدْمِي
كَمْ وَكَمْ فِي الْحَبِّ لَا فِي مَعْرَكِ
وَفُنُونٍ لَشُجُونٍ أَطْلَقَتْ
لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً بَاتَتْ بِهَا
وَسَهَرْنَاهَا كَمَا شَاءَ الْهَوَى
تِلْكَ أَعْرَاسُ زَمَانٍ سَأَلَفَتْ
لَمْ أَزَلْ مِنْ بُعْدِهَا أَرْجُو لَهَا
مُقَرِّناً قَوْلِي عَسَى فِي رِيْمَا
يُنْعَمُ الدَّهْرُ عَلَيْنَا مَرَّةً
مَا رَأَتْ عَيْنِي أَمْرًا حَيْثُ رَأَتْ
عَالَوِي قَدْ عَلَا أَعْلَى الْعُلَا
مُذْ رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا مَا جَدَاً

أَنْ يَرَى الظلمَ إِذَا مَا حَكَمَا
فِي هَوَاهُ عَادَ فِيهِ مُغْرَمَا
يَا لِقَوْمِي مِنْ حَبِيبٍ ظَلَمَا
أَيَّ سَهْمٍ ذَلِكَ الْأَحْظَرَمَى
رَاقِبَ الْمَائِمِ فِي مَا أَتَمَّا^(١)
لِيَتَهُ حَلَّلَ مَا قَدْ حَرَمَا
وَأُعَاصِي فِي هَوَاهُ اللُّؤْمَا
سُقِّمَ أَجْفَانِكَ أَشْكُو السُّقْمَا
بَاحَ أَسْرَارِ الْهَوَى أَوْ كَتَمَّا^(٢)
مِنْ دَمٍ طَلَّ بِأَلْحَاطِ الدَّمَى
صَرَخَ الظُّبْيِ الْأَعْنُ الضِّيغَمَا
عَبْرَةَ الصَّبِّ مِنَ الْوَجْدِ دَمَا
أَعْيُنُ الْوَاشِيْنَ عَنَا نَوْمَا
نَتَّعَاطَى الْكَأْسَ مِنْ خَمْرِ اللَّمَى
فَأَقَمَ يَوْمًا عَلَيْهَا مَا تَمَّا
عَوْدَةً تُبْرِي بِقَلْبِي الْأَلْمَا
وَعَسَى تُغْنِي (عَسَى) أَوْ (رِيْمَا)
فَتَرَى شَمْلَ الْمُنَى مُنْتَظَمَا
مِثْلَ (إِبْرَاهِيمَ) بَرًّا مُنْعَمَا
وَعَلَى أَسْمَى السَّمَاكِينَ سَمَا
وَعَرَفْنَاهُ وَعَرَفْنَا الْكَرَمَا

(١) في الأصل: (راقب الماتم) كذا بالمشناة.

(٢) هنا في الأصل ثلاثة أبيات اختلطت فيها الصدور والأعجاز هكذا:

وسواء فيك مسلوب الحشا	صرع الظبي الأغن الضيغما
يا لقومي من مشير بدمي	باح في سر الهوى أو كتما
كم وكم في الحب لا في معرك	من دم طلل بالأحاط الدمى

قلت: وهي واضحة جداً في صورة المخطوطة المنشورة في المقدمة. ولا يستقيم معها المعنى كما أن المحقق لم ينبه عليها. والصواب ما أثبتناه. وإنما حصل الخطأ أثناء الطبع أو النسخ.

فهو كالغيث إذا الغيث همي^(١)
 باسطاً للجود منه راحةً
 أشرف العالم أمماً وأباً
 هو من أشرف قوم نسباً
 سيد إن يعتز أو ينتم^(٢)
 لـوذعي^(*) لم تدع آراؤه
 قسماً بالفخر في عآيائه
 إنه لأفرد في أقرانه
 سالك ما سلكت أبأؤه
 نشرت أيماناً ما مآكت
 أنا في مدحي له خادمه
 وقابل ولو أتي ناظم
 شيم ممدوحة في ذاته
 فتراه للندى حينئذ
 هو ترياق من الدهر الذي
 فإذا ما حاربت أيامه
 نتقي ما نتقي من بأسه
 لا بأعت أرباً إن لم أكن

وهو كالبحر إذا البحر طمى
 ساجلت يوم العطاء الديما
 ثم أوفاهم وأندى كرمها
 خير من تلقاه فيهم منعمها
 فإلى خير النبيين أنتمى
 من أمور الرأي أمراً مبهما
 أوتبغي فوق هذا قسماً؟
 كان والمجد التليد التوأما
 بمعاليه السبيل الأقوما
 لنظام الحمد حتى نُظما
 إن من يخدم علاه خدماً^(٣)
 لعلاه في القريض الأنجما
 فتأمل فيه تلك الشئما
 مسبغاً في كل يوم نعما
 كان في اللأواء صلاً صيأما^(٤)
 حادث الأيام ألقى السأما^(٥)
 وإذا^(**) أقدم خطب أحجما^(٦)
 ناقلاً إلا إليه قداما

(١) فيه اقتباس من قول لسان الدين ابن الخطيب:

جادك الغيث إذا الغيث همي

(٢) في الأصل (إن يعتزي أو ينتمي) غير مجزومة.

(٣) في الأصل: (إنما يخدم علاه خدماً) وكتب المحقق في الحاشية: كذا في الأصل وفي نسخة ش (إن من يخدم علاه خدماً). قلت: الصواب في نسخة ش وقد أثبتناه.

(٤) الصيلم: الخبيث الشديد.

(٥) في الأصل: (جادت أيام) كذا ولم ينبه عليها المحقق.

(٦) في الأصل: (وإذا قدم).

(*) في الطبعة (١): (لو دعى) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (وإن) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

إِنَّمَا (البَصْرَةَ) فِي أَيَّامِهِ
 جَعَلَ اللَّهُ لَهَا فِي ظِلِّهِ
 مُكْرِمًا مِّنْ أُمَّةٍ مُّسْتَرْفِدًا^(١)
 فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْهَا خَيْرَ مَا
 أَبْصَرَتْ أَعْيُنُهَا بَعْدَ الْعَمَى
 خَيْرَ ظِلٍّ مِنْهُ بِلِ خَيْرِ حِمَى
 رَاحِمًا مِّنْ جَاءِهِ مُسْتَرْحِمًا
 جُوزِي الْمُنْعَمَ عَمَّا أَنْعَمَا

(١٢٥)

مَضَى سَيِّدٌ مِنْ عُرِّ أَبْنَاءِ (هَاشِمِ)
 إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى إِلَى الْعَفْوِ وَالرِّضَا
 وَلَمَا فَقَدْنَاهُ بِكَيْنَا لِفَقْدِهِ
 بِكِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرُوفِ أَرْخُ (كَلِيهِمَا)
 فَظَلَّ عَلَيْهِ يَنْدُبُ الْمَجْدَ سَيِّدُ
 إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي تَتَجَدَّدُ
 وَقَدْ عَزَّ مِنْ يُبْكِي عَلَيْهِ وَيُفْقَدُ
 لِقَبْرِ ثَوَى فِيهِ الْأَمِينُ مُحَمَّدِ^(٣)
 ١٢٧٣هـ

(١٢٦)

أَسْرَكَ مِنْ بَادِ لِعَيْنَيْكَ حَاضِرِ
 سَرَى لِيَبْلُ الْمُسْتَهَامُ غَلِيْلَهُ
 وَإِنْ كَانَ لَمْ يُغْنِ الْخِيَالُ وَلَمْ يَكُنْ
 سَلَا مِّنْ سَلَا قَبْلِي وَمَا كُنْتُ سَالِيًا^(٥)
 وَهِيَهَاتَ أَنْ أَسْلُوَ عَنِ الْمَجْدِ بِالْهَوَى
 وَأَفْتَحِمُ الْأَمْرَ الْمَهُولَ وَمَا الْعُلَا
 طُرُوقُ خِيَالٍ مِنْ أُمَيْمَةَ زَائِرِ
 وَيَشْهَدُ مَا بَيْنَ الْحَشَا وَالضَّمَائِرِ
 لِيَشْفِي جَوَى فِي الْحَبِّ مِنْ وَصَلِ هَاجِرِ
 وَعَيْشِكَ مَا مَرُّ السُّلُوِّ بِخَاطِرِي
 وَأَصْبُو إِلَى غَيْرِ الْعُلَا وَالْمَفَاخِرِ
 بَغَيْرِ الْعَوَالِي وَالسُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ

(١) فِي الْأَصْلِ (مَكْرَمًا مِنْ أُمَّةٍ..).

(٢) مَرَّتْ تَرْجَمْتُهُ فِي تَعْلِيْقِنَا عَلَى الْقَصِيْدَةِ رَقْمَ (٤٤).

(٣) فِي الْأَصُولِ لَمْ يَرِدِ الرَّقْمُ. وَمَجْمُوعُ الْعِبَارَةِ بِسَاوِي ١٢٧٣هـ وَهُوَ الصَّحِيْحُ.

(٤) مَرَّتْ تَرْجَمْتُهُ فِي تَعْلِيْقِنَا عَلَى الْقَصِيْدَةِ رَقْمَ (٣٠).

(٥) سَلَا الْأَوَّلَى فَعَلْ أَمْرٌ لِلْمَثْنَى وَالْمَخَاطَبِ وَالثَّانِيَةِ فَعَلْ مَاضٍ.

أَلَا تَكَلَّمْتُمْ أُمَّ الْجَبَانِ وَلِيَدَهَا
 إِذَا كَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ فِي الْوَعَى
 فَنَلُّ مَا تَمَنَّى عِنْدَ مُشْتَجَرِ الْقَنَا^(١)
 وَخَاطِرُ بِنَفْسٍ لَا أَبَا لَكَ حُرَّةٌ
 كَمَا بَلَّغَا فِي الْمَجْدِ (أَبْنَاءُ رَاشِدٍ)
 فَمَنْ يَطْلُبُ الْعَلِيَاءَ فَلْيَطْلُبْنَهَا
 هَمَا مَا هَمَا مَا فِي الرِّجَالِ سِوَاهُمَا
 رِجَالُ الْمَنِيَا إِذْ يَشْبُ ضِرَامُهَا
 وَهَمُّ مُورِدِهَا وَالسُّيُوفُ مَنَاهِلُ
 وَإِنْ (بَنِي السَّعْدُونَ) بِالْجُودِ وَالنَّدَى
 فَمَا وَكَدَتْ أُمَّ الْمُعَالِي لِهِمْ أَخَاً
 أَرَى النَّاسَ إِلَّا (أَلَّ سَعْدُونَ) (*) أُمَّةً
 أَبَاحُوا نَدَاهُمْ لِلْعُفَاةِ وَحَرَّمُوا
 لِقْدَ أُشْرِبَتْ حُبَّ الْمُعَالِي صُدُورُهُمْ
 وَإِنِّي مَتَى عَرَضْتُ يَوْمًا بِمَدْحِهِمْ
 إِذَا قَلْتُ قَوْلًا كُنْتُ أَصْدَقَ قَائِلٍ
 وَلَوْ عَلِمَ السُّلْطَانُ إِقْدَامَ (نَاصِرٍ)
 هُمَامًا أَبَادَ الْمَفْسِدِينَ وَدَمَّرَتْ
 وَقَلَّمَ أَظْفَارَ الْخُطُوبِ فَلَمْ تَصِلْ
 فَلَيْسَ بِيَدِعِ أَنْ تَرَاهُ لَدَى الْوَعَى
 يَسَافِرُ عَنْهُ الصَّيِّتُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

وَلَا قُرَّرْتُ مِنْهُ بَعِينَ وَنَاطِرُ
 وَدَارَتْ عَلَى أَبْطَالِهَا بِالْذَوَائِرِ
 فَتَيْلُ الْأَمَانِيِّ بِالْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ^(٢)
 فَمَا يَبْلُغُ الْأَمَالَ غَيْرُ الْمُخَاطِرِ
 مَكَانَ الدَّرَارِيِّ وَالنُّجُومِ الزُّوَاهِرِ
 بِرَأْفَةٍ (مَنْصُورٍ) وَسَطُوةٍ (نَاصِرٍ)^(٣)
 إِذَا عُدَّتْ الْأَشْرَافُ بَيْنَ الْعَشَائِرِ
 بِدَاهِيَةِ دَهْيَاءٍ تَرْمِي بِثَائِرِ
 مَوَارِدٍ حَتَفَ مَا لَهَا مِنْ مَوَادِرِ
 لِأَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْبُحُورِ الزُّوَاحِرِ
 وَقَدْ خَابَ مِنْ يَرْجُو نِتَاجَ الْعَوَاقِرِ
 تُعَدُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ مَوْتَى الْمُقَابِرِ
 عَلَى جَارِهِمْ لِلدَّهْرِ سَطُوةً جَائِرِ
 هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرِ
 وَأُورِدْتُ مَا أُورِدْتُهُ مِنْ خَوَاطِرِي
 وَإِنْ قَلْتُ شِعْرًا كُنْتُ أَشْعَرَ شَاعِرِ
 لَمَا اسْتَنْصَرَ السُّلْطَانُ الْإِبَّ (نَاصِرٍ)
 صَوَارِمُهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَفَاجِرِ
 بِأَنْبِيَابِ أَحْدَاثٍ وَلَا بِأَنْظَافِرِ
 بِأَشْجَعٍ مِنْ لَيْثٍ بِ(خَفَّانٍ) خَادِرِ^(٤)
 مُقِيمٍ عَلَى الْإِحْسَانِ غَيْرِ مُسَافِرِ

(١) (تمنى). بحذف إحدى التائين. وأصلها تتمنى.

(٢) في الأصول (قتيل الأمانى ..) والصواب ما أثبتناه.

(٣) مرت ترجمته في تعليقتنا على القصيدة رقم (٥٤).

(٤) خفان: موضع في بلاد العرب كثير الأسود وهو فوق القادسية قرب الكوفة (معجم البلدان ٢ / ٣٧٩).

(*) في الطبعة (١): (سعيدون) وهو خطأ طباعي.

يحدّثُ راويه عن البأس والنّدى
وما نامَ عن قومٍ تكفّلَ حفظَها
إذا جرّدتُ يَمناه عَضْباً يمانياً
وإنّ كَتَبْتُ أيديه في الجودِ حررتُ
نظمتُ أمورَ الناسِ علماً وحكمةً
ودبّرتُ إكسيرَ الرياسةِ والعُلا
وقُمتُ مقاماً يخطبُ الناسَ مُنذراً
لئن خُطبتُ أسيافُك البيضُ خطبةً
ويا ربُّ قومٍ طاولتُك فقصرتُ
وجاءتُك بالمكرِ الذي شقيتُ به
وأرغمتُ أنافَ الطُّغاةِ فأصبحتُ
ثبّتُ ثباتَ الراسياتِ لحربِهِم
أذقتُهُم البأسَ [الشديداً] (**)
وما خُلقَ الإحسانُ إلاّ لصالحٍ
عليك بِوُدِّ الأقربينَ وإنّ أتتُ
وأحسنَ إليهم ما استطعتُ فإنّما
لعمركَ إنّ ألفتُ بين قلوبِهِم
فما أفلحتُ بين الأنامِ قبيلةً
وإنك تعفو عن كثيرٍ وهكذا
فما أنتُ إلاّ كابرٌ وابنُ كابرٍ
يميناً ربُّ (البيتِ) و(الركنِ) و(الصفا)

ويأتيك من أخباره بالنّوادر
وقد باتَ يرهاها بأعينٍ ساهر
كسأه نجيعاً من نجيعِ الحناجر^(*)
بياضَ العطايا من سوادِ المحابر
فمنّ ناظمٍ فيك الثناءَ وناثر
بما لا يفي يوماً به علمُ (جابر)^(١)
ويعلنُ من إرشاده بالبشائر
فهامُ الأعادي عندها كالمنابر
وما كان منك الباعُ عنهم بقاصر
فما رجعتُ إلاّ بصفقةٍ خاسر
تُصعّرُ ممّا أبصرتُ خدَّ صاغر
وحلقتُ يومَ الفخرِ تحليقَ طائر
ويا طالما أنذرتَهُم بالزواجِر
ولا خُلقَ الصّمصامُ إلاّ لفاجر
بغيرِ الذي تهوى فليس بضائر
تُشاهدُ بالإحسانِ صفو الضمائر
ظفرتُ من الدنيا بأسنى الذخائر
إذا ابتليتُ يوماً بداءِ الضرائر
- وعيشك - قد كانت صفاتُ الأكابر
وما أنتُ إلاّ طاهرٌ وابنُ طاهر
ومن حلّ في أكنافِ (***) تلكِ الشاعر

(١) توجيه بدیع بین (جابر بن حیان) عالم الجبر والکیمیاء المشهور وجابر خان بن مرداد شیخ بنی کعب فی المحمرة. ومرت ترجمته فی تعلیقنا علی القصيدة رقم (١١٦).

(*) فی الطبعة (١): (الحناجر) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) فی الطبعة (١): هذه الكلمة ساقطة وأضفناها من الطراز الأنفس.

(***) فی الطبعة (١): (اكتاف) والصواب من الطراز الأنفس.

لأنتم (بنو السعدون) في كل موطنٍ
 عليكم ثنائٍ حيثُ كنتُ وطالما
 أزيدُ لكم شُكراً وأزادُ نعمةً
 أقلدُكم مني الثناءَ وإنه
 أكارمُ مذُ كنتمُ كرامَ العنصرِ
 ملأتُ بأشعاري بطنَ الدفاترِ
 وما أزدادتُ النعماءُ إلا لشاكر
 قليلٌ ولو قلدتُكم بالجواهرِ

(١٢٧)

مَدَحْتُ ابْنَ الْفَدَاغِ نَظْمِي (٣)
 وَجَنَّتُهُ وَالنَّهَارُ وَلِي
 فَسَاءَ عِنْدَهَا مَجِيئِي
 أَقَمْتُ فِي دَارِهِ طَوِيلاً
 فَخَابَ فِي مَدْحِهِ النِّظَامُ
 وَكَادَ أَنْ يَهْجَمَ الظُّلَامُ
 كَأَنَّمَا جَاءَهُ الْحَمَامُ
 فَلَا كَلَامٌ وَلَا سَلَامُ
 أَهْكَذَا تَفْعَلُ الْكِرَامُ

(١) أسرة الفداغ من الأسر الكريمة من قبائل شمر بنجد. وقد رحلت من بلدة (الحرمة) عندما حاصرها سعود سنة ١١٩٣هـ - ١٧٧٨م ونزلت في الزبير وقسم منهم سكن بلدة الجمعة في نجد، أما عبدالله بن حمد بن سلطان بن محمد الفداغ، فكان من كبار الملاك والتجار في البصرة وقد ضيق عليه متسلم البصرة عزيز آغا - ابن خالة داود باشا - ووضع غرامة كبيرة من النقود عليه وعلى أخيه الحاج سليمان الفداغ، فرحلا إلى الكويت أيام عزيز آغا وكانا على صلة ومودة مع الشيخ جابر الصباح أمير الكويت وكان لهما أثر في النزاع على المشيخة في الزبير ضد عائلة الزهير وبخاصة الشيخ سليمان الزهير، وتحالفا مع الشيخ فارس بن عجيل شيخ المنتفق، على عزل آل الزهير. وأما والدهم فقد عاش في الكويت وقيل عاد إلى الجمعة. وذرية الحاج سليمان الفداغ في الزبير تعرف اليوم بأسرة (السنعوس) وهم من كرام الناس. ومن أحفاده الدكتور داود الفداغ. ويبدو أن الشيخ عبدالله الفداغ قد غضب على الشاعر ولم يحسن استقباله ولم يستمع لمديحه وربما كان ذلك بسبب مدائح الشاعر لآل الزهير وحسن صلته بهم. ولكن الذي نأسف له أننا لم نجد قصائد الأخرس في مدح آل الفداغ كما أشار الشاعر في مطلع القصيدة هذه وربما أ تلف الشاعر قصائده. عنوان المجد ص ١٦٨ والنصرة في أخبار البصرة ٣٦ ورسالة خاصة من الصديق الأديب إبراهيم عبداللطيف البصري ورسالة من الأستاذ عبدالعزيز عمر العلي مشكورين.

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (١٠) في مخطوطة شعر الأخرس.

(٣) في المطبوع: (مدحت ابن الفداغ فخاب في مدحه النظام)

وهو مختل الوزن. ولم ينبه المحقق عليه. وأثبتنا الصواب من أصل المخطوطة.

وصار عمداً يصدُّ عني
لما رأيتناه وهو مُغضٍ
مَرَقْتُ إذْ قُمْتُ صُحْفَ شِعْرِي
ومن يكنْ وجْههُ عَبُوساً
ولا أرجي ندىً بخيلٍ
فكان كالبحر وهو ملحٌ
رأى لساني إذاً قليلاً
ولا أداري ولا أمـاري

وما بدا منه لي ابتسام
وسرّني منهم القيام^(١)
عليّ إكرامه حرام
لو أنّ في كفه الغمام
لم يُروّ من مائه أوام^(٢)
وما درى أنّه حُسام
وليس في نَمّتي الأثام^(٣)
عليك في ذلك السّلام

(١٢٨)

لا عيبَ بالبصرة مُستَهجنٌ
إلا وجودُ الشّيخِ مُفتيها^(٥)
لأنّه أحيلَ منَ فيها

- (١) كذا في الأصول. ولعل الصواب (وسرهم مني القيام) لأنه أولى.
- (٢) في أصل المخطوطة وطبعها (لم يرق من مائه أوام) وما أثبتناه أصوب.
- (٣) في أصل المخطوطة وطبعها (وليس في دفتر الأنام) وكتب المحقق في الحاشية قائلاً: ولعله (وليس في دفتر الأنام). قلت وهو في الوجهين لا معنى له ولعل الصواب ما أثبتناه.
- (٤) الشيخ عبدالودود بن عطاء الله الجنابي البغدادي. نشأ في بغداد ودرس على علمائها. وسافر إلى البصرة مع بعض القضاة. وعين في البصرة نائباً للقاضي ثم صار مفتياً فيها. وذلك لاضطراب أحوالها وقعود رجالها عن الخدمة أيام الوزير علي رضا اللاط. إلا أن المفتي أساء التصرف. ولم يحافظ على سمعة مركزه الديني حتى تألبت عليه القلوب ورفعوا أمره إلى الوالي المشير محمد نجيب باشا سنة ١٢٦٠هـ فعزله وعين بدله السيد محمد أفندي الطباطبائي مفتياً. وكتب الشيخ عبدالودود رسالة إلى أبي الثناء الألويسي. يشكو فيها حاله ويتظلم من المخبرين عنه ويدافع عن نفسه. حديقة الورود ج٢/ الورقة ٢٣ - ٢٤ مخطوط.
- (٥) هذان البيتان لم يردا في الأصول. وهما رقم (١١) في مخطوطة شعر الأخرس بتحقيق الدكتور يوسف عزالدين.
- (٦) يقصد بالنجدي: الشيطان حيث ورد في السيرة النبوية أن المشركين من قريش اجتمعوا في دار الندوة بمكة المكرمة ليغدروا برسول الله ﷺ، وأن الشيطان قد حضر ذلك الاجتماع بزي رجل نجدي.

بلوغ مرام صب من مَروم؟
وما يغني الوقوف على الرسوم
ب (ذي سلم) و(رامّة) و(الغميم)^(٢)
بقلب سار عن جسد مُقيم
وإن كانت أحر من السموم
جری من لوعة الوجد اللئيم
لياليهم ب(منعرج الصريم)
فسلني إن جهلت عن النعيم
جني الزهر مخضر الأديم
عقدت حبابه - بنت الكروم
نجاة من هموم أو غموم
تنوف به على الغيث العميم
سقاني البين كأساً من حميم
وأي اللائمون من المَلوم
حليف الوجد حينئذ فأومي
غراماً يا أميمة كالغريم
ومن يبغي الثراء من العديم^(٣)

أفي الطلل الحديث أو القديم
وقفت على رسوم دارسات
ألا سقيت منازل آل سلمى
وحيّاً (*) حيّ أحباب تناءت
خذي يا ريح أنفاسي إليهم
أكفكف بعدهم دمعاً كريماً
رعى الله الأحبّة كيف مرت
قضيت نعيم عيش مرّ فيها
وكم غصن هصرت بها رطيباً
بحيث تزوج ابن المزن - لما
إلى بعد (الغميم) وعهد (سَلْع)
سقتها هذه العبرات صوباً
كأنّي حين أسقيها دموعي
تلوم لجهلها لمياء وجددي
سألتك إن رأيت الأوم يجدي
أما وحشاشة في القلب تزكو
لقد عدم التصبر فيك قلبي

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(٢) مواضع في بلاد العرب وقد مر التعريف بها. والشاعر لم يقصدها بعينها، وإنما هي أسماء ترد على السنة الشعراء.

(٣) فيه اقتباس من قول مهيار الديلمي:

ويضعف منّي ويميت فضلي تطلبي الثراء من العديم

ديوان مهيار ٣/ ٢٩٦.

(*) في الطبعة (١): (وحي) وصوابها من الطراز الأنفس.

وها أنا بعد من أهوى علي
 وكم دنف ب (كاظمة) سقيم
 وأليت دون ذاك الحي يرمي
 وأحباب أقاسي ما أقاسي
 هم نقضوا العهود وهم أصروا
 وذكرى بعدهم جنات عيش
 وفي (دار السلام) تركت قومي
 ولي في (البصرة الفيحاء) قوم
 جرى من صدر (إبراهيم) فيها
 من الأشراف من أعلى (قريش)^(١)
 إذا عدت قروم (بني معد)
 عماد الدين قام اليوم فينا
 وفزع من رسول الله دلت
 ونجم في سماء المجد يهدي
 شهاب ثاقب لا زال يذكو
 يُعيد ظلام ليل الشك صبحاً
 يزيد عقولنا بدقيق فهم
 ونرجع في الكلام إلى خبير
 تكاد حلاوة الألفاظ منه
 وروض من رياض الفضل ضاهي

شفائي منه معتل النسيم
 ولكن من هوى طرف سقيم^(١)
 فيضرع في سهام لحاظ ريم
 عذاباً من عذابهم الأليم
 بصددهم على الحنث العظيم^(٢)
 رماني في لظى نار الجحيم
 وما أنا من هواهم بالسليم
 أصول بهم على الخطب الجسيم
 على الدنيا ينابيع العلوم
 بهم شرف ل (زمزم) و(الحطيم)
 فأول ما يعد من القُروم
 بأمر الله والدين القويم
 أطايبه على طيب الأروم
 إلى نهج الصراط المستقيم
 فيقذف كل شيطان رجيم
 إذا ما كان كالليل البهيم
 غذاء للعقول وللْفُهوم
 بكشف دقائق المعنى عليهم
 تُعيد الروح في الجسم الرميم
 بزهر كلامه زهر النجوم

(١) فيه اقتباس من قول مهيار الديلمي: إذا عري اللوى من شجو قلبي ومن طرف أصيب به سقيم

ديوان مهيار ٣/ ٢٩٦.

(٢) فيه اقتباس من قول الله تعالى: (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) سورة الواقعة الآية (٤٦).

(٣) في الأصول: (من الأشراف أعلى من قريش). والصواب ما أثبتناه.

(٤) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

(٥) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي؛ من فرسان العرب وشعرائهم المشهورين قبل الإسلام ولد في المدينة. وكان شعره في الفخر والحماسة والدفاع عن عشيرته وله قصائد في الثار لأم أبيه وجده، وكانت له مناقضات شعرية مع حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهما. وأدرك الإسلام وأسلمت زوجته وقتل هو مشركاً قبيل الهجرة. وله ديوان شعر مطبوع. انظر الموسوعة العربية ص ٢٦٥. والأعلام ٦/ ٥٥ وفيه مصادر أخرى.

يُقَصِّرُ بِالْبَلَاغَةِ بَاعَ (قُسٌّ) (٤)
 وَإِنَّكَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَىٰ عُلَاهُ
 إِذَا ذُكِرْتَ مَنَاقِبُهُ أَنْتَشَيْنَا
 لَقَدْ كَرُمْتَ لَهُ خَيْمٌ وَجَلَّتْ
 وَهَلْ فِي السَّادَةِ الْأَنْجَابِ إِلَّا
 يَفُوقُ الدَّرَجَةَ فِي نَتْرِ وَنَظْمٍ
 وَأَيْنَ الْمَسْكَ مِنْ نَفَحَاتِ شَيْخٍ
 وَلَمْ يَبْرَحْ يَقَابِلُ سَائِلِيهِ
 تَنَالُ بِفَضْلِهِ عِلْمًا وَحِكْمًا
 فَحَازَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ طُرًّا
 زَفَقَتْ إِلَىٰ عُلَاكَ بَنَاتُ فِكْرِي
 أَغَارُ مِنَ اللَّئَامِ عَلَىٰ الْقَوَافِي

وَيَقْصُرُ عَنْهُ (قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ) (٥)
 نَظَرْتُ إِلَىٰ جِبَالٍ مِنْ حُلُومٍ
 وَكَانَتْ كَالْمُدَامَةِ لِلنُّدِيمِ
 وَخَيْمُ الْأَكْرَمِينَ أَجْلُ خَيْمِ
 كَرِيمٍ قَدْ تَفَرَّعَ مِنْ كَرِيمٍ
 إِذَا مَا قَيْسٌ فِي الدَّرَجِ النَّظِيمِ
 يَفُوقُ نَوَافِحَ الْمَسْكَ الشَّمِيمِ
 بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالطَّبَعِ الْحَلِيمِ
 وَتَعَلَّمَ فَضْلَ (لِقْمَانَ الْحَكِيمِ) (١)
 وَحَاشَاكَ مِنَ الْخُلُقِ الذَّمِيمِ
 فَكَانَتْ مُنْيَةَ الْكَفْوِ الْكَرِيمِ
 فَلَا يَحْظَىٰ بِهَا حَظُّ اللَّئِيمِ

(١٣٠)

عَفَّتِ الْمَنَازِلُ رِقَّةً وَنُحُولًا
 وَأَرِيقُ دُمُوعِكَ إِنَّمَا هِيَ لَوْعَةٌ
 وَابِكِ الْمَعَالِمِ مَا اسْتَطَعْتَ فَرِيْمًا
 وَاسْتَجَدَّ مَا سَمَحَ السَّحَابُ بِمَائِهِ
 يَا نَاقُ مَا لَكَ كَلِمًا ذُكِرَ (الْغَضَا)

فَاحْبِسْ بِهَا هَذَا الْمَطِيَّ قَلِيلًا (٣)
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنَ الدَّمُوعِ سَيُولًا
 بَلَّ الْبِكَاءُ مِنَ الْفَوَادِ غَلِيلًا
 إِنْ كَانَ طَرْفُكَ يَا (هُذَيْمٌ) بِخِيَلًا
 جَاذَبَتْ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ عَلِيلًا

(١) لقمان بن باعورا وقيل بن عنقا بن سرون، ابن أخت النبي أيوب عليه السلام وقيل ابن خالته. وكان أسود أفتس حبشياً ذا مشافر. أعطاه الله الحكمة ولم يكن نبياً. وفي القرآن الكريم سورة باسمه وهي (سورة لقمان). انظر روح المعاني للألوسي ج٢١/ ٨٢ - ٨٣.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢) وذكر المرحوم العزاوي في المجموعة أنه مدحه سنة ١٢٦٤هـ.

(٣) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (أورفة).

(٤) في الأصول: أجراءها. بالراء المهملة والصواب ما أثبتناه والجزع ضرب من الحصى يشبه العقيق يتخذ للزينة وجمعه أجزاء. وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تحوي على الجزع.

إِنَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُ فِي أَجْزَاعِهَا^(٤)
 جَمَلٌ مِنَ الْعَبْرَاتِ يَوْمَ وِدَاعِهِمْ
 وَكَأَنَّ دَمْعَ الصَّبِّ صَوَّبٌ غَمَامَةٌ
 يَا مَنْزِلَ الْأَحْبَابِ أَيْنَ أَحِبَّةٌ
 رَاحُوا وَرَاحَ رِدَاءُ كُلِّ مُفَارِقٍ
 وَمَضَتْ رِكَائِبُهُمْ تُقَلُّ جَاذِرًا
 عَرَضَتْ لَنَا وَالدَّمْعُ يَسْبِقُ بَعْضُهُ
 وَيَلَاهُ مِنْ فَتَكَاتِ أَحْدَاقِ الْمَهَا
 لَوْلَا الْعُيُونُ النَّجُلُ لَمْ تَلْقَ أُمْرًا
 يَا أُخْتَ أُمِّ الْخَشْفِ كَيْفَ تَرَكْتَهُ^(١)
 أَوْرَدْتَهُ مَاءَ الْعُيُونِ صَبَابَةً
 هَلَّا بَعَثْتَ لَهُ الْخَيَالَ لَعَلَّهُ
 وَكَلْتَ بِالْدَنْفِ الضَّنَى لِكَ شَاهِدًا
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ وَلَا إِخَالُكَ جَاهِلًا
 مَا لَاحَ ذِيَاكَ الْجَمَالَ لِعَاذِلٍ
 ضَلَّ الْعَذُولُ وَمَا هَدَى فِي مَا هَدَى
 كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى التَّصَابِي بَعْدَمَا
 أَسْفَأَ عَلَى أَيَّامٍ عُمُرٍ تَنْقُضِي
 وَبِنَاتِ أَفْكَارٍ لَنَا عَرَبِيَّةً
 وَإِذَا نَهَضْتُ إِلَى الَّتِي أَنَا طَالِبٌ
 سَأُرْوَعُ بِالْبَيْنِ الْمُطِيِّ وَلَمْ أُبَلِّ
 وَأُغَادِرُ النَّجْبَ الْكَرَائِمَ فِي السُّرَى
 لَا تَعْذِلِينِي يَا أُمِّمَ عَلَى النَّوَى
 مَا بَيْنَ قَوْمِكَ مَنْ إِذَا أُمَّلْتَهُ
 وَتَقَاصَرَتْ هِمَمُ الرِّجَالِ وَأَصْبَحَتْ

أَمَسْتُ ظُعُونًا لِلنَّوَى وَحُمُولًا
 فَصَلَّتْهَا لِفِرَاقِهِمْ تَفْصِيلًا
 يَسْقِي رُسُومًا نُحْلًا وَطُلُولًا
 سَارَتْ بِهِمْ قُبُّ الْبِطُونِ ذَمِيلًا؟
 تِلْكَ الْوُجُوهُ بِدَمْعِهِ مَبْلُولًا
 يَأْلَفْنَ مِنْ بَيْضِ الصَّوَارِمِ غِيلًا
 بَعْضًا كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ مَسِيلًا
 مَلَأَتْ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ نُصُولًا
 يَشْكُو الْجِرَاحَ وَلَا دَمًا مَطْلُولًا
 يَوْمَ (الْغَمِيمِ) مَتِيمًا مَتْبُولًا
 وَمَنْعَتْ خَمْرَ رُضَابِكَ الْمَعْسُولًا
 يِرْتَاخُ فِي سِنَةِ الْكُرَى تَخْيِيلًا
 وَكَفَى بِذَلِكَ شَاهِدًا وَوَكِيلًا
 أَنْ الْعَذُولَ بِهِنَّ كَانَ جَهُولًا
 إِلَّا وَكَانَ الْعَاذِلُ الْمَعْدُولًا
 بَلْ زَادَنِي بِدُعَائِهِ تَخْضِيلًا
 قَدْ قَارَبَ الْغُصْنَ الرُّطِيبُ ذُبُولًا
 كَدْرًا وَتَذَهَبُ بِالْمُنَى تَأْمِيلًا
 لَا يِرْتَضِينَ سِوَى الْكِرَامِ بُعُولًا
 فِي الدَّهْرِ أَقْعَدَنِي الزَّمَانَ حُمُولًا
 أَذْهَبِينَ كَدًّا أَمْ فُقِدْنَ قُفُولًا
 تَفْرِي^(*) حُزُونًا أَقْفَرَتْ وَسُهُولًا
 فَلَقَدْ عَزَمْتُ عَنِ (الْعِرَاقِ) رَحِيلًا
 أَلْفَيْتُ ثَمَّةً نَائِلًا وَمُنِيلًا
 فِيهِمْ رِيَاضُ الْأَمْلِينَ مُحُولًا

(١) الخشف: ابن الغزال وأخت أم الخشف يعني أخت الغزال.

(*) في الطبعة (١): (تغري) والصواب من الطراز الأنفس.

تأبى المروءة أن تراني واقفاً
أو أنني أرضى الهوان وأبتغي
صبراً على هذا الزمان فإنه
لولا جميل (أبي جميل) ما رأته
أهدي إليه قلائداً بمديحه
فإخال ما يُطربنهُ بنشيدِها
ويميل من كرم الطباع كأنما
نوهمة بعدت فكان كأنه
لو لم يكن في الأرض من أعلامها
الصادق العزمات إن ريعت به ألد
لا آمن الحدثنان إلا أن أرى
إنني اختبرت جنابه فوجدته
وإذا تغيرت الحوادث بامرئ
قصرت بنو العلياء عن عليائه
كم شاهد الجبار من سطواته
في موطن لم يتخذ غير القنا
إن شيم شيم الغيث أومض برقه
وإذا أتيت إلى مناهل فخله
تلقي قوولاً ما هنالك فاعلاً
وإذا قضى كرماء على أمواله
ما زال براً بالعفاة ومُسعفاً
وإذا سألت مكارماً من ماجدٍ
ولقد هزرتك للجميل فخلتني
تاله ما عرف السبيل إلى الغنى
وإذا سألت سواك كنت كأنني
قسماً بمجدك وهو أعظم مقسم

في موقوف يدع العزيز ذليلاً
بالعز - لا عاش الذليل - بديلاً
زمن يعد الفضل فيه فحولاً
عيناى وجه الصبر فيه جميلاً
كشفت قناع جمالها المسبولا
كانت صليلاً في الوعى وصهيلاً
شربت شمائله المدام شمولاً
يبغي بها فوق السماء حلولا
كادت تميل بأهلها لتزولا
أخطار قطع حبلاها الموصولا
بجوار ذيك الجناب نزولا
ظلاً بهاجرة الخطوب ظليلاً
لا يقبل التغيير والتبديلاً
ولو أنها تحكي الشوامخ طولاً
يوماً يروع به الزمان مهولاً
والمشرفية صاحباً وخليلاً
أوربع كان الصارم المسلولاً
لتنال من إحسانه ما نيلاً
يا قل ما كان القوول فعولاً
كان القضاء بأمره مفعولاً
بل مسرعاً بالمكرمات عجولاً
ما كان غير نوالك المسؤلوا
أنى أهز مهنداً مصقولاً
حتى وجدت إلى علاك سببياً
أبغى لذاتك في الأنام مثبلاً
يستخدم التعظيم والتبجيلاً

لو كنتَ في الأممِ المَواضي لم تكنْ
إنَّ الذي أعطاكَ بينَ عبادِهِ
أعطاكَ من كَرَمِ الشَّمائلِ ما بهِ
أطلعتَ من تلكِ المكارمِ أنجماً
عَلقتُ بكِ الآمالُ من دونِ السورى
ورجوتُ ما تُرجى لكلِّ مُلمّةٍ
ولكِ اليدُ البيضاءُ حيثُ بسطتْها
ولو أنني استسقيتُ وابلَ ديمةٍ
هي موردٌ لآملينَ ومَنهَلٌ
فلأنشُرَنَّ عليكِ عُرقَ صائدي

إلا نبيّاً فيهمِ ورسولا
قَدراً يَجَلُّ عن النّظيرِ جليلاً
جُعِلتْ ذُكاءُ على النّهارِ دليلاً^(١)
لم ترَضَ ما أقلَّ النُّجومُ أفولا
يوماً فأدركَ أملٌ مأمولاً
فوجدتُ جودكَ بالعطاءِ كفيلاً
تَهَبُ العطاءُ الوفرَ منكِ جزيلاً
لم تُغنني عن راحتيكِ فتيلاً
دعني أفوزُ بلئِمها تَقبيلاً
ولأشكرنَّكُ بكرةً وأصيلاً

(١٣١)

وما زلتُ مُذُ فارقتُ (بغداد) أبتغي
وإني مُشْتاقٌ إلى كلِّ ماجدٍ
تطالِبني نفسي بطيبٍ وطيبٍ

نُزوحاً إلى ما يفتضيه نُزوحِي
يَصوبُ بقطرٍ أو يَهبُ بريحٍ
فقلتُ ابشري بالمِسكِ وابنِ صَبِيحٍ

(١٣٢)

(١) ذكاء: بضم الذا: الشمس.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤) ص ٢٤١.

(٣) الملا صالح ابن الشيخ علي السويدي. كانت له خصومة مع الشاعر وكان كثير التردد إلى مجالس النقباء وأبي النشاء وعبدالباقي العمري. وكان يحاول أن يقلل من شأن الأخرس وينقد شعره ويحط من قدره. وكذلك كان يفعل المفتي محمد أمين الزند والشاعر عمر بن رمضان الهيتي. وقد ذكره أبوالنشاء الألويسي في مقاماته وشكا منه قائلاً: «كان في أيام الشدة فرعوني بعد أن كان قبل الطاعون ناصري وعوني..»، وللملا صالح تملك على كتاب (شرح وقاية الرواية) سنة ١٢٣٥هـ في المكتبة القادرية العامة ببغداد تحت رقم (٣٤٠) ووقفية على كتاب (غاية المنتهى) للمقدسي الحنبلي سنة ١٢٥٠هـ في المكتبة القادرية. انظر: مقامات ابن الألويسي (المقامة الثالثة). والآثار الخطية ٢/١٢٦ و٣١٠.

أَتَنَسَىٰ صَالِحًا يَوْمًا عَبُوسًا غَدَاةً هُجِيتَ فِي شِعْرِ السُّوَيْدِي
 وَيَوْمًا قَدْ ضُرِبْتَ بِكُلِّ نَعْلٍ تُثْقِلُ فَوْقَ رَأْسِكَ بِالْجُنَيْدِ
 لَقَدْ أَصْبَحْتَ لِلشُّعْرَاءِ مَرْمَى فَكُلُّ قَالِ هَذَا كَلْبٌ صَيْدِ

(١٣٣)

وقال يخاطب الشيخ عبدالله علوش^(١) شيخ حلقة الذكر في جانب الكرخ

أَلَا بَلَغَ جَنَابَ الشَّيْخِ عَنِّي رِسَالَةً مُتَّقِنٍ بِالْأَمْرِ خُبْرًا
 وَسَلَّ مِنْهُ غَدَاةً يَهْزُ رَأْسًا بِحَلَقَةٍ ذَكَرَهُ وَيُدِيرُ نَحْرًا
 أَقَالَ اللَّهُ صَفْقٌ لِي وَغَنٌّ وَقَلُّ كَفْرًا وَسَمُّ الْكُفْرِ ذُكْرًا
 وَأَيُّ وَايَةٍ حَاصَلَتْ بِجَهْلٍ وَمَنْ ذَا نَالَ بِالْكَفْرِ أَنْ جَرَا
 فَإِنْ قَلْتَ اجْتَهَدْتَ بِكُلِّ عِلْمٍ فَأَعْرَبْ لِي إِذَا لَاقَيْتُ عَمْرًا
 وَمَا يَكْفِيكَ هَذَا الْفِعْلُ حَتَّى كَذَبْتَ عَلَى النَّبِيِّ وَجِئْتَ نُكْرًا
 مَتَى صَارَتْ (هَيَازِعُ) مِنْ (قَرِيشٍ)^(٢) فَعَدُّهَا لَنَا بَطْنًا وَظَهْرًا
 فَإِنْ تَكُنَّ السِّيَادَةُ بِاخْضِرَارٍ لَكَانَ السَّلْقُ أَشْرَفَ مِنْكَ قَدْرًا
 تَقُولُ (الْعَيْدُرُوسِي) كَانَ يُحْيِي^(٣) مِنَ الْأَنْفَاسِ مَنْ قَدِمَاتِ دَهْرًا

(١) لم نعثر له على ترجمة.

(٢) هيازع: فخذ من قبيلة العبيد الشهيرة وقبيلة العبيد قحطانية الأصل وليست عدنانية والسادة ينتمون إلى قبائل عدنانية.

(٣) أبو الفتوح بهاء الدين باعلوي السيد عبدالله العيدروسى العدنى البغدادى القادري البدرى السهروردى. ولد في (تريم) باليمن وأخذ العلم عن شيوخ عصره منهم القاضي سهل بن أحمد باحسن العلوي وأخذ عنه الإرشاد كثيرون. وقد كف بصره وهو صغير وقدم بغداد وأسس فيها الطريقة العيدروسية. وكان إمام أهل الحقيقة وعلم أهل الطريقة وقد أخذ الطريقة عن الشيخ جمعة البصرى وتزوج من ابنته فاطمة. والشيخ جمعة من ذرية الشيخ الحسن البصرى رضى الله عنه. وللسيد العيدروسى مؤلفات جليلة الفائدة منها (رسالة المعاونة والموازرة للراغبين في طريق الآخرة) و(الدر المنظوم لذوى العقول والفهوم) ومنه نسخة في المتحف العراقى. وغيرها.

وتوفي ببغداد عصر يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ١١٧٧هـ ودفن في تكيته الكبيرة في الجانب الغربى من بغداد (الكرخ) انظر: التكايا والطرق ص ٢٥ - ٤٠. للمرحوم عباس العزاوى مخطوط وتاريخ العراق بين احتلالين ٦/ ٣٩. وديوان العشارى ص ٢٨٠ - ٢٨١ ويبدو أن الشيخ علوش كانت له خصومة مع الشاعر كما أن القصيدة =

أَكَانَ شَقَقْتُ لِلْبَارِي شَرِيكاً
فَوَيْلُكَ قَدْ كَفَرْتَ وَلَسْتَ تَدْرِي
وَوَيْحَكَ مَا الْعِبَادَةُ ضَرْبُ دُفٍّ
بِرُؤْيَيْتِكَ الْأَنَامُ تَطْنُ خَيْراً
أَجِبْ عَمَّا سَأَلْتِكَ وَاشْفِ صَدْرِي

فِي مَلِكُ دُونَهُ نَفْعاً وَضَرّاً
وَلَمْ تَبْرَحْ عَلَى هَذَا مُصِرّاً
وَلَا فِي طَوْلِ هَذَا الذَّقْنِ فَخْراً
وَلَوْ عَقَلْتَ لَطَنَّتْ فِيكَ شِراً
وَإِنْ أَكُ قَدْ عَرَفْتِكَ قَبْلُ ثُوراً

(١٣٤)

جَلَا فِي الْكَأْسِ جَالِيَةَ الْهُمُومِ
يَحْضُ عَلَى مَسَرَّاتِ النَّدَامِي
وَقَدْ فَرَشَ الرَّبِيعُ لَنَا بَسَاطاً
بِحَيْثُ الْأُفُقِ مُغْبِرُ الْحَوَاشِي
هِنَاكَ تَطْلُعُ الْأَقْمَارُ فِيهَا
كَأَنَّ حَبَابَهَا نُظِمَتْ نُجُوماً
وَأُرْشَفَنِي لِمَاءِ الْعَذْبِ أَلْمَى
وَأَعَذَبُ مَا أَرَى فِيهِ عَذَابِي
وَأَحْبَابُ كَمَا أَهْوَى كِرَامُ
وَيُسْعِدُنَا عَلَى اللَّذَاتِ عُدُ
يَخْصُ بِمَا يَعْمُ أَخَا التَّصَابِي
فِي أَلِكِ لَوْعَةٍ فِي الْحَبِّ بَاحَتْ

وَقَامَ يَمِيسُ بِالْقَدِّ الْقَوِيمِ
وَيَأْمُرُ فِي مُصَافَاةِ النَّدِيمِ
مِنَ الْأَزْهَارِ مُخْتَلَفِ الرَّقُومِ
وَوَجْهَ الْأَرْضِ مُخْضِرُ الْأَدِيمِ
شُمُوسَ الرَّاحِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
رَجَمَتْ بِهَا شَيَاطِينَ الْهُمُومِ
مَرَّاشِفُهُ شِفَاءٌ لِّلْسَقِيمِ
فَمَا أَشْكَو الظُّلَامَةَ مِنْ ظُلُومِ
تُنَادِمُنِي عَلَى بِنْتِ الْكِرُومِ
يَكْرُرُ نَغْمَةَ الصَّوْتِ الرَّخِيمِ
فِي شَجِي بِالْخُصُوصِ وَبِالْعُمُومِ
بِمَا فِي مَضْمَرِ الْقَلْبِ الْكِتُومِ

= تشير إلى تأثير العقيدة السلفية في بغداد وجرأة الشاعر في مهاجمة الصوفية وحلقات الأذكار بالرغم من شيوعها وإسناد الشيخ أبي الهدى الصيادي لها. مع العلم أن للأخرس قصائد أخرى عديدة في مدح المتصوفة ورجال الطريقة وبخاصة الرفاعية منهم.

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

وما أهرقت من دمعٍ كريمٍ
ألامٌ على هواكٍ وليت شعري
وما سألتُ دموعَ العينِ إلاَّ
وهل يَنجُو من الزفَرَاتِ صبُّ
وقد حان الوداعُ وحان فيه
ألاله من زَمَنٍ قَضَيْنَا
وقد كانت تُدارُ عليَّ راحٌ
أخذتُ بكأسها وطربتُ فيها
بحيثُ الشَّمْسُ طالعةٌ، مُدامي
تَصَرَّمَتِ الصَّبَابَةُ والتَّصَابِي
ومُفْرِيةُ الفَدَافِدِ والفَيَافِي
سَرِيَتْ بِهَا أَقْدُ السَّيْرِ قَدًّا
إِذَا مَرَّتْ عَلَى أَرْضٍ فَرَّتْهَا
وَقَفَّتْ عَلَى رِسُومِ دَارِسَاتٍ
أَكْفَكَفَ عِبْرَةَ المَلْهُوفِ فِيهَا
أَطُوفُ فِي البِلَادِ وَأُنْتَحِيهَا
لِنَنَّ سَعَدَتْ بِهِ الكُومَاءُ يَوْمًا^(١)
أُنِيخَتْ فِي رِحابِ (بني عليٍّ)
وأغنانِي عن الدنْيَا جَمِيعاً
وما زالتُ مَطايانا سِرَاعاً
رَعِيَتْ بِهِ النَّدَى غَضًّا نَضِيراً
أُقْبِلُ مِنْهُ رَاحَةً أَرِيحِي

جرى من لَوْعَةِ الوَجْدِ اللَّئِيمِ
فَمَا لِلأَثْمِينِ مِنَ المَلُومِ
لِما فِي القَلْبِ مِنْ حَرِّ السَّمُومِ
رَمَتْهُ بِالعَگرامِ لِحاظِ رِيمِ
رَحِيلِ الصَّبْرِ عَنْ وَجْدِ مُقِيمِ
بِهِ اللَّذاتِ فِي العَصْرِ القَدِيمِ
تُعِيدُ الرُّوحَ فِي الجَسَدِ الرَّمِيمِ
فَسَلَّنِي كَيْفَ شَنَّتَ عَنِ النُّعِيمِ
وَبَدُرُ النِّمِّ يَوْمئِذٍ نَدِيمِي
وصارمَنِي الهَوَى طَبِي (الصَّرِيمِ)
لِها فِي البِيدِ إِجْفالُ الظَّلِيمِ^(١)
بضربِ الوَحْدِ مِنْها والرَّسِيمِ^(٢)
مُرورِ العاصِفَاتِ عَلَى هَشِيمِ
وما يَغْنِي الوَقُوفُ عَلَى الرُّسُومِ
وتحتِ أَضالعي نارُ الجَحِيمِ
وإنْ شَطَطَتْ إِلى حُرِّ كَرِيمِ
حَسَمْتُ نُحُوسَ أَيامِ حُسُومِ
نِياقي لا بِ(مُنْعَرَجِ الغَمِيمِ)
نَدَى (سلمان) ذِي القَلْبِ السَّلِيمِ
إِلى نادِي الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ
فما أَدنو إِلى المَرَعَى الوَخِيمِ
تَصُوبُ بِصَيِّبِ الغَيْثِ العَمِيمِ

(١) مفرية الفدافد هي الناقة تفري الأرض بسيرها. والظليم: فحل النعام وهو مشهور بسرعته.

(٢) الوحد والرسيم: ضربان من السير.

(٣) الكوماء: الناقة النجبية.

وَأَيْ وَالْهَمُومَ إِذَا أَعْتَرَّتَنِي
 وَيَحْمِي الْمُنْتَمِينَ إِلَى عُلَاهُ
 إِذَا ذُكِرَتْ مَنَاقِبُهُ بِنَادٍ
 يَرُوقُ نَضَارَةً وَيَرُوقُ ظَرْفًا
 وَمَا يُبْدِيهِ مِنْ شَرْفٍ وَمَجْدٍ
 وَمَا بَرِحَتْ مَكَارِمُهُ تُرِينَا
 وَتَطَّلِعُ مِنْ مَعَالِيهِ فَتَزْهَوُ
 وَلَمْ لَا يَرْتَقِي دَرَجَ الْمَعَالِي
 بَوَارِ الْخَصْمِ فِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
 لَهُ فِينَا - وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوْفٌ -
 أَنْوَاءٌ بِشُكْرِهَا وَأَفُوزُ مِنْهَا
 وَذُو الْحَطِّ الْعَظِيمِ فَتَى بَرَّتَهُ
 وَفِيهِ مَنَعَةٌ لَا زَالَ فِيهَا
 وَيُدْرِكُ فِكْرَهُ مِنْ كُلِّ مَعْنَى
 هُوَ الْقَرْمُ الَّذِي أَفْتَحَرَتْ وَبَاهَتْ
 تَحُومٌ عَلَى مَنَاهِلِ الْعَطَاشَى
 وَتَصُدُّ عَنْ مَوَارِدِ رَاحَتَيْهِ
 ل (عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ) يُنْمَى
 إِلَى مَنْ تُفْرَجُ الْكُرْبَاتُ فِيهِ
 إِلَى بَيْتِ النَّبُوءَةِ مُنْتَمَاهُمْ

وَجَدْتُ بِهِ النَّجَاةَ مِنَ الْغُومِ
 مُحَامَاةَ الْغَيُورِ عَنِ الْحَرِيمِ
 تَضْوَعُ عَنْ شَذَا مِسْكِ شَمِيمِ
 أَرْقٌ - إِذَا نَظَرْتَ - مِنَ النَّسِيمِ
 يَدُلُّ بِهِ عَلَى شَرْفِ الْأُرُومِ^(١)
 وَجُوهَ السَّعْدِ بِالزَّمَنِ الْمَشُومِ
 مَنَاقِبُ أَشْبَهَتْ زُهْرَ النَّجُومِ
 بِمَا يَعْطَاهُ مِنْ شَيْمٍ وَخِيمِ^(٢)
 وَنَيْلُ الْبِرِّ مِنْ بَرِّ رَحِيمِ
 يِدَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ الْكَلِيمِ^(٣)
 بِمَا يُوْفِي الثَّرَاءَ إِلَى الْعَدِيمِ
 يَدُ الْبَارِي عَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ
 أَمْتِنَاعُ الْحَادِثَاتِ مِنَ الْهُجُومِ
 يَدِيقُ عَلَى الْمَكَالِمِ وَالْفُهُومِ
 بِهِ الْأَشْرَافُ أَشْرَافُ الْقُرُومِ
 وَثَمَّةٌ مَنَهَلٌ عَذْبٌ لِهَيْمِ^(٤)
 وَقَدْ بُلِغَ الْمَرَامُ مِنَ الْمَرُومِ
 وَقُطِبَ الْغَوْثُ وَالنَّبَأُ الْعَظِيمِ
 وَيُنْجِي الْمُسْتَعْيِثَ مِنَ الْهَمُومِ^(٥)
 رَفِيعُ دَعَائِمِ الْحَسَبِ الصَّمِيمِ

(١) الأروم والأرومة: الأصل.

(٢) الخيم - بكسر الخاء - الطبع.

(٣) يقصد يداً بيضاء اقتباساً من قوله تعالى: (واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء...) سورة طه الآية: (٢٢).

(٤) الهيم: بكسر الهاء: الإبل العطاش. قال تعالى: (فشاربون شرب الهيم) سورة الواقعة الآية: (٥٥).

(٥) لماذا أنكر الشاعر الأخرس على الشيخ عبدالله علوش، إذا كانت هذه عقيدة الأخرس.

هُدَاةَ الْعَالَمِينَ وَمُقْتَدَاهُمْ
رِيَاضُ مَحَاسِنٍ وَحِيَاضُ فَضْلِ
وَمَا أُدْرِي إِذَا طَاشَتْ رَجَالٌ
نَظَّمْتُ بِمَدْحِهِمْ غُرَرَ الْقَوَافِي

إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
تَدْفُقُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلُومِ
رَجَالٌ أَمْ جِبَالٌ مِنْ حُلُومِ؟
فَمَا امْتَازَتْ عَنِ الدَّرِّ النَّظِيمِ

(١٣٥)

أَدَارَ عَلَى النُّدْمَانِ كَأْسَ عُقَارِهِ
وَفِي طَرْفِهِ لِلسُّكْرِ مَا فِي يَمِينِهِ
وَمَاسَ فَمَالِ الْبَانُ إِذْ ذَاكَ غَيْرَةٌ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ رَوْضَةِ الْحُسْنِ جَنَّةٌ
وَقَدْ نَسَجَتْ أَيْدِي الرَّبِيعِ مَلَابِسًا
وَسَالَ لُجَجِينَ الْمَاءِ فَوْقَ زَمْرُدٍ
وَأَصْبَحَ مُخْضَرًّا مِنَ النَّبْتِ شَارِبٌ
وَقَدْ رَقَصَتْ تِلْكَ الْغُصُونُ تَطْرُبًا
تَأَلَّفَ ذَاكَ الشَّكْلُ بَيْنَ اخْتِلَافِهِ
فَهَذَا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ اصْفِرَّارِهِ
وَكَمْ رَاحَ يُغْنِي عَنِ الزَّهْرِ أَغْيَدٌ
عَصِيَّتْ عَدُولِي فِي هَوَاهِ وَلَا تَمِي
أَطَالَ بِطُولِ الْقَدِّ فِي الْحَبِّ حَسْرَتِي
وَلِلَّهِ مُخْضَرُّ الْعِدَارِ عَشِيقَتُهُ

وَحَيًّا بَوْرِدِ الْخَدِّ مِنْ جُنَّارِهِ^(٢)
فَكَلْتَاهُمَا مِنْ خَمْرِهِ وَاخْتِمَارِهِ
عَلَيْهِ وَأَزْرَى فِيهِ عِنْدَ أَوْرَارِهِ
وَلَكِنَّهُ مَا حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ^(٣)
مُفَوِّقَةً مِنْ وَرْدِهِ وَبِهَارِهِ^(٤)
يُحَالِيهِ مِنْ نُورِهِ بِنُضَارِهِ
يَرُوقُ وَيَزْهُو بِهَجَّةٍ بَاصْفِرَّارِهِ
لِبُلْبُلِهِ الشَّادِي وَصَوْتِ هَزَارِهِ
وَأَبْدَعَ فِي إِحْسَانِهِ وَابْتِكَارِهِ
وَهَذَا زَهَا مُخْضَرُّهُ بِاحْمِرَارِهِ
بِنَرْجِسِ عَيْنَيْهِ وَأَسِ عِدَارِهِ
وَمَا زَلْتُ فِي طَوْعِ الْهَوَى وَاخْتِيَارِهِ
وَحَيْرَتِي فِي خَصْرِهِ وَاخْتِصَارِهِ
وَحُمُرِ الْمَنَايَا السُّودِ عِنْدَ اخْضِرَّارِهِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٥).

(٢) لم ترد هذه القصيدة في الأصول. وهي رقم ٧ في مخطوطة شعر الأخرس.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف: (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات).

(٤) مفوفة: مطرزة.

أَجَادِلْ عُدَّالِي عَلَى السُّخْطِ وَالرُّضَا
يَقُولُ الْهَوَى الْعُدْرِيُّ فِي مِثْلِ حُبِّهِ
وَلَيْلِ كِيَوْمِ النَّقْعِ أَسْوَدَ فَاحِمٍ
أَعْرَنَّا عَلَى اللَّذَاتِ مَا ذُكِرَتْ لَنَا
وَقَدْ زَارَ مَنْ أَهْوَى عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
فَأَنْسَنِي فِي وَصْلِهِ بَعْدَ هَجْرِهِ
وَمَا زَالَ حَتَّى صَوَّبَ النَّجْمَ وَانطَوَى
وَلَا حَتَّ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ وَبَشَّرَتْ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَبْنَاءِ حَامٍ بَقِيَّةٌ^(٢)
يُدِيرُ عَلَيْنَا كَأْسَ رَاحِ رَوِيَّةٍ
تُخْبِرُنَا عَنِ نَارِ (كَسْرِي) لِعَهْدِهِ
فَمَا نَزَلَتْ وَالْهَمُّ يَوْمًا بِمَنْزِلٍ
وَقُلْنَا لَهُ هَاتِ الصَّبُوحَ فَكُنَّا
وَنَحْنُ بَرُوضٍ رَقَّ فِيهِ نَسِيمُهُ
وَأَهْدَتْ إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَهَا الصَّبَا
وَأَنْعَمَ عَيْشٍ مَا حَظَّيْتُ بِرَعْدِهِ
أَمَنْتُ طُرُوقَ الْهَمِّ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
أَقْرُبُ بِهِ عَيْنًا وَأُشْرِحُ خَاطِرًا
فَمِنْ فَضْلِهِ أَنِّي أَبْوءُ بِفَضْلِهِ
وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُؤْمَلُ نَفْعُهُ

وَأَنِّي لِرَاضٍ بِالْهَوَى غَيْرُ كَارِهِ
إِذَا لَمْ تُطْقِ هَجْرَ الْحَبِيبِ فِدَارِهِ
نَخْوُضُ بِكَاسَاتِ الطَّلَا فِي غِمَارِهِ
وَأَبْعَدُ كُلَّ عِنْدَهَا فِي مَغَارِهِ^(١)
فِيَا قُرْبَ مَنْأَاهُ وَيُعَدُّ مَزَارِهِ
وَقَدْ أَلَفَ الْمُشْتَقَّ بَعْدَ نِفَارِهِ
رِدَاءُ ظِلَامِ اللَّيْلِ بَعْدَ انْتِشَارِهِ
بِأَنَّ السُّجَى قَدْ حَانَ حِينَ بَوَارِهِ
فَمَا شَقَّ عَنْ حَامٍ وَلَا عَنْ غِبَارِهِ
تُجَرِّدُ مَنْ يُرَوَى بِهَا مِنْ وَقَارِهِ^(٣)
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي طَوْقِهِ وَسِوَارِهِ
وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا لِأَجْلِ فِرَارِهِ
يُرِيدُ شِفَاءً بِالطَّلَا مِنْ خِمَارِهِ
وَجَرَّ عَلَى الْأَنْفَاسِ فَضْلَ إِزَارِهِ
أُرِيحُ خُزَامَاهُ وَطَيِّبَ عَرَارِهِ
وَكُنْتُ لـ (عَبْدِ اللَّهِ) ضَيْفًا بِدَارِهِ
إِذَا كُنْتُ يَوْمًا نَازِلًا فِي جِوَارِهِ
وَأَشْكُرُ^(*) شُكْرَ الرُّوضِ وَبَلَّ قِطَارِهِ
وَأَفْخَرُ مَا بَيْنَ السُّورَى بِأَفْتِحَارِهِ
وَلَا يُتَّقَى مِنْ بَأْسِهِ وَضِرَارِهِ^(٤)

(١) المغار: الغارة.

(٢) أبناء حام: هم الجنس الأسود. ويقصد به هنا الظلام وذلك لسواده.

(٣) في الأصول: (تجرد من يورى...) ولم ينبه المحقق عليها.

(٤) فيه اقتباس من قول قيس بن الخطيم: إذا أنت لم تنفع فضر فإنما

الديوان ص ١٧٠ وينسب إلى عبد الأعلى بن عبد الله أيضاً.

(*) في الطبعة (١): (وأشرك) والصواب ما أثبتناه من مخطوطة شعر الأخرس. تحقيق د. يوسف عز الدين، ص ٤٠، مصدر سابق.

ومنذُ رأيتُ اليَمْنَ طَوَّعَ يَمِينَهُ
 وَقَيَّدَنِي مِنْهُ رَقِيقٌ جَمِيلُهُ
 أَبْرَتْ بِهِ فِي الْأَنْجَبِينَ ذَخِيرَةً
 أَنْزَهُ طَرْفِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ
 وَإِنِّي لِأَهْوَاهِ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
 جَنَيْتُ بِهِ غَرْسَ الْمَوَدَّةِ يَانِعاً
 سَرِيعٌ إِلَى الْفِعْلِ الْجَمِيلِ مُبَادِرٌ
 رَعَى اللَّهُ مِنْ يَرَعَى مِنَ الْخَلِّ عَهْدَهُ
 إِذَا دَارَ فِي زَهْرِ الْعُلَا فَلِكُ الْعُلَا
 صِنَادِيدٌ يَشْتَارُونَ مِنْ ضَرْبِ الْعُلَا^(١)
 لَقَدْ عَرَفَ الْمَعْرُوفُ مِنْ قَبْلِهَا بِهِمْ
 وَهَلْ تَجَحَّدُ الْحُسَادُ آيَةً مَجْدَهُمْ
 بِهِمْ كُلُّ مَقْدَامٍ عَلَى الرَّوْعِ فَاتِكُ
 وَيَفْتَرُّ فِي وَجْهِ الْمُطَالِبِ ضَاحِكاً
 إِذَا اسْتَنْصَرَ الصَّمَامَ أَيْدِ حَزْبِهِ^(٢)
 إِذَا قِيلَ رَمَحٌ كَانَ حَدٌّ سِنَانِهِ
 وَإِنْ عُدَّ كُبَارُ الْأَنْامِ فَإِنَّمَا
 هُمْ خَيْرٌ مِنْ لَا يَبْرَحُ الْخَيْرُ فِيهِمْ
 تَضَوُّعٌ مِسْكِي الشَّدَا مِنْ رِدَائِهِ
 فَهَمْ أَبْحَرُ الْجَدْوَى تَفِيضٌ وَلَمْ تَغِضْ
 يَهُونَ عَلَيْهِ الْمَالُ إِنْ عَزَّ أَوْ غَلَا
 صَفَاً مِثْلَ صَفْوِ الرَّاحِ لَذَّتْ لِشَارِبِ
 فَلَا زَالَتْ الْأَفْرَاحُ حَشْوُ رِدَائِهِ

وَجَدْتُ يَسَارِي حَاصِلاً فِي يَسَارِهِ
 فَلَسْتُ تَرَانِي مُطْلَقاً مِنْ إِسَارِهِ
 وَحَسْبُكَ مَا كَانَ الْغِنَى بَادِخَارِهِ
 وَإِنْ غَابَ عَنِّي لَمْ أَزَلْ بِانْتِظَارِهِ
 وَأَطْرَبُ فِي أَخْبَارِهِ وَأَدُّكَارِهِ
 وَكُلُّ جَمِيلٍ يُجْتَنَى مِنْ ثَمَارِهِ
 إِلَى الْخَيْرِ فِي إِقْبَالِهِ وَبِدَارِهِ
 وَأَدَى لَهُ مَا يَنْبَغِي لَذِمَارِهِ
 فَ(أَلْ زَهِيرِ) الصَّيْدُ قُطْبُ مَدَارِهِ
 وَشَوْكُ الْقَنَا الْخَطِيءُ دُونَ اشْتِيَارِهِ
 وَشَيْدٌ بِفَضْلِ اللَّهِ عَالِي مَنَارِهِ
 وَقَدْ طَلَعَتْ فِي الْكُونِ شَمْسُ نَهَارِهِ
 بِسَطْوَتِهِ فِي جُنْدِهِ وَاقْتِدَارِهِ^(٣)
 وَلَا الْأَقْحَوَانُ الْغَضُّ عِنْدَ افْتِرَارِهِ
 وَقَامَ الْيَمَانِي قَائِماً بِانْتِصَارِهِ
 وَإِنْ قِيلَ عَضْبٌ كَانَ حَدٌّ غِرَارِهِ
 أَصَاغِرُهُمْ مَعْدُودَةٌ مِنْ كِبَارِهِ
 وَمَا كُلُّ مَنْ أَلْفَيْتَهُ مِنْ خِيَارِهِ
 بَعُنْصَرِهِ الزَّاكِي وَطِيبِ نَجَارِهِ
 فَكَمْ وَارِدٌ عَذَبَ النَّدَى مِنْ بَحَارِهِ
 وَيَنْظُرُ أَسْنَاهُ بَعِينَ احْتِقَارِهِ
 وَدَارَتْ كَمَا شَاءَ الْهَوَى فِي دِيَارِهِ^(٤)
 وَلَا بَرَحَتْ عَنْ بُرْدِهِ وَشِعَارِهِ

(١) الضرب - بفتح الراء - العسل. ويشتارون: يجمعون.

(٢) في الأصل: (بسطوته في ضده..) والصواب ما أثبتناه.

(٣) في المطبوع: (... أيد ضربه) وكتب المحقق في الحاشية: وفي نسخة ب: (حزبه) قلت وهي الصواب، وبها أخذنا.

(٤) في الأصل: (... لذة شارب). ولم يعلق المحقق عليها. ولم ينتبه إلى الفعل بعده (دارت) وهو معطوف على (لذت). أي طابت.

وظلَّ يخالُ الغيَّ في وجدهِ رُشداً
فلا سَلَمْتُ سلمى ولا سَعَدْتُ سَعدي
وما لي في أفنائها أَيْنُقُ* تُحَدِي
فلا مَنَهلاً عذباً ولا عيشةً رَعداً
وغيري جَنَتْ من شوكتها يدُه الورداً
فلم تكتسبُ شُكراً ولم تكتسبُ حَمداً
فلم أبقِ غوراً ما وطئتُ ولا نَجداً
سأوسِعُها شُكراً وأحمدها حَمداً^(٤)
رأيتُ بهذا العصرِ من يُكْرِمُ الوفاً
وما برحتُ إذْ ذاك أيدٍ له تَندي
دَعَوْتُ مُجيباً قد تَهَيَّأَ واعتدأً
بجدوى يمينِ تورثُ الأبحرَ المداً
وقد يورثُ العلياءَ والعزَّ والمجداً
زمانٌ على عافيه بالعُسرِ واشتدأً
كسُمِرَ القنا طعناً وبيضِ الظبى حدأً
يَقْدُ بهنَّ الخُطْبَ يومئذٍ قدأً

دَعَوْتُ فَوَادِي لِّلسُّلُوِّ فَمَا أُجْدَى^(٣)
وما أنا من سلمى وسعدى بمأربٍ
أَقَمْتُ بَارِضٍ غَيْرِ أَرْضِي وَمَوْطِنِي
وَأَنْفَقْتُ أَيَّامِي عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ
وَمَا اخْتَرَطْتُ غَيْرَ الْقِتَادِ يَدِي بِهَا
تُوخَّرُنِي الْأَيَّامُ عَمَّا أَرِيدُهُ
وَقَدْ قَذَفْتُنِي فِي الْبِلَادِ يَدُ النَّوَى
نَوَى جَمَعْتُنِي بَعْدَ حِينٍ بِ (أحمد)
مِنَ الْمُكْرِمِينَ الْوَفْدَ طَبْعاً وَقَلَمًا
قَرِيبٌ مِّنَ الْحُسْنَى سَرِيعٌ إِلَى النَّدَى
وَمُسْتَجْمَعٌ لِلْجُودِ إِمَّا دَعْوَتُهُ
إِذَا مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَيْهِ أَمَدَهَا
كَمَا أَنَّ جَدْوَى كَفَّهُ يورثُ الغنى
يَلِينُ لِعَافِيهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَسَا
لَهُ هِمٌّ فِي الْمُعْضَلَاتِ تَخَالَهَا
يُجَرِّدُهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ حَلَّاحٍ^(٥)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٢).

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (١٨) في مخطوطة شعر الأخرس.

(٣) وجدت المطبع في الأصل (دعوت فوادي للسلولو فما أجدى) وهو معلول الوزن. وكتب المحقق في الحاشية: كذا في الأصل. وفي نسخة ش: (فما أهدى). انتهى. قلت: كلاهما غلط. والصواب ما أثبتناه. أي فما أجدى دعائي، وفيه جناس بين (أجدى) وبين (وجده) في عجز البيت. كما إنها في صورة المخطوطة مصححة بصورة قريبة من (أجدى).

(٤) أحمدها: تورية بديعة بين الفعل (أحمد) والاسم. والقافية مكررة قبل بيتين وهذا عيب. ولم يعلق المحقق عليه.

(٥) أمر حلّاح: الأمر التام. ويقال حول حلّاح. أي تام (لسان العرب مادة حل).

(* في الطبعة (١): (أَيْنُقُ) وهو خطأ طباعي.

يَحُلُّ بِهَا عَقْدَ الشَّدَائِدِ كُلِّهَا
يَرَى غَايَةَ الْغَايَاتِ وَهِيَ خَفِيَّةٌ
يُضِيءُ لَنَا مِنْهُ شَهَابٌ إِذَا دَجَا
(فَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا يَشْتَقُّ غُبَارَهُمْ
وهيهات ما بين الثريا إلى الثرى
تَرَى نَفَثَاتِ السُّحْرِ فِي كَلِمَاتِهِ
لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ أَوْ كَجَنَانِهِ
وَهَا هُوَ فِي جِدِّ الْكَلَامِ وَهَزْلِهِ^(٢)
أَمَاناً مِنَ الْأَيَّامِ أَمْسَى وَلَاؤُهُ
وَهَا أَنَا مِنْهُ حَيْثُ طَاشَتْ سِهَامُهَا
وَأَشْكُرُ مِنْهُ أَيْدِيًا تُخَجِّلُ الْحَيَا
عَلَيَّ لَهُ فَضْلٌ قَدِيمٌ وَأَنْعَمٌ
وَأَسْدَى مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا هُوَ أَهْلُهُ
سَأَقْضِي وَلَنْ أَقْضِي لَهُ حَقَّ شُكْرِهِ

فَهَلْ مِثْلُهُ مِنْ وَلِيِّ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
كما قد يرى خيط الصبح إذا امتدًا^(١)
دُجَى مِنْ حُطُوبٍ فِي الْحَوَادِثِ وَأَسْوَدًا
وَأَحْمَرَةً لَا تَلْحَقُ الضُّمْرَ الْجُرْدَا
أَلَا إِنَّ فِي مَا بَيْنَ جَمْعِهِمَا بُعْدًا
وَتَجْنِي بِأَيْدِي السَّمْعِ مِنْ لَفْظِهِ شَهْدًا
بِهِ مَفْحَمٌ لِلْخَصْمِ أَلْسِنَةً لُدًّا
يَصُوغُ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يُشْبِهُ الْعَقْدَا
يُلَاحِظُ وَفَدَّ الْكُلَّ مِنْ يَدِهِ الرَّفْدَا
لَبَسْتُ بِهِ عَنْ كُلِّ نَائِبَةٍ سَرْدًا
وَيَتْرِكُ حُرَّ الْقَوْمِ إِحْسَانَهُ عَبْدًا
إِذَا عُدَّتْ لَا أُسْتَطِيعُ لَهَا عَدَا
إِلَيَّ وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْهُ قَدْ أُسْدَى
وَإِنْ أَعْجَزَ الْعَبْدَ الْقَضَاءُ فَمَا أَدَى

(١٣٧)

(١) في الأصل: (... إذا اهتدى) وبها يختل الوزن. وكتب المحقق في الحاشية: وفي نسخة ش: (إذا امتدا). قلت: هي الصواب والمحقق اختار الغلط.

(٢) في الأصل: (وما هو ..) وكتب المحقق في الحاشية: وفي نسخة ش و ب. (وها هو). قلت: هو الصواب.

(٣) لم أعر على ترجمته. وقد وجدت قصيدة للشهيد صالح التميمي في ديوانه يهجو فيها ومنها:
بكرت على الشبلي اشنع غارة

شعروا فوارسها بنو الآداب
مالي ولا شبلي أوقع نفسه
ما بين ظفر القريظ وناب
عجباً لشخص عد من أهل الوفا
كيف اهتدى لخدمة الأصحاب

رسائلَ ضَمَّنَهَا خَزْيٌ وَعَارُ
ويوماً شَمَّرِيٌّ مُسْتَعَارُ
وإنسيُّ إذا ضَاءَ النَّهَارُ
فلم يَلْحَقْ بِمَذْهَبِكَ الْغُبَارُ
فلا رجعتُ ولا رجعَ الحمارُ

ألا من مُبْلَغُ عَنِّي ابنَ شَبْلِي
قَصِيمِي عَدِمْتَ الْعَقْلَ يَوْمًا
وَجِبْنِي إِذَا مَا جَنَّ لَيْلُ
ذَهَبْتَ مُوَلِيًّا خَدْعًا وَلُومًا
كما (ذهبَ الحمارُ بِأَمِّ عمروِ

(١٣٨)

وقال رائيًا العلامة السيد محمد أمين أفندي^(١) واعظ الحضرة القادرية [وهي من الطويل]:

وتبكي ديارَ أُخْلِيَتِ وَمَعَالِمُ
لَأُنْسٍ وَلَا فِي هَذِهِ النَّاسِ عَالِمُ
قُوَى الصَّبْرِ وَأُنْحَلَّتْ لَدَيْهَا الْعَزَائِمُ
جَوَانِحُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْهَا الْحَيَازِمُ
ووفى إلى حربِ الزمانِ مُسَالِمُ
أَمْنَا هُجُومَ الموتِ والموتِ هَاجِمُ
ألم بنا فاستَعظَمْتُهُ الْعِظَائِمُ
أقارِعُ أَعْدَائِي بِهِ وَأَصَارِمُ
وما دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(٢)
ولا في يميني مُرْهَفُ الْحَدِّ صَارِمُ

على مِثْلِهِ تَجْرِي الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ
ومن بَعْدِهِ لم يَبْقَ فِي النَّاسِ مَطْمَعُ
لِتَفْضِ الْمَنَايَا كَيْفَ شَاءَتْ فَقَدَ وَهَتْ
وَشَقَّتْ قُلُوبٌ لَا جِيُوبٌ وَأُدْمِيَتْ
تَيَقَّظَ فِيهَا لِلنَّوَابِ نَائِمُ
وكنَّا بما نَلْهُو على حينِ غَفْلَةٍ
وما ذَرَفَتْ عَيْنَايَ إِلَّا لِحَادِثِ
وقلَّ قِضَاءُ اللَّهِ شَفْرَةَ صَارِمِ
وسكَّنَ فِعْلاً مَاضِيًّا مِنْ غِرَارِهِ
وأصْبَحْتُ لَا دَرْعَ يَقِينِي سِهَامِهَا

= كما هجاه التميمي بقصيدة أخرى. ومطلعها:

تالاه ما شيبية حاق الضلال بها

أضل من شيبية في عارضي (حمد)

ويبدو أنه من أهل الظرف في بغداد. وربما كان يقسو على الأخرس في انتقاد شعره في بعض المجالس
والتميمي يعده من أهل الوفاء. انظر ديوان التميمي ١٤ و٣١٧.

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٤).

(٢) في هذا البيت استخدام بديع لبعض مصطلحات النحو.

غَدَاةَ رَأَتْ عَيْنِي (الأمينَ محمداً)
 وقد مِيطَ عن ذاك الجَنَابِ الذي أرى
 وقد خَلَعَتْ منه المعالي فوَادَهَا
 وَعَهْدِي به ما لَانَ قَطُّ لِشِدَّةِ
 على هذه الدنيا العَفَا بعد سَيِّدِ
 تَكَدَّرَ ذَاكَ المَنْهَلُ العَذْبُ صَفْوَهُ
 لَتَبَكَ عليه اليومَ أَبْنَاءُ (هاشم)
 تَفَرَّعَ عنها مُنْجِبٌ وابنُ مُنْجِبِ
 فقامَ بِأمرِ اللهِ غيرَ مُدَاهِنِ
 ولا يَتَّقِي في اللهِ لَوْمَةَ لَائِمِ
 وَيُقَدِّمُ للأمرِ الذي يَعِدُّ الرِّدَى
 ويرضيه ما يرضى به اللهُ وَحْدَهُ
 فَرَحْنَا نُورِي في الثَّرَى قَمَرَ الدُّجَى
 وَنَحْنُو على الضَّرغامِ أَكْرَمَ تَرْبَةٍ
 وَطَافَتْ به أَمْلَاكُهَا وَتَنَزَّلَتْ
 وَقُلْنَا لَقَدْ غَاضَ الوَفَاءُ وَأَقْلَعَتْ*
 وهل تَبْلُغُ الأَمَالَ ما مُنِيَّتْ به
 هِنَالِكَ لم تُحْبَسْ لِعَيْنِي عِبْرَةٌ
 وَمَنْ عَجَبَ نَبْكِيه وَهُوَ مُنْعَمٌ
 سَقَاكَ الحَيَا المُنْهَلُ عَشِيَّةً
 نَأَيْتَ فَوَدَعْنَا الفَضَائِلَ كُلَّهَا
 ويا صَخْرَةَ الوَادِي التي قد تَصَدَّعَتْ
 لئنْ كانَ أنْسِي فيكَ أنْساً مُلَازِماً

صَرِيحَ المَنايَا والمَنايَا هَوَاجِمِ
 مَازَرُ لَمْ تَعْلُقْ بِهِنَّ المَمَاتِمِ
 وَإِنْسَانُ عَيْنِ المَجْدِ بِالدَمْعِ عَائِمِ
 وَلَا أَخَذَتْ مِنْهُ الأُمُورُ العِظَائِمِ
 به العيشُ - حتى فارقَ العيشَ - ناعِمِ
 فَلَ حَامَ ظَمَاناً على المَاءِ حَائِمِ
 إِذَا ما بَكَتْ أَبْنَاءُهَا العُرَّ هَاشِمِ
 غَدَّتْهُ لِبَانَ العِزِّ مِنْهَا الفَوَاطِمِ
 لِأَمْرِ وَلَمْ يَفْعُدْ عَنِ الحَقِّ قَائِمِ (١)
 ولم يَتَّئِنَنَّ عَنِ طَاعَةِ اللهِ لَائِمِ
 وَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنهُ الأَسْوَدُ الضَّرْغامِ
 وَإِنْ غَضِبَ القَوْمُ الطُّغَاةَ وَخَاصِمُوا
 فَلَ فَجَّ الأَ وهو أَسْوَدُ فَاحِمِ
 تَوَى في ثَراها الأَنْجَبُونَ الأَكَارِمِ
 مِنَ المَلَأِ الأَعْلَى عَلَيْهِ عَوَالِمِ
 بِوَابِلِ مُنْهَلِ القِطَارِ الغَمَائِمِ
 وَقَدْ فُجِعَتْ بِالأَكْرَمِينَ المَكَارِمِ
 عَلَيْهِ ولم تَتَّيَّبَتْ لِصَبْرِ قَوَائِمِ
 وَنَعْبَسُ مِمَّا قَد دَهَى وَهُوَ بِاسِمِ
 وَحَيَّاكَ مِنْهُ العَارِضُ المُتْرَاكِمِ
 فَيَا نَائِياً بِاللَّهِ هَلْ أَنْتَ قَادِمِ؟
 وَكَانَ لَعَمْرِي يَتَّقِيهَا المُزَاحِمِ
 فَحَزَنِي عَلَيْكَ اليَوْمَ حَزَنٌ مُلَازِمِ

(١) في الأصول (... ولم يقصد...) من وهم النساخ.

(* في الطبعة (١): (وأقعلت) وصوبناها من الطراز الأنفس والقعل والفُعال: زهر الكرم في الربيع. واقعل الكرم: تناثرت حبات عنقوده. ويشبهه الشاعر قطرات المطر بحبات العنب.

بمن أَسَلَىٰ عَنْكَ وَالنَّاسُ كُلُّهَا
 بمن أَتَّقِي حَرَّ الزَّمَانِ وَبَرْدَهُ
 وفي من تراني أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ
 فَخَبَيْتُ بِكَ الْأَيَّامَ إِلَّا قَلِيلًا
 أَشْنَفُ سَمْعِي مِنْكَ بِاللُّوْلُو الَّذِي
 بَرَعَمِي فَارَقْتُ الَّذِينَ أَحَبُّهُمْ
 وَقَاطَعَنِي لَا عَنْ تَقَالِ مُقَاطِعِ^(١)
 وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ حَتَّىٰ كَانَتْهَا
 لَقَدْ كُسِفَتْ تِلْكَ الشُّمُوسُ وَأُغْمِدَتْ
 وَكَمْ لَيْلَةٍ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ سَهَرَتْهَا
 وَأَذْكَرُ عَهْدِ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَىٰ أَنْ أَكُونَ لَهُ الْفِدَا
 وَلَكِنْ أَرَادَ اللَّهُ إِنْفَازَ أَمْرِهِ
 وَتَبَقَّىٰ أُمُورَ الدِّينِ مِنْ بَعْدِهِ سُدًى
 تَبَيَّتِ الْقَوَافِي بِالرِّثَاءِ وَغَيْرِهِ
 تَقَلَّصَ ذَاكَ الظِّلُّ عَنَّا وَلَمْ يَدَمْ
 فَيَا مُرَّ مَا لَاقَيْتُ مِنْهُ بِفَقْدِهِ
 وَيَا وَاعِظًا حَيًّا وَمَيِّتًا وَكُلَّهُ
 خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ لَا نَذَا
 وَأَعْرَضْتَ عَنِ دُنْيَاكَ حَزْمًا وَعَقْفَةً
 وَمَا عَرَفَ الْقَوْمُ الَّذِينَ نَبَذْتَهُمْ
 فَوَا لَهْفِي إِنْ كَانَ يُجْدِي تَلَهْفِي
 وَقَدْ أَعْوَزْتَنِي بَعْدَهُ بِلَهِّ الصَّدَى
 وَنَكَّسْتُ رَأْسِي لِلزَّمَانِ وَخَطْبِهِ
 وَمَا زَالَ قَوْلِي غَيْرَ رَاضٍ وَإِنَّمَا
 لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ لَا أَبَا لِكَ فُرْقَةٍ

- وحاشاك إلا من عرفت - بهائم
 وَيَعْصِمُنِي مِمَّا سِوَى اللَّهِ عَاصِمِ
 إِذَا نَفَحَتْ تَشْوِي الْوَجْوهَ سَمَائِمِ
 وَإِنِّي عَلَىٰ مَا فَاتَنِي مِنْكَ نَادِمِ
 يَرُوقُ وَلَمْ يَنْظِمُهُ فِي السَّلْكِ نَاطِمِ
 وَلِي فِيهِمْ قَلْبٌ مِنَ الْوَجْدِ هَائِمِ
 وَصَارَمَنِي لَا عَنْ جَفَاءِ مُصَارِمِ
 مِنَ الضَّيِّقِ - حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللَّهُ - خَاتِمِ
 بِبَطْنِ الثَّرَىٰ تِلْكَ السِّيُوفِ الصَّوَارِمِ
 أُسَامِرُ ذِكْرَاهُ بِهَا وَأَنَادِمِ
 وَهِيهَاتَ يُنْسَىٰ عَهْدُهُ الْمُتَقَادِمِ
 فَالْقَى الرَّدَىٰ مِنْ دُونِهِ وَهُوَ سَالِمِ
 لِيَحْكُمَ فِينَا بِالْجَهَالَةِ حَاكِمِ
 وَيُرْغَمُ أَنْفَ الْفَضْلِ لِلنَّقْصِ رَاغِمِ
 تَنُوحُ كَمَا نَاحَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِمِ
 عَلَيْنَا وَمَا شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ دَائِمِ
 عَلَىٰ أَنَّهُ الْحَلْوُ اللَّذِيذُ الْمَلَائِمِ
 مَوَاعِظُ تَشْفِي أَنْفُسًا وَمَكَارِمِ
 بِرَحْمَتِهِ وَاللَّهُ لِلْعَبِيدِ رَاحِمِ
 وَمَا اغْتَرَفِي الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ حَازِمِ
 وَرَاءَكَ مَا مَقْدَارُ مَا أَنْتَ عَالِمِ
 عَلَىٰ عَرَبِيٍّ ضَيَّعْتَهُ الْأَعَاجِمِ
 فَمَنْ لِي بِبَحْرِ مَوْجِهِ مُتَلَاظِمِ
 فَلَا وَضِعْتَ فَوْقَ الرُّؤُوسِ الْعَمَائِمِ
 لَشِدَّةٍ مَا تَعْدُو الْخُطُوبُ الْأَدَاهِمِ
 وَكُلُّ بِنَاءٍ سَوْفَ يَلْقَاهُ هَادِمِ

(١) التَّقَالِي: التَّجَافِي. قَالَ تَعَالَى: (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) سُورَةُ الضُّحَى الْآيَةُ (٢).

(١٣٩)

وقال مخمساً أبيات العلامة أبي الثناء الألويسي^(١) التي أرسلها من الأستانة إلى بغداد يبث فيها شوقه وحنينه [وهي من الطويل]:

عليك دموع العين لا زال تَنْهَلُ
ووجدني بكم وجد المْفَارِقِ لا يَسْلُو
وها أنا من فِقدانكم ما دجا ليلُ
(أبيتُ ولي وجد حرارته تَعْلُو)^(٢)
(ودمع له في عارضي عارض هطل)^(٣)
شغلت بهذا الوجد قلباً مُجَذَّذاً
ولم أر لي من شاغلِ الدمع مُنْقِذاً
إلام أعاني ما أعانيه من أذى
(وأطوي على جمرٍ وأغضي على قذى)^(٤)
(وأشغل أعضاءي وقلبي له شغلُ)
أُقضي نَهاري في عسى ولربِّما
وأبكي عليكم كلَّ أونةٍ دَما

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) أصل هذه القصيدة اللامية للمرحوم الشاعر حسين بن علي العشاري البغدادي المتوفي سنة ١١٩٥هـ. وهو وجد العلامة أبي الثناء لأمه. وعدد أبيات قصيدة العشاري (٤٢) بيتاً كما هي في ديوانه المنشور من ص ٢٢٢ - ٢٢٨. ثم إن العلامة الألويسي عارض قصيدة جده هذه واقتبس منها (١٢) بيتاً وأضاف لها (١١) بيتاً. فكانت معارضة الألويسي لجده العشاري (٢٣) بيتاً قال الألويسي في تقديمها: «فكثبت لصبوتي ما فيه شرح صبوتي أبياتاً، أكثرها من شعر جدي وقليل منها من عندي، وذلك لقلّة تدريبي بالنظم؛ وأنه لا يعد سارقاً من يأكل من طعام الأب والجد والعم». انظر الدر المنتثر لعلي الألويسي (المقدمة) ص ٢٦. وديوان العشاري ص ٢٢٢، حققناه بمشاركة الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف. وطبعته رئاسة ديوان الأوقاف سنة ١٩٧٧م.

(٣) في ديوان العشاري (.. عارض وبل).

(٤) البيت للعشاري، الديوان ص ٢٢٢.

وَأِنِّي وَعَيْشٍ فَيْكُمْ قَدْ تَصَرَّمَا
(إِذَا اللَّيْلُ وَافَى ضَيْقْتُ ذَرْعاً إِلَى الْحِمَى)
(وَفَاضَتْ شَوْوُنٌ لَيْسَ يَعْقُلُهَا عَقْلٌ)^(١)
شَجَانِي حَدِيثٌ بِالْبَوَارِ مُصَرَّحٌ
وَأَوْضَحَ لِي حَالَ (الرُّصَافَةِ) مُوَضِّحٌ
فَمَنْ تَمَّ إِنْ يُفْصِحُ وَلِلشَّوْقِ مُفْصِحٌ
(حَدَانِي إِلَى الزُّورَاءِ شَوْقٌ مُبْرَحٌ)^(٢)
(فَمَاذَا الَّذِي حَدَّثْتُ عَنْ حَالِهَا سَهْلٌ)^(٣)
وَقَالُوا نَبَتْ لَكِنْ بِأَرْيَابٍ فَضَلَّهَا
وَجَارَتْ عَلَى أَشْرَافِهَا بَعْدَ عَدْلِهَا
فَقُلْتُ وَلَا مَأْوَى إِلَى غَيْرِ ظِلِّهَا
(إِذَا مَا نَبَتْ دَارُ السَّلَامِ) بِأَهْلِهَا)^(٤)
(فَلَا جَبَلٌ يُوَوِّي الْكِرَامَ وَلَا سَهْلٌ)
عَلَى مَا أُصِيبَتْ مِنْ عَظِيمِ مُصَابِهَا
وَمَا أَدْنَتْ أَحْدَاثُهَا بِخَرَابِهَا
فَلَا ظِلٌّ إِلَّا فِي فَسِيحِ رِحَابِهَا
(وَإِنْ قَلَصَ الظِّلُّ الَّذِي فِي جَنَابِهَا)^(٥)
(فَأَيْنَ مِنَ الرَّمْضَاءِ فِي غَيْرِهَا ظِلٌّ)
أَيُعْرِفُ خَفْضُ الْعَيْشِ إِلَّا بِخَفْضِهَا

(١) البيت للعشاري، الديوان ص ٢٢٣.

(٢) البيت للعشاري ص ٢٢٣.

(٣) في الأصل: (فليس الذي حدثت على حالها سهل). والشطر معلول. و(سهل) يجب أن تكون منصوبة لأنها خبر ليس. والتصويب من ديوان العشاري ص ٢٢٣.

(٤) البيت للعشاري ص ٢٢٣.

(٥) البيت للعشاري ص ٢٢٣.

وَفَيْضُ النَّمِيرِ الْعَذْبِ إِلَّا بَفَيْضِهَا
 لئن أُجِدَّتْ يوماً فهل مثلُ روضِها
 (وإنْ نَضَبَ الماءُ النَّمِيرُ بِأَرْضِهَا)^(١)
 (فأيُّ شرابٍ في سواها لنا يحلو)
 رعى اللهَ ماضيَ عَهْدِي المُتَقَادِمِ
 بـ(بغداد) في رَعْدٍ مِنَ العَيْشِ ناعمِ
 وفي (الكرخ) جادَ الكرخِ صَوْبُ الغَمائمِ
 (ديارُ بها نِيَطَتْ عليَّ تَمائمي)
 (قديماً ولي فيها نما الفرعُ والأصلُ)^(٢)
 يَكأُفُنِي عنها النَّوى فوقَ طاقتي
 فسُكَّرِي بتذكاري بها وإفاقتي
 مَنازلُ أحبابي وَمَنشأ عَلاقتي
 (بها سَكَنِي، في رَبْعِها الخصبِ ناقتي)
 (بها جَمَلِي يرغو، بها قيمتي تغلو)^(٣)
 تَذَكَّرْتُ أَحباباً لأيامِ جَمْعِها
 ولم يَصُدْعِ البينُ المُشْتِ بُصْدَعِها
 فأهاً على وَصلي لها بعدَ قطعِها
 (ألا ليت شِعْري هل أراني بربيعِها)
 (مُقيماً وبالأحبابِ يَجْتَمِعُ الشَّمْلُ)^(٤)
 عَفا رَبْعُها من رَسْمِه وطُلُولِه
 وأضحى هَشِيماً رَوْضُها بِمُحوْلِه
 فيا هل يروِيها الحَيَا بِهُموْلِه
 (وهل رَوْضُها يَحْضُرُ بعدَ دُبُولِه)

(١) البيت للعشاري ص ٢٢٣.

(٢) هذا البيت للعشاري ص ٢٢٤ في الديوان، وصدرة تضمين وتمامه: (وأول أرض مس جسمي ترابها).

(٣) البيت للعشاري ص ٢٢٤. (٤) البيت للعشاري ص ٢٢٤.

(٥) البيت للعشاري ص ٢٢٤. وفيه (... الغيث) بدل (الويل).

(ويَهْمِي على أوراقه الوَيْلُ والظُّلُّ)^(٥)
لقد شاقني منها كرامٌ أَمَاجِدُ
مَشَاهِدُهُمُ للعالمينَ مَقاصِدُ
فهل أنا في تلك المَقَاعِدِ قَاعِدُ
(وهل أنا في يوم العروبة قاصِدُ)^(١)
(لحضرة بازٍ شأنها الفِصْلُ والوَصْلُ)^(٢)
وهل أنا يوماً ظافراً بمقاصدي
فمُكْرِمٌ أَحبابي ومُكْبِتٌ حاسدي
وأجري مع الإخوان مَجْرَى عوائدي
(وهل كلُّ يومٍ لائمٌ كَفٌّ والسيدي)
(أبي مصطفى ذي همّة أبداً تَعْلُو)^(٣)
وهل عُلَمَاءُ طَبَقِ الأَرْضِ عِلْمُهُمْ
وَحَيَّرَ أَفْهَامَ البَرِيَّةِ فَهْمُهُمْ
تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنِي وَيَنْجَابُ غَمُّهُمْ
(وهل أدباءُ الجَانِبِينَ يَضْمُهُمْ)
(وإيَّايَ) (طاقُ) نَقْلُهُ الأَدبُ الجَزْلُ)^(٤)
فأَعْدُو - ولا كانَ التَّفَرُّقُ - لاقيا
وَجُوهًا عليها قد بَلَلْتُ المَاقِيا
بـ(طاقُ) رَقَى في من حَوَاهِ المَرَاقِيا
(وذلك طاقُ الشُّهُمِ لا زالَ باقِيا)^(٥)

(١) يوم العروبة. هو يوم الجمعة.

(٢) البيت للعشاري ص ٢٢٥. وفيه (لحضرة محي الدين دام له الفضل). ومحي الدين هو الشيخ عبدالقادر الكيلاني. وكذلك (الباز) ويقال (بازالله) و(الباز الأشهب).

(٣) في مجموعة شعر الأخرس. أثبتته المرحوم العزاوي ص ١٢٢:

وهل كل يوم ماسك كف والدي
أبوالمصطفى ذو همّة أبداً تَعْلُو

وقال في الحاشية: أبو مصطفي، عبدالغني جميل.

(٤) الطاق هو العقد في البناء علي شكل قوس. وبينه البغداديون فوق الزقاق ويجعلون فيه غرفة يطلون منها على المارين في الطريق والألوسي يشبه طاق المرحوم عبدالباقي العمري بطاق أسماء الذي كان يجتمع فيه الشعراء أيام العباسيين وسميت الحلة باسمه (باب الطاق) وهي في ساحة عنتره بالأعظمية.

(٥) هو الشاعر عبدالباقي العمري. وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤).

(له العَقْدُ فِي أَرْجَائِهِ وَلَهُ الْحُلُّ)
 وَهَلْ يُرِيْنِي مُصْبِحاً كُلَّ مُنْجَبٍ
 وَخَوَاضِ أَعْمَارِ الْخُطُوبِ مُجَرَّبٍ
 وَكُلِّ فَتَى عَذِبِ الْكَلَامِ مَهْدَبٍ
 (وَهَلْ يُرِيْنِي ذَاهِباً بَعْدَ مَغْرَبٍ)
 (لِتَكِيَّةِ شَيْخِ الْعَصْرِ مِنْ جَوْرِهِ الْعَدْلِ)^(١)
 بَنَاهَا لِأَشْيَاخِ قَرَارَةِ عَزْهِمْ
 وَصَدَّرَهُمْ فِيهَا وَلَاذَ بَحْرِزِهِمْ
 وَإِنْ كَانَ لَمْ يَفْقَهُ إِشَارَةَ رَمَزِهِمْ
 (فَفِيهَا صُدُورٌ لِأَزْمُوهُ لِعَجْزِهِمْ)
 (وَمَا ظَعَنُوا بِالسَّيْرِ عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا)^(٢)
 بَلَوْنَا سُرَاهَا بَعْدَ إِصْرَامِ حَبْلِهَا
 فَكَانَ مِنَ الْبَلَوَى تَعَدُّرٌ مِثْلِهَا
 دِيَارٌ عَرَفْنَا بَعْدَهَا كُنْهَ فَضْلِهَا

(١) يقصد بشيخ العصر السيد خالد النقشبندي. وهو ضياء الدين أبوالبهاء خالد بن حسين الشهرزوري الشافعي. من عشائر الجاف ينتمي إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولد في (قره داغ) في شمال العراق، سنة ١١٩١هـ - ١٧٧٦م ودرس على شيوخ عصره حتى نبغ وذاع صيته. وقدم بغداد أيام الوزير داود باشا وأقام في مسجد قرب المحكمة الشرعية واتخذ فيه تكية عرفت فيما بعد (بالتكية الخالدية) نسبة إليه، وقد انتشرت طريقته وكثر أتباعه واحترمه الولاة والوزراء والعلماء. وللشيخ خالد كتاب (شرح العقائد العضدية) (رسالة في مسألة الإرادة الجزئية) (وجلاء الأكار) (ديوان شعر) فارسي و(شرح مقامات الحريري) لم يتممه كما جمعت رسائله في كتاب سمي (بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد) وهو مطبوع، ولعثمان بن سند كتاب (أصفي الموارد في سلسل أحوال الإمام خالد) وسافر الشيخ خالد إلى دمشق، وأقام فيها وتوفي بها في ١٢ ذي القعدة سنة ١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م. وقد رثاه العلماء والأدباء ومنهم الشاعر محمد جواد السياه بوشي بقصيدة. شرحها أبوالتقاء الألوسي. انظر: غرائب الاغتراب ص١٧ و(حلية البشر) ١/ ٥٧٠ و(الحدائق الوردية) ٢٣٣ - ٢٤٠ وعنوان المجد ٩٤ والدر المنتثر ٢٠٨ وهدية العارفين ١/ ٣٤٤ وفيه مؤلفاته. ورحلة ربيع ١/ ٩٤ و٢٢٧ والروض الأزهر ١/ ٣٥ وعشائر العراق للعاوي ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٤ وتاريخ الأدب العربي في العراق للعاوي ٢/ ٤٧ والأعلام ٢/ ٣٣٤ و٣٠٢.

(٢) تضمين وأصله لابن الفارض الديوان ص٧٩. وأوله: (فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم).

(سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَأَهْلِهَا)
 (فَهُمْ فِي فَوَادِي دَائِمًا أَيَّنَّمَا حَلُّوا)
 يَرُوقُ لِعَيْنِي أَنْ تَكُونَ جَلَاءَهَا
 وَتَشْتَأِقُ نَفْسِي أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا
 وَمَنْ قَالَ أَسْأَلُ مَاءَهَا وَهَوَاءَهَا
 (فَوَاللَّهِ لَا أَسْلُو هَوَاهَا وَمَاءَهَا)
 (إِذَا كَانَ قَلْبِي عِنْدَهَا فَمَتَى أَسْلُو)
 أَحِبَّتْنَا مِنِّي السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
 إِذَا نُشِرَتْ صُحُفُ الْغَرَامِ لَدَيْكُمْ
 أَحِبَّتْنَا وَالدهرُ أَبْعَدَ عَنْكُمْ
 (أَحِبَّتْنَا هَلْ مِنْ وُصُولِ إِلَيْكُمْ)
 (فَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الرُّسُلُ)
 تَنَايْتُ عَنْكُمْ وَالهُوَى فِيكُمْ مَعِي
 كَأَنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ
 وَقَدْ طَالَ بُعْدِي عَنْ دِيَارِي وَأَرْبَعِي
 (أَلَا هِمَّةٌ تُرْجَى وَوَصْلٌ مُرْجَعِي)
 (لَدَيْكُمْ إِذَا شِئْتُمْ بِهِ أَتَّصَلَ الْحَبْلُ)
 أَحِبَّتْنَا أَصْبُو إِلَى حُسْنِ قَوْلِكُمْ
 وَإِنْ ذُقْتُ فِيهِ الْمُرَّ مِنْ حُلْوِ عَذْلِكُمْ
 أَحِنُّ لِمَعْنَاكُمْ وَسَامِي مَحَلِّكُمْ
 (وَإِنِّي بِنَادِيكُمْ عَلَى سُوءِ فَعْلِكُمْ)
 (أَرَى أَبْدَأُ عِنْدِي مَرَارَتَهُ تَحْلُو)
 سَأَلْتُ إِلَهًا لَمْ أَحِبْ بِسُؤَالِهِ
 بُلُوغَ الْمُنَى مِنْ فَضْلِهِ وَنَوَالِهِ
 وَأَدْعُو دَعَاءَ الْعَبْدِ (*) عِنْدَ ابْتِهَالِهِ
 (وَأَسْأَلُ رَبِّي بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ)

(*) في الطبعة (١): (العيد) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

سَكَبَ الدَّمْعَ لَهَا فَاَنْسَكَبَا
 اَرْبُعٌ لَوْلَا تَبَارِيحُ الْهَوَى
 وَجَدْتُ فِيهَا السُّوْفِيَّ مَلْعَباً^(٣)
 مَا لَقِينَا بِوَقُوفِ الرِّكْبِ فِي
 ذِكْرِ الصَّبِّ وَهَلْ يَنْسَى بِهَا
 يَا رَعَى اللَّهَ بِهَا لِي قَمَرًا
 اُمْنِي لِنَفْسِي فِي اَهْلِ (مِنَى)^(٤)
 فَلَقَدْ كُنْتُ وَكَانَتْ فَتِيَّةٌ
 نَهَبَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَاْمْتَزَجَتْ
 يَا خَلِيلِي وَهَلَّا شِمْتُمَا
 فَتَوَارَى كَفَوَادِي لَهَبًا
 لَعِبَ الشُّوقُ بِاَحْشَائِي وَمَا
 فَاَنْشَدَنْ لِي فِي الْحَمَى قَلْبًا فَقَدْ
 نَظَرْتُ عَيْنَايَ اَسْرَابَ الْمَهَا
 يَوْمَ اَصْبَتْنَا اِلَى دِينِ الْهَوَى
 وَعَدُونَا زُورَةَ الطَّيْفِ اَمَّا
 وَقَضَى مِنْ حَقِّهَا مَا وَجَبَا^(٥)
 مَا جَرَى دَمْعُكَ فِيهَا صَبَّابًا
 لِلنَّوَى فَاَتَّخَذْتُهَا مَلْعَبًا
 (سَاحَةُ النُّعْمَانِ) اِلَّا نَصَبًا
 زَمَنَ الْهَوَى وَاَيَّامَ الصَّبِّ
 مُشْرِقَ الطَّلَعَةِ لَكِنْ غَرُبًا
 وَقِبَابِ الْحَيِّ فِي (وَادِي قُبَا)^(٥)
 اَنْجَمَ الْاَفْقَ وَاَزْهَارَ الرُّبَا
 فِضَّةُ الْاَدْمَعِ فِيهِمْ ذَهَبًا
 بَارِقًا لَاحَ لِعَيْنِي وَخَبَّابًا
 ثَمَ اُورَى زَنْدَهُ وَالْتَهَبًا
 جَدَّ جِدَّ الْوَجْدِ حَتَّى لَعِبَا
 ضَاعَ مِنِّي فِي الْحَمَى اَوْ غُصِبَا
 نَظْرَةً كَانَتْ لِحَيِّنِي سَبَبًا^(٦)
 فَتَعَلَّلْنَا بِاَرْوَاحِ الصَّبِّ
 اَنْ مِيعَادُهُمْ وَاَقْتَرَبَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غني الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (الثنوي)

(٣) السوافي: الرياح تسفي التراب.

(٤) منى: بكسر الميم. الوادي الذي ينزل فيه الحجاج أيام التشريق وفيه مسجد الخيف وهو بين عرفات ومكة المكرمة. وفي الشطر جناس بين منى جمع (منية) و(منى) الوادي.

(٥) قباء. موضع جنوب المدينة المنورة وفيه (مسجد قباء) وهو أول مسجد أسس على التقوى. وفي الشطر جناس بين (قبا) و(قبا).

(٦) الحين - بفتح الحاء - الهلاك والموت.

أَرَبُ النَّفْسِ وَحَاجَاتُ أَمْرِي
قَضَتِ الْأَيَّامُ فِي مَا بَيْنَنَا
وَهَبَ الدَّهْرُ لَنَا لَذَّتَهُ
وَمُنِعْنَا مِنْ أَفَاقِ الْبَطْلَا
فَحَدَا الْحَادِي لِسُقْيَا عَهْدِكُمْ
مُقْلَةُ الْوَالِعِ يَذْرِي دَمْعُهَا
أَمَرَ الْقَلْبَ بِصَبْرٍ فَقَضَى
قَلَمًا يُدْعَى فَيَقْضِي حَاجَةً
وَالْأَيَّالِي فَكَأَنَّكَ يُظْهِرُ فِي
وَكَأَنَّكَ الْعُلَا مَا أَطْلَعَتْ
فَتَأْمَلُ فِي مَعَانِي ذَاتِهِ
هَيِّبَةٌ لَلَّهِ فِي مَطْلَعِهِ
يُرْتَجَى جُودًا وَيُخْشَى سَطْوَةً
عَالِمُ الدُّنْيَا وَنَاهِيكَ بِهِ
مُعْرَبٌ عَنْ فِكْرِهِ التَّنَاقِبِ إِنَّ
كَمْ تَجَلَّتْ فَجَلَّتْ أَفْكَارُهُ
فَأَرْتَنَا الْحَقَّ يَبْدُو وَاضِحًا
بِلِسَانٍ يَفْصِلُ الْأَمْرَ بِهِ
فَحُذِّ الْوَلُؤُ مِنْ أَلْفَاظِهِ
وَفُكَاہَاتِ إِذَا أوردَهَا
وَكَمَالَاتٍ لَهُ مُعْجِزَةٌ
أَيْنَ مِنْ أَقْلَامِهِ سُمُرُ الْقَنَا
وَكَلَامٌ رَاقٍ فِي السَّمْعِ كَمَا

مَا قَضَى مِنْهُمْ لَعَمْرِي أَرَبَا
إِنَّا لَمْ نَلْقَ يَوْمًا طَرَبَا
وَاسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مَا قَدَّ وَهَبَا
مَنْهَلًا كَانَ لَنَا مُسْتَعْدَبَا
عَارِضًا إِنَّ سَاقَهُ الْبَرْقُ كَبَا
وَبكى الْقَطْرُ لَهَا وَأَنْتَ حَبَا
وَدَعَا الصَّبْرَ إِلَيْهَا فَأَبَى
وَإِذَا مَا أَنْتَدَبُوهُ أَنْتَدَبَا
كُلُّ يَوْمٍ عَجَبًا مُسْتَعْرَبَا
كَ(شَهَابِ الدِّينِ) فِينَا كَوَكَبَا
وَتَفَكَّرُ فَتَحَدَّثُ عَجَبَا
مَلَأَتْ قَلْبَ الْأَعَادِي رُغْبَا
رَغْبًا يَرْجَى وَيُخْشَى رَهَبَا
لَا يَشُوبُ الْعِلْمَ إِلَّا أَدْبَا
زَفَّ أَبْكَارَ الْمَعَانِي عُرْبَا^(١)
عَنْ سَنَا كُلِّ عَوِيصٍ غَيْهَبَا
بَعْدَ أَنْ قَارَبَ أَنْ يَحْتَجِبَا
كَشَبَا الصَّمْصَامِ أَوْ أَمْضَى شَبَا^(٢)
وَاجْتَنَّ أَنْ شَبَّتْ مِنْهَا ضَرْبَا
نُظِمَتْ فَوْقَ الْحُمِّيَّ حَبَبَا
وَأَحَادِيثًا رَوَاهَا نُخْبَا
أَيْنَ مِنْ هَمَّتِهِ بِيضُ الظُّبَى
قَدْ يَرُوقُ الْعَيْنَ فِي مَا كَتَبَا

(١) العرب - بضم العين والراء - جمع عرب. بفتح العين وهي المرأة التي تحب زوجها. ومنه قوله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاءً، فجعلناهن أبكاراً، عرباً أتراباً) سورة الواقعة (٣٥ - ٣٧).

(٢) في حديقة الورود (... بل أمضى شبا).

عَلَوِيٌّ مِنْ أَعَالِي (هَاشِمٍ)
صَاغَهُ اللَّهُ لِقَوْمٍ أَرْبَاباً
لَا يَزَالُ الدَّهْرُ يَعْلُو جَدَّهُ
فَإِذَا بُوْحَتْ بِالْجَدِّ عَلَا
أُبْلَجٌ تَحْسِبُهُ بَدْرَ الدُّجَى
دِيمَةٌ مِنْهُ لَهَّةٌ مَا شِمْتُ فِي
وَلَيْتُنَّ أَصْبَحَ رَوْضِي مُمَحَلًّا
يَهْنِكُ الْعَيْدُ فَخُذْ مِنْ لَائِدٍ
شَاكِرًا مِنْكَ عَلَى الْعَيْدِ يَدًا
تَفْضُلُ يَا ابْنَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى

هَاشِمِ الْجُودِ وَيَكْفِي نَسَبًا
وَلِقَوْمٍ حَسَدُوهُ عَطَبًا
مُرْتَقِيهَا فِي الْمَعَالِي رُتَبًا
وَإِذَا غَوْلِبَ فِيهِ غَلَبًا
أَوْ بِأَضْوَاءِ الصَّبَاحِ انْتَقَبًا
بَارِقِ الْأَمَالِ مِنْهَا خُلَبًا
فَكَمْ أَخْضَرَّ بِهِ وَأَعْشَوْشَبًا
بِكْ (*) مَا كُنْتَ لَهُ مُسْتَوْجِبًا
لَمْ أَفَاخِرْ بِسِوَاهَا السُّحْبًا
أَشْرَفَ الْعَالَمِ أُمَّأً وَأَبَا (١)

(١٤١)

لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ طَرْفِهِ وَفَوَادِهِ
قَدْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يُلِمَّ بِبُرْئِهِ
عَذَّبَتْ طَرْفِي بِالسُّهُادِ وَلَمْ تَبِتْ
مَالِي أَعْدَبُ فِي هَوَاكِ حُشَاشَتِي
وَإِذَا أَخَذْتَ بِمَا يَبُوحُ بِهِ الْجَوَى
هَذَا الْغَرَامُ وَمَا مُرَادُكَ بَعْدَهُ
مَنْ كُنْتُ أَسْتَصْفِي الْحَيَاةَ لِقُرْبِهِ
أَطْلَقْتُ بَعْدَكُمْ الدَّمُوعَ وَإِنْ أَكُنْ
وَلَقَدْ سَدَدْتُ عَنِ الْعَذُولِ مَسَامِعِي
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى

أَشْفَقْتُ مِنْ زَفْرَاتِهِ وَسُهُادِهِ
لَوْ أَنَّ طَيْفَكَ كَانَ مِنْ عَوَادِهِ
إِلَّا وَطَرْفُكَ فِي لَذِيذِ رُقَادِهِ
وَأَذُودِ حَرِّ الْقَلْبِ عَنِ ابْرَادِهِ
أَخَذَ الْجَوَى إِذْ ذَاكَ فِي إِيقَادِهِ
مِمَّا يَحُولُ جَفَاكَ دُونَ مُرَادِهِ
أَصْبَحْتُ أُرْتَقِبُ الرَّدَى لِبُعَادِهِ
فِيكُمْ أَسِيرَ الْحَبِّ فِي أَقْيَادِهِ
وَرَأَيْتُ أَنَّ الرَّأْيَ غَيْرُ سَدَادِهِ
كَيْفَ أَقْتِنَاءُ الصَّبْرِ بَعْدَ نَفَادِهِ؟

(١) في حديقة الورود (أشرف الناس أما وأبا) وهو معلول الوزن.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(*) في الطبعة (١): (بكم) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

هل أنت يومَ البينِ من شُهدائه
من ذا يُجيرُكَ من لَواحِظِ سِرِّبه
يا رَبِّعُ بَلِّ لَكَ الأَوامَ مُتَّيِّمٌ
حَكَمْتَ بِما حَكَمَ الغَرامُ بِأَهْلِهِ
وَكأَنَّمَا كَانتُ لَذائِدُنَا بِها
لَم أَتَسَّ عَهْدُكَ يا أَمِيمَةٌ بِ(اللَّوى)
أَيامَ أَصْطَبِجِ المَراشِفِ عَذِيبَةٌ
حِثُّ الشُّبابِ فَشِيبَةٌ أَبرادُهُ
مُضَرَّجِ الوَجَناتِ مِن دَمِ عاشِقِ
عاطِيتُهُ مِمَّا يَمُجُّ لُعاِبُهُ
يَصفُو بِها عَيشُ النَّدِيمِ كأَنَّمَا
حَتَّى إِذِ الأَلقى الظَّلَامُ رِداءَهُ
قَلتُ اسْمَحَنَّ لي ما بَخِلتُ بِزورَةٍ
لا ذاقَ رِيقَكَ بَعَدَ ذلكَ إِذْ صَحا
فَسَدتُ مُعامَلَةُ الحِسانِ لِمَفرِقِ
وَتَنى المَشِيبُ مِنَ الشُّبابِ عِناهُ
وَنَفاستُهُ الصَّمْصامِ في إِفْرِنْدِهِ
سالَمْتُ أَيامِي فَقالَ لي العُلا
ولقد يَعرِزُّ على المَعالي أَنْ تَرى
صافِيتُ أَخلاقِي الأَبِيبَةَ دُونَهُ
وأنا القَوِيُّ على شَدائِدِ بَطْشِهِ
وأراه يَمُكُرُ بي وَيَحسَبُ أَنَّهُ
هِيهاتَ قد تَربَّتْ يَدانِ فَدونَ ما
ولن أَرادَ مِنَ الأَكْرامِ بُغِيَّةً

أَمْ أَنْتَ يَومَ (الجَزَعِ) مِنَ أَشْهادِهِ
وَيَفُكُّ قَلبَكَ مِنَ يَدَيِّ صَيِّادِهِ
إِنْ جَفَّ نَاطِرُهُ بِماءِ فِؤادِهِ
أَرامُهُ فَفَقَضتُ على أَسادِهِ
رَوضاً جَنَيْتُ الغَضَّ مِنَ أورادِهِ
فَسَقَى الغَمامُ العَهْدَ صَوبَ عِهادِهِ
وَيَافِوزُ رَائدُ لَئِذَةٍ بِمُرادِهِ
إِذْ كَنتُ أَرُفُلُ مَنه في أَبرادِهِ
يَسْطَوا بِذابِلِ أَسمَرِ مِيادِهِ
صَهَباءُ تَکْشِفُ عَن صَمِيمِ فِؤادِهِ
أَخذتُ عَليه العَهْدَ مِنَ أنْكَادِهِ
واستَلَّ سِيفُ الصُّبُحِ مِنَ أَعْمادِهِ
وَصَلَ(*) المَحَبُّ بِها على مِيعادِهِ
أَوْ كانَ يَعتَرُّ غَيبُهُ بِرِشادِهِ
نَزالِ البِياضِ بِه مَكانِ سَوادِهِ
عَن وُدِّ زِينِيبِ وَعِشْقِ سُعادِهِ
لا في نَفاستِ غِمدِهِ وَنِجادِهِ
إِنْ كانَ عاداكِ الزَّمانُ فِعادِهِ
مِثلي بِهذا الدَهرِ طَوعَ قِبادِهِ
فَلِيبَنطَوا أَبْداً على أَحقادِهِ
عاندتُهُ فَراعَمْتُ أَنفَ عِنادِهِ
يَخطِرني يَوماً إلى أَوغادِهِ
قد رامَ هَذا الدَهرُ خَراطِ قِنادِهِ
أَلَفِي (أَبا سَلَمانَ) فِوقَ مُرادِهِ

(*) في الطبعة (1): (وهل) ومعناها سها ونسي. انظر: لسان العرب. مادة (وهل)، وصوابها من الطراز الأنفس.

بأس يذوب له الحديد ونائل
الناس مغتنمون في إبراقه
مستنزل الإحسان وعده
حسدت مناقبه الكواكب في العلا
أما العيال عليه فهي أجاد
يتطفلون على موائد فضله
طرب الشمائل كلما استجديته
ولربما أجرى اليراع فلاح لي
لله أبلج من ذوابة (هاشم)
عقل الحوادث أفلعت لهياجها
لم لا يؤمل للإغاثة كألها
لحق الكرام الأولين ولم يزل
فكأنما انتقب الصباح إذا بدا
لا تعجبوا لجمال (ال محمد)
بيت قواعده قواعد (يدبل)
أطواد مجد في العلا لم ينزلوا
من كل بحر يستفاض نواله
قد تستمد العارفون وإنما
يا أهل ذا البيت الرفيع عماده
أروي لكم خبر الثناء وطالما
مستعبد الحر الكريم بفضله
شاركت أبناء الرجال بما حوت
وإذا تفرد في الزمان مذهب
روضي ذوى ولوى الرجاء بعوده
يفديك من ملكة يمينك رقه
منع الوصول إلى ذراك بعيده

كالعارض المنهل في إرفاده
طوراً ومحتزون من إرعاده
ومزلزل الأركان في إيعاده
حتى رأيت البدر من حساده
والمجد لا ينفك عن أمجاده
يتبركون بمائه وبزاده
طرب الشجاع لحره وجلاده
بيض الأيادي من سواد ممداده
لا زال حزب الله من أجناده
فكانها مصفودة بصفاده
من كان قطب الغوث من أجداده
في حلبة النجباء سبق جواده
إقباله منه على وقاده
نور النبي سرى إلى أولاده
يتعثر الحدثن في أوتاده
إلا على الشرفات من أطواده
يا فوز من قد راح من وراده
استمدادها بالفيض من إمداده
وانحطت الملوان دون عماده
أوقفت راويه على إسناده
لا حر في الدنيا مع استعباده
يمنك بين طريفه وتلاده
ألفيتك المعدود من أفراده
فليجر منك الماء في أعواده
وراك ملجأ قصده ومراده
لا زلت أنت العيد في أعياده

وَالْحَظُّ يَصْلُدُ فِي يَدَيَّ زِنَادُهُ
يَا مَنْ نَعِمْتَ بِهِ وَأَيُّهُ نِعْمَةٌ
تَاجَرْتُ فِي شِعْرِي إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
وَمِنَ الْكَلَامِ إِذَا نَظَرْتُ جَوَاهِرُ

إِنِّي أُعِيدُكَ مِنْ صُلُودِ زِنَادِهِ
وَسَعَدْتُ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِسْعَادِهِ
نَفَقَ الْقَرِيضُ لَدَيْكَ بَعْدَ كَسَادِهِ
يُجْبِي إِلَى مَنْ كَانَ مِنْ نُقَادِهِ

(١٤٢)

وقال مادحاً السيد محمد جلبي آل الزهير^(١) ويهنيه بورود نيشان الافتخار إليه

سَنَا بَرَقَ تَبَلُّجٌ وَاسْتَنَارَا
وَهَاجَ لِي الْغَرَامُ وَهَيَّجَتْ بِي
فَبَرَقْنَا شَمْتُهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
كَأَنَّ وَمِيضَهُ لَمَعَانٌ عَضْبٍ
نَكَرْتُ بِهِ ابْتِسَامَكَ يَا سَلِيمِي
فَمَا مَرَّ الْخَيَالُ إِذَا بَطَّرَفِي
وَذِكْرِي مَا مَضَى مِنْ طَيْبِ عَيْشٍ
وَعَهْدِ هَوَى لَأَيَّامِ التُّصَابِي
أَخَذْتُ بِجَانِبِ الْأَذَاتِ مِنْهَا
وَكَمْ مِنْ لَذَّةٍ بِكُؤْمِيَّتِ رَاحٍ
مُنْظَمَةِ الْحَبَابِ كَأَنَّ (كَسْرِي)
مَزَجْنَاهَا وَقَدْ كَانَتْ عَقِيْقًا
فَلَوْ طَارَ السُّرُورُ بِمُجْتَلِيهَا
وَقَدْ كَانَ الشُّبَابُ لَنَا لَبُوسًا

أَثَارَ مِنَ الصَّبَابَةِ مَا أَثَارَا
فَوَادًا يَا أَمِيمَةً مُسْتَطَارَا
كَمَا أَوْقَدْتَ فِي الظُّلْمَاءِ نَارَا
يَشْقُ مِنْ الدَّجَى نَفْعًا مَثَارَا^(٢)
فَأَبْكَانِي اشْتِيَاقًا وَادُّكَارَا
وَلَمْ أَذُقِ الْكَرَى إِلَّا غِرَارَا
سَحَبْتُ مِنَ الشُّبَابِ بِهِ إِزَارَا
وَإِنْ كَانَتْ لَيَالِيهِ قِصَارَا
عَلَى طَرْبِي وَعَاقَرْتُ الْعُقَارَا
أَعْرْنَاهَا فَأَبْعَدْنَا الْمَغَارَا
أَمَاطَ الطُّوقَ فِيهَا وَالسُّوَارَا
فَصَيَّرَهَا الْمِزَاجَ لَنَا نُضَارَا
عَلَى التُّدْمَانَ يَوْمَئِذٍ لَطَارَا
يَلْذُ بِخَلْعِنَا فِيهِ الْعِدَارَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٢).

(٢) الصورة مقتبسة من قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فواهاً للشَّبِيبةِ كيفَ ولتَ
تَنافَرتِ الطُّبَّاءُ وِبانَ سِرِّبٍ
وَشَطَّ مَزارُ مَنْ أَهْواهَ عَنِّي
إِلامَ أُسائِلُ الرُّكبانَ عَنهمُ
وَقُوفاً بِالْمَطِيِّ عَلى رُسومِ
أُرْفِيقُ عَبرَةً وَأذُوبُ شَوْقاً
وَحَنَّتْ أَيْنُوقِي (*) وَبَكَتْ رِفاقي
أَشْوَكَ العَرارُ لأرضِ (نَجْدِ)
أضَرَ بكَ الهَوَى لا باخْتِيارِ
سَقَّتْها المَزنُ سَحاً مِنْ نِياقِ
وَصَلَّتْ بِها المَهامَةَ وَالفِياقي
مُعَلَّتِي بِمُمْرِضَتِي حَدِيثاً
بِمن لا زَلتُ تُحَيِّني التَفاتِياً
هي الحَدَقُ المِراضُ فَتَكُنَ فينا
فلولا فَتَكُها ما بَتُّ أَشْكو
كَانَ جُفونَها بِالسَّحَرِ مَنها
بَلَوْتُ بَنِي الزَّمانِ وَعَرَفْتُني
وَإِنَّكَ إِنْ بَلَوْتَ النَّاسَ مِثْلي
وَإِنْ قِستَ الرِّجالَ وَهمُ كِبارُ
بِأَهْداهُمُ إلى المَعروفِ بِرّاً
وَكمَ لَحِقَّتْهُ في مَيدانِ فَضْلِ
بِروحي مِنْ إذا ما جَارَ خُطْبُ
يَرى في ظِلِّه العَافونَ عِشْياً

وما اسْتَرَجَعْتُ حُلِيّاً مُسْتَعارا
ولم أنكَرُ مِنَ الطُّبِّي النِّفارِ
ومِن لَسي أن أزوَدَ وَأَنْ أزارِ
وَأَسْتَقْرِي المَنازلَ وَالديَّارا
أُعاني ما تُعانيه البَوارِ
وَيُعَدُّني بِها الشَّوْقُ القَرارِ
وَأرَسَلتِ الدَّمُوعَ لَها غِزارِ
ولا شَيحاً شَمَمْتَ ولا عَرارِ
وما كانَ الهوى إلا اضْطِرارِ
وَصَبَّ عَلى مَعالمِها القِطارِ
وَجُبَّتْ بِها الفِدادِ (***) وَالقِفارِ
لَقَد داوِيتُ بِالخَمْرِ الخُمَارا
وتَقَتُّأني صُدوداً وازوارِ
وَألْطَفُ مِنْ طِبا البِيضِ احْوارِ
بِأَحْشائي لَها جُرْحاً جُبَّارِ (١)
سُكارى وَالنَّفوسُ بِها سُكارى
تِجارِيبِي سَرائِرُهُمُ جِهارِ
وَجَدتُ النَّاسَ أَكْثَرُهُمُ شِرارِ
بِمَجْدِ (مَحْمَدٍ) كَانتِ صِغارِ
وَأسْرَعِهمُ إلى الحُسْنى بِدارِ
فَما شَقَّتْ لَها فيهِ غُبارِ
فَرَرْتُ إَليه يَومئِذِ فِرارِ
يَروِقُ العَينَ بِهَجَّتْهُ اخْضِرارِ

(١) الجبار - بضم الجيم - الذي لا عقوبة عليه. والقاعدة الشرعية: (جناية العجاوات جبار).

(*) في الطبعة (١): (أنيقى) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الفادند) وهو خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

وَيُنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَالاً
 وَيُرْعَى فِي صَنَائِعِهِ زِمَاراً
 تَبَصَّرَ فِي الْأُمُورِ وَحَنَكَتَهُ التُّدَّ
 وَحَالَّتْهُ فُضَائِلُهُ بِحَلِيِّ
 وَأُبْدَعَ بِالْمَكَارِمِ وَالْأَيَادِي
 وَمَا زَالَتْ كِرَامُ (بَنِي زَهَيْرِ)
 نِجَارُ أَبُوَّةٍ وَنِتَاجُ فِخْرِ
 هُمُ الْجَبَلُ الْمُنِيعُ مِنَ الْمَعَالِي
 وَإِنَّ (مُحَمَّدًا) أُنْدَى يَمِينًا
 (أَبَا عَبْدِ الْحَمِيدِ) رُفِعَتْ قَدْرًا
 سَبَقَتْ الْأَوْلِيْنَ فَلَا تُجَارَى
 فَسَبِحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ حِلْمًا
 وَاللَّهُمَّكَ الصُّوَابَ بِكُلِّ رَأْيٍ
 عَلَيْكَ النَّاسُ مَا بَرَحَتْ عِيَالًا
 تُشَيِّدُ مِنْ عِلَاكَ لَهُمْ مَقَامًا
 لَكَ النَّظَرُ الدَّقِيقُ يَلُوحُ مِنْهُمْ
 وَفِيكَ فِطَانَةٌ وَتُقُوبُ ذَهْنٍ
 لَقَدْ سَارَتْ مَنَاقِبُكَ السُّوَارِي
 تَقَلَّدَتْ الْقَوَافِي الْعُورُ مِنْهَا
 وَمَا اسْتَفْصَتْ مَدَائِحُكَ الْقَوَافِي
 لِئَنْ قَصَّرَتْ فِي مَا جِئَتْ مِنْهَا
 لِيَهْنِكَ رُتْبَةٌ تَعْلُو وَتَسْمُو

بِهِ ادَّخَرَ التُّوَابَ لَهُ ادَّخَارًا
 بِجِيلٍ قَلَّ مَنْ يُرْعَى الذَّمَّارَا
 تَجَارِبُ اخْتِبَارًا وَعَتَبَارَا
 لِعَمْرِكَ لَنْ يُبَاعَ وَلَنْ يُعَارَا
 فَمَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا ابْتِكَارَا
 خِيَارًا تَنْتَجُ الْقَوْمَ الْخِيَارَا
 فَحَيَّا اللَّهُ ذِيكَ النَّجَارَا
 يُجِيرُ مِنَ الْخَطُوبِ مِنْ اسْتِجَارَا
 وَأَوْفَرُ نَائِلًا وَأَعَزُّ جَارَا
 وَقَدْ أُوتِيَتْ حِلْمًا وَأَقْتِدَارَا
 إِلَى أَمَدِ الْعِلَاءِ وَلَا تُبَارَى
 فَوَازَنْتَ الْجِبَالَ بِهِ وَقَارَا
 يُرِيكَ ظِلَامَ حِنْدِسِهِ نَهَارَا
 وَلَمْ تَبْرَحْ لِدَائِرِهَا مَدَارَا
 وَتَوْضِيحُ مِنْ سَنَاكَ لَهُمْ مَنَارَا
 هُدَى قَوْمٍ بِهِ كَانَتْ حَيَارَى
 يِرَاكَ بِهِ (الْمُشِيرُ) الْمُسْتَشَارَا^(١)
 فَمَا اتَّخَذَتْ لَهَا فِي الْأَرْضِ دَارَا
 بِأَحْسَنِ مَا تَقَلَّدَتْ الْعَذَارَى
 نِظَامًا فِي عِلَاكَ وَلَا نِثَارَا
 فَقَدْ تَتَلَّى اقْتِصَارًا وَاخْتِصَارَا
 وَنِيشَانَ نَوْرُخَهُ (افْتِخَارَا)^(٢)
 ١٢٨٣هـ

(١) المشير محمد نامق باشا . وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٢) لم يرد الرقم في الأصول ومجموع كلمة (افتخاراً) يساوي ١٢٨٣ .

(١٤٣)

وقال مادحاً السيد محمد بن عبدالغني آل جميل^(١) [وهي من الطويل]:

وحياك منه عارضٌ بهُطولٍ
تسيلُ الرُّبَا من صَوْبِهِ بسُيولٍ
فطالَ بكائي عندها وعويلي
بمُنْسَكِبٍ من مَدْمَعِي وهَمولٍ
وما لي فيها ما يبُلُّ غليلي
بريًّا صَباً من (حاجرٍ) وقبولٍ
وأخفي الجوى عن صاحبي وخليلي
أطعتُ غرامي إذ عَصَيْتُ عَذولِي
وجفنتُ لتسكابِ الدُموعِ مُذيلٍ
كما لاحَ من ماضي الغرارِ صَقيلٍ
هبوبِ شَمالٍ في مدارِ شَمولٍ
سَحَبْتُ عليه بالسُرورِ ذُيولِي
بأحوى غَضِيضِ الناظِرِينَ كحيلٍ
وزرَّتْ عليها الشَّمْسُ ثوبَ أصيلٍ
ويخضُرُّ عودُ اللُّهُو بعدَ ذُبُولِ؟
وحيُّ بأحناءِ الضُّلوعِ نُزولٍ
وكم في الحمى من مَصْرَعٍ لقتيلٍ
وهل مُبْلَغُ عني الغرامِ رسولي؟
ألا فاسمَحوا من نَيْلِكُمْ بقليلٍ
عرفتم بأشراكِ الفُتُونِ حصولي
وفيكُم لعمرِي حيرتِي وذُهولي

سَقاكِ الحَيَا من أربَعِ وطلولِ
وجادَ عليكِ الغيْثُ كلَّ عَشِيَّةٍ
عَفَا رَسْمُ دارٍ غيَّرَ النَّايُ عَهْدَها
وَقَفْتُ بها أَسْتَنْزِفُ العَيْنَ ماءها
وأشكو غليلَ الوَجْدِ في عَرَصاتِها
إلامَ أداري مُهَجَّةً شَفَّها الهوى
وأكتمُ وجدي عن وُشاتي وعذلي
وقد عَلِمَ الواشونَ بالحُبِّ أنني
ألا مَنْ لقلبٍ لا يَقْرُ من الجوى
وما هاجني إلا وميضُ أشيمه
يذكُرني ما لست أنساه في (الغضا)
فواهاً لأيامٍ قَضَيْتُ ومَرَبِعٍ
وصَهْبَاءٍ يسقيها مَليحٌ تَلذُّ لي
وقد نُظِمَتْ فيها الحَبابُ كواكباً
فهل يرجعُ الماضي من العيشِ في الحمى
أحنُّ إلى عهدِ الشَّبَابِ وطيبه
مَصارعُ عُشاقٍ ومَعْنَى صَبابةٍ
أحبَّتْنا هل من رسولٍ إليكم
جَفَوْتُمْ فَأَكثَرْتُمْ جَفَاكُمْ على النوى
فعندي من الأشواقِ ما لو أبْتُهُ
ذُهَلْتُ بكم عن غيرِكُمْ بغرامِكُمْ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

سَأَطْلُبُ أَسْبَابَ الْعُلَا لَوْ أَنَّهُا
 وَلَسْتُ بِنَاءٍ عَنِ مَنَى وَرِكَائِبِي
 أُسَيِّرُهَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَمَنِ الدَّهْرَ خَطْبَهُ
 وَأَنْهَضُ أَحْيَاناً إِلَى مَا يَرِيْبُنِي
 حَمُولٌ لِأَعْبَاءِ الْخُطُوبِ بِأَسْرِهَا
 وَمَا ذَلَّ فِي الدُّنْيَا عَزِيْزٌ بِنَفْسِهِ
 تَرَفَّقْتُ عَنِ قَوْمٍ زَهَدْتُ بِوُدِّهِمْ
 وَحَاوَلْتُ عِزَّ النَّفْسِ بِالصَّدِّ عَنْهُمْ
 وَمَا سَرَّنِي إِلَّا جَمِيلٌ (مُحَمَّدٍ)
 تَظَلَّلْتُ مِنْ بَيْنِ الْأَنْامِ بِظِلِّهِ
 ظَفَرْتُ بِهِمْ غُرَّ الْوُجُوهِ أَمَاجِدًا
 يُخَبِّرُ سَيْمَاهُمْ بَغْرٌ وَجُوهَهُمْ
 وَيُشْرِقُ مِنْ لَأَلَاءِ صُبْحِ جَبِينِهِمْ
 لِنَنْ أَتَتْ الدُّنْيَا بِأَمْثَالِ غَيْرِهِمْ
 فَمَنْ بَرَّهُمْ نَيْلِي مَكَارِمَ بَرَّهُمْ
 مَنَاجِيْبٌ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضُهُمْ^(١)
 فَرُوعٌ تَسَامَتْ لِلْمَعَالِي وَأَفْرَعَتْ
 يُصِيخُونَ لِلدَّاعِي إِلَى كَشْفِ ضُرِّهِ
 فَمَنْ كُلُّ سَمَاعٍ مُجِيبٌ إِلَى النَّدَى
 وَكَمْ نَازِلٌ مِثْلِي بِسَاحَةِ حَيِّهِمْ

بَأَنْيَابِ أَسَادٍ رِبَاضٍ بَغِيْلٍ
 ضَوَامِنٍ فِي إِزْعَاجِهَا بِوَصُولِ
 وَمَا بَيْنَ وَخَدٍ مُزْعَجٍ وَذَمِيلِ
 وَمَا أَمِنَ الْأَيَّامَ غَيْرُ جَهُولِ
 وَإِنْ غَرَّ بَعْضَ الْجَاهِلِينَ خُمُولِي
 وَلَكِنِّي لِلضَّيْمِ غَيْرُ حَمُولِ
 وَلَا عَاشٍ حُرِّ الْقَوْمِ عَيْشَ ذَلِيلِ
 وَمَا هُمْ بِأَمْثَالِي وَلَا بِشُكُولِي
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا فِي أَعَزِّ قَبِيلِ
 وَلَيْسَ جَمِيلٌ بَعْدَ (أَلِ جَمِيلِ)
 فَأَصْبَحْتُ فِي ظِلِّ لَدِيهِ ظَلِيلِ
 بِكُلِّ جَلِيلِ الْقَدْرِ وَابْنِ جَلِيلِ
 إِذَا بَزَعْتُ عَنْ مَجْدِهِمْ بِأَثِيلِ
 شَمُوسٌ مَعَالٍ لَمْ تُرَعْ بِأَقُولِ
 فَهَيْهَاتَ أَنْ تَأْتِي لَهُمْ بِمَثِيلِ
 فَأَكْرِمُ بِهِ مِنْ نَائِلٍ وَمُنِيلِ
 وَلَا عَالِقَتْ أُمَّ لَهُمْ بِبِخِيلِ
 بِطَيِّبِ فَرُوعٍ قَدْ زَكَتْ بِأُصُولِ
 لَدَى كُلِّ خُطْبٍ فِي الْخُطُوبِ مَهُولِ
 سَرِيْعٌ إِلَى الْفَعْلِ الْجَمِيلِ عَجُولِ
 أَقَامَ وَلَمْ يُؤَدِّنْ لَهُ بِرَحِيلِ

(١) فِيهِ اقْتِبَاسٌ مِنْ قَوْلِ السَّمُوِّ أَلِ بْنِ عَادِيَاءَ: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضَهُ فَكُلُّ رَدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

ديوان السمو آل ص ١٧ (تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين).

(٢) بني عبدالغني. منصوبة على الاختصاص.

أرأشوا - بني عبد الغني - جناحه^(٢)
وأصْبَحَ ذَا جَاهٍ عَزِيزٍ بِجَاهِهِمْ
شَكَرْتَهُمْ شُكْرَ الرِّيَاضِ يَدَ الْحَيَا
وَأُنْتَتَ عَلَيْهِمُ بِالْجَمِيلِ عَوَالِمُ
وَمَا زَالَ لِي مِنْ جُودٍ كَفٌّ (مُحَمَّدٍ)
فَتَى شَغَلَ الدُّنْيَا بِحَسَنِ ثَنَائِهِ
مِنَ الْقَوْمِ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا يَسْرُهُمْ
سَلِيلُ الْمُعَالِي وَابْنُهَا وَنِجَارُهَا
ظَفَرْتُ بِهِ دُونَ الْأَنْبَامِ بِمَا جَدِ
أَلَا بَأْبِي مَنْ قَدْ هَدَانِي لِبِرِّهِ
تُقَالُ لَدَيْهِ فِي الْمَكَارِهِ عُنْتِي
أَرَى جَمَلَ الْإِحْسَانِ وَالْخَيْرِ كُلِّهِ
رَفَعْتُمْ بَرِغَمَ الْحَاسِدِينَ مَكَانَتِي
إِذَا غَبَّتْ عَنْكُمْ أُبْتُ مِنْ بَعْدِ غَيْبَتِي
سَمَوْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ أَبْنَاءَ عَصْرِكُمْ
رَعَى اللَّهُ مِنْ يَرْعَى الْوُدَادَ وَأَهْلَهُ

فأثرى بمال ما هناك جزيل
عريض على عرض الزمان طويل
بأصدق قال بالثناء وقيل
فمن مقصر في مدحهم ومطيل
روء غليل أو شفاء غليل
وقام له بالفضل ألف دليل
مدارك أفكار لهم وعقول
فبورك من زك زكا وسليل
(قؤول بما قال الكرام فعول)^(١)
وأوضح في نهج العلاء سبيلي
وفي ظلّه عند الهجير مقيلي
مفصلة في ذاتكم بفصول
فمنزلتي فوق السها ونزولي
وكان إليكم أوبتي وقفولي
وكنتم بهذا الجيل أكرم جيل
وليس له فيه تآون غول

(١٤٤)

مَنْ مُجِيرِي مِنْ فَوَادٍ كَلَّمَا
كَادَ لَوْلَا أَدْمُعِي، تَحْرِقُهُ
عَرَفَ الْقَلْبُ يَدَ الْعَيْنِ بِهَا
لَا أَبَيْتُ اللَّيْلَ إِلَّا رَاعِيًا

أَتَقَدَّ الْبَرْقُ الْيَمَانِي اتَّقَدَا
زَفْرَةَ الْوَجْدِ بِمَا قَدَّ وَجَدَا
إِنَّ لِلْعَيْنِ عَلَى الْقَلْبِ يَدَا
أُنْجُمًا سَارَتْ عَلَى غَيْرِ حَدَا

(١) الشطر للسؤال بن عدياء ولم يحصر بين قوسين في الأصول وتامه:

قؤول بما قال الكرام فعول

إذا مات منا سيد قام سيد

طال ليلُ الصَّبِّ حتَّى خَلَّتُهُ
وتَحَرَّوْا رَشَدًا عُدَّالُهُ
بي حَبِيبٌ أَنَا أَلْفَى فِي الْهَوَى
تَطْلُبُ السُّلُوانَ إِلَّا إِنِّي لِي
مَا رَمَى الرَّامِي فَوَادِي خَطَأً
يَا رَعَى عَهْدَ الْهَوَى إِنِّ الْهَوَى
خَشِيَّةُ الْوَاشِينَ صَبٌّ لَمْ يَزَلْ
أُتْرَى أَحْبَابِنَا يَوْمَ النِّقَا*
قَدْ وَقَفْنَا بَعْدَهُمْ فِي رَبْعِهِمْ
ثُمَّ لَمَّا نَفِدَ الدَّمْعُ عَلَى

جُعَلَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ سَرْمَدًا^(١)
وَأَعْمُرِي مَا تَحَرَّوْا رَشَدًا
منه ما أَلْقَاهُ مِنْ كَيْدِ الْعَدَا
لَوْعَةً قَامَتْ وَصَبْرًا قَعَدَا
منه فِي الْحُبِّ وَلَكِنْ قَصَدَا
جَارَ بِالْحُكْمِ عَلَيْهِ وَأَعْتَدَى
يُظْهِرُ الدَّمْعَ وَيُخْفِي الْكَمَدَا
وَجَدُوا مِنْ لَوْعَةٍ مَا وَجَدَا
فَبَكَيْنَا الدَّمْعَ حَتَّى نَفَدَا
طَلَّلَ الرَّبْعَ بَكَيْنَا الْجَدَا

(١٤٥)

وقال مادحاً السيد عبدالقادر (الكولندي)^(٢) حينما ولاه المشير^(٣) على العمارة

ذَكَرْتُ عَلَى النَّوَى عَهْدَ التَّصَابِي
وَشَوْقُنِي مَعَالَمَ كُنْتُ فِيهَا
فَبِتُّ أَحْنُ مِنْ شَوْقِ إِلَيْهَا
سَقَى تِلْكَ الدِّيَارَ وَسَاكِنِيهَا
فَكَمْ ظَلَمِي هُنَاكَ فِي كِنَاسِ
بِنَفْسِي مِنْ أَفْدِيهِ بِنَفْسِي

فَأَشْجَانِي وَهَيَّجَ بَعْضَ مَا بِي
بِأَنْعَمَ طَيْبِ عَيْشٍ مُسْتَطَابِ
كَمَا حَنَّ الْمَشِيْبُ إِلَى الشُّبَابِ
مُلِثُ الْقَطْرِ مُنْهَلُ الرَّبَابِ
يَنْوِبُ بِفَتْكِهِ عَنِ لَيْثِ غَابِ
وَيَعْدُبُ فِي تَجَنُّيهِ عَذَابِي

(١) اقتباس من قوله تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً..) سورة القصص الآية (٧١).

(٢) هو عبدالقادر باشا الكولندي البصري. كان كاتب العربية في البصرة ثم عين قائماً في العمارة. مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٥).

(٣) هو المشير محمد نامق باشا وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(* في الطبعة (١): (التقى) وصوابها من الطراز الأنفس.

ولي قلبٌ تَوَقَّدَ في التِهَابِ
 وليلٍ طَالَ بالزَفَرَاتِ مِنِّي
 وكم هَمٌّ أَسَاءَ إلى فَوَادِي
 وَأَزَعَجَنِي عن الأَحْبَابِ بَيْنُ
 تُعَلُّنِي بِمَوْعِدِهَا الأَمَانِي
 وتُطْمَعُنِي بما لا أَرْتَجِيهِ
 وما فَعَلْتُ بِأَصْحَابِي المَنَايَا
 وما لي من أُنَيْبٍ إِلَيْهِ يَوْمًا
 وما كَتَبْتُ يَدَايَ لَهُ كِتَابًا
 أَذَاقَنِي النُّوَى حُلُومًا وَمُرًّا
 أَطُوفُ في البِلَادِ وَأُنْتَحِيهَا
 وَأَيُّهُ قَفْرَةٌ لَمْ أَرَمْ فِيهَا
 لَبَسْتُ غُبَارَهَا وَخَرَجْتُ مِنْهَا
 وَلَمْ أَبْلُغْ مَقَامَ العِزِّ إِلَّا
 وَمَا نَلْنَا المُنَى في السَّعْيِ حَتَّى
 كَرِيمٍ طَيِّبِ الأَخْلَاقِ بِرٍّ
 فَمَا سَأَلُ النَّدَى والجُودَ إِلَّا
 إِذَا مَا أَبْتُ بِالنُّعْمَاءِ عَنْهُ
 أَوْ انْتَسَبَ انْجِذَابٌ مِنْ قُلُوبٍ
 فَيَا بَدْرَ الجَمَالِ وَلَا أَمَارِي
 سَأَشْكُرُ فَضْلَكَ الضَّافِي وَأَدْعُو
 عَلَى نِعَمٍ بِجُودِكَ قَدْ أُفِيضَتْ
 وَمِمَّا سَرَّنِي وَأَزَالَ هَمِّي
 وَلَمْ أَبْرَحْ أَهْمِيمٌ بِكُلِّ وَادٍ
 وَأَرْغَبُ عن سِوَاكَ بِكُلِّ حَالٍ
 وَلَمْ تَبْرَحْ مَدَى الأَيَّامِ تُدْعَى

ولي دمعٌ تَوَالَى بِانْسِيكَابِ
 وَلَمْ يَقْصُرْ لِحُزْنِي وَاكْتِنَابِي
 وَطَالَ مَعَ الزَّمَانِ بِهِ عِتَابِي
 وبالبينِ انزعاجي واضطرابي
 وما التَّعْلِيلُ بِالوَعْدِ الكِذَابِ
 وهل أَرْجُو شَرَابًا مِنْ سَرَابِ
 فَأَبْقَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ صِحَابِي
 إِذَا مَا عَضَّنِي يَوْمًا بِنَابِ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي أُمَّ الكِتَابِ
 وَجَرَعَنِي الهَوَى شَهْدًا بِصَابِ
 فَمَا أَعْنَى اجْتِهَادِي فِي الطَّلَابِ
 وَلَمْ أَزْعِجْ بِمَهْمِهَا رِكَابِي
 كَمَا اسْتَلَّ الحُسَامُ مِنَ القِرَابِ
 بـ (عبد القادر) العَالِي الجَنَابِ
 نَزَلْنَا فِي مَنَازِلِهِ الرُّحَابِ
 بِيَوْمِ الجُودِ أَنْدَى مِنْ سَحَابِ
 وَأَسْرَعَ بِالنُّوَابِ وبِالجَوَابِ
 حَمِدْتُ بِفَضْلِهِ حُسْنَ المَابِ
 فَمَا لِسِوَاهِ يَنْتَسِبُ انْجِذَابِي
 وَيَا رَبَّ الجَمِيلِ وَلَا أَحَابِي
 لِمَجْدِكَ بالدَعَاءِ المُسْتَجَابِ
 وَلَا تَرْجُو بِهَا غَيْرَ النُّوَابِ
 دُنُوِّي مِنْ جَنَابِكَ وَأَقْتِرَابِي
 وَأَقْرَعُ فِي تَنَائِكَ كُلَّ بَابِ
 وَأَطْمَعُ فِي أَيَادِيكَ الرِّغَابِ
 لِكَشْفِ الضُّرِّ أَوْ دَفْعِ المُصَابِ

أصاب بما حباك به (مُشيرٌ)
وولأك (العمارة) إذ تولى^(١)
فَقُمْتَ مَقَامَهُ بِالْعَدْلِ فِيهَا
وَذَلَّلْتَ الصَّعَابَ وَأَنْتَ أَحْرَى
فَلَا يَحْزُنُكَ أَقْوَالُ الْأَعَادِي
لَقَدْ حَلَّقْتَ فِي جَوِّ الْمَعَالِي
عَلَوْتَ بِقُدْرِكَ الْعَالِي عَلَيْهِمْ
وَمَا ضَاهَاكَ مِنْ قَاصٍ وَدَانٍ
وَحُزَّتْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ طُرّاً
أَلَا يَا سَيِّدِي طَالَ اغْتِرَابِي
فَارْجِعْ عَنْكَ مُنْقَلِباً بِخَيْرٍ
وَأَنْظِمْ فِيكَ طَوْلَ الْعُمْرِ شُكْرًا
وَلَيْسَ يَهْمُنِي فِي الدَّهْرِ هَمٌّ
فَمَنْ شَفَوْقِي إِلَى وَطَنِ وَأَهْلٍ

مُشيرٌ بالحقيقة والصواب
أَمُورَ الْحُكْمِ بِالْبَأْسِ الْمُهَابِ
وَقَدْ عَمَّرْتَهَا بَعْدَ الْخَرَابِ
وَمَوْصُوفٌ بِتَذَلِيلِ الصَّعَابِ
فَمَا جَزَعَتْ أَسُودٌ مِنْ كَلَابِ
فَكُنْتَ الْيَوْمَ أَمْنَعَ مِنْ عُقَابِ
كَمَا تَعْلُو الْجِبَالَ عَلَى الرَّوَابِي
بَعْدِلِ الْحُكْمِ أَوْ فَصْلِ الْخَطَابِ
وَمِنْهَا جِئْتَ بِالْعَجَبِ الْعُجَابِ
فَرَخِّصْ لِي فَدَيْتُكَ بِالذَّهَابِ
وَأَحْمَدُ مِنْ مَكَارِمِكَ أَنْقِلَابِي
كَمَا انْتَضَمَ الْحَبَابُ عَلَى الشَّرَابِ
وَفِيكَ تَعَلَّقْتَنِي وَلَكَ انْتِسَابِي
غَدَوْتُ الْيَوْمَ ذَا قَلْبٍ مُذَابِ

(١) العمارة مدينة في أسفل واسط على دجلة. وهي اليوم مركز محافظة ميسان وينشط فيها دجلة إلى ثلاثة أُنهار (دجلة والمشرح والكلاء). وكانت معروفة بالعمارة قبل اتساعها. وقد أنشأ فيها القائد العسكري العثماني محمد باشا الديار بكري سنة ١٢٧٧هـ مقرأً لحملة العسكرية (أوردي) فسماها الناس (الأوردي) ثم شيد فيها سوقاً عرف باسمه (سوق الباشا). وفي سنة ١٢٧٨هـ عين فيها السيد عبدالقادر الكولند قائمقاماً فمتصرفاً. وأنشأ فيها الجامع الكبير. ومحلة باسمه تعرف بالقادرية. انظر موجز تاريخ عشائر العمارة ص ٢١.

(٢) تضمنين لقول الشاعر امرئ القيس:

وقد طووفت في الأفق حتى

رضيت من الغنيمة بالإياب

ديوان امرئ القيس ص ٢٨ القصيدة رقم ٤ بتصنيف حسن السندوبي المطبعة الرحمانية مصر سنة ١٣٤٩هـ. ولم يحصره الشاعر بين قوسين.

فَشَوَّقَهَا إِلَى الْأَطْلَالِ وَجَدُ
 فَهَيَّجَهَا (بِذَاتِ الْأَثَلِ) عَهْدُ
 وَشَبَّ بِقَلْبِهَا لِلشَّوْقِ وَقَدْ
 فَتَمَّ مَسِيرُهَا فِي الْبَيْدِ وَخَدُ
 فَمَا فَعَلَتْ بِهَا (سَلْعٌ) وَ (نَجْدُ)
 لَهَا فِي وَجْنَتِي عَكْسٌ وَطَرْدُ
 بِأَحْبَابٍ لَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَدُ
 وَلِي مِنْهُمْ مُنَافِرَةٌ وَصَدُ
 وَعِنْدِي أَنَّهُ هَدْيٌ وَرَشْدُ
 وَثَوْبُ الْوَجْدِ فِيهِمْ يُسْتَجَدُّ
 وَإِنَّ الصَّبَّ لِلْمَعَشُوقِ عَبْدُ
 تَخَافُ لِحَاظَهُ بِالْفَتْكِ أُسْدُ
 وَكَمْ طَعَنَ الْجَوَانِحَ مِنْهُ قَدْ
 تَنَآيَاهُ وَتَقْلِي مِنْهُ خَدُ
 وَأَمَا عَيْشُنَا فِيهِ فَرَعْدُ
 فَنَحْنُ عَنِ الْمَسْرَةِ لَا نُرْدُ
 تَصَعَّدُ زُفْرَةٌ فِينَا تَجْدُ
 فَفَقَدْتُ الصَّبْرَ لَا لِاقْتَاكَ فَفَقْدُ
 إِذَا مَا خَاصَمَ الدَّهْرُ الْأَلْدُ
 فَلِي مِنْ عَطْفِهِ الرِّكْنُ الْأَشَدُّ

أَمَرَّ بِهَا مَعَ الْأَرْوَاحِ رَنْدُ
 أَمْ أَدَّكَرَتْ أَحَبَّتْهَا بِسَلْعِ
 أَرَاهَا لَا تُفِيْقُ جَوِيَّ وَوَجْدًا^(٢)
 حَدَا فِيهَا الْهَوَى لِدْيَارِ مِي
 وَتَيَّمَهَا صَبَا (نَجْدِ) غَرَامًا
 وَلِي كَدْمُوعِهَا عَبْرَاتُ جَفْنِ
 بُودِي أَنْ تُعِيدَا لِي حَدِيثًا
 لَهُمْ مِنِّْي غَرَامٌ مُسْتَزَادُ^(٣)
 ضَالَّتْ عَنِ التَّصَبُّرِ فِي هَوَاهُمْ
 فَأَخْلَقَ حُبُّهُمْ ثَوْبَ اصْطِبَارِي
 صَبَوْتُ إِلَيْهِمْ فَاسْتَعْبَدُونِي
 وَلِي فِي حَيِّهِمْ رَشَاءٌ غَرِيرُ
 إِذَا مَا مَاسَ أَرْزَى بِالْعَوَالِي
 وَلَيْلٍ بَ (الْأَبْيُرِقِ) بَتُّ أُسْقَى
 يَمِيلُ بِنَا التَّصَابِي حَيْثُ مَلْنَا
 رَكِبْنَا مِنْ مَلَاهِينَا جُمُوحًا
 لِيَالِي أَوْرَثْنَا حَيْنَ وَلْتُ
 فَهَلْ يَا (سَعْدُ) تُسْعِدُنِي فَيَانِي
 وَمَا كُلُّ يُرْجَى عِنْدَ خَطْبِ
 سَيَوَى (مَحْمُودِ) مَحْمُودِ السَّجَايَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في حديقة الورد: أراها لا تفيق جوى وشوقا.

(٣) في حديقة الورد: لهم مني غرام مستزید.

إِذَا عُدَّتْ خِصَالُ كَرِيمِ قَوْمٍ
سُرُورِي فِي الْهَمُومِ إِذَا اعْتَرَّتْنِي (١)
بِفَضْلِ يَمِينِهِ وَظُّبَى يَدَيْهِ
وَفَيْضُ عُلُومِهِ لِلنَّاسِ جَهْرًا
وَقَدْ عَذِبْتَ مَوَارِدَهُ فَأَمْسَى (٢)
طَمَى عِلْمًا وَمَكْرَمَةً وَجُودًا
فَجُودٌ لِسَانَهُ دُرٌّ ثَمِينٌ
تَقَلَّدَ صَارِمَ التَّفْوَى هُمَامٌ
سَأَلُوا مِنْهُ الْغَوَامِضَ فِي عُلُومِ
عُلُومٍ نَصَبَ عَيْنَيْهِ أَحَارَتْ
ذِكِّيُّ ثاقِبُ الْأَفْكَارِ ذَهْنًا
تُسَائِلُهُ فَيُبْدِي الدَّرْسَ سَيْلًا
وَكَمْ قَدْ أَعْجَزَ الْأَغْيَارَ رَدًّا (٣)
إِذَا كَشَفَ الْحَقَائِقَ فِي كَلَامِ
وَجَاوَبَ عَالِمَ (الزُّورَا) بِمَا لَا
وَأَمْسَتْ عِنْدَهُ الْأَغْيَارُ خُرْسًا
لَقَدْ أَتَاهُ رِيكٌ أَيُّ فَخْزٍ
أَقَامَ شَرِيعةَ الْغُرَاءِ فِيهِ
إِمَامٌ قُدُوةَ الْعُلَمَاءِ قَرَمٌ
فَفِي بَحْرَيْنِ: إِفْضَالٌ وَعِلْمٌ

فَأَوَّلُ مَا خَصَائِلُهُ تَعَدُّ
وَعَيْشِي الرُّغْدَ حَيْثُ الْعَيْشُ كَدُّ
يَفُوزُ مُصَاحِبٌ وَيَخِيبُ ضِدُّ
يَدُلُّ بِأَنَّهُ بِحَرِّ مُمِدِّ
لِكُلِّ النَّاسِ مِنْ صَافِيهِ وَرَدُّ
خِضْمٌ لَيْسَ يَسْتَقْصِيهِ حَدُّ
وَجُودٌ بَنَانُهُ كَرَمٌ وَرِفْدٌ
لَهُ مِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَنِ جُنْدٌ
فَمَا فِي الْكَشْفِ أَسْرَعُ مَنْ يَرُدُّ
عُقُولَ طُلَّابِهَا أَنَّى تَجِدُّ
فَلَمْ يَصِلِدْ لَهُ بِالْفِكْرِ زَنْدٌ
وَيُنْبِي عَنْ حُسَامِ الْعَضْبِ قَدُّ
بِأَجْوِبَةٍ لَعَمْرُكَ لَا تُرَدُّ
كَأَنَّ نِظَامَهُ فِي النَّثْرِ عِقْدٌ
تُجَاوِبُ فِيهِ (إِيرَانُ) وَ(هِنْدُ) (٤)
وَبَانَ ضَلَالُهُمْ وَأُبِينَ رُشْدٌ
وَذَلِكَ مِنْ إِلِهِ الْعَرْشِ وَعَدُّ
وَشُدُّ بِهِ لِدَيْنِ اللَّهِ عَضْدٌ
لَقَدْ جَمَعَ الْفَضَائِلَ وَهُوَ فَرْدٌ
يَفُوزُ بِوَفْرِهَا عَافٍ وَوَفْدٌ

(١) في حديقة الورد: مروري في الهموم.

(٢) في حديقة الورد: وقد عذبت مشابهه.. (كذا) ويريد: مشابهه.

(٣) في حديقة الورد: وكَمْ قَدْ أَعْجَمَ الْأَعْجَامَ رَدًّا. وهي إشارة إلى كتابه أجوبة المسائل الإيرانية.

(٤) إشارة إلى كتابه الثاني (أجوبة المسائل اللاهوتية).

إِيكَ (أَبَا الثَّنَاءِ) أَبَيْتُ أُتْنِي
وَمَنْ جُمَلَ الْفُرُوضِ عَلَيْكَ تُتْلَى
لِيَهْنِكَ سَيِّدِي عَيْدٌ سَعِيدٌ
وَهَاكَ مِنَ الْفَقِيرِ قَصِيدَ شَعْرٍ
أَجْزَلِي فِي مَدِيحِكَ لِي بِلَتُّمِي

وَأِنْ أُتْنَى لِسَانِي عَنْكَ جَهْدٌ
لِشُكْرِ صَنِيْعِكَ الْإِحْسَانُ حَمْدٌ
عَلَيْكَ لَهُ مَدَى الْأَعْوَامِ عَوْدٌ
رِضَاكَ لَهُ بِهَا كَرَمٌ وَرِفْدٌ
يَمِينِكَ فَهُوَ لِي أَمَلٌ وَقَصْدٌ

(١٤٧)

جَاءَ الرَّبِيعُ بِوَرْدِهِ وَيَهَارِهِ
وَلَيْشَرِبَنَّ الرَّاحَ نَاشِدٌ لَدَّةٌ
يَا أَيُّهَا النَّدْمَاءُ دُونَكُمْ الَّتِي
صَفْرَاءٌ صَافِيَةٌ تُزِيلُ بَصَفُوهَا
يَسْعَى بِهَا أَحْوَى أَعْنُ كَأَنَّهُ (٢)
فِي مَجْلِسٍ بَزَعَتْ شُمُوسٌ مَرَامِهِ
لِلَّهِ مَا فَعَلَ السُّرُورُ بِمَوْطِنٍ
أُمْبَادِرَ اللَّذَاتِ أَيَّةَ آيَةٍ
خَذَهَا إِذَا اكْتَسَتِ الْكُؤُوسُ بِصَبْغِهَا
وَمُورِدَ الْوَجَنَاتِ إِنْ حَيَّيْتَهُ
ظَبِيُّ أَسْوَدُ الْغَابِ مِنْ قُتْلَانِهِ
قَمَرٌ إِذَا مَا لَاحَ ضَوْءٌ جَبِينِهِ
وَيَقُولُ ثَائِرٌ مَنْ أَبَيْدَ بِلِحْظِهِ
إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ فِي رِيْقِهِ

فَأَيَسَعُ سَاقِينَا بِكَاسِ عُقَارِهِ
لَمْ يُلْفِهَا إِلَّا لَدَى أَزْهَارِهِ
تَشْفِي نَجِيَّ الْهَمِّ بَعْدَ بَوَارِهِ
مَا كَابَدَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَكْدَارِهِ
رِيمُ الْفَلَاةِ بِجَيْدِهِ وَنَفَارِهِ
وَجَلَى لَنَا فِيهِ سَنَا أَقْمَارِهِ
تَجْرِي كُمَيْتُ الرَّاحِ فِي مِضْمَارِهِ (٣)
أَجْرَى بِسَعْيِي مُنَادِمٌ وَبِدَارِهِ
خَلَعَ الْوَقُورُ بِهَا ثِيَابَ وَقَارِهِ
حَيًّا بِوَجْنَتِهِ وَأَسِ عِذَارِهِ
وَصَوَارِمِ الْأَلْحَاطِ مِنْ أَنْصَارِهِ
أَصْلَى فَوَادِ الصَّبِّ جَذْوَةَ نَارِهِ
مَنْ أَخَذَ يَا لِلرَّجَالِ بَثَارِهِ
مَا رَاحَ يَسْقِي الرَّاحَ فِي مُسْطَارِهِ (٤)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) الأحوى: الأسمر. ومنه سميت حواء. أي سمراء. والحو لون الشفة. وفي القرآن الكريم: (والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى). سورة الأعلى الآية: (٥).

(٣) الكميت من أسماء الخمر. ومن ألوان الخيل الأسود الضارب إلى الحمرة. وفي البيت توجيه لطيف بين الخمرة والخيل في المضمار.

(٤) المسطار: بكسر الميم. ضرب من الشراب فيه حموضة (لسان العرب، مادة سطر).

فَرَشَ الرَّبِيعُ لَنَا خَمَائِلَ سُنْدُسٍ
شُكْرًا لِآثَارِ الْغَمَامِ بِرَوْضِهِ
رَوْضٌ مَحَاسِنُ أَرْضِهِ كَسَمَائِهِ
فَاشْرَبَ عَلَى النَّغْمَاتِ مِنْ أَطْيَارِهِ
تَتَرَاقِصُ الْأَغْصَانُ مِنْ طَرِبٍ بِهِ
لَا تَنْكُرُوا مَيْلَ الْغُصُونِ فَإِنَّمَا
وَإِذَا أَتَى فَصْلَ الرَّبِيعِ فَبَادِرُوا
فَكَأَنَّهُ وَجْهَ الْخِرَائِدِ مُسْفِرًا
وَتَنَزَّهُوا فِي كُلِّ رَوْضٍ مُعْشِبٍ
وَلَقَدْ أَسْرَلِي النَّسِيمَ أَرِيحَهُ
فَإِذَا تَنَفَّسَتْ الصَّبَا بَاحَتْ بِمَا
يَا حَبَّذَا زَمَنُ يَزِيدُكَ بِهَجَّةً
مُتَهَلِّلٌ لِلْوَافِدِينَ كَأَنَّهُ
فَتَعَطَّرَتْ أَنْفَاسُهُ وَتَبَرَّجَتْ
نَشَرَتْ مَحَاسِنُ طَيْبِهِ مِنْ بَعْدِمَا
ذَاكَ النَّقِيبُ لَهُ مَنَاقِبُ جَمَّةٌ
بِأَبِي الشَّرِيفِ الْهَاشِمِيِّ فَإِنَّهُ
زَاكِي الْعِنَاصِرِ طَيْبٌ مِنْ طَيْبٍ
نُورِ النَّبِوَةِ سَاطِعٌ مِنْ وَجْهِهِ
عَذْبُ النَّوَالِ لِسَائِلِيهِ وَإِنَّهُ
تَيَّارُ ذَاكَ الْبَحْرِ يَعْدُبُ مَاؤُهُ
كَرَّرُ حَدِيثِكَ لِي بِمَدْحِ مُمَجِّدٍ
إِنْ أُمَّتِدَحُهُ بِأَلْفِ أَلْفِ قَصِيدَةٍ
جَرَدْتُهُ فِي النَّتَائِبَاتِ فَلَمْ يَكُنْ

خُضِرَتْ تَفُوحُ بَرْنَدِهِ وَعَرَارِهِ
فَلَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي آثَارِهِ
وَشُرُوقُ بِهَجَّةٍ لَيْلِهِ كَنَهَارِهِ
فَكَأَنَّهَا النَّغْمَاتُ مِنْ أَوْتَارِهِ
مَا بَيْنَ شَدْوِ حَمَامِهِ وَهَزَارِهِ
هَذَا الْغُصُونُ شَرِبْنَ مِنْ أَنهَارِهِ
لِتَنْهَابِ اللَّذَاتِ فِي آذَارِهِ
كُلُّ الْجَمَالِ يَلُوحُ فِي إِسْفَارِهِ
لَا سِيَّما بِالْغُضِّ مِنْ نُوَارِهِ
خَبَرًا رَوَاهُ الْعِطْرُ عَنْ عَطَّارِهِ
كَتَمَّتْهُ بِالْأَنْفَاسِ مِنْ أُسْرَارِهِ
يَحْكِي (عَلِيٌّ) الْقَدْرَ بِاسْتِثَارِهِ
رَوْضُ سَقَاهُ الْغَيْثُ مِنْ مِدْرَارِهِ^(١)
أَرْهَارُهُ فِي وَبْلِهِ وَقِطَّارِهِ
سَحَبَ السَّحَابِ عَلَيْهِ فَضْلَ إِزَارِهِ
عَدَدَ النُّجُومِ يَلْحَنُ مِنْ آثَارِهِ
سَادَ الْأَنْامِ بِمَجْدِهِ وَفَخَارِهِ
فَرَعٌ، رَسُولُ اللَّهِ أَصْلُ نِجَارِهِ
أَوْ مَا تَرَى مَا لَاحَ مِنْ أَنْوَارِهِ
كَالشَّهْدِ تَجْنِيهِ يَدَا مُشْتَارِهِ
فَاعْرِفْ نَمِيرَ الْمَاءِ مِنْ تَيَّارِهِ
يَحْلُو إِلَى الْأَسْمَاعِ فِي تَكَرَّارِهِ
لَمْ أَبْلِغِ الْمِعْشَارَ مِنْ مِعْشَارِهِ
إِلَّا الْحُسَامَ بِحَدِّهِ وَغِرَارِهِ^(*)

(١) في المطبوع: غيث سقاه الغيث من مدراره.

(*) في الطبعة (١): تداخل هذا البيت في البيت الذي يليه، والتصويب من الطراز الأنفس.

فَسَمًّا لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ حَازَ أَمَانَهُ
 هُوَ رَحْمَةٌ نَزَلَتْ عَلَىٰ أَخْيَارِهِ
 فَلَقَدْ تَعَالَىٰ فِي عُلُوِّ مَقَامِهِ
 أَمِنَ المَخُوفَ مِنَ الزَّمَانِ كَأَنَّمَا
 اليَمْنُ كُؤِنٌ وَالْيَسَارُ كَلَاهِمَا
 أُمِّيَسَّرَ الأَمْرَ العَسِيرَ أَعَدُّ إِلَى
 نَظْرًا تُرِيهِ بِهِ السَّعَادَةَ كُلَّهَا
 مُسْتَحْضِرٌ فَيْكَ المَدِيحَ وَحَاضِرٌ
 يَا سَيِّدًا لَا زَالَ فِي إِحْسَانِهِ
 أَوْلِيَّتُهُ مِنْكَ المَكَارِمَ فَاجْتَنِي
 فَلَكُمْ^(*) غَرَسْتَ مِنَ الجَمِيلِ مَغَارِسًا
 وَاقْبَلْ مِنَ الدَّاعِي لِمَجْدِكَ عُمُرَهُ

مَا جَارَ مُعْتَدِيًّا عَلَىٰ أَحْرَارِهِ
 وَهُوَ الخِيَارُ المِصْطَفَىٰ لِخِيَارِهِ
 حَتَّىٰ رَأَيْتُ البَدْرَ مِنْ أَنْظَارِهِ
 أَخَذَ العُهُودَ عَلَيْهِ مِنْ أَخْطَارِهِ
 فِي الدَّهْرِ طَوَعَ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ
 عَبْدٌ يِرَاكَ اليُسْرَ فِي إِعْسَارِهِ
 يَا مَنْ يِرَاهُ السَّعْدُ فِي أَنْظَارِهِ
 مِنْكَ الغِنَىٰ أَبَدًا مَعَ اسْتِحْضَارِهِ
 مِنْ فَضْلِهِ بِأَجِينِهِ وَنُضَارِهِ
 ثَمَرَاتِ غَرْسٍ يَدِيكَ مِنْ أَفْكَارِهِ
 كَانَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ مِنْ أَثْمَارِهِ
 مَا يَسْتَقِلُّ لَدَيْكَ مِنْ أَشْعَارِهِ

(١٤٨)

فِي رَحْمَةِ اللّهِ وَغُفْرَانِهِ
 مِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا بِهَا مُحْسِنًا
 أَصَابَهُ الرَّمَامِيُّ عَلَىٰ عَمْدِهِ
 وَمَاتَ فِي سَاعَتِهِ صَائِمًا
 فِي رَمِيَّةٍ مَاتَ شَهِيدًا بِهَا
 دَمٌ لِعَمْرِي لَمْ يَمُتْ ثَارُهُ
 أَوْىٰ إِلَى اللّهِ فَيَا حَبِّذَا
 فِي جَنَّةِ الخُلْدِ الَّتِي أُنزِلَتْ

وَفِي المَحَلِّ الأَشْرَفِ الأَمْكَنِ
 فَعَادَ فِي الأُخْرَىٰ إِلَىٰ مُحْسِنِ
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرْ وَلَمْ يَفْطَنِ
 فِي شَهْرِ صَوْمِ المِسْلَمِ المُوْمِنِ
 جَرَّتْ عَلَيْهِ أَدْمَعُ الأَعْيُنِ
 عَلَىٰ مَدَى العَمْرِ وَلَمْ يُدْفَنِ
 مَاوَى جَمِيلِ الظَّنِّ مُسْتَيَقِنِ
 أَرْخَتُهُ (مَكَانَ عَبْدِ الغَنِيِّ)
 ١٢٧٨هـ

(١) لم نعثر على ترجمة له.

(*) في الطبعة (١): (فكلم) خطأ طباعي وصوابه من الطراز الأنفس.

أَبَى اللّهُ إِلَّا أَنْ تُعَازَ وَتُكْرَمَا
تَذَلُّ لَكَ الْأَبْطَالُ وَهِيَ عَزِيزَةٌ
وَيَا رَبِّ يَوْمٍ مِثْلَ وَجْهِكَ مَشْرِقًا
وَأُبْرَعَتْ مِنْ بَيْضِ السُّيُوفِ أَهْلَةٌ
وَقَدْ رَكِبَتْ أَسَدُ الشَّرَى فِي عِرَاصِهِ
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَوْتَ قَطَّبَ وَجْهَهُ
سَلَبَتْ بِهِ الْأَرْوَاحَ قَهْرًا وَطَالَمَا
أَرَى (البصرة الفيحاء) لَوْلَاكَ أَصْبَحْتُ
وَقَالُوا وَمَا فِي الْقَوْلِ شَكٌّ لَسَامِعِ
حَمَاهَا (سليمان الزهير) بِسَيْفِهِ
تَحَفُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ (نَجْدٍ) عَصَابَةٌ
رَمَاهُمْ بَعِينَ الْعِزُّ شَيْخٌ مُقَدَّمٌ
بِصَيْرٍ بِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَعَارِفٌ
أَبْنَاءَ (نَجْدٍ) أَنْتُمْ جَمْرَةٌ الْوَعَى
وَفِي الْعَامِ مَا شِيدَتْ مَوَاهِ مَبَانِيًا
وَمَا هِيَ إِلَّا وَقَعَةٌ طَارَ صَيْتُهَا
رَفَعْتُمْ بِهَا شَأْنَ (المنيب) وَخَضْتُمْ^(٤)
غَدَاةَ دَعَاكُمْ أَمْرُهُ فَاجَبْتُمْ
وَجَرَّدَكُمْ فِيهَا لَعَمْرِي صَوَارِمًا

وَأَنَّكَ لَمْ تَبْرَحْ عَزِيزًا مُكْرَمًا^(٢)
إِذَا اسْتَخْدَمْتَ يَمْنَاكَ لِلْبَأْسِ مِخْدَمًا
لَبَسْتَ بِهِ ثَوْبًا مِنْ النَّقْعِ مِظْلَمًا
وَأَطْلَعْتَ مِنْ زُرْقِ الْأَسْنَةِ أَنْجُمًا
مِنَ الْخَيْلِ عُقْبَانًا عَلَى الْمَوْتِ حَوْمًا
وَأَلْفَاكَ مِنْهُ ضَاكِمًا مُتَبَسِّمًا
كَسَوْتَ بَقَاعَ الْأَرْضِ ثَوْبًا مُعْنَدِمًا
طُلُولًا عَفَّتْ بِالْمُفْسِدِينَ وَأَرْسُمًا
وَأِنْ جَدَعَ الصَّدْقُ الْأَنْوْفَ وَأَرْغَمَا
مَنْعِ الْحَمَى لَا يُسْتَبَاحُ لَهُ حَمَى
يَرُونَ الْمَنِيَا لَا أَبَاكَ لَكَ مَعْنَمًا
عَلَيْهِمْ وَمَا اخْتَارُوهُ إِلَّا مُقَدَّمًا
عَلِيمٌ فَمَا يَحْتَاجُ أَنْ يَتَعَلَّمَ^(٣)
إِذَا اضْطَرَمَّتْ نَارُ الْحُرُوبِ تَضْرُمًا
مِنَ الْمَجْدِ يَأْبَى اللّهُ أَنْ تَتَّهَدَمَا
وَأَنْجَدَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَأَتَّهَمَا
مَعَ النَّقْعِ بَحْرًا بِالصَّنَادِيدِ قَدِ طَمَى
عَلَى الْفُورِ مِنْكُمْ طَاعَةً وَتَكْرُمًا
إِذَا وَصَلَتْ جَمْعَ الْعَدُوِّ تَصْرَمًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٩).

(٢) في نسخة الأُنكرلي: وَأَنْكَ لَنْ تَبْرَحَ... (كذا).

(٣) في الطراز المطبوع: عَلَيْهِمْ فَمَا يَحْتَاجُ أَنْ يَتَعَلَّمَ.

(٤) الوالي منيب باشا وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٧).

(*) في الطبعة (١): (يجرد) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

ومن لم يُجردكم^(*) سيوفاً على العدا
وإن الذي يختار للحرب غيركم
كمن راح يختار الضلال على الهدى
ومن قال تعليلاً لعل وربما
عليكم إذا طاش الرجال سكينه
ولما لقيتم من أردتم لقاءه
صبرتم لها صبر الكرام ضراغماً
وأوردتموها شرعة الموت منهلأ
وما خاب راجيكم ليوم عصبصب
وجردكم للضرب سيفاً مهتداً
ومن ظن أن العز في غير بأسكم
وما العز إلا فيكم وعليكم
إذا ما قعدتم في الأمور وقمتم
وما سمعت منكم قديماً وحادثاً
وإن قلتم قولاً وما أنئني
ولما أتاكم بالأمان عدوكم
وفيتتم له بالعهد لم تعبأوا بمن
ولو مد من نأيته عنكم يداً
وفي ما مضى يا قوم أكبر عبرة
أيحسب أن الحال تكتم دونكم
فأظهر مستوراً وأبرز خافياً
أمتخذ البيض الصوارم للعلأ
نصرت بها هذا (المنيب) تفضلاً
على غلمة في الناس لله دره
تأئل في أبطاله ورجاله
وقلبها ظهراً لبطن فلم يجد

نبا سيفه في كفه وتثلما
وقد ظن أن يغنيه عنكم توهماً
وعوض عن عين البصيرة بالعمى
فماذا عسى تغني لعل وربما
تزلزل (رضوى) أو تبید (يلمما)
رميتم به الأهوال أبعد مرتمي
وأقحمتموها المرهفات تقحماً
تذيقهم طعم المنية علتما
يريه الردى يوماً من الروع أيوما
وهزكم للطعن رماً مقوماً
وهى عزه في زعمه وتندما
وما ينتمي إلا إليكم إذا انتمى
عليها حمدتم قاعدين وقوماً
رواية من يروي الحديث توهماً
بكم عزكم إن رام شيئاً وصمماً
وعاهدتموه أن يعود ويسلماً
أشار إلى الغدر الكمين مجمماً
لعاد بحد السيف أجدع أجذماً
ومن حقه إذ ذاك أن يترسماً
وهيهات أن الأمر قد كان مبهماً
وأعرب^(*) عما في الضمير وترجماً
طريقاً وسمر الخط للمجد سلماً
وأجريت ما أجريت منك تكرمماً
تصرف فيها هممة وتقدمماً
فلم يغن سحر غاب عنه مكرمماً
نظيرك من قاد الخميس العرمماً

(*) في الطبعة (١): (وأعرب) وهو خطأ طباعي، والصواب من الطراز الأنفس.

هناك ولّى الأمر من كان أهله
وطال على تلك البغاة ببأسه
وقد يدرك الباغي النجاة إذا مضى
وما سبق (الوالي المنيب) بمثلها
(سليمان) ما أبقيت في القوس منزعا
كشفت دجاها بالصوارم والقنا
فأصبحت في تاج الفخار متوجا
(إليك أبا داود) نُزجي ركائباً
رمتنا فكتنا بالسرى عن قسيها
فأكرمتم متوانا ولم تر أعين
لأحظى إذا شاهدت وجهك بالمنى
وأهدي إلى عليك ما استقله

فبجل في كل النفوس وعظما
وحكم فيهم سيفه فتحكما
ولكن رأى التسليم للأمر أسلما
وفاق ولاة الأمر ممن تقدمما
ولا تركت يمينك للبذل درهما
وقد كان يلقى حالك اللون أسحما
وفي عمّة المجد الأثيل معمما
ضوامر قد غودرن جلداً وأعظما
وقد بريت من شدة السير أسهما
من الناس أندى منك كفاً وأكرما
وأشكر من نعمك لله أنعمما
ولو أنني أهديت دراً منظمما

(١٥٠)

هنيئاً لكم هذا الهناء المجدد
ونلتم به في كل يوم مسرة
سرور وأفراح وأنس ولذة
معاشر قوم ما بهم غير ماجد
إذا ولد المولود منهم لوالد
وإن زوجوه كان من صلبه الذي
تزوج من كان الجميل شعاره
وذلك جمع لا تفرق بعهده

ودام لكم هذا السرور المؤيد^(٢)
يجيء بها في مثل يومكم غد
وأعياد أعمار بكم تتعدد
ولا فيهم إلا النبيل الممجد
فللمجد مولود وللمجد يولد
تقر به عين العلاء وتسعد
جميل له منه نجار ومحتد
وشمل مدى الأيام لا يتبدد

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

(٢) غناها الأستاذ محمد القبانجي بعدة مقامات.

وَعَيْشٌ صَفَا رَعْدًا كَمَا تَشْتَهَوْنَهُ
بَأَعْرَاسِ أَيَّامِ الزَّمَانِ وَطَيِّبِهِ
تَبَسَّمَ تَغْرُ الْأَقْحَوَانَ لِحُسْنِهِ
وَصَفَّقَتْ الْأَوْرَاقُ مِنْ طَرَبٍ بِهِ
وَقَدْ لَبِسَتْ فِيهِ الرِّيَاضُ مَلَابِسًا
تُعَطَّرُ مِنْ هَذَا الرَّبِيعِ نَسَائِمًا
سَقَاهَا الْحَيَا الْمَنْهَلُ حَتَّى كَانَتْهُ
بِمُتَّقَلَةٍ بِالْوَدْقِ خَلَّتْ بِرُوقِهَا
يَرِينِي نَدَى (عَبْدِ الْغَنِيِّ) قَطَارَهَا
مَنْ الْقَوْمِ فِي مِضْمَارِ كُلِّ أَبِيَّةٍ
إِذَا مَا هَزَزْنَا هَزَزْنَا مُهَنْدًا
وَإِذْ أَبْعَدَ التَّشْبِيهَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
تَرَى جَيِّدَ النَّاسِ الرَّدِيِّ بِجَنْبِهِ
فَلَا قَدْرَ يَدْنُو قَدْرَهُ وَعِلَاءَهُ
لَهُ السُّؤْدُ الْأَعْلَى عَلَى كُلِّ سُوْدٍ
لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
وَمَا تَجَحَّدُ الْحُسَادُ مِنْهُ فَضِيلَةٌ
تَلُوذُ بِهِ (بَغْدَادُ) مِمَّا يَسُوؤُهَا
يَقِيهَا سِهَامَ النَّائِبَاتِ فَلَمْ تَبْلُ
حَمَاهَا وَلَا حَامٍ سِوَاهُ وَلَا لَهُ
وَقَامَ (أَبُو مُحَمَّدٍ) فِي كُلِّ مَوْقِفٍ
وَكَمْ وَقَعَةٍ شَبَّتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا
وَقَدْ أَنْهَضَتْهُ هِمَّةٌ بَلَغَتْ بِهِ

فَلَا شَابَهُ فِي الدَّهْرِ عَيْشٌ مُنْكَدٌ
إِذَا الزَّهْرُ يُسْقَى وَالْحَمَامُ يُغَرَّدُ
وَأَيْنَعُ لِلنَّوَارِ حَدٌّ (*) مُورَدٌ
وَرَا حَ لَهَا بَانَ النَّقَا يَتَأَوَّدُ
مُدْنَرَةً مِنْهَا لُجَيْنٌ وَعَسْجَدُ
عَلَيْهِنَّ أَنْفَاسُ الْمَصِيفِ تَوْقَدُ
لَأَلَى فِي أَسْلَاحِهَا تَتَنَخَّدُ
لَوَامِعَ نَيْرَانٍ تَشْبُ وَتَخْمُدُ
عَلَى الْكَبِيدِ الْحَرَّى أَلْدُ وَأَبْرَدُ
أَغَارُوا الْفَخَارَ الْمُشْمَخِرَ فَأَبْعَدُوا
وَهِيَهَاتَ مِنْهُ الْمَشْرِفِيُّ الْمَهْنَدُ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ سَيْفٌ مُجَرَّدُ
وَفِي النَّاسِ مَا دَامَتْ رَدِيٌّ وَجَيِّدُ
وَلَمْ تَعْلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى يَدِهِ يَدُ
وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ الْفَخْرُ فِخْرٌ وَسُوْدُ
بِهِ فَهُوَ مِنْ بَيْنِ الْعَوَالِمِ مُفْرَدُ
وَهَلْ تَجَحَّدُ الْحُسَادُ مَا لَيْسَ يُجَحَّدُ
فَمِنْهَا لَهَا نِعَمُ الدَّلَاصِ الْمُسْرَدُ (١)
إِذَا طَاشَ سَهْمٌ لِلْخَطُوبِ مُسَدَّدُ
سِوَى اللَّهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُؤَيَّدُ
عَلَيْهِ لَوَاءُ الْحَمْدِ يُلَوَّى وَيُعْقَدُ
وَشَابَ لَهَا نَصْلُ الطُّبَى وَهُوَ أَمْرَدُ
مَنْ الْمَجْدِ تَرْقَى مَا تَشَاءُ وَتَصْعَدُ

(١) الدلاص: الدرع.

(*) في الطبعة (١): (حد) وهو خطأ طباعي وصوابه من الطراز الأنفس.

وقد يَطَأُ الأَهْوَالَ بِالهِمَّةِ التي
فَأَبْدَى وقد أَحْفَى أَخُو الجُبْنِ نَفْسَهُ
أَسَارِيرَ ذَاكِ الوَجْهِ وَالوَجْهَ عَابِسٌ
وَأَكْرَوْمَةٌ تحكي وَأَكْرَوْمَةٌ عَلَتْ
تَسِيرُ بِهَا الرِّكْبَانُ شَرْقاً وَمَغْرِباً
تَنَاقَلَهَا عَنْكَ التَّنَقَّاتُ رَوَايَةً
أرى مُطْلَقَ الأَمْدَاحِ مِنْ حَيْثُ أُطْلِقَتْ
إِذَا تُلِيَتْ آثَارُ ذِكْرِكَ بَيْنَنَا (١)
يَذوقُ بِهَا التَّالِي حَلَاوَةَ ذَاكِرٍ
فِيَا بَاسِطاً لِلنَّاسِ مِنْ فَضْلِهِ يَدَاً
فَلِلنَّاسِ مِنْ تِلْكَ المَنَاهِلِ مَنَهْلٌ
لَكَ الجُودُ وَالإِحْسَانُ وَالْفَضْلُ كُلُّهُ
وَلَسْتُ أَقُولُ الغَيْثَ وَالغَيْثُ مُرْعِدٌ
وَمَا عَاقَ دُونَ الجُودِ وَعَدُّكَ نَيْلُهُ
كَأَنِّي بِمَدْحِي فِي عِلَاكَ مُنْجَمٌ
وَهَلْ أَكْرَهُ الإِمْلَاقَ أَوْ أَطْلُبُ الغِنَى
فَلَا زِلْتَ مَسْرُورَ الفِؤَادِ بِقُرَّةٍ
هَمَا قَمَرَا مَجْدٍ وَإِنْ قَلْتَ فَرَقْدَا
تَزُوجَ زَاكِي العُنْصَرِينَ بِكَفْوِهِ
أَقُولُ لَهُ لِمَا تَزُوجَ بِالهِنَا
تَزُوجَتْ فَلْتَهْنَا هِنَاءً، مُؤرَّخَاً

لَهَا مَوْطِئٌ هَامُ السَّمَكَ وَمَقْعَدٌ
وَنَالَ شُجَاعُ القَوْمِ مَا كَانَ يَقْصِدُ
وَأَبْيَضَ ذَاكَ الفِعْلِ وَالْيَوْمُ أَسْوَدُ
يَقُومُ بِهَا هَذَا الزَّمَانُ وَيَقْعَدُ
فَذَا مُتَّهَمٌ فِيهَا وَأَخْرُ مُنْجِدٌ
عَنِ المَجْدِ عَنِ عَلِيَاكَ تُرَوِي وَتُسْنَدُ
بِغَيْرِكَ يَا مَوْلَايَ لَا تَتَّقِيْدُ
نَمِيلُ كَمَا مَالَتْ بَنَشْوَانَ صَرَخْدُ
مَنْ الحَمْدِ تُتْلَى كُلُّ أَنْ وَتُنْشَدُ
لَهَا جَمَلَةٌ الأَحْرَارِ إِذْ ذَاكَ أَعْبُدُ
وَلِلنَّاسِ مِنْ تِلْكَ المَوَارِدِ مَوْرِدُ
هُوَ الفَضْلُ وَالْمَعْرُوفُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
وَلَسْتُ أَقُولُ البَحْرَ وَالْبَحْرُ مُزِيدُ
وَمَا لِهَيْبَاتٍ مِنْ عَطَايَاكَ مَوْعِدُ
يَبِيْتُ لِأَجْرَامِ السَّمَوَاتِ يَرْصُدُ
وَلِي مِنْكَ كَنْزٌ لَآ(*) - وَرِيكٌ - يَنْفَدُ
لِعَيْنَيْكَ مَا دَامَ الثَّنَاءُ المُخَلَّدُ
سَمَاءٍ فَكُلُّ مَنْهُمَا هُوَ فَرَقْدُ
وَتَمَّ بِحَمْدِ اللّهِ مَا كُنْتَ تَقْصِدُ
بِمَلِّ فَمِ الأَقْلَامِ حَسْبُكَ تُوْرِدُ
(وقد سَرَّنَا هَذَا الزَّوْجَ مُحَمَّدُ)

هـ ١٢٦٧

(١) في مجموعة شعر الأخرس لعباس العزاوي ص ٤٠: (إذا تليت آيات ذكرك بيننا). وهي أولى من آثار.

(*) في الطبعة (١): (ولا) وهو خطأ طباعي، وصوابها من الطراز الأنفس.

فُبُورَكَتَ مِنْ دَانِ الْيَنَا وَقَادِمِ^(٢)
 عَلَى حَالِكٍ مِنْ غَيْهَبِ اللَّيْلِ فَاحِمِ
 بِأَبْلَجٍ وَضَّاحِ الْأَسَارِيرِ بِاسْمِ
 وَيَحْجُبُكَ الْفَرَسَانُ مِنْ كُلِّ صَارِمِ
 فَأَخْصَبَ فِي خَفْضِ مَنْ الْعَيْشِ نَاعِمِ
 سَقَتْهَا الْغَوَادِي سَاجِمًا بَعْدَ سَاجِمِ
 وَلَا تَحْتَشِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمِ
 إِذَا أَنْهَلَ فِي أَعْلَامِهَا وَالْمَعَالِمِ
 أَمَاثِيلَ سَيْلِ الْعَارِضِ الْمُتَرَاكِمِ
 إِلَى أَمْرِكَ الْعَالِي بِدَارِ الْخُضْرَاغِمِ
 فَهَلْ كَانَتْ الْخَطِيئَةُ سِلْكَاً لِنَازِمِ
 وَلَا دَنْسَتْ أَخْلَاقَهَا بِالْأَعَاجِمِ
 وَقَائِعُهُمْ مَعْلُومَةٌ فِي الْمَلَاغِمِ
 وَمَا الْفَخْرُ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْمَقَاسِمِ
 رَأَى عِزَّهُ الْمَوْجُودَ أَضْغَاثَ حَالِمِ^(٤)
 وَمُيِّزَتَ فِي مَا بَيْنَهُمْ بِالْعَلَائِمِ
 فَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فَوْقَ النُّعَائِمِ

قَدِمْتَ قُدُومَ الْغَادِيَاتِ السَّوَاغِمِ
 طَلَعْتَ طُلُوعَ الْبَدْرِ فِي غَاسِقِ الدُّجَى
 وَأَقْبَلْتَ إِقْبَالَ السَّعَادَةِ كَأَنَّهَا
 تَحْفُفُ بِكَ الْأَمْلاكُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 فَلَمْ تُبْقِ رَيْقاً مَاحِلاً مَا سَقَيْتَهُ
 مَتَى شِئْتَ غَادَرْتَ الْبِلَادَ كَأَنَّهَا
 وَإِنْ قَلْتَ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلِ^(٣)
 أَتَيْتَ أَتِيَّ الْغَيْثِ وَالْغَيْثُ دُونَهُ
 وَجِئْتَ بِأَبْطَالِ الرِّجَالِ تَقُودُهَا
 إِذَا ائْتَمَرْتَ يَوْمًا بِأَمْرِكَ بَادَرْتُ
 تَشْكُ صُدُورَ الدَّارَعِينَ رِمَاحُهَا
 أَعَارِبُ مَا دَانَتْ لِسُكْنَى مَدِينَةٍ
 مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَغَاوِيرُ فِي الْوَعَى
 وَلَمْ يَغْنَمُوا غَيْرَ الْفَخَارِ غَنِيمَةً
 لَقَدْ زُرْتُ مَنْ لَوْ شِئْتُ أَنْ لَا تَزُورَهُ
 تَشَرَّفَ قَوْمٌ أَكْرَمُوكَ بِرِعْمِهِمْ
 لَنْ عَدَدُوا تَوْفِيْقَكَ الْقَوْمَ نَعْمَةً

(١) المعروف أنه فهد بن علي بن تامر السعدون، وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٥).

(٢) لم ترد هذه القصيدة في الأصول. وهي رقم (٢) في مخطوطة شعر الأخرس. بتحقيق الدكتور يوسف عز الدين.

(٣) أخذه من قول حسان بن ثابت يمدح عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ
 بملتقطات لا ترى بينها فصلاً

شرح ديوان حسان ص ٢٥٩.

(٤) في الأصل: عزة الموجود.

لهم بك فخرٌ ما بقيت لهم به
وقُئِمَتَ بِأَمْرٍ لا يَقُومُ بِمِثْلِهِ
وقد نُبِتَ فِينَا بَعْدَ (عِيسَى) وَ(بِنْدِرٍ)^(١)
وما هَدَمَ اللهُ البِنَاءَ الَّذِي بِهِمْ
وما أُخْلِفَتْ تِلْكَ النُّجُومُ بِصَيِّبٍ
فقد صُلَّتْ حَتَّى خَافَكَ الحَتْفُ نَفْسَهُ
وَبَارَزَتْ حَتَّى لَمْ تَجِدْ مِنْ مُبَارِزٍ
وَأرْغَمَتْ أَنَافَ الخُطُوبِ فَأُدْبِرَتْ
فَلَمْ نَرَ مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ مُحَارِباً
إِذَا كُنْتَ لِلْمَظْلُومِ فِي الدَّهْرِ نَاصِراً
بَسَطْتُمْ يَداً فِي بَطْنِهَا نَيْلُ نَائِلٍ
نَشَرْتُمْ بِهَا أَخْبَارَ كَعْبٍ وَحَاتِمٍ
نَزَلْتُمْ عَلَى الشُّمِّ الرِّعَافِ^(*) مَنَازِلًا
رَقِيتُمْ بِأَطْرَافِ العَوَالِي مَعَالِيًا
مَغَانِيكُمْ لِلوَافِدِينَ مَغَانِمٌ
أَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً إِلَى ضَوْءِ نَارِكُمْ^(٤)
فَمِنْ مُعْتَفٍ يَرْجُو سَمَاحَةَ سَيِّدٍ

وَلَا فَخْرَ إِلا مِنْكَ يَوْمًا بِدَائِمٍ
سِوَاكَ وَمَا كُلُّ عَلَيْهِ بِقَائِمٍ
مَنَابِ الغَوَادِي وَاللِّيُوثِ الضِّيَاغِمِ
وَأَنْتَ لَهُمْ بَيْتٌ رَفِيعُ الدَّعَائِمِ
مِنَ المَزْنِ مَرْجُوُّ بَتْلِكَ المَوَاسِمِ
وَمَا اسْتَعَصَمَ المَفْرَاقُ مِنْكَ بِعَاصِمِ
وَصَادَمَتْ حَتَّى لَمْ تَجِدْ مِنْ مُصَادِمِ
بِذَلَّةِ مَرِغُومٍ لِعِزَّةِ رَاغِمِ
تُنَازِلُهُ الأَزْءَاءُ غَيْرَ مُسَالِمِ
فَمَا صَالَ هَذَا الدَّهْرُ صَوْلَةً ظَالِمِ
وَفِي ظَهْرِهَا طُولَ المَدَى لَنْتُمْ لَاثِمِ
وَقَدْ طُوِيَتْ أَخْبَارُ كَعْبٍ وَحَاتِمِ^(٢)
غَوَارِبِ أَعْلَامِ العُلا وَالْمَنَاسِمِ^(٣)
مِنَ المَجْدِ مَا لا تُرْتَقَى بِالسَّلَامِ
فَأَكْرَمُ بِهَاتِيكَ المَغَانِي المَغَانِمِ
حِثَّاتِ المَطَايَا عَالِيَاتِ العِزَائِمِ
وَمِنْ ضَارِعٍ يَرْجُو تَعَطُّفَ رَاحِمِ

(١) الشيخ عيسى بن محمد التامر السعدون. مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٥). والشيخ بندر بن محمد التامر السعدون مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٤).

(٢) هما كعب بن مامة وحاتم الطائي من أشهر كرماء العرب. مرت ترجمتهما في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠).

(٣) في المطبوعة. (من المجد إلا ترتقي بالسلاالم) وما أثبتناه من أصل المخطوطة وهي تحت رقم (٦٥٢٥) في مكتبة المتحف العراقي.

(٤) قيل إن الحجاج بن يوسف الثقفي أمر بحظر التجول، فرأى ثلاثة شبان قد خالفوا أمره فأمرهم أن ينتسبوا، فقال أحدهم: أنا ابن الذي لا يُنزل الدهر قدره ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره

وقد وقع صدر البيت الثاني للأخرس كما ترى.

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (الرعاف) ولعل صوابها (الرعان) انظر القصيدة رقم (١٥٣) ص. ٤٠٠ هامش رقم (١).

نَعَمْ هَذِهِ لِلطَّارِقِينَ بِيُوتِكُمْ
غِيَاثٌ لِمَلْهُوفٍ وَأَمْنٌ لِحَائِفٍ
مَنَازِلٌ لَمْ يَنْزَلْ بِهَا غَيْرُ مَاجِدٍ
وَقَدْ سُدَّتْ السَّادَاتِ بِأَسَاءٍ وَنَائِلًا
فَلَا تَحْفَلُوا مِنْ بَعْدِ هَذَا بِقَاعِدٍ
فَلَا يَحْسَبَنَّ مَنْ لَمْ تَرَعَهُ سَيُوفِكُمْ
فَلَمْ تَكُ إِلَّا طَاعَةٌ وَتَفَضُّلاً
فَكَانَ رِضَاهُ مَا رَضِيْتُمْ لِحَزْمِهِ
فَلَوْ قَارَعَتْكُمْ مِنْهُ يَوْمًا قَوَارِعُ
رَأَتْ عَيْنُهُ مِنْ بِأَسْكُمْ بَعْضَ رُؤْيَةٍ
إِذَا اسْتَعْظَمْتَ مَا قَدْ رَأَتْ وَأَرَاعَهَا^(١)
وَمَا قَدْ رَأَى الرَّأُوْنَ (أَلِ مُحَمَّدٍ)^(٢)
وَجُوهٌ كَمَا لَاحَ الصَّبَّاحُ مُضِيئَةً
وَبِيضُ حِدَادٍ جُرِدَتْ بِأَكْفِكُمْ
تَنُوحٌ عَلَى الْقَتْلَى غَدَاةً صَالِيهَا
إِذَا ابْتَسَمْتَ وَالْقَرْمُ تُدْمِي كُلوْمُهُ
حَمِيَتْ بِهَا أَرْضُ (العِراق) وَأَهْلُهُ
فَدَتِكَ مَلُوكٌ لَا يُرْجَى نَوَالِهَا
قَدْ اجْتَنَبْتَ هَذَا الْمَلُوكُ الَّتِي تَرَى
أَمَا وَالَّذِي أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
لَوْ أَنِّي بَكَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ سَائِرِ الْوَرَى
فَمَا قَلْتُ بَيْتًا فِي سِوَاكَ وَلَا جَرَى

بِيُوتِ الْمَعَالِي وَالنُّدَى وَالْمَكَارِمِ
وَمَاوَى لِمَأْمُونٍ وَوَرْدٍ لِحَائِمِ
كَرِيمِ السَّجَايَا مِنْ قُرُومِ أَكْرَامِ
بِفَضْلِ وَإِحْسَانٍ وَرُمَحِ وَصَارِمِ
كَمَا لَمْ تُبَالُوا إِنْ قَعَدْتُمْ بِقَائِمِ
إِطَاعَتِكُمْ عَنْ رِيْبَةِ حَكَمِ حَاكِمِ
عَلَى مَنْ لَكُمْ مِنْ مِثْلِهِ أَلْفُ خَادِمِ
وَلَيْسَ الَّذِي يَأْبَى رِضَاكُمْ بِحَازِمِ
لَأَصْبَحَ مِنْكُمْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ
فَكَانَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ إِيقَاطُ نَائِمِ
جَلالُ عَظِيمِ فِي الْأُمُورِ الْعَظَائِمِ
نَظِيرًا لَكُمْ فِي عَصْرِهَا الْمُتَقَادِمِ^(٣)
وَأَيْدٍ وَلَكِنْ فَوْقَ أَيْدِي الْعَمَامِ
فَأَعْمَدْتُمُوهَا فِي الْحِشَا وَالْجَمَامِ
نُوحِ حِمَامٍ لَا نُوحِ الْحَمَامِ
بَكَتْ بِدَمٍ قَانَ بِتِلْكَ الْمَبَاسِمِ
وَسَوَّرْتُمُوهَا بِالْقَنَا وَالصُّوَارِمِ
وَمَا لَاحَ مِنْهَا بَرَقُ جُودٍ لِشَايِمِ
مَطَامِعَ رَاجِيهَا اجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ
وَوَلَاكَ فِي الدُّنْيَا رِقَابَ الْعَوَالِمِ
فَوَرْدِي إِذَا مِنْ بَحْرِي الْمُتَلَاظِمِ
[بِهِ] قَلَمِي يَوْمًا بِمَدْحِ ابْنِ آدَمِ^(٤)

(١) في الأصل: إذا استظمت.. كذا ولم يشر المحقق إليها. وبقيت كما هي.

(٢) في الأصل: وما رأت الراؤون.

(٣) في الأصل: (نظير لكم...) وكتب المحقق في الحاشية (كذا بالأصل).

(٤) في الأصل (قلمي يوما بمدح ابن آدم) وهو معلول الوزن. وقد أثبتته المحقق كما هو وكتب في الحاشية (كذا بالأصل). والصواب ما أثبتناه.

مرحباً بالغصن والبدر التمام^(٢)
 حَذَرَ الواشي فزارتُ في المَقامِ
 باعْتَناقٍ والتَّثامِ والتَّزامِ
 لم تكنْ تَوجدُ إلا في المَنامِ
 والضُّيا يَعْتُرُ في ذَيْلِ الظلامِ
 وبَدَا الصُّبْحُ لنا بادي اللُّثامِ
 لِبَنِي سامٍ على أبناءِ حام^(٣)
 وَيُرَوِّني بِجامٍ بعدَ جامِ
 كبدِ حَرَى وقلبِ مُسْتَهامِ
 لِيَنَّ الأَعْطافِ ممشوقِ القَوامِ
 عنبري الطيبِ مِسْكِ الخِتامِ
 كان بالسُّفْحِ وفي تلكِ الخيامِ
 يَرْقُصُ البانُ لِتَغْرِيدِ الحَمَامِ
 يُجْتَنِي من لَفْظِها زَهْرُ الكلامِ
 ما بَعَيْنِها^(*) بجسمي من سَقامِ

طَرَفَتْ أَسْماءُ في جُنْحِ الظلامِ
 وَتَحَرَّتْ فُرْصَةً تُمْكِنُها
 بِتُّ مِنْها والهُوى يَجْمَعُنا
 مُسْتَفِيداً رَشَفاتٍ من فَمِّ
 حَبِّذا طيفُ حبيبِ زارني
 باتَ حَتَّى كَشَفَ الفَجْرُ الدَّجى
 وَنَظَرْنَا فرأينا كَرَّةً
 يَصْرَعُ الزُّقَّ وَيُدْمي نَحْرَه
 باتَ يُهْدِي بارداً الرقيقِ إلى
 بابليُّ اللحظِ معسولُ الأُمى
 وَتَرَشَّفَتْ شَدًّا من مَرَشَفِ
 أنا بالسُّفْحِ وما ادراكَ ما
 زَمَنُ مَرًّا لنا في ظِلِّه^(٤)
 والنَّدامى مثلُ أزهارِ الرُّبا
 والظُّبَاءِ العُفْرُ من أرامِها

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٧).

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (٤) في مخطوطة شعر الأخرس التي نشرها الدكتور يوسف عز الدين بتحقيقه.

(٣) يقصد هجوم النهار بضياته على ظلام الليل.

(٤) في الأصل: زمنا لنا...

(٥) في النسخة المحققة: (ورماني من ضياء الغيد رام) كذا.

(*) في الطبعة (١): (بعينها) وهو خطأ طباعي وصوابه من مخطوطة شعر الأخرس، شاعر العراق في القرن التاسع عشر، تحقيق الدكتور يوسف عز الدين. منشورات دار البصري، بغداد ١٩٦٣، صفحة (٣٠).

سَنَحَتْ أُسْرَابُهَا قَانِصَةً
 طَاعِنَاتٍ بِقُدُودٍ مِنْ قَنَاً
 حَدَّثَ الرُّكْبُ وَهَلْ يَخْفَى الهَوَى
 حِينَ أَلْفَانِي وَأَلْفَى مُهَجَّتِي
 يَا خَلِيلِي أَكْفُفَا لَوْ مَكُمَا
 فَلَقَدْ أُعْطِيتُ مِنْ دُونِكَمَا
 أَيْنَ حَيٌّ بِالْفَضَا نَعَهْدُهُ
 لَا جَزَى اللّهُ بِخَيْرٍ أَيْنُقَاً
 كَلَّمَا أَسْمَعَهَا الحَادِي الحِدَا
 نَهَبْتُ يَا سَعْدُ أَيَّامَ الصَّبَا
 وَصَحَا مِنْ سَكْرَةٍ ذُو نَشْوَةٍ
 لَا أَدُمُ الشَّيْبَ يَنْهَانِي بِهِ
 وَبِمَدْحِي وَالي (البصرة) قَدْ
 وَثِنَاءً طَيِّباً نَنْشُرُهُ
 أَلْبَسَ النَّاسَ وَقَاراً حُكْمُهُ
 مَا رَأَى (البصرة) مِنْ إِنْصَافِهِ
 فَسَعَى بِالْجَهْدِ فِي تَعْمِيرِهَا
 لَا تَشْيِيمُ البَرْقِ مِنْهُ خُلْباً
 فَعَسَى أَنْ يُنْجِزَ اللّهُ بِهِ
 فَرَعُ سَادَاتِ المعَالِي فِي العُلَا
 كَرُمَتْ أَعْرَافُهُ فِي ذَاتِهَا
 مِنْ أَنْاسٍ خُلِقُوا مَذْ خُلِقُوا
 تَنْقُضِي أَيَّامَهُ مَوْصُولَةً

ورماني من ظبَاءِ الغَيْدِ رام^(٥)
 رامياتٍ مِنْ لحَاظٍ بِسَهَامٍ
 عَنْ وُلُوعِي بِالتَّصَابِي وَغَرَامِي
 فِي ضِرَامٍ وَدُمُوعِي بِأَنْسِجَامٍ
 وَأَذْهَبَا عَنِّي وَمُزَا بِسَلَامٍ
 طَاعَةَ الحُبِّ وَعِصْيَانَ المَلَامِ
 صَدَعُوا بَعْدَ التَّئَامِ وَالتَّيَامِ
 قَدَفْتَهَا بِالنَّوَى أَيْدِي المَرَامِي
 أَجْفَلْتُ بِالسَّيْرِ إِجْفَالَ النُّعَامِ
 وَمَضْتُ بَعْدَ وَصَالٍ بِأَنْصِرَامِ
 لَا يَسْوَعُ المَاءَ إِلَّا بِالمُدَامِ
 وَرَعِي حِينَ بَدَا عَنْ كُلِّ ذَامِ
 رَاقٍ بِالصَّدَقِ نَثَارِي وَنِظَامِي^(١)
 بِ(المنيب) العَادِلِ القَرْمِ الهُمَامِ
 فَهِيَ فِي أَبْهَى وَقَارٍ وَاحْتِشَامِ
 إِذْ أَتَاهَا غَيْرَ أَطْلَالٍ رِمَامِ
 سَعَى مِنْ يَبْلُغُ غَايَاتِ المَرَامِ
 لَا وَلَا تَسْأَلُ وَبِئْسَ مِنْ جَهَامِ
 عِدَّةَ اللُّطْفِ لِخَاصٍ وَلِعَامِ^(٢)
 عَالَوِي الأَصْلُ عُلُوِي المَقَامِ
 وَكِرَامِ النَّاسِ أَبْنَاءِ الكِرَامِ
 سَادَةَ الدُّنْيَا وَأَشْرَافَ الأَنَامِ
 بِصِلَاتٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامِ

(١) في النسخة المطبوعة: (زان بالصدق...) وكتب المحقق في الحاشية: في الأصل (رات) قلت: في أصل المخطوطة (راق) ولم يتبين ذلك للمحقق.

(٢) خفف الشاعر الشدة من خاص وعام.

وَإِذَا مَا اضْطَرَمَتْ نَارٌ وَغَى
وَإِذَا اسْتَلَّ ظُبَى أَعْمَدَهَا
وَعَلَى مِنْبَرِ هَامَاتِ الْعِدَا^(١)
بَطَلٌ يَفْتِكُ فِي آرَائِهِ
كَمْ وَكَمْ أَدَمْتُ بِقَوْمٍ مَهْجَةً
مَا جَرَتْ إِلَّا بِمَجْرَى قَدَرٍ
كَمْ لَهُ مِنْ كَلِمَاتٍ فِي النُّهَى
قَرَّتِ (البصرة) عَيْنًا بِالَّذِي
كُلُّ دَارٍ حَلٌّ فِيهَا ابْتَهَجَتْ
فَسَقَاهَا مِنْ نَدَاهُ عَارِضٌ
وَحَمَاهَا بِمَوَاضِيهِ وَلَا
أَصْبَحَتْ أَثَارُ أَيْدِيهِ بِهَا
حَسُنَتْ أَحْوَالُهَا وَأَنْتَظَمَتْ
رَدًّا بِالسَّيْفِ بُغَاةً جَمَحَتْ
وَقَضَى بِالْعَدْلِ فِي مَا بَيْنَهَا
وَالْيَدُ الطَّوَلَى لَهُ مِنْ قَبْلِهَا

يَصْطَفِي مِنْهَا أَشَدَّ الْإِضْطِرَامِ
ثُمَّ فِي قِمَّةٍ مَقْدَامٍ وَهَامِ
خَطَبَتْ بِالْحَتْفِ وَالْمَوْتِ الزَّوَامِ
غَيْرَ مَا يَفْتِكُ فِي حَدِّ الْحُسَامِ
هَذِهِ أَقْلَامُهُ السُّمُرُ الدَّوَامِي
بِحَيَاةٍ لِأَنْسَابٍ وَحِمَامِ
نَبَّهَتْ لِلرُّشْدِ أَبْصَارَ النَّيَامِ
حَلَّ بِالْبَصْرَةِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَحَلَّتْ حِينَئِذٍ (دَارُ السَّلَامِ)
مُسْتَطِيرَ الْبَرْقِ مِنْهُلُّ الرُّكَامِ
خَيْرَ بِالْمَلِكِ يُرَى مِنْ غَيْرِ حَامِ
مِثْلَمَا تَصْبِحُ أَثَارُ الْعَمَامِ
لَوْ تَرَاهَا بَعْدَ هَذَا الْإِنْتِظَامِ
رَدُّكَ الْمُهْرَ جَمُوحًا بِاللُّجَامِ
فَمَضَتْ فِي غِيَّهَا لُدُّ الْخِصَامِ
أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ أَبِي بِزِمَامِ^(٢)

(١٥٣)

أَيْنُكْرُ مَعْرُوفَنَا الْمُنْكَرُ وَيَكْفُرُهُ وَهُوَ لَا يُكْفَرُ^(٤)
وَنَحْنُ (بَنُو هَاشِمٍ) فِي الْأَنْبَامِ كَمَا اتَّضَحَ الْوَاضِحُ النَّيِّرُ

(١) في أصل المخطوطة: (وعلى منبرها مات العدى) وهي من وهم الناسخ حيث جعل (ها) التي هي من (هامات) مع منبر. وكذلك أثبتتها المحقق في المطبوعة ولم يتبين له وجه الصواب.
(٢) أب: ممتنع. من أبى يابى فهو أب. وقد كتب المحقق في الحاشية: (كذا في الأصل) ولم يتبين له المعنى.
(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).
(٤) لم ترد في الأصول. وهي رقم (٥) في مخطوطة شعر الأخرس.

تطيبُ عناصِرُنَا والذَّوَاتُ
إِذَا مَا ذُكِرْنَا فغَيْرُ الجَمِيلِ
بِنَا تَفْخَرُ الأُممُ السَّابِقُونَ
وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنَّا الوَصِيُّ
رَمَيْتُ عَدُوًّا بِنَا سَاءَهُ
وَذَلَّتْهُ بَعْدَ عَزِّ بِهَا
وَرُبَّ قَوَافٍ لِشُعْرِي تُنِيرُ
لَهَا طَعَنَاتٌ كَوَحْزِ السَّنَانِ
فَوَاعَجَبًا لِأَلَدِ الخِصَامِ
أَيُعْجِبُهُ أَنْ يَرَى سَاعَةً
بِسَهْمٍ إِذَا أَنَا فَوَقَّتَهُ
أَرَى العَفْوَ عَنِ لَمَمِ الأَرذَلِينَ
فَلَا عَثْرَةَ النَّذْلِ مِمَّا تُقَالُ
وَإِنِّي لِأَعْرِفُ كُنْهَ الرَّجَالِ
صَبَرْتُ عَلَى بَعْضِ مَكْرُوهِهِ
وَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى النَّائِبَاتِ
فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا عَلَى حَتْفِهِ
لِيَعْلَمَ أَنِّي فَتَى، أَمْرُهُ
يَدِينُ العِلاءَ إِلَى طَوْعِهِ
يَزِينُ كَلَامِي وَجُوهَ الكَلَامِ
كَمَا زِينَتْ بِالنَّقِيبِ الشَّرِيفِ
إِذَا جَادَ سَالَ النُّدَى لِلْعُفَاةِ
نَرَى الوَافِدِينَ إِلَى بَابِهِ
فَتَى يَفْتَتِي إِثْرَ أَبَانِهِ

وقد طابَتِ الذَّاتُ والعُنْصُرُ
وغيرُ المَحَامِدِ لا تُذَكَّرُ
ونحنُ بأنْفُسِنَا نَفْخَرُ
ومِنَّا المُبَشِّرُ والمُنْذِرُ
وقَوُوسِي لِأَمْثَالِهِ يُوتَرُ^(١)
وَحَقَّرْتُهُ وَهُوَ يَسْتَكْبِرُ
عَلَى عِرْضِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ
ولا مِثْلَهَا الذَّابِلُ الأَسْمَرُ
وقد حاقَ بالخِصْمِ ما يَمْكُرُ
يَرَى دَمَهُ عِنْدَمَا يَقْطُرُ
أصِيبَ بِهِ الجَيِّدُ والمَنْحَرُ
لَدَاعِ إِلَى ما هُوَ الأَكْبَرُ
ولا ذَنْبٌ مُذْنِبِهَا يُغْفَرُ
ويكشِفُ مَخْبَرَهَا المَنْظَرُ
وقلتُ إِذَا عَوْرَةٌ تُسْتَرُ
وَإِنِّي عَلَى الخِصْمِ لا أَصْبِرُ
فَوَلَّى بِهِ حَظُّهُ المُدْبِرُ
مُطَاعٌ، وَسَطُوتُهُ تَقْفَهُرُ
وَيَمْتَثِلُ المَجْدُ ما يَأْمُرُ
ومن كَلِمِ المَرْءِ ما يُبْهَرُ
وحُسْنِ مَناقِبِهِ الأَعْصَرُ
وَأَيْسَرُ مِنْ سَيِّبِهِ الأَنْهَرُ
لِهَا مَوْرِدٌ وَلِهَا مَاصِدَرُ
وَأَثَارُ أَبَانِهِ تُؤْتَرُ

(١) في أصل المخطوطة: (وقوسي لا مثاله يوتر) من وهم الناسخ ونشرت مطبوعة كما هي، دون تصحيح أو إشارة.

من القَوْمِ لا نارُهُمْ في الظلام
وما نزلوا غَيْرَ شَمِّ الرَّعَانِ (١)
إِذَا وَعَدُوا بِالنَّدَى أَنْجَزُوا
وَإِنْ طُوِّيتْ صُحُفُ الْأَكْرَمِينَ
أَبَيَّتْ النُّبُوءَةَ لا زِلْتُمْ
مَكَارِمُكُمْ لَمْ تَزَلْ تُرْتَجَى
وَبَارِقُ عَارِضِكُمْ وَامِضُ
وَأَبْوَاعُكُمْ فِي مَنَالِ الْعُلَا
وَكَيْفَ يُطَاوَلُكُمْ فِي بِنَاءِ
لَيْلٍ أَصْبَحَتْ أُمَّكُمْ (فَاطِمُ)
فَمَا بَعْدَ عَلِيَّائِكُمْ مِنْ عَلَاءٍ
وَمِنْكُمْ تَبَاجُحُ صُبْحِ الْهُدَى
وَأَجْدَادِكُمْ شَفَعَاءُ الْعَصَاةِ
وَيَخْضَرُّ مِنْ بَيْضِ أَيْدِيهِمْ
سِرَاةً، نَدَاهُمْ كَفَيْضِ الْبِحَارِ
فَكُونُوا غَمَائِمَ مِبْرَاقِهَا
تَحَرُّوا بَنِي عَمَّنَا فِي الْأُمُورِ
وَكُونُوا بَنِي رَجُلٍ وَاحِدٍ
فَحِينَئِذٍ بِأَسْئَلِكُمْ يُتَّقَى
وَإِنِّي لَمَنْ بَعْضِ أَنْصَارِكُمْ

تُوَارَى وَلَا مَأْلَهُمْ يُنْذَرُ
يُهْدَى لَهَا الْمُنْجِدُ الْمُغُورِ (٢)
وَإِنْ أَوْعَدُوا بِالرَّدَى أَدْعَرُوا
فَإِنِّي أَرَاهَا بِهِمْ تُنْشَرُ
نُجُوماً بِنُورِ الْهُدَى تَزْهَرُ
وَسَطُوتُكُمْ أَبَدًا تُحْذَرُ
وَعَارِضُ إِحْسَانِكُمْ مُمَطَّرُ
تَطُولُ إِلَيْهَا (*) وَلَا تَقْصُرُ
مَعَالِيكُمْ الْأَشْعَثُ الْأَغْبَرُ
وَإِنْ أَبَاكُمْ إِذَا (حَايِدَرُ)
وَلَا بَعْدَ مَفْخَرِكُمْ مَفْخَرُ
وَأَسْفَرُ وَهُوَ بِكُمْ مُسْفَرُ
بِيَوْمٍ بِهِ نَارُهُ تُسْعَرُ
وَجَدُواهُمْ الزَّمَنُ الْأَغْبَرُ
نَعْمَ هَكَذَا فَيَضُّهَا الْأُبْحَرُ
يُشَامُ سَنَاهُ وَيُسْتَمَطَّرُ
وَرَاعُوا عَوَاقِبَها وانظروا
إِذَا أَنْكَرُوا مَنَكراً غَيْرُوا
وَيَخْشَاكُمْ الْعَدَدُ الْأَكْثَرُ
وَنَاصِرِكُمْ فِي الْوَرَى يُنْصَرُ

(١) في النسخة المطبوعة (... شم الرعاق) والرعاق هو صوت يسمع من قتب الدابة. ولا معنى له هنا. وكتب المحقق في الحاشية (هكذا في نسخة ش. أما في الأصل: الرعاف). قلت: والرعاف: هو أنف الجبل. وأولى أن يكون (...) شم الرعاف). وقد راجعت أصل المخطوطة فوجدتها. (الرعان) بالنون. جمع (أرعن) وهو الجبل الواسع الكبير. فلا رعاق ولا رعاف.

(٢) في النسخة المطبوعة (... المنجد والمغور) والواو زائدة. وبها يختل الوزن. وليست موجودة في أصل المخطوطة.
(*) في الطبعة (١): (إلها) وهو خطأ طباعي، والصواب من مخطوطة شعر الأخرس تحقيق الدكتور يوسف عز الدين، منشورات دار البصري، بغداد ١٩٦٣م. صفحة ٣٤.

وَإِنِّي بِأَيْدِيكُمْ صَارِمٌ
أُدَافِعُ عَنْكُمْ إِذَا غَابْتُمْ
وَإِنِّي لِأَشْكُرْكُمْ، وَالْجَمِيلُ
فَخَذَهَا إِلَيْكَ تَغِيظُ الْحَسُودَ
تَسْرُّ لَدَيْكَ الْوَلِيَّ الْحَمِيمَ

يُقَدُّ بِهِ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ
وَأَتْنِي عَلَيْكُمْ وَلَمْ تَحْضُرُوا
عَلَى كُلِّ أَحْوَالِهِ يُشْكُرُ
يَرَاهَا الْمُحِبُّ فَيَسْتَبْشِرُ
وَيُبْتَئِرُ شَانِيكَ الْأَبْتَرُ

(١٥٤)

وَرَدَّ السُّرُورُ بِهَا وَطَافَ بِحَانِهَا
جَلِيَّتٌ فَكَانَ مِنَ الْحَبَابِ نَثَارُهَا
وَالصُّبْحُ قَدْ سَفَرَتْ مَحَاسِنُهُ لَنَا
تُمْلِي عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ فُنُونَهَا
وَتُجِيدُ أوتَارَ الْقِيَانِ لُحُونَهَا
وَانظُرْ إِلَى الْأَزْهَارِ كَيْفَ يَرُوقُهَا
وَعَلَى اتِّفَاقِ الْحُسْنِ مِنْ أَشْكَالِهَا
يَهَبُ النَّسِيمُ عَبِيرَهَا مِنْ رَوْضَةٍ
يَا حَبِّذَا زَمَنٌ عَلَى عَهْدِ الصَّبَا
حَيْثُ الْهَوَى وَطَرُّ وَأَبْيَاتِ الْحَمَى
وَيُدِيرُ بَدْرُ التَّمِّ فِي غَسَقِ الدَّجَى
لِلَّهِ أَوْقَاتُ السُّرُورِ وَسَاعَةٌ
ضَمِنَتْ لَنَا الْأَفْرَاحَ كَأْسُ مُدَامَةٍ
وَيَرُوقُهَا ذَاكَ الْحَبَابُ فَعَقْدُهُ

مَنْ كَانَ صَاحِبَهَا وَمَنْ أَحْدَانِهَا
وَقَلَائِدُ الْعَقِيَانِ نَظْمُ جُمَانِهَا^(١)
وَشُجُونُ وَرَقِ الدَّوْحِ مِنْ أَشْجَانِهَا
وَرَفَاءٌ قَدْ صَدَحَتْ عَلَى أَفْنَانِهَا
فَاشْرَبْ عَلَى النِّعْمَاتِ مِنَ الْأَحَانِهَا
إِشْرَاقُ بَهْجَتِهَا وَطَيْبُ زَمَانِهَا
وَقَعَ الْخِلَافُ فَكَانَ مِنْ أَلْوَانِهَا
لَا زَالَ طِفْلُ الطَّلِّ فِي أَحْضَانِهَا
وَمَوَاسِمُ اللَّذَاتِ فِي إِبَانِهَا
أَقْمَارٌ مَطْلَعَهَا وَجُوهٌ حِسَانِهَا
كَأْسًا حَصَى الْيَاقُوتِ مِنْ تِيْجَانِهَا
تَجْرِي كُمَيْتُ الرَّاحِ فِي مَيْدَانِهَا
وَقَتِ الْمَسْرَةَ بَرَهَةً بِضَمَانِهَا
مَنْ نَظَّمَ لَوْلُوهَا وَمَنْ مَرْجَانِهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) استخدام بديع لأسماء بعض الكتب مثل: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، للفتح بن خاقان. (هدية العارفين ٨١٤ / ١) وهناك كتب عديدة تحمل عنوان (نظم الجمال).

مِسْكِيَّةُ النَّفْحَاتِ يَسْطَعُ طَيْبُهَا
 فِي مَجْلِسِ دَارَتْ بِهِ أَقْدَاحُهَا
 يَا طَالِبَ اللَّذَاتِ حَسْبُكَ لَذَّةٌ
 بَاكِرٌ صَبُوحَكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَجَّ إِلَى
 وَإِذَا سَرَحْتَ إِلَى الرِّيَاضِ فَنَلَّ إِذَا
 وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ جَنَّةٌ وَجْهَهُ
 وَمُهْفَهْفٌ ذِي طَلْعَةٍ قَمَرِيَّةٍ
 مَا زَالَ تَفْعَلُ بِالْعُقُولِ لِحَاظُهُ
 يَسْقِي فَأَشْرَبُ مِنْ لَمَاهُ، وَكَأْسِهِ
 يَشْفِي مَرِيضَ الْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى
 وَيَبُلُّ غُلَّةً وَامِقٌ مُسْتَغْرِمٌ
 تَسْتَحْسِنُ الْأَبْصَارُ مَا بَلَيْتَ بِهِ
 إِنَّ (النَّقِيبَ الْقَادِرِيَّ) لِعَوْدَتِي
 شَهْمٌ تَبْذُلُ الْمَالَ عِزَّةً نَفْسِهِ
 السَّيِّدُ السَّنْدُ الرَّفِيعُ مَكَانَهُ
 الطَّاهِرُ الْبَرُّ الرَّؤُوفُ بِأُمَّةٍ
 كَمْ حُجَّةٌ قَدْ أَنْبَأَكَ بِفَضْلِهِ
 الْبِاسِطُ الْأَيْدِي لِكُلِّ مُؤْمِلٍ
 تَزِينُ الرَّجَالَ عَوَارِفٌ وَمَعَارِفُ
 قُلْ لِلْمُفَاخِرِ سَادَةٌ قُرَشِيَّةٌ
 فَهَمُّ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَإِنَّهُمْ
 بَنَتِ الْمَبَانِي فِي الْعُلَا أَبَاؤَهُ
 مَا زَلْتُ أَبْصِرُ مِنْكَ كُلَّ أَبِيَّةٍ
 حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ سَمَاوَاتِ الْعُلَا

مَا افْتَضَّ رَبُّ الْحَانِ خَتَمَ دِنَانِهَا
 فَكَأَنَّهَا الْأَفْلَاقُ فِي دَوْرَانِهَا
 مَا سَالَ فِي الْأَقْدَاحِ مِنْ ذَوْبَانِهَا
 كَأْسِ الطَّلَا وَاحْرَصْ عَلَى نُدْمَانِهَا
 مِنْ رَوْحِهَا أَرْجَاءً وَمِنْ رِيحَانِهَا
 تَصَلِّ بِأَحْشَائِي لَطَى نِيرَانِهَا
 أَجْنِي ثِمَارَ الْحُسْنِ مِنْ بُسْتَانِهَا
 مَا تَفْعَلُ الصَّهْبَاءُ فِي نَشْوَانِهَا
 مَا يُنْعَشُ الْأَرْوَاحُ فِي جُثْمَانِهَا
 وَلِذَا تَقَرَّ النَّفْسُ مِنْ هَيْمَانِهَا
 بِالرِّيِّ مِنْ صَادِي الْحَشَا ظَمَّانِهَا
 وَبِلِيَّةِ الْعُشَاقِ بِاسْتِحْسَانِهَا
 مِنْ حَادِثِ الدُّنْيَا وَمِنْ عُدْوَانِهَا
 وَمُنْزَلِ الْأَمْوَالِ دَارِ هَوَانِهَا
 حَيْثُ النُّجُومُ وَحَيْثُ سَعْدُ قِرَانِهَا
 اللَّهُ وَفَقَّهَا إِلَى إِيْمَانِهَا
 قَامَ الدَّلِيلُ بِهَا عَلَى بُرْهَانِهَا
 وَجَدَاوِلُ الْإِحْسَانِ فَيُضُّ بَنَانِهَا
 يَتَمَيِّزُ الرَّجْحَانُ فِي مِيزَانِهَا
 مَا أَنْتَ يَوْمَ الْفَخْرِ مِنْ فُرْسَانِهَا
 بَيْنَ الْجِبَالِ الشَّمُّ شَمُّ رِعَانِهَا
 مِنْ قَبْلِهِ فَبَنَى عَلَى بُنْيَانِهَا
 مَا كَانَ غَيْرَكَ أَخْذًا بَعِنَانِهَا
 رَفَعَتْكَ (*) حِينَئِذٍ عَلَى كِيَوَانِهَا (**)

(*) في الطبعة (١): (رفقتك) وصوابها من الطراز الأنفس.
 (**) كيوانها: كيوان هو كوكب زحل. انظر: لسان العرب. مادة (كون).

نفسٌ لعمرك في النفوس زكيةٌ
 ما فوق أيديه لذي شرفٍ يدُ
 كم من يدٍ لك في الجميلِ ونعمةٍ
 فالسعدُ والإقبالُ من خدامها
 ذاتُ مطهرةٍ ومجدٍ باذخٍ
 لله فيه سريرةٌ نبويةٌ
 نُشرتْ صحائفُ فضلهِ بينِ الورى
 إنِّي لأشكرُ من جميلِكَ نعمةً
 ألبستُها منك الجميلِ صنایعاً
 ها أنتَ في الأشرافِ واحدٌ عصرها
 إلا تنلُ قومٌ علاكَ فإنهم
 أو عدتُ الأعيانُ من نقبائها
 إن القوافي في مديحك لم تنزلُ

اللهُ فخالها على أقرانها
 لا في سماحتها ولا إحسانها
 تستغرقُ العافينَ في طوفانها
 والعالمُ العلويُّ من أعوانها
 في سرها لطفٌ وفي إعلانها
 عرفتُ جميعُ الخلقِ رفعةَ شأنها
 فقرأتُ سطرَ المجدِ من عنوانها
 وأعوذُ بالرحمنِ من كفرانها
 سَطَعَتْ بطيبِ الشكرِ من أردانها
 ونجيبُ عنصرها رضيعُ لبانها
 طالوا وما بلغوا رفيعَ مكانها
 ما كنتُ إلا العينُ من أعيانها
 تُثني عليكَ بلقظها ولِسَانها

(١٥٥)

وعدتُنَّ طرفي بالخيالِ وصالا
 وإنِّي لأرضى بالأماني تَعَلَّةً
 فَبِتُّ أُذيلُ الدمعِ يَنْهَلُ صَوْبَهُ
 وفي القلبِ من نارِ الجوى ما يُذِيبُهُ
 ولي كَبِدُ حَرَى تَوَدُّ لو أَنَّها
 وأنتِ شِفائي يا أُمِّيمَ وإنني
 فليتكَ يومَ الجَزَعِ كنتِ عليمَةً
 ويومِ كَحَرِّ القلبِ من ألمِ النوى

وإنجازكُنَّ الوعدَ كانَ مطالا
 وأقنعُ ما كانَ الوصالُ خَيالا
 وما زالَ دمعُ المُستَهامِ مُذالا
 كأنَّ به مِمَّا أُجِنُّ ذُبَالا
 تُصَادِفُ من رِيِّ الحَبِيبِ بَلالا
 أعالجُ داءً في هَوَاكِ عَضالا
 بما قلتُ للأحيِ عليكِ وقالا
 تَفَيَّاتُ من سُمُرِ الرماحِ ظلالا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

بِبَيْدَاءَ لَا تُهْدَى الْقَطَا فِي فِجَاجِهَا
فَأَنْسَنِي فِيهَا أَدْكَارُكَ، وَالْأَسَى
وَلَمْ أُنْسَ إِدْلَاجَ الرَّفَاقِ بَلْيَلَّةٍ^(١)
وَقَدْ سَامَ فِيهَا النُّوقُ سُلْوَانَهَا الْغُضَا
نَهَضْنَ بِنَا فِي الْمُنْجِبَاتِ خَفَائِفًا
فَظَلْتُ تَرَامِي بِالرِّجَالِ تَوْقُصًا
وَلَمْ تَدْرِ مِنْ فَتْيَانِ (عَدْنَانَ) أَنَّهَا
إِذَا ذَكَرْتُ فِي (الْأُبْرُقَيْنِ) مَنَاخَهَا
أَمَا وَفَنَاءَ الْبَيْتِ يَسْمُو وَمَنْ سَعَى
لِنَنْ بَلَّغْتَنِي مَا أَحَاوُلُ نَاقَتِي
وَنَشَّقْتُهَا رَنْدَ الْحَمَى وَعَرَارَهُ
وِدَارٍ أَنَاخَ الرِّكْبِ فِيهَا مَطِيَّهِمْ
فَظَلُّ بِهَا سَعْدٌ يَكْرُ بِطَرْفِهِ
تُسَائِلُ رَسْمَ الدَّارِ عَنْ أُمِّ سَالِمٍ
أَلَا بِأَبِي سَرِيًّا تَنَافَرُ عَيْنُهُ
فَمَا لَمَحَتْ عَيْنَايَ بَعْدُ غَزَالَةً
وَمَا بِالْكُنَّ الْيَوْمَ إِذْ شَابَ مَفْرَقِي
هَجَرْتَنِي هَجْرَ الشَّبِيبَةِ بَعْدَمَا
وَقَدْ كَانَ مِنْكُنَّ الصُّدُودُ عَلَى الْهَوَى
مَضَى زَمَنٌ يَا قَلْبُ لَيْسَ بِرَاجِعٍ
فَلَا تَطْلُبَنَّ الْمَاضِيَّاتِ تَصَرَّمَتْ
وَإِنَّكَ إِنْ حَاوَلْتِ حُرًّا تُصِيبُهُ
أَقِمِّي فِي ذُرَا (عَبْدِ الْغَنِيِّ) وَإِنْ تَشَاءُ
فَمَا لِبَنِي الْحَاجَاتِ عَنْ فَضْلِهِ غَنَى
مَتَى تَقْصُرُ الْأَيْدِي عَنْ الْجُودِ وَالنُّدَى

وَلَا وَطِنْتُ فِيهَا السَّمَاءَ رِمَالًا
يَحْضُ عَلَيكَ الدَّمْعَ أَنْ يَتَوَالِي
يَضِلُّ بِهَا النُّجْمُ السَّبِيلَ ضَلَالًا
أَلَا لَا تَسْمُنَهُنَّ السُّلُوءَ أَلَا لَا
تَحَمَّلْنَ أَعْبَاءَ الْهَمُومِ ثِقَالًا
وَتَنْحَطُّ مِنْ تَحْتِ الرِّجَالِ كَلَالًا
حَمَلْنَ رِجَالًا أَمْ حَمَلْنَ جِبَالًا
كَمَا هَجَّتْ فِي الْبَيْدِ الْقَفَارِ رِثَالًا
إِلَيْهِ وَقَدْ حَثَّ الْمَطِيَّ عَجَالًا
وَرَدَّتْ بِهَا مَاءَ (الْعُدَيْبِ) زَلَالًا
يَضُوعَانِ مَا مَرَّ النَّسِيمُ شَمَالًا
فَكَانَتْ لَهُمْ تِلْكَ الرَّسُومُ عِقَالًا
إِلَيْهَا وَيَسْقِيهَا الدَّمُوعَ سِجَالًا
فَهَلَّا أَفَادَتِكَ الْوَيْدَارُ سُؤَالًا
يَمِينًا عَلَى رِغْمِ الْهَوَى وَشِمَالًا
وَلَا أَقْتَنَصُ الْوَيْدَارُ الْهَوَى غَزَالًا
وَأَصْبَحَ حَظِي عِنْدَكَ وَيَالَا
أَظَلُّ بِهَا ظِلُّ الشُّبَابِ وَزَالَا
دَلَالًا فَاْمَسَى صَدُّكَ مَلَالًا
نَعِمْتُ بِهِ قَبْلَ الْمَشِيْبِ وَصَالَا
فَلَيْسَ بِحَالٍ أَنْ تَسُرَّكَ حَالَا
تَطَلَّبْتَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ مُحَالَا
فَسِرِّحْ إِلَيْهِ أَيْنُقًا^(*) وَجَمَالَا
وَحَسْبُ الْأَمَانِي مَوْئِلًا وَمَالَا
وَجَدْتُ أَيَادِيهِ الطُّوَالَ طَوَالَا

(١) الإدلاج: سرعة السير في الظلام. وفي الحديث الشريف: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل).

(*) في الطبعة (١): (أنيقًا) والصواب من الطراز الأنفس.

إِبَاءٌ يَضِيْمُ الضَّيْمِ وَهُوَ مَمْنَعٌ
 فَلَوْ أَنْصَفْتَهُ الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ قَبَّلَتْ
 عَلَيْكَ بِهِ طَوْدًا مِنَ الْمَجْدِ بَانْخَاً
 بِأَصْدَقٍ مِنْ أَلْقَى الْمَقَالَةَ لَهْجَةً
 رَحِيْبُ فَنَاءِ الْعِزِّ مَا ضَاقَ ذَرْعُهُ
 وَمَا وَلَدَتْ أُمَّ اللَّيَالِي بِمِثْلِهِ
 مِنَ الْقَوْمِ كَانُوا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً
 يَكْفُونَ لِلرُّزْءِ الْمُبْرَحِ أَيْدِيًا
 تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَاهُ بِالنَّاسِ رَأْفَةً
 فَيَا طَالِبًا يَمْمَتُهُ فَبَلَغْتُهُ
 فَاقْبَلِ إِقْبَالَ السَّحَابِ بِجُودِهِ
 وَإِنِّي إِذَا قُلْتُ الْقَرِيضَ بِمَدْحِهِ
 مُغِيثِي إِذَا قَلَّ الْمُغِيثُ وَنَاصِرِي
 لِسَانِكَ وَالْعَضْبُ الْيَمَانِي وَاحِدٌ
 وَمَا لَكَ نَدٌّ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي
 وَتِلْكَ سَجَايَاكَ الَّتِي أَنْتَ نَلْتَهَا
 تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا وَقَدْ حَالَ حَالُهَا
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى
 لَدَيْكَ (أَبَا مُحَمَّدٍ) نَلْتَمَسُ الْغَنَى
 وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِنْ نَوَالِكَ سَيِّدِي
 وَمَنْكَ وَلَمْ تَبْخُلْ وَإِنَّكَ قَادِرٌ
 إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي بِاسْمِكَ فَلَتَكُنْ
 مَلَأَتْ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِأَسْرَهَا
 إِلَيْكَ وَلَا مَنْ عَلَيْكَ قَوَافِيًا
 وَلِي فِيكَ مِنْ حُرِّ الْكَلَامِ وَصَفْوِهِ
 فَكَانَتْ عَلَيَّ جَيِّدِ الزَّمَانِ قَلَانِدًا
 تَرِيكَ مِرَاءَ الْقَوْلِ فِي مَا تَقَوْلُهُ

وَيَصْفَعُ مِنْ رِيْبِ الزَّمَانِ قَدْالَا
 - وَحَقَّقْ - أَقْدَامًا لَهُ وَنِعَالَا
 وَكَمْ طَاوَلَ الْمَجْدَ الْأَثِيْلَ فَطَالَا
 إِلَيْكَ وَأَعْلَى مِنْ رَأَيْتَ فَعَالَا
 إِذَا ضَاقَ ذَرْعًا غَيْرُهُ وَمَجَالَا
 وَإِنَّ اللَّيَالِي لَوْ نَظَرْتَ حُبَالِي
 سَيُوفًا حِدَادًا أُرْهَفْتَ وَنَصَالَا
 إِذَا جَالَ يَوْمًا بِالْخُطُوبِ وَصَالَا
 يَرِقُّ بِهَا، سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 لِأَبْلَغِ جَاهًا مِنْ لَدُنْهُ وَمَالَا
 عَلَيَّ فَأَمْرِي مَاءٌ وَأَسَالَا
 لِأَصْدَقٍ مِنْ قَالَ الْقَرِيضَ مَقَالَا
 وَإِنْ عَثَرَ الْجَدُّ الْعَثُورُ أَقَالَا
 إِذَا أَقْصَرَتْ عَنْهُ الْفُحُولُ أَطَالَا
 رَأَيْتُ لَكَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ مِثَالَا
 لَقَدْ أَبْعَدَتْ عَنْ حَاسِدِكَ مَنَالَا
 وَمَا غَيَّرَتْ مِنْكَ الْحَوَادِثُ حَالَا
 نَزَالًا لِعَمْرِي تَارَةً وَنَوَالَا
 جَمِيعًا وَلَمْ نَبْرَحْ عَلَيْكَ عِيَالَا
 كَمَا أُمْطَرَ الرَّبِيعُ الْمُحِيلُ فَسَالَا
 تَمَنَّى الدَّرَارِي أَنْ تَكُونَ خِصَالَا
 لِمُلْتَمَسٍ يَبْغِي جَمِيْلًا فَالَا
 جَلَالًا وَعَيْنَ النَّظَائِرِينَ جَمَالَا
 إِذَا أُمْلِيَتْ لِلْبَانَ طَالًا وَمَالَا
 قِصَائِدُ تَرْوِي عَنْ عَلَاكَ خِلَالَا
 تَلُوحُ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ نَبَالَا
 حَرَامًا وَسِحْرَ الْبَابِلِيِّ حِلَالَا

مَعَالِمُ أَقْوَتٍ بِالْغَضَا (*) وَمَعَاهِدُ
أُذِيبُ عَلَيْهَا الْقَلْبَ وَالْقَلْبُ جَامِدٌ
وَأَسْأَلُ عَنْ سُكَّانِهَا وَأُنَاشِدُ
مَنْ الْوَجِدِ نِيرَانَ الْفَوَادِ الْخَوَامِدِ
وَلَا حَرُّ هَاتِيكَ الْأَضَالِعِ خَامِدِ
تَنْبَهُ وَجِدِي وَالْعُيُونُ هَوَاجِدِ
فَهَلْ يُوقِدُ الشُّوقَ الْمُبْرِحَ وَاقِدِ
فَأَشْكُو إِلَيْهِ فِي الْهَوَى مَا أَكَابِدِ
إِذَا خَطَرَتْ فِيهِ الْحَسَانُ الْخَرَائِدِ
فَبِاقٍ وَأَمَّا الْإِصْطِيبَارُ فَنَافِدِ
فَلَمْ يُرَوْ مَفْقُودٌ وَلَمْ يُرَوْ فَاقِدِ
وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدِ (١)
وَأَغْرَبُ شَيْءٌ فِيهِ خَلٌّ مُسَاعِدِ
فَلَا الْفَضْلُ مُنْحَطٌّ وَلَا النِّقْصُ صَاعِدِ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ دَنَسَتْهُ الْمَفَاسِدِ
وَبِالْمُعْرَضِ الْمُرْزُورِ عَنِّي لَزَاهِدِ
وَقَدْ عَرَفْتَنِي بِالرِّجَالِ الشَّدَائِدِ
صَدِيقٌ مُدَاجٍ أَوْ عَدُوٌّ مُعَانِدِ
بِهِ فَحَرِيٌّ أَنْ تَخُونَ الْأَبَاعِدِ
فَقَدْ يَتَلَفَى صِحَّةَ النِّقْدِ نَاقِدِ

شَجَّتْنِي وَقَدْ تَشْجِي الطُّلُولُ الْهَوَامِدُ
وَأَيْسَرُ وَجْدِي أَنَّنِي فِي عِرَاصِهَا
وَقَفْتُ بِهَا أَسْتَمْطِرُ الْعَيْنَ مَاءَهَا
وَمَا أَنهْلُ وَبَلِّ الدَّمْعِ حَتَّى تَأْجِجَتْ
فَلَا مَاءَ هَاتِيكَ الْمَدَامِعِ نَاضِبِ
خَلِيلِي مَا لِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقُ
وَأوقِدَ هَذَا الشُّوقُ تَحْتَ أَضَالِعِي
فَلَيْتَ خِيَالَ الْمَالِكِيَّةِ زَائِرِي (٢)
وَعَهْدِي بِرَبِيعِ الْمَالِكِيَّةِ مَصْرَعُ
أَحْبَبْتَنَا أَمَّا الْغَرَامُ وَحَرُّهُ
فَقَدْتُمْكُمْ فَقَدَ الزَّلَالِ عَلَى الظُّمَأِ
خَلِيلِي إِنِّي لِلْكَرَامِ لَفَاقِدُ
وَإِنِّي لَفِي عَصْرِ أَضَرُّ بِأَهْلِهِ
وَمَا ضَرْنِي فَقَدِي بِهِ ثَرْوَةُ الْغِنَى
تَرَفَعْتُ عَنْ أَشْيَاءِ تُزْرِي بِأَهْلِهَا
وَإِنِّي لِمَنْ يَبْغِي وَدَادِي لَطَامِعُ
جَرَيْتُ بِمَيْدَانِ التُّجَارِبِ بُرْهَةً
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَا عَرَفْتُ بِكَشْفِهَا
إِذَا خَانَكَ الْأَدْنَى الَّذِي أَنْتَ وَاثِقُ
أَعْدُ نَظْرًا فِي النَّاسِ إِنْ كُنْتَ نَاقِدًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٥).

(٢) المالكية: عبله بنت مالك. ابنة عم عنتره العبسي وحببيته. وهي رمز للحبيب هنا.

(٣) الواجد: الغاضب.

(*) في الطبعة (١): (الفضا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

مضى الناسُ والدنيا وقد آلَ أمرُها
وأصبحتُ في جيلِ الفسادِ ولم يكنُ
فإنَّ عدتَ الأحادِ في الجودِ والتَّقَى
يُعدُّ لإيصالِ الصَّلَاتِ مَحَلَّهُ
مَلابِسُ تَقْوَى اللهِ في البأسِ دونها
جَنَابٌ مَرِيحٌ يُسْتَمَدُّ بِمَدِّهِ
يَلُوحُ إذا ما لاحَ بَارِقُ جُودِهِ
لقد زرعَ المعروفَ في كلِّ موطنٍ
يكادُ يقولُ الشُّعْرُ لولا جَمِيلُهُ
إذا أَقْتَرْنَا، شِعْرِي وكوكبُ سَعْدِهِ
تَفْتَحُ أَزْهَارُ الكَلَامِ وَأشْرَقَتْ
أشاهدُ في النّادِي أسارِيرَ وَجْهِهِ
إذا ما انْتَمَى يوماً لأَكْرَمِ والدِ
بنفسي رَفِيعِ القَدْرِ عالٍ مَحَلُّهُ
له حيثُ حلَّ الأَكْرَمُونَ مِنَ العُلا
كريمٌ يُنِيلُ المُسْتَنِيلِينَ نَيْلُهُ
فما خابَ في تلكِ المكارمِ أَمَلُ
مَناهلُهُ لِلظَّامِئِينَ مَوارِدُ
تُشادُ بِيوتِ المجدِ في مَكْرَمَاتِهِ
حَتَّئِنَّا إلى ذاكِ الجَنابِ قَلائِصاً^(١)
وقد صدقتنا بالذي هو أهله
من القومِ مَوْصُولِ الجَمِيلِ بِمِثْلِهِ
وما البِرُّ والإحسانُ إلا خلائقُ
تَدُلُّ عليه بِالتَّنْائِ أَدِلَّةُ
وأبقيَ له في الصّالحاتِ بواقياً
تَروحُ إليه الأَمِلُونَ وَتَغْتَدِي

إلى غيرِ ما تَهوى الكرامُ الأماجد
لِيَصْلَحَ هذا الجيلُ والدهرُ فاسدُ
لقومٍ فد(عبدُ الواحدِ) اليومَ واحدُ
وتُعمرُ فيه للصَّلَاةِ مَساجِدُ
صُدورُ العوالي والسُّيوفُ البوارِدِ
وتُلَقَى إلى ذاكِ الجَنابِ القَلائِدِ
كما لاحَ بَرَقُ في الغَمائمِ راعِدِ
وزارِعُهُ لِلحَمْدِ والشُّكْرِ حاصِدِ
لما طالَ لي باعٌ ولا اشْتَدَّ ساعدِ
وشوهدَ مِنّا المُشْتَرِي وَعُطارِدِ
بأفاقِ أَقْطارِ الفَخارِ فَراقِدِ
فأنظُرُ أبهى ما أرى وأشاهدِ
فببورِكَ مَوْلُودٌ وببورِكَ والدِ
تَنالُ الثُّرَيَّا كَفَّهُ وهُو قاعدِ
مَقامُ كَرِيمٍ في العُلا وَمَقاعدِ
ومن كَرَمِ الأَخلاقِ ما هو رافِدِ
ولا سُرِّ في نَعَمائِهِ قَطُّ حاسِدِ
فلا نَضَبَتْ في الجُودِ تلكِ المَوارِدِ
وتُرفَعُ مِنها في عَلاه قَواعِدِ
لها سائِقُ مِنها إليه وقائدِ
ظُنونٌ بما نَرجُو به وَعَقائدِ
لنا صِلَةٌ من راحَتِيهِ وَعائدِ
وما الخَيْرُ في الإنسانِ إلا عوائدِ
عليها من الفِعْلِ الجَمِيلِ شَواهِدِ
وإنَّ فَنِي المَعروفِ فالذِكرُ خالِدِ
فذا صادِرٌ عنه وذِيكَ وَارِدِ

(١) القلائص: جمع قلوص. وهي الناقة الشابة. وما تزال قلوصاً حتى تصير بارزاً. (لسان العرب مادة قلوص).

أَبَا بَيْ ذَاكَ الْهُمَامَ الَّذِي لَهُ
تُنَاخُ مَطَايَا الْمُعْتَفِينَ بِبَابِهِ
إِذَا أَنَا أَنْشَدْتُ الْقَرِيضَ بِمَدْحِهِ
وَكَمْ جَابَتْ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ بِاسْمِهِ
تُقَلِّدُ جَيْدَ الدَّهْرِ مِنْهَا قَلَانِدًا
وَكَمْ نُظِمَتْ فِيهِ عُقُودُ مَدَائِحِ
رَعَيْتَ رَعَاكَ اللَّهُ حَقَّ رِعَايَتِي
فَدَعُ غَيْرَ مَا تَهْوَى فَإِنَّكَ مُفْلِحٌ
وَإِنَّكَ مَعْرُوفٌ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
فِيَا لَكَ فِي الْأَمْجَادِ مِنْ مُتَفَضِّلٍ
بَلَّغْنَا بِكَ الْأَمَالَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
فَكُلُّكَ يَا فَخْرَ الْكَرَامِ مَكَارِمٌ
شَكَرْتِكَ شُكْرَ الرُّوْضِ بِأَكْرَهُ الْحَيَا
وَهَا أَنَا حَتَّى يَنْقُضِي الْعُمُرُ شَاكِرٌ

مَنْ أَلِهَ عَوْنٌ فِي الْأُمُورِ وَحَاشِدٌ
وَيَنْفُقُ سَوْقَ الْفَضْلِ وَالْفَضْلُ كَاسِدٌ
وَعَتُّ أُنْزُنُ الْعَلِيَاءِ مَا أَنَا نَاشِدٌ
قَوَافِ سَوَارٍ فِي السَّنَاءِ شَوَارِدٌ
وَيَا رَبَّ جَيْدِ زَيْنَتِهِ الْقَلَانِدِ
مَزَايَاهِ فِي تِلْكَ الْعُقُودِ فَرَائِدِ
فَأَفْعَالُكَ الْغُرُّ الْجِيَادُ مَحَامِدِ
وَحُذِّ بِالَّذِي تَهْوَى فَإِنَّكَ رَاشِدٌ
وَهَلْ يَجْحَدُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ جَاحِدِ
لَهُ طَارِفٌ فِي الْأَمْجَادِ وَتَالِدِ
وَتَمَّتْ لَنَا فِي مَا نَرُومُ الْمَقَاصِدِ
وَكَأَنَّكَ يَا مَالَ الْعُفَاةِ فَوَائِدِ
يَدِ الْمَزْنِ تَمْرِيهَا الْبُرُوقُ الرَّوَاعِدِ
لِنَعْمَاكَ مَا بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ حَامِدِ

(١٥٧)

كُنْ بِالْمُدَامَةِ لِلسُّرُورِ مُتَمِّمًا
شَمْسٌ إِذَا جَلِيَتْ بِكَفٍّ أَطْلَعَتْ
هَذَا أَوْيَقَاتِ السُّرُورِ فَلَا تَدَعُ^(٢)
أَوْ مَا تَرَى فَصَلَ الرَّبِيعِ وَطَيْبَهُ
وَأَمْرَجَ مُعْتَقَةَ الدَّنَانِ فَإِنِّي
وَمُهْفَهْفٍ الْأَعْطَافِ يَرْنُو لِحُظَّهُ

صَفْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ تَحْكِي الْعِنْدَمَا
مِنْهَا الْحَبَابِ عَلَى النَّدَامَى أَنْجُمًا
فُرْصَ السُّرُورِ مِنَ الزَّمَانِ فَرِيمًا
وَالزَّهْرَ فِي الْأَكْمَامِ كَيْفَ تَبَسُّمًا
أَهْوَى الْمَرْجَ بِرَيْقِ مَعْسُولِ اللَّمَى
فَاخْأَلَهُ يَسْتَلُّ سَيْفًا مَخْذَمًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي: ... فلا تضع.

(٣) في حديقة الورود: (ما شاهد المشتاق منه جهنما).

لولا مَحَاسِنُ جَنَّةٍ فِي وَجْهِهِ
أَوْ كَانَ يَمْنَحُنِي زُلَّالَ رُضَايِهِ
وَيَلَاهُ مِنْ شَرَعِ الْغَرَامِ مِنَ الَّذِي
وَلِرَبِّ لَيْلٍ زَارِنِي فِي جُنْحِهِ
قَضَيْتُ أَهْنَأُ عَيْشَةً مِنْ وَصْلِهِ
إِنَّ الْعَيُونَ النَّجْلَ أَوْرَثْنَ الرَّدَى
وَتَوَقَّدَ النَّيِّرَانَ فِي وَجْنَاتِهِ^(٢)
أَمْعَنَفَ الْمُشْتَاقِ فِي أَشْجَانِهِ
قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ يُطِيعُكَ بِالْهَوَى
وَبِمُهْجَتِي الظُّبْيِ الْغَرِيرِ فَإِنِّي
أَهْوَى التَّشْبِيبَ بِالْمَلِاحِ وَلَمْ يَزَلْ^(٥)
العَالِمِ الْمُبْدِي الْعُجَابَ بَعْلَمِهِ
تَلْقَى الْأَنَامَ عِيَالِ بَيْتِ عُلُومِهِ
هَذَا تَرَاهُ مُؤْمَلًا يَرْجُو النَّدَى
فَيَرُدُّ هَذَا فَائِزًا مِنْ فَضْلِهِ
لَمْ أَلْقُ أَغْزَرَ نَائِلًا مِنْ كَفِّهِ
إِنَّ جِنَّتَهُ بِمَسَائِلِ وَوَسَائِلِ
جَمَعَ الْمَفَاخِرِ وَالْمَحَامِدِ كُلَّهَا^(٦)
وَلَكُمْ أَتَيْتُ لِبَابِهِ فِي حَاجَةٍ
فَقَصَدْتُ أَفُودَ مَنْ قَصَدَتْ مِنَ الْوَرَى

ما شاهدَ الْمُشْتَاقُ فِيهِ جَهَنَّمَا^(٣)
مَا بَتُّ أَشْكَو مِنْ صَبَابَتِهِ الظُّلْمَا
جَعَلَ الْوِصَالَ مِنَ الْحَبِيبِ مُحَرَّمًا
وَعَصَى الْوُشَاةَ بِهِ وَخَالَفَ لَوْمًا
حَتَّى أَنْارَ صَبَاحَهُ وَتَصَرَّمًا
قَلْبِي وَأَرْشَقْنَ الْخَوَاطِرَ أَسْهَمًا^(١)
أَوْقَدْنَ فِي الْأَحْشَاءِ شَوْقًا مُضْرَمًا^(٣)
إِيَّاكَ تَعَذَّلَ بِالْهَوَى مُسْتَغْرَمًا
لَكِنَّمَا سَلَبُوهُ غِزْلَانَ الْحَمَى^(٤)
حَكْمَتُهُ فِي مُهْجَتِي فَتَحَكَّمَا
قَلْبِي بـ(محمود) الْفِعَالَ مُتَيَّمًا
وَالْمُبْهَرُ الْأَفْهَامَ حَيْثُ تَكَلَّمَا
فَتُرَى قُعودًا تَرْتَجِيهِ وَقُومًا
مِنْ رَاحَتِيهِ وَذَا أَنَّى مُتَعَلَّمًا
فِي مَا يَرُومُ وَذَاكَ عَنْهُ مُعَلَّمًا
وَأَرْقَى قَلْبًا بِالضَّعِيفِ وَأَرْحَمًا
أَضْحَى لِقَصْدِكَ مُكْرَمًا أَوْ مُفْهَمًا
وَأَبَادَ بِالْكَرَمِ الْمَشُوفَ الْمُعَلَّمَا
فَوَجَدْتُ سَاحَتَهُ الْغِنَى وَالْمَغْنَمَا
وَأَتَيْتُ أَبْرَكَ مِنْ أَتَيْتُ مَيْمَمًا

(١) في مجموعة السيد عبدالخالق وحديقة الورد (... وأرشفن الجوانح).

(٢) في حديقة الورد: (وتوقد الوجنات في نيرانها).

(٣) في الأصل: (ناراً مضرمًا) كذا. وفي الحديقة ومجموعة السيد عبدالخالق (شوقًا). وهي أنسب. فائتبتها.

(٤) في مجموعة السيد عبدالخالق والحديقة. (لكنه...) وفي البيت لغة أكلوني البراغيث.

(٥) في حديقة الورد: في الملاح..

(٦) في حديقة الورد: حرز المفاخر...

(٧) في حديقة الورد: في الصدر (فرأيت) وفي العجز (فوجدت).

وَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُ حَصْنًا مَانِعًا
 كَمْ قَدْ أَنَالَ مُؤْمَلًا مِنْ رَفْدِهِ
 وَشَهِدْتُ قَرْمًا بِالْكَمَالِ مُتَوَجًّا
 بَطْلٌ أَعَزَّ الْجَارَ فِي إِكْرَامِهِ
 بِأَبِي فَتَى مُذْ كَانَ طِفْلًا رَاضِعًا
 شَادَتْ فُضَائِلُهُ مَقَامًا فِي الْعُلَا
 مُتَبَسِّمٌ لِلْوَافِدِينَ لِبَابِهِ
 مَا فَاضَ نَائِلُهُ وَفَاضَ بَعْلَمُهُ
 كَمْ مُشْكَلَاتٍ أَوْضَحَتْ بِذِكَايَهُ
 مَا زَالَ مُذْ شَمَّ النَّسِيمَ حَلَالًا^(١)
 يُعْزَى إِلَى بَيْتِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
 يَوْمَ النَّوَالِ يَكُونُ بَحْرًا زَاخِرًا
 قَسْرًا عَلَى كَيْدِ الْمُعَانِدِ قَدْ عَلَا
 إِلَهُ أَوْدَعَ فِي سَرِيرَةِ ذَاتِهِ
 قَلْبًا لِلَّذِي يَبْغِي وَصُولَ كَمَالِهِ^(٢)
 أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ الْجَنِيِّ فَكَاهَهُ
 مِثْلَ الْأَسْوَدِ الضَّارِيَاتِ إِذَا سَطَا
 كَمْ رَاحَ زَنْدِيقٌ يَرُومُ نِزَالَهُ^(٣)
 وَأَتَى عَلَيْهِ بِكَلِّ (بِرَهَانَ) بَدَا
 فَهُوَ الَّذِي نُهْدَى بِهِ فِي دِينِنَا^(٤)

ووردته فرأيت بحراً قد طمى^(٧)
 وأغات ملهوفاً، وأغنى معدماً
 ورأيت ليثاً بالفخار معمماً
 وأهان في كرم اليمين الدرهما
 فاضت أنامل راحته تكرماً
 سام على طول المدى لن يهدماً
 والغيث إن قصد الهطول تبسماً
 إلا التقطت الدر منه توأمًا
 وأبان في تقريره ما أبهما
 أمسى بحب الفضل صباً مغرماً
 وإلى النبي الهاشمي إذا أنتمى
 ولدى العلوم تراه حبراً مفعماً^(٨)
 وبرغم أنف الحاسدين لقد سما
 من قبل هذا جوهرًا لن يقسما
 هيهات إنك لست من يصل السما
 وتراه يوم الجد مرًا علقما
 والمرسلات الذاريات إذا همى
 فرأى سيوف الحق عنه فأحجما^(٩)
 لو كان في جنح الدجى ما أظلما
 ونرى طريق الرشد فيه من العمى

(١) الحلال: العظيم. يقال: الرجل الحلال. والأمر الحلال.

(٢) في مجموعة السيد عبدالخالق: (بحراً مفحماً).

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق: (... يبغي إحازة مجده).

(٤) في مجموعة السيد عبدالخالق: (كم جاء زنديق).

(٥) في حديفة الورود: (سيوف الحق منه..).

(٦) في مجموعة السيد عبدالخالق: (... هادي لنا).

يا سيِّداً حازَ العلومَ بأسرها حتى غداَ عَلمَ الأنامِ وأعلما
فليهنكِ المجدُ الذي بلَّغتهُ لو أنصفوكِ لكنتِ فيه مُقدِّما

(١٥٨)

وقال مادحاً أحد نقباء الأشراف ببغداد ويذكر له ضيق حاله في شهر رمضان

أُعالجُ قلباً في هَواكُم مُعذِّباً
وأطوي على حرِّ الغرامِ جوانِحاً
يؤنَّبني اللاحونَ فيكِ ولم أكنُ
وأرقني يا سَعْدُ برقُ أشيمه
شجاني فأبكاني وأطربَ مَسَمعي
وذكَرني والدارُ منها قَصِيئَةٌ
بحيثُ الهوى غَضُّ وبردُ شبابنا
يُدارُ علينا من دمِ الكرمِ قَهْوَةٌ
وتهدى إلينا في الكؤوسِ نوافِجاً
إذا زفها السَّاقِي لِشَرِبِ تَبَسَّمَتْ
ويا ربَّ ليلٍ رُحَّتْ فيه معَ المَها
تُلاعبُ أنفاسَ النَّسيمِ إذا سرى
ألمَ تَنظُرِ الأيامِ كيفَ تبدَّلتُ
فلم أستطِبْ يا (سعد) مرعىً أرودهُ
بربِّكما عوجاً على الربعِ ساعةً
لئن لعبتِ فيه السَّوافي وبرَّحتُ^(٢)

وأصبو إليكم كلما هبت الصِّبا^(١)
تلَهَّبُ في نيرانِ وجدي تلهَّباً
لأسمعَ في الحبِّ العذولَ المؤنِّباً
يزرُّ على الأكنافِ برقاً مذهَّباً
حمامُ بذاتِ البانِ غنى فاطرباً
على النَّأيِ سعدي والربابِ وزينباً
قشيبٌ وعهدُ اللُّهوفِ في زمنِ الصِّبا
فنشربُ تريقاً الهُمومِ المَجرباً
من المسكِ أو أذكى أريجاً وأطيباً
به طرباً حتى يروحَ مُقطَّباً
بقِصَّةِ أشواقٍ يكونُ لها نَباً
على جُلنارِ الخدِّ صُدغاً مُعقرباً
بنا ورخاءَ العيشِ كيفَ تقلَّباً
مريعاً ولم أستعذبِ اليومَ مشرباً
وإن كان قد أقوى دروساً وأجذباً
فقد كان قبلَ اليومِ للسُّربِ ملعباً

(١) غنى الأستاذ محمد القبانجي بعض أبياتها بمقام (السيكاه).

(٢) السوافي: الرياح التي تسفي الرمل والتراب.

فواهاً على ظلِّ الأراكَةِ في الحمَى
وإنَّ وقوفي في المنازلِ بَعْدَهُمْ
أثِيرُ له الأشْجانِ من وكُناتِها
أطَعْتُ الهوى ما إن دَعاني له الهوى
وما زالَ يورِي زَندهُ لَاعِجَ الحَشَا
أَعْلَلُ نَفسي بالتَّلَاقِي وبيِننا
ولو أن طَيِّفَ (المالِكِيَّة) زارني
وإن نَقَلَ الواشي لظَمِياءَ سَلوَّة
تُوأخِذني الأيامُ والذنبُ ذَنبُها
فيا وَيحَ نَفسي ضاعَ عمري ولم أَفُزْ
ويُقَعِدني حَظِّي عن النِّيلِ إن أُرْمُ
ولم يُجِدني إِرْهافي العِزْمَ في المَنى
وما برحتُ تُمَلَى على الدهرِ قِصَّتِي
وتزهو بأمداحِ النَّقيبِ قِصائِدي
بأبلجِ وَضاحِ الجَبينِ كائنه
كريمِ بَراهِ اللهُ أَكْرَمَ من بَرا
لَقَدْ طابَ عِرْقاً في الكرامِ وَمَنبَتاً
لِتَسْمُ بَنو السَّاداتِ من (آلِ هاشِمِ)
وأحلامُ في وابلِ الجُودِ صَيِّباً
أتانا بأبكارِ المَناقِبِ سَيِّدُ
وأغضِبَ أقواماً وأَرْضَى بما أتى
وخيَّرَ ما بينَ المذاهبِ في العُلا
تَحَبَّبَ بالحُسنى إلى الناسِ كُلِّهمْ
وأظْهَرَ فيه اللهُ أسرارَ لُطفه
لكَ اللهُ من طارِ الفَخارِ بِصِيتِهِ

وواهاً على الحَيِّ الذي قد تَجَنَّبَا
لأقضي لِحَقِّ الوَجْدِ ما كان أوجِبَا
وأجْرِي دُموعاً صَوِيهاً قد تَصَبَّبَا
ولمَّا دَعوتُ الصَّبْرَ يومئذِ أبى
فما بالهُ أَوْرَى الفؤادَ وما خَبَا
حُزونُ إذا يجري بها خاطري كبا
لَقُلْتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً
فما صدَقَ الواشي بذاك وكذَّبَا
على غيرِ ما جُرمَ وما كنتُ مُذنباً
بِحُرِّ ولا أَبصرتُ خلاً مُهذَّباً
مراماً وإن أطلَبَ من الدهرِ مَطْلَبَا
وما حيلتي بالصَّارمِ العَضْبِ إن نَبَا
فَتَمَلَّأُ أفهامَ الرجالِ تَعَجُّبَا
بأحسَنِ ما تزهو بأزهارها الرُّبا
إذا لاحَ في ضوءِ النِّهارِ تَنقَّبَا
وأنجَبَ من أَلْفِيَّتِ في الناسِ مَنجَبَا
وما زالَ عرقُ الهاشميينَ طيِّباً
بأنجَبِهم أُمَّاً وأشرفِهم أبا
وأعْلَاهُمُ في قُلَّةِ المجدِ مَنصِبَا
فأبدعَ في ما جاءَ فيه وأغربَا
ومن نالَ ما قد نالَ أَرْضَى وأغضبا
فما اختارَ إلا مذهبَ الفضلِ مذهبَا
ومن جُملةِ الإحسانِ أن يَتَحَبَّبَا
وقد كان سِراً في الغيوبِ مُحجَّبَا
فَشَرَّقَ في أَقصى البلادِ وغربَا

ومن راح يَسْتَهْدِيكَ لِلجودِ والنَّدَى
تَقَلَّبَ فِي نَعْمَائِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ
وَجَدَكَ لَمْ أَبْصِرْ سِوَاكَ مُؤَمَّلًا
إِذَا لَمْ أَجِدْ لِي لِلتَّرَاءِ مُسَبِّبًا
وَقَدْ شِمْتُ بَرْقًا مِنْ سَحَابِكَ مُمَطِّرًا
وَإِنِّي لِأَسْتَسْقِي نَوَالِكَ ظَامِنًا
وَلِي قَلَمٌ يَمْلِي عَلَيْكَ إِذَا جَرَى
فِيَا قَمْرًا فِي طَالِعِ السُّعْدِ نَيْرًا
لَقَدْ جَاءَنِي شَهْرُ الصِّيَامِ بِمَوْكِبٍ
وَشَوَّيْتَنِي لَمَّا بَدَأَ بِقُدُومِهِ
فَلَوْ أَنَّ شَهْرَ الصَّوْمِ طَافَ بِمَنْزِلِي
وَأَبْصَرَ دَارًا لَوْ تَوَى الْخَيْرُ سَاعَةً
وَيَا طَالِمَا وَافَى عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ
وَجَرَّبْتُهُ فِي كُلِّ عَامٍ بِغَفْصَةٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الهمَّ جَارِيَّ (***) الْمَدَى
وَقَدْ أُنْعَبْتَنِي مَا هُنَالِكَ فَاقَّةً
وَقَدْ حَمَلْتَنِي حَاجَةً لَوْ كُفَيْتُهَا
رَكِبْتُ بِهَا الْأَمَالَ وَهِيَ خَطِيرَةٌ
وَمَا خَابَ ظَنِّي فِي جَمِيلِكَ قَبْلَهَا

رَأكَ إِلَى الْخَيْرَاتِ أَهْدَى وَأَصْوَبًا
وَمَا زِلْتُ فِي نَعْمَائِكَ الْمُتَقَلِّبًا
وَلَا مَنْ إِذَا مَا اسْتَوْهَبَ الْمَالَ أَوْهَبًا
وَجَدْتُكَ فِي نَيْلِ التَّرَاءِ الْمُسَبِّبًا
وَمَا شِمْتُ بَرْقًا مِنْ سَحَابِكَ خُلْبًا
فَلَمْ أَرَ أَمْرًا مِنْهُ شَيْئًا وَأَعْذِبًا
وَتَرَجَمَ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبًا
وَيَا فَلَكًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُكْوَكِبًا
مَنْ الْعُسْرِ لَا شَاهِدَتْ لِلْعُسْرِ مَوْكِبًا (*)
وَلَمْ أَرَلِي أَمْرًا لِذَلِكَ مُرْتَبًا
تَبَسَّمَ مِمَّا رَاعَهُ وَتَعَجَّبًا
بِهَا لِنَأَى عَنْ أَهْلِهَا وَتَغْرِبًا
فَأَصْبَحْتُ مِنْهُ خَائِفًا مُتَرْقِبًا (١)
وَمِثْلِي مِنْ سَاسِ الْأُمُورِ وَجَرِبًا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي أُنْعَبْتُهُ وَأَتَعَبًا
غَدَوْتُ لَهُ عَنْ ثَرْوَةٍ مُتَأَهَّبًا
(وَلَوْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْأَسْنَةِ مَرْكَبًا) (٢)
وَمَا كُنْتُ لِلظَّنِّ الْجَمِيلِ مُخَيَّبًا

(١) فِيهِ اقْتِبَاسٌ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ). سُورَةُ الْقَصَصِ، الْآيَةُ (١٨).

(٢) تَضْمِينٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ الْكَمِيْتِ الْأَسَدِيِّ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْأَسْنَةِ مَرْكَبًا

فَمَا حَيْلَةُ الْمَضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا

وَلَمْ يَحْصِرْهُ بَيْنَ قَوْسَيْنِ.

(*) فِي الطَّبَعَةِ (١): (مَرْكَبًا) وَصَوَابُهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

(**) فِي الطَّبَعَةِ (١): (لِي) وَصَوَابُهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

أَلَا مَنْ لِأَجْفَانِ أَرْقُنَ رِوَاءِ
صَوَادٍ إِلَى بَرْدِ التُّغُورِ الَّتِي بِهَا
وَصَحْبٍ أَحَالُوا الْوَصْلَ هَجْرًا وَأَعْقَبُوا
نَأْوًا فَحَنِينِي لَا يَزَالُ إِلَيْهِمْ
أَجِيرَانِنَا لِمَا جَفَوْتُمْ وَبِئْتُمْ
عَرَفْتُ بَعْدَ الْوَدِّ فِي الْحُبِّ غَدْرَكُمْ
وَجَدْتُ بِرُوحِي ذِمَّةً وَبِخَلْتُمْ
وَفِيكُمْ وَمَنْكُمْ قَبْلَهَا وَعَلَيْكُمْ
حَلَالًا لَكُمْ مَنِّي دَمٌ طَلَّهُ الْهَوَى
أَعِيدُوا عَلَيْنَا سَاعَةَ الْوَصْلِ إِنَّهَا
سَقَامُكُمْ لَا فِي سِوَاكُمْ وَجَدْتَهُ
فَإِنْ لَمْ تَعُودُونِي وَلَوْ بِخِيَالِكُمْ
أَحْبَبْتَنَا لَمْ تُنْصِفُونَا بِحُبِّكُمْ
ذَكَرْنَاكُمْ وَالِدَمْعُ مَاءٌ نُرِيْقُهُ
فَمَنْ لَوْعَةٍ تَصَلَّى بِنِيرَانِهَا الْحِشَا
تَوَالَى عَلَيْهَا حُرْقَةُ الْوَجْدِ وَالْأَسَى
وَيَا (سعد) لَا تَلْحَ أَخَاكَ وَقَدْ مَضَى (***)

وَحَرَّ قُلُوبٍ يَا (هُذَيْم) ظِمَاءِ
إِذَا كَانَ دَائِي كَانَ تَمَّ دَوَائِي
تَدَانِيَهُمْ فِي صَدَّهُمْ بِجَفَاءِ
وَيَا وَيْحَ دَانَ [لَا] (*) يَحْنُ لِنَائِي
وَلَمْ تَمْنَحُونَا مَرَّةً بِلِقَاءِ
وَأَنْتُمْ عَرَفْتُمْ فِي الْغَرَامِ وَفَائِي
كَذَلِكَ إِشْفَاقِي وَحَسَنُ بِلَائِي
نَبَذْتُ كَلَامَ الْعَاذِلِينَ وَرَائِي
وَلَا صَانَهُ قَوْمِي إِذَا بِفِدَاءِ
لَأَقْصَى مَرَامِي مِنْكُمْ وَمُنَائِي
فَجُودُوا عَلَى مُضْنَاكُمْ بِشِفَاءِ
فَلَا تَطْمَعُوا (***) مِنْ بَعْدِهَا بِبِقَائِي
وَمَا هَكَذَا لَوْ تُنْصِفُونَ جَزَائِي
فَشَبَّ نَاهُ فِي ذِكْرَاكُمْ بِدِمَاءِ
وَمُهْجَةِ قَلْبٍ أَدْنَتْ بِفَنَاءِ
فَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الْحُبُّ غَيْرَ ذِمَاءِ
بِهِ سَهْمٌ رَامِيهِ أَشَدُّ مَضَاءِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(*) في الطبعة (١): (ويا ويح دان يحن) وهناك كلمة ساقطة، أضفناها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (تطمعوا) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في هذا الشطر خبن.

صَرِيحَ الْعُيُونِ النَّجْلِ مَا إِنَّ رَمَيْتَهُ
قَتِيلَ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ قَدْ فَتَكَتْ بِهِ
كَأَنِّي بِهِ يَسْتَيْقِظُ الْحَتْفَ رَاقِدًا
وَلَمْ يَتَبَسَّمْ ذَلِكَ الْبَرْقُ مِنْهُمْ
فَمَا لَكَ تَلْحَانِي (*) عَلَى مَا أَصَابَنِي
دَعْوَتُكَ تَسْتَمْرِي الدَّمُوعَ لِمَا أَرَى
وَهَذَا (هُذَيْمٌ) كَلَّمَا كَرَّ طَرْفُهُ
تَذَكَّرَ أَيَّامًا بِهِنَّ قَصِيرَةً
فَأَرْسَلَهَا مُهْرَاقَةً وَهِيَ عَبْرَةٌ
خَلِيلِيَّ إِنَّ لَمْ تُسْعِدَانِي عَلَى الْهَوَى
وَيَا (سَعْدُ) إِنِّي قَدْ مُنِيتُ وَرَاعَنِي
فَمَا لِلْمَطَايَا بَيْنَ جِدٍّ وَلَوْعَةٍ
بَرِيكٌ حَاحِحَتْهَا وَخُدُّ بَزِمَامِهَا
إِلَى مَنْزِلٍ لَا يَعْرِفُ الضَّيِّمُ أَهْلُهُ
يَحُلُّ بِهِ (عَبْدُ الْغَنِيِّ) فَلَا الْغَنَى
رَبِيعُ النَّدَى لَا يَبْرَحُ الْفَضْلَ فَضْلُهُ
أَلَا لَا سَقَتْنِي غَيْرُ رَاحَتِهِ الْحَيَا
صَفَا الْعَيْشُ لِي مِنْهَا وَطَابَ وَلَمْ يَزَلْ
وَلَمْ يَرَوْهُ إِلَّا عَنَّهُ دَامَ عِلَاؤُهُ
مَنَاقِبُ تَزْهَوُ بِالْمَكَارِمِ كَأَنَّهَا
وَلَا كَرِيَاضُ (الْجَزْعُ) وَهِيَ أُنَيْقَةٌ
تَأْرَجُ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ بِطَيْبِهَا

صَرِيحَ الْهَوَى وَالْوَجْدِ وَالْبُرْحَاءِ
قُدُودُ غُصُونٍ أَوْ لِحَاطُ ظِبَاءِ
إِذَا شَامَ بَرَقًا لَاحَ بَعْدَ خَفَاءِ
لِعَمْرِكَ إِلَّا جَالِبًا لِبُكَائِي
مَنْ الدَّاءُ جَهْلًا، لَا بُلَيْتَ بَدَائِي
فَلَمْ تَسْتَجِبْ يَوْمَ (الْغَمِيمِ) دُعَائِي
إِلَى مَرْبِعِ بَدِ الرَّقْمَتَيْنِ) خَلَاءِ
يَطُولُ عَلَيْهَا شِفَوْتِي وَعِنَائِي
تَرَقَّرَقُ يَرْقِيهَا بِفَضْلِ رِدَاءِ
فَأَيْنَ وَدَادِي مِنْكُمْ وَإِخَائِي
نَوَى يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ مِنْ خُلَطَائِي
وَبَيْنَ حَنِينِ مَزْعَجٍ وَرُغَاءِ
وَسِرِّ سَيْرٍ لَا وَا نِ وَلَا بِيْطَاءِ
وَلَا خَابَ مَنْ وَافَاهُمْ بِرَجَاءِ
إِذَا مَا دَنَا الْإِمْلَاقُ مِنْكَ بِنَاءِ
يَطِيبُ مَصِيفِي عِنْدَهُ وَشِتَائِي
فَتُورِثُ صَوْبَ الْمُزْنِ فَرَطُ حَيَاءِ
يَرُوقُ وَلَمْ يَكْدُرْ عَلَيَّ صَفَائِي
رَوَايَةَ مَجْدٍ بَادِخٍ وَعِلَاءِ
وَتُشْرِقُ مِنْ أَنْوَارِهِ بَوِضَاءِ
وَتَفْضُلُهَا فِي بَهْجَةٍ وَبِهَاءِ
كَمَا نَسَمَتُ رِيحَ الصَّبَا بِكِبَاءِ

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (تلحوني) والصواب ما أثبتناه لأنها هنا بمعنى تلومني وليس بمعنى (نزع اللحاء) عن ساق الشجرة.

أخو العزَمات (*) الماضياتِ فما دَجَا
 طَرِبْنَا وَأَطْرِبْنَا الْأَنَامَ بِمَدْحِهِ
 وَرُحْنَا نَجْرُ الذَّيْلَ بِالْفَخْرِ كُلَّمَا
 غِذَاءٌ لِرُوحِي مَدْحُهُ وَثَنَاؤُهُ
 لَهُ اللَّهُ مُوقِي مَنْ يَلُودُ بِعِزِّهِ
 فَمَنْ شِدَّةً فِيهِ وَمَنْ لِيَنْ جَانِبِ
 وَمَا خَفِيَتْ تِلْكَ الْمَزَايَا وَإِنَّمَا
 مَوَاهِبُ أُعْطِيَ اللَّهُ ذَاتَكَ ذَاتَهَا
 بِهَا رُحْتُ أَجْنِي الْعِزَّ مِنْ ثَمَرَاتِهِ
 عَلَيْكَ إِذَا أَتْنَيْتُ بِالْخَيْرِ كُلَّهُ
 رَأَيْتُ الْقَوَافِي فِيكَ تَزْدَادُ رَوْنَقاً
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّعْرِ أَصْدَقَ لَهْجَةً
 غَنِيٌّ عَنِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَأَهْلِيهَا
 فَقِيرٌ إِلَى جَدِّوَاكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ

دُجِيَ الْخَطْبُ إِجَاءَ بَابِنِ ذُكَاءِ
 فَهَلْ دِيرَتِ الصَّهْبَاءُ لِلنَّدْمَاءِ
 ذَكَرْنَاهُ فِي الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ
 وَإِنَّ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ غِذَائِي
 بِهِ مِنْ صُرُوفِ النَّائِبَاتِ وَقَائِي
 وَمَنْ كَرَمَ فِي طَبْعِهِ وَسَخَاءِ
 تَلُوحِ كَمَا لَاحَ الصَّبَاحُ لِرَاءِ
 وَحَسْبُكَ مَنْ مُعْطٍ لَهَا وَعَطَاءِ
 وَيَخْفِقُ بَيْنَ الْأَنْجَبِينَ لِوَائِي
 تَقَبَّلْ (أَبَا مَحْمُودَ) حُسْنَ ثَنَائِي
 وَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ نُجُومَ سَمَاءِ
 إِذَا قَالَ فِيكَ الْقَوْلَ غَيْرُ مُرَاءِ
 سِوَاكَ وَفِيهِ ثَرُوتِي وَغَنَائِي
 وَأَنْكَ تَدْرِي عِفَّتِي وَإِبَائِي

(١٦٠)

إِسْأَلَ الْأَرْسَمَ لَوْ رَدَّتْ جَوَابِيَا
 عَرَصَاتُ يَقِفُ الصَّبُّ بِهَا
 عَاتَبَ الدَّهْرَ عَلَى إِقْوَانِهَا
 مَا رَعَتْ فِيهَا اللَّيَالِي نَمَّةً

وَوَعَتْ لِلْمُغْرَمِ الْعَانِي خِطَابِيَا^(١)
 يُنْفِدُ الدَّمْعَ ذَهَاباً وَإِيَابِيَا
 إِنَّ لِلْحُرِّ مَعَ الدَّهْرِ عِتَابِيَا
 وَكَسَتْهَا مِنْ دِيَابِجِهَا نِقَابِيَا

(*) في الطبعة (١): (العرفات) وصوابها من الطراز الأنفس.

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات القصيدة بمقام (همايون) ومقام (أورفة).

فَسَقَتْهَا عَبْرَةً مُهْرَاقَةً
كَلَّمَا أَسْبَلَهَا مُسْبِلُهَا
لَا قَضَتْ عَيْنَايَ فِيهَا وَاجِباً
وَقَفَّ الرِّكْبُ عَلَى أَفْنَائِهَا
مُنْكَرِاً مِنْ أَرْسُمِ مَعْرِفَةٍ
لَأُرِينَنَّكُمَا وَجِدِي بِهَا
لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ أَطْلَالُهُمْ
وَبَكَتْهَا الْبُذْنُ لَكِنْ بِدَمٍ
وَرَدَّتْ مِنْهَا مُسْتَعْذِباً
أَيْنَ مِنْهَا أَوْجُهُ مُشْرِقَةٍ
وَلَكُمْ كَانَ لَنَا مِنْ قَمَرٍ
وَأُيُوقَاتِ سُرُورٍ جَمَعَتْ
زَمَنُ مَا إِنْ ذَكَرْنَاهِ لِمَنْ
ظَنَّ أَنْ أَسْأَلُوكُمُ الْإِلَاحِي بِكُمْ
وَتَصَامَمْتُ عَنِ الْعَاذِلِ إِذْ
مَا عَلَيكُمْ لَوْ دَنَوْتُمْ مِنْ شَجٍ
أَنَا أَعْنَى النَّاسِ إِلَّا عَنُوكُمْ
مَا رَجَائِي أَملاً مِنْ فِئْتَةٍ
كَيْفَ أَسْتَمَطِرُ جَدْوَى سُحْبٍ
أَوْ يُغْرِيَنِي وَمَيْضُ خُلْبٍ
مَا عَرَفْتُ النَّاسَ إِلَّا بَعْدَمَا
إِنْ تَعَالَتْ فِي الْمَعَالِي سَادَةٌ

كَالسُّحَابِ الْجَوْنِ سَحاً وَانْسِكَاباً^(١)
رَوَتْ الْأَعْوَاظَ مِنْهَا وَالهِضَابَا
إِنْ تَكُنْ عَيْنَايَ تَسْتَجِدِي السُّحَابَا
وَقَفَّةَ الْأُمِيِّ يَسْتَقْرِي الْكِتَابَا
لَبَسْتُ لِلْبَيْنِ حُزْناً وَاكْتِنَابَا
مَا أُرْتَنِي الدَّارُ إِلَّا مَا أَرَابَا
أَيُّ رَامٍ قَدْ رَمَاهَا فَأَصَابَا
فَحَسِبْنَا أَدْمَعُ الْبُذْنِ خِضَابَا
وَأَرَاهَا بُدِّلَتْ مِنْهُ عَذَابَا
مَلَكَتُ مِنْ كَامِلِ الْحُسْنِ نِصَابَا
فِي مَغَانِي ذَلِكَ الرَّبِّيعِ فِغَابَا
لَذَّةَ الْكَأْسِ وَسَلْمَى وَالرِّيَابَا
فَاتَهُ عَهْدُ الصَّبَا إِلَّا تَصَابَا
كَذَبَ الظَّنُّ مِنَ الْإِلَاحِي وَخَابَا
قَالَ لِي صَبْرًا وَمَا قَالَ صَوَابَا
فِي هَوَاكُمُ دَنْفٍ شَبٍّ وَشَابَا
فَامْنَحُوا النَّائِي دُنُوءًا وَاقْتِرَابَا
زَجَرَ الْحَطُّ بِهِمْ مِنْهُمْ غُرَابَا
عَقَدُوهَا بِالْمَوَاعِيدِ ضَبَابَا
وَشَرَابٌ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سَرَابَا
ذُقْتُ مِنْ أَعْوَادِهِمْ شَهْدًا وَصَابَا
ف(عَلِيٌّ) الْقَدْرِ أَعْلَاهَا جَنَابَا

(١) الجون: من الأضداد، تعني اللون الأسود والأبيض. وهي هنا تعني الأسود. لأن السحاب الأبيض. جهام لا ماء فيه.

سَيِّدٌ يَطْلُعُ كَالْبَدْرِ وَمِنْ
أَرِيحِيٍّ لَمْ يَزَلْ مُتَّخِذًا
وَيُثِيبُ النَّاسَ جُودًا وَنَدَى
فَإِذَا اسْتُسْقِيَ وَافَى غَيْثُهُ
فَإِذَا مَا سَمِعَ الذُّكْرَ اتَّقَى
مَنْ عَرَانِينَ عَلًا قَدْ نَزَلُوا
مَا بِهِمْ عَيْبٌ خَلَا أَنَّهُمْ
غَرَسَتْ أَيْدِيهِمْ غَرَسَ النَّدَى
سَحَبَتْ ذَيْلَ افْتِخَارِ أُمَّةٍ
وَأَعَدُّوا لِلْعُلَا سُمْرَ الْقَنَا
يَنْزِلُ الْوَحْيُ عَلَى أَبْيَاتِهِمْ
عُرْوَةَ الْوَثْقَى وَمِنْهَا جُ الْهُدَى
إِنَّ هَذَا فَرَعُهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ
هَاشِمِيٌّ عَالَوِيٌّ ضَارِبٌ
ضَاحِكُ التُّغْرِ إِذَا مَا خُطِبُ
قَدْ تَأَمَّلْنَاكَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى
يَا مُهَابَ الْبَأْسِ مَرْجُو النَّدَى
طَوَّقْتَنِي مِنْكَ أَيْدِيكَ وَمَا
وَأَرْتَنِي كَيْفَ يَنْتَالُ الْغِنَى
كَلَّمَا أُغْلِقَ بَابِي دُونَهُ
أَرْخَصْتَ لِي كُلَّ غَالٍ فَكَأَنَّ
فَاهَنَ بِالْعِيدِ وَفُزُّ فِي أَجْرٍ مَا
فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَهُ

فِكْرِهِ يَوْقِدُ بِالرَّأْيِ شِهَابَا
دَابَّ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانَ دَابَا
وَهُوَ لَا يَرْجُو مِنَ النَّاسِ تَوَابَا
وَمَتَى يُدْعَى إِلَى الْحُسْنَى أَجَابَا
وَإِذَا مَا ذُكِّرَ اللَّهُ أَنْبَا
مَنْ بُيُوتِ الْمَجْدِ أَفْنَاءَ رِحَابَا
يَجِدُونَ الْبُخْلَ وَالْإِمْسَاكَ عَابَا
فَاجْتَنَّتْ مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ لُبَابَا
لَبَسُوا التَّقْوَى بُرُودًا وَثِيَابَا
وَالرِّقَاقَ الْبَيْضَ وَالْخَيْلَ الْعِرَابَا
فَاسْأَلِ الْآيَاتِ عَنْهُمْ وَالْكِتَابَا
كَشَفُوا عَنْ أَوْجِهِ الْحَقَّ حِجَابَا
طَابَ ذَاكَ الْعُنْصُرُ الزَّاكِي فَطَابَا
فِي أَعَالِي قُلُلِ الْفَخْرِ قِبَابَا
كَشَّرَتْ عَنْ مُدْلِهِمُ الْخَطْبِ نَابَا
فَرَأَيْنَا عَجَبًا مِنْكَ عُجَابَا
لَا تَزَالُ الدَّهْرَ مَرْجُوعًا مُهَابَا
طَوَّقْتُ إِلَّا أَيْدِيكَ الرِّقَابَا
وَالْغِنَى أَعْيَا عَلَى النَّاسِ طَلَابَا
فَتَحَّتْ لِي يَدُكَ الْبَيْضَاءُ بَابَا
وَجَدْتَ فِي جُودِهَا التُّبْرَ تُرَابَا
صُمَّتَهُ لَلِ أَجْرًا وَتَوَابَا
وَجَزَيْنَاكَ الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَا

وشاقك طيف من أميمة زائر
 ولا لمحاته من رقيب نواظر
 أقام وقد أوتته تلك المحاجر
 يذكره المنسي في الحب ذاكر
 فلا هو بالداني ولا أنا صابر
 وتألف هاتيك الأطباء النوافر
 على برحاء الوجد عين وناظر
 وما فتكت أحداقهن الجاذر
 رويدك فالإنصاف لو كان عاذر
 وخامرني في الحب داء مخامر
 وأني امرؤ مما يريبك طاهر
 وقد كرمت نفس وعفت مآزر
 ويزكو الفتى من حيث تزكو العناصر
 وإن أجحفت فيها الجدود العواثر
 فيرجى لها نيل وتخشى بوادر
 وأني بها في الأنجبين أفاخر
 من الهم ما لا تستطيع الأباغر
 أنا المندلي الرطب وهي مجامر
 وعرضي لم يكلم إذا هو وافر
 وما ضائري من حادث الدهر ضائر
 ومن كلماتي للنجوم ضائر
 نواذر من حر الكلام سوائر

تولت من الظلماء تلك الدياجر
 سرى حيث لا واش هناك يصدّه
 ووافى على بُعد المزار فليته
 يبل غليل الشوق من ذي صباية
 تذكرت في ما بعد ذلك نائياً
 فيا ليت شعري هل يعود لي الصبا
 فأعدو إلى ما كنت أعدو وللهوى
 فله عهد بالصباية مر بي
 أعاذتني والعتب بيني وبينها
 لبست الضنى حتى أبادني الضنى
 وحسبك أني فيك يا مي وامق
 وهل تعلق الفحشاء من ذي صباية
 زكوت فما ألممت يوماً بريبة
 تطالبي نفسي بما تستحقه
 تحاول مجدداً في المعالي ورفعة
 فأكرمتها أن صنتها عن دنية
 أنوء بأعباء المروعة حاملاً
 وأزداد طيباً في الخطوب كأنني
 فما ساءني فقر ولا سرني غنى
 سواء لدي الدهر أحسن أم أسا
 فمن عزماتي اللهموم معاذر
 ولي في بلاد الله شرقاً ومغرباً

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠).

شواردها حَلِيّ الملوکِ وصَوْغُهَا
تَحْضُّ عَلَى الذِّكْرِ الحَمِيدِ بِفِعْلِهِ
إِذَا اخْتَبَرْتَ كُنْهُ الرِّجَالِ بِعِلْمِهَا
سَقَى اللّهُ حَيًّا فِيهِ (أبناء راشد)
وَمَنْزَلَةً بَيْنَ الفُرَاتِ وَدَجْلَةَ
إِذَا نَزَلُوا الأَرْضَ المُحِيلَةَ أَخْصَبَتْ
صَوَارِمُهُمْ نَارٌ وَأَمَّا أَكْفُهُمْ
يَرُوقُكَ فِي دَاجِي الحَوَادِثِ مِنْهُمْ
فَهَذَا غَمَامٌ بِالمَكَارِمِ مَا طُرُّ
يَقِي مِنْ سَمُومِ الحَادِثَاتِ بِنَفْسِهِ
وَأَرْضاً حَمَاهَا (ناصر) بِحُسَامِهِ
رَحَى الحَرْبِ إِنْ دَارَتْ رِحَاهَا فَإِنَّهُ
وَمُتَّخِذِ بَيْضِ الأَسِنَّةِ وَالطُّبْيِ
وَحَسْبُكَ يَوْمَ الرُّوعِ مِنْ مُتَّقَدِّمِ
يُرِيْعُ وَلَا يَرْتَاعُ يَوْمًا لِحَادِثِ
فِيَا مُورِدَ الفِرْسَانِ فِي حَوْمَةِ الوَعَى
تَطَأْبَتْهَا حَتَّى ظَفَرَتْ بِنَيْلِهَا
وَرِاثَةُ آبَاءِ كِرَامٍ تَقَدَّمُوا
تَطَاوَلَتْ حَتَّى نَلَتْ أَعْلَى مَقَامِهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْنُو إِلَيْكَ مُبَارِزًا
بِوَجْهِكَ يَا سَعْدَ البِلَادِ تَطَلَّعَتْ
وَمَا شَقِيَتْ مِنْ آلِ بَيْتِكَ عُصْبَةٌ
يَوْمًا لَهُمْ مِنْ جُودِ كَفِّكَ نَائِلٌ
تَهَابُكَ فِي أَقْصَى البِلَادِ وَإِنْ نَأَتْ
تَنَامُ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا أَنْتَ نَائِمٌ

مَنْ اللفظِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَاهِرُ
وَفِيهَا لِأَرْبَابِ العُقُولِ بَصَائِرُ
أَفَادَتُكَ عِلْمًا وَالرِّجَالُ مَخَابِرُ
سِمَامُ الأَعَادِي وَالسُّيُوفُ البَوَاتِرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا المُشِيرُ فَ(ناصر)
وَجَادَتْ عَلَيْهَا المُرْسَلَاتُ المَوَاطِرُ
فَأَبْحُرُ جُودِ بِالنُّوَالِ زَوَاطِرُ
وَجُوهٌ عَنِ البَدْرِ المُنِيرِ سَوَافِرُ
وَهَذَا حُسَامٌ لِلْمُعَانِدِ قَاهِرُ
إِذَا لَفَحَتْهَا بِالسَّمُومِ الهَوَاجِرُ
حَمِيٌّ لَمْ يَطَأَهُ لِلنُّوَابِ حَافِرُ
هُوَ القُطْبُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الدُّوَابِرُ
مَوَارِدُ تُسْتَحْلَى لَدَيْهَا المَرَائِرُ
إِذَا أَحْجَمَتْ فِيهِ الأَسْوَدُ القَسَاوِرُ
وَمَنْ ذَا يَرِيْعُ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرُ
مَوَارِدَ حَتْفٍ مَا لَهْنٌ مَصَادِرُ
وَلَا مَطْلَبٌ إِلَّا العُلَا وَالْمَفَاخِرُ
أَوَائِلُهُمْ أَرْبَابُهَا والأَوَاخِرُ
بَطُولِ يَدِ طَوْلَى وَمَا أَنْتَ قَاصِرُ
وَأَنْتَ عَلَى أَنْ تَصْرَعَ اللَّيْثَ قَادِرُ
مَطَالِعُ فِيهَا لِلْعِبَادِ (*) بِشَائِرُ
وَأَنْتَ بِهِمْ فِي العَدْلِ نَاهٍ وَأَمِيرُ
وَيَرْجُرُهُمْ مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ زَاجِرُ
قَبَائِلُ شَتَّى لَمْ تُرْعَ وَعِشَائِرُ
وَحَزْمُكَ يَقْظَانُ وَسَعْدُكَ سَاهِرُ

(*) في الطبعة (١): (للعباد) وصوابها من الطراز الأنفس.

تَخَافُكَ أَعْدَاءُ كَأَنَّكَ بَيْنَهُمْ
إِذَا قِيلَ فِي الْهَيْجَاءِ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ
فَإِنَّ بَنِي أَهْلِيكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَإِنَّ بَنِي أَهْلِيكَ لَلْهُدَى دَرُهُمْ
فَلَا غَرُّوْا أَنْ أُرْتَاخَ يَوْمًا بِمَدْحِكُمْ
فَإِنِّي بِكُمْ (أَبْنَاءَ رَاشِدٍ) شَاعِرٌ
فَلَا رَاعَتْ الْإَيَّامُ قَوْمًا وَلَا خَلَّتْ

وَمَا غَبَّتْ عَنْ قَوْمٍ وَبِأَسْكَ حَاضِرٍ
فَمَا عُقِدَتْ إِلَّا عَلَيْكَ الْخَنَاصِرُ
بُدُورُ الْمَعَالِي وَالنُّجُومُ الزُّوَاهِرُ
أَكَابِرُ أَقْوَامٍ نَمَتَهُمْ أَكَابِرُ
وَيَسْمَحُ لِي فِي نَظْمِي الشُّعْرَ خَاطِرُ
وَإِنِّي لَكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا لَشَاكِرُ
دِيَارُ بِهَا مِنْ آلِ بَيْتِكَ عَامِرُ

(١٦٢)

سَقَاهَا الْهَوَى مِنْ رَاخَةِ الْوَجْدِ صَرَّخَدَا
فَظَلَّتْ تَرَامَى بَيْنَ (رَامَةَ) وَ(الْحَمَى)
وَنَشَقَّهَا (*) رِيحُ الصَّبَا رِنْدَ (حَاجِرِ)
وَمَا بَدَتْ أَعْلَامُ دَارٍ بِ(ذِي الْغَضَا) (***)
فَلَا تَأْمَنُ الْأَشْجَانُ يَجْذِبْنَ قَلْبَهَا
وَيَا سَعْدُ خُذْ بِالْجَزْعِ مِنْ أَيْمَنِ اللَّوَى
وَذَرَهَا تُرَوِّي بِالْدموعِ غَلِيلَهَا
تَعَالِجُ بِالتَّعْلِيلِ قَلْبًا مُعَذَّبًا^(٣)
وَتَنْصَبُ مِثْلَ السَّيْلِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ
وَبِي مِنْ هَوَى مِيٍّ وَإِنْ شَطَّ دَارُهَا
وَلِيَاءٌ لَمْ تَنْجِزْ بِوَعْدٍ لِمُغْرَمٍ

وَشَوَّقَهَا حَادِي الطُّعَائِنِ إِذْ حَدَا
وَتَطْوِي فِيهَا فِيهَا حُزُونًا وَفَدُفَدَا
فَكَادَتْ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَنْ تَتَوَقَّدا^{(٢)(*)}
أَعَادَ لَهَا الشُّوقُ الْقَدِيمَ كَمَا بَدَا
مَتَى أَتَهُمَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي وَأُنْجَدَا
لَعَلِّي أَرَى فِيهَا عَلَى الْحُبِّ مُسْعِدَا
وَإِنِّي يَبِلُ الدَّمْعُ مِنْ مُغْرَمِ صَدَى
وَتُدْمِي بِوَيْلِ الدَّمْعِ طَرْفًا مُسْهَدَا
فَتَحْسِبُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعِزْمِ جَلْمَدَا
هُوَ يَمْنَعُ الْعُشَّاقَ أَنْ تَتَجَلَّدَا
وَهَلْ أَنْجَزَتْ ذَاتَ الْوِشَاحِينَ مَوْعِدَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في الأصول: (فكانت) والتصويب من مجموعة السيد عبدالخالق العزاوي.

(٣) في الأصول: (بالتعذيب) والتصويب من مجموعة السيد عبدالخالق وحديقة الورد.

(*) في الطبعة (١): (وتشققها) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (تتقدا) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الغضا) وصوابها من الطراز الأنفس.

إِذَا مَا دَنْتُ ظَمِيَاءُ مِنْ سَرِبٍ (لعلع)^(١)
أَلَذُّ بِهَا وَصَلًا وَأَشْقَى بِهَجْرِهَا
وَأُبْلَجُ لَوْلَا شَعْرُهُ وَجَبِينُهُ
تَدِينُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ لِحُكْمِهِ
فِيَا عَصْرَ ذَاكَ اللَّهْوِ هَلْ أَنْتَ عَائِدٌ
تَرَكْتُ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ لَوَاعِجًا
لِحَا اللَّهِ مِنْ يَلْحَى* (مُحِبًّا عَلَى الْهَوَى
يَلُومُ وَيَغْرِي**) بِالْهَوَى مِنْ يَلُومُهُ
أَخَذْتُ نَصِيبِي مِنْ نَعِيمٍ وَلَذَّةٍ
فَطَوَّرًا أُرَانِي فِي الْمَشَارِقِ مُتَّهِمًا
وَلَا بِتُ أَشْكُو وَالْخُطُوبُ تَنْوِشُنِي^(٣)
وَلَوْلَا (شَهَابُ الدِّينِ) مَا اعْتَزَّ فَاضِلُّ
فَتَى الْمَجْدِ يُفْنِي*** بِالْمَكَارِمِ مَا لَهُ
إِذَا فَاضَلْ مِنْهُ صَدْرُهُ وَيَمِينُهُ
وَمَا زَالَ يَسْمُو رَفْعَةً وَتَفَضُّلاً
رَأَيْتُ مُحَيَّاهُ الْبَهِيِّ وَمَجْدَهُ
فَمَنْ ذَا يَهْتَيُّ الْوَافِدِينَ لِبَابِهِ
وَمَا افْتَرَّ عَنْ دُرِّ التَّنَائِيَا تَبَسُّمًا
وَمَنْ يَكُ أَرْكَى صَفْوَةَ اللَّهِ جَدُّهُ
فِيَا بَحْرَ فَضْلِ مَا رَأَيْتُكَ مُزِيدًا
أَيُّطَلَبُ إِلَّا مِنْ مَفَاخِرِكَ الْعَلَا

أرْتَنَا الردى من مُقْلَةَ الرِيمِ أَسْوَدَا
ومن عاشَ بِالْهَجْرَانِ عَاشَ مُنْكَدَا
لَمَا كُنْتُ أُدرِي مَا الضَّلَالُ وَمَا الْهُدَى
عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَارَ بِالْحَكْمِ وَعَافَتُدَى^(٢)
وَيَا رِيمَ ذَاكَ الرَّبِّعِ رُوحِي لَكَ الْفِدَا
عَصَيْتُ بِهَا ذَاكَ الْعَذُولَ الْمُفْنِدَا
وَلَا رَاحَ إِلَّا بِالْمَلَامِ وَلَا اغْتَدَى
وَكَمْ جَاهِلٍ رَامَ الصَّلَاحَ فَأَفْسَدَا
وَصَادَمْتُ أَسَادًا وَلَا عَبْتُ خُرْدَا
وَطَوَّرًا أُرَانِي فِي الْمَغَارِبِ مُنْجِدَا
زَمَانًا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مِنْ جَمَلَةِ الْعِدَا
وَلَا نَالُ إِلَّا فِيهِ عِزًّا وَسُودْدَا
وَيَبْقَى لَهُ الذِّكْرَ الْجَمِيلَ مُخَلَّدَا
فَخُذْ مِنْ كَلَا الْبَحْرَيْنِ دِرًّا مُنْضَدَا
وَيَجْمَعُ شَمَلَ الْفَضْلِ حَتَّى تَفْرَدَا
فشَاهَدْتُ أَبْهَى مَا رَأَيْتُ وَأَمْجَدَا^(٤)
بِأَكْرَمِ مَنْ أَعْطَى وَأَرْشَدَ مِنْ هَدَى
مَنْ الْبِشْرِ حَتَّى أَمَطَرَ الْكَفَّ عَسْجَدَا
فَلَا غَرَوْ أَنْ يَزْكَو نِجَارًا وَمَحْتَدَا
وَيَا مُزْنَ جُودِ مَا رَأَيْتُكَ مُرْعَدَا
وَيُسْأَلُ إِلَّا مِنْ أَنْامِكَ النَّدَى

(١) في الأصول: (إذا ما رنت..) والتصويب من حديقة الورود.

(٢) في الحديقة ومجموعة السيد عبدالخالق (... في الحكم ..).

(٣) في حديقة الورود ومجموعة السيد عبدالخالق: (... والخطوب تضمني).

(٤) في حديقة الورود: (فرايت أبهى ما رأيت وأمجدا). ويكون وزن العجز من الكامل. والقصيدة من الطويل.

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (يلحو) والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (ويفري) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (يغني) وصوابها من الطراز الأنفس.

فَأَصْبَحَ رَكْنَ الدِّينِ فِيكَ مُشَيِّدًا
 وَلَوْلَاكَ كَانَ الأَمْرُ يَا سَيِّدِي سُدًى
 فَفِيكَ رَوَى حُسْنَ السَّجَايَا وَأَسْنَدًا
 وَجَلَّتْ مَعَانِي ذَاتِهِ أَنْ تُحَدِّدًا
 تَخْرُوكَ الأَقْلَامُ فِي الطَّرْسِ سُجْدًا
 وَلَمْ يَكْتَحِلْ إِلَّا بِخَطِّكَ إِثْمَدًا
 وَمِنْ عَادَةِ السَّادَاتِ أَنْ تَتَفَقَّدَا
 وَصَيَّرْتَ أَحْرَارَ البَرِّيَّةِ أَعْبُدَا
 وَلَا نِلْتُ إِلَّا مِنْ مَعَالِيكَ مَقْصِدَا
 وَمِنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَلَا زَالَ سَيِّدَا
 كَمَا لَمْ تَزَلْ أَيْدِيكَ لِلنَّاسِ مَوْرِدَا
 بِجَدْوَاكَ يُسْتَعْنَى وَفَنَوَاكَ يُفْتَدَى

لَقَدْ جِئْتَ هَذَا العَصْرَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
 وَأَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضِ العِرَاقِ عُلُومَهُ
 أَرَى كُلَّ مَنْ يَرُوي ثَنَاءً وَمَدْحَةً
 لَكَ العِزُّ حَارَ الوَاصِفُونَ بِوَصْفِهِ
 إِذْ مَا تَجَلَّتْ مِنْكَ أَدْنَى بِلَاغَةٍ
 وَفِيكَ النَّدَى وَالْفَضْلُ قَرَّتْ عُيُونُهُ
 تَفَقَّدَتْ أَرْبَابَ الكَمَالِ جَمِيعَهُمْ
 وَكَمْ نِعْمَةٌ أُسْدِيَّتْهَا فَبَذَلَتْهَا
 وَلَوْلَاكَ لَمْ أَظْفِرْ بِعِزٍّ وَلَا مُنَى
 أَسْوَدُ إِذَا مَا كُنْتَ مَوْلَايَ فِي الوَرَى
 وَمَا زِلْتَ كَهْفًا يُسْتَظَلُّ بِظِلِّهِ
 وَلَا زِلْتَ مَا كَرَّ الجَدِيدَانِ سَالِمًا

(١٦٣)

تُخَفِّفُ مِنْ هَمِّي وَتَكْشِفُ مِنْ ضُرِّي
 تَعَاهِدَنِي مِنْ قَبْلِ البُعْسُرِ وَاليُسْرِ

عَسَى نَظْرَةٌ مِنْ (نَاصِرٍ) وَالتَّفَاتَةُ
 فَعَهْدِي بِهِ بَرٌّ رَوْفٌ وَرَاحِمٌ

(١٦٤)

عَفَا مِنْ عَالِجِ لَدِيَارِ سَلْمَى
 مُلِثُ القَطْرِ تَسْكَابًا وَسَجْمًا
 أَوَانِسُ غَيْدِهِ هَجْرًا وَصَرْمًا
 وَعَقْدُ الشَّمْلِ مِثْلُ العِقْدِ نَظْمًا

سَقَى الطَّلَّ العَمَامُ وَجَادَ رَسْمًا
 وَسَحَّ عَلَى مَنَازِلِنَا ب (نَجْدٍ)
 وَعَهْدُ فِي (الصَّرِيمِ) مَضَى وَصَدَّتْ
 بَحِيثُ الكَاسِ تُتْرَعُ بِالحَمِيَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

وَمِمَّا صَبَّوَةٌ وَصِيبًا أَصَابَا
 تُسَاعِدُنِي عَلَى اللَّذَاتِ سَعْدِي
 وَتَعْقِرُنَا الْعُقَارُ وَكَمْ عَقَرْنَا
 وَلَيْلٍ مَا بَرَحْتُ أَدِيرُ فِيهِ
 أَزْوَجَهَا بِإِبْنِ الْمُزْنِ بِكْرًا
 وَأَعْتَنِمِ الْمَسْرَةَ بِالنَّدَامِي
 رَعَى اللَّهَ الشَّبَابَ وَإِنْ تَوَلَّى
 صَحَا سَكَرَانَ مِنْ خَمْرِ التَّصَابِي
 وَصَاخَ إِلَى الْعَذُولِ وَكَانَ صَبَّأً
 فَمَنْ لَاحٍ يُعَوِّنُهُ لِدَمْعِ
 أَرْتَنِي مِنْ حَوَادِثِهَا اللَّيَالِي
 وَمَنْ لِي أَنْ تُسَالِمَنِي الرَّزَايَا
 أَوْمَلْ نَفْسَ حُرٍّ لَمْ تَعِدْنِي
 ضَلَالًا مَا أَعْلَلُ فِيهِ نَفْسِي
 فَمَا لِي وَالْخَمُولَ وَكُلَّ يَوْمٍ
 أَرَانِي إِنْ عَزَمْتُ عَلَى مُهْمٍ
 وَإِنِّي سَوْفَ أُرْكَبُهَا لِأَمْرٍ
 وَإِنَّ لَيَالِيًا أَعْرَقَنَ عَظْمِي
 فَتَبَّأً لِلزَّمَانِ لَقَدْ تَعَدَّى
 أَتَسْمُو الْجَاهِلُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ
 تَحَوَّلَ يَا زَمَانَ إِلَى الْأَعَالِي
 لَقَدْ جَهَلَ الزَّمَانُ بَعْلَمَ مِثْلِي
 وَكَيْفَ أَسْوَدُ فِي زَمَنِ جَهُولٍ
 قَرِيبٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ يُدْعَى
 نَمَتَهُ الْأَنْجَبُونَ وَكُلُّ قَرْمٍ

مَرَامًا بِاجْتِمَاعِهِمَا وَمَرَمِي
 وَتُنْعِمُ لِي بِطَيْبِ الْوَصْلِ نُعْمِي
 بِهَا مِنْ هَذِهِ الْأَحْشَاءِ هَمًّا
 مُعْتَقَّةً تَلْدُ لَدَيْ طَعْمَا
 وَأَمْزِجْ صِرْفَهَا بِرُضَابِ أَلْمَى
 وَكَانَتْ لَذَّةُ النَّدْمَاءِ غُنْمَا
 وَذَكَرَ عَهْدَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا
 وَبَدَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَهْلَ حَلْمًا
 يَرَى لَوْمَ الْعَذُولِ أَشَدَّ لَوْمًا
 يُكْفِكِفُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَنْمًا
 أَعَاجِيبًا لَهَا الْعَبْرَاتُ تَدْمِي
 فَمَا زَالَتْ لِي الْأَرْزَاءُ خَصْمَا
 أَمَانِيهَا إِلَى أَجْلِ مُسَمَى
 وَقَوْلِي رَبِّمَا وَعَسَى وَلَمَّا
 تُفَوِّقُ لِي خُطوبُ الدَّهْرِ سَهْمَا
 تَنَنْتَ عَنِّي يَدُ الْأَقْدَارِ عَزْمًا
 أَحَاوَلُ شَأْوَهُ إِمَّا وَإِمَّا
 أَضَاعَتْنِي وَمَا ضَيَّعَتْ عَزْمًا
 حُدُودًا مَا تَعَدَّاهُنَّ قَدْمًا
 وَيَرَوِي مِنْ هَزَوْتِ بِهِ وَأَظْمًا
 وَخُذْ بِكَمَالِهَا فَالِنَقْصُ تَمَّا
 وَإِنَّ الْجَهْلَ بَيْنَ بَنِيهِ عَمَّا
 وَلَوْ أَنِّي كَدُّ (إِبْرَاهِيمَ) عِلْمًا
 بِأَزْكَى الْعَالَمِينَ أَبًا وَأُمَّا
 إِلَى خَيْرِ السُّورَى يُعْزَى وَيُنْمَى

تَخَلَّقَ مِنْ سَنَا نَوْرٍ مُبِينٍ
بَنَى الشَّرْفَ الَّذِي يعلو وَيَسْمُو
وَشَيْدَهُ وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوْفُ
بِنَاءٍ قَصَّرَتْ عَنْهُ السَّوَارِي
تَأَمَّلْ فِي عَظِيمٍ مِنْ قَرِيشٍ
عَلَيْهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَوْرٌ
إِذَا الْأَمْرُ الْمَهْمُ دَهَى، كَفَانَا
شِفَاءً لِلصُّدُورِ وَكَمْ مَرِيضٍ
بِرُوحِي مِنْكَ أَرُوعَ هَاشِمِيًّا
لَكَ الْكَلِمَ الَّتِي جَمَعْتَ فَأَوْعَتْ
وَكَم مِنْ حُجَّةٍ نَطَقْتَ فَظَلَّتْ
وَجِئْتَ بِمَا يَحَارُ* الْفِكْرُ فِيهِ
وَقَدْ أَحْيَيْتَ هَذَا الدِّينَ عِلْمًا
وَقَوِّمْتَ الشَّرِيعَةَ فِيهِ حُكْمًا
وَكَمُ اغْضَبْتَ يَا مَوْلَايَ قَوْمًا
أَتَكْتُمُ فَضْلَكَ الْحُسَّادُ جَهْلًا
مَنَاقِبُكَ النُّجُومُ وَليْسَ بَدْعًا
وَجَدْتِكَ سَيِّدِي لِلْمَدْحِ أَهْلًا
وَحَسْبِي مِنْكَ جَائِزَتِي دَعَاءً
أُنَالُ بِهِ التَّنَوُّبَ بِغَيْرِ شَكٍّ
وَلَيْسَ يَفِي بِفَضْلِكَ كُنْتُ مَدْحِي

فَكَانَ الْجَوْهَرَ النَّبَوِيَّ جِسْمًا
فَمَا أَعْلَى مَبَانِيهِ وَأَسْمَى
وَلَمْ يَبْرَحْ لِأَنْفِ الْخَصْمِ رَغْمًا
وَمَا اسْتَطَاعَتْ لَهُ الْحُسَّادُ هَدْمًا
تَجِدُ أُسْدَ الشَّرَى وَالْبَدْرَ تَمًّا
بِهِ يَمْحُو الظَّلَامَ الْمُدْلِهِمَا
بِدَعْوَتِهِ لَنَا مَا قَدْ أَهَمَّا
يَكُونُ لَهُ اشْتِيَارُ الشَّهِدِ سَمًّا
حَدِيدَ الْقَلْبِ وَارِي الزُّنْدِ شَهْمًا
تَرُوحُ الْمُلْحَدُونَ بِهِنَّ كَلْمَى
لَهَا فُصْحَاءُ غَيْرِ الْحَقِّ عَجْمًا
بِيَانًا مِنْكَ إِلْهَامًا وَفَهْمًا
بِحَيْثُ الدِّينِ قَارِبَ أَنْ يَرْمًا
وَلَمْ تَرَغَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا^(١)
بِمَا فِيهِمْ وَكَمْ أَرْضَيْتَ قَوْمًا
وَمَا اسْتَطَاعَ الدُّجَى لِلنُّورِ كَتْمًا
إِذَا مَا أَنْكَرْتَهَا عَيْنُ أَعْمَى
فَخَذَ مَدْحِي إِذَا نَثَرًا وَنَظْمًا
بِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَسْوَاءِ أُحْمَى
وَأَمْحُو بِالتَّنَائِ عَلَيْهِ إِثْمًا
وَكَانَ الْمَدْحُ إِلَّا فَيْكَ ظُلْمًا

(١) وقع مثله للشاعر أحمد شوقي بك بقوله:

فلم أر غير حكم الله حكما

الشوقيات ٦٠ / ١٠.

ولم أر غير باب الله بابا

إِذْ عَصَى فِي طَاعَةِ الْحُبِّ الْعَذُولَا
 كَبِيداً حَرَى وَلَا جِسْماً نَحِيلَا
 يَوْمَ أَرْمَعْتُمْ وَإِنْ كَانَ جَهُولَا
 وَغِرَامٍ أَهْرَقَ الدَّمْعَ هَمُولَا
 لِدُمُوعِي فِي جَفَاكُمْ أَنْ تَسِيلَا
 وَمُحَالٌ أَنْ أَرَى الصَّبْرَ جَمِيلَا
 فَاثْنَتَيْنَا عِنْدَ ذَاكَ الذُّكْرِ مِيلَا
 أَخَذْتَ مِنِّي الْحَشَا أَخْذاً وَبِيلَا
 فَاثْتَشَقْنَاهَا شَمَالاً وَقَبُولَا
 قَدْ شَرِبْنَاهَا مِنَ الرَّاحِ شَمُولَا
 لِعَلِيلٍ يَشْتَكِي طَرْفَاً عَلِيلَا
 بَلَّ مِنْ أَحْشَائِهِ الدَّمْعُ غَلِيلَا
 وَغَدَا النَّاصِرُ فِي الْحُبِّ خَنُولَا
 وَجَدَ اللَّاحِي إِلَى الْعَذْلِ سَبِيلَا
 يَعِشِقُ السَّالِفَ وَالْخَدَّ الْأَسِيلَا
 مَسْمَعِي فِي عَذْلِهِ قَوْلَاً ثَقِيلَا
 سَاحِرَ الطَّرْفِ مِنَ السَّرْبِ خَلِيلَا
 أَلْحَاطَاً أَرْهَفُوهَا أَمْ نُصُولَا
 يَسْأَلُ الْأَرْسَمَ عَنْهُمْ وَالطُّلُولَا
 تَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ وَخَدَاً وَذَمِيلَا
 زَفْرَةَ الْأَشْوَاقِ وَالْحَزْنَ الطُّوِيلَا

كَادَ أَنْ يَقْضِي سَقَاماً وَنُحُولَا
 دَنَفُ لَوْلَا هَوَاكُمْ مَا شَكَا
 عَظِيمَ الْعَازِلِ مَا لَاقَى بِكُمْ
 مِنْ صَبَابَاتٍ أَذَابَتْهُ أُسَى
 وَصَبَابَاتِ الْهَوَى قَدْ سَوَّلَتْ
 لَا أَرَى الصَّبْرَ جَمِيلَا عَنْكُمْ
 قَدْ ذَكَرْنَاكُمْ عَلَى شَحْطِ النَّوَى
 يَا لَهَا ذِكْرِي أَهَاجَتْ لَوْعَةً
 هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ أَحْيَائِكُمْ
 فَكَأْنَا بِالصَّبَا حِينُنَا
 يَا رَفِيقِي وَهَلْ مِنْ مُسْعِدٍ
 بَلَّ كُمِّيهِ مِنَ الدَّمْعِ وَمَا
 لِأَمْنِي الْعَازِلُ جَهَالاً بِالْهَوَى
 أَنَا لَوْلَا شَغْفِي فِيكُمْ لَمَا
 مَا عَلَى اللَّائِمِ مِنْ مُسْتَغْرِمٍ
 رَاحَ يَلْقِي - لَقِي السُّوءَ - عَلَى
 لِيَتَنِي قَبْلَ الْهَوَى لَمْ أَتَّخِذْ
 لَسْتُ أُدْرِي إِذْ رَنَتْ أَلْحَاطُهُمْ
 ظَلَعَنَ الْحَيُّ وَأَضْحَى حُبُّهُمْ
 لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ سَارَتْ عَيْسُهُمْ
 وَيُعَانِي مَا يُعَانِي بَعْدَهُمْ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

سَاهَرُ الْمُقَلَّةَ فِي الْوَجْدِ فَمَا
 أَمَرُوا بِالصَّبْرِ عَنْهُمْ وَلَكُمْ
 صَاحِبِي أَنْتَ خَبِيرٌ بِالْهَوَى
 عَارِضٌ مِنْ عَبْرَةٍ أَهْرَقْتُهَا
 إِنْ أَرَدْتُمْ رَاحَةَ الرُّوحِ بِكُمْ
 وَأَعِدْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً
 عَلِمَ اللَّهُ بِأَنِّي شَاعِرٌ
 قَدْ كَفَانِي اللَّهُ فِي الْطَافِهِ
 بِالزَّكِيِّ الطَّاهِرِ الشَّهْمِ الَّذِي
 مِنْ يُنِيلُ النَّيْلُ مِنْ إِحْسَانِهِ
 وَإِذَا مَا لَفَحَتْ هَاجِرَةٌ
 وَاضِحُ الْفَخْرِ وَمَنْ هَذَا الَّذِي
 مِنْ فَتَى فَبِيهِ وَفِي أَبَائِهِ
 أَنْجَبُ الْعَالَمِ أُمَّاً وَأَباً
 إِنَّمَا (أَلْ جَمِيلِ) غُرَّةٌ
 وَرِثُوهَا عَنْ أَبِيهِمْ شَيْمَاءُ
 قَدْ أَحَلَّتْهُمْ نُفُوسٌ شَرُفَتْ
 قَلْمُنَ يَزْعُمُ أَنْ يُشْبِهُهُمْ
 وَبِرُوحِي مِنْ يُهَيِّنُ الْمَالَ فِي
 وَإِذَا مَا هَزَّهُ مُسْتَنْجِدٌ
 طَاوَلَ الشَّمَّ الرُّوَاسِي فِي الْعُلَا

يَطْعَمُ الْغُمُضَ بِهِ إِلَّا قَلِيلاً
 لُدَّتْ بِالصَّبْرِ فَمَا أَعْنَى فَتِيلاً
 أَتَرَى مِثْلَ الْهَوَى دَاءً قَتُولَا
 رَوَّضَتْ رَوْضَ جَوَى كَانَ مُحْيِيلاً
 فَابْعَثُوا الرِّيحَ إِلَى رُوحِي سَبِيلاً
 يَا نَسِيماً هَيِّجِ الْوَجْدَ بَلِيلاً
 لَمْ أَقُلْ زوراً وَلَمْ أَمْدَحْ بِخِيلاً
 بـ(أبي عيسى) نَوَالاً وَمُنِيلاً^(١)
 طَابَ فِي النَّاسِ فُرُوعاً وَأُصُولَا
 وَالْعَطَاءِ الْجَمِّ وَالْمَالِ الْجَزِيلاً
 كَانَ مِنْ رَمَضَائِهَا ظِلًّا ظَلِيلاً
 يَبْتَغِي يَوْماً عَلَى الشَّمْسِ دَلِيلاً
 كُلُّ مَا قَدْ قِيلَ فِي الْأَنْجَابِ قِيلاً
 وَأَعَزُّ النَّاسِ فِي النَّاسِ قَبِيلاً
 أَلْهَمُوا الْمَعْرُوفَ وَالْفِعْلَ الْجَمِيلاً
 تَبْلُغُ الْعَلِيَاءَ وَالْمَجْدَ الْأَثِيلاً
 بِمَكَانِ الْأَنْجُمِ الرَّهْرِ حُلُولَا
 لَمْ تَنْلُ بِالزَّعْمِ شَيْئاً مُسْتَحْيِيلاً
 جُودِهِ الْوَافِي وَمَنْ يَحْمِي النَّزِيلَا
 بَعْلَاهُ هَزَّهُ عَضْباً صَقِيلاً
 وَجَدِيرٌ فِي عُلَاهُ أَنْ يَطُولَا

(١) السيد عيسى غياث الدين بن محمد آل جميل. قال عنه إبراهيم الدروي: «رجل ساعته في عالم السياسة وقطب رعى إدارة بلده بالعلم والحصافة والفهم والحزم والعزم والشكامة الذي جمع بين الفضائل. وحوى كريم السجايا والماتر. ورضع لبان المجد فلحق الأكاير بجليل المفاخر». توفي ببغداد في ١٥ شعبان سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م. البغداديون ص ٣١ وفيه عيسى غياث الدين بن مصطفى. وانظر تاريخ العراق بين احتلالين ٨ / ٢٣١ ومجموعة عبدالغفار الأخرس ص ٨١ وتاريخ علماء بغداد للشيخ يونس السامرائي مخطوط الترجمة (٣١٧).

وَإِذَا مَا سُئِلَ الْفَضْلَ اعْتَدَى
لَمْ أزلُ حَتَّى أُوَارَى فِي التُّرَى
أُورِئُوهَا كَابِرًا عَن كَابِرٍ
نَجَمُوا بَعْدَ أَبِيهِمْ أَنْجَمًا
خَالَفَ عَن سَالِفٍ أَخْلَافَهُمْ
كُلُّ فَرْدٍ يَلْبَسُ الدَّهْرُ بِهِ
مُظْهِرٌ مِّنْ صُنْعِهِ مَنَقِبَةٌ
أَبْدَعُوا فِي مَكْرَمَاتٍ مِنْهُمْ
سَأَلَهُمُ الْفَضْلُ فَهُمْ أَهْلٌ لَهُ
وَارْتَقَبَ أَنْوَاءَهُمْ مُمَطَّرَةٌ
ضَمِنْتَ أَمَّا لَنَا إِحْسَانَهُمْ
يَا بَنِي (عَبْدِ الْغَنِيِّ) الْعَزُّ لِي
كُلَّمَا أَلْبَسْتُ شِعْرِي مَدَحَكُمْ

مُبْلَغًا مِنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ سَوَالًا
مُقْصِرًا فِيهِمْ ثَنَائِي وَمُطِيلًا
مَكْرُمَاتٍ لَمْ تَزَلْ جِيالًا فَجِيالًا
لَا أَرَاهُمْ بَعْدَ إِشْرَاقِ أَفْولَا
لِلنَدَى بَحْرًا وَلِلوَفْدِ مَقِيلًا
غُررًا تُشْرِقُ فِيهِ وَحُجُولًا
حَيْرَ الْأَفْكَارِ فِيهَا وَالْعُقُولَا
فَعَلْتَ آيَاتَهَا فِيهِمْ فُصُولَا
وَسِوَاهُمْ يَحْسَبُ الْفَضْلَ فُضُولَا
لَا نَدَى نَزْرًا وَلَا وَعْدًا مَطُولَا
وَتَخَمَّنَ وَلَا رَيْبَ الْحُصُولَا
فِي مَعَالِيكُمْ وَمَا كُنْتُ ذَلِيلًا
سَحَبَ الشُّعْرُ مِنَ الْفَخْرِ دِيُولَا

(١٦٦)

بِحَيْثُ انْعَطَفَ الْبَيَانُ
وَلِلْقَامَاتِ اغْصَانُ
رُويِدًا أَيُّهَا السَّاقِي
وَهَذَا قَدَكَ النَّشْوَا
فَلِي مِنْ رَوْضِكَ الزَّاهِي
فَمَنْ وَجَّهْتَكَ الْوَرْدُ
وَمَنْ عَارِضَكَ الْمُخْضِرُّ

قَوِيمُ الْقَدِّ فَتَّانُ
وَفِي الْأُرْدَافِ كُنْتُ بَيَانُ
فِي أَيِّ بَيْتِكَ سَكُّرَانُ
نُ مِنْ عَيْنَيْكَ نَشْوَانُ
بَرُوضِ الْحُسْنِ بُسْتَانُ
وَمَنْ قَامَتِكَ الْبَيَانُ
لِي رَوْحٌ وَرِيحَانُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

وفي فيك لنا خمراً
 وإني لرجلى ريقاً
 جنوداً منك في الحب
 فمن جفنيك صمصاماً
 ناعم في طرفك الموقد
 وما أنت كمن يسألني
 وجنات يدخلها
 وفيها من فنون الحسد
 وفيها اختلقت للزه
 فالنرجس أحداق
 وهذا الأقحوان الغض
 وقد حض على شرب
 وطافت بكؤوس الراح
 وطاسات من الفضة
 فما وسوس لهم
 وقال أشرب على حبي
 وهذا القدح الفار
 رعى الله لنا في الحد
 ذكرناهم على النأي
 وفي الذكرى تباريح
 كأننا في رياض الحز
 سقى عهدهم الماضي
 فما تغمض من بعد
 وأظمى كبدي الحرى
 بذلنا أنفساً تغلو
 ألا لا سلام الممال

وأنت الخمر والحان
 تك العذبة ظمان
 على قتلي أعوان
 ومن قددك ممران
 وظجدي وهو وسنان
 ومالي عنك سلوان
 فقانا أين رضوان
 ن في الدوحة أفنان
 ر أشكال وألوان
 كمال لاس آذان
 تبدو منه أسنان
 المدام الصرف ندمان
 والراحات غلمان
 فيها ذاب عقيان
 بصدر الشرب شيطان
 فإن الحب سلطان
 غ أضحى وهو ملان
 ي أحبباً وإن خانوا
 وإن شطوا وإن بانوا
 وأشجان وأحزان
 ن لا كُننا ولا كانوا
 ملك القطر هتان
 هم لصب أجفان
 برود الثغر ريان
 لها في الحب أثمان
 وفي الأنجاب (سلامان)

قَرِينُ الشُّرْفِ البَادِ
 عَلَى طَلْعَتِهِ الْغُرَا
 هُمُ الْقَوْمُ إِذَا عُدُوا
 أَبَاةَ الْخَنِيمِ أَشْرَافُ
 وَهَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللِّ
 هُمُ الصَّمُّ إِذَا يَفْقُسُو
 وَإِمَّا حَالِقُوا فِي جِ
 شِيُوخٌ لَمْ تَزَلْ تَسْمُو
 أَذَلُّوا عَزَّةَ الْمَالِ
 وَصَانُوا الْمَجْدَ فِي الْبِذْلِ
 فَهَمْ لِلدِّينِ أَطْوَادُ
 رِجَالٌ كُوشِفَتْ بِالْحَقِّ
 فِيهَا عَيْنُ الْعِلا، أَنْتَ
 وَفِي أَثَارِكَ الْغُرَّ
 إِذَا مَا وَزِنَ الْقَوْمُ
 وَفِي مَدْحِكَ لِأَقْلَا
 وَفِي شُكْرِي لِنَعْمَائِ
 أَرَادَ اللِّهَ فِي شِئَانِ
 وَمِمَّا زَادَ فِي حَسْبِنِ
 فَمَدْحٌ لَمْ يَكُنْ فِيكَ
 وَرَبْحٌ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ
 وَعَنْ فَضْلِكَ وَالصُّبْحِ
 وَسَارَتْ بِثَنَائِي لِ
 فَلَا زِلْتَ بِعَالِيَاءِ

خِ وَالْأَشْرَافُ أَقْرَانُ
 لِلْإِقْبَالِ عَنِّي
 بِهِمْ تَفْخَرُ عَدْنَانُ
 لِغَيْرِ اللِّهَ مَا دَانُوا
 مَا جَارُوا وَمَا مَانُوا
 وَالْمَاءُ إِذَا لَانُوا
 وَعَالِيَاءُ فَعُقْبَانُ
 إِلَى الْمَجْدِ وَفَتَيَانُ
 فَمَا ذَلُّوا وَمَا هَانُوا
 فَمَا أَحْسَنَ مَا صَانُوا
 وَهَمْ لِلدِّينِ أَرْكَانُ
 لَا يَحْجُبُهَا الرِّانُ^(١)
 لِعَيْنِ الْعِزِّ إِنْ سَانَ
 مِنَ السَّادَاتِ أَعْيَانُ
 فَفِي وَزْنِكَ رُجْحَانُ
 م تَغْرِيدُ وَالْحَانُ
 كَ إِعْلَامُ وَإِعْلَانُ
 كَ أَنْ يُرْفَعَ لِي شَانُ
 كَ عِنْدَ النَّاسِ إِحْسَانُ
 فَتَزْوِيرٌ وَبُهْتَانُ
 فَذَلِكَ الرِّبْحُ خُسْرَانُ
 وَمَا يَخْفِيهِ كَتْمَانُ
 كَ فِي الْأَقْطَارِ رِكْبَانُ
 لَهَا يَنْحَطُّ كَيْوَانُ

(١) الران والرین: الغشاوة.

وقال يمدح السيد عبدالقادر الكولندي البصري^(١) [وهي من الرمل]:

قَامَ يَجْلُوهَا وَيُرْدُ اللَّيْلَ مُعَلِّمٌ
فَهِيَ تَبْرُ فِي لُجَيْنِ ذَائِبٍ
نَظَمَ الْمَرْجُ عَلَيْهَا حَبَاباً
عَجَباً لِلشَّرْبِ أَنِّي قَطَّبْتُ
مُرَّةً يَحْلُو بِهَا الْعَيْشُ وَفِي
مَنْ رَأَى يَا قَوْمَ مِنْكُمْ قَبْلَهَا
فَهِيَ سِرٌّ مَنَعَتْ سِرَّ الْخُيَا
قَدَّمْتُ فِي عَصْرهَا حَتَّى لَقَدْ
مَا أَلَذَّ الرَّاحُ يُسْقَاهَا أَمْرُؤُ
كَقَضِيبِ الْبَانِ أَنِّي يَنْتَنِي
أَشْرَقَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا وَجْهَهُ
بَابِلِي اللَّحْظِ حُلُويِّ الْأَمِيِّ
مَالِكُ مَا رَقَّ لِلصَّبِّ وَمِنْ
ظَالِمِي فِي الْحَبِّ عَدْلٌ فَاعْجَبُوا
عَاطِنِيهَا يَا نَدِيمِي قَهْوَةً
وَأَنْتَهَبُهَا فَرَصَةً مَمَكْنَةً
فِي رِيَاضِ قُرْنِ الْبِشْرِ بِهَا
وَاعْصِ مِنْ لَامِكٍ فِيهَا طَائِعاً
أَتْرَى مُسْتَعْظَمَ الْوِزْرِ بِهَا
أَنْعَمَ الْعَيْشَةَ مَا قَضَيْتُهَا
فَتَعَاظَاهَا إِلَى أَنْ يَنْجَلِي

خَمْرَةً مَا اجْتَمَعَتْ [يَوْمًا]^(*) مَعَ الْهَمِّ
أَوْ كِنَارٍ فِي فَوَادِ الْمَاءِ تُضْرَمُ
رِصْعَ الْيَاقُوتِ بِالْأَدْرِ الْمَنْظَمِ
أَوْجُهًا مِنْ شَرْبِ رَاحِ تَتَبَسَّمُ
مِثْلَهَا قَدْ يُحْمَدُ الْدَهْرُ الْمَذْمُومُ
قَبْلَ هَذَا أَنْ نُورًا يَتَجَسَّمُ
فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ مَنْ أَنْ يَتَكْتَمُ
أَوْشَكَتْ تُخْبِرُنَا عَمَّا تَقْدَمُ
مِنْ أَيْدِي مُنْيَةِ الْقَلْبِ الْمُتَمِّمِ
ذُو قَوَامٍ يُشْبِهُ الرَّمْحَ الْمُقْوَمُ
فَعَرَفْنَا مِنْهُ أَنَّ الْبَدْرَ قَدْ تَمَّ
غَيْرَ أَنِّي فِي هَوَاهُ أَتَأَلَّمُ
عَادَةَ الْمَالِكِ أَنْ يَرْتُو وَيَرْحَمُ
يَا لَقَوْمِي مِنْ ظُلُومٍ يَتَظَلَّمُ
تَخْضِبُ الْأَقْدَاحَ بِالصَّبْغِ الْمُعْتَدِمِ
قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ سُدَىً أَوْ تَتَنَدَّمَ
فَعَدَّتْ تَقْرِنُ دِينَاراً بِدَرْهَمِ
لَذَّةِ النَّفْسِ فَأَنْسُ النَّفْسِ الْأَزْمُ
لَيْسَ يَدْرِي أَنَّ عَفْوَ اللَّهِ أَعْظَمُ
مَعَ مَلِيحِ جَادٍ بِالْوَصْلِ وَأَنْعَمُ
مِنْ أَسَارِيرِ الدُّجَى مَا كَانَ أَظْلَمُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٥).

(*) في الطبعة (١): كلمة (يوماً) ساقطة من عجز البيت وأثبتناها من الطراز الأنفس.

فترى للصبوح في إثر الدجى
أو فکانا كجوادى حلبه
رفع الفجر لنا رايته
يا لها من ليلة في جنحها
رقص البان لها من طرب
نطق العود بأسرار الهوى
فحسبناها لما قد أطربت
لم تزل منا إلى حضرته
حكّم العافين في أمواله
هكذا كان وما زال كذا
لو نظرنا رقة في طبعه
فهو مثل الروض وافاه الحيا
لم ترق عينى سوى طلعتيه
بيضت وجه المنى أقلامه
وسطت في الخصم حتى أنها
مأهم يعلم ما يأتى من الـ
ذاك وارى الزند مغوار النهى
وإذا أبهم أمر في العلأ
طار في الأفق لك الصيى الذى
أنت والغيث جوادا حلبه
كم وردنا منك عذبا سائغاً
وبأغنا من أيادى المنى
بأبى أنت وأمى ماجداً

صارماً من شفق يلطخ بالدم
راح يتلو أشقر أثار أدهم
وتولى الليل بالجيش العرمم
حلل اللهبها كل محرم
وتثنى لحمام يترنم
فسكنا والأغاني تتكلم
أفصحت في مدح (عبد القادر) القرم^(١)
مدح تجبى ومال يتقسم
وهي في ما تشتهيه تتحكّم
إنها شنشنة من عهد أخزم^(٢)
لحسبناه نسيماً يتنسم
رائق المنظر زاه عطر الشم
أنا فيها لم أزل أنجو من الغم
إن يكن وجه المنى أسود أسحم
فتكت فتك القنا في مهجة الخصم^(٣)
أمر إن شاء ويعض الناس ملهم
إن رمى أصمى وإن جادل أفحم
كشفت أراؤه عن كل مبهم
كلما أنجد في الأقطار أتهم
مثلما أنت مع العلياء توأم
كالحيا المنهل بل أمرى وأسجم
فيميناً إن يميناك لكالم
وملاذاً في معاليه لمن أم

(١) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٢) شنشنة أعرفها من أخزم) من أمثال العرب وأول من قاله جد حاتم الطائي.

(٣) القافية معيبة لوجود الساكنين.

إِنْ ذَكَرْنَا فَضَلَ أَرْبَابِ النَّدَى
 أَنْتَ وَاللَّهِ لِأَنْدَى مِنْ حَيَاً
 أَرْغَمَ اللَّهُ أَعْيَادِيكَ بِمَا
 وَفَدَاكَ الْقَوْمُ أَمَّا كَفُّهُمْ
 وَكَفَاكَ اللَّهُ أَسْوَاءَ أَمْرِي
 وَإِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ مَدْحاً
 فِلْسَانُ الْحَالِ مِنْ مَنِّي مُفْصِحُ
 أَنَا فِي مَدْحِكَ مَا بَيْنَ الْوَرَى
 خَدَمَ الْعَبْدُ عُلَاكُمْ شِعْرُهُ
 شَاكِرٌ مَوْلَايَ إِحْسَانِكَ بِي
 إِنْ تَفَضَّلْتَ عَلَى الدَّاعِي لَكُمْ
 أَسْأَلُ اللَّهَ لِعَلِيكَ الْبَقَا

كَنْتَ رَأْسَ الْكُلِّ وَالرَّأْسُ مُقَدَّمٌ
 مَسْتَهْلُ الْقَطْرِ بِالْجُودِ وَأَكْرَمُ
 يَجْدَعُ الْأَنْفَ بِهِ جَدْعاً وَيَرْغَمُ
 فَجَمَادٌ وَنَدَاهُمْ فَمَحْرَمُ
 ضَاكٌ يَكْشِرُ عَنْ أَنْيَابِ أَرْقَمِ
 أَيُّهَا الْمَوْلَى وَحُوشِيَتَ مِنَ الذَّمِ
 إِنْ يَكُنْ مِنْ لِسَانِ الْقَالِ أَبْكُمْ
 أَفْصَحَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ أَتَكَلَّمْ
 أَنْتَ فِي أَمْثَالِهِ مَا زِلْتَ تُخْدَمُ
 إِنْ إِحْسَانِكَ يَا مَوْلَايَ قَدْ عَمَّ
 بِقَبُولٍ فَتَفَضَّلْ وَتَكْرَمُ
 فَابْقُ فِي الْعَزْمِ مَدَى الْأَيَّامِ وَأَسْلَمُ

(١٦٨)

مَا كُنْتَ فَوَادَ صَبَبِكَ فِي جَمَالِكَ
 كَتَيْبٌ مِنْ جُفُونِكَ فِي سَقَامِ
 يَرُومٌ وَصَالِكَ الدَّنْفُ الْمُعْنَى
 تُحْرَمُ وَصَلٌ مِنْ يَهْوَاكَ ظُلْمًا
 وَمَا يَنْسَى لَكَ الْمُشْتَاقُ ذِكْرًا
 لَقَدْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ
 مَلِئْتُ وَمَا مَلِئْتُ عَنِ التَّجَافِي

فَلَا تُضْنِ (*) مُجِيبَكَ فِي دَلَالِكَ (٢)
 فَعَالِجُهُ وَإِلَّا فَهُوَ هَالِكُ
 وَلَوْ أَنَّ الْمَنْيَّةَ فِي وَصَالِكَ
 وَتَبْخُلُ فِيهِ حَتَّى فِي خِيَالِكَ
 أَيُّخْطَرُ ذِكْرُهُ (***) يَوْمًا بِبَالِكَ
 وَسُدَّتْ دُونَ وَجْهَتِهِ الْمَسَالِكَ
 فَلِمَ لَا مِلْتُ يَوْمًا عَنْ مَلَالِكَ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي أنه نظمها عند جواب الألويسي على الأسئلة الإيرانية.

(*) لعل صحتها (فَلِمَ تُضْنِي) وإلا يكون في البيت خبن.

(**) في الطبعة (١): (ذكرها) وصوابها من الطراز الأنفس.

فيا ظبي الصريم وأنت ريم
وإنك إن حكيت الصبح فرقاً
أقول لعاذل بهواك ياحي (*)
وبين الوجد والسوان (**)
بُعْدُ تُحِلُّ دَمًا مِنَ الْعَانِي حَرَامًا
وَهَبْنَا مِنْ زَكَاةِ الْحُسْنِ وَصَلًّا
وإننا في هواك كما ترانا
يؤمنا المنى فيك المنيا
وما طمعت النفوس سوى تلاق^(١)
منعت ورود ذلك التغر عني
أربع المالكية (***) بعد ليلى
سقيت الري من ديم الغواصي
أقاسي من ظبائك ما أقاسي
ويا قلباً يذوب عليك وجداً
يحملك الهوى حملاً ثقيلاً
ألا فانشد بـ(ذات الضال) قلبي
ولا تسلك بنا سبل الواحي
لقد أرشدت بل أضلت فيه
شجيت وأنت من وجددي خلي
فلا تحتل على صبري بشيء
ولا تعذل أخا دنف عليه
يزين صباح ذاك الفرق منه

لكم قنصت أسود في حبالك
حكي حظي الشقي سواد خالك
أصم الله سمعي عن مقالك
كما بين اتصالك وأنفصالك
فهلأ كان وصلك من حلالك
أما تجب الزكاة على جمالك
عطاشي لا تؤمنا ببالك
ويوقعنا غرامك في المهالك
وقد أطمعت^(***) نفسي في نوالك
فواظماً الفؤاد إلى زلالك
ضلالاً إن صبوت لغير ضالك
تجر ذبولهن على رمالك
وأعظم ما أكابد من غزالك
أرى هذا الغرام على وبالك
وما احتملت قلوب كاحتمالك
فعهدي أنه أضحي هنالك
فإني في سبيلك غير سالك
فلم أعرف رشادك من ضلالك
وها حالي - تكلتك - غير حالك
من العجز اتكلت على احتيالك
متى يصغي لقيلك أو لقالك
باسود من سواد الليل حالك

(١) في حديقة الورد ومجموعة السيد عبد الخالق: سوى تلاف.

(*) في الطبعة (١): (يلحو) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (والسوان) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (اطمعت) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (المالكة) وصوابها من الطراز الأنفس.

وما لك بالغرام وأنت عدلٌ
 أيملك بالهوى رقي وإني
 أ(محمود) الفضائل والسجايا
 لقد أوتيت غاية كل فضل
 إذا افتخرت بنو آل بال
 وأعجب ما نشاهد في أحاجي
 وكم أخرست منطيقاً بلفظ
 وفي مرأك للأبصار وحي
 وتصقع بالبلاغة والمعالي
 فيا فرع النبوة طبت أصلاً
 ظفرنا من نذاك بما نرجي
 وحسبك أنت أشرف من عليها
 وكم لله من سيف صقيل
 لنا من إسمك (المحمود) فال
 وما أنا قائل بنذاك وبلى
 إذا الأيام يوماً اظمأتنا
 وإن بارزت ب(البرهان) قوماً
 وكل منهم وله مجال
 تجيب إذا سئلت بكل فن
 وإنك أكثر العلماء علماً
 نعم هم في معاليهم رجال
 كمالك لا يُرام إليه نقص

تجور على المحب مع اعتدالك
 (شهاب الدين) لي بالفضل مالك
 حمدت من الأنام على فعالك
 بخوضك في العلوم وباشتغالك
 ففخر الدين أنت وفخر ألك
 بديهتك العجيبة وارتجالك
 فأفصح عن علك لسان حالك
 ينبتنا - فديتك - عن جلالك
 أشد على عدوك من نبالك
 ثمار الفضل تجنى من كمالك^(١)
 على أن ما ظفرنا في مثالك
 تشرفت البسيطة في نعالك
 بجوهره العناية في صقالك
 يخبر سائلك بسعد فالك
 لأن السويل نوع من بلالك
 وردنا من يمينك أو شمالك
 تحامى من يرومك في نزالك
 فما جالت جميعاً في مجالك
 وتعجزهم جواباً عن سؤالك^(٢)
 وليست أقلهم إلا بمالك
 ولكن لم يكونوا من رجالك
 وأين البدر تماً من كمالك

(١) في حديقة الورد: من ثمارك. وبها تختل القافية لأنها لامية.

(٢) هذا البيت لم يرد في الأصول. وقد أثبتناه من حديقة الورد ومجموعة السيد عبدالخالق العزاوي.

وما تحكي البدور التَّمَّ إِلَّا
سجايك الجميلة خَبَّرْتَنَا
خلال كُأُها كرمٌ وجودٌ
وما في الناس من تَلْقَاهُ إِلَّا
وتولي في جميلك كل شخص
لقد أمنتني خوف الليالي
تعالى قدرك العالي محلاً
وصفتك بالفضائل والمعالي

بوجهك وارتفاعك وانتقالك
بأن الحُسنَ مَعْنَى من خصالك
تجمعت المكارم في خالك
ويسأل من علومك أو نوالك
كأن الخلق صارت من عيالك
وإنني إن بقيتُ ففي ظلالك (*)
وعندي أن قدرك فوق ذلك
ولم تك سيدي إلا كذلك (١)

(١٦٩)

هلاً نَظَرْتَ إِلَى الكئيب الواله
أودى بمُهْجَتِهِ هَوَاكَ ولم يدع
الله في كبدٍ تذبُّ ومدمع
وحشاشة تُورِي عليك وناظر
أظنه يسألو هواك على النوى
عذراً إليك فلو بدا لك ما به
ويلى من الحي المراق له دمي
هذا يصول بطرفه ويقده
من كل مُعْتَقِلٍ قناة قوامه

وسألتَه مُسْتَكْشِفاً عن حاله (٣)
منه الضنى إلا رسوم خياله
أهرقت صوب مصونه ومذاله
ممن دعا لوبالها ووباله
تاله ما خطر السلو بباله
ما كنت إلا أنت من عذاله
في غاب ضيغمه كناس غزاله
صولات ذاك برمحه ونصاله
والطعن كل الطعن من عسالة

(١) تكررت القافية مباشرة.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٣) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (نوى).

(*) في الطبعة (١): (خلالك) والصواب من الطراز الأنفس.

رامٍ يُسَدِّدُ سَهْمَهُ وَيَرِيثُهُ
 مَرَّتْ مُمْسِكَةَ الصَّبَا فتنَفَّسَتْ
 ولكم جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ رُضَابِهِ
 لَا تَعْدِلَنَّ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى
 أَمَا رَحِيلُ تَصْبُرِي وَتَجْلُدِي
 إِنَّ تَنْشُدَا قَلْبِي وَعَهْدُكُمَا بِهِ
 يَا أَيُّهَا الْحَادِي أَمَا بِكَ رَأْفَةٌ
 عَجَّتَ الْمُطَيِّ لِمَنْزِلِ مُسْتَوِيلٍ
 وَلَقَدْ سَأَلْتَ فَمَا أَجَابَكَ رَبُّعُهُ
 سَحَبَ النَّسِيمِ عَلَى ثَرَاكِ إِذَا سَرَى
 يَا دَارَنَا وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا
 سَقِيَا لِعَهْدِكَ بِالْغَمِيمِ وَإِنْ مَضَى
 قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ عَيْشَكَ لَمْ يَدَمْ
 قَسَتْ الْأُمُورَ بِمَثَلِهَا فَعَرَفْتُهَا
 وَتَقَلُّبِي فِي النَّائِبَاتِ أَبَا حَنِي
 أَنِّي تَفُوزُ بِمَا تَحَاوَلُ هَمَّتِي
 وَأَرَى الْمُهَذَّبَ فِي الزَّمَانِ مُعَذَّبًا
 لَا كَانَ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ مُتَمَرِّدٍ
 سَعِدَ الشَّقِيُّ بِعَيْشِهِ فِي جَهْلِهِ
 وَأَنَا الَّذِي فَهَرَ الزَّمَانُ بِصَبْرِهِ
 مَا زِلْتُ نَدَبَ الْأَكْرَمِينَ وَإِنْ يَكُنْ
 لَلَّهِ دُرٌّ (أَبِي جَمِيلٍ) إِنَّهُ

أَحْشَايَ مِنْ أَعْرَاضٍ وَقَعَ نِبَالَهُ
 عَنْ وَرْدٍ وَجَنَّتِهِ وَمِسْكَةَ خَالَهُ
 مَا كَانَ عِنْدَ السُّكْرِ مِنْ جَرِيَالِهِ
 وَدَعَّ الْمَشُوقَ كَمَا عَلِمْتَ بِحَالِهِ
 فَغَدَاةَ جَدِّ الرِّكْبِ فِي تَرَحَالِهِ
 (صَاعَ الْعَزِيزِ) فَإِنَّهُ بِرَحَالِهِ (١)
 بِالرِّكْبِ مُنْحَطَّ الْقُوَى لِكَلَالِهِ
 حَتَّى وَقَفَتْ بِهِ عَلَى أَطْلَالِهِ
 فَعَلَامَ تَكْثُرُ بَعْدَهَا بِسْوَالِهِ
 أَرْجَا يُفْوَحُ الْمَسْكُ مِنْ أَذْيَالِهِ
 مَا إِنْ يَصُوبُ الرِّيَّ صَبُّ سِجَالِهِ
 وَتَصَرَّمَتْ أَوْقَاتُهُ بِظَلَالِهِ
 وَيَصُرَّتْ قَبْلَ دَوَامِهِ بِزَوَالِهِ
 وَلَقَدْ يِقَاسُ الشَّيْءُ فِي أَمْثَالِهِ
 نَظَرًا إِلَى غَايَاتِهِ وَمَالِهِ
 وَالدهْرُ مُلْتَفِتٌ إِلَى أَنْذَالِهِ
 فِي النَّاسِ فِي أَقْوَالِهِ وَفِعَالِهِ
 مَاذَا يُلَاقِي الحُرُّ مِنْ أَهْوَالِهِ
 وَأَخُو الكَمَالِ مُعَذَّبٌ بِكَمَالِهِ (٢)
 جَلْدًا عَلَى الْأَرْزَاءِ مِنْ أَنْكَالِهِ
 قَلَّ الكَرِيمُ النَّدْبُ فِي أَجْيَالِهِ
 بَهَرَ الْعُقُولَ جَمِيلُهُ بِجَمَالِهِ

(١) إشارة إلى حكاية سيدنا يوسف وإخوته، حين وضع صواع الملك في رحل أخيه.

(٢) قال المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

شرح الديوان للعكبري ٤/ ١٢٤.

جَبَلٌ مَنِيعٌ لَا مَنَالَ لِفَخْرِهِ
 لَا تَعْدِلُنْ بِهِ الْأَنَامَ بِأَسْرِهِا
 فَالْكُ تَدُورُ بِهِ شَمُوسٌ مَنَاقِبِ
 فَسَلِ النُّجُومَ الزُّهْرَ وَهِيَ طَوَالِعِ
 مُتَوَقِّلِ جَبَلِ الْأُبُوءِ لَمْ يَزَلْ
 فَمَضَتْ عَزَائِمُهُ عَلَى أَمَالِهِ
 طَوْدُ تَوَقَّرِهِ الْحُلُومُ وَيَاذِخِ
 حَسَبُ الْمَكَارِمِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا
 أَصْبَحْتُ أَعْذُرُ مِنْ يَتِيهِ بِمَدْحِهِ
 فَكأنَّمَا اغْتَبَقَ الْقَرِيضُ بِذِكْرِهِ
 يَرْتَاحُ لِلْجَدْوَى فَيَطْرَبُ أَنْ يَرَى
 وَإِذَا انْتَقَدَتْ بَنِي الزَّمَانِ وَجَدَّتُهُ
 هُوَ شَرَعَةُ الظَّامِي إِذَا اتَّقَدَ الظُّمَأُ
 وَأَنَا الْغَرِيقُ مِنَ الْجَمِيلِ بِزَاخِرِ
 فِي كُلِّ لَيْلٍ حَالِكٍ مِنْ حَادِثِ
 لَا غَرُوبَ أَنْ أُكْفَى بِهِ عَنْ غَيْرِهِ
 فَكَأَنَّهُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِهَا أَبُ
 وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ نِضَالَهُ
 فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ لِمَشْتَجِرِ الْقَنَا
 كَالْعَارِضِ الْمَنْهَلِ يَوْمَ نَوَالِهِ
 بِأَبِي الْقَوُولِ الْفَاعِلِ الْقَرْمِ الَّذِي
 إِنِّي نَعِمْتُ بِجَاهِهِ وَبِمَالِهِ
 شَمَلْتَنِي الْأَلْطَافُ مِنْهُ بِسَاعَةِ
 لَا زَالَ يُقْبَلُ بِالْعِطَاءِ عَلَيَّ مِنْ
 مُتَتَابِعِ النُّعْمَاءِ جُلُّ مَارَبِي
 وَمُحَمَّلِي بِالْفَضْلِ شُكْرًا سَرْنِي

قَصُرَتْ يَدُ الْأَمَالِ دُونَ مَنَالِهِ
 شَتَّانَ بَيْنَ تُلُوبِهِ وَجِبَالِهِ
 يُشْرِقُنْ بَيْنَ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ
 هَلْ كُنَّ غَيْرَ خِلَالِهِ وَخِصَالِهِ
 فِي الْقَلَّةِ الْقَعَسَاءِ وَطَهُ نَعَالِهِ
 وَقَضَتْ مَكَارِمُهُ عَلَى أَمْوَالِهِ
 لَا يَطْمَعُ الْحَدَثَانُ فِي زَلْزَالِهِ
 مِنْ بَعْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَآلِهِ
 عُدْرَ الْمَلِيحِ بِتِيهِهِ وَدَلَالِهِ
 كَأَسِ الشُّمُولِ تَرْقِرَتْ بِشِمَالِهِ
 وَهَّابَ غُرِّ الْمَالِ قَبْلَ سَوَالِهِ
 رَجُلَ الزَّمَانِ وَوَاحِدًا بِرَجَالِهِ
 أَظْمَأَ وَلَمْ أَفْقِدْ نَمِيرَ زَلَالِهِ
 يَكْفِي الْقَلْبُ النُّزْرُ مِنْ أَوْشَالِهِ
 إِنِّي لِمَرْتَقِبٌ طُلُوعِ هِلَالِهِ
 هَلْ كُنْتُ إِلَّا مِنْ أَقْلٍ عِيَالِهِ
 يَحْنُو لِرَأْفَتِهِ عَلَى أَطْفَالِهِ
 مَا أَنْتَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ أَبْطَالِهِ
 ضَاقَتْ فَسِيحَاتُ الْخُطَى بِمَجَالِهِ
 وَالصَّارِمِ الْمَنْسَلِ يَوْمَ نَزَالِهِ
 تُجْنَى ثِمَارُ الصِّدْقِ مِنْ أَقْوَالِهِ
 تَعَسَ الْبَخِيلُ بِجَاهِهِ وَبِمَالِهِ
 قَبَّلْتُ ظَهْرَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
 أَفْضَالَهُ أَبَدًا وَمِنْ إِقْبَالِهِ
 فِيهِ وَمِعْظَمُ ثَرَوَتِي مِنْ مَالِهِ
 أَنِّي أَكُونُ الْيَوْمَ مِنْ حُمَالِهِ

عَقَلَ الْقَرِيضُ لِسَانَهُ عَنْ غَيْرِهِ
وَالْفَضْلُ يَعْرِفُهُ ذَوُّهُ وَإِنَّمَا
نَسَجَتْ يَدَاهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَلَابِسًا

وَرَأَى لِسَانِي فِيهِ حَلَّ عِقَالِهِ
عَرَفَ الْفَتَى مِنْ كَانَ مِنْ أَشْكَالِهِ
لَا تَنْسِجُ الدُّنْيَا عَلَى مَنُوَالِهِ

(١٧٠)

لِفَقْدَانِ (عَبْدِ الْوَاحِدِ) الدَّمْعِ قَدْ جَرَى
تَذَكَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ حَوْلٍ فَأَذْرَقَتْ
فَكَفَكْتُ مِنْ عَيْنِي بِوَادِرِ عِبْرَةٍ
أَقَامَ عَلَيَّ الْعَيْدُ فِي النَّحْرِ مَاتِمًا
لِنِّ غَيْبُوهُ فِي الثُّرَابِ وَأَظْلَمَتْ
فَمَا أَغْمَدُوا فِي الثُّرْبِ إِلَّا مُهَنَّدًا
أُصِيبْنَا وَأَيْمُ اللَّهِ كُلُّ مَصِيبَةٍ
فِيَا لَكَ مِنْ رِزءٍ أَصَابَ وَحَادِثٍ
تَفَقَّدْتُ مِنْهُ وَابِلَ الْقَطْرِ مُمَطِّرًا
وَمَا كَانَ أَبْهَى مِنْهُ فِي النَّاسِ مِنْظَرًا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَنِيَا رِزِيَّةً
تَهَيِّجُ أَحْزَانًا وَتَبْعُثُ زَفْرَةً
تُكَدِّرُ إِخْوَانَ الصَّفَا فِي انْبِعَاثِهَا
أَجَلٌ مُصَابِ الدَّهْرِ فَقَدْ كَ مَا جَدًّا
وَقَوْلِكَ مَاتَ الْأَكْرَمُونَ فَلَمْ نَجِدْ

وَأَجْرِي نَجِيعًا لِلْمَدَامِعِ أَحْمَرًا
عَلَيْهِ جُفُونِي حَسْرَةً وَتَذَكَّرًا
وَمَا خَلَّتْهَا لَوْلَاهُ أَنْ تَتَحَدَّرًا
وَأَظْهَرَ مَا قَدْ كَانَ فِي الْقَلْبِ مُضْمَرًا
مَعَالِمٌ كَانَتْ تَفْضُحُ الصَّبْحِ مُسْفِرًا
وَلَا حَمَلُوا فِي النِّعْشِ إِلَّا غَضَنْفَرًا
بَارُوعَ أَبْكَى الْأَجْنَبِينَ وَلَا مِرَا
أَلْمَ وَخَطْبِ فِي الْجَلَامِيدِ أَثْرًا
وَفَارَقْتُ مِنْهُ طَلْعَةَ الْبَدْرِ نَيْرًا
وَلَا كَانَ أَزْكَى مِنْهُ فِي النَّاسِ مَخْبَرًا
تَكَادُ لَهَا الْأَكْبَادُ أَنْ تَتَفَطَّرًا
وَتُرْسِلُ فِي فَقْدِ الْأَحْبَبَةِ مِنْذَرًا
وَأَيُّ صَفَاءٍ لِامْرِئٍ مَا تَكْدَرًا
وَدَفْنُكَ أَجْدَاثَ الْأَكَارِمِ فِي الثُّرَى
زَعِيمًا إِذَا مَا أوردَ الْأَمْرَ أُصْدِرًا^(١)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٥).

(٢) مقتبس من قول النابغة الجعدي:

ولا خير في جيل إذا لم يكن له

التمثيل والمحاضرة ص ٦٢.

كبير إذا ما أورد الأمر أصدرًا

وما حيلة الإنسان في ما ينوبه
 وهَبَكَ اتَّقَيْتِ الرِّزَّ حَيْثُ أُرِيَتْهُ
 ونحنُ مع المقدورِ نَجْرِي إِلَى مَدَى
 إِذَا لَمْ تُمَتَّعْ بِالْبَقَاءِ حَيَاتُنَا
 عَلَى ذَاهِبٍ مَتْنَا بِرِغْمِ أَنْوْفِنَا
 وَمَا أَنَا بِالنَّاسِي صِنَائِعِهِ الَّتِي
 فَاتَّنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ حَيًّا وَمَيِّتًا
 وَإِنِّي مَتَى ضَوَعْتُ طَيِّبَ ثَنَائِهِ
 تَبَارَكَ مَنْ أَنْشَاكَ يَا (ابْنَ مَبَارَكٍ)
 وَمَا زَلْتُ حَتَّى اخْتَارَكَ اللَّهُ طَاهِرًا
 إِلَى رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ وَالْفَوْزِ بِالرِّضَا
 وَمَا كَانَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَمَسُّكِي
 كَفَى الْمَرْءَ فِي الْأَيَّامِ مَوْعِظَةً بِهَا
 وَلَا بَدَأَ أَنْ تَلْقَى الْمُنُونَ نَفُوسُنَا
 وَإِنَّ اللَّيَالِي لَمْ تَزَلْ بِمُرُورِهَا
 أَتَطْمَعُنَا أَمَّا لَنَا بِبَقَائِنَا
 وَإِنَّ الْمَنَايَا لَا أَبَالَكَ لَمْ تَدْعُ
 أَغَارَتْ عَلَى الْأَقْيَالِ مِنْ (أَلِ حَمِيرٍ)
 فَمَا مَنَعَتْ عَنْهَا حِصُونٌ مَنِيْعَةٌ

إذا كان أمرُ الله فيه مُقَدَّرًا
 فكيف بمن يأتيك من حيث لا ترى
 وليس لنا في الأمر أن نَتَخَيَّرًا
 فلا خيرَ في هذي الحياة التي نرى
 نعالجُ حزنًا أو (نموتَ فنُعْذِرًا)^(١)
 تُذَكِّرُنِيهِ كُلَّ أَنْ تَذَكُّرَا
 وَأشكره ما دمتُ حَيًّا مُذَكِّرَا
 فَتَقْتُ بِهِ مَسْكَأً وَأَشْمَمْتُ عُنْبِرَا
 جَمِيلًا مِنَ الْمَعْرُوفِ لَنْ يَتَنَكَّرَا
 فَكُنْتُ كَمَاءِ الْمِزْنِ عَذْبًا مُطَهَّرَا
 سَبَقْتُ وَمَا أَسَبَقْتُ فِينَا التَّصَبُّرَا
 أَلَا إِنَّ ذَاكَ الصَّبْرَ مُنْقَصِمُ الْعُرَى
 وَتَبْصِرَةٌ فِيهَا لَنْ قَدْ تَبْصُرَا
 وَلَوْ أَنَّنا عَشْنَا زَمَانًا وَأَعْصُرَا
 تَسَلُّ عَلَيْنَا بِالْأَهْلَةِ خَنْجَرًا^(٢)
 بِكُلِّ حَدِيثٍ مَا هُنَاكَ مُفْتَرَى
 مِنَ النَّاسِ سِرْبًا مَا أُرِيْعُ وَأُدْعِرَا
 وَجَاءَتْ عَلَى (كَسْرِي) الْمَلُوكِ (قَيْصِرَا)
 وَلَا كَشَفْتُ مِنْ فَادِحِ الْخَطْبِ مَا عَرَا

(١) أخذته من قول امرئ القيس:

فقللت لا تبك عينك إنما

(٢) اقتبسها الشاعر معروف الرصافي بقول:

أرى الأيام ظمامنة وليست

بغير دم الأنعام تريد ريبًا

ولولم تنوح ريبًا ما تبدى

بها شكل الأهلة خنجريا

لئن غابَ عن أبصارنا بوفاته
فَقَدْنَاكَ فِإفْدَانِ الزَّلَالِ عَلَى الظُّمَاءِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا كُنْتَ صَانِعًا
وَكُنْتَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَشْبَعُ جَائِعًا
وَإِنِّي لِأَسْتَسْقِي لَكَ اللَّهَ وَابِلًا
يَصُوبُ عَلَى قَبْرِ يَضْمُكَ لَحْدَهُ
سَقَاكَ الْحَيَا الْمَنْهَلُ كُلَّ عَشِيَّةٍ
فَقَدْ كُنْتَ لِلظُّمَانِ أَعْدَبَ مَنْهَلٍ
وَقَدْ كَانَ فِيكَ الشُّعْرُ يَنْفُقُ سُوقُهُ
وَقَدْ سَأَنِي أَنْ أَصْبَحَ الْفَضْلُ كَأَسَدًا
وَقَدْ خَمَدَتْ نَارُ الْقِرَى دُونَ طَارِقٍ
وَعُودِرَ سَارِي الْحَمْدِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ
فَلَا أُخْصِبْتُ أَرْضُ (الْخَصِيبِ) وَلَا زَهَا
لَقَدْ كَانَ صُبْحِي مِنْ جَبِينِكَ وَاضِحًا
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً
مَحَاسِنُ ذَاكَ الْعَصْرِ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ
وَكَانَتْ لَكَ الْأَيْدِي طَوَالًا إِلَى الْعُلَا
فَكَمْ رَاغِبٍ فِيهَا وَكَمْ طَامِعٍ بِهَا
وَمِنْ مَكْرُمَاتٍ تَمْلِكُ الْحُرَّرِ رِقَّةً
وَمِنْ حَسَنَاتٍ تُخَلِّقُ الدَّهْرَ جِدَّةً
وَكَم مَعْسِرٍ بَدَلَتْ بِالْعَسْرِ يُسْرَهُ (١)

فَمَا زَالَ فِي الْأَفْكَارِ مَنَا مُصَوِّرًا
فَلَا مَنَهْلٌ إِلَّا وَمَوْرِدُهُ جَرَى
مِنَ الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ فِي سَائِرِ الْوَرَى
وَتَطْعَمُ مَسْكِينًا وَتَكْسُو لِمَنْ عَرَى
مَتَى اسْتَمَطَّرَ الصَّادِي عَزَالِيهِ أَمْطَرَا
وَيَسْطَعُ مَسْكًا مِنْ أَرِيحِكَ أَذْفَرَا
وَرَوَاكَ مِنْ قَطْرِ الْغَمَامِ مُبَكَّرَا
وَقَدْ كُنْتَ غَيْثًا بِالْمَكَارِمِ مُمَطَّرَا
لَدَيْكَ وَيُبْتَاعُ الثَّنَاءُ وَيَشْتَرَى
وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ مُقْفَرَا
فَلَا جُودَ لِلْجَدْوَى وَلَا نَارَ لِلْقِرَى
مِنَ الْأَرْضِ مَصْرُوفَ الْعِنَانِ عَنِ السَّرَى
بِهَا الرَّبْعُ مَأْنُوسًا وَلَا الرَّوْضُ مُزْهِرَا
وَقَدْ كَانَ لَيْلِي مِنْ مُحَيَّاكَ مُقْفَرَا
وَيَا لَيْتَنِي أَدْرِي وَمَنْ ذَا الَّذِي دَرَى
وَرَوْنَقُ ذَاكَ الْحُسْنِ كَيْفَ تَغْيِيرَا
تَنَاوَلُ مَجْدًا فِي الْمَعَالِي وَمَقْفَرَا
أَمَدَّ لَهَا الْبَاعَ الطَّوِيلَ فَقَصَّرَا
تَطَوَّقُ مِنْ أَيْدِيكَ جِيدًا (*) وَمِنْحَرَا
كَتَبْتَ بِهَا فِي جَبْهَةٍ (**) الْمَجْدَ أَسْطَرَا
وَمَا زِلْتَ لِلْفِعْلِ الْجَمِيلِ مُيسِّرَا

(١) فِي الْأَصُولِ: (وَكَم مَعْسِرٍ بَدَلَتْ بِالْيَسْرِ عَسْرَهُ) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ لِأَنَّ الْبَاءَ تَدْخُلُ عَلَى الْمَهْمَلِ.

(*) فِي الطَّبْعَةِ (١): (يَدًا) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

(**) فِي الطَّبْعَةِ (١): (جِبْهَتَهُ) وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

ولو كانت الأنصار تُنجي من الردى
فكم مُقلّةٍ أذرتُ عليك دُموعها
وكم كبدٍ حرى يُحرِّقها الأسي
وليلةٌ تذكيني بذكرك زُفرةً

نَصْرُنَاكَ إِذْ وَافَاكَ نَصْرًا مُؤَزَّرَا
وَمُهْجَةً صَادٍ أَوْشَكَتُ أَنْ تَسْعُرَا
تَكَادُ عَلَى ذِكْرَاكَ أَنْ تَتَفَطَّرَا
حَرَامٌ عَلَى عَيْنِي بِهَا سِنَّةُ الْكُرَى

(١٧١)

مَنْ لِصَبِّ فِي هَوَاكُمُ مُسْتَهَامٍ
فَعَلَى خَدَيَّ مَا تَسْقِي الْحَيَا
فَسَقَاكُمْ غَدَقًا مِنْ أَدْمُعِي
عَبْرَاتٍ لَمْ أَزَلْ أَهْرِقُهَا
زُفْرَةٌ رَدَدْتَهَا فَاخْطَرَمَتْ
هَلْ عَلِمْتُمْ بَعْدَمَا قَوَّضْتُمْ
فَارَقْتُ عَيْنَايَ مِنْكُمْ أَوْجُهَاً
فِي عَذَابِ الْوَجْدِ مَا أَبْقَيْتُمْ
مُهْجَةً ذَاهِبَةً فِيكُمْ وَمَا
عَرَضْتُ وَاعْتَرَضَ الْوَجْدُ لَهَا
قُلْ لَنْ سَدَدَ نَحْوِي سَهْمُهُ
طَالَمَا مَرَّ بِنَا ذِكْرُكُمْ
وَبِمَا أُتْحَفُ مِنْ أَحْبَابِكُمْ
أَوْ كَانَتْ عَنْكُمْ رِيحُ الصَّبَا
أَيْنَ ذَاكَ الْعَهْدُ فِي ذَاكَ الْحَمَى
إِنَّ أَيَّامِي فِي وَادِي الْغَضَا

دَنَفٍ نَهَبَ وَلُوعٍ وَعَـرَامٍ
وَعَلَى جِسْمِي ثَوْبٌ مِنْ سَقَامٍ
مُسْتَهْلُ الْقَطْرِ مِنْهَلُّ الْغَمَامِ
أَوْ يَبُلُّ الدَّمْعُ شَيْئًا مِنْ أَوْامِي
فِي حَشَا الصَّبِّ أَشَدُّ الْإِضْطْرَامِ
أَنْ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ نَوْحُ الْحَمَامِ
أَسْفَرْتُ عَنْ طَلْعَةِ الْبَدْرِ التَّمَامِ
مِنْ فَوَادِي فِي غَرَامٍ وَهِيَامِ
ذَهَبَتْ يَوْمَ نَوَاكِمِ بِسَلَامِ
وَرَمَاهَا مِنْ رُمَاةِ السَّرْبِ رَامِ
مَنْ أَحَلَّ الصَّيْدَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ
فَتَتَنَّى كُلُّ مَمْشُوقِ الْقَوَامِ
رَبِّمَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْ كُلِّ مَدَامِ
نَسَمْتُ بَيْنَ حُزَامِي وَثُمَّامِ
وَالْوَجُوهُ الْغُرَّ فِي تِلْكَ الْخِيَامِ
لَمْ تَكُنْ غَيْرَ خِيَالٍ فِي مَنَامِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

من مُعِيرِي(*) لِي مِنْهَا زَمْنًا
وَأَحْبَبَاءً كَأَنْ لَمْ يَأْخُذُوا
فَرَقَّتْ شَمْلَهُمْ صَرْفُ النَّوَى
ولقد طالت عليهم حَسْرَتِي
لستُ أَنَسَى العَيْشَ صَفْوًا وَالهَوَى
بَيْنَ نُدْمَانٍ كَأَنْ قَدْ أَصْبَحُوا
يُنْتَرُ اللُّوْلُؤُ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ
تَفَعَّلَ الرَّاحُ بِهِمْ مَا فَعَلْتُ
إِنَّمَا كَانَتْ عِلَاقَاتِ هَوَى
وَأَنْقَضَى العَهْدُ وَأَيَّامَ الصَّبَا
أَسْفَاءً لِلشُّعْرِ لَا حَظَّ لَهُ
فَلِقَوْمٍ حَلِيَّةٌ يَزْهَوُ بِهَا
وَالقَوَافِي إِنْ تُصَادَفَ أَهْلُهَا أَدْ
وَقَوَافِيَّ الَّتِي أَنْزَلْتُنَّهَا
أَبْلَجٍ مِنْ هَاشِمٍ أَوْضَحَ مِنْ
إِنْ يَجِدُ كَانَ سَحَابًا مُمَطَّرًا
يَعْلَمُ الوَارِدُ مِنْ تَيَّارِهِ
يَا لِقَوْمٍ أَرْهَبُوا أَوْ أَرْغَبُوا
شَمَلَ المَعْرُوفُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ
فَهُمُ الأَشْرَافُ أَشْرَافُ الوَرَى
هُم مَلَأُوا الخَلْقَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ
نَشَأُوا فِي طَاعَةِ اللّهِ فَمَنْ
رَضَعُوا دَرًّا أَفْوَيقَ العُلَا
وَإِذَا مَا أَرْهَفُوا بِيضَ الظُّبَى
بِأَكْفٍ مِنْ أَيَادِيهِمْ هَوَامٍ

يُرْجِعُ الشَّيْخَ إِلَى سِنِّ الغِلامِ
مِنْ أَبْيَاتِ المَعَالِي بِخُطَامِ
وَرَمَتْهُمْ بَعَوَادِيهَا المَرَامِي
فَأَقْصِرَا إِنْ تُنْصِفَانِي مِنْ مَلَامِ
رَائِقًا وَالكَأْسَ نَارًا فِي ضِرَامِ
مِنْ خُطُوبِ الدَّهْرِ طُرًّا فِي ذِمَامِ
فَتَرَى مِنْ نَتْرِهِمْ حُسْنَ النِّظَامِ
هَذِهِ الدُّنْيَا بِأَبْنَاءِ الكِرَامِ
أَصْبَحَتْ بَعْدَ اتِّصَالِ بِأَنْصِرَامِ
أَجْفَلَتْ - مِنْ بَعْدُ - إِجْفَالِ النِّعَامِ
فِي زَمَانِ الجَهْلِ وَالقَوْمِ اللُّئَامِ
وَأَقْوَامِ سِمَامٍ كَالسِّهَامِ
سَجَمَتْ فِي مَدْحِهِمْ أَيَّ أَنْسِجَامِ
مِنْ (عَلِيٍّ) النِّقَدْرِ فِي أَعْلَى مَقَامِ
وَضَحِ الصُّبْحِ بَدَا بِأَدْيِ اللُّثَامِ
أَوْ سَطَا كَانَ عَزِيزًا ذَا انْتِقَامِ
أَيَّ بَحْرٍ ذَا مِنَ الأَبْحَارِ طَامِ
مِنْ كِرَامٍ بِحُسَامٍ أَوْ حُطَامِ
مَنْ عَرَفْنَا مِنْ بَنِي سَامٍ وَحَامِ
وَهُمُ السَّادَاتُ سَادَاتُ الأَنْبَامِ
شَفَعَاءُ الخَلْقِ فِي يَوْمِ القِيَامِ
قَائِمٌ بِالقَسْطِ أَوْ حَبْرٍ هُمَامِ
وَعُدُّوا بِالفَضْلِ مِنْ بَعْدِ انْفِطَامِ
أَعْمَدُوهَا فِي الوَعَى فِي كُلِّ هَامِ
وَسَيُوفٍ مِنْ أَعَادِيهِمْ دَوَامِ

(*) في الطبعة (1): (معيّر) وصوابها من الطراز الأنفس.

ظَلْتُ أُرْوِي خَبْرًا عَنْ بَأْسِهِمْ^(١)
وَإِذَا كَانَتْ سَمَاوَاتُ الْعُلَا
يَا رَبِيعَ الْفَخْلِ فَضلاً وَندى
أَنْتَ لِلرَّائِدِ رَوْضُ أَنْفٍ
فَإِذَا رُمْتَ بِإِلَالِ لِحْصَدِي
يَا شَبِيهَ الشَّمْسِ فِي رَأْدِ الضُّحَى
لَمْ يَزِدْنِي الشُّكْرُ إِلَّا نِعْمَةً
نَبَّهْتَ لِي أَعْيْنَ الْحِظِّ الَّتِي^(٢)
بَسَطْتَ أَيْدِيكَ لِي وَأَقْتَطَفْتَ
قَدْ تَجَهَّمْنَا سَحَاباً لَمْ تَكُنْ^(٣)
فَأَنْنَاءُ بِالَّذِي نَعْرِفُهُ
عَادَكَ الْعَوِيدُ وَلَا زَلْتَ بِهِ
فَابِقْ وَاسْلَمْ لِلْعُلَا مَا بَقِيَتْ

عَنْ سِنَانِ الرَّمَحِ عَنْ حَدِّ الْحَسَامِ
فَهُمْ مِنْهَا سَوَارِيهَا السَّوَامِي
وَحَيَاةَ الْجُودِ فِي الْمَوْتِ الزَّوَامِ
وَزَلَالَ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ لِظَامِي
مَا تَعَدَّكَ إِلَى الْمَاءِ مَرَامِي
وَنظِيرَ الْبَدْرِ فِي جُنْحِ الظَّامِ
قُرَيْتُ مِنْكَ عَلَيْنَا بِالِدَوَامِ
لَمْ تَكُنْ يَوْمئِذٍ غَيْرَ نِيَامِ
بِيَدِ الْإِحْسَانِ أَزْهَارِ الْكَلَامِ
مِنْكَ، وَالْخَيْبَةُ تُرْجَى بِالْجَهَامِ
وَأَمْتِدَاحُ بِافْتِتَاحِ وَإِخْتِتَامِ
بِعَدْمَا قَدْ فُرِزْتَ فِي أَجْرِ الصِّيَامِ
سَيِّدِي أَنْتَ وَدُمُّ فِي كُلِّ عَامِ

(١٧٢)

أَتَذَكَّرُ دُونَ (الْجَزَعِ) بِ (الْخَيْفِ) أَرْبَعًا
تَعَاوَرَهَا صَرْفُ الزَّمَانِ فَأَصْبَحَتْ
تَخَالَ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ بِأَرْضِهَا
مَعَالِمٌ تَسْتَسْقِي* السَّحَابَ رَسُومُهَا
مَنَازِلَنَا مِنْ دَارِ (سَلْعِ) وَ (لَعْلَعِ)

وَلَعَّتْ بِهَا وَالصَّبُّ لَا زَالَ مَوْلَعَا
مَعَالِمُهَا بَعْدَ الْأَوَانِسِ بَلْقَعَا
طَيُورًا عَلَى نَهْلٍ مِنَ الْمَاءِ وَقَعَا
فَتُسْقَى حَيَا وَبَلَيْنِ قَطْرًا وَأَدْمَعَا
سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الْمَزْنِ سَلْعًا وَلَعْلَعَا

(١) ظلت: لغة في ظللت. ومنه قوله تعالى: (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكنا...) سورة طه الآية (٩٧).

(٢) في الأصول: .. أعين الحظ الذي.

(٣) في الأصول: قد تجهمنا سجايا..

(٤) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(* في الطبعة (١): (تستقي) والصواب من الطراز الأنفس.

لئن كنت قد أصبحت مبكىً ومَجْزَعاً
تذكرتُ أيامي بـ(مُنْعَرَجِ اللَّوَى)
تدورُ العَواني بيننا بمدامةٍ
لقد أقلعتُ أيّامنا بعد (رامّةٍ)
وما أَخْلَفْتُ إلا فؤاداً(*) ولو عةً
وذا عبرةٍ موصولةٍ وحُشاشةٍ
رعى اللّه من لم يرعَ عهداً لمُعْرَمٍ
تناءى فَشَيَّعْتُ اصطباراً ومهجةً
ولم ترَ من صبِّ فؤاداً مودعاً
خليلي إن لم تسعداني فهاتيا
بعثتمُ إلى جسми الضنى يوم بنتمُ
وفتشتُ قلبي في هواكم فلم أجدُ
وكننتُ أداري بعدكم جائرَ الأسي
متى تنظرُ العينانِ من بعد فقدها
فيا ليت شعري في (الأبيريقي) بارقُ
ويا ليت من أهواه في الحبِّ حافظُ
إلى كم أعاني دمع جفنٍ مَقْرَحٍ
وأصبرُ في اللأواءِ حتّى كأنني
رُميتُ بأرزاءٍ من الدهرِ لو رمى
وأكثمُ عن غيري أموراً تسوؤني
ومن مَضَضِ الأيامِ مدحي عصابةً
كأنني إذا أدعوهم لملمّة
وهل تسمعُ الصمُّ الدعاءَ وترتجى^(١)

فقد كنت باللذات مرأى ومسمعا
وقولي هات الكأس يا سعد مُتْرَعاً
تخيلتها في الكأس نوراً مشعشعا
كما أجفل الغيث المثلث وأقلعا
هما أسقما هذا الفؤاد وأوجعا
تكاد من الأشواق أن تتقطعا
رعى له الود القديم كما رعى
ولولا النوى تنأى به ما تشيعا
إلى أن ترى يوماً حبيباً مودعا
ملامكما لي في الصبابة أو دعا
وزدتم إلى قلبي حنيناً مرجعا
لغير هواكم في الحشاشة موضعا
ولكنني لم أبق في القوس منزعاً
بذات الغضا ذاك الغزال المقتعا
فأغدو به والعيش صفاً ممتعا
من العهد ما قد كان بالأمس ضيعا
وقلباً بأعباءِ الهموم مروعا
وجدتُ اصطباري في الحوادث أنفعا
به الدهرُ (رضوى) مرةً لتصدعا^(**)
مخافةً يا لمياء أن يتوجعا
بذلتُ يداً فيهم وما نلتُ إصبعاً
أخاطبُ موتى راقدين وهجعا
مواردُ لا تُفنى من الآل لمعا

(١) اقتباس من الآية الكريمة (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) سورة الأنبياء الآية (٤٥).

(*) في الطبعة (١): والطران الأنفس (فؤاداً) ولعل صوابها (فراقاً) بدليل ورود كلمة (الفؤاد) في عجز البيت، وترداد كلمتي (الفؤاد)، و(القلب) في الأبيات التالية.

(**) في الطبعة (١): هذا البيت والبيت التالي متداخلان، وصواب ترتيبهما أخذناه من الطراز الأنفس.

وحسبي (شهاب الدين) وهو (أبو الثنا) متى ما دعا الداعي معاليه للندى وأبْلَجَ وضاح الجبين تخالُهُ ولما بدا نور النبي بوجهه له الكلمات الجامعات تخالها وإن كَتَبْتَ أَقْلَامُهُ فحَمَائِمٌ وَكُتُبٌ لَدَيْنَ اللَّهِ أَضَحَتْ مَطَالِعاً إِذَا ضَلَّتِ الْأَفْهَامُ عَنْ فِهْمِ مُشْكِلٍ وَإِنْ قَالَ قَوْلًا فَهُوَ لَا شَكَّ فَاعِلٌ كَلَامٌ تَرَى الْأَقْلَامَ فِي الطَّرْسِ سُجْدًا يُحَيِّرُ أَلْبَابَ الرِّجَالِ كَأَنَّمَا سَعَى طَالِباً بِالْعِلْمِ أَبْعَدَ مَطْلَبٍ دَعَا فَاتَى [طوعاً] ولو أن غيره (**)

وأدرع لم يَنْفُذْ به سَهْمٌ قَادِحٍ إِذَا بَاحَتْ الخِصْمَ الْأَكْدَ أَعَادَهُ وَذِي هِمَمٍ تَفْرِي الخُطُوبَ كَأَنَّمَا حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَقْتَنِيهَا مَحَامِدًا سَبَقَتْ جَمِيعَ الطَّالِبِينَ إِلَى التِّي لَقَدْ مَلَأَ الْأَقْطَارَ فَضْلُكَ كَلَّهَا وَمَهْمَا ادَّعَى ذُو النِّقْدِ أَنْكَ وَاحِدٌ وَإِنْ مُدَّتِ الْأَبْوَاعُ فِي طَلَبِ الْعُلَا فَإِنَّكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي بِهِ

مَلَاذًا إِذَا نَابَ الزَّمَانُ وَمَرَجِعَا أَجَابَ إِلَى الحُسْنَى بِدَارًا وَأَسْرَعَا تَبَلُّجَ صَبْحٍ أَوْ بِصَبْحٍ تَبَرُّقَعَا رَأَيْتُ بِهِ سِرَّ النُّبُوَّةِ مَوْدَعَا نَجُومًا بِأَفَاقِ البَلَاغَةِ طُلَّعَا تَبَّتْ^(*) إِلَى السَّمْعِ الكَلَامَ المُسَجِّعَا كَمَا كَانَتْ الْأَفْلَاكُ لِلشَّمْسِ مَطْلَعَا هَدَى وَعَلَيْهِ فِي الحَقِيقَةِ أُطْلِعَا قَوْلٌ مِنَ الْأَمْجَادِ إِنْ قَالَ أَبْدَعَا لَهُ وَتَرَى أَهْلَ الفَصَاحَةِ رُكَّعَا أَتَانَا بِإِعْجَازٍ مِنَ القَوْلِ مِصْقَعَا وَفِي اللَّهِ مَسْعَاهُ وَلِلَّهِ مَا سَعَى دَعَاهُ إِلَيْهِ مَرَّةً لَتَمَنُّعَا كَأَنَّ عَلَيْهِ سَابِغَاتٍ وَأَدْرَعَا بَعْرَنِينَ مَخْذُولٍ مِنَ الذَّلِّ أَجْدَعَا يُجَرِّدُهَا بِيضًا عَلَى الخُطْبِ قُطْعَا أَحَادِيثُهَا تَبْقَى حِسَانًا لِمَنْ وَعَى غَدَتْ دُونَهَا الْأَمَالُ حَسْرَى وَظَلُّعَا^(١) وَنَادَى إِلَيْهِ المَادِحِينَ فَاسْمَعَا فَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي الْأَنَامِ كَمَا ادَّعَى مَدَدَتْ إِلَى العَلِيَاءِ بُوْعًا وَأَدْرَعَا سَلَكَتَ طَرِيقًا أَعْجَزَ النَّاسَ مُسْبِعَا

(١) في الأصول... وضلعا.

(*) في الطبعة (١): (تبت) والصواب من الطراز الأنفس.

(**) هكذا ورد صدر هذا البيت في الطبعة (١): وقد سقطت منه كلمة هي (طوعاً) والتصويب من الطراز الأنفس.

أرى مَدْحَكَ العَالِي عَالِي فَرِيضَةً
عَالِي لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي هُوَ شَامِلِي
وَمَا ظَفِرْتُ كَفُّ اللَّيَالِي مِنَ الْوَرَى
وَإِنِّي إِذَا ضَاقَ الْخِنَاقُ لِحَادِثٍ
وَلَمْ أَرْ أُنْدَى مِنْكَ فِي النَّاسِ رَاحَةً

وغيرك لم أمدحه إلا تطوعاً
وإنك قد حُرِّتَ الفضائلَ أجمعا
بأرغبَ منِّي في نَدَاكَ وَأَطْمَعَا
تَرْفَعَتْ إِلَّا عَن نَدَاكَ تَرْفُعَا
وَأَمْرِي نَوَالاً مِنْ يَدَيْكَ وَأَمْرَعَا

(١٧٣)

وَفِظٌ غَلِيظٌ الْقَلْبِ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ
تُعْرِفُنِي فِي حَالِهِ النَّاسُ كُلُّهَا
وَقَالُوا لَقَدْ دَسَّ الْخَبِيثُ بِلَفْظِهِ
دَسَائِسُ لَا تَدْرِي الْيَهُودُ بَعُثْرَهَا
يُهُونُ لِدَعْ الْعَقْرَبَانَ بِلَدَغِهِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ
وَقَالُوا قَضَى فِي مَدْحِكَ الْحَمْدَ وَالْغِنَى^(٥)
وَقَالُوا لِأَجْلِ الْحَرَصِ غَالِي بِمَدْحِهِ
أَمِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَبْتَغِي الْمَالَ رَاجِياً
وَيَنْسِبُهُ لِلْبُخْلِ وَهُوَ (أَبُو الثَّنَا)

عَلَى النَّفْسِ مَا شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْغَضِّ^(٢)
وَإِنِّي لِأَدْرِي النَّاسَ فِي لَوْمَةِ الْمَحْضِ
غَدَاةً عَرَضَتْ الشُّعْرَ مِنْ عَرَضِ الْعَرَضِ^(٣)
دَعَتْهُ طِبَاعُ السُّوءِ لِلنَّهْشِ وَالْعَضِّ
وَلَا شَكَّ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ^(٤)
تَخَلَّقَ مِنْ حَقْدٍ وَصَوْرٍ مِنْ بَغْضِ
فَقُلْتُ لِبَسِّ الْحَكْمِ يَقْضِي وَلَمْ يُمْضِ^(٦)
وَأَطْمَاعُهُ لِلطَّوْلِ فِي شِعْرِهِ تَقْضِي
وَيَحْسَبُ أَنَّ الْجُودَ بِالطَّوْلِ وَالْعَرَضِ
وَأَكْرَمُ مِنْ يَمْشِي يَمِيناً عَلَى الْأَرْضِ

(١) في مجموعة السيد عبدالخالق العزاوي وحديقة الورد. إن القصيدة قيلت في التشكي من الشاعر عمر رمضان الهبتي. وسيأتي ذكره في آخرها وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٠).

(٢) في الأصول: الفض. (كذا) والفظ من الفظاظة وهي بالطاء. والصواب ما ذكرناه والغض: النقص.

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق: في معرض العرض.

(٤) فيه اقتباس من قول طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانك بعض الشرِّ أهون من بعض

انظر التمثيل والمحاضرة ص ٤٨.

(٥) في حديقة الورد: الحمد والثنا.

(٦) في حديقة الورد: ولا يمضي.

أَعَارُ عَلَى مَنْ يَطْلُبُ الْبَحْرَ لِلْفَيْضِ
 وَمَا أَنْقَبَصْتُ مِنْهُ الْيَدَانَ عَلَى الْقَبْضِ
 وَلَكِنْ رَأَيْتُ الشُّكْرَ مِنْ جُمَّلَةِ الْفَرَضِ
 أَرْيَعُ عَنِ السِّدِّينِ الْحَنِيفِيِّ لِلرَّفْرِضِ
 يَحْطُّ قَدَاةَ الْعَيْنِ فِي وَسْطِ الرُّوْضِ (*)
 فَتَبَّأَ لِفَضْلِ يُوْرَثُ النِّقْصَ فِي عِرْضِي

وَهَبْ أَنْنِي أَرْجُو فَيُوضَاتِ مَالِهِ
 أَمْتَلُ (شَهَابِ الدِّينِ) لَا يُرْتَجَى لَهَا
 وَمَا كَانَ مَدْحِي لَا وَرَبِّي لِنَيْلِهِ (١)
 لَقَدْ كَدْتُ مِنْ بَغْضِي لَهُ وَإِسْمِهِ
 يَعِيبُ (ابْنَ رَمْضَانَ) الْمَدِيحَ لِأَهْلِهِ
 إِذَا كَانَ نَظْمُ الشُّعْرِ مَنِي فَضِيلَةً

(١٧٤)

أَسْعَدُ التَّوْفِيقِ فِيهَا لَيْسَ يُبْخَسُ
 فَهُوَ مَمِيَّتٌ هَالِكٌ لَا يَتَنَفَّسُ
 (أَخْرَسُ) يَطْمَعُ فِي مِيرَاثِ أَخْرَسُ

أَحْمَدُ اللَّهُ بِكَ الْحَالَ الَّتِي
 مَاتَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو مَوْتَهُ
 وَأَحَقُّ النَّاسِ فِي مِيرَاثِهِ

(١٧٥)

وَرُبَّ نَوَالٍ لَا يَرَاهُ مُنْزِيلُ
 فَلَيْسَ إِلَى مَاءِ (الْعُذْيَبِ) سَبِيلُ
 مَلِيٌّ لَوِي دِينَ الْغَرَامِ مَطْوَلُ
 وَإِنْ كَثِيرَ الْغَانِيَاتِ قَلِيلُ
 يُبَلُّ بِهَا مِنْ عَاشِقِيكَ غَلِيلُ
 وَبَيْنِي حُزُونٌ لِلنَّوَى وَسُهُولُ

بَخَلْتُ وَمَا طَرْفِي عَلَيْكَ بِخَيْلُ
 وَحَرَمْتُ أَنْ يُرْوَى بِرِيْقِكَ ظَامِيٌّ
 وَأَظْلَمُ مَنْ يَجْنِي عَلَى الصَّبِّ فِي الْهَوَى
 وَيَا كُثْرَ مَا نَوَلْتُ بِالْوَعْدِ نَائِلًا
 أَعِيدِي إِلَى عَيْنِي يَا مِيَّ نَظْرَةً
 وَجُودِي بِطِيفٍ مِنْكَ قَدْ حَالَ بَيْنَهُ

(١) في حديقة الورد: لئله.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(*) هكذا في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس ولعل صوابها (الحوض).

فعندي إلى ذاك الخيال الذي سرى
 وليل كحظي في هواك سهرته
 يورقني فيه تالق بارق
 بداج كثير الشهب تحسب أنها
 يذكرني تبسأمك البرق موهناً
 أراني علامات السورود وميضه
 وما ينفع الظامي صدها بنظرة
 خالي هل يودى دم قد أطله
 رماني بعينه غزال له الحشا
 عشية أودى بي الهوى وأرابني
 برغمي فارقت الذين أحبهم
 وما تركوا إلا بقية عبرة
 تذيّل دموعاً في الديار أريقها
 غداة وقفنا والنياق كأنها
 فأنكرت أطلالاً لمي عرفتها
 نسيم الصبا ذكرتني نشوة الصبا
 تنسّمت معتلاً فلم أدر أيننا
 متى أترك النوق الهجان كأنها
 وأتخذ البعيد القفار أخلة
 ولو كنت ممن يشرب الماء بالقذى
 عن الناس في (عبد الغني) لي الغني
 كريم فأما العيش في مثل ظله
 قريب إلى الحسنى فلم ير مثله
 من الصيد سباق المقال بفعله
 سأزل أمالي بساحة باسل
 به افتخرت (بغداد) وأنسحت لها

هوى يستميل الشوق حيث يميل
 فطال وليل العاشقين طويل
 كما استل ماضي الشفرتين صقيل
 تقطع زنجي الظلام نصول
 فللدمع منه سائل ومسيل
 ومالي إليه يا أميم وصول
 إلى الماء ما منه لديه حصول
 بمقاتته أحوى أعن كحيل
 على النأي لا ظل الأراك مقليل
 من الركب إذ حث المطي رحيل
 فلي أنه من بعدهم وعويل
 يرققها وجدي بهم فتسيل
 نجوم لها في الغارين أقول
 مرزاة ممّا تحنّ تكل
 وإني على علمي بها لجهول
 فهل أنت من ليلى الغداة رسول
 بظل نسيمات الغوير عليل
 لها كلما ضلّ الدليل دليل
 ولكن روضي بالعراق محيل
 رويت وفي ريّ الذليل غليل
 وكل صنيع (ابن الجميل) جميل
 فرغد وأما ظله فظليل
 سريع إلى الفعل الجميل عجول
 وقلّ قوول في الأنعام فعول
 وما ضيم يوماً في حمّاه نزيل
 من الفخر في قطر العراق ذيول

عَلَّقَتْهُ بِالْمَجْدِ مُذْ كَانَ يَافِعًا
 غَذَّتْهُ بِهِ أُمُّ الْمَعَالِي لِبَانِهَا
 فَمَا اقْتَحَمَ الْأَهْوَالَ إِلَّا خَطِيرَةً
 وَلَا رَاعَهُ رَوْعُ فَلَانَتْ قَنَنَاتُهُ
 أَرَى كُلَّ ضَرَاءٍ شَكُونَاهُ ضُرَّهَا
 عَلَى مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ لَمْ يَزَلْ
 تَرَقُّ لَنَا تِلْكَ الشَّمَائِلُ مِثْلَمَا
 يَحْنُ إِلَى يَوْمٍ يَنْثِيرُ غُبَارَهُ
 يُدِيرُ رَحَاهَا حَيْثُ دَارَتْ مُثَارَةً
 إِذَا صَعِبَتْ دَهْيَاءُ فِي الْأَمْرِ قَادَهَا
 يَقِينَا صُرُوفَ النَّائِبَاتِ كَأَنَّهُ
 وَلَوْلَاهُ لَمْ تَخْمُدُ مِنَ الشَّرِّ نَارُهُ
 لَكَ اللَّهُ أَمَّا أَنْتَ فَالْخَيْرُ كُلُّهُ
 أَنْلَتَ بِمَا نَوَّلْتَ كُلَّ مُؤْمِلٍ
 وَإِنَّا عَلَى يَأْسِ النَّدَى وَرَجَائِهِ
 وَمَا فِيكَ مَا تَعْطِي مَلَالًا وَلَا قَلِيَّ
 وَلَمْ تَتَحَوَّلْ عَنْ خِلَائِقِكَ الَّتِي
 فِيهَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخَطُوبُ مُلِمَّةٌ
 الْإِمَّ أَحْتُ الْجَدَّ وَالْجَدُّ عَاطِرٌ
 وَأَطْلُبُ فِي زَعْمِي مِنَ الدَّهْرِ حَاجَةً
 وَكَيْفَ يَرِينِي الدَّهْرُ مَا أَسْتَحِقُّهُ
 إِذَا نَهَضْتُ بِي هَمَّةٌ قَعَدْتُ بِهَا
 وَعِنْدِي قَوَافٍ لَا يُدْنِسُ عَرْضَهَا
 ظَوَامِي يُطْلِبْنَ الرِّوَاءَ بِمَهْمِهِ

عَلَّقَتْهُ صَبًّا مَا ثَنَاهُ عَذُولُ
 وَطَابَتْ فُرُوعٌ قَدْ زَكَتْ وَأَصُولُ
 تَجَلُّ، وَمَا يَلْقَى الْجَلِيلَ جَلِيلُ
 فَلَا مَسَّ هَاتِيكَ الْقَنَانَةَ ذُبُولُ
 يَزَايِلُهَا فِي بَأْسِهِ فَتَزُولُ
 يَذُوبُ عَلَيْنَا رَقَّةً وَيَسِيلُ
 تَرَقُّ شَمَالٌ أَوْ تَرُوقُ شَمُولُ
 صَالِيلٌ كَمَا تَهَوَّى الْعُلَا وَصَهِيلُ
 شَرُوبٌ لِأَبْطَالِ الرِّجَالِ أَكُولُ
 بِأَمْرِ مُطَاعِ الْأَمْرِ وَهِيَ ذَلُولُ
 لَنَا جَبَلٌ وَالْعَالَمِينَ تُلُولُ
 وَلَا سَالَ لِلْبَاغِي النُّوَالِ سَيُولُ
 وَأَنْتَ بِهِ لِي ضَامِنٌ وَكَفِيلُ
 فَعَلَّمْتَ صَوْبَ الْمَزْنِ كَيْفَ يُنِيلُ
 لَنَا مِنْكَ رَجَافُ الْعَشِيِّ هَطُولُ
 وَغَيْرُكَ إِنْ سِيمَ الْعَطَاءِ مَلُولُ
 جُبِلْتُ عَلَيْهَا وَالزَّمَانَ يُحِيلُ^(١)
 وَمَا بِكَ عَنِّي فِي الْخَطُوبِ غُفُولُ
 وَأُرْهِفُ حَدَّ الْعِزْمِ وَهُوَ كَلِيلُ
 زَمَانِي بِهَا - حَاشَا عَلَاكَ - بِخِيلُ
 وَفَضْلِي لَدَى هَذَا الزَّمَانِ فُضُولُ
 عَلَى مَخْضٍ فِي مَا أَرَاهُ خَمُولُ
 لِنَيْمٍ وَلَا يَشْتَقِي بِهِنَّ نَبِيلُ
 تَطُوفُ عَلَى أَكْفَائِهَا وَتَجُولُ

(١) فِي الْأَصُولِ: جَلِبْتَ عَلَيْهَا.. وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

تَجَنَّبَتِ الْقَوْمَ اللَّئَامَ فَلَمْ تُبَلِّ
مَتَى اعْتَرَضَتْهُمْ* بِالْأَمَانِيِّ ضَلَّةً
فَمَا أَوْلَعَ الْأَيَّامَ فِي جُهْلَائِهَا
وَلَوْ أَنَّهَا تَصْغِي لَعَتَّبِي أَذْقْتُهَا
وَمَا تَنْفَعُ الْعُتْبَى وَمَا تَمُّ مُنْصَفٌ^(١)

أَعَانَ مُعِينٌ أَمْ أَرَابَ خَذُولِ
ثَنَاهَا وَجَيْفٌ عَنْهُمْ وَذَمِيلِ
وَفِي النَّاسِ أَشْبَاهُ لَهَا وَشُكُولِ
وَبِإِلَ حَدِيثٍ فِي الْعَتَابِ يَطُولِ
أَقُولُ لَهُ مَا أَشْتَتَهِي وَيَقُولُ

(١٧٦)

وقال مادحاً العلامة السيد عبدالحميد الرحبي^(٢) ومهنياً بعودته إلى قضاء البصرة

مَا قَضَى إِلَّا عَلَى الصَّبِّ الْعَمِيدِ
رَشَاءً يَقْتَنصُ الْأُسْدَ وَمَنْ
بِأَبِي الشَّادِنُ يَرْنُو طَرْفُهُ
مَا أَلَقِي مِنْ سَيُوفٍ وَقِنَاءً
وِيحَ قَلْبٍ لِعَبِّ الشُّوقِ بِهِ
رُبَّ طَطِيفٍ مِنْ (زُرُودٍ) زَارِنِي
فَتَذَكَّرْتُ زَمَاناً مَرَّبِي
وَبِعِيدِ الدَّارِ فِي ذَاكَ الْحِمَى
يَا دُمُوعِي رَوْضِي الْخَدِّ وَيَا
أَيْنَ أَيَّامِ الْهُوَى مِنْ (رَامَةِ)
وَبُكَاءِ الْمِزْنِ فِي أَرْجَائِهَا
قَذَفْتُ أَنْجُمَهَا - كَأْسَ الْطَّلَا -

وَعَدَا يَعْتُرُّ فِي ذَيْلِ الصُّدُودِ
عَلَّمَ الظَّبِّيَ اقْتِنَاصاً لِلْأَسُودِ؟
بِلِحَاطِ كِلِحَاطِ الرَّيْمِ سَوْدِ
مَا أَلَقِي مِنْ عَيُونٍ وَقُدُودِ
مِنْ عَيُونِ بَابَايَاتٍ وَجِيدِ
فَسَقَى صَوْبُ الْحَيَا عَهْدَ (زُرُودِ)
طَرِبَ النَّشْوَةَ مَرْعِي الْعُهُودِ
مِنْ فُوَادِي فِي الْهُوَى غَيْرُ بَعِيدِ
حَرَّ نِيرَانِ الْجَوَى هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟
يَا لِيَالِيهَا رَعَاكَ اللَّهُ عَوْدِي
وَابْتَسَامُ الرَّاحِ عَنْ دُرِّ نَضِيدِ
كُلَّ شَيْطَانٍ مِنَ الْهَمِّ مَرِيدِ

(١) يريد بالعتبي: العتاب، وهذا لا يصح لأن العتبي. معناها: الرضا والقبول وفي الحديث الشريف (لك العتبي حتى ترضى).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦٤).

(* في الطبعة (١): (اعترضهم) والصواب من الطراز الأنفس.

فَأَدْرِهَا قَهْوَةً عَادِيَةً
أَيْهَا السَّاقِي وَهَبْ لِي قُبْلَةً
أَنَا لَا أَشْرِبُهَا إِلَّا عَلَى
وَبِفِيكَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ الَّذِي
وَبِقَلْبِي نَارُ خَدَيْكَ - الَّتِي
مَنْ مُعِيدُ لِي زَمَانًا قَدْ مَضَى
دَارَتْ الْأَقْدَاحُ فِيهَا طَرِبًا
وَكَأَنَّ الْكَأْسَ فِي تَوْرِيدِهَا
فِي رِيَاضٍ غَرَّدَتْ وَرَقَاوِهَا
وَعُصُونُ الْبَانِ فِي رِيحِ الصَّبَا
فَسَقَى تِلْكَ الْمَغَانِي عَارِضٌ
كَانَتْ الْجِنَّةُ إِلَّا أَنَّهَا
فِي لَيْالٍ أَشْبَهَتْ ظِلْمَاوِهَا
وَكَأَنَّ الْأَنْجَمَ الزُّهْرَ بِهَا
وَكَأَنَّ الْبَدْرَ فِيهَا مَلَكٌ
وَكَأَنَّ الصُّبْحَ فِي إِثْرِ الدُّجَى
رَقَّ فِيهِ الْجَوْ حَتَّى خَلَّتْهُ
لَطُفَتْ أَخْلَاقُهُ وَأَبْتَهَجَتْ
إِنَّ مِنْ يَأْوِي إِلَى أَحْكَامِهِ
عَادِلٌ فِي الْحُكْمِ يَمْضِي حُكْمُهُ
كَأَمَا كَرَّرْتُ فِيهِ نَظْرًا
حُجَّتِي فِيهِ الْيَادِي وَالنَّدى
وَشَهْودِي مِنْ مَزَايَاهُ وَلَا

عُصِرَتْ فِي عَهْدِ عَادٍ وَثَمُودَ
هَيْبَةً مِنْكَ بِإِحْسَانٍ وَجُودَ
أَقْحَوَانَ التُّغْرَى أَوْ وَرَدِ الْخُدُودَ
أَرْتَوِي مِنْهُ وَمَنْ لِي بِالْوَرُودِ
لَمْ تَزَلْ فِي مَهْجَتِي - ذَاتُ الْوَقُودِ
بُمَذَابِ التَّبْرِ فِي الْمَاءِ الْجَمُودِ
مَنْ يَدَيَّ أَحْوَى وَمَنْ حَسَنَاءَ رُودِ
قُطِفَتْ وَاعْتَصِرَتْ مِنْ خَدِّ خُودِ
بِفَنُونِ السَّجْعِ مِنْهَا وَالنَّشِيدِ
تَنْتَنِي بَيْنَ رُكُوعٍ وَسُجُودِ
مُسْتَطِيرُ الْبَرْقِ مِهْدَارُ الرَّعُودِ
لَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ دَارَ الْخُلُودِ
بِدُخَانٍ كَانَ مِنْ نَدٍّ وَعُودِ
أَعْيُنٌ مِنْ وَجْدِهَا غَيْرُ رُقُودِ
حُفَّ بِالْمَوْكَبِ مِنْهَا وَالْجُنُودِ
طَائِرٌ^(*) يَرُكُضُ فِي إِثْرِ طَرِيدِ
رُقَّةَ الْقَاضِي بِنَا (عَبْدُ الْحَمِيدِ)
كَابْتَهَاجِ الرُّوضِ يَزْهَوُ بِالْوَرُودِ
إِنَّمَا يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدِ
بِقَضَاءِ الرَّبِّ مَا بَيْنَ الْعَبِيدِ
رَمَقَتْ نِي مِنْهُ أَلْحَاطُ الْوَرُودِ
وَجَمِيلُ الصَّنْعِ بِالْخُلُقِ الْحَمِيدِ
تَنْبُتُ الْحُجَّةُ إِلَّا بِالشُّهُودِ

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (طائر) ولعل صوابها (طارء).

قمرٌ في المجد يكسوه السننا
وافِرُ الجود، يَدا أمله
ذو نوالٍ مُسْتَباحٌ نَيْلُهُ
عالمٌ فيه لنا فائدةٌ
الْمَعِيُّ ناظرٌ في بَصَرٍ
وبما في ذاته من هِمَمٍ
شَرَحَتْ مَعْنَى معاليه لنا
وأرثنا منه في أقرانه
شِرْعَةُ الدين ومنهاجُ الهدى
حاملٌ للحقِّ سيفاً خاضعٌ
يُرْتَجَى أو يُخْتَشَى في حده
وَعَدَّتْني منه آمالي به
فحمدتُ الله لِمَا أنْ بَدَا
عاد للمنصب قاضٍ لم يزلْ
وبفضلِ الله يعملو مَجْدُهُ
يا عِمَادَ المجدِ في المجدِ ويا
دُمْتَ في العالمِ عَطْرِي الشَّدَا
يا لكَ الله فُتَى من مبدئٍ
وَقَوافيِّ الَّتِي أَنْشِدُهَا
أَطَلَقَتْ فيه لساني أنعم
أنا لولا صَيِّبٌ من سَيِّبِهِ

شَرَفَ الآبَاءِ مِنْهُ والجود
إنما تَغْرُفُ من بَحْرِ مَدِيدٍ
من مُنِيلٍ ومُرَادٍ لِمُرِيدٍ
فَجَزَى اللهُ مُفِيدَ المُستفيدِ
في خَوافي غامضِ الأمرِ حديدِ
كأما تُرْهَفُ أزرَتْ بالحديدِ
فهي لا تَخْفَى على غيرِ البليدِ
مُفْرَدًا يُغْنِي عن الجَمْعِ العديدِ
قائمٌ بالقِسْطِ مُجْرِي الحُدودِ
لِمَخْضَاهُ كُلِّ جَبَّارٍ عنيدِ
مُؤَنِّسُ الوَعْدِ وإيحاشُ الوعيدِ
فَوَفَّتْ لي بعدَ حَوْلٍ بالوعودِ
طالِعاً كالبَدْرِ في بُرْجِ السُّعودِ
كلُّ يومٍ هو في عيدٍ سعيدِ
فَتَعَالَى اللهُ ذو العَرْشِ المَجدِ
دُرَّةَ التَّاجِ ويا بيتَ القَصِيدِ
دائمَ النعمةِ مكبوتِ الحسودِ
بالنُّدى والفضلِ فينا ومُعيدِ
نُظِمَتْ في مَدْحِهِ نَظْمَ العُقودِ
قَيَّدَتْني من علاه بِقُيُودِ
ما ارتوى غُصْنِي ولا أُرِّقَ عودي

وقال مادحاً العلامة السيد أبا الثناء الألويسي^(١) ومهنيّاً بإكمال الجزء الثالث من تفسيره روح المعاني وورود وسام الافتخار المنوح له من السلطان عبدالمجيد خان [وهي

لِكَ بِالْمَعَالِي رَتْبَةً تَخْتَارُهَا
يَا سَاعِدَ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَبَاعَهُ
لِلَّهِ أَيُّهُ رَفْعَةً بُلُغَتْهَا
فِي ذُرُورَةِ الشَّرْفِ الرَّفِيعِ مَقَامُهَا
فَلْتَهَنَّ فَيْكَ شَرِيعَةً قَدْ أَصْبَحَتْ
وَلَقَدْ مَلَأْتَ الْكُونَ فِي نَوْرِ الْهَدَى
وَكَشِفْتَ مِنْ سِرِّ الْعُلُومِ غَوَامِضاً
يَا دُوْحَةَ الْفَضْلِ الَّذِي لَا يُجْتَنَى
اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْتَ أَكْبَرُ قُدُورَةٍ
وَلْتَسْمُ فَيْكَ الْمُسْلِمُونَ كَمَا سَمَتْ
مِنْ حَيْثُ إِنَّ لِسَانَهُ صَمَّصَامُهَا الدِّ
فَرْدٌ بِمِثْلِ كِمَالِهِ وَنِوَالِهِ
دُنْيَا بِهَا أَنْقَرَضَ الْكِرَامُ فَأَذْنَبَتْ
وَكَأَنَّمَا اعْتَذَرَتْ إِلَى أَبْنَائِهَا
أَمْوِئلاً نَيْلَ الْغِنَى بِأَكْفِهِ

فَأَفْخَرُ فَأَنْتَ فَخَارُنَا وَفَخَارُهَا
لَحَظَّتْكَ مِنْ عَيْنِ الْعُلَا أَنْظَارُهَا
قَرَّتْ وَلَيْسَ بِغَيْرِكَ اسْتِقْرَارُهَا
وَعَلَى أَهَاضِيبِ الْعُلَا أَوْكَارُهَا
وَعَلَيْكَ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ مَدَارُهَا
كَالشَّمْسِ قَدْ مَلَأَ الْفَضَا أَنْوَارُهَا
لَوْلَاكَ مَا انْكَشَفَتْ لَنَا أُسْرَارُهَا
إِلَّا بِنَائِلِ جِوْدِهِ أَثْمَارُهَا
لَمْ تَعْرِفِ الثَّقْلَانَ^(*) مَا مَقْدَارُهَا^(٢)
فِي جَدِّهِ^(**) عَدْنَانُهَا وَنِزَارُهَا^(٣)
مَاضِي وَإِنَّ يَرَاعَهُ خَطَارُهَا
لَمْ تَسْمَحِ الدُّنْيَا وَلَا أَعْصَارُهَا
فَكَأَنَّمَا بِوَجُودِهِ اسْتِغْفَارُهَا
فِيهِ وَقَدْ قُبِلَتْ بِهِ أَعْدَارُهَا
يُغْنِيكَ مِنْ تِلْكَ الْأَكْفُ نُضَارُهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في مجموعة السيد عبدالخالق: (لو تعرف...).

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق: (ولتسم فيه...).

(*) في الطبعة (١): (الثقلات) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (جده) ولعل صوابها (جدكم).

بَسَطَتْ مَكَارِمَهُ أَنْامِلَ رَاحَةٍ
أَحْرَارُنَا فِي مَا تُنِيلُ عَبِيدَهَا
هَاتِيكَ شِنْشِنَةً وَقَدْ عُرِفَتْ بِهِ
كَمْ رَوْضَةٌ بِالْفَضْلِ بَاكَرَهَا الْحَيَا
هُوَ دِيمَةٌ لَمْ تَنْقَطِعْ أَنْوَاؤُهَا
أَحْيَا رَبْوَعَ الْعِلْمِ بَعْدَ دُرُوسِهَا^(١)
وَكَذَا الْقَوَافِي الْغُرُ بَعْدَ كَسَادِهَا
حَمَلَتْ جَمِيلَ ثَنَائِهِ رَكِبَانُهَا
وَرَوَتْ عَنِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ رَوَاتُهَا
فَضْلُ يَسِيرٍ بِكُلِّ أَرْضٍ ذَكَرَهُ
وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْحَسَانُ وَإِنَّهَا
هِيَ كَالرِّيَاضِ تَفْتَحَتْ أَزْهَارَهَا
تُبْدِي مِنَ الْمَخْفِيِّ مَا يُعْيِي الْوَرَى
لَا زَالَ خَائِضَ لَيْلِهَا فِي ثَاقِبِ
مَصْبُوبَةٍ مِنْ لَفْظِهِ بِعِبَارَةٍ
لَوْ كَانَ مَالُكَ مِثْلَ عِلْمِكَ لَأَعْتَدْتَ
وَلَقَدْ شَمِلَتْ الْمُسْلِمِينَ بِنِعْمَةٍ
قَرَّتْ عَيْونَ الدِّينِ فِيكَ وَإِنَّمَا
رَامُوا الْوُصُولَ إِلَى سَعَادِ سُعُودِهَا
تَخْتَارُ لَذَاتِ الْكَمَالِ عَلَى الْهَوَى
فَإِذَا نَشَّرْتَ فَانْتَ أْبْلُغُ نَاطِرٍ

تَجْرِي عَلَى وَفَّادِهِ أَنْهَارَهَا
وَعَبِيدُهُ مِنْ سَيِّبِهِ أَحْرَارَهَا
لَمْ تُقْضِ إِلَّا بِالنَّدَى أَوْطَارَهَا
فَزَهَتْ بِوَابِلِ جُودِهِ أَزْهَارَهَا
وَسَحَابَةٌ لَمْ تَنْقَشِعْ أَمْطَارَهَا
عِلْمًا وَقَدْ رَجَعَتْ لَهَا أَعْمَارَهَا
رَبِحَتْ بِسُوقِ عُكَاظِهِ تُجَارَهَا
وَتَحَدَّثَتْ بِصَنِيعِهِ سَمَّارَهَا
وَتَوَاتَرَتْ عَنْ صِحَّةِ أَخْبَارَهَا
وَكَذَا النُّجُومُ أَجْلُهَا سَيَّارَهَا
قَدْ أَسْفَرَتْ عَنْ فَضْلِهِ أَسْفَارَهَا
أَوْ كَالْحَسَانِ تَفَكَّكَتْ أَزْرَارَهَا
وَتَحَارَ^(*) عِنْدَ بَرُوزِهَا أَفْكَارَهَا
مِنْ فِكْرِهِ حَتَّى اسْتَبَانَ نَهَارَهَا
يَحْلُو لِسَامِعِ لَفْظِهَا تَكَرَّارَهَا
مِنْ مَالِكِ الْأَرْضُونَ أَوْ أَقْطَارَهَا
كُفَّارُ نِعْمَةٍ رَبُّهَا كُفَّارَهَا
حَسَادُ فَضْلِكَ لَا يَقْرُ قَرَارَهَا
فَنَأَتْ بِهَا عَنْهُمْ وَشَطَّ مَزَارَهَا
تِلْكَ الْمَشَقَّةُ قَلٌّ مِنْ يَخْتَارَهَا
نِظَامٌ لَوْلَوْ حِكْمَةٌ نَتَّارَهَا

(١) في مجموعة السيد عبدالخالق وحديقة الورود (أحيا دروس العلم بعد دروسها).

(*) في الطبعة (١): (وتحير) ولعل الصواب ما اثبتناه.

وَإِذَا نَظَّمْتَ فَلَا أَبُو تَمَامِهَا^(١)
وَرَسَائِلُ أَيْنَ الصَّبَا مِنْ لَفْظِهَا الشُّدُّ
خَطُّ كَلِيلَاتِ السُّعُودِ تَرَاوَحَتْ
هَلْ تَدْرِي^(*) أَيُّ رَوِيَّةٍ لَكَ فِي الْحِجَا
تَأْتِي كَسَيْلِ الْمَزْنِ حَيْثُ دَعَوْتَهَا
فَلَكُمْ جَلَوْتُ دُجْنَةً مِنْ مُشْكِ
وَجَلَيْتَ فِيهِ مِنَ الْعُلُومِ عَرَائِسًا
قَدْ زِدْتَ فِيهَا رَفْعَةً وَتَوَاضَعًا
إِنَّ الرِّزَانَةَ فِي النِّفُوسِ وَلَمْ تَطِشْ
إِنَّ كُنْتَ مُفْتَخِرًا بِلِبْسِ عِلْمَةٍ
صِيغْتَ لِعَزِّكَ سَيِّدِي مِنْ جَوْهَرٍ
فَكَأَنَّما مِنْ صَدْرِكَ اسْتَخْرَاجُهَا

تَحْكِيكَ رَقَّتُهُ وَلَا مَهْيَارِهَا^(٢)
شَافِي وَأَيْنَ أَرِيحُهَا وَعَرَارُهَا
فِيهَا بَطِيبِ نَسِيمِهَا أُسْحَارُهَا
وَمِنَ الْعَجِيبِ - فَدَيْتُكَ - اسْتِحْضَارُهَا
وَكَجُودِ كَفِّكَ وَاقْرُ مِدْرَارِهَا
يَنْجَابُ^(**) فَيْكَ ظِلَامُهَا وَأَوَارِهَا
فَأَتَاكَ مِنْ مَلِكِ الزَّمَانِ نِثَارُهَا
وَأَرَى الرَّجَالَ يَشِينُهَا اسْتِكْبَارُهَا
نَفْسٌ وَقَارُ الرَّاسِيَاتِ وَقَارُهَا
فَعَلَاكَ يَا شَرَفَ الْوُجُودِ فَخَارُهَا
حَيْثُ الْجَوَاهِرُ أَنْتَ أَنْتَ بِحَارِهَا
أَوْ مِنْ جَمَالِكَ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا

(١) أبوتمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان العربي ولد في قرية (جاسم) إحدى قرى حوران سنة ١٨٨هـ وبها نشأ، ورحل إلى مصر واستقدمه الخليفة المعتصم بالله وأجازته وقدمه على شعراء وقته، ثم ولي بريد الموصل، وبقي فيها سنتين وتوفي ودفن فيها سنة ٢٣١هـ. كان أسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام يحفظ الكثير من جيد أشعار العرب، وله تصانيف منها: (فحول الشعراء)، و(ديوان الحماسة)، و(نقائض جرير والأخطل) و(الوحشيات) وله (ديوان شعر) ضخمة. وكتب عنه الصولي من القدماء، ومن المعاصرين كثير، تناولوا شعره وحياته بالتفصيل. انظر تاريخ بغداد للخطيب ٨/ ٢٤٨ ووفيات الأعيان ١/ ١٢١ وشنرات الذهب ٢/ ٧٢ والأعلام ٢/ ١٧٠ - ١٧١ وفيه مصادر أخرى.

(٢) أبوالحسن مهباز بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي، شاعر بارع رقيق الדיباجة مشرق العبارة طويل النفس. كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضي سنة ٣٩٤هـ، ودرس عليه وخدمه وتخرج عليه في نظم الشعر، له ديوان ضخم طبعته دار الكتب المصرية بأربعة أجزاء. توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٢/ ٢٧٦ وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ٣/ ٩٨ - ١٠٠ والأعلام ٨/ ٢٦٤ وفيه مصادر أخرى.

(*) هكذا في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس، ولسلامة الوزن فإن (البياء) في (تدري) لا تلفظ ويستعاض عنها بالراء المكسورة.

(**) في الطبعة (١): (يتجاب) وصوابها من الطراز الأنفس.

لا زال يأخذُ بالنواظرِ نورها
 إنَّ العنايةَ أَقْبَلَتْ بجميع ما
 قَتَلَتْ عِدَاكَ بِلَوْغُهَا وكَأَنَّهَا
 وَكَفَّكَ إِقْرَارُ العُدَاةِ بما به
 ولقد خَلَقْتَ سَمَاءَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
 هل في العراقِ ومن عليه ومن له
 ولقد سَتَرْتَ على عَوادي بلدةٍ
 يا قُطْبَ دَائِرَةِ الرِّئَاسَةِ والعُلا
 لَحِقَتْ سَوَابِقُكَ الألى فَسَبَقَتْهُمْ
 خُذْهَا تَغِيظُ الحاسدينِ قَصِيدَةً
 لا زالت الأيَّامُ توليكِ المُنَى

لكن بأحشاءِ الحواسِدِ نارها
 تَهْوَى عليك وهذه آثارها
 قَتَلَى العيونِ فليس يُدْرِكُ ثارها^(١)
 قَرَّ الوِلاةُ ولم يُفِدْ إنكارها
 طَلَعَتْ على آفاقها أقمارها
 منها وليس لألفِهم مِعْشارها
 لولاك لم يُسْتَرْ - وحَقَّكَ - عارها
 أضْحَى يدورُ لأمره دَوَّارها
 بِسَوَابِقِ ما شقَّ قَطُّ غُبارها
 ما ملُّ فيك (أبا الثنا) إكثارها
 وجَرَّتْ على ما تَشْتَهِي أقدارها^(٢)

(١٧٨)

عيدي بيوم شفائكم لسقامي
 يا خُلَّةً أرعى ذِمَامَ وِدادِهِمْ
 رَعِيًّا لأيامٍ خَلَوْنَ بِقُربِهِمْ
 يا أيُّها الرِّيانُ من ماءٍ بها
 فلقد طويْتُ على هواكِ جَوانِحِي
 فَاسْتَبَقِ من دَنَفِ الفِؤادِ بَقِيَّةً
 هَلَّا سَمَحَتْ بزورَةٍ فَوَجَدْتِهَا
 حَيِّ الرِّبوعِ النازلينِ بـ(ذي الغضَا)

إن تعطفوا يوماً فذاك مرامي
 ولو أنهم نَقَضُوا عُهُودَ ذِمَامِي
 لم أَسْأَلُها بِتَعاقُبِ الأيَّامِ
 هل مَوْرِدٌ لَغليلِ قَلْبِي الظامِي
 وَعَصِيَّتُ فيك مَلامَةَ اللُّوامِ
 لولاك ما مَلَكَ الزمانُ زِمَامِي
 مقرونَةٌ بِالرَّحْبِ والإِكْرَامِ
 وَسُقِيَّتْ ذاكِ الحَيِّ صَوْبَ غَمَامِ

(١) هذا البيت لم يرد في الأصول. وأثبتناه من حديقة الورد ومجموعة السيد عبدالخالق العزاوي.

(٢) في مجموعة السيد عبدالخالق. تاريخ في آخر القصيدة وهو ١٢٥٥هـ. مع العلم أن الوسام منح لأبي الثناء سنة ١٢٦٩هـ.

ظعنوا فما أبقوا لمسلوب الحشا
من كل أحوى ما تلفت طرفه
يا حادي الأظعان يزعجها النوى^(١)
بالله إن يمت ذيك الحمى
مذ غاب عن عيني نور شموهم^(٢)
ما للحمام أهاج لي برح الأسي
يتلو صبابات الهيام بوجهه^(٣)
قم يا نديم وعاطنيها قرقفا
راح إذا لمعت بكأس خلتها
تتراقص الكاسات في إقبالها
جمحت بنا خيل المسرة برهة
أيام مرجعها علينا منيتي
أمواعد الأجنان منه بزورة
فاشفع زيارتك التي قد زرتني
لما ألم يميظ لي سجع الدجى^(٤)
ولكم يصد كأنه ريم الفلا
ورمت لواحظه نصال صبابه
لا غرو إن هام الفؤاد به جوى
أنى تصيدني الغزال فريسة
أهوى على حب الجمال تغزلي

إلا توقد لوعة وغرام
إلا ادكرت تالفقت الأرام
فتخذ خد فدافد ومرامي
بلغ أميم تحييتي وسلامي
ما ذقت الأجنان طيب منام
هذا الحمام يروم جلب حمامي
أترى هيام الورق مثل هيامي
فالعيش بين منادم ومدام
برقا تألق من خلال غمام
كتراقص الأرواح بالأجسام
والعيش كالغصن الرطيب النامي
إن المني كوساوس الأحلام
ما كان ذاك المزن غير جهام
والليل قد أرخى سدول ظلام
وفقدت في وجدانه آلامي
ويصول صولة باسل مقدم^(٥)
ها قد أصاب القلب ذاك الرامي
إن الغرام موكل بهيامي
عهدي الغزال فريسة الضرغام
وعلى مديح (أبي الثناء) نظامي

(١) في حديقة الورد: يا حادي الأنضاد.

(٢) في الأصول: ... عن عيناى (كذا) وهي من وهم النساخ وغلط الطباعة.

(٣) في حديقة الورد: ... لوجهه.

(٤) في الأصول: في سجع الدجى والتصويب من مجموعة السيد عبدالخالق.

(٥) في حديقة الورد: باسم مقدم.

مفتي العراقيين الذي بعُلمه
 أين السَّحَابُ من مكارم أنْمُلِ
 إنْ شَحَّ هَطَّالُ السَّحَابِ بِغَيْثِهِ
 لا زال من لين العريكةِ باسمًا
 يَفْتَرُ في وَجْهِ المَوْمِلِ تَغْرُهُ
 ما بين مَنْطِقِهِ العجيبِ وقلبه
 أحيا به الله الشريعةَ والهدى
 يُجدي العبادَ بنائه وبيانه
 حَكَمَ على أهلِ العقولِ يَبُتُّها
 ويُرِيكَ في ألفاظه وكلامه
 كم أعربت ألفاظه عن حاله^(١)
 ولقد أدار على الورى جامَ الحجا
 من كلِّ مكرمةٍ وكلِّ فضيلةٍ
 تَمَّتْ به حُسْنُ المعالي والعلا^(٢)
 من ذا يُهتني الوافدين بسيدٍ
 ويقول نائلُ لطالبٍ فضله
 ولربُّ رأيٍ بالأمور مُجَرَّبٍ
 قدَّ الحوادثِ غاربٌ من حده
 والله ما فتك الكمي برمحه
 وطوائفٌ لم يُفحموا في مَبْحَثِ^(٤)

قد فاخرت (بغداد) أرضَ الشام
 في المكرمات يَنابِعُ الإكرام
 فسحَّابُهُ في كلِّ وقتٍ هام
 كَتَبَسُمُ الأزهارِ بالأكرام
 وكذا افترارُ البارِقِ البسام
 صدرٌ يفيضُ ببحرِ علمٍ طام
 وأقام فيه شعائرَ الإسلام
 درين: در نـــــــدى ودر كلام
 متقونة الأوضاع والأحكام
 سحرَ العقولِ وحيرةَ الأفهام
 يوماً فأعجمَ منطلقَ الأعجام^(١)
 فالناسُ صرعى راحِ ذاك الجام
 قد حلَّ منها في محلِّ سام
 ومحاسنُ الأشياءِ بالإتمام
 جُبلتْ سَجِيَّتُهُ على الإكرام
 حَيَّتْ بين أكارمٍ وكرام
 تُغني مضاربه عن الصمَّام
 فكأنه في الخطبِ حدُّ حُسام
 يوماً كَفَتِكَ يَدِيهِ بالأقلام
 ذاقتُ لديه مَرارةَ الإفحام

(١) في حديقة الورود عن علمه.

(٢) في حديقة الورود ومجموعة السيد عبدالخالق: فأعجم وفي الأصول فأعجب.

(٣) الصواب: تم به. وعندها يختل وزن البيت.

(٤) في حديقة الورود ومجموعة السيد عبدالخالق: وروافض...

بِبَلَاغَةٍ وَبِرَاعَةٍ قُسِّيَّةٍ
إِنْ يَحْسُدُكَ الْجَاهِلُونَ عَلَى النَّهْيِ
وَلَقَدْ تَفَاخَرَ فَيْكَ سَادَاتُ الْوَرَى
يَا كَعْبَةَ قَدْ جِئْتُ أَبْغِي حَجَّهَا
عَامٌ بِهِ لِلْعِيدِ وَجْهُكَ عَيْدُهُ
لَمْ أَرْضَ مِنْكَ وَإِنْ بَدَلْتَ جَوَائِزًا^(١)

وَقَعَتْ عَلَى الْأَغْيَارِ وَقَعَ سِيْهَامُ
لَا تَحْسُدُ الْكِرْمَاءَ غَيْرَ لِنَامِ
أَنْتَ أَفْتَخَارُ السَّادَةِ الْأَعْلَامِ
فَأَخَذْتُ شِعْرِي أَهْبَةَ الْإِحْرَامِ
فَلَيْفَتَخِرْ فِيهَا عَلَى الْأَعْوَامِ
لَكِنْ رِضَاؤُكَ مَطْلَبِي وَمَرَامِي

(١٧٩)

بِوَحْزِ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
وَإِنَّ الْفَتَى مِنْ لَا يِزَالُ بِنَفْسِهِ
يَشِيدُ لَهُ مَا عَاشَ مَجْدًا مُؤْتَلًّا
إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ عَظَّمَ اللَّهُ شَأْنَهُ
وَإِنِّي أَمْرُؤُ يَأْبَى الْهَوَانَ فَلَمْ يَدِنْ
مَضَتْ مِثْلَ مَاضِي الشُّفْرَتَيْنِ عَزِيمَتِي
لِنَّ أَنْكَرَ الْغَمْرِ الْحَسُودُ فِضَائِلِي
فَتَلِكِ بَرِغَمِ الْحَاسِدِينَ شَوَارِدِي
فَمَا عُرِفَتْ مَنِّي مَدَى الدَّهْرِ رَيْبُهُ
وَمَا زِلْتُ مَدُّ شَدَّتْ يَدِي عَقْدَ مَنزَرِي
صَفَوْتُ فَلَمْ أَكْدرْ عَلَى مَنْ يُوَدُّنِي

بُلُوغُ الْمَعَالِيِ وَاقْتِنَاءُ الْمَفَاخِرِ^(٢)
يَخُوضُ غِمَارَ الْمَوْتِ غَيْرَ مُحَاذِرِ
وَيُبْقِي لَهُ فِي الْفَخْرِ ذِكْرًا لِذَاكِرِ
فَشَمَّرُ إِلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَيَادِرِ
إِلَى حُكْمِ دَهْرِيَا أَمِيمَةً جَائِرِ
وَحَلَّقَ فِي جَوْ الْأَبْوَةِ طَائِرِي
وَأَصْبَحَ بِالْمَعْرُوفِ أَوْلَ كَافِرِ
يَسِيرُ بِهَا السَّارِي وَتَلِكِ نَوَادِرِي
وَلَا مَرَّ مَا رَابَ الرِّجَالَ بِخَاطِرِي
بَعِيدَ مَنَاطِ الْهَمِّ عَفَّ الْمَازِرِ
وَلَا يَتَّقِي مَنْ قَدْ صَحِبْتُ بَوَادِرِي

(١) في حديقة الورد: لم أرج منك...

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٩).

(٣) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (٨) في مخطوطة شعر الأخرس.

وَكَمْ مُشْمَخِرٌ أَنْفَهُ بَعْرُورِهِ
 جَدَعْتُ بِحَوْلِ اللَّهِ مَارْنَ أَنْفِهِ
 أَلَا تَكَلِّتُ أُمَّ الْجَبَانِ وَلَيْدَهَا
 أَحِنُّ إِلَى يَوْمِ عَبُوسٍ عَصَبُصَبٍ
 إِلَى مَوْقِفِ بَيْنِ الْأَسِنَّةِ وَالطُّبِيِّ
 يُكَشِّرُ فِيهِ الْمَوْتَ عَنْ حَدِّ نَابِهِ
 تَرَفَّعْتُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا خَبَرْتَهُمْ
 أَخُو الْحَزْمِ مَنْ لَمْ يَمْلِكِ الْحِرْصُ رَقَّهُ
 شَدِيدٌ عَلَى حَرْبِ الزَّمَانِ وَسَلْمُهُ
 خَلِقْتُ صَبُوراً فِي الْأُمُورِ وَلَمْ أَكُنْ
 إِذَا مَا رَأَيْتَ الْحَيَّ بِالذَّلِّ عَيْشَتُهُ
 أَلَا إِنَّ عُمَرَ الْمَرْءِ مَا عَاشَ طَوْلُهُ
 تَمُرُّ اللَّيَالِي يَا سَعَادُ وَتَنْقُضِي
 فَكَيْفَ يُعَانِي الْحُرُّ مَا لَا يَسْرُهُ
 وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ وَقْفٍ
 أَزِيدُ عَلَى رِزِّهِ الْحَوَادِثُ قَسْوَةً
 كَمَا فَاحَ بِالطَّيْبِ الْأَرِيحُ وَضَوَّعَتْ
 أَرَانَا (سَلِيمَانَ الزَّهَيْرِ) وَقَوْمَهُ
 يُرِيكَ بِيَوْمِ الْجُودِ نِعْمَةً مَنْعَمٍ
 يَسِيرٌ (*) مُوَالِيَهُ بَعَزٌ وَسُودٌ
 لَقَدْ ظَفَرْتُ (أَلُ الزَّهَيْرِ) بِشَيْخِهَا
 يَشْقُ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي غُبَارَهَا

يَرَى نَفْسَهُ فِي الْجَهْلِ جَمَّ الْمَآثِرِ
 وَأَوْطَأْتُ نَعْلِي مِنْهُ هَامَةً صَاغِرِ
 وَفَازَتْ بِمَا حَازَتْهُ أُمَّ الْمُخَاطِرِ
 تَتَوَقَّأُ لَهُ نَفْسِي حَنِينَ الْأَبَاعِرِ
 وَمَنْزِلَةَ بَيْنِ الْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ
 وَتَغْدُو الْمَنَايَا دَامِيَاتِ الْأَطَافِرِ
 وَجَدْتُ كِبَاراً فِي صِفَاتِ الْأَصَاغِرِ
 وَلَا يَنْتَجِ الْأَمَالُ مِنْ رَحْمِ عَاقِرِ
 جَرِيءٍ عَلَى الْأَخْطَارِ غَيْرُ مُحَازِرِ
 عَلَى الضَّمِيمِ فِي دَارِ الْهَوَانِ بِصَابِرِ
 فَأَوْلَى بِذَلِكَ الْحَيِّ أَهْلُ الْمَقَابِرِ
 كَطَيْفِ خَيَالٍ أَوْ كَزُورَةِ زَائِرِ
 وَتَمْضِي بِبَاقٍ حَيْثُ كَانَ وَبَائِرِ
 وَيَأْمَنُ مَنْ رَبِّبَ الزَّمَانَ بِغَادِرِ
 عَلَى غِرَّةِ بِالْمُوسِيَّاتِ الصَّوَاهِرِ (١)
 وَإِنَّ مُعَانَاتِي بِهَا غَيْرُ ضَائِرِ
 شَذَا الْمَنْدَلِيِّ الرَّطْبِ نَارُ الْمَجَامِرِ
 رَجَالُ الْمَنَايَا فَتَكَ أَرْوَعَ ظَافِرِ
 وَيَوْمَ الْوَعَى وَالْيَأْسِ قَدْرَةَ قَادِرِ
 وَيَرْجِعُ شَانِيهِ (**) بِصَفْقَةِ خَاسِرِ
 بِأَشْجَعِ مَنْ لَيْثٌ بِ(خَفَّانِ) خَادِرِ
 وَمَنْ دُونَهَا إِذْ ذَاكَ شَقُّ الْمَرَائِرِ

(١) الموسيات: الحالقات، والصواهر: الشدائد، ويريد بهما حوادث الدنيا ومصائبها. وكتب المحقق في الحاشية: في نسخة ب و ش: بالموسيات العواهر.

(*) في مخطوطة شعر الأخرس، تحقيق د. يوسف عز الدين (يسر)، منشورات دار البصري، بغداد ١٩٦٣م، صفحة (٤٣).

فذا سَيْفُهُ المَاضِي فَهَلْ مِنْ مُبَارِزٍ
 فِي الحَرْبِ إِنْ دَارَتْ رِحَاها وَأَصْبَحَتْ
 تَحْفُ بِهِ مِنْ آلِ نَجْدٍ عَصَابَةٌ
 وَكَمْ بَرَزَ الأَعْدَاءُ فِي حَوْمَةِ الوَعَى
 فَأوردَهَا بِالمَشْرِفِيَّةِ والقَنَا
 وَكَمْ أَنهَلَّ الوُرَادُ مِنْهَلَّ جَوْدِهِ
 أَلَا إِنْ (أَبْنَاءَ الزَّهْيِرِ) بِأَسْرِهِمْ
 سَلَّ الحَرْبَ عَنْهُمْ وَالصَّوَارِمَ والقَنَا
 فَهَمْ شَيَّدُوها فِي صَدُورِهِمْ عُلَاً
 أَكْبَرُ يُعْطُونَ الرِّئَاسَةَ حَقَّها
 وَمَا بَرَحَتْ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ لَهُمْ
 قَدْ اسْتُوْدِعَتْ أَخْبَارُ ما فَتَكَتْ لَهُمْ
 يَمِيناً بَرَبَ البَيْتِ وَالرِّكْنَ وَالصِّفَا
 بَأَنَّ (سَلِيمَانَ الزَّهْيِرِ)
 يَقْرَأُ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مِنْهُ طَلْعَةً
 فَأَسْمَعُ مِنْهُ ما يُشْتَفُّ مَسْمَعِي
 كَرِيمٌ أَكاسِيرُ الغِنَى بِالتَّفَاتِهِ
 يَصِحُّ مِزاجُ المَجْدِ فِي رَأْيِ حَانِقٍ
 يَمُرُّ بِنَادِي الأَكْرَمِينَ ثَنَاؤُهُ

وذا فَخْرُهُ العَالي فَهَلْ مِنْ مُفَاخِرِ
 تَدُورُ عَلَى فَرَسانِها بِالدَّوائِرِ
 شَبِيهَةٌ ما تَأْتِي بِهِ بِالقَسَاوِرِ
 وَثَغْرُ الرِّدَى يَفْتَرُّ عَنْ نَابِ كَاشِرِ^(١)
 مَوارِدَ حَتَفَ ما لَها مِنْ مَصادرِ
 فَمِنْ وَارِدِ تَلِكِ الأَكْفِ وَصادرِ
 أَوائِلِهِمْ مَتَلُوءَةٌ بِالأَواخِرِ^(٢)
 وَمَا كانَ مِنْهُمْ فِي العُصُورِ الغَوابِرِ^(٣)
 وَهَمْ أُورِثُوها كَابِراً بَعْدَ كَابِرِ
 وَمَعروفُهُمْ يُسَدِّي لَبْرٌ وَفاجِرِ
 مَناقِبُ تَرَوِي بَينَ بَادٍ وَحاضرِ
 صُدُورِ العَوالِي^(*) فِي بَطُونِ الدَّفاتِرِ
 وَمَنْ فازَ فِي تَعْظِيمِ تَلِكِ المَشاغِرِ
 مَحَلٌّ سَماً فَوَاقِ النُّجُومِ الزَّواهِرِ
 تَرى العَينُ فِيها قُرَّةً لِلنُّواظِرِ
 وَأَنْظَرُ فِيهِ ما يَرُوقُ لِنَاطِرِي
 فَهَلْ كانَ إِلاَّ وَارِثاً عِلْمَ (جَابرِ)
 طَبيبِ بِأَدِواءِ الرِّئَاسَةِ قَاهرِ
 كَما مَرَّ نَجْدِي النُّسِيمِ بِعَاطِرِ

(١) فِي المَطْبُوعَةِ: (عَنْ ثَغْرِ كَاسِرِ) وَكَتَبَ المَحْقِقُ فِي الحَاشِيَةِ: فِي نَسْخَةِ ب: عَنْ نارِ كَاشِرِ. قَلتُ وَكِلاهِما غَلَطَ وَالصَّوابُ ما أَثَبَتَناهُ (عَنْ نَابِ كَاشِرِ).

(٢) فِي الأَصْلِ: لِلأَواخِرِ.

(٣) فِي الأَصْلِ: وَمَا لِي مِنْهُمْ فِي العُصُورِ الغَوابِرِ. وَكَتَبَ المَحْقِقُ فِي الحَاشِيَةِ: وَفِي نَسْخَةِ ب وَ ش. وَمَا كانَ مِنْهُمْ فِي العُصُورِ الغَوابِرِ. قَلتُ: وَهِيَ الأَولى.

(*) فِي الطَّبْعَةِ (١): (المَعالي) وَالصَّوابُ ما أَثَبَتَناهُ، انظُر: مَخْطُوطَةَ شَعْرِ الأَخْرَسِ، تَحْقِيقَ الدُّكْتُورِ يوسُفِ عَزَّالدين، ص ٤٤ مَصْدَرِ سابِقِ.

وقد نطقت في مدحه ألسن الوري
أحامي الحمى بالبأس مما ينوبه
إليك من الداعي لك الاله مدحة
فلا زلت في زرق الأسننة تحتمي^(١)

فمن ناظم فيه التناء وناثر
وصنديدها المعروف بين العشائر
مقدمه من حامد لك شاكر
وتحمي بحد البيض سود الغدائر

(١٨٠)

وقال يمدح الحاج عبدالواحد المبارك البصري^(٢) [وهي من الوافر]:

تبارك من براك ابن المبارك
مكانة رفعة وعلو قدر
وأبقاك الإله غمام جود
رأيتك مورد الأمال طراً
تُهين نفائس الأموال بذلاً
حماك هو الحمى مما يحاشى
وإنك صفة النجباء فينا
نشأت بطاعة المولى منيباً
تجنّبك التي تآبى ثقاة
تُعير البدر من محياك حسناً

وزادك من مواهيه وبارك^(٣)
يزيد به علاك واقتدارك
لمن يظما فيستسقي قطارك
فها أنال لم أريد إلا بحارك
ولم تعبأ بها وتعرّجارك
تجبر من الخطوب من استجارك^(٤)
وإنك خيرة لمن استخارك^(٥)
وتقوى الله ما برحت شعارك
عقدت على العفاف بها إزارك^(٦)
كأن البدر طلعت استعارك

(١) في الأصل: زرق الأسفة.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٥).

(٣) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (١٢) في مخطوطة شعر الأخرس.

(٤) في المطبوع: (وتجبر في الخطوب من استجارك) والصواب ما أثبتناه. وفي المخطوطة (وتجبر) بزيادة حرف الواو. وبها يخل الوزن.

(٥) في المطبوع (وإنك خيرة لمن استجارك). وكتب المحقق في الحاشية: وفي نسخة ش: (وإنك خيرة لمن استخارك). قلت: وهي الصواب فالصفوة في صدر البيت والخيرة في عجزه. ولم ينتبه المحقق لتكرار القافية (استجارك).

(٦) في المطبوع: على الصفاغ (كذا). وما أثبتناه هو الصواب من المخطوطة.

أَخَذْتَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ تَفْضِي
مُجِيباً مَنْ دَعَاكَ وَلَا أُنَاةً
وَلَا لِحَقِّكَ يَوْمَ سَبَقْتَ نُجُبٌ
أَعْرَتَ عَلَى التَّنَاءِ مِنَ الْبَرَايَا (٢)
لَقَدْ طَابَتْ بِفَضْلِكَ وَاسْتَقَرَّتْ
وَحَقٌّ لَهَا إِذَا فَخَّرْتَ وَبَاهَتْ
سَمَّاكَ لَا يَزَالُ لِمُسْتَمِيحٍ
وَإِنَّكَ دَوْحَةٌ بَسَقَتْ وَطَالَتْ
يُشَارِكُ كُلُّ نَيِّ مَجْدٍ بِمَجْدٍ
وَدَهْرٌ قَدْ جَنَى ذَنْباً عَظِيماً (٣)
تَدَارِكُ ذَنْبَهُ بَعْلَاكَ حَتَّى (٤)
وَإِنَّ (أَبَا الْخَصِيبِ) يَرُوقُ عِنْدِي
أَزُورُكَ سَيِّدِي فِي كُلِّ عَامٍ
وَإِنِّي قَدْ تَرَقَّقْتُ الْعَوَادِي
شَهَدْتُ مَشَاهِدَ النِّعَمَاءِ فِيهَا

بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْلِكَ أَوْ نَهَارِكَ (١)
أَثَارَكَ لِلْمَكَارِمِ مِنْ أَثَارِكَ
بِمَكْرُمَةٍ وَلَا شَقَّتْ عُبَارَكَ
وَقَدْ أَبْعَدْتَ يَوْمئِذٍ مَغَارِكَ*
بِكَ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَتْ قَرَارَكَ
دِيَارٌ رُحَّتْ تَوْلِيهَا افْتِخَارَكَ
مِنَ الْعَافِينَ جَاهَكَ وَاعْتَبَارَكَ
جَنَى الْجَانُونَ يَانِعَةً ثَمَارَكَ
وَمَجْدُكَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يُشَارِكُ
فَلَمَّا قِيلَ هَلْ تَلْقَى اعْتِذَارَكَ
عَفَرْنَا ذَنْبَهُ فِي مَا تَدَارِكُ
لَأَنَّكَ فِيهِ قَدْ شَيَّدْتَ دَارَكَ
فَلَا أَنْأَى عَنِ الدَّاعِي مَزَارَكَ
وَوَابِلَهَا، تَرَقَّقْتُ أَرْذِيَارَكَ
فَلَا شَاهَدْتُ فِي الدُّنْيَا بَوَارَكَ

(١٨١)

هَلُمَّ بِنَا نَزُورُ (أَبَا الْخَصِيبِ)
نُعَاشِرُ أَهْلَهُ وَنُقِيمُ فِيهِ
كِرَامٌ قَدْ نَزَلَتْ بِهِمْ غَرِيبًا

وَنَرَعَى جَانِبَ الْعَيْشِ الْخَصِيبِ (٥)
بِخَفْضِ الْعَيْشِ مِنْ حَسَنِ وَطِيبِ
فَكَانُوا سَلْوَةَ الرَّجْلِ الْغَرِيبِ

(١) في الأصلين المخطوطة والمطبوعة (ليلك مع نهارك). وهنا يكون الروي قد تغير بالكسر وأثبتنا ما نراه أصوب.

(٢) في المطبوع: (أغرب على التناء من البرايا) (كذا). من وهم الطباعة.

(٣) في المطبوع: (ودهر قد جنى دنيا عظيما) من وهم الطباعة.

(٤) في الأصلين المخطوطة والمطبوعة: (توالى ذنبه بعلاك حتى). والصواب ما أثبتناه. وتدل عليه القافية.

(٥) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (١٥) في مخطوطة شعر الأخرس.

(* في الطبعة (١): (منارك) والصواب ما أثبتناه من مخطوطة شعر الأخرس، مصدر سابق، ص (٤٩).

و(عبدُ الواحدِ) الموصوفُ فيهِمْ هو الشَّهْمُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ لَقَدْ تَقَفْنَا إِلَى ذَاكَ الْمُحَيَّا فحَيٌّ (ابنُ المباركِ) من كَرِيمٍ يَرَى فَعَلَ الْجَمِيلِ عَلَيْهِ فَرَضًا نُصِيبُ بِفَضْلِهِ الْأَغْرَاضَ مِنْهُ حَكَى إِحْسَانُهُ صَوَّبَ الْغَوَاذِي إِذَا الْمُسْتَصْرِخُونَ دَعَوْهُ يَوْمًا وَإِنْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ الْبِشْرُ يَبْدُو يَلْذُ لَدَى سَوَالِ نِدَى يَدَيْهِ وَمَبْتَسِمٌ بَوَجْهِ الضَّيْفِ زَاهٍ أَجَلٌ عَصَابَةٌ كَرُمَتْ وَجَادَتْ كَرِيمٌ قَدْ تَفَرَّعَ مِنْ كَرِيمٍ رَأَيْتَ الْأَكْرَمِينَ عَلَى ضُرُوبٍ وَقَدَّرَ مَا اسْتَخَفَّتْهُ الرِّزَايَا وَلَا اسْتَهْوَتْهُ نَفْسٌ فِي هَوَانٍ مَنَارٌ يُسْتَمَدُّ الرَّأْيُ مِنْهُ فَأَشْهَدُ أَنَّهُ فَرَدُّ الْمَعَالِي عَلَيْهِ ذُو الْعُقُولِ إِذَا عِيَالٌ^(١) فَتَعْرِضُ رَأْيَهَا أَبَدًا عَلَيْهِ فِدَاكَ الْبَاخِلُونَ وَهُمْ كَثِيرٌ

بطولِ الباعِ والصِّدْرِ الرَّحِيبِ سَوَى الْعَرِضِ النَّقِيِّ مِنَ الْعُيُوبِ وَلَا تَوَقُّ الْمُحِبُّ إِلَى الْحَبِيبِ أَحَبُّ إِلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْقُلُوبِ وَصَنَعَ الْمَكْرَمَاتِ مِنَ الْوُجُوبِ وَنَرَجِعُ عَنْهُ فِي أَوْفَى نَصِيبِ فَقَلْنَا دِيمَةً الْقَطْرِ الصَّبِيبِ فَقَدْ أَمَنْتَ بِكَشَافِ الْكُرُوبِ فَأَبْشِرْ مِنْهُ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ فَيَتُّنِي عَطْفٌ مُرْتَاحِ طُرُوبِ وَوَجْهُ الدَّهْرِ مُشْتَدُّ الْقُطُوبِ عَلَى الْعَافِينَ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ نَجِيبٌ يَنْتَمِي لِأَبِ نَجِيبِ وَهَذَا خَيْرُهَا تَيْكَ الضُّرُوبِ وَلَا رَاعَتْهُ قَارِعَةُ الْخَطُوبِ وَلَمْ يَدْنُ^(*) إِلَى أَدْنَى مَعْصِيبِ وَعَنْهُ رَمِيَّةُ السَّهْمِ الْمُصِيبِ وَمَا أَنَا مِنْهُ فِي شَكِّ مُرِيبِ وَهِيَ هَوَاؤُ الرِّبَةِ الْفَطْنِ الْأَرِيبِ كَمَا عَرِضَ الْمَرِيضُ عَلَى الطَّبِيبِ فِدَاءَ النَّحْرِ مِنْ بَدْنِ وَنِيبِ^(٢)

(*) في الطبعة (١): وفي مخطوطة شعر الأخرس (ولم يدن) وتركنا كما وردت، ولعل صوابها بعطف مطلع العجز على مطلع الصدر فنقول (ولا يدنو).

(١) في المطبوعة: (ذو العقول). كذا. وكتب المحقق في الحاشية: في نسخة ش (ذوو). قلت: وهي الصواب. والمحقق اختار الغلط.

(٢) في المطبوعة والمخطوطة: (فداء النحر من بذل وسيب). وكتب المحقق في الحاشية: وفي نسخة ش: (فداك النحر من بدن ونيب). قلت: وهي الصواب. لأن النحر يكون في البدن وهي الإبل والبقر. والنيب: هي الكبيرة المسنة منها.

بَيَوْمٍ عِنْدَهُ الْإِنْفَاقُ فِيهِ
وَلَا أَفَلَتْ كَوَاكِبُكَ الزَّوَاهِي

أَشَدُّ عَلَى الْجَبَانِ مِنَ الْحُرُوبِ
وَلَا أَذْنَتْ شُمُوسُكَ لِلْمَغِيبِ^(*)

(١٨٢)

وقال مادحاً الشيخ منصور باشا السعدون^(١) شيخ المتفق [عند زيارته بغداد وهي

بَلَعْتُمْ كَمَالَ الرُّشْدِ (أبناء راشد)
إِذَا مَا دُعَيْتُمْ دَعْوَةَ الْمَجْدِ كَأَنَّهَا
وَقُمْتُمْ إِلَيْهَا رَتْبَةً تَبْتَغُونَهَا
عَلَى أَنَّهَا فِيكُمْ لَدَيْكُمْ وَرِاثَةٌ
كَثُرْتُمْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ صِنَائِعاً
وَمَا زَالَتْ الدُّنْيَا بِحَسَنِ صَنِيْعِكُمْ
أَرَدْتُمْ صِلَاحَ النَّاسِ بَعْدَ فِسَادِهَا
فَأَجَجْتُمْ نَاراً تَسْعُرُ جَمْرُهَا
تَسْلُونَهَا فِي الْخُطْبِ فِي كُلِّ شِدَّةٍ
وَمَا فَاتَ قَصْدٌ مِنْ جَسُورٍ عَلَى الرَّدَى
تَوَلَّيْتِ إِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ بَيْنَهُمْ
وَقَلَّمْتَ أَظْفَارَ الطُّغَاةِ وَسُسَّتَهُمْ
وَلَوْلَاكَ ظَلَّتْ فِي الْمَجْرَةِ أَهْلُهَا
أَعَدَّتْ لَنَا أَيَّامَ (فهدٍ) و(بندرٍ)

فَبُورِكْتُمْ أَوْلَادَ أَكْرَمِ وَالِدِ^(٢)
أَقَمْتُمْ عَلَى دَعْوَاكُمْ أَلْفَ شَاهِدٍ
فَمَا قَائِمٌ يَبْغِي الْعِلَاءَ كَقَاعِدٍ
وَمَا هِيَ فِي زَيْدٍ وَبِكْرٍ وَخَالِدٍ
وَقَدْ تَنَفَّدَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ بِنَافِدٍ
مَقْلُدَةً أَعْنَاقُهَا بِالْقَلَائِدِ
وَبِالصَّارِمِ الْهِنْدِيِّ إِصْلَاحَ فِاسِدٍ
وَلَكِنْ بِحَدِّ الْمُرْهَفَاتِ الْبُورَادِ^(٣)
أَلَا إِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ فِي الشَّدَائِدِ
بِعَيْدِ مَنَاطِ الْهَمِّ جَمِّ الْمَقَاصِدِ
وَقَدْ أَوْسَعَ الطَّغْيَانَ خَرْقَ الْمَفَاسِدِ
بِأَبْيَضِ حَادِ الزِّيغِ عَنْ كُلِّ حَاسِدٍ
تُنَاشُ بِأَيْدِي اللُّوِيِّ قَلْبُ^(**) الْوَابِدِ^(٤)
وَمَنْ قَبْلَهَا أَيَّامَ (عيسى) و(ماجد)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٤) وفي نسخة الأنكرلي في مدح منصور وناصر.

(٢) هذه القصيدة وردت في نسخة الأنكرلي ولم ترد في النسخ الأخرى.

(٣) في الأصل: البوادر. من وهم الناسخ.

(٤) كذا في الأصل. وهو مختل الوزن والمعنى.

(*) في الطبعة (١): (للغروب) و(صوابها من مخطوطة شعر الأخرس، مصدر سابق، ص ٥٥.

(**) في الطبعة (١): تركنا هذا العجز كما ورد، ولعل صحته (تُنَاشُ بِأَيْدِي اللُّومِ قَبْلَ الْوَابِدِ).

وَأَضْحَكْتَ سِنَّ الْمَجْدِ بَعْدَ بَكَائِهِ
 وَمَنْ بَعْدَ مَا كَانَتْ أُمُورٌ وَأَقْلَعَتْ
 إِذَا ذُكِرَتْ تَارَ الْغَرَامِ وَهَيَّجَتْ
 وَهَلْ يُفْلِحُ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَسُوسُهُمْ
 وَمَا كُلُّ مَنْ سَاسَ الرَّعِيَّةَ سَاسَهَا
 تَوَلَّيْتَهَا وَالطَّعْنَ بِالطَّعْنِ يَلْتَقِي (١)
 فَمَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَا بَيْنَ قَاتِلٍ
 وَقَدْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ إِذْ ذَاكَ بَيْنَهُمْ
 فَأَرَشَدْتَهُمْ لِلْخَيْرِ حَتَّى تَرَكَتَهُمْ
 عَفَوْتَ بِهَا عَمَّا جَنَى ذُو قَرَابَةِ
 وَرَحْتَ وَمَا فِي صَدْرِكَ الْحَقْدُ كَامِنٌ
 وَقَلْتَ لِمَنْ يَطْوِي عَلَى الْمَكْرِ كَشْحَهُ
 وَمَا سَادَ فِي قَوْمٍ حَقُودٌ عَلَيْهِمْ
 فَأَسْهَرْتَ عَيْنَ الْخَطِّ وَالْخَطُّ سَاهِرٌ (٢)
 أَخُو الْحَزْمِ مَنْ يَخْشَى شِمَاتَةَ كَاشِحٍ
 وَلَا يَطِئُ الْأَرْضَ الْفَسِيحَةَ بِقَعَّةٍ
 لَكَ اللَّهُ (مَنْصُورٌ) لَكَ اللَّهُ (نَاصِرٌ) (٤)
 وَتَبَّتْ وَثُوبَ اللَّيْثِ تَسْتَفْرِسُ الْمُنَى
 وَسَاعَدَكَ الْمَقْدُورُ فِيهَا وَرَبِّمَا
 وَمَنْ لَمْ تُسَاعِدْهُ الْعَنَائَةُ لَمْ يَكُنْ

طويلاً على أجدات تلك الأمجاد
 تذبوب لها إذ ذاك صم الجلامد
 كوامن نيران القلوب الخوامد
 بنو الجهل في عارٍ من الحلم فاقد
 ولا كلُّ من قَادَ الجيوش بقائد
 وأخذُ المنايا واحداً بعد واحد
 وما بين مطرودٍ وما بين طارد
 إذِ الناسُ فَوْضَى لا تدينُ لواحد
 يقولون إنَّ الرُّشْدَ فعلٌ (ابن راشد)
 رماك بسهم القطع رمي الأبعاد
 على حاقدٍ جهلاً عليك وواجد
 دَعِ الزيفَ لا تُنْفِقْهُ فِي سَوْقِ نَاقِدِ
 وَلَا حَيْرَتِ النعماءِ يوماً لحاسد
 وما أنتَ عن تارِ العدوِّ براقِدِ
 ولا زالَ مَشْحُوداً غِرَارَ الحدائدِ (٣)
 إِذَا اتَّصَلَتْ فِيهَا حِبَالُ المَكَائِدِ
 وَحَسْبُكَ مِنْ حَزْبٍ مُعِينٍ مُسَاعِدِ
 وَمَا كُنْتَ عَنْهَا مُنْذُ كُنْتَ بِلَايِدِ
 سَعَى قَبْلَ مَا تَسْعَى لِنَيْلِ المَقَاوِدِ
 لَهُ سَاعِدٌ يَشْتَدُّ عَنِ لَيْنِ سَاعِدِ

(١) في الأصل: (توليتها بالطعن والطعن يلتقي) من وهم الناسخ.

(٢) الخط: الرماح.

(٣) في الأصول: مشحود. والحدائد: السيوف.

(٤) يعني يا منصور لك الله ناصر. ومن هنا اشتبه اللفظ على الأنكليزي فظن أن القصيدة في مدح منصور وناصر

أولاد راشد السعدون. وإنما هي في مدح منصور فحسب.

لقد صُنْتُ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ قَائِمٍ
وَجَدْتَ وَأَعْطَيْتَ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
فَأرغمتَ أَنافاً وَأَكَبْتَ حُسْداً
وما فيكمُ إِلَّا طَموحٌ إِلَى العُلا
عقائدنا فيكم كما تَشْتَهونَهَا
فلم نَر في إِحسانكم غيرَ شاكرٍ
عرفناكم في من سواكم وهكذا
ومن جَرَبَ الأَيامَ والناسَ غيركمُ
وَإِنَّكَ مَمَّنْ يَشْفَعُ البِئاسَ بالندى
وقد كان تَأْسيِسُ الأوائِلِ فيكمُ
لئن كنتَ أَفْنَيْتَ الحُطامَ فَإِنما
وَعَدْتُ بِكَ الجَدوى إِذا زرتُ والغنى
فَزُرْتُ فَحيَا اللهُ طلعةَ زائرٍ
وأقبلتَ إِقبالَ الغمامِ ببارقٍ
فما احتجَّتْ بعد السَّيْلِ شِرْعَةٌ وارِدٍ
بَلَّغْتُ بِكَ الأَمالَ حَتَّى كَفَيْتَنِي
ويا رَبُّ يَوْمٍ مِثْلَ وَجْهِكَ ضاحِكٍ
وأما نَداءُ العَذبِ ما إِن وردتُهُ
مَلَكُتُمْ على أَمري فَوادِي ومَقُولِي
رَفَعْتُمْ مَناري بعد خَفْضِ ورشْتُمْ

لِسَيِّفِكَ يَوْمَ الرُّوعِ أَوَّلَ ساجِدٍ
بِرغمٍ على أَنفِ الحَسودِ المعانِدِ
فأَكرَمَ واصلٍ واقطَعُ وَقَرَّبَ وِباعِدِ
جَموحٍ إِلَى مَجْدِ طَريفٍ وتالِدِ
وكلُّ بِكُمْ مِنّا صَحيحُ العَقائدِ
مَلِيٌّ بما يُملي لسانُ المَحامِدِ
يكونُ امتيازُ الشَيءِ عند التَّضادِ
رَنا نَحوَهُمُ لَكن بِنَاطِرِ زاهِدِ^(١)
ويُقْبِلُ بالبُشْرى على كلِّ وافرِدِ
فَشيدوا على تَأْسيِسِ تلكَ القواعدِ
حَظيتَ على بيتٍ مِنَ الذِكرِ خالِدِ
ولم يُخَلِّفِ الميعادَ نوءُ العوائِدِ
تَعوُدُ على وَقادها بالفوائدِ
بصَوْبِ النِّوالِ المُستَهلِّ وراعدِ
ولا احتجَّتْ بعد الرِوضِ ندىً^(*) لرائدِ^(٢)
رِكوبِ المطايا واجْتِنابِ الفِدادِ^(٣)
عَرَضْنَا على عليك غُرَّ القِصائدِ
على كَبدي الحَرى فاعذِبُ بارِدِ
وأصبحَ فيكمُ غائِبِي مِثْلَ شاهِدِي
جِناحي وأملأتُمُ فَمي بالفرائِدِ^(**)

(١) في الأصل: (رنا نحوكم...) ولا يستقيم به المعنى بل ينعكس.

(٢) كذا في الأصل. وبه اختلال.

(٣) في الأصل: اجتناب الفداد. من وهم الناسخ.

(*) هكذا في الطبعة (١): ولعل صوابها كلمة مثل (غيباً) أو (وردًا) أو كلمة من هذا القبيل تكمل المعنى وتجبر الوزن.

(**) في الطبعة (١): (بالغرائد) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(١٨٣)

وقال حين أظلمت الدنيا في أخريات النهار من شهر رمضان سنة ١٢٧٣هـ بصورة

غَيْرَ وَجْهِ الْجَوْ فِي حُمْرَةٍ
وَأَعْقَبَتْهَا ظِلْمَةٌ أَيَقَنْتُ
كَأَنَّمَا تُوقَدُ بِالْجَوْنَارِ^(١)
أَنْفُسُنَا مِنْ أَجْلِهَا بِالْبَوَارِ
بِذَلِكَ التَّارِيخِ [حَالُ الْغُبَارِ]^(*)
هـ ١٢٧٣

(١٨٤)

سَقَانِيهَا مُعْتَقَةٌ عُقَارَا
وَدَارَ بِهَا مُشْعَشَعَةٌ عَلَيْنَا
إِذَا مَا رَفَقَهَا السَّاقِي بَلِيلِ
تَشْتُقُّ حَشَاشَةَ الظُّلْمَاءِ كَأْسُ
جَلَاهَا فِي الْكُؤُوسِ لَنَا عُرُوسًا
يُتَوَجَّهْهَا الْحَبَابُ بِتَاجِ كِسْرَى
فَقَبْلَ الْمَزْجِ تَحْسِبُهَا عَقِيْقًا
جَلَاهَا فَانْجَلَتْ عَنَّا هُمُومٌ
وَقَدْ أَلْقَتْ يَدَ الْفَجْرِ الْإِزَارَا^(٢)
فِدَارَ الْأَنْسُ فِينَا حَيْثُ دَارَا
أَعَادَ اللَّيْلَ حَيْثُ نَبْذُ نَهَارَا
كَمَا أَوْقَدَتْ فِي الظُّلْمَاءِ نَارَا
وَقَدْ جَعَلَ الْجُمَانَ لَهَا نِثَارَا
إِذَا مُزِجَتْ وَيُلْبِسُهَا سِوَارَا
وَبَعْدَ الْمَزْجِ تَحْسِبُهَا نُضَارَا
وَفَرَّتْ كُلَّمَا جَلِبَتْ فِرَارَا

(١) لم ترد في المطبوع: وهي في المخطوطة (أ) رقم ٦١٤ ق ٢ ورقة ٤٥٣ في مخطوطات المجمع. وقد نشرتها الدكتورة عاتكة الخزرجي في مجلة المجمع العلمي العراقي ص ٢٩٤ المجلد ٢٧. سنة ١٩٧٦م.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٣) غناها الأستاذ القبانجي مقام (عجم عشيرات).

(*) لم تكن الأقواس مضافة في الطبعة (١): لتحديد الكلمات المساوية للعام ١٢٧٣هـ.

فأدرکتِ النَّدامی بِالْحُمَیَا
 وکمْ من لذةِ بِکُمْ مَیْتِ راحِ
 وبعذرُنِی الشَّبَابُ على التَّصَابِی
 وما أهْنَا المِدامَ بِکَفِّ ساقِ
 بروحِی ذلکَ الرَّشَاءُ المِفقَدِی
 وأینَ الطَّبِیُّ من لِفَتَاتِ أَحْوی
 رَنَّا فَأَصَابَ بِالْأَلْحاظِ مَنَّا
 مَلِیحٌ ما تَصَبَّرَ فی هِوَاهُ
 وما أنسى غِداةَ الشَّرْبِ أَمستُ
 ألا یا مُمرَضِی بِسِقامِ طَرفِ
 فوادی مِثْلُ طَرفِکَ بانکِ سارِ
 غِرامِی فی هِواکَ بلا اِختِیاری
 مَضَى وَتَصَرَّمْتُ تِلکَ التَّصَابِی
 فِوا لِهَفِی على أوقاتِ لِهَوی
 تَرَکْتُ الشَّعْرَ لَمَّا أَلْبَسْتُ نِی
 ولولا مِدحُ مولانا (عَلِی)
 أَجَلُّ السَّادَةِ الْأَشْرافِ قَدْرًا
 وأرأفُهُم على المِلْهوفِ قَلْبًا
 جِوادٌ فی الْأَکارِمِ لا یُبَارِی
 إذا نَظَرَ الْکِبارُ إلى عِلاهُ
 وقد سَبَقَ الْأَعالی فی المِعالِی
 وساجَلَهُ السَّحابُ فَکانَ أُنْدِی
 وکمْ عامٍ مُنَعْنَا القِطْرَ فیهِ
 وکمْ شَاهدتُ فی الْأیامِ عُسْرًا
 لَنَا فی فَضْلِهِ غِرسُ الْأَمانی

من الهمَّ الَّذِی فی القَلْبِ ثارا
 أَغْرَناها فَأَبْعَدنا المِغارا (*)
 بِصِبوَةِ مِغْرَمِ خَلَعِ العِذارِ
 كَمِثْلِ البِدرِ أَشْرَقَ واسْتَنارا
 وَإِنْ أَلَفَ التَّجَنُّبَ والنُّفْارا
 یُضاهِیهِ التَّفاتِراً واحْوَارا
 فِوَادًا بِالصَّبابةِ مُسْتَطارا
 مُحِبٌّ لَمْ یَجِدْ عِنه اِصْطِبارا
 بِناظِرِهِ وَرِیقَتِهِ سُكارِی
 أَصابَ مِنَ الحِشا جِرحًا جُبارا (١)
 فَكُلُّ یَشْتَكِی مِنْكَ اِنْكَسارا
 وما كانَ الهِوى إِلَّا اضْطِرارا
 فِإِنْ عادَ الصَّبابُ عادَ ادْكارا
 قَضَیْناها وَإِنْ كانَتْ قِصارا
 مِنَ الْأَكْدارِ أیامِی شِعارا
 لَمَّا جُدْتُ النِّظامَ وَلا النُّثارا
 وأرْفَعُهُم وَأَطِیبُهُم نِجارا
 وأسْرَعُهُم إلى الحِسانی بِدارا
 وَبِحِرفِی المِکارِمِ لا یُجارِی
 رَأَتْ فی المِجدِ أَنْفُسَها صِغارا
 فَمالِحَتْ لَه فیها غِبارا
 یَدًا مِنْها وَأَعْظَمَها قِطارا
 فامْطَرنا لُجَیْنا أَوْ نُضارا
 ولُدْتُ بِهِ فَشاهَدتُ الِیسارا
 جَنَیْناها بِدولتِهِ ثَمارا

(١) الجرح الجبار: بضم الجيم. غير المطالب به.

(*) في الطبعة (١): (المفارا) خطأ طباعي وما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وكم أكرومةً عذراءً بكرٍ
يُهينُ أعزُّ ما ملكت يدهُ
ألستُم في الحقيقة آل بيتٍ
عليكم تنزل الآياتُ قدماً
أقمتم ركنَ هذا الدين فيها
جُزيتُم عن جميع الناس خيراً
بنفسي منك قرماً هاشمياً
تقدُّ حوادث الأيام قدماً
بسرِّ نذاك قام الشُّعْرُ فينا
نُقِّدُ من مناقبك القوافي
لبست من الثناء عليك حلياً
يَضُوعُ شَمِيمُهُ في كلِّ نادٍ
فلا زالت لك الأيام عيِّداً

يجيءُ بها إلى الناس ابتكاراً
بوافر نيلهِ ويُعزُّ جارا
علواً جوداً وفضلاً واقتداراً
فحسبكم بذالكم افتخارا
وأوضحتم لطالبه المنارا
وما زلتم من الناس الخيارا
يُجيرُ من الخطوب من استجارا
فأنت السيفُ بل أمضى شِفارا
فأثنينا عليك به جهارا
بأحسن ما تَقَلَّدتِ العذارى
لعمرك لن يُباعَ ولن يُعارا
كما نَشَرَتِ صبا نجدِ عَرا
ولا شاهدت في الدنيا بوارا

(١٨٥)

أقولُ ليوسفَ والمَطْلُ ظلمٌ^(١)
وإنك قد وَعَدتَ به فقلُّ لي
أما لي حصَّةٌ في ماءٍ ورْدكُ
متى يا سيِّدي إنجازُ وَعْدكُ

(١) ذكر لي الأستاذ غزوان سبط آل باش أعيان أنه وجد في نسخة الطراز المطبوع تعليقاً لجده عند هذين البيتين:
إن الأخرس قالهما يخاطب المرحوم يوسف بك آل باش أعيان. ولم نجد في النسخ الخطية إشارة إلى المخاطب (يوسف) من هو. والذي يبدو لي أنه يخاطب المرحوم يوسف الصبيح. وبخاصة أنه طلب منه طيباً في قصيدة أخرى مما يجعل هذه القرينة أولى بالقبول.

وقد ساءت لها يا (سعد) حالٌ
 ولا سيما إذا هبت شمال
 لهيب الشوقِ والدمع المذال
 فأطأقها وليس بها عقال
 تحامها الضنى والإختلال
 فكيف تسابق المزن الروال (*)
 وللأشجان أعباء ثقلا
 لها فيه أنسياب وأنثيال
 من البيداء أبواع طوال
 كعضب القين أرهفه (**)
 الصقال غرام حين أومض أم خبال (***)
 فكيف بها وقد منع الوصال
 وعقد الدمع يوهيه أنحلال
 كطرفي لا يلم بها خيال
 وغايتها التغابن والوبال
 أحالتها من الحدثنان حال
 وما يغني التفحص والسؤال
 حمتها البيض والأسل الطوال
 من السرب الغزاة والغزال
 بدور من أسرتها الكمال

رأها قد أضر بها الكلال
 فذكرها شميم عرار (نجد)
 فحررها وأين لها بـ (نجد)
 وقد كانت كأن بها عقالا
 ولولا النازلون هضاب (نجد)
 تخال الدمع سابقها عليهم
 يحملها الهوى عبئا ثقيلًا
 ويقذفها النوى في كل فج
 تمدُّ به فيفصر في خطاها
 تشيم البرق يومئذ سناه
 وما أدري أهاج النوق منه
 شديد وجدها والوصل دان
 ذكرنا عهد ربك يا سلمي
 منازل للهوى ما لي أراها
 مباديها المسرة والتّهاني
 وكانت بهجة الأبصار حتى
 سألتك أين عيشك بالأوالي
 عادة الشيح نبتك والخزامى
 وتسنع في عراصك قبل هذا
 وتطلع من خيامك مشرقات

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(*) الروال: لعاب الدواب، وقيل الروال زبد الفرس خاصة. انظر: لسان العرب، مادة (رال).

(**) في الطبعة (١): (أرهقه) خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(***) في طا (خيال) وبذلك تكررت القافية بعد بيتين، وصواب الكلمة (خبال) كما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وَكُلُّ مُهْفَفٍ تُنْفِي عَلَيْهِ
 رُمَاءٌ مِنْ حَوَاجِبِهَا قِسِيٌّ
 وَمَنْ لِي أَنْ تَرَى عَيْنِي سَنَاها
 تَنَافَرَتِ الْمَهَا فَوَجَدْتُ قَلْبِي
 وَهَاتِيكَ الرِّكَايِبُ أَرْقَلَتْهَا
 وَكَمْ صَانَتْ أَكَلَتْهَا وَجُوهًا
 فَمَالُوا بِالْأَبَاعِرِ لِإِلَيْنَا
 أُعِيدُكَ مِنْ حَشَا تَذَكُّو لَطَاهَا
 أَحَبَّتُكَ الَّذِينَ شَقِيَتْ فِيهِمْ
 لَنْيِرَانِ الْجَوَى يَا نَاقُ عِنْدِي
 أَعَلَّلَ بِالْأَمَانِي، وَالْأَمَانِي
 سَرَابٌ لَا يُبَلُّ بِهِ غَالِيْلٌ
 وَحَسْبُكَ إِنْ وَرَدَتْ (أَبَا جَمِيلٍ)
 رِدِّي مِنْ سَيِّبِهِ عَذْبًا زَلَالًا
 تُنَاخُ بِبَابِهِ الْأَمَالَ طُرًّا
 تُعْظَمُهُ الْخُطُوبُ وَيَزْدَرِيهَا
 وَيَنْهَضُ مِنْ أُبُوتِهِ بِعَبِيٍّ
 مِنَ الشَّمِّ الشَّوَامِخِ فِي الْمَعَالِي
 وَيُوقِرُهُ إِذَا طَاشَتْ رِجَالُ
 صَقِيلٍ مَضَارِبِ الْعَزَمَاتِ مَاضٍ
 قَوَامُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا
 أَظَلَّتْنَا غَمَامَتُهُ بِظَلِّ
 وَيَوْمٍ مُشْتَمِسٍ فِيهِ مُضِيٍّ
 وَلَيْلٍ فِيهِ أَقْمَرُ مُسْتَنْيِرًا
 يُنْقَسُ كُلُّ كَارِبَةٍ بِكَرٍّ
 سَمَاءً مِنْ سَمَاوَاتِ الْمَعَالِي
 فَعَالَ تَسْبِقُ الْأَقْوَالَ مِنْهُ
 يُرِيكَ مِدَادُهُ فِي يَوْمٍ جَوْدٍ

مَعَاطِفُهُ وَيَتُنْفِيهِ دَلَالٌ
 تُرَاشُ لَهَا مِنَ الْحَدَقِ النَّبَالُ
 فَتَنْعَمَ أَعْيُنٌ وَيُرَاحَ بَالٌ
 يَجِدُّ بِهِ وَلِحَيِّ ارْتِحَالٌ
 ظَبَاءٌ قَدْ أَقَلَّتْهَا الْجَمَالَ
 عَلَيْهَا مَهْجَتِي أَبَدًا تُذَالُ
 وَمَالَ بَنَى الْهَوَى مِنْ حَيْثُ مَالُوا
 وَهُمْ دَاوَهُ السِّدَاءُ الْعُضَالُ
 أَسَالُوا مِنْ دُمُوعِكَ مَا أَسَالُوا
 عَلَى الْبُعْدِ اتَّقَادُ وَاشْتِعَالُ
 أُمُورٌ مِنْ زَخَارِفِهَا الْمُحَالُ
 وَلَا فِيهِ لِي سِوَارِدِهِ بِلَالُ
 جَمِيلٌ مَا يَرُوقُكَ أَوْ جَمَالَ
 فَتَمُّ الْمُورِدِ الْعَذْبُ الزَّلَالُ
 وَتُمْلَأُ مِنْ مَوَاهِبِهِ الرَّحَالَ
 وَلَيْسَ لَهُ بِمَعْظَمِهَا احْتِفَالُ
 قَلِيلٌ مَا، تَنْوُءُ بِهِ الرَّجَالَ
 يَطُولُ الرَّأْسِيَّاتِ وَلَا يُطَالَ
 حُلُومٌ لَا تُضَاهِيهَا الْجِبَالَ
 فَلَا فُلْتُ مَضَارِبِهِ الصِّقَالَ
 شِفَاؤُهُمَا إِذَا كَانَ اعْتِلَالُ
 إِذَا لَفَحَ الْهَجِيرُ بِهِ ظِلَالُ
 فَشَمْسٌ مَا لِمَطَاعِهَا زَوَالُ
 عَلَى وَجَنَاتِ هَذَا الدَّهْرِ خَالُ
 لَدَى يَوْمٍ يَضِيْقُ بِهِ الْمَجَالَ
 كَوَاكِبُهَا الْمَنَاقِبُ وَالْخِصَالُ
 وَأَقْوَالُ تَقَدَّمَهَا الْفِعَالُ
 لِأَحْدَاقِ النَّوَالِ بِهِ اِكْتِحَالُ

ومن كلماته ما قيل فيها
لساني في مدائحه صدوق
إذا أسدى إلي المال أمست
فلي من ماله شرف وجاه
قريب النيل ممتنع المعالي
تحطك رافة شملت ورقت
عزيز النفس عز على البرايا
كأنك بين أقوام سسرة
وإني قد رأيت علاك منهم
وليس لهم وإن دفعوا إليها
خليقتك المروءة حيث كانت
وهل أخشى من الحظ انفصلاً
تلذ لك المكارم والعطايا
ولست من الكرام كبعض قوم
فيا جبلاً أطل من المعالي
هبات منك للعافين تترى

هي السلسال والسحر الحلال
يصدق فيه مني ما يقال
تمال لي القلوب وتستمال
ولي من جاهه عز ومال
ومدني النيل ما بعد المنال
وتشرفك الأبوة والجلال
نظيرك في الأماجد والمثال
هدى ما بعده إلا الضلال
مرام قد يرام ولا ينال
مناقبك الشريفة والخلال
وشيمتك السماحة والنوال
ولي من قرب حضرتك اتصال
وتطربك الشجاعة والنزال
يجود بماله حتى يقال^(١)
علينا لا نزول ولا تزال
ولا وعد لديك ولا ميطال

(١٨٧)

شديد ما أضر بها الغرام
وما انفردت^(*) بصبوتها ولكن
تشاكينا الهوى زمناً طويلاً
قريباً ما تدوب على طول
سقى الله الديار حياً كدمعي
وبات الغيث منهلأ عليها

وأضناها لشقوتها السقام
كذلكم المحب المستهام
فأدمعنا وأدمعها سجام
عفت حتى معالمها رمام
لها فيها انسكاب وأنسجام
تسيل به الأباطح والأكام

(١) حتى: هنا بمنزلة الحال، وليست أداة نصب.

(*) في الطبعة (١): (انفروت) خطأ طباعي والصواب ما اثبتناه من الطراز الأنفس.

حبستُ بها المطيَّ فقالَ صَحْبِي
وَبِرْحَ بِالنِّيَاقِ نَوَى شَطُونُ
فَلَا رَنْدًا تَشْمُ وَلَا تُمَامًا (*)
مُفَارِقَةٌ أَحْبَبْتُهَا بِ(نَجْدِ)
تَقَرُّ لِأَعْيُنِي تِلْكَ الْمَغَانِي
إِذَا ذُكِرَتْ لَنَا فَاضَتْ عِيُونُ
لِعَمْرِكَ يَا أَمِيمَةً إِنَّ طَرْفِي
أَشِيمُ الْبَرْقِ يَبْكِينِي ابْتِسَامًا
تَبَسَّمَ ضَاحِكًا فَكَأَنَّ سَعْدِي
يَلُوحُ فَيَنْجَلِي طَوْرًا وَيَخْفَى
أَمَا وَهَوَاكَ يَمْنَحُنِي سَقَامِي
لَقَدْ بَلَغَ الْهَوَى مَنِّي مُنَاهُ
عَلَى الْأَحْدَاقِ لَا بَيْضَ حِدَادُ
سَلِي السُّمُرِ الْمُتَّقِفَةَ الْعَوَالِي
أَبَيْتُ أَرَعَى النُّجْمَ فِيهِ
يَذْكُرْنِي حَمَامُ الْأَيْكِ الْإِفَاءُ
وَهَاتِفَةٌ إِذَا هَتَفَتْ بِشَجْوِي
فَنُوحِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَنُوحِي
بَذَلْتُ لِبَاخِلٍ فِي الْحَبِّ نَفْسِي
مَنْعَتُ رُضَابَهُ حَرَصًا عَلَيْهِ
وَفِي طِيِّ الْجَوَانِحِ لَوْ نَشَرْنَا
أَرَى الْأَيَّامَ أَوْلَهَا عِنَاءً
عِنَاءً إِنَّ تَأْمَالَهَا لَبَيْبٌ
لِذَلِكَ الْأَكْرَمُونَ تُذَادُ (***) عَنْهَا

أَضَرَّ بِهَذِهِ النَّوْقِ الْمَقَامِ
وَأَشْجَانُ تُرَاشُ لَهَا سَهَامِ
وَأَيْنَ الرَّنْدُ مِنْهَا وَالنُّمَامِ
عَلَيْكَ الصَّبْرُ يَوْمئِذٍ حَرَامِ
وَهَاتِيكَ الْمَنَازِلُ وَالخِيَامِ
وَأَضْرَمَ مُهْجَةَ الصَّبِّ الضَّرَامِ
عَلَى الْعَبْرَاتِ أَوْقَفَهُ الْغَرَامِ
وَقَدْ يُبْكِي الشَّجِيَّ الْإِبْتِسَامِ
تَزْحُزِحَ عَنْ ثَنَائِهَا اللَّثَامِ
كَمَا جَلِيَتْ مَضَارِبُهُ الْحُسَامِ
وَمِنْكَ الْبَرُّ أَجْمَعُ وَالسَّقَامِ
وَلَمْ يَبْلُغْ مَارِبَهُ الْمَلَامِ
يُشَقُّ بِهَا حَشًّا وَيُقَدُّ هَامِ
أَتَفْتِكُ مِثْلَ مَا فَتَكَ الْقَوَامِ
بِطَرْفٍ لَا يُلْمُ بِهِ مَنَامِ
أَلَا لَا فَارِقَ الْإِلْفِ الْحَمَامِ
أَقُولُ لَهَا وَمِثْلُكَ لَا يَلَامِ
فَلَا عَيْبٌ عَلَيْكَ وَلَا مَلَامِ (**)
وَلِذَلِكَ الصَّبَابَةُ وَالْهِيَامِ
فَفَاخِ الرِّيِّ وَاتَّقِدِ الْأَوَامِ
بِهَا الْمَطْوِيَّ طَالَ لَنَا كَلَامِ
وَعُقْبَاهَا إِذَا انْقَرَضَتْ أَثَامِ
وَمَا يَشُقُّ بِهَا إِلَّا الْكِرَامِ
فَتَمْنَعُهَا وَيُعْطَاهَا اللَّثَامِ

(*) في الطبعة (١): (تماماً) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (منام)، و الصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (تزداد) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

نَزَلْنَا مِنْ جَمِيلٍ (أَبِي جَمِيلٍ)
فَتَمَّ الْعُرْوَةُ الْوَثْقَى وَإِنَّا
إِذَا بَدَلَ النَّدَى قَالَتْ عَلَاهُ
فَلِلْأَمْوَالِ فِي مَا يِقْتَنِيهِ
وَعَضْبُ صَارِمِ الْحَدِيدِ مَاضٍ
إِذَا نَزَلَ الْمَرُوعُ لَدَيْهِ أَمْسَى
جَوَادٌ لَا يَجُودُ بِهِ زَمَانٌ
أَشْمِيمٌ بِرُوقِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
إِذَا افْتَخَرَ الْأَنْامُ وَكَانَ فِيهِمْ
وَأَنْ عُدَّتْ عَلَى النَّسَقِ الْأَعَالِي
تَيَقَّظَ لِلْمَكَارِمِ وَالْعَطَايَا
مَكَانَكَ مِنْ عَرَانِينَ الْمَعَالِي
وَمَا جُودَ الرِّوَائِحِ وَالغَوَادِي
بِنَفْسِي مَنْ لَدَى حَرْبٍ وَسِلْمٍ
تُرَاعَى بِهِ الْوَفُؤُ وَهُوَ فَرْدٌ
وَمَنْ عَظُمَتْ لَهُ فِي الْمَجْدِ نَفْسٌ
لَتُهْدَى أُمَّةٌ بِكَ فِي الْمَعَالِي
كَأَنَّكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا أَبُوهَا
مَحَاكُ مِنْ بِلَادٍ أَنْتَ فِيهَا
لِكُلِّ فِي حِمَاكَ لَهُ طَوَافٌ
تَعُودُ بِوَجْهِكَ الظُّلْمَاءُ صُبْحاً
وَيُشْرِقُ مِنْ جَمَالِكَ كُلُّ فَجٍ
فِدَاؤُكَ مِنْ عَرَفْتَ وَأَنْتَ تَدْرِي
أَنْسَ حَاوَلُوا مَا أَنْتَ فِيهِ
لَقَدْ بَخَلُوا وَجُدْتَ وَأَنْتَ فِينَا

بِحَيْثُ الْقَصْدُ يُبْلَغُ وَالْمَرَامُ
لَنَا بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى اعْتَصَامُ
لِكَسْبِ الْحَمْدِ يُدْخِرُ الْحُطَامُ
صُدُوعُ مَا هُنَاكَ وَالْتِيَامُ
وَلَا كَالصَّارِمِ السَّيْفِ الْكَهَامُ
يُضِيمُ بِهِ الْخُطُوبُ وَلَا يُضَامُ
وَلَا يُسْتَنْتَجُ الدَّهْرُ الْعُقَامُ
وَمَا كُلُّ بَوَارِقَةٍ تُشَامُ
فَلَيْسَ بِغَيْرِهِ افْتَخَرَ الْأَنْامُ
فَذَاكَ الْبَدَاءُ فِيهِ وَالْخِتَامُ
وَأَعْيُنُ غَيْرِهِ عَنْهَا نِيَامُ
مَكَانٌ لَا يُنَالُ وَلَا يُرَامُ
فَإِنَّ الْجُودَ جُودُكَ وَالسَّلَامُ
هُوَ الضَّرْعَامُ وَالْقَرْمُ الْهُمَامُ
وَلَيْسَ يَرُوعُهُ الْعَدْدُ اللَّهُمَامُ
أَهْيَنْتَ عِنْدَهُ الْخِطَطُ الْعِظَامُ
وَمَا ضَلَّتْ وَأَنْتَ لَهَا إِمَامُ
وَرَاعِ أَنْتَ وَالِدُنْيَا سَوَامُ
مَحَلُّ الْأَمْنِ وَالْبِلَادُ الْحَرَامُ
وَتَقْبِيلُ لِكَفِّكَ وَاسْتِلامُ
وَيُسْتَسْقَى بِطَلْعَتِكَ الْغَمَامُ
كَمَا قَدْ أَشْرَقَ الْبَدْرُ التَّمَامُ
فَخَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِمُ الْحِمَامُ
وَمَا سَلَكَوا طَرِيقَكَ وَاسْتَقَامُوا
كَمَا انْهَلَتْ عَزَالِيهِ الرُّكَامُ

وما كلُّ بمَعْدُورٍ* بِبُخْلِ
تميلُ بنا بِمَدْحَتِكَ القَوَافِي
ولولا أَنْتَ تُنْفِقُهَا لكانتْ
نَزورُكَ سَيِّدِي في كلِّ عامٍ
تُخَبِّرُ أَنْنا ولأنتَ أدرى

ولا كلُّ على بُخْلِ يلام
كما مالتْ بِشارِبِها المِدام
بِوائِرَ لا تُباعُ ولا تُسام
إذا ما مرَّ عامٌ جاءَ عامٌ
صِيامٌ منذُ وافانا الصِّيَام

(١٨٨)

ما** لهذي النُّوقُ تَنحَطُّ كلالاً
نَحَلتْ حتى أَنْبَرَتْ أَعْظُمُها
كلُّ ما شامتْ سَناً من بَارقٍ
أصبحتْ تُفَرِّي فيافيها سُرَى
فتَرَفَّقُ أَيُّها الحادي بها
لستُ أنسى وقفتي في (رامَة)
ووشتْ عن كلِّ صبِّ عِبرةٍ
وأساءةٍ لحشاً مكلومةٍ
يا مهاة (الجَزَع) أَنْتَنَ له
يا أخلائي تَننأى زمنٌ
وليالٍ ما أحيلى أنسها
نَقَلَ الواشي إليكم خَبِراً
يَتَمَنى سَأوتِي لكانه
لا تَلْمَنِي لأتَمي في صَبوتِي
فاتركاني والهُوى إني فتى
من ظِباءِ الرَّمْلِ ظِبيُّ إن رنأ

وتَجُوبُ البِيدُ حِلاً وارتحالا
والهُوى يُنقِبُ أهليه نكالا
قَذَفَتْ لوعتها دمعاً مُذالا
وتُحاكي باقتحامِ الأَلِ رالا
فلقد أورثها الوجودُ خبالاً
لم يدعُ منها النُّوى إلا خيالاً
فَكَفَتْ عَبرتهُ الواشي المَقالا
جَرَحَتْها حَدَقُ الغيدِ نصالاً
سَالباتُ قَلْبِهِ المُضنى جَمالاً
مر لي فيكم وصالاً وانفصالاً
أصبحتْ في وَجَنَةِ الأيامِ خالاً
لم يكنْ يقبلُ ما قالَ احتمالاً
يَتَمَنى وأبي أمراً مُحالاً
فالهُوى ما زالَ للعقلِ عِقالاً
غالني دونكمُ الوجودُ اغتيالاً
سَلُّ من جَفَنِيهِ صَمَّصاماً وصالاً

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦٠).

(*) في الطبعة (١): (بمندور) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): لم ترد هذه الكلمة وأضفناها من الطراز الأنفس.

ظَبِيَّةُ الْخَدْرِ الَّتِي لَمَّا جَفَتْ
 هَلْ وَفَتْ مَدْيُونَهَا مُسْتَعْرَمًا
 لَوْ أَبَاحْتَنِي جَنَى مَرَشَفِهَا
 يَا رَعَى اللَّهَ نُزُولًا بِالْحَمَى
 حَالُّو ظُلْمًا حَرَامًا مَثَلَمَا
 فَاصْطَبِرْ يَا قَلْبُ يَوْمًا رَبِّمَا
 كَمْ يَرِينِي الدَّهْرُ جَدًّا هَارِلًا
 إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ مُحَمَّدٌ فَلَا
 فَتَفَاءَلْ بِاسْمِهِ فِي سَيِّبِهِ
 إِنْ تُحَاوَلْ شَخْصَهُ تَلْقُ عَلًّا
 لَا يُرْجَى غَيْرُهُ فِي شِدَّةِ
 لَيْثٍ غَابٍ وَسَحَابٍ صَيِّبٍ
 كَرَمٌ يُخْجِلُ هَتَّانَ الْحَيَا
 وَيَدُ مَا انْقَبَضَتْ عَنْ سَائِلٍ
 صَارُمُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْشَ مِنْ
 وَلَكُمُ أَجْدَى فَأَسْدَى كَرَمًا
 صُنْعُهُ الْمَعْرُوفُ مَعْرُوزٌ بِهِ
 كَمْ وَرَدْنَا فَخْضَلَهُ مِنْ مَوْرِدٍ
 مَنَحَ اللَّهُ بِهِ يَا حَبِّبًا ذَا
 قُلْ لِحُسَّادِ مَعَالِيهِ اقْصَرُوا
 يَتَمَنَّوْنَ مَعَ الْعَجْزِ الْعُلَا
 لَيْسَ مِنْ يَذْخُرُ جَمِيلًا فِي الْوَرَى
 لَا وَلَا مِنْ صَأُؤَبَتْ رَاحَتُهُ
 أَلْ بَيْتِ الْوَحْيِ مَا زَلْنَا عَلَى
 مَا بَرَحْتُمْ مُذْ خُلِقْتُمْ سَادَةً
 لَا يُغَالِي فِيكُمْ الْمَادِحُ إِنْ
 أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي زَادَ سَنَا
 هَاكَ مِنْ عَبْدِكَ نَظْمًا إِنَّهُ

أدللاً كان منها أم ملاً
 يشتكى منها وإن أوفت مطالا
 لشفقت من ريقها الداء العضالا
 عثرة المغمم فيهم لن تقالا
 حرّموا في شرعهم شيئاً حلالا
 أصبح الخلب بعد اليأس خالا
 فأريه من ظبى عزمي جدالا
 غير (محمود) مقالاً وفعالا
 فاسمه كان لمن يرجوه فالأ
 صحب العز يميناً وشمالا
 أو ترجو بوجود البحر ألا
 حيث تلقاه نوالاً ونزالا
 وعلاً تورث أعداه الوبالا
 بل كفت في سيبها العافي السؤالا
 حادث الدهر انثلاماً وانفلالا
 منناً طوق فيهن الرجالا
 لا وجود الجود حتى أن يقالا
 فوجدناه نَمِيرًا وزلالا
 منح من جانب الله تعالى
 لم تزل أيديه في المجد طوالا
 وإذا قاموا لها قاموا كسالى
 كالذي يذخر للأخطار مالا
 كالذي يقطر جوداً ونوالا
 فضلكم يا سادة الدنيا عيالا
 تكشفون الغي عنا والضلالا
 أطنب المادح في المدح وغالى
 زادك الله سناً وكمالا
 ينظم الشعر بعلياك ارتجالا

يوسَعُ الْفَضْلَ عَلَى الْفِكْرِ مَجَالًا
لَنْتُمْ كَفَيْكَ الَّتِي تَكْفِي نَوَالًا
مَا وَجَدْنَا لَكَ فِي النَّاسِ مِثَالًا
حَمَلْتَنِي مِنْكَ أَحْمَالًا ثَقَالًا
أَيْدِيًا تُؤَلِي وَفَضْلًا يَتَوَالِي

كَلَّمَا ضِيقْتُ بِهِ ذِرْعًا أَرَى
وَاهَنَ بِالْعَيْدِ الَّذِي عَوَّدْتَنَا
مَلِكُ أَنْتَ بِنَا أُمُّ مَلِكُ
كَيْفَ أَقْضِي شُكْرَ أَيْدِيكَ الَّتِي
لَا عَدِمْنَا فِيكَ يَا بَحْرَ النُّدَى

(١٨٩)

لَكُنْتُ وَاللَّهِ غَيْرَ مَغْبُونٍ
كَأَنَّهَا مِنْ بَنَاتِ الْحُورِ وَالْعَيْنِ

وَعَادَةٌ لُوْبْرُوحِي بَعْتُ رُؤْيَتَهَا
مَا الْبَدْرُ وَالْغَصْنُ أَحْلَى مِنْ شَمَائِلِهَا

(١٩٠)

وقال مادحا السيد سلمان القادري النقيب^(١) ويعتذر إليه عما افتراه عليه حساده

دَعَانِي بِهِ الْمُشْتَاقُ فِي صَدِّهِ الْعَنَا
وَعَهْدِي بِهِ رَطَبَ الْمَحَبَّةِ لِيْنَا
إِذَا لَاحَ وَسَنَانُ النَّوَاطِرِ بِالسَّنَا
وَفِي قَدِّهِ اسْتَعْنَى عَنِ الطَّعْنِ بِالْقَنَا
وَأَيْنَ الظُّبَاءُ الْعُفْرُ مِنْهُ إِذَا رَنَا
وَيَا مُلْبَسِي ثَوْبًا مِنَ السُّقْمِ وَالضَّنَى
وَمَا خَلِقْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَفْتِنَنَا
كَأَنَّ عَلَيْنَا لِلْكَوَاكِبِ أَعْيُنَا

عَفَا اللَّهُ عَن ذَاكَ الْحَبِيبِ وَإِنْ جَنَى
قَسَا قَلْبُهُ فِي قَوْلِ وَاشٍ وَحَاسِدٍ
مِنَ الْغَيْدِ فَتَّكَ بِقَدِّ وَمُقْلَةٍ
فَفِي لَحْظِهِ اسْتَكْفَى عَنِ الضَّرْبِ بِالظُّبَى
فَأَيْنَ عُصُونُ الْبَانِ مِنْهُ إِذَا انْتَنَى
فِيَا سَالِبِي صَبْرِي عَلَى الْبُعْدِ وَالنُّوَى
لَقَدْ فَتَنْتَنِي مِنْكَ عَيْنٌ كَحَيْلَةٍ
وَلَيْلٍ بِإِرْغَامِ الرَّقِيبِ سَهْرَتُهُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

نَعْمَنَا بِهِ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ لَيْلَةً
فَمَنْ كَأْسِ رَاحٍ لِلْمَسْرَاتِ تُحْتَسَى
إِلَى أَنْ ذَوَى رَوْضِ الدُّجَى بِصَبَاحِهِ
أَعْدُ ذَكَرَ هَاتِيكَ اللَّيَالِي وَإِنْ مَضَتْ
إِذَا مَا جَرَتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ بَيْنَنَا
وَإِنْ عَرَضَ اللَّاحِي وَلَا مَ عَلَى الْهَوَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو مِنْ تَجَنِّيهِ شَادِنًا
أَشِيرُ إِلَى بَدْرِ الدُّجْنَةِ طَالِعًا
وَيَا وَيْحَ قَلْبِي كَيْفَ يَرْمِينِ أَعْيُنُ
خَلِيلِي هَلْ أَحْطَى بِهَا سِنَّةَ الْكُرَى
فَمَا أَنَا لَوْلَا النَّازِحُونَ بِمُهْرَقِ
رَعِيَتْ لَهُمْ عَهْدًا وَإِنْ شَطَّتِ النَّوَى
وَإِنِّي لِأُرْعَى لِلْمَوَدَّةِ حَقَّهَا
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرَأٍ إِنْ تَلَوْنَتْ^(١)
حَبِيبٌ إِلَيَّ الدَّهْرَ مِنْ لَا يَرِيْبُنِي
وَكُلُّ جَوَادٍ يَفْتَنُنِي الْمَالَ لِلنَّدَى
لَنْ كُنْتُ أَعْنَى النَّاسِ عَنْ سَائِرِ الْوَرَى
إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي مُجِيبًا بِاسْمِهِ
تَأْمَلْتُ بِالْأَشْرَافِ حُسْنًا وَمَنْظَرًا

وقد طافت الأقداحُ من طربِ بنا
ومن وردِ خدِّ ما هنالك يُجْتَنَى
وبدلَّ من وردِ البنفسجِ سَوْسَنَا
ولم تكْ بَعْدَ الْيَوْمِ رَاجِعَةً لَنَا
أَمَالَ عَلَيْهَا عُصْنَهُ الْبَانُ وَأُنْحَنَى
فَصَرَخَ بَمَنْ تَهَوَى وَدَعْنَى مِنْ الْكُنَى
أَحَلَّ مَكَانًا فِي الْحَشَا فَتَمَكَّنَا
وَإِيَّاهُ يَعْنِي بِالْإِشَارَةِ مَنْ عَنَى
تَعْلَمَنَّ مَرْمَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَا
لَعَلَّ خَيْالًا يَطْرُقُ الْعَيْنَ مَوْهِنَا
فُرَادَى دُمُوعٍ يَنْحَدِرْنَ وَلَا تُنَا
بِهِمْ وَاسْتَبِينَ الْوَدَّ بِالصَّدْقِ مَعْلَنَا
وَلَا يَهْدَمَنَّ الْوَدَّ عِنْدِي مِنْ بَنَى
بِي الْحَالُ مِنْ رَبِّبِ الزَّمَانِ تَلَوْنَا
وَيُرْعَى مَوَدَّاتِ الْأَخْلَاءِ بَيْنَنَا
وَيُنْفِقُ يَوْمَ الْجُودِ أَنْفُسَ مَا أَقْتَنَى
فَمَا لِي عَنْ (سَلْمَانَ) فِي حَالَةٍ غَنَى
زَجَرْتُ بِهِ طَيْرًا مِنَ السَّعْدِ أَيْمَنَا^(٢)
فَلَمْ أَرَ أَبْهَى مِنْ سَنَاهُ وَأَحْسَنَا

(١) أخذته من الشعر المنسوب إلى الإمام علي رضي الله عنه:

ولا خير في ود امرئ متلون

إذا الريح مالت مال حيث تميل

(٢) زجر الطير من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام وحاربها. وذلك أن الرجل منهم كان ينوي شيئاً ثم يزجر الطير، فإذا اتجه الطائر إلى اليمين يتفاعل، وإذا اتجه إلى الشمال يتشام. وإليه أشار قوله تعالى: (قالوا إنا تطيرنا بكم لنن لهم لنجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم، قالوا طائركم معكم أنن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون) سورة ياسين الآية (١٨ و١٩).

بأكرمهم كفاً وأوفرهم ندىً
 وكم حدثوا يوم الندى بحديثه
 وما زال يروي الشعْر عن مكرّماته
 بكل قصيدٍ يحسدُ العقدُ نظمها
 بروحي من لا زال منذُ عرفته
 نبأ لا نبأ عني بجانبِ وده
 وبني فيه من حرّ الكلام وجزله
 إذا برزت لي حجةً في عتابه
 (أبا مصطفى) إني وإن كنت (أخرساً)
 (أبا مصطفى) أما رضاك فمُنيتي
 إذا كان عزي من لدنك ورفعتي
 ألسْتُ أمراً أنزلتُ فيك مقاصدي
 وشكرانُ ما أوليتنيهِ من الندى
 وما كان ظني فيك تُصغي لكاذبٍ
 فتُبدلني بعد المودة بالقلبي
 وأنت الذي جربتنني وبأوتني
 أبي أشمُّ الأنفِ غير مُداهنٍ
 صدّدتُ وأيمُ الله لا عن جناية
 ابنٍ واستبنُ أمراً تحيطُ بعلمه
 وهبني مُسيئاً مثل ما يزعمونني
 وسرُّ إذاً نفسي ودعُ عنك ما مضى

وأرفعهم قدراً وأمنعهم بنا
 فقلتُ أحاديثُ الكلام إلى هنا
 حديثُ المعالي عن علاه مُعنّنا
 تفنّنَ فيها المادحون تفنّنا
 إذا ما أساءَ الدهرُ بالحرّ أحسننا
 ومن لي به لو كان بالوردِ قد دنا
 مقالُ من العُتبيّ وعُتّبُ تضمّنا
 أعادتُ فصيحَ النطقِ بالصدقِ ألكنا
 فما زال كلّي في ثنائك ألسّنا
 ومن عجبٍ فيك المنيّةُ والمُنَى
 فلا ترضِ لي موطنَ الذلِّ موطننا
 بمنزلةٍ تستوجبُ الحمدَ والثنا
 لمُتخِذِ المعروفِ في البرِّ ديدنا
 وتقبلُ قولَ الزورِ من وكدِ الزنا
 وتغضبُ ظلماً قبلَ أن تتبينا
 وأنتَ الذي في الناسِ تعرفُ من أنا
 قريبُ من الحُسنى بعيدُ عن الخنا
 وما كان لا والله صدك هينا
 لعلك أن تستكشفَ العذرَ بيننا
 بلا ثقةٍ منهم فكن أنتَ مُحسّنا
 فلا زلتَ مسروراً ولا زلتَ في هنا

حَيْثُ الْهَوَى وَمَلَأَبُ الْغِزْلَانِ^(١)
 يَا شَدَّ مَا يَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
 مَاذَا أَلْقَى بَعْدَهُمْ وَأَعَانِي
 فِي مَعَزَلٍ مَنِّي عَنِ السُّلْوَانِ
 لَشَبِيهَةٌ وَأَبِيكَ بِالْعَقِيَانِ
 إِنَّ الْجَوَى لَمْهَيْجِ النَّيِّرَانِ
 صُمَّتْ عَنِ اللَّاحِي إِذَا يَلْحَانِي^(٢)
 فِي مَا أَعَانِي غَيْرَ مَا تَرِيَانِ
 ضَاقَ الْغِرَامُ بِهِ عَنِ الْكُتْمَانِ
 مَا تَفَعَّلُ الصَّهْبَاءُ بِالنَّشْوَانِ
 وَطَرِبْتُ بَيْنَ مَثَالِثٍ وَمَثَانِي
 وَالشَّمْسُ تَشْرِقُ مِنْ بُرُوجِ دَنَانِ
 مَا لِلْهُمُومِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 قَدْ كُأَلْتُ بِالْدُرِّ وَالْمَرْجَانِ
 سَحَرَ الْعُقُولَ بِنَاطِرٍ وَسُنَانِ
 مِنْ خَوْطِ بَانَ يَا لَهُ مِنْ بَانَ
 بِتَنْوُوعِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
 زَهَرَ الرِّبَا بِالرُّوحِ وَالرِّيحَانِ

نزلوا بحيثُ السَّفْحُ من (نعمان)^(٢)
 هَامَ الْفَوَادُ بِهِمْ وَزَادَ صَبَابَةً
 يَا لِيَتَّهَمُ عَلِمُوا عَلَى بَعْدِ النَّوَى
 كَيْفَ السُّلُوكُ وَلِي فَوَادُ مُغْرَمٌ
 أَصْبُو إِلَى (وادي العقيق) وَأُدْمَعِي^(*)
 وبمهجتي نارٌ تشبُّ من الجوى
 لا تُكْثِرَا عَذْلِي فَإِنَّ مَسَامِعِي
 يَا صَاحِبِي تَرْفَقَا إِنِّي أَرَى
 هَذَا الْفَوَادُ وَهَذِهِ أَعْلَاقُهُ
 فَعَلَ ادُّكَارِي بِي لِأَيَّامٍ مَضَتْ
 أَيَّامَ كُنْتُ لَهَوْتُ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 أَيَّامَ نَادَمْتُ الْبُدُورَ طَوَالِعَاءُ
 رَاحُ إِذَا عَلَّ النَّدِيمُ بِكَاسِهَا
 بَرَزَتْ لَنَا مِنْهَا السُّقَاةُ بِقَرْقَفٍ
 وَيُدِيرُهَا أَحْوَى أَغْنُ إِذَا رَنَا
 وَمُهْفَهْفِ الْأَعْطَافِ خَلَّتْ قَوَامَهُ
 فِي رَوْضَةٍ تَزْهُو بِمَنْهَلِ الْحَيَا
 وَتَارَجَتْ فِيهَا بِأَنْفَاسِ الصَّبَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) نعمان: واد عند عرفات. يتردد ذكره على ألسنة الشعراء.

(٣) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (جمال)، والأستاذ عبدالهادي البياتي بمقام (بيات).

(٤) في الأصول: عن اللاهي...

(*) في الطبعة (١): (وأُدْمَعِي) والصواب من الطراز الأنفس.

تَتَرْنَمُ الأوتارُ في نغماتها
فكأنَّما تلك القيانُ حمائمٌ
زمنَ الشَّبِيبَةِ مُدُّ فَفَقَدْتِكَ لِمَ أَجِدُ
فَارَقْتُ مُدُّ فَارَقْتُ عَصْرَكَ أَوْجُهًا
تَسْطُو عَلَى العِشَاقِ مِنْ لِحْظَاتِهَا
وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرِ^(*) الشَّبَابِ وَغَيْهِ
وَعَرَفْتُ إِذْ حَلَّ المَشِيبُ بِعَارِضِي
كَانَ النَّسِيبُ شَقِيقَ رُوحِي، وَالهُوَى
فَهَجْرَتُهُ هَجَرَ الخَلِيلِ خَلِيلُهُ
وَأَخَذْتُ أَنْشِدُ فِي الثَّنَاءِ قِصَائِدِي
قَلْدَتُهُ غُرَزَ الثَّنَاءِ قَلَائِدًا
أَشْفِي الصُّدُورَ بِمَدْحِهِ، وَمَدِيحُهُ
إِنَّ المُنَاقِبَ وَالْمَعَالِي كَأَنَّهَا
وَإِذَا تَعَرَّضْنَا لِجُودِ يَمِينِهِ
شَمَلْتُمْ مَكَارِمُهُ العُفَاةَ فَلَمْ تَجِدْ
مُتَفَرِّدٌ بِالمَجْدِ وَاحِدٌ عَصْرِهِ
إِنَّ عُدَّتِ الأَعْيَانُ مِنْ سَادَاتِهَا
هَذَا النَّقِيبُ الهَاشِمِيُّ وَيَا لَهُ
هَذَا (عَلِيٌّ) القَدْرُ وَابْنُ عَلَانِهِ
كَمْ شَنَّفَتْ أُنْزَاءً مَنَاقِبُهُ الَّتِي
وَإِذَا شَهَدَتْ جَمَالَهُ وَجَلَالَهُ
لَوْ يَدْعِي فِيهِ الفَخَارُ مُفَاخِرٌ
حَازُوا الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ وَالْعُلَا
شَيْخُ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ مُفْتَدَى

من غيرِ الألفاظِ أَتَتْ لِمَعَانِي
تُمَلِي عَلَيكَ غَرَائِبَ الأَلْحَانِ
لِلهُوَ عِنْدِي وَالهُوَ بِمَكَانِ
طَلَعْتُ عَلَيْنَا كَالْبَدْرِ حِسَانِ
بِصَوَارِمِ مَشْحُودَةٍ وَسِنَانِ
وَأَرِحْتُ مِنْ قَدِّ لَامِنِي وَلِحَانِي
أَنَّ الهَوَى سَبَبٌ لِكُلِّ هَوَانِ
فِي مُهْجَتِي، وَقَرَارُهُ بِجَنَانِي
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ حَلَّنِي وَجَفَانِي
بِالسَّيِّدِ السُّنْدِ العَظِيمِ الشَّنَانِ
مَا، لَمْ تَكُنْ لِقَلَائِدِ العَقِيَانِ^(**)
كَالمَاءِ يَنْقَعُ غُلَّةَ الظَّمَانِ
بِ(عَلِيٍّ) هَذَا العَالِمِ الإِنْسَانِي
عَرَضْتُ لَنَا بِالعَارِضِ الهَتَّانِ
إِلَّا غَرِيقًا مِنْهُ بِالإِحْسَانِ
مَا فِي الرِّجَالِ لِجَدِّهِ مِنْ ثَانِ
أَبْصَرْتُ عَيْنَ أَوْلَيْكَ الأَعْيَانِ
إِنْسَانٌ عَيْنِ العِزِّ مِنْ إِنْسَانِ
المُنْتَمِي شَرْفًا إِلَى (عَدْنَانَ)
تُلَيْتُ مَحَاسِنُهَا بِكُلِّ لِسَانِ
أَبْصَرْتُ مَا لَا تَسْمَعُ الأُذُنَانِ
مَا احْتِاجُ يَوْمئِذٍ إِلَى بَرَهَانِ
أَبْنَاءُ (عَبْدِ القَادِرِ الكِيلَانِي)
أَهْلُ التُّقَى وَالدِّينِ وَالعِرْفَانِ

(*) في الطبعة (١): (شكر) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) إيماءة لطيفة لكتاب (قلائد العقيان ومحاسن الأعيان) للفتح ابن خاقان.

مَنْ أوتِيَ الحِكْمَ التي قد أَعْجَزَتْ
كُشِفَتْ له الأسرارُ وهي غوامضُ
غوْثِ الصَّرِيخِ المُسْتَجِيرِ ببابه
مذُ فإزَ حَيًّا في كرامَةِ رَبِّه
ومن المَوَاهِبِ لا يزالُ - مُريدُهُ -
من زارَ مَرَقَدَهُ الشَّرِيفَ أَمَدَهُ
لا يَسْتَطِيعُ الملحدونَ بزعمهمُ
وإذا الفَتَى شَمَلَتْه منه عنايةٌ
هو قُطْبُ دائِرَةِ يدورُ مدارها
بِعوارِفِ ومَعارِفِ ولَطائِفِ
مَوْلَايَ أَنْتَ وَأَنْتَ غايَةُ مَطْلَبِي
قد حُزَّتْ من شَهرِ الصَّيَامِ ثوابُهُ
فَلِيَهَنِكَ العِيدُ السَّعِيدُ بَعوْدِهِ

(لقمان) عَمَّا جَاءَ عن لقمان
دَقَّتْ على الأفكارِ والأذهانِ
لا مُعْرَضُ عَنْهُ ولا مُتَوَانِي
ومن الكرامةِ فإزَ بالرضوانِ
يعطي مَزِيدَ الأَمْنِ والإيمانِ^(١)
بالرَّوحِ من إمداده الرُّوحاني
إنكارُ ما شَهِدَتْ به التُّقْلانِ
أَعْنَتُ عن الأَنْصارِ والأَعوانِ
أَبَدَ الزمانِ ومُنْتَهَى الدَّورانِ
تُجَلِّي القلوبُ بها من الأدرانِ
وإليك مُنْتَجَعِي وعنكَ بياني
وغنمتَ فيه الأجرَ من رمضانِ
واسلمَ وِدْمُ فينا (أبا سلمان)

(١٩٢)

كم دمٍ فيكَ أَيُّها الرِّيمُ طُلاً
فأناسُ بخرمِ عَيْنِيكَ صَرَعي
قل لِعَيْنِيكَ إِنَّها قَتَلَتْنا
ولكَ اللُّهُ من حَبِيبِ مَلولِ
يا عَزِيزاً أذلُّ طوعاً لديه
إِنْ تُعَجَّلُ بالهجرِ مِنْكَ عَذابي
وإذا ما اسْتَحْلَيْتِ أَنْتَ تَلافي
لا يَمَلُّ العَذابُ فيكَ مُعَنِّي

وفؤادِ بجَمرةِ الوَجْدِ يَصُلِّي
وأناسُ بِسَيْفِ جَفْنِيكَ قَتَلِي
أَحْسِنِي بالمُتَيِّمِ الصَّبِّ قَتَلَا
غَيْرَ أَنَّ الهوى به لَنْ يُمَلَا
والهوى يَتْرُكُ الأَعَزَّ الأذلا
أو تُؤاخِذُ مُتَيِّمِيكَ فَمَهْلا
كان عِندي - وريقَكَ العَذبِ - أَحْلَى
وسِوَاكَ الَّذِي يُمَلُّ وَيُقْلَى

(١) أي لا يزال يعطي مريده. ومريده مفعول يعطي.

يَتَرَأَى لِعَاذِلِي أَنَّنِي أَسَدٌ
يَأْمُرُ الْقَلْبَ بِالسُّلُوكِ وَمَنْ لِي
خَلَّانِي وَالْهَوَى بَارَامِ (سَلْعِ)
رُبَّ طَئِيفٍ مِنْ آلِ مِيٍّ طَرُوقِ
إِنَّ مِنْ أَرْسَلْتِكَ مِنْ بَعْدِ مَنَعِ
بَعَثْتُ طَئِيفَهَا وَلَمْ تَتَنَاءَى
فَلَقَدْ كَادَ أَنْ يَبْلُغَ غَلِيلِي
نَظَرْتُ أَعْيُنِي مَنَازِلَ فِي (الْجَزْ)
لَمْ أَكُفِّ دَمْعِي بِفَضْلِ رِدَائِي
فَسَقَيْتِ الْغَمَامَ يَا دَارَ ظَمِيَا (*)
طَالَمَا كُنْتُ فِيكَ وَالْعَيْشُ غَضٌّ
أَشْرَبَ الرَّاحَ مِنْ مَرَاشِفِ أَلْمَى
فَابِكِ عَنِّي عَهْدَ الصَّبَا أَوْ تَبَاكَ
أَيْنَ ذَاكَ الْهَوَى وَكَيْفَ تَقَضَى
صَاحِبِي هَذِهِ الْمَطِيُّ الَّتِي سَا
زَادَهَا الْوَجْدُ غُلَّةً وَالنُّوَى
تَتَلْظَى كَأَنَّهَا فِي حَشَاهَا
وَعَدَتْ بَعْدَ طَيِّبِهَا الْأَرْضَ طَيِّبًا
أُتْرَاهَا تَبْغِي النَّدَى مِنْ (عَلِيٍّ)
سَادَ أَقْرَانُهُ وَكَانَ غُلَامًا
وَأَنْتَضَتْهُ يَدُ الْعُلَا مَشْرِفِيًّا
فَأَرَاغَ الزَّمَانَ مِنْهُ جَمَالٌ
غَمَرَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ فَقَلْنَا
بِأَيَادٍ تَكُونُ فِي الْمَحَلِّ خِصْبًا

سَمِعَ نَصْحًا لَهُ وَأَقْبِلْ عَذْلًا
بِفؤَادٍ يُرْضِيهِ أَنْ يَتَسَلَّى
يَا خَلِيلِي وَلَا عَدِمْتُكَ خَلًّا
زَارَ وَهَنًا فَقَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا
قَدْ أَسَاءَتْ قَطْعًا وَأَحْسَنْتُ وَصَلًا
عَنْ مَزَارِي إِلَّا دَلَالًا وَيُخَلَّا
ذَلِكَ الطَّيْفُ فِي الْكُرَى أَوْ بَلًّا
(ع) فَأَرْسَلْتُ دَمْعَهَا الْمُسْتَهْلًا
بِادِّكَارِ الْأَحْبَابِ حَتَّى ابْتَلَّا
مُوقِرَاتِ نَسِيمِهَا الْمُعْتَلَّا
وَعَرُوسُ مِنَ الْمُدَامَةِ تُجَلَى
جَاعِلًا لِي تَفَاحَ خَدْيِهِ نَقْلًا
لِبُكَائِي وَالصَّبُّ بِالدَّمْعِ أَوْلَى
كَانَ خَمْرًا فَمَا لَهُ صَارَ خَلًّا
رَتَّ عَشَاءَ تَجُوبُ وَعَرَا وَسَهْلًا
وَجَدًّا وَفِرْقَةَ الشُّمْلِ غَلَا
جَمَرَاتٌ تَذُوبُ مِنْهَا وَتُحَلَى
أَكَلَاتٍ أَخْفَافُهَا الْبَيْدُ أَكْلًا
فَنَدَاهُ لَمْ يُبْقِ فِي النَّفْسِ سُؤْلًا
ثُمَّ سَادَ الْجَمِيعَ إِذْ صَارَ كَهْلًا
صَقَلَتْهُ قَيْنُ السِّيَادَةِ صَقْلًا
وَجَلَّا كُلَّ غَيْهَبٍ إِذْ تَجَلَى
هَكَذَا هَكَذَا الْكِرَامُ وَالْأُ
فِي زَمَانٍ يُصَيِّرُ الْخِصْبَ (**)

(*) في الطبعة (1): (ظلمياء) والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (1): والطراز الأنفس (الخطب) ولعل صوابها ما اثبتناه.

بأذلاً كل ما يروق ويحلو^(١)
والفتى الهاشمي إن جاد أغنا
ربما خلته لفرط نداءه
وسواءً لديه في حالتيه
أل بيت إن كنت لم تدري ما هم
بأبي أنت من سلالة (طه)
سيد لا يمينه تقبل القيد
وبما قد سبقت من جاء بعداً
ما تعالت قوم إلى المجد إلا
طيب الفرع طيب الذات تخشى
وإذا كنت أطيب الناس فرعاً
يا عليّ الجناب وابن (علي)
قد بلونك يوم لا الغيث ينهد
ووجدناك للجميع ملاذاً
والأماني تلقي ببابك رحلاً
وتلاقي حلاً جاعل الله
ربما كان في الأوائل مثلاً
أنت ذات ترى لدى كل يوم
أنت في كل موضع ومكان
فإذا قلت في مديحك شيئاً
فتقبل مولاي فيك ثنائياً
وتكرم بأخذه ولك الفض
لا تزال الأيام في كل حول

لا مملاً ولا مألواً بذلاً
ك وإن أجزل العطاء استقل
مكثراً وهو عند ذاك مقل
كثراً المال عنده أو قلاً
فاسأل البيت عنهم والمصلى
أشرف الكائنات عقلاً ونقلاً
ض ولا طبعه يلائم بخلاً
سيدي قد أدركت من كان قبلاً
كنت أعلى منهم وأنت الأعلى
سطات الظبي وترجي نياً
كنت لاشك أطيب الناس أصلاً
والمعالي لم ترض غيرك بعل
ل فشمناك عارضاً منهدلاً
يرتجيك الجميع جوداً وفضلاً
كل يوم تمضي وتملاً رحلاً
علاه على البرية ظلاً
لك واليوم لم نجد لك مثلاً
ترتقي منصباً وتعلو محلاً
أية من جميل ذكرك تتلى
قيل لي أنت أصدق الناس قولاً
ولي الفخر إن تكن لي مولياً
ل وما زلت للفضائل أهلاً
لك عيداً ودمت حولاً فحولاً

(١) في النسخ الخطية: (... ما يروق ويغلو).

عَنْ يَمِينِ (الْجَزَعِ) شَرْقِيٍّ الْحِمَى
 لَا بَكَتُ أَعْيُنُهُ إِلَّا دَمَا
 وَرَمَاهُ الْبَيْنُ فِي مَنْ قَدْ رَمَى
 لَا يَزَالُ الدَّهْرُ صَبِيًّا مُغْرَمًا
 فِي الْهَوَى يَوْمًا إِلَى مَنْ رَحِمَا
 لِيَتَهَا بَلَّتْ مِنْ الْقَلْبِ ظَمًا
 اضْطَرَمَّ الْبَرْقُ الْيَمَانِي اضْطَرَمَا
 لَمْ أَجِدْ لِي مُسْعِدًا غَيْرَكَمَا
 أَرْسُمًا لَمْ تُبْقِ مِنِّي أَرْسُمًا
 أَنْ تُرِينَا كُلَّ فَجٍّ مُظْلَمًا
 كُلَّ عَذْبِ الْلِظْفِ حُلُويٍّ اللَّمَى
 ثُمَّ ذَقْتُ الصَّبْرَ شَهْدًا فِيهِمْ عَلَقَمَا
 فَرَمِي بِالْقَطْعِ حَتَّى أَنْصَرَمَا
 سَالَ فِي آثَارِهِمْ وَأَنْسَجَمَا
 كَذَبَ النَّاقِلُ فِي مَا زَعَمَا
 فِي هَوَاكُمُ أَبْعَيْنِيهِ عَمَى
 أَكَلُ كَفِّي عَلَيْهِ نَدَمًا
 يَشْتَفِي الْقَلْبُ وَلَا فِي رَبِّمَا
 كَيْفَ لَا يَعْلَمُ أَمْرًا عَلِمَا
 كَانَ لَا يَرَعَى لِحُرِّ ذَمَمَا
 شَاهِدُ رِزَاءٍ يُشِيبُ اللَّيْمَا
 فَاغْرَأَ فِيهِ مِنَ الشُّكُويِّ فَمَا
 تَتَّقِي الْأَدْرُعَ تِلْكَ الْأُسْهُمَا

شَامَ بَرَقًا رَاعَهُ مُبْتَسِمًا
 فَبَكَى مِمَّا بِهِ مِنْ لَوْعَةٍ
 دَنَفٌ قَدْ لَعِبَ الْوَجْدُ بِهِ
 وَقَضَى الْحُبُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ
 رَحْمَةٌ لِلصَّبِّ لَوْ يَشْكُو الْجَوَى
 عَبْرَةٌ يَا سَعْدُ قَدْ أَهْرَقْتَهَا
 وَإِلَى اللَّهِ فَوَادٌ كَلَّمَا
 يَا خَلِيلِي اسْعِدَانِي إِنِّي
 إِنَّ لِلدَّارِ سَقَى الدَّارِ الْحَيَا
 أَيْنَ أَقْمَارُكَ غَابَتْ فَفَقَضْتُ
 وَلِيَالِيٍّ بِ(سَلْعٍ) أَجْتَلِي
 كُنْتُ ذَقْتُ الصَّبْرَ شَهْدًا فِيهِمْ
 كَانَ حَبْلِي بِهِمْ مُتَّصِلًا
 لَا تَسَلْ عَنْ دَمْعِ حَالِ طَالَمَا
 زَعَمَ النَّاقِلُ سَلَوَانِي لَكُمْ
 عَجَبًا مِنْ عَانِلٍ يَعْدُلُنِي
 انْقَضَى الْعَهْدُ فَمَا لِي بَعْدَهُ
 أَتَشَافَى فِي عَسَى لَا فِي عَسَى
 يَعْلَمُ الْجَاهِلُ وَجْدِي فِيكُمْ
 لَا رَعَى إِلَهُ زَمَانِي إِنَّهُ
 كُلُّ يَوْمٍ أَنَا مِنْ أَرْزَائِهِ
 يَبْتَلِينِي صَابِرًا لَمْ يُلْفَنِي
 أَتَّقِي أَسْهُمَهُ مِنْ حَيْثُ لَا

وإذا مارسَني، مارسَني
 وسواءٌ بعد أن جربَني
 فليجِني الدهرُ في ما يشتهي
 وحريُّ أن تراني بالغأ
 ارتقي فيه العُلا لم أتخذ
 ففَوافيَّ إليه ترتمي
 علويَّ الجدِّ علويَّ السنَّا
 سيِّدُ من هاشمٍ راحتهُ
 من رسولِ الله من جوهِّره
 إن تؤمُّله تؤمُّلُ صيِّبًا
 ياله من نعمةٍ في نقمةٍ
 كلُّ ما داويتُ ألامي به^(١)
 قسماً بالغُرِّ من أجداده
 أنا أستشفي ولكنَّ منهم
 رضيَّ الله تعالى عنهم
 أنفقوا الأعمارَ في طاعته
 إنما يرحمنا الله بهم
 ثقتي فيهم وفيهم عصمتي
 وهم نُخبري في أخبرتني
 آل بيتٍ لم يخبِ أمُّهم
 يا سماءَ للعُلا أنظمُ في
 أنت أنت اليومَ فيها سيِّدُ
 لا أرى وجدانَ من لا يرتجى
 أنت فذُّ المجدِ في الناسِ وإن
 انقضَى الصَّومُ جميلًا ومضى

حَجراً صمَّاءَ صلاً صيِّلما
 أقدمَ الدهرُ إذا أمَّ أحجما
 أنا لا أشكو ليداءِ ألما
 بـ(عليٍّ) القدرِ أسبابِ السِّما
 مدحه للمجدِ إلا سلما
 بالأماني فلأنعم المرتمي
 دوحه طالت وفرع نجما
 تُخجلُ الغيثُ إذا الغيثُ همي
 ذلك النورُ الذي قد جسما
 أو تُجادله تُجادلُ ضيغما
 إن رمى أصمى وإن فاض طمى
 حُسمِ الداءِ به فأنحسما
 أتري أعظمَ منهم مفسما
 بشفاءٍ لم يغادرُ سقما
 وإذا صلى عليهم سلما
 وقضوها صوماً أو قوماً
 رحمةً تدفعُ عنا النقما
 فازَ من يغدو بهم معتصما
 يومَ لا أملكُ فيه درهمما
 والذي يسألهم لن يحرمما
 مدحه غرَّ القوافي أنجمما
 يتتقى بأساً ويرجى كرمما
 للندى والبأسِ إلا عدما
 كنتَ والبدرِ المُنيرَ توأما
 قادمٌ كلُّ على ما قدما

(١) في الأصول: (... داويت ألامي به).

أَقْبَلَ الْعِيدُ نَهْنَيْكَ بِهِ
 كَانَ فِيهِ مِنْ ثَوَابٍ دَائِمٍ
 حُزْتَ أَجْرَ الصَّوْمِ فَاسْلَمْ وَابْقِ لِي
 مُنْعِمًا فِي الْبِرِّ فِي أَعْيَادِهَا
 مُسْبِغًا فِيهَا عَلَيْنَا نِعْمًا
 أَيُّهَا الْمَمْدُوحُ فِينَا وَلَنَا
 يَا (أَبَا سَلْمَانَ) هُنَّيْتُ بِمَا
 عَظُمَ الْأَجْرُ بِهِ إِذْ عَظُمَا
 أَبَدًا تَوَلَّى الْغِنَى وَالْمَغْنَمَا
 لَا تَزَالُ الدَّهْرَ بَرًّا مُنْعِمَا
 أَسْبِغِ اللَّهُ عَلَيْكَ النَّعْمَا
 بُدِئَ الْمَدْحُ بِهِ وَاخْتَتَمَا

(١٩٤)

وقال مادحاً السيد عبدالقادر جلبي الشامي الكمركي^(١) ومهنيًا بنجاته من
 الدعوى التي أقيمت عليه [وهي من الطويل]:

تَبَيَّنَ حَقُّ لِعِبَادٍ وَبَاطِلُ
 وَمَا حَاقَ مَكْرُ السُّوءِ [إِلَّا] (*) بِأَهْلِهِ (٢)
 لَقَدْ نَقَلُوا عَنْكَ الَّذِي هُوَ لَمْ يَكُنْ
 وَجِئُوا بِمَا لَمْ يَقْبَلِ الْعَقْلُ مِثْلَهُ
 شُهُودٌ كَأَسْنَانِ الْحَمَارِ فَبَعْضُهُمْ
 أَرَادَ لِقَوْمٍ سَاءَ مَا شَهِدُوا بِهِ
 أَتَوْكَ بِتَزْوِيرٍ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ
 وَقُلْتَ وَقَالَ الْخَصْمُ مَا قَالَ وَادَّعَى
 أَقَامَ عَلَى بَطْلَانِهِ بِدَلِيلِهِ
 وَلَوْ كَانَ يَسْتَجِدُّكَ فَوْقَ ادِّعَائِهِ
 وَلَوْ أَنَّهُ يَبْغِي إِلَيْكَ وَسِيلَةً
 وَلَكِنْ بِسُوءِ الْحِظِّ يَثْنِي عِنَانَهُ
 وَإِلَّا لَمَا أَمْسَى يَعْضُ بِنَانَهُ
 وَنَلْتَبِحَمْدَ اللَّهِ مَا أَنْتَ نَائِلُ
 وَبَعْدُ فَمَا يَدْرِيكَ مَا اللَّهُ فَاعِلُ
 فَأُحْضِ مَنْقُولٌ وَكُذِّبَ نَاقِلُ
 وَلَا يَرْتَضِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ عَاقِلُ
 لِبَعْضٍ وَإِنْ يَأْبُ الْغَيْبِيُّ أَمَائِلُ
 وَمَا ضَرَّتْ الْأَشْرَافَ تِلْكَ الْأَرَادِلُ
 وَأَنْتَ عَنِ التَّزْوِيرِ إِذْ ذَاكَ غَافِلُ
 وَهَلْ يَسْتَوِي يَا قَوْمُ قَسٌّ وَبَاقِلُ
 دَلِيلًا وَلِلْحَقِّ الصَّرِيحِ دَلَائِلُ
 لَجُدْتَ بِهِ فَضْلًا وَمَا أَنْتَ بَاحِلُ
 لِمَا خَيَّبَتْهُ فِي الرِّجَالِ الْوَسَائِلُ
 إِلَى حَيْثُ يَشْقَى عِنْدَهُ مَنْ يُحَاوِلُ
 يُعَنْفُهُ لَاحٍ وَيُخْزِيهِ عَاذِلُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٢).

(٢) اقتباس من قوله تعالى: (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) سورة فاطر الآية (٤٢).

(*) في الطبعة (١): هذه الكلمة ساقطه وقمنا بإثباتها من الطراز الأنفس.

ولا راحَ محروماً مناهلَ فضلكم
لقد نزعَ الأشهادَ من كل فرقة
وقد زينَ الشيطانُ أعماله له
وأعملتَ الأهواءَ فيه كما اشتَهتَ
ومن جهله ألقى إلى الزورِ نفسه
وأنى له بالشاهد العدلِ يرتضى
أيشهدُ ديوتَ ويُقبلُ قوله
وإقراراً (حربي) على غيرِ نفسه
لدى حكمِ عدلِ بدينِ محمدٍ
ومن ذا قضى بالظنِّ يوماً على امرئٍ
وعارٍ من التدبيرِ والعقلِ والحجاءِ
رأى الرأيَ بعدَ المالِ قتلاً لنفسه
كما كان ما قد كان منه وغرّه
ووافقَ رأياً فاسداً فأماله
(إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى) (١) (*)
ضلالاً لقومٍ يكنزون كنوزهم
لقد شقيتَ منهم على سوءِ ظنهم
ولم يدرِ مالٌ أودعَ الأرضَ طالعُ
ستَهلكَ قومٌ حسرةً وتأسفاً
تُعجلُ في الدنيا عُقوبةَ طامعٍ
إذا شامَ برقاً حُلباً ظنَّ أنه
وما كلُّ برقٍ لاحَ في الجوِّ ممطرٌ
وكم غرَّ ظمناً سرابٌ بقيعةً

وكيف وأنتم في النوالِ مناهل
ولا بأسَ فالقرنُ المُنازعُ بأسل
على أنه لم يدرِ ما الله عامل
فلا دخلتُه بعدَ هذا العوامل
وجاءَ بما لم يأتِه اليومَ جاهل
ويُقدمُ في إشهاده ويُجادل
وهل قالَ في هذا من الناسِ قائل
فلا هو مَقبولٌ ولا أنتَ قابل
وإن لم يكنَ عدلُ فربُّك عادل
وحسبُك حكمُ الله قاضٍ وفاصل
وإن كانَ قد زرتَ عليه الغلائل
على المالِ حرصاً فهو لا شكَّ قاتل
نصيحٍ مداحٍ، أو عدوٍّ مناضل
وكلُّ عن الإقبالِ بالصُلحِ مائل
فكلُّ معينٍ ما عدا الله خاذل
لأبنائهم واللهُ بالرزقِ كافل
وأخبرهم في ما جنته الأوائل
لعمركَ أم حَتَفَ من الله نازل
عليه وأطماعُ النفوسِ قوائل
ومن نكباتِ المرءِ ما هو أجل
مخايلُ لا بل كذبته المخايل
ولا كلُّ قَطْرِ لو تاملتَ وابل
وأغناه طيفُ في الكرى وهو زائل

(١) في الأصول لم يحصر بين قوسين. وهو تضمين لقول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجني عليه اجتهاده

(*) ينسب هذا البيت للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجاء عجز البيت كما يلي: وأكثر ما يجني عليه اجتهاده.

تَنَاولَ بِالْأَمَالِ مِنْكَ مَرَامَهُ
وقد شَنَّ غاراتِ الدَّعَاوى جَمِيعَها
ولو حَكَمُوا مِنْ قَبْلِها فِي جُنُونِها
لما ذَهَبَتْ أَمْوالُهُ وَتَقَلَّبتْ
ولا دَنَسَ العَرَضَ النَّقِيَّ بِشاهِدِ
لقد خابَ مَسْعاهُ وَطالَ وَقُوفُهُ
وما حَصَلَ المَعْتَوهُ ظَنًّا يظنُّه
فيا شَدًّا ما لاقِيتَ مِنْ سِوَةِ ظَنِّهِ
وتَكْذِيبِ دَعْواهُ وَتَخْجِيلِها بِها
تَحَمَّلْتَ أَعْباءَ المَشَقَّةِ لِلسُّرى
وأَقْبَلْتَ إِقبالَ السَّعادَةِ كَأُها
يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِليكَ وَإِنَّمَا
لِيَهْئِكَ حَكْمُ اللّهِ يَمْضِي غِرارُهُ
تَبَرَّاتَ مِمَّا قِيلَ (*) فيكَ بَراءَةٌ
تَبَرَّاتَ مِنْ تِلْكَ الرِّذائلِ نائِباً
وما تَسَلَّكَ الأَوْهامُ فِيها حَقيقَةً
نَعَمْنَا بِكَ الأَيامُ وَهِيَ قَليلَةٌ
وَأَمَسْتَ (دَمَشقُ الشَّامِ) تَشْتاقُ طَلعَةً
وَإِنَّكَ مِنْها بِالسُّرورِ لِقادِمٌ
لأَمْرٍ يَريدُ اللّهُ كَشْفَ عَمائِهِ
فَمَنْ مَبْلُغُ عَنِّي (دَمَشقُ) وَأَهْلُها
عَدَتْ مِنْكُمْ فِينا عَوادِ عَوادِلُ
وَأَصْبَحَ مِنْ نَواوِكُمْ بَعْدَ صِيتِهِ
تَناهِى إِلى عِيٍّ فَقَصَرَ دُونَهُ

وَأَتَى لَه مِنْكَ المُنَى وَالتَّنَاولُ
إِليكَ وَلَمْ تُشْغَلْهُ عَنكَ الشَّواغِلُ
وَعاقِبَتُهُ عَمًّا كانَ مِنْهُ السَّلاسلُ
بِهَ الحَوالِ فِي ما يَبْتَغِي وَيُحاوِلُ
مِنَ العارِ لَمْ يَغْسِلْهُ مِنْ بَعْدِ غاسِلِ
عَلَى مَطْلَبِ ما تَحْتَهُ اليَومِ طائِلِ
فَلا العَرَضُ مُوفورٌ وَلا المالُ حاصِلِ
وَمِنْ فَعَلِهِ فِيها وَما هُوَ فاعِلِ
أَلّا تَكَلَّتْ أُمَّ الكَذِوبِ التَّنَواكِلِ
وَكلُّ نَجِيبٍ لِمَ شَقَّةَ حامِلِ
عَلينا كَما وَافى مِنَ الغَيْثِ هاظِلِ
تُشيرُ إِلى هَذا الجَنابِ الأَنامِ
مَضاءَ حَسامٍ أَرهَفْتَهُ الصَّياقِلِ
مِنَ اللّهِ أَشهادُ عَلَيْهِ الأَفاضِلِ
وَحاشاكَ أَنْ يَدنُوا إِليكَ الرِّذائلِ
وَلا حُمِلَتْ يَوماً عَلَيْها المَحامِلِ
لِديكَ وَأَيامُ السُّرورِ قلائِلِ
لِوَجْهِكَ مِثْلَ البَدْرِ وَالبَدْرُ كَما
وَإِنَّكَ عَنَّا بِالفَخارِ لَراهِلِ
تُجابُ لَه بِبيدٍ وَتُطوى مَراهِلِ
بِشارَةٍ ما قَد ضَمَّنتُها الرِساءِلِ
وَساوَرَتْ لَنا فِياكُمْ قَوافِ قَوافِلِ
كَئيباً وَأَمّا ذَكَرَهُ فَهُوَ خامِلِ
(وَعندَ التَّنَاهي يَقْصُرُ المُتَطاوِلِ) (١)

(*) في الطبعة (١): (ثيل) وصوابها من الطراز الأنفس.

(١) تضمين لقول أبي العلاء المعري ولم يحصره بين قوسين وتمام البيت:
فإن كنت تبغي العز فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتطاوِل

سقط الزند ص ١٩٦ بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

(١٩٥)

ما ودَّع الصَّبُّ المشوقُ وما قَلَى
يرنو فيُرْسِلُ من سهامٍ لحاظه
خذُ ما تراه عن المُتَيِّمِ في الهوى
ما آمنَ الواشي بآيةِ صَبَّوتِي
لا زال يُكْثِرُ بالملامةِ عاذلي
رَشَاءً أَعَنَّ من السَّوانِحِ أَكْحَلَا
سَهْمًا يصادفُ من مَشوقٍ مَقْتَلَا
خَبَرَ الصَّبَابَةَ مُجْمَلًا ومُفَصَّلَا
حتَّى رأى دمعي بحبِّكَ مُرْسَلَا
إنَّ المُتَيِّمَ بالملامةِ مُبْتَلَى

(١٩٦)

زمانِي على رِغْمِ الحَسودِ مُسالِمِي
ولي هِمَّةٌ فوق السَّماءِ وَعِفَّةٌ
ونحنُ أَناسٌ من (قريشٍ) أَكابرُ
وربَّةٌ قَفَرٍ قد سَلَكْتُ فِجَاجَها^(١)
وصَحْبِي من البِيضِ الحِدادِ مُهَنَّدُ
عَذَلْتُ على حُبِّيك يا ابنةَ يَعْربِ
جَرَحْتُ بلحْظِيكَ الفِوادَ صَبَابَةً
فهل من صَبَأٍ تَصَبُّو النفوسُ لريِّها
تذَكَّرْتُ عَهْدِي بالحَمَى ليلَةَ (النقا)
تَقَدَّمَ لي فيها عُهُودٌ قَدِيمَةٌ
أرومٌ بأنفاسِ النَّسِيمِ خُمودَها

وإنْ كانَ يَخْشَى سَطوَةً فِعزائِمِي^(٢)
تُرِينِي الغَنَى، والعِزَّ عِبدِي وخادِمِي
لبسنا المعالي قبلَ خَلْعِ التَّمائمِ
فأَمْسَيْتُ أَطوي بِيدها بالَمَناسِمِ
تَعوَّدَ يَوْمَ الحَرَبِ حَزَّ الغِلاصِمِ
ولم يَخْلُ صَبُّ من عَذولٍ ولائِمِ
وجرحُ الهوى لم يَلتئمَ بالمَراهِمِ
فَتَحَمَلْتُ تَسليمِي إلى أُمِّ سَالمِ
وما أَنَا من عَهْدِي به غَيْرُ حَالمِ
فواصَبَّوتِي من عَهْدِها المُتَقادِمِ
وهل تُحْمِدُ النيرانَ مَرُّ النِّسائِمِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (بيات).

(٣) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي (ودوية قفر سلكت فجاجها).

ومن لي بهاتيك الديارِ عشيةً
إذا جنُّتما تلك المَعالمِ فاقراً
مَعاهدُ آرامٍ ومَغنى صِباةٍ
يُورِّقني فيه الحَمَامُ ونُوحُهُ
رعى الله سَكَّانَ (الغضا) فلطالما
هُمُ أَثْمُوا في قتلي وتجنَّبوا
فيا ليت قاضي الحُبِّ يعدلُ بيننا
وقائلة ما لي أراك بأرضنا
تلومُ ووجهُ الليلِ إذ ذاك عابسٌ
ذريني فما وُجدي - ثكلتكَ - نافعٌ
لئن نامَ حظِّي يا أميمَ عن العُلا
إذا كنتُ واليَتُ الشَّهابِ (أبا الثنا)^(١)
من السَّادةِ الغُرِّ الكرامِ مُهذَّبٍ^(٢)
مَواردٍ فضيلٍ للأنامِ وحكمةٍ
فتى صاغَ أيديه المَهيمِنُ للورى
يخبرُ عن إحسانه بِشَرِّ وجْهه
وما الجودُ والمعروفُ إلا سَجِيَّةٌ
يَمُدُّ إليه كَفَّهُ وَقَدُّ راغِبٍ
فإن جحدَ الحُسادِ فضلكَ والنُّهى
فهل لك في فرسانهم من مُبارزٍ
وكم من جهولٍ رامَ بَحْتِكَ صائلاً
وأعظمُ جهلٍ جهلُهم قَدْرَكَ الذي
نَشَرْتَ الهدى والعلمَ من بعد طيِّهٍ

أروِّي ثراها بالدموعِ السَّواجِمِ
سَلامي على تلك الرُّبا والمَعالمِ
تُصادُ بها الآسادُ في لَحْظٍ* باغم^(١)
وما كان وُجدي مثلُ وُجْدِ الحَمائمِ
أذابوا بنارِ الوُجْدِ مُهْجَةَ هائمِ
وقد حَمَلوني بعدها وِزْرَ آثمِ
فَيَنْتَصِفُ المَظْلومُ من كلِّ ظالمِ
حَلَلْتُ مَحَلَّ السَّرِّ من صدرِ كاتمِ
وللبرقِ في أطرافه ثَغْرُ باسمِ
وما الضرُّ والسَّرُّ يوماً بدائمِ
فعزمي كما تَدْرِينَهُ غيرُ نائمِ
فليستُ أبا لي بالزمانِ المُخاصمِ
مِكرٌ على أموالِهِ بالمِكارمِ
على ورْدِها للناسِ أَلْفُ مُزاحمِ
نقيعاً لظمانِ وورداً لحائمِ
وويُّلُ العطايا بعد برقِ المِباسمِ
يزينُ بها الباري سَجايا الأكارمِ
ويَقْرَعُ عنه خَصْمُهُ سَنَّ نادِمِ
إذا مَزَجَتْ بالشَّهدِ سَمَّ الأرقامِ
وهل لك في أبطالِهِم من مُصادمِ
فهابٍ وما للكلبِ بأسُ الضَّراغِمِ
يُعدُّ وَيُرْجى للأُمورِ العِظامِ
واحييتُ عِلْمَ الدينِ بينَ العَوالِمِ

(١) الباغم: الريم. والبعغام صوت الريم تناغي خشفها.

(٢) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق وحديقة الورود: (.. الأشم أبا الثنا).

(٣) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق وحديقة الورود: (.. الغر التقاة).

(* في الطبعة (١): (لحظة) والصواب ما اثبتناه من الطراز الأنفس.

وَشَيَّدْتَ مَا أُعْيَا حَسُودَكَ هَدْمَهُ
 خَطَبْتَ وَخَاطَبْتَ الْعُفَاةَ بِسُؤْلِهِمْ
 فَصَاحَةَ نَطَقٍ يَسِيقُ الْمَاءَ جَرِيَهُ
 سَأَلُو عَلَى عَلِيَّكَ غُرَّ قَصَائِدِي
 يَهْزُ صَنَائِدَ الرِّجَالِ نَشِيدُهَا
 وَحَسْبِي فَدَتَّكَ النَّفْسُ جُوداً وَنَائِلاً
 وَكَمْ مَنَّةٌ أَسَدَيْتَ لِي فَمَلَكْتَنِي
 وَأَوْلَيْتَنِي بِاللُّطْفِ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ
 أَمْتُ بِكَ الْأَعْدَاءَ قَهْرًا بَغِيْظِهَا

وما كان باني المكرمات كهادم
 فأنسيتنا أخبار قس وحاتم
 وها هو أمضى من شفير الصوارم
 وكم ناثر مثلي لديك وناظم
 فتغدو على ذكراك ميل العمائم
 إذا لحظتني منك عين المراحم
 سل الروض ما جادت هتان الغمام
 فأصبحت في نعماك فوق النعائم
 وطعن لساني مثل طعن لهازمي

(١٩٧)

وقال مهنئاً العلامة أبا الثناء بداره الجديدة ومؤرخاً سنة شرائها [وهي من

أَيُّهَا الدَّارُ لَقَدْ نَلْتِ الحُبُورَا
 يَا عَرِينِ المَجْدِ يَا رَكْنَ العُلَا
 تَسْتَفِيدُ الوُفْدُ مِنْ أَفْضَالِهِ
 إِنْ يَكُنْ لِلدَّهْرِ جَدْوَى كَفَّهُ
 فَسَقَاكَ اللهُ يَا سَاحَاتِهَا
 فَهُوَ الفَرْدُ وَأَمَّا فَضْلُهُ
 لَمْ يَزَلْ يَغْمُرُنَا نَائِلُهُ
 مُشْكَلَاتُ العِلْمِ فِيهِ اتَّضَحَتْ
 أَيُّ دَارٍ حَلَّهَا أَرْحَمَتْهَا

وبلغت اليوم مقداراً كبيراً
 قد حوى غابك ضرغاماً هصوراً
 جوهر الإفضال والجود الغزيراً
 ما رأته عين على الأرض فقيراً
 من ندى راحته غيثاً مطيراً
 كان للمعروف والحسنى كثيراً
 ومحيياً لنا يشرق نوراً
 بخفايا العلم تلقاه خبيراً
 (حازت الدار بمحمود السروراً)^(١)

(١) مجموع العبارة يساوي سنة ١٢٥٠هـ.

ما لها تطوي فيافي الأرض سيرا
 أتراها ذكرت أحببها
 فلهذا لعب الوجد بها
 كل ما علاها الحادي بمن
 وعلامات الهوى بيينة
 ذكرت من خيموا بالمنحني
 كل غصن ما بدا إلا أرى
 وإذا يرنو إلى مشتاقه
 شربت من ريقه قامته
 وبقلبي ذلك القد الذي
 وعلى عارضه من خطه
 أيها الممزج دمي بدمي
 إن تكن عيناك أنكرن دمي
 عسلي اللون حلوي اللمي
 وأمينا كن إذا ما لامني
 ما يفيد اللوم في مستغرم
 كيف أنسيت ليالينا التي
 إذ أمنا ساحة الواشي بنا
 وزمان قد نهبنا شطره
 لا أبالي بزمان جائر

وتخذ اليد قفرا ثم قفرا
 فطوى فيها المغار الشوق قسرا^(١)
 فتري أعينها بالدمع عبري
 سكنوا (سلعا) أحببت منه ذكرا
 ليس يخفي الشوق من ذي العشق سترا
 فجرت أدمعها شفعا ووترا
 حاملا من صنعة الخلاق بدرا
 سل سيف الأحظ عنوانا وكرا
 فانثنت من ذلك السلسال سكري
 بقناه طعن القلب وأفري
 كتب الريحان فوق الخد سطرا^(٢)
 إنني لم أستطع بالهجر صبرا
 فبه خذاك عمدا قد أقرا
 لم جرعت أذا الأشجان مرا
 إن في أذني عن اللوام وقرا
 عد ما يأمره العذال كفرا
 قد تقضت فرحا منا وبشري^(*)
 حيث لم نشرب سوى ريقك خمرا
 ما حسبنا غيره في الدهر عمرا
 كان عسرا كله أم كان يسرا

(١) في مجموعة السيد عبدالخالق أنها نظمت سنة ١٢٤٨هـ. وفي الأصول: (... المغاز الشوق..) والتصويب من حديقة الورد والمجموعة.

(٢) الريحان هنا تورية لطيفة بين الريحان النبات والريحان (نوع من أنواع الخطوط العربية). وفي مجموعة السيد عبدالخالق وحديقة الورد: (... فوق الورد).

(*) في الطبعة (١): والطارز الأنفس (وبشري) وتركانها كما هي، ولعل صوابها (وبشرا).

إِنَّ (محمود) السَّجَايَا قَدْ غَدَا
 لَوْ أَفِيضَتْ أَبْحُرُّ مِنْ عِلْمِهِ
 إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحَرًّا لَمَّا
 لَوْ تَفَكَّرْتَ بِهِ قُلْتَ لَهُ
 أَيُّ مَعْنَى غَامِضٍ تَسْأَلُهُ
 وَعَوِيصَاتِ عُلُومٍ أَشْكَلَتْ
 هَبَبَةُ اللَّهِ الَّذِي أَوْهَبَهُ
 مَا سَمِعْنَا خَبْرًا عَمَّنْ مَضَى
 رَكْنُ هَذَا السِّدِّينِ فِيهِ قَائِمٌ
 يَرِدُ الْعَافُونَ مِنْ تَيَّارِهِ
 يُوضِحُ الْمُؤَبِّهَمَ فِي آرَائِهِ
 بِذِكَاةٍ كَحَسَامٍ بِاتَرٍ
 رَزِينٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِحْلَالُهُ
 وَلَطِيفٌ لَوْ مَعَانِي خُلِقَهُ
 وَإِذَا تُصَغِّي إِلَى مَا عِنْدَهُ
 وَهَدَى اللَّهُ بِهِ النَّاسَ إِلَى
 وَإِذَا مَا ذَكَرَ اللَّهُ لَنَا
 بِلِسَانٍ كَانَ بِقِرَاطِ النَّهْيِ
 وَكَرِيمٌ مِنْ مَعَالِي ذَاتِهِ (٣)
 وَإِذَا يَمَّمَّتْهُ فِي حَاجَةٍ
 أَيُّهَا النَّحْرِيرُ فِي هَذَا الْوَرَى
 مُنْذُ شَاهَدْتُكَ شَاهَدْتُ الْمُنَى
 وَبِإِحْسَانِكَ رَقِي مَالِكُ
 هَاكَ مَنِّي بِنْتَ فِكْرٍ أُبْرَزْتُ

فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ لِي عَوْنًا وَذُخْرًا
 وَنَدَاهُ صَارَ هَذَا الْبَرُّ بِحُرًا
 قَدَفَتْ أَلْفَاظُهُ لِلنَّاسِ دُرًا
 فِي عِلَاكَ اللَّهِ قَدْ أُوْدِعَ سِرًّا
 وَهُوَ لَمْ يَكْشِفْ عَنِ الْمَضْمُونِ سِتْرًا
 زَحَزَحَتْ عَنْهَا لَهُ الْآرَاءُ خُذْرًا
 مِنْ عُلُومٍ جَاوَزَتْ حَدًّا وَحَصْرًا (١)
 لَمْ يُحِطْ فِيهِ عَلَى التَّرْتِيبِ خُبْرًا
 وَلَكَسِرِ الْعِلْمِ قَدْ أَصْبَحَ جَبْرًا
 شَرَحَ اللَّهُ لَهُ بِالسِّدِّينِ صَدْرًا
 وَيَرَى الْأَشْيَاءَ قَبْلَ الْعَيْنِ فِكْرًا
 أَوْ كَرْنَدٍ حَيْثُ مَا يَفْدَحُ أَوْرَى
 فَوْقَ هَذِي الْأَرْضِ فِينَا مَا اسْتَقْرَأَ
 عَصِرَتْ كَانَتْ لَنَا شَهْدًا وَخَمْرًا
 مِنْ بَيَانِ خُلُقَتِهِ لِلذَّهْنِ سِحْرًا
 طُرِقَ الْحَقُّ وَأَبْدَى فِيهِ أَمْرًا
 وَجَلَ الْقَلْبُ بِهِ لَوْ كَانَ صَحْرًا
 عِلَّلَ النَّفْسَ بِذَلِكَ الْوَعْظِ أُبْرَأَ (٢)
 لَمْ تَجِدْ فِي نَفْسِهِ عَجْبًا وَكِبْرًا
 زَادَ فِي مَلَقَاكَ إِكْرَامًا وَبِشْرًا
 وَالَّذِي فَاقَ بَنِي ذَا الْعَصْرِ طُرًّا
 وَأَيْادِكَ مَدَى الْأَيَّامِ تَتْرَى
 قَبْلَ عَرَفَانِكَ لِي قَدْ كُنْتُ حُرًّا
 لَيْسَ تَبْغِي غَيْرَ مَرْضَاتِكَ مَهْرًا

(١) في مجموعة السيد عبدالخالق وحديقة الورود: (.. جاوزت عدا وحصرا).

(٢) في الأصول: (علل النفس بذا الوعظ وأبرا) والتصويب من الحديقة والمجموعة.

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق وحديقة الورود (معالي قدره).

هاكها عذراء في أوصافكم
واعذر العبد على تقصيره
وارغم الحاسد في نيل العلاء

سيدي وأقبل من المسكين عذرا
إنها في مدحك حمداً وشكرا
وليمت خصمك إرغاماً وقهراً

(١٩٩)

كف الملام فما يفيد ملامي
جسد تَعَوَّدَه الضنى وحشاشة
حتى إذا حار الطبيب بعليتي
لم يدري ما مرض الفؤاد وما الذي
قد أنحلت جسمي بتذكار (الغضا)
من لي بأيام (الغوير) وحبذا
أيام لم أقطع بها صلة الهوى
في روضة رضعت أفويق الحيا
غناء إن غنت حمائم دوحها
أصغي إلى نغم القيان وأرتوي
وإذا أخذت الكأس قلت لصاحبي
أيام كنت أمنت طارقة النوى
مرت كما مر الخيال من الكرى
له أربعنا التي في (رامة)
يا مسرح الأرام من (وادي الحمى)
لي فيك منية عاشق ذي صبوة
لما رأته نوق الترحل قد دنت
نترت علي من المدامع لأولاً

الداء دائي والسقام سقامي^(١)
مليت بلاعج صبوة وغرام
وقف القياس بها على الإيهام
أخفيت عنه من الآلام
نار الغضا وتشببت بعظامي
أيام ذاك الربيع من أيام
فكأنما هو من ذوي الأرحام
وهمي عليها المستهل الهامي
رقت لها الأغصان بالأكمام
من ريق ممتزج بريق الجام
العيش في دنياك كأس مدام
وظننت أن الدهر من خدامي
ما أشبه الأيام بالأحلام
كانت أجل مطالبي ومرامي
هل عودة يا مسرح الأرام
معلومة وتهتك وهيام
ورأت على صرف النوى إقدامي
أبهى وأبهج من بديع نظامي

(١) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (أورفة).

إِنَّ لَأَمْنِي فِيكَ الْعَدُولُ جَهَالَةً
 كَمْ لَيْلَةٍ قَدِ بَتُّ بِعَدِكَ فِي جَوِيٍّ
 أَرْجُو الصَّبَّاحَ وَلَا صَبَّاحَ، كَأَنَّهُ
 مَا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ مُوَاصَلَةِ الْكُرَى
 هَطَلْتُ لِأَرْبُوعِكَ الدُّوَارِسِ عَبْرَتِي
 وَبَلَلْتُ مِنْ تِلْكَ الرُّسُومِ أَوَامَهَا
 تِلْكَ الْمَوَاقِفُ لَمْ يَكُنْ تَذْكَارُهَا
 وَأَكَادُ أَقْطَعُ حَسْرَةً وَتَلَهُفًا
 بِاللَّهِ يَا نَسَمَاتِ (نَجْدٍ) بَلَّغِي
 وَأَخْلَّةَ حَلْفِ الزَّمَانِ بِأَنَّهُمْ
 أَقْسَمْتُ إِنَّ الْقَلْبَ لَا يَسْلُوهُمْ
 قَوْمٌ رَمِيَتْ بِسَهْمٍ بَيْنَ مِنْهُمْ
 هَلْ تَرْجِعَنَّ الدَّارُ ثَمَّةَ بَعْدَهُمْ
 وَأَرَى سِنَاءَ (أَبِي الثَّنَاءِ) كَأَنَّهُ
 قَرَّمَ لَهُ فِي الْفَضْلِ أَوْفَرَ قِسْمَةٍ
 فَخَرْتُ شَرِيْعَتُنَا بِمَفْخَرِ سَيِّدِ
 إِنَّ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَرَى
 جَبَلٌ أَظْلَى عَلَى الْأَنْبَامِ وَلَمْ يَكُنْ
 وَلَهُ وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوْفُ شُمُخُ
 مِنْ قَاسِهِ بِسِوَاهُ مِنْ أَقْرَانِهِ
 إِنَّ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حِينَ يَجَادِلُ
 فَهَنَّاكَ تُبْصِرُ هَيْبَةً نَبْوِيَّةً
 بِبَلَاغَةٍ مَقْرُونَةٍ بِفَصَاحَةٍ
 تَقْفُ الْعُقُولُ حَوَاسِرًا مِنْ دُونِهَا
 مِنْ كُلِّ مَشْكَلَةٍ يُحَيِّرُ فَهْمَهَا

فَالصبُّ في شغلٍ عن اللّوام
 أرعى نجوم الليل رعي سوام
 كرم يرجي من أكف لئام
 لو يسمع النائي بطيف منام
 فكأنها يا مي صوب غمام
 هذا وما بل البكاء أوامي
 في القلب يا ظمياء غير ضرام
 مني على أيامها إبهامي
 (دار السلام) تحييتي وسلامي
 وجه الزمان وغرة الأيام
 ويررت بالأيمان والأقسام
 فأصاب هذا القلب ذاك الرامي
 والربع ربعي والخيام خيامي
 صبح تبلج من خلال ظلام
 والفضل كالأرزاق في الأقسام
 فخر الشرائع فيه والأحكام
 أوى إلى عمام من الأعلام
 قلل الجبال الشم كالأكام
 مجد إذا عد الأماجد سامي
 قاس النضار لجهله برغام
 خصم الألد وحان حين خصام
 تضع (*) الرؤوس مواضع الأقدام
 ترمي فصيح القوم بالإعجام
 ما بين إقدام إلى إحجام
 دقت على الأفكار والأفهام

(*) في الطبعة (١): (تصنع) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عذراء ما كَشَفَتْ لَغَيْرِ جَنَابِهِ
ولقد رأيتُ لِسَانَهُ مَعَ أَنَّهُ
ولقد رأيتُ جَنَانَهُ كَلِسَانِهِ
حُجَجٌ يَرُوعُ بِهِنَّ مِنْ أَفْكَارِهِ
حَازَ النِّهَايَةَ فِي الْفَضَائِلِ كُلِّهَا
لَوْ لَامَسَ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ تَفَجَّرَتْ
رِدْ ذَلِكَ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ فَإِنَّهُ
سَلُّ مَا تَشَاءُ تَنْزِلُ مَرَامَكَ كُلَّهُ
وَابْشِرْ بِمُتَرَعَّةِ الْغَدِيرِ بِمَائِهَا
أَقْلَامُهُ أَفْتَخَرَتْ عَلَى سُمْرِ الْقَنَا
خَطٌّ يَسُرُّ النَّظَائِرِينَ وَلَمْ يَزَلْ
وَكَأَنَّمَا نَظَمَ النُّجُومَ قَلَانِدًا
فِيهَا لَمَنْ طَلَبَ الْحَقِيقَةَ مُورِدًا
مَا أَظْهَرَ الْبَارِي حَقِيقَةَ فَضْلِهِ
اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْتَ أَكْبَرُ آيَةٌ
أَرْضِيَّتِ أَقْوَامَ الْهُدَى وَبِعَثْتَ فِي
بِمَبَاحِثٍ لَلْحَقِّ فِي مَيِّدَانِهَا
وَلَكُمْ عَدَدْتُ لَكَ الْجَمِيلِ وَلِذَلِكَ لِي
أَنْتَى أَعْدُ وَإِنْ رَقَمْتَ مُحَاسِنًا
لَكِنْ رَأَيْتُ لَكَ الْمَدِيحَ مَثُوبَةً
لَكَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مَحَبَّةً
شُكْرًا لِأَنْعَمِكَ السُّؤَالِ فَإِنَّهَا
إِنِّي عَقَدْتُ بِذِيْلِكَ فَضْلِكَ ذِمَّةً
إِنْ تَسْأَلُنْ عَنِّي فَإِنِّي لَمْ أزلْ
أَصْبَحْتُ كَالْجَمَلِ الذَّلُولِ تَقْوِدُنِي

مِنْ قَبْلُ عَنْ مِرْطَلِهَا وَلِثَامِ
كَالشَّهْدِ أَمْضَى مِنْ شَفِيرِ (*) حُسَامِ
وَكَلَاهِمَا إِذْ ذَاكَ كَالصَّمَامِ
بَرَزَتْ بِرُوزِ الْأُسْدِ مِنْ أَجَامِ
حَتَّى مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِكْرَامِ
مِنْ كَفِّهِ بِسَوَابِغِ الْإِنْعَامِ
وَأَبِيكَ بَحْرٌ بِالْمَكَارِمِ طَامِي
عَنْ كَشْفِ إِبْهَامِ وَنَيْلِ حُطَامِ
إِنْ شِمْتَ بَارِقَ تَغْرِهِ الْبَسَامِ
فَرَأَيْتُ كُلَّ الْفَخْرِ لِلْأَقْلَامِ
فِي الْعَيْنِ أَحْسَنَ مِنْ عِذَارِ غَلَامِ
فِي الْكُتُبِ مُشْرِقَةً مَدَى الْأَيَّامِ
يَشْفِي الصَّدُورَ بِهَا وَيُرْوِي الظَّامِي
إِلَّا لِيُظْهِرَ قُوَّةَ الْإِسْلَامِ
ظَهَرَتْ بِأَكْبَرِ آيَةٍ لِأَنَامِ
ذَاكَ الرِّضَا غِيظًا إِلَى أَقْوَامِ
إِحْجَامِ كُلِّ سَمِيدِعٍ مِقْدَامِ
خَطِي غَدَاةَ عَدَدْتِهَا وَكَلَامِي
كُنْهَائِيهِ الْأَعْدَادِ وَالْأَرْقَامِ
فَمَحَوْتُ فِي إِثْبَاتِهَا أَثَامِي
مُزِجْتُ مَعَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ
رَفَعْتُ بِرِغْمِ الْحَاسِدِينَ مَقَامِي
إِنْ حَاتَّتِ الْأَيَّامُ عَقْدَ ذِمَامِي
بِمَشَقَّةِ الْإِنْجَادِ وَالْإِتْهَامِ
هَذَا النَّوَى قَسْرًا بِغَيْرِ زِمَامِ

(*) الشفير: شفير كل شيء حرفه، ولعل صوابها (شيفار).

(٢٠٠)

وقال هذه الأبيات [وهي من المجتث]:

يا ليلَةً في الليالي حميدةً بالوصالِ
مَـرَّتْ بَمِنَ أَنَا أَهْـوَى مُرورَ طَـيْفِ الخِيَالِ
لَمَّا رَأَى سَـوَاءَ حَالِي وَرَقَّ لِي وَرَثَى لِي
بَكَـيْتُ مِنْهُ عَـلَيْهِ يَا سَعْدُ حَتَّى بَكَى لِي

(٢٠١)

وقال مادحاً السيد علي القادري النقيب^(١) [وهي من الطويل]:

لَمَنْ أَيْتُقْ يَا سَعْدُ تُرْقِلُ أَوْ تَخْـدِي تُغَوِّرُ فِي غَوْرٍ وَتَنْجِدُ فِي نَجْدِ
حَوَانٍ كَأَمْثَالِ القِـسِيِّ سَهَامُهَا أَعَارِبٌ تَرْمِي بِالسَّرَى غَرَضَ القِـصْدِ
لَهُمْ فَتَكَاتُ البِيضِ وَالبِيضُ شُرْعٌ بِأَعْبَرَ مِنْ وَقَعِ الحَوَادِثِ مُسْوَدٌ
صَوَادٍ إِلَى وَرْدِ المَنُونِ وَمَا لَهُمْ مِنْ العِزِّ إِلَّا كُلُّ صَافِيَةِ الوَرْدِ
جَاحِجَةٌ شَمُّ العِرَانِينَ هُتَفٌ بِكُلِّ بَعِيدِ الغَوْرِ مُلْتَهَبِ الزُّنْدِ
عَلَى مِثْلِ مُعَوِّجِ الحَنَايَا ضَوَامِرٍ طَوَّيْنِ القِيَافِي كَيْفَ مَا شَنَّ بِالأَيْدِي
أَقُولُ لِحَادِيهَا رُويْدَكَ إِنَّهَا بِقَايَا عِظَامٍ قَدْ تَعَقَّفَنَ بِالجِلْدِ
زَجَرَتْ المَطَايَا غَيْرَ وَإِنْ فَسِرَ بِهَا عَلَى ضَعْفِهَا لَا بِالدَّمِيلِ وَلَا الوَخْدِ
أَلَسْتَ تَرَاهَا فِي رُسُومِ دَوَارِسٍ لَهَا وَقْفَةُ المَأْسُورِ قَيْدٍ فِي قَيْدِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ غِرَامٍ تُجِنُّهُ وَمَا كَانَ أَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ بِمَا تَبْدِي
وَالْأَفْمَا بِالِ المَطِيِّ يَرُوعُهَا رَسِيسُ جَوَى يَـعْدُو وَدَاءُ هَوَى يَـعْدِي
وَشَامَتْ وَمِيضَ البَرَقِ لَيْلًا فِرَاعَهَا سَنَا البَارِقِ النَّجْدِيِّ^(*) وَقَدْ أَعْلَى وَقَدْ
وَعَاوَدَهَا ذَكَرُ (الْغَمِيمِ) فَأَصْبَحَتْ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(*) في الطبعة (١): (النجي) و صوابها من الطراز الأنفس.

فسيق إليها الشوق من كل وجهة
وقد فارقت من بعد ليماء أوجهها
وساء زمان بعد أن سرها بهم
ويوشك أن تقضي أسى وتلهفأ
سقى الله من عيني أكناف (حاجر)
ورعياً لأيام مضت في عراصها
قضينا بها اللذات حتى تصرمت
سلام على تلك الديار وإن عفت
فمن مبلغ عني الأحبة أنني
ذكرتهم والوجد في القلب كامن
فهل ذكروا عهد الهوى يوم قوضوا
وما اكتحلت عيناى بالغمض بعدهم
وما رحت أشكو لو حظيت بقربهم
أما و(علي) القدر وهي أليّة
لقد سد ما بيني وبين خطوبه
أراني أساير الزمان إذا بدا
ومنه متى حانت إلي التفاتة
كريم إذا استعطفت نائل بره
إذا شاء في الدنيا أراني بفضله
وأمنني والحادثات تريبني
وقام إلى جدواه يهدي عفاتة
يلوح عليه نور آل محمد
يكاد يدل الناس ضوء جبينه
نتيجة آباء كرام أئمة

وليس لها في ذلك الشوق من بد
يسيل لها دمع العيون على الخد
فماذا يلاقي الحر في الزمن الوغد
على فانت لا يستمال إلى الرد
إذا هي تستجدي السحاب فما تجدي
تؤلف بين الطيبي والأسد الورد
وكننا ولا نظم الجمان من العفد
منازل أحابي وعهد بني ودي
حليف الهوى فيهم على القرب والبعد
عليهم كمنون النار في الحجر الصلد
وهل علموا أنني مقيم على العهد
كما اكتحلت بالغمض أعينهم بعدي
زماناً رمانى بالقطيعه والصد
رفعت بها قدرتي وشدت بها مجدي
فهل كان (ذو القرنين) في ذلك السد^(١)
وأقبل إقبال الكريم على الوغد
فلا نحس لأيام في نظر السعد
وقد يعطف المولى الكريم على العبد
مشافهة ما قيل في جنة الخلد
فأصبحت أشكو في لظى شدة البرد
ولا ينكر المعروف بالقائم المهدي
كما لاح إفرند من الصارم الهندي
على النسب المرفوع والحسب المعدي
هداة بأمر الله تهدي إلى الرشد

(١) في الأصول: (فهل كان ذا القرنين...).

رَبُّوا فِي حُجُورٍ^(*) الْمَجْدِ حَتَّى تَرَعَّرَعُوا
فَلِي فِيهِمْ عَقْدُ الْوَلَاءِ وَكَيْفَ لَا
إِذَا مَا أَتَى فِي (هَلْ أَتَى)^(**) بَعْضُ وَصْفِهِمْ
عَلَى أَنْنِي فِيهِمْ رَبِيبٌ وَإِنَّنِي
وَمَا أَنَا فِي (بِغْدَادِ) لَوْلَا جَمِيلُهُمْ
فَبُورِكَ مَنْ لَا زَالَ يُورِثُنِي الْغَنَى
وَهَبْ أَنَّهُ الْبَحْرُ الْخِضْمُ لِأَمَلٍ
لَهُ بَارِقُ الْغَيْثِ الْمُلْتِ وَمَا لَهُ
وَمَا أَشْبَهَتْكَ الْمُرْسَلَاتُ بَوَيْلِهَا
أَغْظَتْ بِكَ الْحُسَادَ حَتَّى وَجَدْتَنِي
سَلِمْتَ (أَبَا سَلْمَانَ) لِلنَّاسِ كُلِّهَا
وَلَا حُرْمَ الرَّاجُونَ فِي مَا تُنِيلُهُ
فِدَاؤُكَ نَفْسِي وَالْأَنَامُ بِأَسْرِهِمَا
لَتَعْلُو عَلَى الْأَشْرَافِ أَبْنَاءُ (هَاشِمٍ)
وَمَا زِلْتُ مَرَّ السُّحُطِ مُسْتَعْدَبَ النَّدَى
كَأَنَّكَ شَمْسٌ فِي السَّمَاءِ وَإِنَّمَا
شَهِدْتُ بَأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
لَقَدْ عَادَكَ الْعِيدُ الْمُبَارِكُ بِالْهَنَا
إِلَيْكَ فَمُهْدِيهَا إِلَيْكَ قَوَافِيَاً
رَبِيبُ أَيَادِيكَ الَّتِي يَسْتَمِيحُهَا

وَفَوْقَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالضُّمْرِ الْجُرْدِ
وَلَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا أَوْلَى الْحَلِّ وَالْعَقْدِ^(١)
قَرَأْتُ عَلَى أَجْدَائِهِمْ سُورَةَ (الْحَمْدِ)
أَعِيشُ بِجَدْوَاهُمْ مِنَ الْمَهْدِ لِلْحَدِّ
لَدَى مَنْهَلٍ عَذْبٍ وَلَا عَيْشَةَ رَعْدِ
وَذَكَّرْنِي أَيَّامَ (دَاوُدَ) ذِي الْأَيْدِي^(٢)
فَهَلْ وَقَفْتُ مِنْهُ الْعَقُولُ عَلَى حَدِّ
لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ جَلْجَلَةُ الرَّعْدِ
بِمَا لَكَ مِنْ جَدْوَى وَمَا لَكَ مِنْ رِفْدِ
مَلَأْتُ بِهَا صَدْرَ الزَّمَانِ مِنَ الْحَقْدِ
وَلَا رُوعَتُ مِنْكَ الْبَرِيَّةُ فِي فَقْدِ
مَكَارِمِ تُسْتَحَلَى مَذَاقَتُهَا عِنْدِي
وَمَا أَنَا مِنْ يَفْدِيكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي
وَتَقْضِي عَلَى عَلَاتِهَا إِرْبَ الْمَجْدِ
فَأَوْنَةٌ تُجْدِي وَأَوْنَةٌ تَرْدِي
يَضُرُّ ضِيَاءُ الشَّمْسِ بِالْحَدَقِ الرَّمْدِ
وَأَنَّ نَدَى كَفَيْكَ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
فَبَشَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْعَوْدِ
مَحَاسِنَ تُرَوَى لَا عَنِ الْقَدِّ وَالنَّهْدِ
وَشَاعِرِكَ الْمَعْرُوفُ بِالْهَزْلِ وَالْجِدِّ

(١) فِي الْأَصُولِ: (وَلَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا أَوْلَى...).

(٢) دَاوُدَ بَاشَا وَآلِي بَغْدَادِ، مَرَّتْ تَرْجَمَتُهُ فِي تَعْلِيْقِنَا عَلَى الْقَصِيدَةِ رَقْمَ (١٢).

(*) فِي الطَّبْعَةِ (١): (جُجُورٍ) وَصَوَابُهَا مِنَ الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

(**) إِشَارَةٌ إِلَى سُورَةِ (الْإِنْسَانِ) مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وقال يمدحه أيضاً [وهي من البسيط]:

ما غابَ بدرٌ دُجىً منكم ولا غَرباً
لا ينزعُ اللهُ مَجْداً كانَ مُعْطِيَهُ
الكاشفونَ ظلامَ الخطبِ ما بَرِحوا
من كلِّ أبلجٍ يزهبُ بهجَةً وسناً
قد أنفقوا في سبيلِ اللهِ ما ملكوا
هُمُ الجبالُ أشمَخَرَتْ رِفْعَةً وَعِلاً
أبناءً جدُّ فما تدنو نفوسُهُم
عارونَ من كلِّ ما يزرِي مُلَابِسَهُ
ومُنِيَّةً قد حَتَّتْناها فتحسبُها
إلى (عليٍّ) عليُّ القَدْرِ مَرَجِعُها
الواهبِ المالِ جَمًّا غيرَ مَكْتَرِثِ
يُريكِ وَقَرَّ العطايا من مكارمِهِ
قد شَرَّفَ اللهُ فرعاً للنبيِّ سَما
لِمَ لَمْ يُشَرِّفْ على الدنيا بأجمِعِها
هذا هو المجدُ مَجْدٌ غيرُ مُكْتَسَبِ
من راحَ يحكيهِمُ بينَ الورى نَشَباً
أنتمُ رؤوسُ بنيِ الدنيا وسادَتُها
لكم خوارِقُ عاداتٍ متى ظَهَرَتْ
رَقَّتْ شَمائِلُكَ اللَّاتِي تَرِقُّ لَنا
وفيكِ والِدَهْرٍ يُخَشِي من حَوائِثِهِ
صَلابَةٌ قَطُّ ما لانتَ لِحادِثَةِ
وعِزْمَةٌ مثلُ وِريِّ الزندِ لو لَمَسَتْ

إِلَّا وَأَشْرَقَ بَدْرٌ كانَ مُحْتَجِباً
أَلِ النَّبِيِّ ولا فَضْلاً ولا أَدباً
بيضَ الوُجُوهِ وإنْ صالوا فَبَيْضُ ظَبْيِ
تخالُهُ بضياءِ الصُّبْحِ مُنْتَقِباً
واستَسْهَلوا في طِلابِ العِزِّ ما صَعَباً
هُمُ الجبالُ وأما غيرُهُمُ فَرَباً
من الدنيَّةِ لا جِداً ولا لَعِباً
يكسوهُمُ الحَسَنُ أبراداً لَهُمُ قُشْباً
نَجائباً لا وَجىَّ تَشكو ولا لَعَباً^(١)
نقيبُ أشرافِ عُرِّ السَّادَةِ النُّجَبِ
والمُسْتَقِلِّ مع الإكثارِ ما وَهَبِ
يَوْمَ النُّوالِ، وإنْ عادِيَتَهُ، العَطَبِ
إلى السَّماءِ إلى أنْ طاولَ الشُّهُبِ
من كانَ أشرفَ هذي الكائناتِ إبا
وإنما هو ميراتُ، أبا فاباً
فليس يحكيهِمُ بينَ الورى نَسَباً
إنْ عُدَّ رأسُ سِواكُمُ لا عَتَدِي ذَنباً
على العِوالِمِ كادتُ تَخْرِقُ الحُجُبِ
حتَّى كائِكَ مَخْلوقُ نَسِيمِ صَبابِ
ويُرتجى رَهَباً إنْ ذاكَ أو رَغَباً
وقد تُلِينُ خُطوبُ الدَهرِ ما صَلَباً
مَوْجاً من اليمِّ أَضحى مَوْجَهُ لَهَباً

(١) الوجي: الأكم في الرجل، واللغب واللغوب: التعب.

تَجَنَّبَ الْبِخْلَ بِالطَّبَعِ الْكَرِيمِ كَمَا
فَنَالَ مَا نَالَ آبَاءُ لَهُ سَلَفَتْ
إِنْ كَانَ أَبَاؤُهُ بِالْجُودِ قَدْ نَهَبُوا
فَانظُرْ لِأَيْدِيهِ إِنْ جَادَتْ أَنْامِلُهُ
أَيْنَ الْكُوكَبِ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ إِذْ
تِلْكَ الْمَزَايَا كَنْظَمِ الْعَقْدِ لَوْ تُلِيَتْ
يَرْضَى الْعَلَاءُ مَتَى يَرْضَى عَلَى أَحَدٍ
قَدْ بَلَّغْتَ نِعَمَ الْعَافِينَ أَنْعُمَهُ
يَقُولُ نَائِلُهُ الْوَافِي لَوَافِدِهِ
أَكْرَمُ بِسَيِّدِ قَوْمٍ لَا يَزَالُ لَهُ
نَوْءُ السَّحَائِبِ مِنْهُلٌّ عَلَى يَدِهِ
الْكَاسِبُ الْحَمْدَ فِي جُودٍ وَبِذْلِ نَدَى
نَهْزُ غُصْنًا رَطِيبًا كُلَّ أَوْنَةٍ
فَمَا وَجَدْتُ إِلَى أَمْدَاحِهِ (*) سَبَبًا
وَحَبَّبَا الْقَرْمُ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ
بِمِثْلِهِ كَانَتْ الْأَيَّامُ تُوَعِدُنَا^(١)
حَتَّى أَجَابَتْهُ إِذْ نَادَى مَارِيَهُ
مُؤَفَّقٌ لِلْمَعَالِي مَا ابْتَغَى طَلِبًا
سَبَّاقٌ غَايَاتِ قَوْمٍ لَا لِحَاقَ لَهُ
مُذْ كُنْتَ أَنْتَ نَقِيبًا سَيِّدًا سِنْدًا
أَضْحَكَتْ بَعْدَ بَكَاءِ الْمَجْدِ طُلَعَتُهُ
أَحْيَيْتَ مَا مَاتَ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ أَدَبٍ
يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ
وَأَيْدِيًا أَوْجَبَتْ شُكْرِي لِأَنْعَمِهَا

تَجَنَّبَ الْهَجْرَ وَالْفَحْشَاءَ وَاجْتَنَّبَا
نَدْبٌ إِلَى الشَّرْفِ الْأَعْلَى قَدْ انْتَدَبَا
فَقَدْ أَعَادَ بِهَذَا الْجُودِ مَا نَهَبَا
بِالصَّبِيِّ الْهَامِلِ الْهَامِي تَرَى عَجَبًا
تَزْهَوُ كَمَا قَدْ زَهَتْ بِالْقَطْرِ زَهْرُ رَبِّهَا
عَلَى الرَّوَاسِي لَهَزَتْ عَطْفُهَا طَرِبًا
وَيَغْضِبُ الدَّهْرُ أحيانًا إِذَا غَضِبَا
فَلَمْ تَدْعُ لَهُمْ فِي غَيْرِهِ أَرْبَا
قَدْ فَازَ جَالِبُ أَمْالِي بِمَا جَلَبَا
مَكَارِمُ تَرَكْتُ مَا حَازَ مُنْتَهَبَا
فَلَا فَتَقَدْنَا بِهِ الْأَنْوَاءَ وَالسُّحُبَا
يَرَى لِكُلِّ أَمْرٍ فِي الدَّهْرِ مَا كَسَبَا
يُسَاقِطُ الذَّهَبَ الْإِبْرِيذَ لَا الرُّطْبَا
إِلَّا وَجَدْتُ إِلَى نَيْلِ الْغِنَى سَبَبَا
حَلَبْتُ ضَرْعَ مَرَامٍ قَطُّ مَا حَلَبَا
فَحَانَ مِيعَادُ ذَاكَ الْوَعْدِ وَأَقْتَرَبَا
بِمَنْصِبٍ لَوْ دَعَاهُ غَيْرُهُ لِأَبِي
إِلَّا وَأَدْرَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَا طَلَبَا
وَكَمْ جَرَى إِثْرُهُ مِنْ سَابِقِ فَكَبَا
أَوْضَحَتْ أَثَارَ تِلْكَ السَّادَةِ النُّقْبَا
وَقَدْ تَبَسَّمَ مَجْدٌ بَعْدَمَا انْتَحَبَا
فَلْتَفْتَخِرْ فِي مَعَانِي مَدْحِكَ الْأَدْبَا
عَلِيٌّ فَضْلًا حَبَانِي الْجَاهِ وَالنَّشْبَا
فَالْيَوْمَ أَقْضِي لَكُمْ بِالْمَدْحِ مَا وَجَبَا

(١) يريد تعدنا . وهي بالخير . وتوعدنا : بالسوء . وليته قال : قد وعدت .

(*) في الطبعة (١) : (أيامة) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس .

(٢٠٣)

وقال يخاطب بعض أصحابه ويطلب معونته ليعود إلى بغداد [وهي من البسيط]:

أُنْعِمْ عَلَيَّ بِشَيْءٍ أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْمَسِيرِ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِينِي
أَقْضِي بِنِعْمِكَ أَوْقَاتاً أَعِيشُ بِهَا وَإِنْ أُمَّتٌ فَهِيَ تَكْفِينِي لِتَكْفِينِي

(٢٠٤)

مَنْ لِيَصَبَّ مُتَمِّمٌ مُسْتَهَامٌ ^(٢) دَنَفٍ مِنْ صَبَابَةٍ وَغَرَامٍ ^(٣)
لَأَمَّهُ اللَّائِمُونَ فِي الْحَبِّ جَهْلًا وَهُوَ فِي مَعَزَلٍ عَنِ اللُّوَامِ
لَا تَلُومَا عَلَى الْهَوَى دَنَفَ الْقَلْبِ بٍ فَمَا لِلْهَوَى وَمَا لِلْمَلَامِ
كَيْفَ يَصْحُو مِنْ سَكْرَةِ الْوَجْدِ صَبٌّ تَاهَ فِي سُكْرِهِ بِغَيْرِ مُدَامِ
وَرَمَتْهُ فِغَادِرَتِهِ صَرِيْعًا يَا لِقَوْمِي لَوَاحِظُ الْأَرَامِ
جَرَدْتُ أَعْيُنَ الظُّبَاءِ سَيُوفًا وَرَمْتْنَا أَلْحَاطَهَا بِسِيْهَامِ
لَسْتُ أَنْسَى مَنَازِلَ اللُّهُوِّ كَانَتْ مُشْرِقَاتٍ بِكُلِّ بَدْرِ تَمَامِ
تَنْجَلِي أَكْوَسٌ مِنَ الرَّاحِ فِيهَا يَضْحَكُ الرُّوْضُ مِنْ بَكَاءِ الْغَمَامِ
بَيْنَ أَسٍ وَنَرْجِسٍ وَبِهَارٍ وَهَزَارٍ وَبِلْبَلٍ وَيَمَامِ
وَمَلِيحٍ مُهْفَهَفٍ الْقَدِّ سَاجِي الطِّ طَرْفٍ عَذْبِ الرُّضَابِ لَدُنِ الْقَوَامِ
يَمْرُجُ الرَّاحُ مِنْ لَمَاهُ وَيَسْقِي نَا حَلَالًا يَشْوِبُهُ بِحَرَامِ
وَبِرُوحِي ذَاكَ الْغَرِيرُ الْمُفْدَى فِيهِ وَجْدِي وَصَبُّوتِي وَهُيَامِي

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٣).

(٢) صدر المطع مقتبس من قول الكميث بن زيد الأسدي في الهاشميات ص ٢١

من لقلب متيم مستهام
غير ما صبوة ولا أحلام

(٣) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (أورفة).

شَهَدَتْ وَأَوْصَدَغَهُ مُذْ تَبَدَّى
لَو تَرَشَّفْتُ مِنْ لَمَاهِ رَحِيْقًا
رُبَّ لَيْلٍ أَطَعْتُ فِيهِ التَّصَابِي
بَرَزْتُ فِي الظَّلَامِ شَمْسُ الحُمَيَّا
فَأَنْتَشَقُّنَا نَوَافِحَ المِسْكِ لَمَّا
مَنْ مُعِيدٌ عَلَيَّ أَيَّامَ لَهْوٍ
وَزَمَانٍ مَضَى وَعَيْشٍ تَقْضَى
مَرَّ وَالدَّهْرُ فِيهِ طَلَقَ المُحْيَا
لَو تَبَلُّ الدُّمُوعُ غُلَّةً صَبَّ
يَوْمَ حَانَ النُّوَى فَسَالَتْ دَمُوعٌ
وَتَلَطَّتْ حُشَاشَةٌ أَوْقَدُوهَا
كَلَّمَا نَسَمَتْ رِيَّاحٌ صَبَاها
سُقِيَتْ دَارَهُمْ أَحِبَّةَ قَلْبِي
إِنَّ أَيَّامَنَا عَلَى القُرْبِ مِنْهُمْ
نِمْةٌ قَدْ وَقَّيْتُ فِيهَا لَدِيَهُمْ
لَو تَرَانِي مِنْ بَعْدِهِمْ وَادِّكَارِي
أَتْلَهُى تَعَلُّلاً بِالْأَمَانِي
فَإِذَا قَلْتُ فِي الكِرَامِ قَصِيداً
زَانَ شَعْرِي وَزَانَ نَظْمِي وَنَثْرِي
وَإِذَا رُمْتُ فِي الرِّجَالِ كَرِيماً
إِنَّمَا أَعْرِفُ المَكَارِمَ مِنْهُ
قُسِّمَ الفُضْلُ فِي الرِّجَالِ فَأُضْحَى
لَو تَغْنَى الحَمَامُ بِالمَدْحِ فِيهِ
طَاهِرٌ لَا يَشْوِبُهُ دَنَسُ الإِثْمِ
لَو تَأَمَّلْتُ فِي عُلُومِ حَوَاهَا
أَوْتِيَ الفُضْلَ وَالكَمَالَ غُلَاماً

أَنَّ لَامَ العِذَارِ أَحْسَنُ لَامٍ
لَشَفَانِي مِنْ عَالَّتِي وَسَقَامِي
بِاخْتِلَاسِي مَسْرَّةَ الأَيَّامِ
فَمَحَتْ بِالضُّيَاءِ جُنْحَ الظَّلَامِ
فَضَّ عَنْهَا السُّقَاةُ مِسْكَ الخِتَامِ
أَعَقَّبْتُنَا عَنْ وَصْلِهَا بِانْصِرَامِ
مَا أَرَى عَوْدَهُ وَلَوْ فِي المَنَامِ
كَمُرُورِ الخَيَالِ فِي الأَحْلَامِ
بَلِّ دَمْعِي يَوْمَ (الغَمِيمِ) أَوَامِي
لَمْ أَخْلُهَا إِلَّا أَنْسِجَامَ رُكَامِ
أَلْ مِيٍّ مِنْ بَيْنِهِمْ بِضِرَامِ
قَلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِيهَا سَلَامِي
مِنْ دَمُوعِي بِمِثْلِ صَوْبِ الغَمَامِ
صَدَعْتُ بِالفِرَاقِ بَعْدَ الأَتَامِ
وَعَلَى الحُرِّ أَنْ يَفِي بِالدُّمَامِ
مَاضِيَاتِ العُصُورِ وَالأَعْوَامِ
بِنِثَارِ أَقْوَالٍ أَوْ بِنِظَامِ
نُقْتُ فِيهَا حَلَاوَةَ الإِنْسِجَامِ
صِدْقِ مَدْحِي لِلسَّادَةِ الأَعْلَامِ
كَانَ (عَبْدَ الرَّحْمَنِ) أَقْصَى مِرَامِي
مِنْ كَرِيمِ الأَخْلَاقِ نَجَلِ الكِرَامِ
حِظُّهُ مِنْهُ وَافِرَ الأَقْسَامِ
أَرْقَصَ البَبَانَ فِي غِنَاءِ الحَمَامِ
مِ فَمَا لَآثَ قَطُّ بِالأَتَامِ
قَلْتُ هَاتِيكَ مِئْنَحَةَ الإِلْهَامِ
يَا لَهُ اللهُ سَيِّدًا مِنْ غُلَامِ

ناشئٌ منذ كان في طاعة الله
 ثابتُ الجأشِ لا يُراعُ لأمرٍ
 إنَّ فيه والحمدُ لله ما ير
 فِطْنَةً تُدْرِكُ الغوامِضَ عِلْماً
 أدبٌ رائعٌ وعلمٌ غزيرٌ
 فإذا ما سمعتُ منه كلاماً
 يا شِفَاءَ الصُّدُورِ من عِلَلِ الجَهِه
 يا رفيعَ العمادِ يا ابنَ (علي)
 أنتَ غيْثٌ على العُفْءةِ هَطولٌ
 آل بيتِ النَّبِيِّ لا زالَ فيكمُ
 قد سَرَّتْ منكمُ بنا نَفَحَاتُ*
 قد أُعِدُّوا لكلِّ أمرٍ عظيمٍ
 دامَ مجدُّ لهم وللناسِ مجدُّ
 شيّدوها مَبانياً للمعالي
 طَهَّرَ اللهُ ذاتكمُ واصطفاكمُ
 عَلِقَتْ فيكمُ المَطالِبُ مِنَّا
 كلُّ فردٍ منكمُ إمامٌ لعَصْرِ
 أرضَعَتْهُ أمُّ العُلا بلِلبانٍ
 فلئن سارَ فيكمُ ذكرُ شِعْري
 فَبِكُمْ عَصَمْتِي وفيكمُ فَخاري
 إنَّ كَتَمْتُ الثناءَ حيناً عليكمُ
 فأبقُ في نعمةِ علينا من الله
 واهنَ يا سيّدي بعيدي سعيدي
 أترجى الفُتوحَ في المدحِ فيكمُ

صلاةٌ موصولَةٌ بصيام
 ثابتٌ عند زَلَّةِ الأقدام
 فَعُ قَدْرَ العُلومِ بين الأنام
 حُجِبَتْ عن مدارِكِ الأفهام
 أينَ منه الأزهارُ في الأكمام
 كان ذاكَ الكلامُ حرّاً الكلام
 لِي وَيَا بُرْهَما من الآلام
 يا ابنَ عالي الذِّرا عليّ المَقام
 أنتَ بَحْرٌ من المكارمِ طامي
 ثَقَّتِي في ولائكمُ واعتصامي
 سَرَيانَ الأرواحِ في الأجسام
 واستعدوا للنفِّضِ والإبرام
 ما سيواهمُ وما لهُ من دَوام
 ما بناها مُشَيِّدُ الأهرام
 حُجَّةٌ للإسلامِ في الإسلام
 منذُ كنتمُ وما عَلِقْتُمُ بذاك
 ما فَقدنا منكمُ به من إمام
 قد عهدناه قَبْلَ عَهْدِ الفِطام
 أَخِذاً بالإنجادِ والإتهام
 وبلوغِ المُنَى ونَيْلِ الحُطام
 ضاقَ صدري به عن الإكتام
 مُفِيضاً سَوابِغَ الإنعام
 عائدٍ بالسُّرورِ في كلِّ عام
 بافتتاحي بمدحكمُ واختِامي

(* في الطبعة (١): (نفحات) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وقال يمدح العلامة السيد عبدالغني آل جميل^(١) ويهنيه بالعيد [وهي من الرمل]:

لِمَنِ الرُّكْبُ وَجَيْفًا وَذَمِيلًا
يَتَسَاقَوْنَ أَفَاوِيْقَ الكَرِي
فَوْقَ أَنْضَاءٍ فَرَّتْ أَخْفَافُهَا
كَأَمَّا مَرَّتْ بِرَسْمِ دَارِسٍ
وَإِذَا مَا انْتَشَقَّتْهَا شَمَالًا
أَتْرَاهَا ذَكَرَتْ فِي (ذِي الغَضَا)
بَدَلْتُ بِالْوَصْلِ هَجْرًا وَبِمَا
قَصُرَتْ أَيَّامُنَا فِي (رَامَةِ)
قَد رَعَيْنَاهَا رِيَاضًا أَزْهَرَتْ
أَيْنَ يَا سَعْدُ دِيَارُ دَرَسَتْ
وَبِدُورٍ أَشْرَقَتْ أَرْجَاؤُهَا
أُرْسِلُ الطَّرْفَ فَمَا لِي لَا أَرَى
قَد ذَكَرْنَا عَهْدَكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ
شَدَّ مَا لَاقَيْتُمْ مِنْ هِجْرَانِكُمْ
وَاعْتَقَلْتُمْ مِنْ قُدُودِ سُمْرًا
أَيُّ ذِكْرِي قَد ذَكَرْنَاكُمْ بِهَا
تَوَرَّثَ القَلْبُ التَّهَابًا وَالحَشَا
فَسَقَى أَطْلَالَكُمْ مِنْ عَبْرَةٍ
مُعْرَمٍ فِي قَبْضَةِ الوَجْدِ شَجٍ
وَتَنَنَتْهُ عَنِ مَلَامٍ فِيكُمْ
قَد تَرَكْتُمْ فِي عَذَابِ جَسَدًا

يَقْطَعُ البَيْدَ حُزُونًا وَسُهُولًا
وَيُعَانُونَ السُّرَى مِيلًا فَمِيلًا
شَقَّقَ البَيْدَ صُعودًا وَنُزُولًا
هَمَلْتُ أَدْمَعُ عَيْنَيْهَا هُمُولًا
فَكَمَا قَد شَرِبْتُ رَاحًا شَمُولًا
زَمَنًا مَرَّ بِمَنْ تَهْوَى عَجُولًا
نَعِمْتُ بِؤْسًا وَبِالرِّيِّ غَلِيلًا
وَرُبَاهَا فَذَكَرْنَاهَا طَوِيلًا
وَبَكَيْنَاهَا رُسُومًا وَطُلُولًا
وَأَحْبَاءَ بِهَا كَانُوا نُزُولًا
لَقَيْتُ بَعْدَ تَلَاقِينَا أَفُولًا
نَاطِرًا أَحْوَى وَلَا خَدًّا أُسِيلًا
فَتَحَرَّقْنَا بُكَاءً وَعَوِيلًا
يَوْمَ أَرَمَعْتُمْ عَنِ الحَيِّ رَحِيلًا
وَاتَّخَذْتُمْ حَدَقَ الغَيْدِ نُصُولًا
وَكَذَا فَلْيَذْكَرِ الخُلُّ الخُلِيلًا
حُرَقًا وَالدَّمْعَ مَجْرِيًّا وَمَسِيلًا
لَمْ نَكُنْ نَبْعَثُهَا إِلَّا سُوِيلًا
لَا يَرَى يَوْمًا إِلَى الصَّبْرِ سَبِيلًا
طَاعَةُ الحُبِّ الَّتِي تَعْصِي العَذُولًا
فَأَخَذْتُمْ قَلْبَهُ أَخْذًا وَبِيلًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

عَلَانَا بِنَسِيمٍ مِنْكُمْ
 وَأَنْصِفُونَا مِنْ خَيَالِ طَارِقٍ
 فَأَعِيدُوهُ لَنَا ثَانِيَةً
 إِي وَدَيْنِ الْحَبِّ لَوْلَا سِرُّكُمْ
 مَا أَخُو الْحَزْمِ سَوَى مَنْ يَتَّقِي الشُّدَّ
 ذَلَّ عَبْدُ الْحَبِّ مَنْ مُسْتَعْبِدٍ
 لَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا أَمَلِي
 إِنْ يَسْؤُنِي الدَّهْرُ فِي أَحْدَاثِهِ
 عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا مِنْ سَيْبِهِ
 فَتَأْمَلْ فِي الْبَرَايَا هَلْ تَجِدُ
 عَارِفٌ بِالْفَضْلِ مُعْطٍ حَقَّهُ
 طَالَمَا اسْتَسْقَيْتَهُ مِنْ ظَمَأٍ
 أَلْبَسَ الدَّهْرُ بِأَفْعَالِهِ
 خَيْرٌ مَا يَطْرُبُ فِيهِ مَوْقِفٌ
 يَوْمَ لَا تَشْرِقُ إِلَّا بَدَمٌ
 وَبِحَرِّ الطَّعْنِ أَطْرَافُ الْقَنَا
 يَا إِمَامًا فِي الْعُلَا فَلْيَقْتَدِ
 لَا مَثِيلٌ لَكَ فِي النَّاسِ وَإِنْ
 مَا سِوَاكَ الْيَوْمَ فِي سَادَاتِهَا
 وَلَنْ كَانَ قَوْوُلٌ فِيهِمْ
 وَإِذَا مَا زَكَّيْتَ أَنْسَابُهَا
 لَمْ تَكُنْ بِالْغَعَّةِ مِنْكَ عَلَاً
 وَلَقَدْ أَنْزَلْتَ أَعْلَى مَنْزِلٍ
 وَأَبَى مَجْدُكَ إِلَّا أَنْ تُرَى

عَلٌ يَشْفِينَا وَإِنْ كَانَ عَلِيلاً
 زَارَنَا لِيلاً فَمَا أَعْنَى فَتِيلاً
 وَلَيْكُنْ مِنْكُمْ وَمَا كَانَ رَسُولاً
 مَا اسْتَبَاحَتْ أَعْيُنُ الْغَيْدِ قَتِيلاً
 شَادَنَ الْأَلْعَسَ وَالطَّرْفَ الْكَحِيلَا
 كَمْ عَزِيزٌ تَرَكَ الْحَبَّ ذَلِيلَا
 فِيهِ يَحْكِينِي سَقَاماً وَنُحُولَا
 سَرَّنِي (عَبْدُ الْغَنِيِّ) الدَّهْرَ طَوَلَا
 كُلَّ يَوْمٍ وَابِلُ الْمُزْنِ هَطُولَا
 مَنْ يُضَاهِيهِ جَمَالاً وَجَمِيلَا
 بَيْنَ قَوْمٍ تَحْسَبُ الْفَضْلَ فُضُولَا
 فَسَقَانِي مَنْ نَدَاهُ سَلَسَبِيلَا
 غُرَّراً أَشْرَقَ فِيهَا وَحُجُولَا
 يَمَلَأُ الْأَرْضَ صَهِيلاً وَصَلِيلَا
 مُرْهَفَاتٌ تَتَشَكَّاهُ فُلُولَا
 وَالْمَوَاضِي الْبَيْضُ كَادَتْ أَنْ تَسِيلَا
 بِكَ مَنْ قَدْ يَبْتَغِي الْمَجْدَ الْأَثِيلَا
 كُنْتَ لِلْبَدْرِ نَظِيرًا وَمَثِيلَا
 مَنْ يُجِيرُ الْجَارَ أَوْ يَحْمِي النَّزِيلَا
 لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ إِلَّا فَعُولَا
 كُنْتَ أَنْكَاهَا فُرُوعاً وَأَصُولَا
 طَاوَلَتْ أَعْلَى الْجِبَالِ الشَّمُّ طَوَلَا
 فِي مَقَامٍ يُرْجَعُ الطَّرْفَ كَلِيلَا
 أَيُّهَا الْقَرْمُ مُغِيثًا وَمُنِيلَا

أَفَأَنْتَ الْغَيْثُ يَنْهَلُ فَمَا
 إِنَّ لِلْإِحْسَانِ وَالْحُسْنَى مَعاً
 يَنْقُضِي جَيْلٌ وَيَسْتَوْدَعُهَا
 أَيُّ نَعْمَائِكَ أَفْضَى حَقَّهَا
 نَبَّهَتْ حَظِّي مِنْ رَقْدَتِهِ
 كُلُّ يَوْمٍ بِالْخُ مِنْكَ مُنَى
 وَإِذَا مَا هَجَرْتَ هَاجِرَةً
 وَلَقَدْ مَلَّتْ يَدِي مِنْ أَخْذِهَا
 فَكَأَنِّي رَوْحَةٌ بَاكَرَهَا
 وَحَرِيٌّ بَعْدَهَا أَنْ أَنْتَنِي

تَرَكْتَ أَنْوَاهُ رَوْضاً مُحِيلاً
 فَيْكَ يَا مَوْلَايَ حَالاً لَنْ تَحُولَا
 بَعْدَ ذَلِكَ الْجَيْلِ فِي الْآتِينَ جَيْلَا
 فَلَقَدْ حَمَأْتَنِي حِمْلًا ثَقِيلاً
 بَعْدَ أَنْ أَرْقَدَهُ الدَّهْرُ خُمُولَا
 وَعَطَاءً مِنْ عَطَايَاكَ جَزِيلاً
 كُنْتَ ظَلاً يُتَّقَى فِيهِ ظَلِيلَا
 مِنْكَ مَا تُؤَلِي وَمَا كُنْتَ مَلُولَا
 صَائِبٌ أَوْ صَادِقٌ مِنْكَ قَبُولَا
 سَاحِباً فَيْكَ مِنَ الْفَخْرِ ذُيُولَا

(٢٠٦)

يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيدِ
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ هَوَا
 تَدْمَى بِعَبْرَتِهَا الْعِيُو
 مَا لِي دَعَاؤُكَ أَنْ تُصِيدَ
 إِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْتَنِي
 يَا بَدْرُ مَا نَالَ الْأَفْوِ
 زُنِّي إِذَا غَفَلَ الرَّقِيدِ
 وَاعْطَفَ عَلَى مُخْضِنِي يُرَا
 صَبٌّ بِمَهْجَتِهِ أَصِيدِ
 هَلْ تَدْرِي (*) مَا تَحْتَ الْخُلُو

رُ وَأَيُّهَا الْغُصْنُ الرُّطِيبُ
 كَ وَإِنَّهُ أَمْرٌ عَجِيبُ
 نُبُهُ وَتَحْتَرِقُ الْقُلُوبُ
 خَ فَلَا تُصَيِّخُ وَلَا تُجِيبُ
 أَهْـؤَى هَوَاكَ فَلَا أَتُوبُ
 لِمُنَاهِ مِنْكَ وَلَا الْغُرُوبُ
 حُبُّ وَرَيْمًا غَفَلَ الرَّقِيبُ
 عَ إِذَا جَفَقَتِ وَيَسْتَتْرِيبُ
 حُبُّ فِدْمَعُهُ أَبْدَأُ صَبِيبُ
 عَ فَإِنَّهَا كَبِدٌ تَذُوبُ

(*) الياء لا تُلْفِظُ لِسَلَامَةِ الْوِزْنِ، وَهِيَ غَيْرُ مَرْسُومَةٍ فِي الطَّرَازِ الْأَنْفَسِ.

ويلاه كيف أصابني
عجز الطبيب وأيُّ دا
كيف الدواء من الهوى
من كان علقته الحبيب
من ليس لي منه نصيب
في الفؤاد له وجيب
في الحب إن عجز الطبيب
بُ فما له إلا الحبيب

(٢٠٧)

وقال يخاطب السيد عبدالمحسن آل جميل^(١) عند عودته من الأستانة [وهي من

أقول لـ(عبد المحسن) اليوم مُنشدًا
سَعَيْتَ فَلَمْ تَحْصَلْ عَلَى طَائِلٍ بِهِ
وقال لك التوفيق لو كنت سامعاً
وقد خاب ساعٍ أبصر البحر خلفه
وأنفقت مالاً لو قنعت ببعضه
فما نلت ما حاولت إذ ذاك مغوراً
وكم أملٍ يشقى به من يرومه
فأهلاً وسهلاً بعد غيبتك التي
وُلد بالأشم القليل أمّا مقيله
بعذب الندى مرّ العداوة قادر
أخ طالما تُفدى بأنفسٍ ماله
ولو كنت ممن شدّ عضداً بأزره
ولو كنت ذا باعٍ طويلٍ جعلته
وإنك ما تختار غير رضائه
على أنه إن لم يكن لك مسعداً

له ما أراه في الحقيقة مُرشدًا
تسرُّ صديقاً أو تسيءُ به العدا
وراءك ما تبغي من الفضل والندى
إلى جرعة يروي بنهلتها الصدى
إذاً لكفك العمر مرعى وموردا
ولا حزت ما أمّلت إذ ذاك مُنجدا
وأمنيّة يلقي الفتى دونها الردى
قضيت بها الأيام لكنها سدى
فظلُّ وأمّا ما حواه فللندى
عفو عن الجاني وإن جارٍ واعتدى
وأقسم لو أنصفت كنت له الفدا
بلغت لعمر الله عزاً وسؤدا
بيمنك سيفاً لا يزال مُجرّدا
كمن راح يختار الضلال على الهدى
فهيهات أن تلقى من الناس مسعداً

(١) هو أخو العلامة السيد عبدالغني آل جميل. ولم نعثر على ترجمة له.

متى تَرَمِكَ الأرزاءُ سَهْمًا مُسَدِّدًا
قطعتَ لعمري من يَدَيْكَ بها يَدًا
إلى مُسْتَحِيلَاتِ الأمانِيِّ مِقْوَدًا
من البَغْيِ ما إنْ أَصْلَحَ الدهرُ أَفْسَدًا
تري العيشَ أَهْنَا ما رأيتَ وأرْعَدًا

يَقِيكَ اتِّقَاءَ السَّابِغَاتِ سِهَامَهَا
وإنَّكَ إنْ تُوَلِّ القَطِيعَةَ مِثْلَهُ
ولا تَسْلُمُ الأَطْمَاعُ من بَعْدِ هذه
ومن سَفَهٍ بَغْيِيٍّ أَمْرِيٍّ وارْتِكَابِهِ
وعشٍ مِثْلِ ما تَهْوَى بظِلِّ جَنَابِهِ

(٢٠٨)

وقال معزيًا مفتي البصرة السيد عبدالرزاق بن عبدالرحمن^(١) بوفاة زوجه [وهي

في المُصِيبَاتِ المُلِمَّةِ
ررى وأَمْضَى اللُّهُ حُكْمَهُ
أُمَّةً من بَعْدِ أُمَّةِ
الحادِثَاتِ المُدْلِهِمَّةِ
عَ وَغَالِي، المِوَتُ حَكْمَهُ
كَلِّمًا سَدَّدَ سَهْمَهُ
رَحْمَةً تَنْزِلُ جَمَّهُ
لِنَعِيمٍ وَلِنَعْمَةٍ
(أَنْتِ فِي الجَنَنَاتِ رَحْمَهُ)

١٢٧٩هـ

أَيُّهَا السَّيِّدُ صَبِيرًا
قَد مَضَتْ زَوْجَكَ لِلأُخْ
وكذاك النَّاسُ تَمْضِي
أَيُّ شَخْصٍ لَمْ تَرَعُهُ
وزعيمُ القُومِ ما رِي
كَم أَصَابَ الحَتْفُ مَنَّا
رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْهَا
جَاوَرَتْ رَبًّا كَرِيمًا
قُلْ لَهَا وادْعُ وارْحُ

(١) هو السيد عبدالرزاق بن عبدالرحمن من أهل بغداد، من أتباع الطريقة القادرية. انتقل هو ووالده من بغداد إلى البصرة بعد عزل داود باشا، في حدود سنة ١٢٥٠هـ وعين مفتيًا في البصرة. (عنوان المجد ص ١٧١). ولعل اسم زوجه (رحمة).

لا تَلْمُ مُغْرَمًا رَاكَ فَهَامَا
 لورَاكَ العَذُولُ يَوْمًا بَعِينِي
 يَا غَلَامًا نَهَائُهُ الحُسْنُ فِيهِ
 تَارِكُ فِي الأَحْشَاءِ نَارًا وَفِي الأَجْدِ
 أَتُرَانِي أُبَلُّ فَيْكَ غَلِيلًا
 كَلَّمَا قَلْتُ أَنْتَ بُرُّو لِقَلْبِي
 وَبِوَحْيِي مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْكَ يَوْحِي
 عَمْرُكَ اللهُ هَذِهِ كَبْدِي الحَرُّ
 فَاسْقِنِي مِنْ رَحِيقِ رَيْقِكَ صِرْفًا
 حَامٌ خَالٌ عَلَى زَلَالٍ بِرُودٍ
 أَطْمَعْتُهُ فِي فَيْكَ أَطْمَاعُنَا فِيدِ
 أَوْلَمَ تَخَشُّ يَا مَلِيحٌ مِنَ اللهِ
 فَالْأَمَانَ الأَمَانَ مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْ
 لَسْتُ أَدْرِي وَقَدْ تَتَنَبَّأَتْ تَيْهًا
 مَا هَصَرْنَا إِلا قَوَامَكَ غُصْنًا
 لَمْ تَدُمُ لَدَّةً لِعَيْنِي بِمَرًا
 فَإِذَا مَرَّبِي ادَّكَارَكَ يَوْمًا
 فَأَجِرْنِي مِنْ مِثْلِ هَجْرِكَ إِنِّي
 بَلْ أَعُدُّ اليَوْمَ الَّذِي أَنْتَ تَجْفُو^(٤)

كُلُّ صَبٍّ تَرَكْتَهُ مُسْتَهَامَا^(٢)
 تَرَكَ العَذْلَ فِي الهَوَى وَالْمَلَامَا
 مَا رَأَتْ مِثْلَهُ العُيُونُ غَلَامَا
 فَبَانَ دَمْعًا وَفِي القُلُوبِ غَرَامَا
 أَمْ تُرَانِي أَنْالُ مِنْكَ مَرَامَا
 بَعَثْتُ لِي مِنْكَ العُيُونُ سَقَامَا
 لِفؤَادِي صَبَابَةً وَغَرَامَا^(٣)
 ي تَشَكَّتْ إِلَى لَمَاكَ الأَوَامَا
 لَا يُرِينِي كَأَسَ المُدَامِ مُدَامَا
 هُوَ فِي فَيْكَ فَاصْطَلَاهَا ضَرَامَا
 لَكَ فَمَا نَالَ بِرَدِّهَا وَالسَّلَامَا
 بِقَتْلِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، أَثَامَا
 لَكَ فَقَدْ جَرَدَتْ عَلَيْنَا حُسَامَا
 أَقْضِيبًا هَزَزْتَهُ أَمْ قَوَامَا
 وَنَظَرْنَا إِلاكَ بَدْرًا تَمَامَا
 لَكَ فَمَا لِلهَوَى بِصَبِّكَ دَامَا
 قَعَدَ الوَجْدُ بِالفؤَادِ وَقَامَا
 لَا أَرَى العَيْشَ جَفْوَةً وَأَنْصِرَامَا
 فِيهِ دَهْرًا وَيَوْمَ هَجْرِكَ عَامَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (سيگاه) ومقام (جاركاه).

(٣) تكررت القافية بعد بيتين، إلا إذا قصد الشاعر معنى العذاب. بكلمة (غرام) الأولى.

(٤) في حديقة الورد: (بل أعد الآن...).

أَيْنَ مِنْكَ الْأَرَامُ فِي مَسْرَحِ السَّرِّ
 يَا غَزَالاً يَرَعَى سُويِدَا فَوَادِي
 صَرَعَتْ مُقْلَتَاكَ بِالسَّحْرِ أَقْوَا
 كَمْ سَهَرْتُ الدُّجَى بِأَعْيُنِ صَبٍّ
 وَالتَّمَسْتُ الكَرَى لِطَرْفِي بِطَرْفِي
 يَا خَلِيلِي خَلِيَانِي مِنَ اللُّو
 وَتَحْفَانِي بِطَيْبِ (*) أَخْبَارِ (نَجْدِ)
 وَذَكَرَا لِي مِنَ (العِرَاقِ) (شَهَابِ الدُّ
 فَبِذِكْرِ الكِرَامِ تَنْتَعِشُ الرُّو
 سَادَ سَادَاتِ عَصْرِهِ وَالأَمْرِ
 لَمْ يَزَلْ لِلْعَلَاءِ وَالمَجْدِ أَقْسَا
 فَعَلَا فِي سَمَاءِ كُلِّ فَخَارِ
 خَارِقٌ فِكْرُهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ
 فَأَرَى النَّاسَ مَا سِوَاهُ وَهَادِأً
 يَا إِمَاماً لِلْمُسْلِمِينَ هُمَاماً
 إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ رَحِمَ اللهُ
 يَكْشِفُ اللهُ فِيكَ عَن مَشْكَلاتِ الدِّ
 بِكَلَامٍ يَشْفِي الصُّدُورَ مِنَ الجَهْدِ
 فَكَأَنَّ العُلُومَ تَوْحَى إِلَى قَلْبِ
 وَلَقَدْ كِدْتَ أَنْ تَرَى مَا وَرَاءَ (**)
 العَدَا
 جَلَّ مَجْدُ حَوِيَّتِهِ أَنْ يُضَاهِيَ
 قَصْرَتْ دُونَ مَا بَلَغَتْ الأَعَالِي
 لَمْ يَنَالُوا أَخْفَافَهَا وَتَسَنَّمُ

بِ إِذَا قَلتُ تُشْبِهُ الأَرَامَا
 لا الخُزَامِي بِ(حَاجِرِ) وَالتَّمَامَا
 مَاً وَدَاوَتْ مِنْ دَائِهَا أَقْوَامَا
 أَمَطَرَتْ مُزْنَهَا فَكَانَ رُكَامَا
 فَرَأَيْتُ الكَرَى عَلَيَّ حَرَامَا
 مَ فَإِنِّي لا أَسْمَعُ الأُومَامَا
 وَصِفا لِي رِبِوعِهَا وَالخِيَامَا
 (سَدِينِ) نَتْرَأُ فِي مَدْحِهِ وَنِظَامَا
 حُ انتِعَاشاً فَتُطْرَبُ الأَجْسَامَا
 فَأَخَرَ التَّبْرُ وَالنُّضَارُ الرِّغَامَا
 مَاً وَللِعِلْمِ وَالنُّهَى أَقْسَامَا
 فَتَعَالَى عَلَاؤُهُ وَتَسَامِي
 يَفْقُبَلُ الخَرْقَ قَبْلُ وَالإِلْتِنَامَا
 مُذْ أَرِينَا عُلُومَهُ الأَعْلَامَا
 بِأَبِي ذَلِكَ الإِمَامِ الهُمَامَا
 بِهَا المُسْلِمِينَ وَالإِسْلَامَا
 عِلْمِ سِرّاً وَيَرْفَعُ الإِيهَامَا
 لِي شِفَاءً وَيَبْرِئُ الأُسْقَامَا
 بَكَ فِي السَّرِّ يَقْظَةً وَمَنَامَا
 يَبِ عِلُومًا أَلْهَمَتْهَا إِيهَامَا
 وَكَمَالُ رِزْقَتِهِ أَنْ يُرَامَا
 عَن مَحَلِّ حَالَتِهِ وَمَقَامَا
 تَبْرَعُمُ الأَنْوَفِ مِنْهَا السَّنَامَا

(*) في الطبعة (1): (بطيني) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (1): (وراء) والصواب من الطراز الأنفس.

قد رأيتُناك يومَ جِدِّ وهزلٍ
فاقتطَفْنَا من الرياضِ ورداً
وانتَشَفْنَا نسيمَ رِقَّةٍ لفظٍ
حُجِّجَ منك تُوضِحُ الحقَّ حتَّى
نَبَّهتْ بعد رِقْدَةٍ(*) الجهلِ قوماً
مَحَقَّتْ ظُلْمَةَ الضَّلَالَةِ والغِيِّ
يمنعُ البِيضَ خطُّ أقلامِكَ السُّمِّ
أنتَ مَقْدَامُهَا إذا أصبحَ المِقْد
أنتَ أعلى من أن يُقالَ كَرِيمٌ
تَغْمُرُ الناسَ بالجميلِ، وصوبُ الـ

قد بَهَرَتِ الأفكارَ والأفهاما
وسَمِعْنَا من الدراري كلاما
كنَسِيمِ الصَّبَا ونَشْرِ الخُزَامِي
أفَحَمَّتْ كُلَّ مُلْحِدٍ إفحاماً
لم يكونوا من قبلُ إلا نياماً
كما يَمَحِقُ الضياءُ الظلاماً
رِ بلاغاً أن تَسْبِقَ الأَقلاما
دَامَ فيها لا يُحسِنُ الإقداما
إن عَدَدْنَا من الأنامِ الكراما
مُزِنِ يسقي البِطاحَ والأكاما

(٢١٠)

هذا مَحَلُّ العِلْمِ والإفْتاءِ
دارُ حَوْتٍ من كلِّ شَهِمٍ حائِزِ
فيها العَوَارِفُ والمَعَارِفُ والتُّقَى
أينَ النُّجُومُ الزُّهُرُ من أَلْفاظِهِم
للهِ دارٌ ما خَلَّتْ من فاضِلِ
ولقد يحلُّ (أبو الثناء) بصدورها
مُفْتِي العِراقِينِ الذي بعلومِهِ
لو أسمعَ الحَجَرَ الأصمُّ بوعظه
للعِلمِ والأدبِ شَيِّدَ دارِهِ
تَسْرِي بمراها الهُمومُ فأرخوا

تأوي إليه أكابرُ العُلماءِ
بأسَ الحديدِ ورقَّةَ الصَّهْبَاءِ
وفكاهةَ الطَّرَفَاءِ والأدبَاءِ
ووجوهَهُم كالرُوضَةِ الغنَّاءِ
أبدأً ولا من سادةِ نُجَبَاءِ
يحكي حلولَ الشمسِ في الجَوَازِ
يرقى لأعلى رُتَبَةَ قَعَسَاءِ
لتفجرتُ صمَّأوه بالماءِ
ولكلِّ ذي فضلٍ من الفُضلاءِ
(دارُ تُسرُّ بها عيونُ الرائي)
هـ ١٢٥٢

(*) في الطبعة (١): (رقَّة) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ تَشُقِّيَ بِحَبْسِ
تُكَبِّلُ بِالْحَدِيدِ وَكُنْتُ أَحْشَى
وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ تَبْقَى بَدَارٍ
أَتَخْدِمُ كُلَّ مُبْتَدَلٍ حَقِيرٍ
وَكَنْتُ أَغَارُ إِنْ رَمَقْتُكَ عَيْنٌ
تَطُوفُ بِكَ الْوُجُوهُ الْعُجْبَرُ مِنْهُمْ
وَلَوْ مُكَّنتُ مِمَّا أَشْتَهِيهِ
تَقُولُ سَلَوْتَنِي وَنَقَضْتَ عَهْدِي
مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَسْلُوكَ يَوْمًا
تُحَدِّثُ عَنْ هَوَاكَ دَمُوعَ عَيْنِي
يَجُولُ عَلَيْكَ طَوْلَ اللَّيْلِ فِكْرِي
وَأَذْكَرُ مَا مَضَى مِنْ طَيِّبِ عَيْشٍ
فَمَنْ غَزَلَ يَرُوقُ لَدَيْكَ مَنِّي
فَاهَا ثُمَّ آهَاهَا ثُمَّ آهَاهَا
فَمَا أَغْلَى لِيَا لَيْنَا وَأَحْلَى
لِيَا لَيْ كَانَتْ اللَّذَاتُ فِيهَا
مَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَفَرَّقَتْنَا
رَمَاهَا مِنْ قِضَاءِ اللَّهِ رَامٍ
وَمَنْ لِي أَنْ أَزُورَكَ كُلَّ يَوْمٍ
عَسَى لَطْفٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَأْتِي^(١)

وَأَنْ تَبْقَى لِرِشٍّ أَوْ لِكَنْسٍ
مُحَاذِرَةً عَلَيْكَ مِنَ الدِّمَقْسِ
وَمَا يُلْفَى بِهَا غَيْرُ الْأَخْسِ
إِذَا مَا بِيَعُ لَا يُشْرَى بِفَلَسٍ
تَلَوْتُ عَرَضُ صَاحِبِهَا بَرَجْسٍ
كَمَا طَافَتْ شَيَاطِينُ بِنَاسِي
خَدَمْتُكَ دُونَ أَصْحَابِي بِنَفْسِي
وَخُنْتُ مَوَدَّتِي وَنَسَيْتُ أَنْسِي
وَيَوْمِي فِي غَرَامِكَ فَوْقَ أَمْسٍ
بِالسَّنَةِ مِنَ الْعَبْرَاتِ خُرْسٍ
وَأَصْبَحُ فِيكَ مَحْزُونًا وَأُمْسِي
فَأَكُلُ رَاحَتِي وَأَعْضُ خَمْسِي
وَمَنْ نَعَمَ يَأْذُ وَشَرِبَ كَأْسٍ
عَلَى قَمَرٍ يُدِيرُ شُعَاعَ شَمْسٍ
لَقَدْ بِيَعْتَ لِشَقْوَتِنَا بِبَحْسٍ
وَأَيَّامٌ لَنَا أَيَّامٌ عُرْسٍ
حَوَادِثُ مِنْ خَطُوبِ الدَّهْرِ بؤْسٍ
فَأَنْفَقَ سَهْمَهُ مِنْ غَيْرِ قَوْسٍ
وَأَنْ أَسْعَى عَلَى عَيْنِي وَرَأْسِي
وَيُسْعِدُنِي بِسَعْدٍ بَعْدَ نَحْسٍ

(١) لعله يشير إلى لطف الله أغا بن عبدالله أغا، (خزنة دار) والي بغداد سعيد باشا بن سليمان باشا. وكان مشهوراً بحسن الخط وهو عالم فاضل. ومن آثاره الخطية كتاب في الفقه يقع في مجلدين فرغ من تأليفه وخطه في منتصف شعبان سنة ١٢٤٣هـ وكان محترماً كبير المنزلة لدى الحكام وعامة الناس. وربما توسط لإخراج صديق الشاعر من السجن. انظر البغداديون ٢٥٧ والآثار الخطية في المكتبة القادرية ٨٧/٢.

كما سعدَ (العراق) به ولادتُ
أرى ما يُطمعُ الراجين فيه
سأفرغُ للثناءِ عليه فكري
ومنه إليك قد حان التفاتُ
فبادرُ بالدعاءِ له وأخلصُ

برأفته أفاضلُ كلِّ جنس
فأطمعُ في نجاتك بعد يأس
وإملاءِ القريضِ عليك طرسي
فأبشِرْ في إزالة كلِّ نكس
وأُنذِرْ نَتْفَ لِحْيَةِ كلِّ وكس

(٢١٢)

وقال [وهي من الوافر]:

لقد عَجِبَ الحِسانُ الغيدُ لِمَا
وأني لا أميلُ إلى نديمٍ
وأني قد مَدَدْتُ اليومَ باعاً
فلا يومٌ صَبَوْتُ إلى الغواني
ثَكَلْتُكَ ليس لي في اللهُو عُدْرُ
ولستُ براكبٍ من بَعْدِ هذا
فَنَمَ يا عاذلي بالأمنِ مِنِّي
وقُلْ للغيدِ شأنك والتَّجَافِي
صَبَوْتُ إلى الدُّمَى زمناً طويلاً
وكانت صَبَوَتِي قد خامرتني
وقد هَدَرْتُ زماناً فاستَقَرَّتْ
لئن ضَيَّعْتُ أيامَ التَّصَابِي
وكيف يَجِدُّ في طلبِ الغواني

رَأَتْ عنها سُلوِي واصْطِبارِي
يُرَوِّينِي بكاساتِ العُقارِ
أنالُ بها الذي فوقَ الدَّراري
ولا يومٌ خَالَعْتُ به عِذارِي^(١)
وقد لاحَ المَشيبُ على عِذارِي^(٢)
جَواداً غيرَ مأمونِ العِثارِ
فلم تَرِ بَعْدُ عَذْلِكَ واعتذارِي
وللغزلانِ أَخَذَكَ بالنُّفَّارِ
وقد أَعْرَضْتُ عنها باخْتِيارِي
وها أنا قد صَحَوْتُ من الخُمارِ
وكانت لا تُصِيخُ إلى قَرارِ
فإني قد حظيتُ على الوَقارِ
فتى قد جدَّ في طلبِ الفَخارِ

(١) العذار: الوفار.

(٢) العذار: اللحية.

(٢١٣)

وقال مقرظاً ديوان (الباقيات الصالحات) للشاعر عبد الباقي العمري^(١) [وهي من الكامل]:

قُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ (عَبْدُ الْبَاقِي)
أَوْ فَاسْتَرِحْ وَأَرْحِ لِسَانَكَ وَأَتَّخِذْ
إِنَّ اللِّسَانَ لَمْضَغَةٌ مَا لَمْ تَفْهَمْ
أَوْ مَا تَرَاهُ قَدْ أَتَى بِأَوَابِدِ
حِكْمٍ عَلَى الْأَلْبَابِ يُشْرِقُ نَوْرُهَا
تُشْجِي وَتُطْرِبُ أَنْفُسًا وَجَوَارِحًا
وَلَقَدْ أَدَارَ عَلَى الْعُقُولِ سُلَافَةً
عَنْ بَهْجَةِ الْمَعْشُوقِ يُسْفِرُ حُسْنُهَا
قَدْ عَانَقَتْ أَشْرَافَ آلِ مُحَمَّدٍ
فَكَأَنَّهَا هَبَّتْ صَبَابًا فِي رَوْضَةٍ
رَقَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَسِيلَ بِأَطْفِئِهَا
وَبِمَا غَدَّتْ تُمَلِي ثَنَاءً طَيِّبًا
لُدِعَتْ (أَمِيَّةٌ) مِنْهُ أَفْعَى تَنْفُثُ السُّدَّ
كَلِمٌ وَلَا وَخَزَاتُ أَطْرَافِ الْقَنَا
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ بِثَاقِبِ فِكْرِهِ
طَوْبَى لَهُ فِي النَّشْأَتَيْنِ لَقَدْ حَوَى
فَالَهُ يَجْزِيهِ بِهَا خَيْرَ الْجَزَا

فِي نَعْتِ عِثْرَةِ صَفْوَةِ الْخَلِاقِ
لِلنُّطْقِ مِنْ صَمْتٍ أَجَلٌ نِطَاقِ
بِالطَّيِّبَاتِ تُلَاكُ بِالْأَشْدَاقِ
تَفَنَّى بَنُو الدُّنْيَا وَهُنَّ بَوَاقِي
لِلَّهِ دَرْكٌ حِكْمَةٌ الْإِشْرَاقِ*
فَكَأَنَّهِنَّ صَوَارِمُ الْأَحَاقِ
مَا لَا تَدُورُ بِهَا أَكْفُ السَّاقِي
وَلَوَاعِجُ الْمُشْتَقِاقِ فِي الْعُشَاقِ
فَكَأَنَّهَا الْأَطْوَاقُ فِي الْأَعْنَاقِ
فَتَأَرَّجَتْ بِنَسِيمِهَا الْخَفَاقِ
حَسَّتِي مِنَ الْأَقْلَامِ وَالْأَوْرَاقِ
عَنْ طَيِّبٍ فِي الْأَصْلِ وَالْأَعْرَاقِ
يَلْمَعْنَ عَنْ صَوْبِ الدَّمِ الْمُهْرَاقِ
يَفْتَخِرُهَا عَدْرًا بَغَيْرِ صَدَاقِ
نِعْمَ الذَّخِيرَةُ وَالْتِنَاءُ الْبَاقِي
وَيَقِيهِ شَرًّا مَا لَهُ مِنْ وَاقِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤) وكتابه الباقيات الصالحات ويسمى (الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي) طبع بالقاهرة سنة ١٣١٦هـ بإشراف الملا عثمان المولوي. وأعيد طبعه في النجف.

(*) إشارة لطيفة تقرر ما بين إشراقات الشاعر عبد الباقي العمري في ديوانه وإشراقات السهروردي في كتابه (حكمة الإشراق).

(٢١٤)

وقال يمدح الشيخ سليمان الزهير^(١) [وهي من المتقارب]:

لَقَدْ لَذَّ لِي فِي الْغَرَامِ افْتِضَاحِي^(٢)
يَمْرٌ بِسَمْعِي مُرُورَ الرِّيَّاحِ
رُكُونِي إِلَى مَا تَقُولُ اللُّوَاحِي
إِذَا مَا لَحَانِي عَلَى الْحُبِّ لَاحِ
نَحَرْتُ بِهِ الزَّقُّ نَحَرَ الْأَضَاحِي
سَيُوسَى كَأْسِ رَاحٍ وَخَوْدِ رَدَاحِ
وَتَطْرِبُنِي وَرُقَّهُ بِالنُّوَاحِ^(٤)
وَقَبَّلَ بِالْقَطْرِ تَغْرَ الْأَقَاحِ
بِحَيْثُ اغْتَبَاقِي وَحَيْثُ اصْطَبَاحِي
بِغَيْرِ الْمُدَامِ فَهَلْ أَنْتَ صَاحِ
يُحَيِّي النَّدَامَى بِرُوحِ وِرَاحِ
وَتَفَعَّلُ فِعْلَ السَّفِيهِ الْوَقَاحِ
وَلَيْسَ عَلَى مَطْرَبٍ مِنْ جُنَاحِ
وَمَنْ ذَا يَطِيرُ بِغَيْرِ الْجَنَاحِ
عَلَى أَنْ فِيهِ بَقِيَّاتُ صَاحِ
يَخُوضُ بَعَيْنَيْهِ حَتَّى الصَّبَاحِ
وَأَلْبَسَتْ مِنْهُ مَكَانَ الْوِشَاحِ
وَلِلَّهِ مِنْ هَفَاوَاتِ الْمِلَاحِ
تَبَلُّغِ غَلِيلِي وَتَأْسُو جِرَاحِي

أَمَّا وَالْهَوَى بِالْوَجُوهِ الْمِلَاحِ
وَمَنْ تَمَّ رُحْتُ وَقَوْلُ الْعَذُولِ
حَرَامٌ عَلَيَّ بَدِينِ الْغَرَامِ
وَيَا رَبِّمَا زَادَنِي صَبُوءَ^(٣)
وَيَوْمًا عَلَى غَفَلَاتِ الرَّقِيبِ
وَمَا الْعَيْشُ إِنْ كَانَ عَيْشًا يَسْرُ
بِرُوضِ تُصَفُّقِ أَوْرَاقِهِ
وَقَدْ ضَرَجْتُ وَجَنَاتِ الشَّقِيقِ
أُسْرَحُ طَرْفِي بِتِلْكَ الرِّيَاضِ
وَأَسْكُرُنِي طَرْفُ ذَاكَ الْغَرِيرِ
بِرُوحِي ذَاكَ الْمَلِيحِ الَّذِي
تَرَاءَتْ بِوَجْهِ الْحَيِّ الْحَلِيمِ
جَنَحْنَا إِلَى حَابَاتِ الْكَمِيَّتِ
فَكَدْتُ أَطِيرُ سُرُورًا بِهِ
وَمُسْتَمْلِحِ نَامٍ مِنْ سُكْرِهِ
فَوَسَدَتْهُ سَاعِدِي وَالْكُرَى
فَعَانَقْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْعُقُودِ
فَلِلَّهِ مِنْ نَشَوَاتِ الصَّبَا
وَمِنْ رَشَفَاتِ تَرَشَّفَاتِهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٩).

(٢) هذه القصيدة وردت في نسخة الأنكرلي. ولم ترد في النسخ الأخرى.

(٣) في الأصل: (ويا ربما إذا زادني صبوة). وإذا زائدة.

(٤) في الأصل: (وتطربني ورق بالنواح). والصواب ما أثبتناه.

أَقُولُ لَهُ هَلْ تَطْبِقُ النَّهْوَضَ وَلَوْ مَدَّ رَاحٍ إِلَى أَخْذِ رَاحٍ
فَقَدْ نَبَّهْتُكَ دُيُوكَ الصَّبَّاحِ وَأَكْثَرْنَ مِنْ غَلَبَاتِ الصَّبَّاحِ
فَأَوْمَى إِلَيَّ بِهَاتِ الصَّبَّاحِ وَصَرَّحَ فِي لَفْظِ رَاحِ صُرَّاحِ
فَنَاولَتْهُ الكَأْسَ مَمْلُوءَةً وَغَنَّيْتُهُ بِالْقَوَافِي الصُّحَّاحِ
فَكَانَ لَهُ غَزَلِي كُلُّهُ وَكَانَ لـ (سَلْمَانَ) جُلُّ أُمَّتِدَاحِ

(٢١٥)

وقال مؤرخاً صدارة مدحت باشا^(١) [وهي من الكامل]:

إِنَّ المَمَالِكَ فِي صَدَارَةِ (أَحْمَدِ) أَضْحَتْ بِطَيْبِ مَسْرَةٍ وَهَنَاءِ^(٢)
ضَحِكْتُمْ بِهِ دَارَ السَّعَادَةِ بَعْدَمَا أَبَكَّتْ عَلَيْهِ أَعْيُنَ الزُّورَاءِ
لِلدَوْلَةِ العَلِيَاءِ فِي سُلْطَانِهَا أَرَّحُ (تَصَدَّرَ مَدْحَتِ العَلِيَاءِ)
١٢٨٩هـ

(٢١٦)

وقال يمدح السيد عبدالقادر الكولند البصري^(٣) [وهي من الطويل]:

تَذَكَّرَ عَهْدًا بِالْحِمَى قَدْ تَقَدَّمَا فَأَجْرَى عَلَيْهِ الدَّمْعَ فَرْدًا وَتَوَامَا^(٤)
وَلَاسِيَّمَا إِذْ شَاهَدَ الرَّبْعَ لَمْ يَدَعْ لَهُ أَهْلُهُ إِلَّا تَلَالًا وَأَرْسُومًا
وَأَثَارَ مَا أَبْقَى الخَلِيْطُ بَعْدَهُ وَنُويًا كَمُعْجِ السُّوَارِ مُهْدَمَا
مَنَازِلُ كَانَتْ لِلبُدُورِ مَنَازِلًا وَإِنْ شِنَتْ قُلُ كَانَتْ مَحَارِيبَ لِلدَّمَى
لَهُونًا بِهَا وَالعَيْشُ إِذْ ذَاكَ نَاعِمٌ فَلِلَّهِ عَيْشٌ مَا أَلَذُّ وَأَنْعَمَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣١).

(٢) لم ترد هذه الأبيات في الأصول. وهي في مخطوطة شعر الأخرس رقم (١٧).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٥).

(٤) لم ترد هذه القصيدة في الأصول. وهي رقم (٦) في مخطوطة شعر الأخرس.

زَمَانُ مَضَى فِي طَاعَةِ الْحَبِّ وَأَنْقَضَى
خَلِيلِي عُوْجَا بِي عَلَى الدَّارِ إِنِّي
خَلِيلِي هَذَا الْحَبُّ مَا تَعْرِفَانِهِ
خَلِيلِي رِفْقاً بِي فَقَدْ ضَرَّنِي الْهَوَى
وَنَمْتُ عَلَى وَجْدِي دُمُوعٌ أَرْقَتْهَا
فَلَا تَمْنَعَانِي وَقْفَةً أَنَا سَائِلٌ
وَقَفْنَا عَلَيْهَا يَا (هُذَيْمٌ) وَكَلْنَا
نُعَالِجُ فِيهَا لَوْعَةً بِحُشَّاشَةٍ
فَلَمْ نَرْتَحِلْ يَوْمًا لِنَسْقِي مَعَاهِدًا
بِعَبْرَةٍ مُشْتَاقٍ إِذَا لَمْ تَجِدْ لَهَا
أَحْبَابًا زَنَا شَطَطَتْ بِهِمْ شَطَطُ النَّوَى
هَبُّوا لِعَيُونِي أَنْ يَحُلَّ بِهَا الْكِرَى (٢)
أَلَا رَبُّ طَيِّفٍ زَارَ مَمَّنْ أَحَبَّهُ
سَرَى مِنْ (زُرُودٍ) مُنْعِمًا بِوَصَالِهِ
فَارْقَنِي وَاللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ
وَبِرْقِ كِنَارِ الشُّوقِ تُوَقَّدُ بِالْحَشَا
بِلَيْلٍ كَحِظِي مِنْهُ قَطْبٌ وَجْهَهُ
أَسَاهِرُ فِيهِ كُلَّ نَجْمٍ يَمُرُّ بِي
سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا خَلَوْنَ حَوَالِيَّ
غَمَائِمُ تَسْقِي الضَّامِنِينَ بَدْرَهَا
كَرَاحَةَ (عَبْدِ الْقَادِرِ) الْقَرْمِ لَمْ تَزَلْ
يَصُبُّ الْحَيَا فِي صُوبِهِ مِثْلَ سَيْبِهِ
إِذَا جِئْتَهُ مُسْتَرْفِدًا رَفَدَ فَضْلَهُ

وَصَلْنَا بِهِ اللَّذَاتِ حَتَّى تَصَرَّمًا
أَشَدُّ بِلَاءً بِالْمَنَازِلِ مِنْكُمْ
خَلِيلِي لَوْ شَاهَدْتُمَا لَعَرَفْتُمَا
أَلَمْ تَرِيَانِي مَوْجَعَ الْقَلْبِ مُؤَلِّمًا
وَلَمْ يَبْقَ هَذَا الدَّمْعُ سِرًّا مُكْتَمًا
بِهَا الدَّارَ عَنْ حَيِّ نَأَى أَيْنَ يَمَّمَا
حَرِيصٌ عَلَى الْأَطْلَالِ أَنْ تَتَكَلَّمَا
عَلَى الرَّسْمِ مَنَّا نَمزجُ الدَّمْعَ بِالدَّمَا
مِنَ الدَّارِ فِي (سَلْعٍ) وَفِي الدَّارِ مِنْ ظَمَا
مِنَ الدَّمْعِ مَا يَرُوي الدِّيَارَ بَكَتْ دَمًا
فَاتَّبَعْتَهُمْ مَنِّي فَوَادًا مُتَيَّمًا (١)
وَإِنْ كَانَ نَوْمُ الْعَاشِقِينَ مُحْرَمًا
وَمَا زَارَ إِلَّا مِنْ سُلَيْمِي وَسَلَّمَا
وَمَا كَانَ إِلَّا فِي الْحَقِيقَةِ مُنْعَمًا
وَفَارِقَ صَبًّا لَا يَزَالُ مُتَيَّمًا
تَلَهَّبَ فِي جُنْحِ الدُّجَى وَتَضَرَّمَا (٣)
فَمَا زَلْتُ أَبْكِي فِيهِ حَتَّى تَبَسَّمَا
إِلَى أَعْيُنِ بَاتَتْ عَنِ الصَّبِّ نَوْمًا
عَلَى (الْجَزَعِ بِالْجِرْعَاءِ) مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى
رَوَاءُ إِذَا مَا سَاقَهَا الرَّعْدُ أَرْزَمَا
تُهَامِي عَلَى الْعَافِينَ فَضْلًا وَأَنْعَمَا
كَأَنَّ عَلَّمَ الْغَيْثَ النَّدَى فَتَعَلَّمَا
غَدَوْتُ إِذَا فِي مَالِهِ مُتَحَكِّمًا

(١) سقط عجز البيت في المطبوعة وأثبتناه من أصل المخطوطة.

(٢) سقط صدر البيت في المطبوعة وأثبتناه من أصل المخطوطة.

(٣) في المطبوعة: وتلهب... والتصويب من أصل المخطوطة.

وَرَدَّتْ نَدَاهُ ظَامِئاً غَيْرَ أَنَّنِي
 وَلَوْلَا جَمِيلُ الصَّنْعِ مِنْهُ لَمَا رَأَتْ
 مِنَ الْقَوْمِ يُولُونَ الْجَمِيلَ تَفَضُّلاً
 أَطْرَتْ لَدِيهِ طَائِرَ الْيُمْنِ أَسْعَداً
 وَمُدْخِرِ الدُّكْرِ الْحَمِيدِ بِفَضْلِهِ
 رَأَيْتُ يَسَارِي كُلِّمَا كَانَ مُوسِراً
 فَمَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِبَدْلِهَا
 بِرَعْمِ الْأَعَادِي نَالَ هِمَّةَ نَائِلٍ
 وَلَوْ رَامَ أَنْ يَرْقَى إِلَى النُّجْمِ لَارْتَقَى
 فَلَا غَرَوُ أَنْ يَعْلُو وَهِيَ هُوَ قَدْ عَلَا
 عَزَائِمُهُ كَالْمَشْرِفِيَّةِ وَالظُّبَى
 يُصِيبُ بِهَا الْأَغْرَاضَ مِمَّا يَرُومُهُ
 وَكَمْ مِنْ خَمِيسٍ قَدْ رَمَاهُ عَرْمَرَمٍ
 فَلَوْ أَبْرَزَتْ أَرَاؤُهُ غَسِقَ الدُّجَى
 وَأَثْقَلَ بِالْأَيْدِي لِسَانِي وَعَاتِقِي
 وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَقْضِ لِلشُّكْرِ وَاجِباً
 سَكَتٌ وَأَنْطَقْتُ الْيَرَاعَ لِشُكْرِهِ
 جَرَى وَكَذَا لَا زَالَ يَجْرِي بِمَدْحِهِ
 وَأَوْلَى الْوَرَى بِالشُّكْرِ مِنْ كَانَ مُحْسِناً
 لَكَ اللَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَى الْجُودِ وَالنَّدَى
 شَكَرْتُكَ شُكْرَ الرُّوضِ بَاكِرَهُ الْحَيَا
 لَكَ الْقَلَمُ الْعَالِي عَلَى الْبَيْضِ وَالْقَنَا
 فِي الْقَلَمِ الْحَادِي وَصَاحِبِهِ النُّهَى
 وَسَيَّرْتَ ذِكْرَ الْحَمْدِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
 أَضَاءَ بِكَ الْأَيَّامَ لِي وَتَبَأَجَّتْ

وَرَدَتْ إِلَيْهِ الْبَحْرَ وَالْبَحْرُ قَدْ طَمَى
 عُيُونِي وَجَهَ الْعَيْشِ إِلَّا مُذَمِّماً
 وَلَمْ يُحْسِنُوا الْإِحْسَانَ إِلَّا تَكْرَماً
 وَكُنَّا أَطْرْنَا طَائِرَ النَّحْسِ أَشْأَمَا
 وَلَمْ يَدْخُرْ يَوْماً مِنَ الْمَالِ دَرَهْمَا
 وَلَمْ يَرْضَ إِعْدَامِي إِذَا كَانَ مُعْدَمَا
 وَلَا يَطْلُبُ النُّعْمَاءَ إِلَّا لِيُنْعِمَا
 فَجَدَعَ أَنْفَ الْعُدَاةِ وَأَرْعَمَا (١)
 وَيُوشِكُ رَبُّ الْفَضْلِ أَنْ يَبْلُغَ السَّمَاءَ
 وَلَا يَدْعُ أَنْ يَسْمُوَهَا هُوَ قَدْ سَمَا
 وَأَرَاؤُهُ مَا زَلْنَ بِالْخَطْبِ أَنْجُمَا
 وَلَا يَخْطِئُ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ إِذَا رَمَى
 فَفَرَّقَ بِالرَّأْيِ الْخَمِيسَ الْعَرْمَرَمَا
 لَحَتْ الدُّجَى عَنْ أَشْقَرِ الصُّبْحِ أَدَهَمَا
 أَلَمْ تَرْنِي لَا أَسْتَطِيعُ التَّكَلُّمَا
 بِمُسْتَغْرَمٍ أَصْبَحْتُ فِي الْمَجْدِ مُغْرَمَا
 فَأَعْرَبَ عَمَّا فِي ضَمِيرِي وَتَرْجَمَا
 فَغَرَّدَ فِي مَدْحِي لَهُ وَتَرْنَمَا
 وَأَوْلَى الْوَرَى بِالْحَمْدِ مِنْ كَانَ مُنْعِمَا
 فَلَوْ رَامَ إِقْدَاماً عَلَى الْبُخْلِ أَحْجَمَا
 سَحَاباً عَلَيْهِ أَنْهَلَ بِالْجُودِ أَوْ هَمَى
 جَرَى فَجَرَى رِزْقَ الْعِبَادِ مُقْسَمَا
 عَلَوْتُ بِهِ حَتَّى ظَنَنْتَاهُ سَلَمَا
 فَأَنْجَدَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَأَتَهَمَا
 وَأَشْرَقَ فَجَرُّ بَعْدَمَا كَانَ مُظْلَمَا

(١) في الأصل: فأجدع... والصواب ما أثبتناه.

فَأَصْبَحْتُ إِذْ ذَاكَ الْعَزِيزَ الْمُكْرَمًا
فَجَرَعْتُ أَعْدَائِي مِنَ الْغَيْظِ عَلَقَمًا^(١)
وَعَادَرْتُ شَانِي عِبْدَ نُعْمَاكَ أَجْذَمًا^(٢)
عَسَى أْبْلُغَ الْقَصْدَ الْقَاصِيَّ وَرَبِّمَا

رَفَعْتَ مَقَامِي مُرْغَمًا أَنْفَ حَاسِدِي
صَفَا لِي مِنْكَ الْجُودُ عَذْبُ غَدِيرِهِ
أَطَلْتُ يَدِي فِي كُلِّ أَمْرٍ طَلَبْتُهُ
وَبَلَّغْتَنِي أَقْصَى الرَّجَاءِ فَلَمْ أَقْلُ

(٢١٧)

وقال يمدح السيد عبدالرحمن وصفي بن شريف بك^(٣) [وهي من الرجز]:

أَقْضِ لِرَبْعٍ فِي الْحِمَى دِيُونًا^(٥)
إِلَّا ذَكَرْتُ التُّغْرَ وَالْجَبِينَا
وَكَانَ مَا لَمْ أَرْضَ أَنْ يَكُونََا
وَمَا نَكَتُ حَبْلَهَا الْمَتِينَا
وَكُنْتُ مِمَّنْ أَعْلَنَ الْأَنْيِينَا
غَيْرَ بَكَائِي لِلْأَسَى مُعِينَا
إِنْ لَمْ تُعِينَا كَلِيفًا فَبِينَا
وَمَارَسَ الْأَيَّامَ وَالسَّنِينَا
تُرِدُّ التُّغْرِيدَ وَالْأُحُونَا
وَأَهْرَقَتْ مِنْ عَبْرَةٍ شَوْوُونَا
وَعَمَرَتْ بِالْبِرِّ مُعْتَفِينَا

يَا أَيُّهَا الرِّكْبُ قِفُوا بِي سَاعَةً^(٤)
وَلَمْ أَشِمَّ وَامِضْ بَرَقٍ لَامِعًا
وَحِينَ لَاحِ الشَّيْبِ فِي مَفَارِقِي^(٦)
وَمَا خَلَفْتُ لِلْغَرَامِ طَاعَةً
أَنْ مِمَّا أَضْمَرْتُ أَضَالِعِي
وَمَا وَجَدْتُ فِي الْهَوَى عَلَى الْهَوَى
يَا صَاحِبِي وَالْخَلِيلُ مُسْعِدُ
.....^(٧)
وَأَرْقَتْنِي الْوُرُقُ فِي أَفْنَانِهَا
كَمْ أَجَجْتُ مِنَ الْفَوَادِ لَوْعَةً
كَمْ أَرْغَمْتُ أَنْفَ الْحَسُودِ سَطْوَةً

(١) في المطبوعة (فجرعت من الغيظ علقماً) وكتب المحقق في الحاشية: كذا في الأصل. ويستقيم البيت إذا قلنا (فجرعته صاباً من الغيظ علقماً). قلت: والصواب أثبتناه من أصل المخطوطة.

(٢) الشاني: المبيض الكاره والحاسد. وأصله (شاني) وحذف الهمزة للوزن.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١١٢).

(٤) في المطبوعة (يا أيها الركب قفوا ساعة) كذا وهو من السريع. والتصويب من أصل المخطوطة.

(٥) هذه القصيدة لم ترد في الأصول، وهي رقم (١٦) في مخطوطة شعر الأخرس.

(٦) في المطبوعة (وحين لاح الشيب في مفرقي) كذا وهو من السريع. والتصويب من أصل المخطوطة.

(٧) بياض في الأصل.

يا شد ما كابد من صباية
وفارق (الموصل) في قدومه
من أشرف الناس وأعلى نسبا
وكلما أملت تباريح الجوى^(١)
عوده على الجميل شيمه
وحل في (الزوراء) شهم ماجد
أولئك القوم الذين أنجبت
وطوقته في العلاء أطواقها
وأظهروا ما أضمروا من كيدهم
يحفظك الحافظ من كيد العدا
وخيب الله به ظنونهم
وعذت بالرحمن وهي عودة
لو كان للأيام وجه حسن
قد طبعوا على الجميل كله

في صبوة عذابها المهينا
ليث هزير فارق العرينا
وكان من أندى الورى يميننا
تفنتت بنوحها فنونا
وأورثته شدة ولبينا
نقر في طلعت العيوننا
أصلاؤها الآباء والبنينا
وقلادته درها التميننا
وكان في صدورهم كميننا
وكان حصنا حفظه حصينا
وطالما ظنوا به الظنوننا
أخزت به شيطانها الأعينا
كان لها الوجنة والعيونا
وإن أساء الدهر محسنينا

(٢١٨)

أحببنا أنتم على السخط والرضا
نكرناكم والدمع ينهل والحشا
فطار بنا شوق إليكم مبرح
ركبنا إليكم ظهر كل مخوفة
وينظرنا منها وللهل ناظر
وخضنا ظلام الليل والليل حالك

وفي القلب منكم لوعة ووجيب
تذوب وأجفان المشوق تصوب
له زفرة توري جوى ولهيب
ترامى بنا أهوالها وتجوّب
جلوب لآجال الرجال مهيب
بهيم وفي وجه الخطوب قلوب

(١) في المطبوعة وأصل المخطوطة: (وكلما أملت بنا ربيع الجوى) وكتب المحقق في الحاشية: كذا في الأصل، وأراها (مالت بنا...). قلت: لا مالت ولا ربيع. وإنما هي (أملت تباريح...) كما أثبتناه، ولم يتبين وجه الصواب للمحقق. وهي من وهم الناسخ.

وَجِئْنَا فَلَمْ نَظْفَرْ لِدَيْكُمْ بِطَائِلٍ
وَفَيْدْنَا عَلَى صِدْقِ الْهَوَىٰ وَغَدَرْتُمْ
فَمَنُّوا عَلَيْنَا بَعْدَهَا بِزِيَارَةٍ
وَلَا تَمْنَعُونَا نَظْرَةً مِنْ جَمَالِكُمْ
وَالْأَفْرُسُلُ الشَّوْقِ تَبَعَتْ كُلَّمَا
عَلَى مَثَلْنَا لَوْ تَنْصِفُونَ بِحَبِّكُمْ
وَتُظْهِرُ أَسْرَارًا وَتَبْدُو لَوَاعِجٌ
أَحْنُ إِلَيْكُمْ وَالْهَوَىٰ يَسْتَفْزِنِي
وَاطْرَبُ فِي ذِكْرَاكُمْ مَا ذُكِرْتُمْ

وَلَا نَيْلَ حَظٍّ مِنْكُمْ وَنَصِيبٍ
وَفَزْتُمْ لَدِينَا بِالْجَوَىٰ وَنَخِيبٍ
بِهَا الْعَيْشُ يَصْفُو وَالْحَيَاةُ تَطِيبُ
فِي رِجَاحِ قَلْبٍ أَوْ يُسَرُّ كَنْيَبٍ
تَهْبُ شَمَالُ بَيْنِنَا وَجَنُوبُ
تُشَقُّ قُلُوبٌ لَا تُشَقُّ جُيُوبُ
وَيَشْكُو مُحِبٌّ مَا جَنَاهُ حَبِيبُ
كَمَا حَنَّ نَائِي الدَّارِ وَهُوَ غَرِيبُ
وَإِنِّي عَلَى ذِكْرَاكُمْ لَطَرُوبُ

(٢١٩)

مَنْ مُعِيدٌ لِي مِنْ عَهْدِ الْأَلَىٰ
وَلِيَالِيٍّ بِ(جَمْعٍ) وَ(مِنَى)
عَلَّلَانِي يَا خَلِيلِي بِمَا
وَبِمَا كَانَ بِأَيَّامِ الصُّبَا
خَفَّفَا عَنْ دَنْفِ حِمْلِ الْأَسَىٰ
كَانَ لِي صَبْرٌ فَلَمَّا رَحَلَ الرَّ
نَزَلُوا بِ(الشُّعْبِ) وَاخْتَارُوا عَلَى
وَبِنَفْسِي مَنْ رَمَانِي عَامِدًا
وَتَظَلَّأَمْتُ مِنَ الْحُبِّ إِلَى
رَمِيَّةٍ مِنْكَ أَصَابَتْ مَقْتَلِي
فَاتَّقِ اللَّهَ بِأَحْشَاءِ شَجِّ

زَمَنًا فَبِيهِ حَلَاثِمٌ خَلَا
هَطَلَ الْغَيْثُ لَهَا وَأَنْهَمَلَا
مَرٌّ مِنْ أَيَّامِ (جَمْعٍ) عَلَّلَا
أَيْنَ أَيَّامِكَ يَا سَعْدُ الْأَلَىٰ
فَلَقَدْ أَثْقَلَهُ مَا حَمَلَا
رَكِبُ بِالْأَحْبَابِ عَنِّي رَحَلَا
بُعْدَهُمْ مِنِّي فَوَادِي مَنْزَلَا
مَا رَمَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا قَتَلَا
جَائِرٍ فِي حُكْمِهِ مَا عَدَلَا
هِيَ مِنْ عَيْنَيْكَ يَا رِيمَ الْفَلَا
مَا اتَّقَى مِنْكَ الْعَيُونَ النَّجَلَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

خَضِبَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ بَدْمٍ
 سَاهِرٌ لَوْ عَرَضَ الْغَمُّضُ عَلَى
 خَلْيَانِي بَعْدَ سَكَّانِ (الغضا)
 يَا لَهَا مِنْ وَقْفَةٍ فِي أَرْبَعِ
 حَدَّثَ الْوَاشِينَ جَفَنِي فِي الْهَوَى
 سِرٌّ وَجِدَانٍ بَدَا لِي صَوْنُهُ
 وَلِحَانِي صَاحِبٌ يَحْسَبُنِي
 جَادِلَ الْعِزَالِ حَتَّى إِنَّهُ
 لَوَرَأَى الْحُبَّ عَاذُولٌ لَأَمَنِي
 يَا خَلِيلِي إِذَا لَمْ تَعْلَمَا
 إِنَّمَا أَحْبَابُنَا يَوْمَ النَّوَى
 نَقَلَ الْوَاشِي إِلَيْهِمْ سَأَوْتِي
 هَلْ سَأَلْتُمْ عَنْ فَوَادِي إِنَّهُ
 لَسْتُ أَنْسَاكُمْ بِذِكْرِي غَيْرِكُمْ
 إِنْ عَلَا جَدُّ أَمْرِي فِي جَدِّهِ
 تَسْبِقُ الْأَقْوَالَ أَفْعَالُ لَهُ
 سَيِّدٌ لَوْ أَمَرَ الدَّهْرَ بِمَا
 وَجَدَ الدَّهْرُ مَزَايَاهُ حُلِيٌّ
 قَرَأَ الْمَجْدُ عَلَى أَخْلَاقِهِ
 وَصِعَابٌ لِلْمَعَالِي لَمْ تُقَدِّ
 طَيِّبُ الذَّاتِ رَفِيعُ قَدْرِهِ
 سَيِّدٌ أَشْرَفُ مَنْ فِي (هَاشِمِ)
 مِنْ أَنْسَابٍ بَلَغُوا غَايَاتِهِمْ
 سَادَةٌ قَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ بِهِمْ
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى جَدِّهِمْ
 سَادَةٌ لَوْلَا هُدَاهُمْ بَقِيَتْ

فِي خِضَابِ اللَّيْلِ حَتَّى نَصَلَا
 جَفَنَهُ طَيِّبَ الْكَرَى مَا قَبِلَا
 أَنْدَبُ الرَّبْعِ وَأَبْكَى الطَّلَا
 أَرخِصْتُ مِنْ أَدْمُعِي مَا قَدَّ عَلَا
 عَنْ دَمِ الدَّمْعِ حَدِيثًا مُرْسَلَا
 بَاخَتِ الْعَيْنُ بِهِ فَابْتُذَلَا
 أَسْمَعُ النَّصْحَ وَأَرْضَى الْعَذَلَا
 كَانَ لِي أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلَا
 عَرَفَ الْعِزَالُ مَا قَدَّ جَهَلَا
 مَا أَقَاسِي مِنْ غِرَامٍ فَاسْتَلَا
 قَطَعُوا فِي هَجْرِهِمْ مَا وَصَلَا
 كَذَبَ النِّقَاطِ فِي مَا نَقَلَا
 مَا سَلَكَمْ فِي الْهَوَى حَتَّى أَنْسَلِي
 كَيْفَ أَبْغِي بِسِوَاكُمْ بَدَلَا
 فَ (عَلِيٌّ) الْجَدُّ بِالْجَدِّ عَلَا
 وَإِذَا قَالَ بِشَيْءٍ فَعَلَا
 شَاءَ مِنْ أَمْرِ الْمَعَالِي أُمَّتَثَلَا
 فَتَحَلَّى مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحُلَى
 سُورَةُ (الْحَمْدِ) قَدِيمًا وَتَلَا
 قَادَهَا مِنْ غَيْرِ كُرِّهِ دُلَلَا
 مَا يُرِيكَ النَّجْمَ إِلَّا أَسْفَلَا
 شَبَّ فِي حِجْرِ الْعَلَا وَانْتَهَلَا
 مِنْ نَوَالٍ وَنِزَالٍ وَعَلَا
 لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ السُّبُلَا
 سَيِّدِ الرُّسُلِ الْكِتَابِ الْمُنْزَلَا
 هَذِهِ النَّاسُ جَمِيعًا هَمَلَا

ما رأينا أحداً من قبّله
لاح للأبصار يبدو واضحاً
وضّح الصُّبح إذا الصبحُ أضأ
أو يخفَى عن عيونٍ أبصرتُ
أننا من آلائه في نعمة
ونوالٍ من يدٍ مبسوطةٍ
إنما أيديه أيدي ديمّة
وصلاتٍ من نداءه أتصّلتُ
منهّلٌ مستعذبٌ موره
لا أبالي إن يكن لي مورداً
فجزاه الله عنّا خير ما
إن يرمّ فيه مقللاً شاعرٌ
دامت الأيام أعياداً له

لاح كالبدر هزيراً رجلاً
وتجلى وبه الكرب أنجلي
أو حسامٌ مشرفي صقلا
- بوجود ابن ذكاء - ابن جلا
بالغ في كل يوم أملاً
للعطايا أرسلتها مثلاً
روضت روضي إذا ما أمحلا
والنّدى أعذب ما أتصلا
لا عدمننا منه ذاك المنهلا
مرّياً سعّد زمني أم حلا
جوزي المنعم في ما نولا
قال فيه شعره مرّجلا
وعليه السعد^(*) وافى مقبلا

(٢٢٠)

أقول للشّامتٍ لمّا بدا
أليس يكفيني فخاراً وقد

يكثرُ بالتّعنيفِ والشّينِ
أصبحتُ في قيّدٍ وزيّرينِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٢). وقد حسبه الوالي داود باشا بسبب أخبار عن الشاعر من والي الموصل عبدالرحمن باشا الجليلي سنة ١٢٤٢ - ١٢٤٤. وكانت هذه الأبيات سبباً باتصال الشاعر بالوالي داود باشا.

(*) في الطبعة (١): (السند) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

سأبكي وأستبكي عليك المعاليا
وأصلى لظى نار الأسي كلما أرى
وإن لم يكن يجدي البكاء ولم يعد
ومن حق مثلي أن يدوب حشاشة
خلت من (أبي محمود) دار عهدتها
تنورها من كل فج مؤمل
على ثقة بالنيل مما يرومه
إذا بلغت (أل الجميل) ركابه
ولما مضى (عبد الغني) مضت به
مضى أيها الماضي بك الجود والندى
لئن كنت أعدو من جميلك ضاحكاً
وقد كنت ألقى الخير عندك كله
فقدنك فقدان الغمامة أقلعت
وكان مرادي أن أكون لك الفدا
على هذه الدنيا العفا بعد باسل
ولو أن قرماً يفتدى من منية
فدتك صنائد الرجال وأرخصت
لقيت بك الأيام غراً فأصبحت
وما كنت أخشى أن أراع بحادث
وفي نظري من عين لطفك شامل

وأسكب من عيني الدموع الجواريا^(١)
مكانك ما قد كان بالأمس خاليا
علي الأسي من ذلك العهد ماضيا
من الحزن أو يبكي الديار الخواليا
تضيء به أرجاءها والنواحيا
وطارق ليل يبتغي العز راجيا
يُعاني السرى ليلاً ويطوي الفياfia
فقد فاز بالجدوى ونال الأمانيا
صنایع بر تستفاض أياديا
وأصبح روض الفضل بعدك ذابيا
لقد رحت ألقى موجع القلب باكيا
إلى أن قضى الرحمن أن لا تلاقيا
وقد البست برد الربيع اليمانيا
ولكن أراد الله غير مراديا
عقير المنيا يعقر الليث جاثيا
ويمضي بما يفدي من الموت ناجيا
نفساً أهانتها المنيا غواليا
بفقدك يا شمس الوجود لياليا
يجر إلي القارعات الدواهيا
لقد كنت مرعياً وقد كنت راعيا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) هذه القصيدة خمسها المرحوم السيد راضي القزويني. انظر فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف في الموصل ١٧٠/٨.

وكننت إذا يممت جودك ساخطاً
 أمرت على ناديك بعدك قائلاً
 وأذكر ما أوليتني من صنائع
 وكننت متى أسعى إليك بحاجة
 فيا جبلاً ساروا به لضريحه
 إلى جنة الفردوس والعفور والرضا
 تبوأت منها مقعد الصديق مكرماً
 وغودرت في دار النعيم مخلداً
 أنواع نعاها معلناً بوفاته
 شققت قلوباً لا جيوباً وأذرفت
 وأسرعت إحراق القلوب صوادياً
 رويدك ما أبقيت بالجود مطمعاً
 نعتت إلى العلياء أفلاذ قلبها
 ومما يريع الروح قولك بعده
 فيا ليتني دقت المنيئة قبله
 صروف المنايا العاديات كأنها
 قضى الله بالأمر الذي قد قضى به
 أقلب طرفي بالرجال وأعتدي
 تبدلت الشم العرانيين والتوت
 ولم يبق في (بغداد) من لو فقدته
 لقد زالت الشم الرواسي فلم نبل
 سقيت الغوادي طالما قد سقيتني
 وحياك منهل من المزن رائحاً
 ترحلت عنا لا ملالاً ولا قلى

على الدهر أمضي من جميك راضيا
 سقيت الحيا المنهل بالوئل ناديا
 من البر معروفاً وما كنت ناسيا
 حمدت لذي عليك فيك المساعيا
 يطاول بالمجد الجبال الرواسيا
 وفي رحمة الرحمن أصبحت ثاويا
 ونلت مقاماً عند ربك عاليا
 وفارقت إذ فارقت ما كان فانيا
 أسمع^(*) أم أصممت، ويحك ناويا
 على الوجنات المرسلات دواميا
 وعاجلت إهراق الدموع سواقيا
 ولا لذوي الحاجات في الناس راجيا
 وأدميت منها مهجة ومآقيا
 قريب من الإحسان أصبح نائبا
 ولم أر فيه ما يشيب النواصيا
 تخال الكرام الأنجبين أعاديا
 وكان قضاء الله في الخلق جاريا
 لنفسي بنفسي خاطباً ومناجيا
 بهم يدهى دهياء تُصمي المراقيا
 أسيت له أو كان للحزن أسيا
 إذا زلزلت بعد الجبال الرواسيا
 على ظمأ من راحتك الغواديا
 وحياك منهل من المزن غاديا
 وهل يعرف السلوان بعدك ساليا

(*) في الطبعة (١): (أسمعت) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وَحَالَ التَّرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالرُّدَى
كَأَنَّكَ لَمْ تُؤَلِّ [الْجَمِيلَ] (*) وَلَمْ تُنَلِّ
عَزَاءً بَنِي (عَبْدِ الْغَنِيِّ) فَإِنَّكُمْ
وَدِرْعاً حَصِيناً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
بَنَى لَكُمْ الْمَجْدَ الْأَثِيلَ الَّذِي بَنَى
إِذَا بَزَغَتْ مِنْهُ نَجُومٌ مَنَاقِبِ
لِمَنْ أَنْظَمَ الشُّعْرَ الَّذِي دَقَّ لَفْظُهُ
وَمَا كَانَ يَحِلُّ لِي الْقَرِيضُ وَنَظْمُهُ
وَأَقْسَمُ لَوْ لَامَسْتُ قَبْرَكَ فَالْغِنَى
أَخَذَتْ الْمَزَايَا وَالْمَكَارِمَ كُلَّهَا
وَيَا آخِرَ الْقَوْمِ الْكِرَامِ لِعَصْرِنَا
يُرَاعُ بِكَ الْخَطْبُ الْمَهُولُ وَتُنْتَضَى (٢)
وَكَمْ نِعْمَةٌ أَوْلَيْتَنِيهَا وَحَسْرَةٌ
إِذَا نَثَرْتُ عَيْنِي عَلَيْكَ دُمُوعَهَا

فَمَا تُدْرِكُ الْأَمَالَ إِلَّا أَمَانِيَا
جَزِيلاً وَلَمْ تَطْلُقْ مِنَ الْأَسْرِ عَانِيَا
فَقَدَّتُمْ بِهِ ظِلًّا عَلَى الْخَلْقِ ضَافِيَا
مَدَى الدَّهْرِ لَمْ يَبْرَحْ مِنَ الدَّهْرِ وَاقِيَا
وَلَا تَهْدُمُ الْأَيَّامُ مَا كَانَ بَانِيَا
أُبَاهِي بِسَارِيهَا النُّجُومَ السُّورِيَا
وَرَقٌّ أَسَالِيباً وَرَاقٌ مَعَانِيَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ الشُّعْرُ حَالِيَا
- وَحَقِّكَ - مَرْجُوُّ الْحُصُولِ بِهِ لِيَا (١)
جَمِيعاً فَمَا أُبْقِيَتْ لِلنَّاسِ بَاقِيَا
مَضِيَتْ وَلَمْ يُعْقَبْ لَكَ الدَّهْرُ ثَانِيَا
عَلَى حَادِثِ الْأَيَّامِ عَضْباً يَمَانِيَا
عَدَوْتُ بِهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ شَاكِيَا
نَظَّمْتُ لِأَحْزَانِي عَلَيْكَ الْقَوَافِيَا

(٢٢٢)

نَاحَتْ مَطْوُوقَةً فِي الْبَانَ تَزَعِجْنِي
كَأَنَّهَا هِيَ إِذْ تَشْدُو عَلَى فَنَنِ
يَا وَرَقُّ مَا لَكَ، لَا إِلْفٌ أُصِيبَتْ بِهِ (٣)
فَإِنْ بِكَيْتٍ كَمَا أَبْكِي عَلَى سَكَنِ

بِمَا تُهَيِّجُ مِنْ وَجْدِي وَأَشْجَانِي
تَشْدُو بِذِكْرِ أُصِيْحَابِي وَجِيرَانِي
وَلَا تَنْبَأَيْتِ عَنْ دَارٍ وَأَوْطَانِ
فَأَيْنَ مِنْكَ هُمُولِ الْمَدْمَعِ الْقَانِي

(١) القافية معيبة. بها سناد، (به ليا) لا تصلح مع (حاليا وياقيا).

(٢) في الأصول: (يراعي بك الخطوب المهول وتنقضي) وما أثبتناه أولى.

(٣) في الأصول: يا روق. من وهم النساخ.. وما أثبتناه أصوب.

(*) في الطبعة (١): هناك كلمة ساقطة في صدر البيت، وقد أثبتناها من الطراز الأنفس.

إِنِّي لَفِي نَارٍ وَجَدٍ لَا خُمُودَ لَهَا
 وَفِي الْحُشَاشَةِ مَا أَلْقَاهُ مِنْ ظَمَأٍ
 إِذَا جَنَى الطَّرْفُ مِنِّي عِنْدَهُ نَظْرًا
 كُنَّا وَكَانَ وَأَيَّامِي بِ (ذِي سَلَمٍ)
 فَهَلْ يُبَلُّ غَلِيلُ الْوَجْدِ بَعْدَهُمْ
 يَا سَعْدُ لَا الْوَعْدُ بِالْقَاصِي أَرْقَتْ لَهُ
 وَلَسْتُ أَنْفَكُ وَالْأَحْشَاءُ ظَامِئَةٌ
 أَصْبُو إِذَا سَجَعَتْ فِي الْبَابِ سَاجِعَةٌ

وَأَنْتِ حَشَوُ جِنَانِ ذَاتِ أَفْنَانِ
 إِلَى غَرِيرِ بِمَاءِ الْحُسْنِ رِيَانِ
 أَمَاتَنِي طَرْفُهُ الْجَانِي وَأَحْيَانِي
 بِيضٌ وَقَدْ صَارَمَتْنِي مِنْذُ أَرْمَانِ
 مِنْ مُغْرَمٍ دَنَفٍ يَا سَعْدُ ظَمَانِ
 وَلَا اصْطَبَارِي بَعْدَ النَّأْيِ بِالْدَانِي
 وَإِنْ سَقَتْنَهَا بِوَيْلِ الدَّمْعِ أَجْفَانِي
 وَقَدْ أَرَاعَ لِذِكْرِ الْبَيْنِ وَالْبَانِ

(٢٢٣)

جَدٌّ فِي وَجْدِهِ بِكُمْ فَعَلَمَا
 مَا دَرَى - لَا دَرَى - بِصَبُوءِ عَانٍ
 يَسْتَلِدُّ الْعَذَابَ مِنْ جِهَةِ الْحَبِّ
 أَيُّهَا النَّازِحُونَ عَنَا بِقَلْبٍ
 عَلَّلْنَا مِنْكُمْ وَلَوْ بِنَسِيمٍ
 وَائذْنَاوَا لِلْخِيَالِ يَطْرُقُ لَيْلًا
 لَسْتُ أَدْرِي وَلَا الْمُفَنِّدُ يَدْرِي
 أَيْنَ عَهْدُ الْهَوَى بَارَامٍ (نَجْدٍ)
 ذَكَرَانِي بِهَا مَسْرَاتٍ عَيْشٍ
 وَابْكِيَاهَا مَعِي وَإِنْ كُنْتُ أَوْلَى
 رَبِّمَا يَنْقَعُ (***) الْبُكَاءُ غَلِيلًا

عَذَلُ الْعَاذِلُ الْمُحِبُّ وَلَا مَا
 وَجَدَ الْوَجْدَ فِي هَوَاكُمُ فَهَامَا
 وَيَخْتَارُ* (في الشِّفَاءِ السَّقَامَا
 أَخْلَقَ الصَّبْرَ وَاسْتَجَدَّ الْهِيَامَا
 يَحْمَلُ الشَّيْخَ عَنْكُمْ وَالْخُزَامِي
 أَنْ يَزُورَ الْخِيَالَ مِنْكُمْ مَنَامَا
 أَمَلًا مَا يَزِيدُنِي أَمْ غَرَامَا
 وَبَلُوغُ الْمَشُوقِ فِيهَا الْمَرَامَا
 لَيْتَهُ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ وَدَامَا
 عَبْرَةً مِنْكُمْ عَلَيْهَا أَنْسَجَامَا
 أَوْ تَبَلُّ الدَّمْعِ مِنْ أُوَامَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(*) في الطبعة (١): (ويختار) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (ينفع) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وبنفسي أحبّة أوقدوها
 حرّموا عيني الكرى يوم بانوا
 يا لِقَوْمِي وكلُّ آيَةٍ عُدْرٍ
 كيف ينجو من الصّبابَةِ صَبٌّ
 ورمته بسهمها فأصابت
 هل عرفتَ الديارَ من آلِ ميٍّ
 ليت شعري وأين أيامُ فرّوي (*)
 يُنبتُ الحُسنُ في ثراها عُصوناً
 من لصادٍ ظامي الحشا يتلظى
 لو رشفنا الحياة من ريق ألمي
 لا تنوبُ المُدامُ عن رشفات
 حبذا العيشُ والمُدامُ مُدامٌ
 فسقاها الغمامُ أربَعُ لهُوٍ
 كان صحبي بها وكنا جميعاً
 فإذا عن ذكرهم لفؤادي
 أتري في الأنجابِ ك(ابن عليٍّ)
 ناشئ في الشّبابِ في طاعة اللد
 لا ينالُ الشّيطانُ منه مراماً
 يرتقي في الكمالِ يوماً فيوماً
 فطنةٌ تكشفُ الغوامضَ في العُدِّ
 فتراه إذا تاملتَ فيه
 زانه الله بالتُّقى وحبّاه
 طاهرٌ لا يمسُّه دنسُ السُّو
 فيه من جدّه مناقبُ شتّى
 من أراه التُّرياقَ من ضررِ السُّمِّ

(*) في الطراز الأنفس (حزوي) ولعله الصواب.

لوعةً في الحشا فشبتَ حرّاما
 واستباحوا دمي وكان حرّاما
 تعذرُ المُستَهامَ من أن يلاما
 فوّقتَ نحوه العيونُ سَهاما
 حينَ أضمتَ فؤاده المُستَهاما
 بعدَ أن أصبحتَ طُلولاً رِماما
 أفكّنتَ أيامها أحلاما
 كلُّ غُصنٍ يُقلُّ بدرأ تاما
 غُلاةً في فؤاده واضطراما
 ما شكّونا من الجوى آلاما
 من شفاهٍ تعافٍ فيها المُداما
 ذلك العصرُ، والنّدامى ندامى
 كلّما استسقتَ الديارُ الغماما
 نُشبهُ العُقْدَ بهجّةً وانتظاما
 قعدَ الوجودُ بالفؤاد وقاما
 وهو (عبدُ الرحمن) شهماً هُماما
 له فكان الصّوامُ والقواما
 ثِقّةً منه بالتُّقى واعتصاما
 ويسودُ الرّجالَ عاماً فعاما
 حمُّ ظُهوراً وترفعُ الإيهاما
 ألهمَ العلمُ والحجّا إليهاما
 عَفّةً في طباعه واحتشاما
 عفافاً ولا يداني أثاما
 مُدهِشاتُ الأفكارِ والأفهاما
 أراه على العَدُوِّ سِماما

فرعُ آلِ البَيْتِ الَّذِي شَرَّفَ الدَّ
فَتَمَسَّكَ بِهِمْ وَلُدَّ بِحِمَاهِمُ
يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْهُمْ كُلَّ عَصِيرٍ
يَمْحَقُونَ الضَّلَالَ مِنْ ظُلْمَةِ الكُفِّ
يَنْفَقُونَ الْأَمْوَالَ حُبًّا لَوَجْهِ الدَّ
دَحَضُوا الغَيَّ بِالرِّشَادِ فَمَا زَا
كُلُّمَا اسْتَبَشَرُوا بِمِيلَادِ طِفْلِ
وَيَنَالُ الْوَالِيدُ مِنْهُمْ عِلَاءً
نَوَّلُوا وَابِلًا وَجَادُوا غَيُوثًا
لَوْ سَأَلْتَ الْعُلَا أَجَابَتَكَ عَنْهُمْ
لَا يُضَامُ النَّزِيلُ فِيهِمْ بِحَالٍ
بَلَّغُوا غَايَةَ الْمَعَالِي قُعودًا
بِأَبِي سَيِّدًا تَهَلَّلَ طِفْلًا
وَكِنَانِي بِهِ وَقَدِ وَلِي الْأُمِّ
هَكَذَا تُخْبِرُ السَّعَادَةَ عَنْهُ

هُ وَأَعْلَاهُمْ لَدِيهِ مَقَامَا
فَهُمُ الْعُرُوءُ الَّتِي لَا انْفِصَامَا
عُلَمَاءٌ أَفَاضِلًا أَعْلَامَا
رِكَمَا يَمْحَقُ الضَّيَاءُ الظَّلَامَا
هُ مِنْهُمْ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَا
لَوْ إِلَى اللَّهِ يُرْشِدُونَ الْأَنَامَا
بَشِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامَا
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْوَالِيدُ الْفِطَامَا
وَاسْتَهَلُّوا بِشَاشَةٍ وَابْتَسَامَا
أَوْ سَأَلْتَ السُّيُوفَ وَالْأَقْلَامَا
وَأَبَى اللَّهُ جَارَهُمْ أَنْ يُضَامَا
تُعْجِزُ الرَّاعِبِينَ فِيهَا قِيَامَا
وَزَكَا عَنْصُرًا وَسَادَ غَلَامَا
رَ وَأَضْحَى لِلْعَارِفِينَ إِمَامَا
وَيُطِيلُ الْعَرِفَانَ فِيهِ الْكَلَامَا

(٢٢٤)

قدم بعض الناس عريضة إلى الوالي داود باشا. وكان الشاعر حاضرًا فطلب
الوالي من الشاعر قراءة العريضة ملاحظة ومداعبة من الوالي لما يعرف من لكنة الشاعر

فَدَيْتَكَ لَا تَرْجُو لِنَطْقِي تَكَلُّمًا
عَرِفْتُ بِبَحْرِ مِنْ نَوَالِكِ سَيِّدِي

فَإِنَّ يَرَاعِي عَن لِسَانِي يُتَرَجِّمُ
فَكَيْفَ غَرِيقٌ عَائِمٌ يَتَكَلَّمُ

(٢٢٥)

وقال متغزلاً [وهي من الطويل]:

أقولُ لها سَلِمَى مَلَكْتُ فَأَرْفُقِي
سَلَوْتُ فَمَا قَالُوهُ غَيْرَ مُصَدِّقِ
وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مُرِيبٍ فَحَقَّقِي
عَلَيْكَ وَقَلْبِي فِي الْهَوَى غَيْرَ مُطْلَقِ
تَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانِ بِالْحَلِيِّ مُورِقِ
يُطَوِّقُهَا إِذْ ذَاكَ أَيُّ تَطَوَّقِ
حَدِيثُ عِتَابِ كَالرَّحِيقِ الْمُعْتَقِ
وَعَهْدِي بِطَيْبِ الْعَيْشِ قَبْلَ التَّفَرُّقِ
وَمَزَّقَ بُرْدَ الْفَجْرِ كُلَّ مُمَزَّقِ
فَقَلْتُ خُذِي رُوحِي إِلَى حَيْنٍ نَلْتَقِي

وَمَا لِكَةِ رِقِّي وَمَا أَنَا مُلْكُهَا
لَنْ كُنْتُ صَدَقْتُ الْوُشَاةَ بِأَنْنِي
وَبِي شَاهِدٌ مَنِّي عَلَى مَا أَقُولُهُ
يُقَيِّدُنِي حُبِّيكَ فَالِدَمْعُ مُطْلَقُ
وَلَمْ أُنْسَ إِذْ زَارَتْ عَلَى حَيْنٍ غَفْلَةٌ
وَبِتْنَا وَلَا وَاشِ هُنَاكَ وَسَاعِدِي
وَدَارَ مِنَ الْأَشْوَاقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَكَيْفَ تَرَاهَا لَيْلَةً طَابَ عَيْشُهَا
إِلَى أَنْ تَجْلِي صَارُمَ الْفَجْرِ وَأَنْجَلِي
وَقَالَتْ سَلِيمَى نَلْتَقِي بَعْدَ هَذِهِ

(٢٢٦)

وقال متغزلاً أيضاً [وهي من الطويل]:

يَحْمَلُنِي فِي الْحُبِّ مَا لَا أَطِيقُهُ
وَإِنْ قِيلَ لِي دَمْعٌ فَطَرَفِي غَرِيقُهُ
سَنَا بَارِقٍ يَحْكِي فَوَادِي خُفُوقُهُ
وَكُلُّ هَوَىٍّ مِنْ آلِ مِيٍّ يَشْشُوقُهُ

هُوَ الْوَجْدُ يَا ظَمِيَاءُ مِنْكَ وَجَدْتُهُ
إِذَا قِيلَ لِي وَجَدْتُ فَقَلْبِي حَرِيقُهُ
وَحَسْبُكَ مِنْ صَبِّ يَرُوعُ فَوَادِيَهُ
وَكُلُّ وَمَيْضٍ يَا سَلِيمَى يَرُوعُهُ

(٢٢٧)

وقال متغزلاً أيضاً [وهي من الوافر]:

بِمَنْ تَهْوَى وَمَا كَذَبَ النَّصُوحُ
عَفَّتْهُنَّ الْجَنُوبُ وَكَمْ تَنُوحُ
فَقَدْ أودَى بِكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ
وَقَدْ تَخَفَى وَأَوْبَهُ تَلُوحُ
وَطَارَ بِقَلْبِكَ الْبَرْقُ اللَّامُوحُ
لِعَيْنِكَ بَارِقٌ وَتَهْبُ رِيحُ
مِنَ الْبَلَاوَى وَلَكِنْ لَا تَبُوحُ
وَمَمَّنْ أَنْتَ تَهْوَاهُ نُزُوحُ
وَمَا يَدْرِي لَهَا عِنْدِي سُرُوحُ
فَمَا رَاحَتْ وَلِلْمُشْتَاقِ رِوحُ
بِعَبْرَتِهِ وَلِي قَلْبٌ جَرِيحُ
فَأَغْدُوا يَا (هُذَيْمُ) كَمَا أَرُوحُ
أَرَيْتُ الدَّهْرَ أَيُّهُمَا الشَّحِيحُ
أَمُوتُ مِنَ الْغَرَامِ وَأُسْتَرِيحُ

يَقُولُ لِي النَّصُوحُ هَلَكْتَ وَجَدًا
وَقَالَ إِلَى مَتَى تَبْكِي رُسُومًا
فَغَضَّ الطَّرْفَ عَنْ طَلَلِ قَدِيمٍ
تَلُوحُ لِعَيْنِكَ الدَّمْنُ الْبِوَالِي
أَرَاعَكَ مَا تَسْرَى مِنْ رَسْمِ دَارٍ
فَخَفُّضٌ مِنْ فَوَادِكِ حِينَ يَبْدُو
وَفِي الْأَطْلَالِ مَا تَشْكُو إِلَيْهَا
مَحَتْ أَتَارَهَا لِلْحَيِّ نَائِي
كَمَا مُحِيتْ سَطُورٌ مِنْ كِتَابٍ
وَقَدْ رَاحَتْ رِكَائِبُ آلِ مِي
فَقُلْتُ نَعَمْ وَلِي جَفْنٌ قَرِيحٌ
أَرُوحُ عَلَى مَنَازِلِهَا وَأَغْدُو
لَنْ جَادَ السَّحَابُ وَجَادَ طَرْفِي
فَدَعْنِي يَا (هُذَيْمُ) بِهَا لِعَلِّي

(٢٢٨)

وقال [وهي من الطويل]:

وَقَدْ حَمَلَتْ أَرْوَاحُهَا الشَّيْخَ وَالرَّنْدَا
بِرِيًّا نَسِيمِ مَرِّ بِي سَحْرًا بَرْدَا
تَخُدُّ عَلَى خَدِّي حِينَئِذٍ خَدَا
نَتَّرْنَ غَدَاةَ الْبَيْنِ مِنْ لَوْلُوِّ عَقْدَا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَخَرَّمْ لِي وَقَدَا

نَسِيمُ الصَّبَا أَهْدَى إِلَى الْقَلْبِ مَا أَهْدَى
وَلِي كَبِدٌ حَرَّى لِعَلِّي أَرَى بِهَا
فَأَصْبَحْتُ أَذْرِي الدَّمْعَ قَدْأً وَتَوَامًا
كَأَنِّي اعْتَصَرْتُ الْمُعْصِرَاتِ بِأَعْيُنِ
فَمَا بَلَّ ذَاكَ الدَّمْعُ مَنِّي حُشَّاشَةً

ولام أُصَيِّحَابِي فؤاداً مُتَيِّماً
 ذكرتُهُمُ والدمعُ يجري فلم أكنُ
 وبتُّ أداري مُهْجَةً لم أجدُ لها
 وقلتُ لـ(سَعْدٍ) دَعُ ملامكُ في الهوى
 يُهَيِّجُ وَجْدي وهو غيرُ مساعدي
 يقولُ اصْطَبِرْ عَمَّنْ تحبُّ وإنني
 ولا تَشِمِ البَرْقَ اليماني فإنه
 وإياك إياك (الصَّريم) وأهله
 وهل نافعُ ما قالَ من بَعْدِ ما رمى
 بنفسي الغزالُ القانصي بلواحظُ
 إذا ما رمين القلبَ سَهْماً أَصَبْنَهُ
 به أربي يا هل تُرى هذه النوى
 أرى النفسَ لا تهوى سوى من تودُهُ

فما نَفَعَ اللومُ الفؤادَ ولا أجدى
 مَلَكْتُ لذاك الدمعُ يومَ جرى رداً
 خلاصاً من الأشجانِ يوماً ولا بدأ
 فَمَنْ زادني لوماً فقد زادني وجداً
 وما أنا لاقٍ منه إن لأمني سَعداً
 يُريني الهوى من دونِ ما قالهُ سداً
 متى لاحَ أوري في حُشاشتكُ الزندا^(١)
 فإنَّ الطباءَ العُفْرَ تقتنصُ الأُسدا^(٢)
 لِعَيْنِيهِ ريمُ (الجَزَعِ) سَهْمَ الردى عمداً
 من السحرِ مَرَضَى تمنعُ الأسدُ الورداً
 كأنَّ قَصَدَتَ في قَتْلِ عاشقِها قَصداً
 تُبدلُنا بالقرْبِ من بَعْدِها بَعداً
 ولم تتكَلَّفْ مُهْجَةً الوامِقِ الودا

(٢٢٩)

عَشْتُ الزمانَ بخفضِ العيشِ مُنْتَصِباً
 والحمدُ لله شُكراناً لنعمته
 فاليومُ أَلْبَسَكَ الرَحْمَنُ عافيةً
 من بعدِ ما مَرَضَ بِرَحِّ أُصِيبَتْ به
 وكم شربتِ دواءً كنتَ تَكْرَهُهُ
 وقد ظَهَرَتْ ظُهورَ الصُّبْحِ مُنْبَلِجاً

لا علَّةُ تشتكي فيه ولا وصَباً
 أقضي به من حُقوقِ الشكرِ ما وَجَباً
 تَبَقَّى ورداً عليكُ اللهُ ما سَلَباً
 وكنتَ لاقِيَتَ مما تشتكي نَصَباً
 فكان عافيةً فيه لمن شربها
 فطالما كنتَ قبلَ اليومِ مُحْتَجِباً

(١) في الأصول (متى لاح أودي) وهي من وهم النساخ.

(٢) في الأصول (... تقنص الأُسدا) وهي من وهم النساخ.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

تَفْدِيكَ رُوحِي وَأُمِّي فِي الْوَرَى وَأَبِي
 لِي فِيكَ مَوْلَايَ عَنِ بَدْرِ الدُّجَى عَوْضُ
 يَا بَدْرَ تَمَّ بِأَفْقِ الْمَجْدِ مَطْلَعُهُ
 إِنْ رُمْتُ مِنْكَ مَرَاماً نَلْتُ غَايَتَهُ
 وَإِنْ هَزَزْتُكَ لِلْجَدْوَى هَزَزْتُ فَتَى
 يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي فَضْلِ وَفِي كَرَمٍ
 لَمْ يَدْخُرْ فِي النُّدَى مَالاً وَلَا نَشَباً
 هَبْ لِي رِضَاكَ وَأَتْحِفْنِي بِهِ كَرَمًا
 مَا زَلْتُ إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي لِلْغِنَى سَبَبًا
 يَرِقُّ فِيكَ تَنَائِي بِالْقَرِيضِ كَمَا
 وَالشُّعْرُ يَرْتَاحُ أَنْ يُتْنَى عَلَيْكَ بِهِ
 فَحَرًّا (أَبَا مُصْطَفَى) فِي الْعَيْشِ صَفْوَتَهُ
 لَمَّا انْقَلَبْتُ كَمَا نَبَغِي بِعَافِيَةٍ
 وَقَلْتُ يَوْمَ سُرُورِي يَا مُؤَرِّخَهُ

فَإِنَّمَا أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْجَبِينَ* (أَبَا
 إِنْ لَاحَ بَدْرُ الدُّجَى عَنِّي وَإِنْ غَرُبَا
 مِنْ قَالِ إِنَّكَ بَدْرُ التَّمِّ مَا كَذَبَا
 وَإِنْ طَلَبْتُ مَنَى أَدْرَكْتُهَا طَلَبَا
 أَجْنِي بِهِ الْفِضَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالذَّهَبَا
 وَمَنْ رَأَى مِنْ فَضْلِكَ الْعَجَبَا
 إِنْ الْمَكَارِمَ لَا تُبْقِي لَهُ نَشَبَا
 فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَعْطَى وَمَنْ وَهَبَا
 وَجَدْتُ لِي أَنْتَ فِي نَيْلِ الْغِنَى سَبَبَا
 تَنْفَسْتُ فِي رِيَاضِ الْحَزَنِ رِيحَ صَبَا
 وَإِنْ دَعَاهُ سِوَاكُمْ لِلتَّنَائِ أَبِي
 فَقَدْ تَكَدَّرَ عَيْشِي فِيكَ وَاضْطَرَبَا
 بِنِعْمَةِ اللَّهِ قَدْ أَصْبَحْتُ مُنْقَلَبَا
 (يَوْمُ بِهِ الْبُوسُ عَنْ سُلْمَانَ قَدْ نَهَبَا)
 ١٢٧٥هـ

(٢٣٠)

فَتَنَ الْأَنَامَ بِطَرْفِهِ وَبِجِيدِهِ
 مُتَمَنِّعٌ وَعَدَّ الْمَشُوقَ بِزُورَةٍ
 أَنِّي أَفُوزُ بِطَارِقٍ مِنْ طَيْفِهِ
 رَشَاءً يَصُولُ بِحَدِّ صَارِمٍ نَاطِرٍ
 فَلْيَحْذَرْ الصَّمْصَامُ مِنْ لِحْظَاتِهِ
 تَالِلُهُ مَا يُحْيِي الْمُتَيِّمَ وَصَلَّهُ
 شَهَدَتْ مُحَاسِنُهُ بِجَهْلِ عَذُولِهِ

وَأَبَى الْهَوَى إِلَّا تَلَاَفَ عَمِيدِهِ
 يَا لَيْتَهُ مَمَّنْ يَفِي بِوَعُودِهِ
 مَا دَامَ هَذَا الطَّيْفُ فِي تَسْهِيدِهِ
 وَقَفَّتْ أَسْوَدُ الْغَابِ عِنْدَ حُدُودِهِ
 وَالصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ مِنْ أُمَّلُودِهِ
 إِلَّا مُمَيِّتَ سَأُوهُ بِصُدُودِهِ
 وَأَقَامَ حُجَّةً حَسَنَةً بِشُهُودِهِ

(*) في الطبعة (١): (المنجيين) خطأ طباعي.

وَلَكُمْ عَصِيَّتٌ مُفْنِدَةٌ فِي حَبِيهِ
 وَأَقُولُ إِذْ نَبَتَ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ
 وَلَقَدْ ظَفَرْتُ بِهِ بِرَعْمِ عَوَالِي
 وَشَكْوَتُهُ حَرَّ الْفَوَادِ مِنَ الْجَوِي
 فِي مَجْلِسِ عَبَقَتْ أَرَائِحُ نَدِّهِ
 وَاللَّيْلِ يَرْفُلُ بِاسْتُودَادِ رِدَائِهِ
 وَيُدِيرُ شَمْسَ الرَّاحِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
 وَالنَّجْمِ يَرْقُبُهُ بَعَيْنِ رَقِيبِهِ
 وَالزُّقُ تُصْرَعُهُ السُّقَاةُ وَرَبِّمَا
 حَتَّى رَأَيْتُ [الطَّلُ] (*) يَسْقُطُ فَوْقَنَا
 وَتَفْتَحُ النُّوَارُ فِي أَكْمَامِهِ
 وَإِذَا الْقِيَانُ تَجَاوَبَتْ بِأُحُونِهَا
 سَفَرَتْ مَحَاسِنُ زَهْرٍ رَوْضِ زَاهِرٍ
 وَالْبَانُ يَرْكَعُ فَالنَّسِيمُ إِذَا سَرَى
 إِنْ تَنْهَبُوا اللَّذَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا
 وَدَعَاكُمْ دَاعِي الصَّبَّوحِ وَإِنَّهُ
 أَوْ مَا تَرَوْنَ الْأَقْحَوَانَ وَضِحْكُهُ
 وَشَقَائِقَ النَّعْمَانِ كَيْفَ تَضَرَّجَتْ
 يَا قَوْمُ قَدْ خَلَقَ السُّرُورُ إِذَا انْقَضَى
 يَوْمٌ بِهِ (سَلْمَان) وَافَى مُقْبِلًا
 قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْمُفَارِقِ طَلْعَةً
 فِي فَقْدِهِ فُقِدَ السُّرُورُ وَإِنَّمَا
 وَتَوَلَّدَ الْفَرَحُ الْمُقِيمُ لِأَهْلِهِ

ورأيتُ عكسَ الرأْيِ فِي تَفْنِيدِهِ
 (وَرَدَ الرَّبِيعُ فَمَرْحَبًا بِوُرُودِهِ) (١)
 وَضَمَّمْتُهُ وَلَثَمْتُ وَرَدَ خُدُودَهُ
 شَوْقًا إِلَيْهِ فَجَادَ فِي تَبْرِيدِهِ
 وَتَنَفَّسْتُ فِيهِ مَبَاخِرُ عَوْدِهِ
 وَالرُّوْضُ يَزْهَرُ بِأَخْضِرَارِ بُرُودِهِ
 قَمَرٌ تَطَّلَعَ مِنْ بُرُوجِ سَعُودِهِ
 وَالْبَدْرُ يَلْحَظُهُ بِأَحْظَ حَسُودِهِ
 قَطَعَتْ يَدُ النُّدْمَانِ حَبْلَ وَرِيدِهِ
 فِي نَثْرِ لَوْلُؤِهِ وَنَظْمِ عُقُودِهِ
 فَكَأَنَّ مَا النُّوَارُ أَوْجُهُ غَيْدِهِ
 طَرِبَ الْحَمَامُ فَلَجَّ فِي تَغْرِيدِهِ
 وَتَمَايَلَتْ إِذْ ذَاكَ هَيْفُ قُدُودِهِ
 وَصَلَ النَّسِيمُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ
 وَهَبَ الزَّمَانُ شَقِيهَ لِسَعِيدِهِ
 لِيَقُومَ سَيْفُ الصَّبْحِ فِي تَأْيِيدِهِ
 مِنْ حَضِّ دَاعِيكُمْ وَمَنْ تَأْكِيدِهِ
 بَدَمٍ فَظَنَّ الْكَرْمُ مِنْ عُنُقُودِهِ
 فَخُذُوا بِكَأْسِ الرَّاحِ فِي تَجْدِيدِهِ
 قَدْ كَانَ لِلْمُشْتَاقِ أَكْبَرَ عِيدِهِ
 قَمَرِيَّةً بِحُضُورِهِ وَشُهُودِهِ
 وَجِدَ السُّرُورُ جَمِيعَهُ بِوُجُودِهِ
 وَأَجَادَ طَيْبَ الْعَيْشِ فِي تَوَلِيدِهِ

(١) في الأصول لم يحصر بين قوسين، وهو تضمين لبيت صفي الدين الحلي في ديوانه ص ٥٥١. وتمامه: وينور بهجته ونور ووروده).

(*) ثمة كلمة ساقطة من صدر هذا البيت في الطبعة (١): وقد أثبتناها من الطراز الأنفس.

فَكَأَنَّهُ فَلَقَ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَأَ
فَالسَّعْدُ وَالْإِقْبَالُ مِنْ خُدَامِهِ
ظَفِرَتْ يَدِي مِنْهُ بِأَكْرَمِ مَا جَدِ
مَا زَالَ مُجْتَهِدًا بِكُلِّ صَنِيعَةٍ
الْمَالُ مَا مَلَكَتُهُ رَاحَةٌ كَفَّهُ
تُفْنِي (*) مَوَاهِبُهُ الْحَطَامَ تَكْرُمًا
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ وَأُنَشِدُ مَدْحَهُ
وَمُشِيدُ أَبْنِيَةِ الْمَفَاخِرِ وَالْعُلَا
إِنْ عَدَّتِ النَّاسُ الْفَخَارَ فَإِنَّهُ
اللَّهُ أَكْرَمَ آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
حَازُوا مِنَ الشَّرْفِ الرَّفِيعِ أَبِيهِ
وَإِذَا تَوَرَّتْ وَالِدٌ مِنْهُمْ عَلَا
مَا لِلْبَنِينَ الْغُرُّ مِنْ آبَائِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ وَقَلُّ لِي الْفِدَا
اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْبَرِيَّةُ كَأُهَا
أَقْبَلَتْ إِقْبَالَ السَّحَابِ تَبَاشَرَتْ
قَدْ غَبَّتْ عَنْ (بَغْدَادٍ) غَيْبَةً حَاضِرٍ
وَإِذَا طَلَعَتْ عَلَى الْأَحِبَّةِ بَعْدَهَا
يَا مَنْ يَسُرُّ الْأَنْجَبِينَ قُدُومُهُ
فَلَقَدْ رَكِبْتَ الْوَعَرَ غَيْرَ مَقْصِرٍ
وَلَقَدْ تَعَبْتَ فَخَذْتُ لِنَفْسِكَ رَاحَةً
وَاسْرَحُ مِنَ اللَّذَاتِ فِي مُتَنَزِّهِ

فِي رَفْعِ رَايَتِهِ وَخَفَقِ بَنُودِهِ
لَا بَلَّ هُمَا فِي الرِّقِّ بَعْضُ عَبِيدِهِ
نُظِمَتْ قَوَافِي الشَّعْرِ فِي تَمَجِيدِهِ
يَدْعُو الْكَرِيمُ بِهَا إِلَى تَقْلِيدِهِ
فَدَعَتْهُ شَيْمَتُهُ إِلَى تَبْدِيدِهِ
نَشَرًا لِذِكْرِ تَنَائِهِ وَحَمِيدِهِ
وَأَمِيلُ مَيْلَ الْغُصْنِ عِنْدَ نَشِيدِهِ
تَسْمُو بِيُوتُ الْمَجْدِ فِي تَشْيِيدِهِ
إِنْسَانٌ مَقْلَاتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
حَيْثُ اصْطَفَاهُمْ مِنْ كِرَامِ عَبِيدِهِ
فَهُمْ وَلَاؤُهُ طَرِيفُهُ وَتَلِيدُهُ
لَا يُورِثُ الْعُلَيَاءَ غَيْرَ وَليدِهِ
أَمْ أَيْنَ لِلْآبَاءِ مِثْلُ جُدُودِهِ
مَنْ كَانَ لِلْإِحْسَانِ غَارِسُ عُدُودِهِ
أَنِّي أَفُوزُ بِعِزِّهِ وَبِجُودِهِ
زَهْرُ الرَّبِّاءِ بِبُرُوقِهِ وَرُعودِهِ
فِي فِكْرِ صَاحِبِهِ وَقَلْبِ وَدُودِهِ
فَمُؤَفَّقٌ كُلُّهُ إِلَى مَقْصُودِهِ
كَسْرُورِهِ بِضُيُوفِهِ وَوُفُودِهِ
وَقَطَعْتَ يَوْمَئِذٍ فِدَا فِدَائِهِ
وَاطْلُقْ عِنَانَ الْأَنْسِ مِنْ تَقْيِيدِهِ
خَلَطَ الْغَرَامُ ظِبَاءَهُ بِأَسُودِهِ

(*) في الطبعة (1): (تغني) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٢٣١)

وقال [وهي من الرمل]:

وبما بَرَحَ بي قد فَتَكَ
ودمٌ في غيرِ جُرْمٍ سَفَكَ
نَصَبْتُ لي من هَواها شَرَكَا
من هَواكُنَّ وإلَّا هَآكَا
بسِوَى قلبي لها مُعْتَرَكَا
فيكُمُ الشُّكُوى ومنكُم ما شكا
في مَغانِيها وكانت فَاكَا
لَطَمْتُ وَجَهَ الفَيَافِي رَتَكَا^(١)
للنَّوى أي طَريقِ سَاكَا
بتَدانِيكُم وأُضحتُ أَفْكََا
عارضُ إنْ ضَحِكَ البَرِقُ بَكِي

بَرَحَ الشَّقُوقُ أَصِيحَابِي بِي
هي نَفْسٌ لا يَذُنُّبُ قُتِلَتْ
أَنَسَاتُ من ظِبَاءِ (المُنْحَنَى)
يا ظِبَاءَ (المُنْحَنَى) أَنْقَذْنَهُ
وصِبابَاتِ جَوَى ما وَجَدَتْ
ولأنتم ساكني (وادي الغضا)
كنتُم أَقمارها طالعةً
فأثرتُم بَعْدَها وَخَادةً
ليت شِعْري يومَ ولَى رَكْبُكُم
وأحاديثُ المُنَى ما صَدَقَتْ
فَسَقَاكُم وَسَقَى عَهْدُكُم

(٢٣٢)

وقال [وهي من الخفيف]:

(ع) زَمَانًا مَضَى وَعَهْدًا تَقَضَى
هَدَمَ الشَّيْبُ رُكْنَهُ فَا نَقَضَا
لَوْعَةً في الحِشَا وَجُرْحًا مُمَضَا
كان لي في (الغَمِيمِ) بل هو أَمْضَى
ورَعِينَا فيه من العَيْشِ رَوْضَا
وهَصَرْنَا قَدًّا من الغِيدِ غَضَا
وسَعِينَا إلى الصَّبَابَةِ رُكْضَا

يا رَعَى اللُّهُ لِلأَحْبَبَةِ في (الجَزْ)
وِبِنَاءٍ من الشَّبابِ قَويًّا
يا زَمَانًا مَضَى ولم يُبقِ إلا
قد مَضَى مثلَ وَا مَضِ البَرِقِ عَيْشُ
كم وَرَدْنَا فيه من الرِّيقِ عَذْبَا
واقْتَطَفْنَا من الخُدودِ وَرُودًا
وَجَرِينَا في كلِّ مِضْمَارٍ لَهْوَ

(١) الوخادة: الناقة. والوخد ضرب من السير، والرتك: ضرب من السير أيضا. لسان العرب مادة (رتك).

سِنَّةٌ لِلْهُوَى وَعَهْدِ التَّصَابِي
مِنْ مُعِيرِي مِنَ الشَّبَابِ حَلِيًّا
لَا حَ فِي عَارِضِي وَحَطُّ مَشِيْبِ
غَضٌّ مِنْهُ طَرْفُ الْعَوَانِي وَلَوْلَا
وَأْرَانِي - وَالْعُمْرُ بَسْطٌ وَقَبْضٌ -
رُوحِ النَّفْسِ مَا اسْتَطَعَتْ فَهِيَهَا
أَفِيْعَطِيْكَ فِي مَشِيْبِكَ يَوْمٌ
وَاللَّيَالِي تُرْضِي مِنَ النَّاسِ بَعْضًا
كَنْتُ تَبْكِي عَلَى الشَّبَابِ نَفْلًا

رَفَضَتْهَا نَفْسِي الْأَبِيَّةُ رَفْضًا
أَتَحَلَّى بِهِ وَإِنْ كَانَ قَرَضًا
عَادَ مُسْوَدُّهُ بِهِ مُبْيَضًا
وَحَطُّ الشَّبَابِ طَرْفُهَا مَا غَضًا
بَعْدَ بَسْطٍ مِنَ الصَّبَابَةِ قَبْضًا
تَ تَلْقِي يَوْمًا مِنَ الْعَيْشِ خَفْضًا
مَا تَمَنَّى مِنَ الشَّبَابِ فَتَرْضَى
بِمَدَى كَرِّهَا وَتُغْضِبُ بَعْضًا
فَابْكِ مِمَّا تَرَى مِنَ الشَّبَابِ قَرَضًا

(٢٣٣)

شَفَّهَا السَّيْرُ وَالْأَسَى وَالْغْرَامُ
كَمْ فَرَّتْ مَهْمَهَا وَجَابَتْ قِفَارًا
فَتَرَفَّقُ بِهَا فَإِنَّ حَشَاهَا
جَعَلَتْ وَرْدَهَا مِنَ الْمَاءِ عَبًّا
كَمْ أَلَمْتُ بِنَا عَلَى آلِ مِيٍّ
يَوْمَ لَاحَ الْحِمَى فَقَلْتُ لِصَحْبِي
فَنَنْتَرْنَا مِنَ الْهُوَى عِبْرَاتٍ
كَلَّمْتُنَا الدِّيَارُ وَهِيَ سَكُوتٌ
نَكَّرْتُنَا بِهَا - وَمَا دَامَ - عَيْشًا

وَبَرَاهَا الْإِنْجَادُ وَالْإِتْهَامُ^(١)
وَأَشْتَكَّتْهَا الْأَوْهَادُ وَالْأَعْلَامُ^(٢)
لَوْ تَأَمَّلْتَهَا جَوِيٌّ وَعْغْرَامُ
أَفِيْطْفَى مِنَ الدَّمُوعِ ضِرَامُ
وَنَبَا مِنْ دُرُوسِهَا الْأَلَامُ
هَذِهِ دَارُهُمْ وَتِلْكَ الْخِيَامُ
فَحَسِبْنَا أَنَّ الدَّمُوعَ رُكَامُ
إِنَّ بَعْضًا مِنَ السُّكُوتِ كَلَامُ
أَيُّ عَيْشٍ دَامَتْ لَهُ الْأَيَامُ

(١) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (جمال) ومقام (لامى).

(٢) خمسه الشيخ عباس الأعمس النجفي (شعراء الغري ٤/٤٧٣).

(٣) في الأصول (واشتكها..) من وهم النساخ.

ما عَلِمْنَا حَتَّى انْقَضَتْ وَتَوَلَّتْ
 إِذْ جَلَوْنَا مِنَ الحُمَيَّا عَرُوساً
 يالها ساعةً بمجلس أنسٍ
 ضَيَّعَتْهَا أَيدي الحَوادِثِ مِنَّا
 نَطْلُبُ الدهرَ أَنْ يَعودَ وَهَيَّهَا
 وَيَنفِسي ذاكَ الغَريِرُ المُفَدَى
 واشتِياقي إلى ارتِشافِ رُضابِ
 يا غَزالاً فِداً لَعينِكَ قَلِبي
 هَمَّتْ وَجَدّاً وَذُبَّتْ فِيكَ هِياماً
 كَيفَ تَحْفَى سَريرةَ الحُبِّ عَنكمْ
 ظَلَعَنَ الرِكبُ ضَحَوةً وَأراني
 فائِركَ الهَزلَ يَومَ جَدِّ بَجدٍ
 واطْلُبِ العِزَّ بِالقِنا والمَواضي
 فَمُرامُ المُنَى وَنيلُ المَعالي
 وَتَمَسُّكَ بِسَمِّهَريِّ وشِيجِ
 واقتَحِمِها إِذا نَبَتَ بِكَ يَوماً
 وادفِعِ الشَّرَّ إِنَّ عَلمتَ بِشَرِّ
 فَمَتى تَكُوبُ العِزائمُ بِأساً
 وَتَقَلِّدُ بِالرأْيِ قَبْلَ المَواضي
 رَبُّ رَأْيٍ بِالخَطْبِ يَفْعَلُ ما لا
 واحذِرِ الغَدْرَ مِن طِباعِ لَئيمِ
 وادخِرِ لَلوغى مَقالَةَ حَربِ
 لا تَلومِي فَتى يَخُوضُ المَنايا
 واصبِري فَالأسى سَحابَةٌ صَيفِ

أَنْ أَيَّامَنا بِها أَحلام
 بِنَتِ كَرَمِ لَها الرُجَاجِ لِثام
 غابَ جامٌ بِها وَأشَرَقَ(*) جام
 مِثْلَ ما ضَيَّعَ الجَميلَ اللِثام
 تَ يَروى مِنَ السَّرابِ الأوام
 ففَوادِي بِحُبِّهِ مُسْتَهام
 حَسَدتْ ذاكَ الرُضابَ المُدام
 نَظراتُ أرسَلتَها، أم سِهام؟
 وَقَليلُ عَلى هَواكَ الهِيام
 وأخو الوَجَدِ دَمْعُهُ نَمام
 لَم يَطِبْ لي بَعَدَ الحَبيبِ مُقام
 إِنَّ هَزلَ المَقامِ بِالشَّهَمِ نام
 إِنما العِزُّ ذابِلٌ وَحُسام
 بِسِوى البِيضِ والقِنا لا يَرام
 فَالعَوالِي إلى المَعالي زِمام
 فَارِى المَجدَ بِأَبهَ الإقتِحام
 رِيما يَدفَعُ السَّقامَ السَّقامُ
 صَغُرَتْ عَندَها الأُمورُ العِظام
 لَيسَ يُجَدِي بِغَيرِ رَأْيِ صِدام
 يَفْعَلُ السَّمهَريُّ والصَّممَمام
 عَندَه الغَدْرُ بِالصَدِيقِ نِمام
 لا تُقَوِّى الأَجسامَ إِلاَّ العِظام
 كُلُّ جَبَنِ مِنَ الحِمامِ حِمامُ
 وَلِربِّي بِأَمْرِهِ أَحكام

(*) في الطبعة (1): (وأشرف) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وقال [وهي من الرمل]:

أَهْوَى غَيْرُ هَوَاهَا قَدْ سَلَاهَا؟^(١)
 فَعَسَاهَا تَرَحُّمُ الصَّبِّ عَسَاهَا
 رُمِيَتْ سَهْمَ غَرَامٍ، مَنْ رَمَاهَا؟
 يَمْنَعُ الْوَجْدُ مِنَ الْعَيْنِ كَرَاهَا
 حَسَرَاتُ بِالْحَشَا طَالَ مَدَاهَا
 لَيْسَ يَهْوَى صَبُّهَا إِلَّا هَوَاهَا
 ذَكَرَ نَفْسِ الصَّبِّ مَنْ تَهْوَى لَهَا
 طَلَعَةٌ مَا شَاقَنِي شَيْئاً سِوَاهَا
 وَأَذَابُ الْقَلْبِ وَجْدٌ مَا سَلَاهَا
 سَاءَهَا حَتَّى اسْتَمَرَّتْ بِجَفَاهَا
 فَشَكَتَهُ يَوْمَ صَدَّتْ وَشَكَاهَا^(٢)
 مَا يُقَاسِي بِهَوَاهَا لَكْفَاهَا
 سَمَحَتْ^(*) بِالْوَصْلِ يَوْمًا لِفَتَاهَا
 عَلِمَ اللَّهُ بِمَا ضَمَّتْ حَشَاهَا
 أَعْيُنُ الْأَزْهَارِ وَأَعْتَلَّ صَبَاهَا
 شَغَلَتْ مُقْلَةً وَاشِينَا عَمَاهَا
 أَشْرَبَ الْخَمْرَةَ إِلَّا مِنْ لَمَاهَا
 غَيْرُ بَاعِي فِي الْمَعَالِي مَا اجْتَنَاهَا

ناشِداها عن فَوَادِي وَسَلَاهَا
 وَاذْكُرَانِي يَا خَلِيلِي لَهَا
 وَاسْتَأْلا عَنْ مُهْجَةٍ دَامِيَةٍ
 لَا أَبَيْتُ اللَّيْلَ إِلَّا قَلْبِقَاً
 يَا غَرَاماً بِالْدُمَى مَا تَنْقُضِي
 وَبِقَلْبِي ظَبِيَّةُ الْخَدْرِ الَّتِي
 تَرَكْتَنِي أَنَا لَطَى وَأَرَى
 زَعَمْتَ أَنِّي سَأَلْتُ بِعَدَاهَا
 لَا وَمَنْ أَسْلُوبَهَا مُغْرَى بِهَا^(٢)
 وَسَعَى الْوَاشِي إِلَيْهَا بِالذِي
 هِيَ صَدَّتْ رَيْبَةً عَنْ صَبِّهَا
 لَوَدَرْتُ إِذْ طَلَبْتُ تَعْذِيبَهُ
 مَا عَلَيْهَا فِي الْهَوَى لَوْ أَنَّهَا
 فَشَفَى دَاءَ الْهَوَى مِنْ مُهْجَةٍ
 لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً صَحَّتْ بِهَا
 وَعِنَاقِي دُمِيَّةَ الْقَصْرِ^(**) وَقَدْ
 بَتُّ أَسْقَى ضَرْبَ التَّنْغُرِ وَلَا
 زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تُجْتَنَى

(١) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (نهاوند).

(٢) في النسخة الخطية ب (لا ومن أسلو بها مغرمها). وفي مجموعة السيد عبدالخالق العزاوي: (لا ومن أسلى بها مغرمها).

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق: (فشكاها يوم صدت واشتكاها).

(*) في الطبعة (١): (سمعت) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) إيماءة لطيفة إلى كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) لأبي الحسن علي بن الحسن

الباخري المتوفى ٤٦٧هـ.

مَنَعُوهَا عَنْ عَيْوَنِي أَنْ تَرَاهَا
كَسُيُوفِ الْهِنْدِ بَتَّارِ شَبَاهَا
تَتَلَطَّى بِالْمَنَايَا لِاصْطِلَاهَا
مُبْلِغًا نَفْسِي بِالسَّيْفِ مُنَاهَا
خَانَنِي مِنْ هِمَمِي مَاضِي ظُبَاهَا

سَوْفَ أَحْظَى بِالْتِي أَهْوَى وَإِنْ
أُتْرَى تُحْجَبُ عَنْ ذِي هِمَمٍ
لَوْ رَأَى مِنْ دُونِهَا نَارَ الْوَعَى
لَا تَرْقَبِيْتُ الْعُلَا إِنْ لَمْ أَكُنْ
فَلَسْتُ خَانَتُ أَخْلَائِي فَمَا

(٢٣٥)

أَنْتَ رَأْسُ الْعُلَا وَصَدْرُ الشَّرِّيعَةِ
فَأَعْرَنِي يَوْمًا كِتَابَ الطَّبِيعَةِ^(١)

حَائِزَ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ جَمِيعَهُ
أَنَا أَهْوَى غَرَائِبَ الْقَوْلِ طَبْعًا

(٢٣٦)

وَيَقْضِي لُبَانَاتِهِ مُغْرَمٌ؟
بِأَحْشَائِهِ لَوْعَةً تُضْرَمُ
فَأَنْجَدَ فِي قَلْبِي الْمَتَّهِمُ
يُرَاعُ بِهِ كَبِدٌ مُؤَلَّمٌ
يَسُحُّ بِهَا الْمَدْمَعُ الْمُسْجَمُ؟
وَكُلُّ مَنْ الرُّكْبِ مُسْتَغْرِمُ
وَسِرُّ الصَّبَابَةِ لَا يُكْتَمُ
وَقَدْ يَتْرُكُ الْمَرْءُ مَا يَلْزَمُ
تُذَكِّرُنَا عَهْدَهَا الْأَرْسَمُ

مَتَى يَشْتَفِي كَبِدٌ مُؤَلَّمٌ
وَيَحْظَى بِمَطْلَبِهِ أَمَلٌ
لَقَدْ قَوَّضَ الرُّكْبُ يَوْمَ الْخَلِيطِ
وَرُوَّعَنِي ضَيْفٌ طَيْفٍ سَرَى
خَلِيلِي هَلْ وَقَفَةٌ فِي الدِّيَارِ
فَأِنَّا وَقَفْنَا عَلَيْهَا ضَحَى
وَأَفْشَى بِسِرِّي دَمْعُ الْعَيْوَنِ
فَأَتْرُكُ خَوْفَ الْوُشَاةِ الْبُكََا
إِذَا مَا نَسِينَا عُهُودَ (الْغُوَيْرِ)

(١) كتاب الطبيعة من الحكمة الجديدة، وهو كتاب قد ترجم من الإنجليزية إلى العربية وأهداه الفريق عزمي باشا إلى أبي النناء الألويسي. انظر حديقة الورد ٢/ الورقة ٨٥ مخطوطة.

فيا حبذا يومنا بـ(العقيق)
بحيث تلوح شمسُ الطُّلا
إلى أن تبدى كُميتُ الصُّباحِ
تصرم عهدُ (النُّقا) بالنُّوى
أُنكِرُ قَتلي، غزالَ (الصُّريم)
ففيم أرقّت دمي عامداً
حكمت عليّ بأمرِ الغرامِ
وقلت لمن لأمني في هواك
وأرقني في الدُّجى بـأرق
وشوقني لظباءِ الحمى
عجبت وكيف وهنَّ الظُّباءُ
ويسلم من مُرهفاتِ السُّيوفِ
ومن مثلهنَّ أخافُ الصُّدامِ
هويتكم يا أهيلَ (الحطيم)
قضيتم على صبكم بالبعادِ
فلم يصف لي بعدكم مشرب
وأصبر في معضلاتِ الخُطوبِ
وعرضي نقي وأنفي حمي
ولولا مكارمُ (مفتي العراق)
لما اعتذر الدهرُ من ذنبيه
مناقِبُ (محمود) محمودة
رقيق الحواشي كريم الطُّباعِ
يُنبيء عن خلقه خلقه
فمن أمل الفضل من كفه

مضى وانقضى يومها الأوم
ولون الدُّجى فاحم أسحم
وأدبر من ليابنا الأدهم
فما للتُّصبر لا يصرم
ويشهد لي خدك العندم؟
وحللت في الحب ما يحرم؟
وإني لحكمك مستسلم
جهلت - تكلتك - ما أعلم (١)
كما استل من غمده مخدّم
فأسقمني والهوى يسقم
يصاد بأجفانها الضيغم
ومن لحظهن فلا يسلم
ويصدم مثلي ولا يصدم
وهذا الهوى كُله منكم
وإن قضاء النوى مُبرم
ولا لذلي بعدكم مطعم
وصبر الفتى للفتى أسلم
وبأسي كعزمي لا يُتلم
وما غيره المُكرم المنعم
ولا استغفر الزمن المُجرم
وفوق جباه العُلا تُرقم
فهذا هو الأكرم الأشيم
ويؤذن في سيبه المَبسّم
وجود أياديهِ لا يحرم

(١) في الأصول: (جهلت تكلتك ما تعلم). والتصويب من حديقة الورد ومجموعة السيد عبدالخالق العزاوي.

لأَيْدِيهِ فِي كُلِّ عُنُقٍ يَدٌ
بِبِأْسِكَ أَقْسِمُ لَا حَانِتًا
لَأَنْتَ الْفَرِيدُ بِهَذَا الزَّمَانِ
وَأَنْتَ الْفَخَارُ وَمَنْكَ الْفَخَارُ
بَنَيْتَ بِنَفْسِكَ بَيْتَ الْعُلَا
فَهَمَّتِ الرُّمُوزُ مِنَ الْمَشْكَلَاتِ
كَشَفْتَ غَوَامِضَ إِشْكَالِهَا
وَإِنَّ لَكَ الْحُجَجَ الْبَالِغَاتِ
جَوَابُكَ يَا سَيِّدِي مُسَكَّتٌ^(١)
يَمُرُّ بِسُخْطِكَ حُلُو الْمَذَاقِ
إِذَا مَا كَتَبْتَ فَإِنَّ الْيِرَاعَ
وَنَثْرُكَ يُزْرِي بِعَقْدِ الْجُمَانِ^(*)
قَلِيلٌ بِحَقِّكَ مَا نَلْتَهُ
نَشَرْتُ بِحَقِّكَ طِيَّ الْمَدِيحِ
لَأَنِّي بِحَضْرَتِكَ الْمُسْتَجِيرُ
وَفِيكَ أَسْرُ الْوَلِيِّ الْحَمِيمِ
أَهْنِيكَ بِالْعِيدِ يَا عِيدَنَا
بِفَضْلِكَ رَغْمًا يُقَرُّ الْحَسُودُ^(٢)
أَجْرَنِي رِضَاكَ فَتَمَّ الْغِنَى

وَمِنْهَا أَفِيضَتْ لَنَا أَنْعَمُ
وَفِي غَيْرِ بِأَسْكَ لَا أَقْسِمُ
وَمَنْهَجُكَ الْمَنْهَجُ الْأَقْوَمُ
بِمَثَلِكَ فَلَأَيُّفُتْ خِرَ أَدَمُ
إِلَى أَبَدِ الدَّهْرِ لَا يُهْدَمُ
وغيرُكَ مِنْ ذَا الَّذِي يَفْهَمُ
وَفِي كَشْفِكَ اتَّضَحَ الْمُبْهَمُ
يُقَرُّ بِهَا الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ
وَنُصْحُكَ يَا سَيِّدِي مُفْحِمُ
وَيَحَلُو بِنَائِكَ الْعَلْمُ
بِأَنْمَلِكَ السَّيْفُ وَاللَّهُدْمُ
فَدْرُ الْمُعَانِي بِهَا تُنْظَمُ
وَقَدْرُكَ أَكْبَرُ بِلِ الْعُظْمُ
وَفِي مَدْحِكَ الْبَدِينُ وَالْدَرْهَمُ
وَإِنِّي بِحُبِّكَ مُسْتَعْصِمُ
وَفِيكَ أَنْوَفَ الْعِيدِ أَرْغَمُ
فَأَنْتَ الْهِنَاءُ لَنَا الْأَعْظَمُ
وَيَنْطِقُ فِي مَدْحِكَ الْأُبْكَمُ
لَأَنَّ رِضَاكَ هُوَ الْمَغْنَمُ

(١) في حديقة الورد ومجموعة السيد عبدالخالق (جوابك يا مالكي مسكت).

(٢) في المجموعة (... يقر الجحود).

(*) إيماءة إلى كتاب (عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان) للحافظ العيني.

وقال يمدح اللواء إبراهيم باشا^(١) قائمقام بغداد بعد الوالي علي رضا اللاط [وهي

وفي سَيِّفِكَ المَاضِي وفي قَوْلِكَ الفِعْلُ
ومثْلُكَ من يسمو ومثْلُكَ من يعلو
ولا مَنْصِبُ في الحِكمِ إلَّا له أهل
علينا له في مثلِ تَقْدِيمِكَ الفِضْلُ
فما ضَعُضِعَ الأَقْطَارُ نَصَبٌ ولا عَزْلُ
اسْتَقَرَّ عَلَيْهَا أَمْرُكَ ارتفعَ الجَهْلُ
إلَّا إنَّما الإنسانُ زِينَتُهُ العَقْلُ
وأحسنُ ما فيكَ الشَّجَاعَةُ والبَدَلُ
فللطائِعِ الجِدْوَى وللمُفْسِدِ القِتْلُ
حُسَامُكَ مُسْتَلٌّ وَسَيْبُكَ مَنْهَلٌ
أَعَزَّمُكَ أم ما اسْتَلَّ في كَفِّكَ النِّصْلُ
فلا وكلُّ عِنْدَ المِرامِ ولا كَلُّ
وإنَّ وَعَدَتَكَ النَفْسُ شَيْئاً فلا مَطْلُ
تَصَرَّمَتِ الأَمَالُ وأنْقَطَعَ الحَبْلُ
وأكذبُ شيءٍ ما يقولُ به الرَّمْلُ
مُنَاهُ ولم يَبْعُدْ عَلَيْهِ بها نَيْلُ
وكان عَلَيْهَا قَبْلَ تَفْتِيحِهَا قُفْلُ
إليها [الهَنَاءُ]^(*) المَحْضُ والنَائِلُ الجَزْلُ
ومثْلُكَ من في أَمْرِهِ العَقْدُ والحَلُّ
هو الهَوْلُ بل من دونِ مَوْقِفِهِ الهَوْلُ

بِحُكْمِكَ زالَ الظلمُ وابتَسَمَ العَدْلُ
وما زلتَ تَرْقَى رُتَبَةً بعدَ رُتَبَةٍ
وقُلِّدْتَ أَمْرًا أنتَ في الناسِ أهْلُهُ
وقُدِّمْتَ في أَمْرِ الوَازِرِ وإنَّما
وقُضِّمْتَ بتدبِيرِ (العراقِ) مَقامَهُ
وكادتُ تَمُورُ الأَرْضُ جَهْلًا فعندما^(*)
يَزِينُكَ عَقْلُ راجِحٍ ورزَانَةُ
وفيكَ اجْتِمَاعُ الفِضْلِ والحُسْنِ كُلَّهُ
أطاعَتِكَ هذِي الناسِ خَوْفًا ورغْبَةً
وما زلتَ مُذْ وُلِّيتَ أَمْرًا نَظَّمْتَهُ
وما أنا بالداري إذا كنتَ في الوَعَى
بِنَفْسِكَ باشَرَّتْ الأُمُورَ جَمِيعَهَا
إذا أَطْمَعَتَكَ النَفْسُ بالشَّيْءِ نَلَّتَهُ
ولستَ كَمَنْ يَبْغِي الأَمَانِي بَعْدَما
أحالوا على الرَّمْلِ الأَمَانِي ضَلَّةً
ولكنَّما أنتَ الذِي نالَ حَزْمَهُ
وفتَّحتْ أبوابَ المِكارِمِ بالنَّدَى
ليهنَ (العراقِيْنَ) الهَناءُ فقد سَرَى
عَقَدْتَ أُمُورًا قد تَمادَى انحلالُها
وكم لك يَوْمَ الضَّرْبِ والطَعْنِ مَوْقِفٌ

(١) لم أعر على ترجمة له.

(*) في الطبعة (١): (فعدنا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) ثمة كلمة ساقطة في الطبعة (١): مما أخل بالوزن وبالمعنى وأضفناها من الطراز الأنفس.

وقد أوجِبَ المجدُّ ترحالها
وتبلغُ بالعِزِّ تسألها
وجبَّتِ الديارَ وأطلالها
وقلتُ أشربي اليومَ جريالها
تجرُّ على الرندِ أذيالها
يُقطعُ بالوجدِ أوصالها
أهاجَ التذكُّرُ بلبالها
ويحرمها البينُ أمالها
وكم أتلفَ الشوقُ أمثالها
لكانَ التَّصَبُّرُ أولى لها
بمن هي تهوَاهُ عدالها
وأنتَ تقولُ لنا مالها
لسانٌ يترجمُ أقوالها
وقاسيتُ من بعدُ أهوالها
تريدينَ يا ناقُ إرسالها
فقدَ حملَ العينَ أثقالها

أقولُ لها يومَ جدتُ بنا
إلى حيثُ تهوى نُفوسُ الكرامِ
لئنْ جُرزتِ بي أثلاثٍ (*) (الغويِرِ)
سقيتُك يا ناقُ من مائها
ونشقتُك الریحَ من (حاجرِ)
راها (هذيمُ) كأنَّ الغرامِ
متى ذكرتُ عهدها بـ(اللوى)
تؤمِّلُ في (ذي الغضا) وقفةً
فقالَ بها والهوى جنَّةً
فلو صبرتَ عن ربيعِ الحمى
وهل تقبلُ النفسُ مشغوفةً
عرفتُ بأيِّ الهوى ما بها
وقالتُ ومن حالها يا (هذيمُ)
نعمتُ زماناً بتلك الوجوهِ
حبستُ بعينيكِ هذي الدموعَ
هلمِّي بنا نستجدُّ البكاءَ

(*) في الطبعة (١): (أثلاث) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وقال يمدح السيد علي القادري النقيب^(١) ويستعطفه بإعادة السيد عبدالقادر

يشتكي المَهْجَةَ من رمحٍ وصارمٍ
 في التَّصَابِي غيرَ مَحْلُولِ العِزَائِمِ
 نَظَّرَاتٍ لَيْسَ تَرْقِيهَا التَّمَائِمِ
 راحمٍ يَوْمًا وهل لِلصَّبِّ راحمٍ
 أَنَا مَظْلُومٌ بِهِ والشَّوْقُ ظالمٍ
 باتَ يُبَكِّينِي نَجِيعًا وهو باسِمٍ
 فاحمٍ اللَّيْلِ وفرعُ اللَّيْلِ فاحمٍ
 ناعِمَاتِ العَيْشِ بِالْبَيْضِ النُّوعِ
 يَزَارُ اللَّيْثُ بِهِ وَالظُّبْيُ باغمٍ
 أَعْيُنُ الغِزْلَانِ بِالأَسَدِ الضَّرَاعِمِ
 قَبِضَةِ الحُبِّ وما نَمَّةٌ حازمٍ
 رَبُّ سَاعِ سَاهِرِ الطَّرْفِ لِنائمٍ
 وَلِحَظِّي مِنْهُ تَجْرِيعُ العِلاقِمِ
 مُهْجَتِي غَدُّوا وَمَنْ لِي أَنْ تُسَالِمِ
 مُسْتَبِيحِ سَيْفِ عَيْنَيْهِ المَحَارِمِ
 يُودِعُ اللُّؤْلُؤَ هَاتِيكَ المَباسِمِ
 أَنْتَ فِي قَتْلِي رِعاكَ اللِّهَ آثِمِ
 أَيْنَ مِنْ أَحْدَاقِكَ البَيْضِ الصُّوَارِمِ
 يَتَعَدَّى بِشَبَاهَا وهو لَازِمِ
 مَثَلِما ناحتَ على الغُصْنِ الحَمائمِ

مَنْ لَصَبٌ مُسْتَطَارِ القَلْبِ هائِمٌ
 عاقِدَ الحُبِّ على أَنْ لا يُرى
 إِنَّمَا تَفْتِكُ فِي أَحْشَاءِهِ
 رَحْمَةً لِلصَّبِّ ما يشكو إلى
 يا خَلِيلِي أَنْصِفْني من جَوِي
 ما لَهذا البرقِ يهفو وامضاً
 وَيُثِيرُ الوَجْدَ يورِي زَنْدَهُ
 أَذْكَرُ العَيْشِ وَأَيَّامِ الحَمِي
 يا سَقَى اللِّهَ الحَمِي من مَوْطِنِ
 كَمْ وَكَمْ قَدْ فَتَكْتَ فانتَصَرْتَ
 وَكَمِي حازِمٍ أَصْبَحَ فِي
 نامِ عَنِّي غافلاً عن كَمَدِي
 وَيَمُجُّ الشَّهْدَ من ريقَتِهِ
 حارِبَتْنِي الأَعْيُنُ النُّجْلُ ومن
 ما أَحَلَّ القَتْلَ إلا عامداً
 مُعْجَبٌ مِنْ حُسْنِهِ مُبْتَسِمٌ
 قاتلي من غيرِ ذنبٍ في الهوى
 سَفَكَتْ أَحْدَاقَكَ السُّودَ دَمِي
 فَعَلْ أَحْظَاكَ فِي عُشاقِها
 لي على قَدِّكَ نَوْحٌ فِي الدُّجَى

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨١).

ساغ ما جرعتني من غصة
 فضح الحب الهوى في أهله
 لا أرى الله عذولي راحة
 وبلائي كـلـه من لائم
 والهوى داء كمين في الحشا
 كان لي صبر فما دام وما
 كيف يسلو ذاكر عهد الهوى
 عجباً للشوق يبني ما بنى
 وبصدري زفرة لو كشفت
 غير أنني والأمني جمّة
 سيّد أمانداه فالحيا
 فهو للصادي إذا بل الصدى
 شمت منه البرق علوي السنّا
 كسحاب القطر إلا أنه
 إن من يرويك عنه خبيراً
 عن رسول الله عن أبنائه
 صفة الله من الخلق وهم
 هم هداة الخلق لولا جدهم
 آل بيت خلّقوا منذ خلّقوا
 فتح الله علينا بهم
 حبّذا نجل (علي) إنه
 قال من أبصره مستبشراً
 وارث بعد أبيه في العلّا
 شرف محض ومجد باذخ
 يرتقي في كل يوم رفعة

غير أنني عن جنى ريقك صائم
 وبدا من كاتم ما هو كاتم
 لامني فيك فما أصغي للائم
 بات يلحى (*) وحبيب لا يلائم
 ليت شعري ما لهذا الداء حاسم
 كان صبر الصب بعد الصدّ دائم
 جدّد الذكر لعهد متقدّم
 يا ترى يهدمه من بعد هادم
 للصبا يومئذ هبت سمائم
 لا أبالي و(أبو سلمان) سالم
 مستهل من سحاب متراكم
 مورد عذب وبخر متلاطم
 مؤذن العارض بالغيث لشائم
 يتبع الساجم منهلاً بساجم
 لا كم من يرويك عن كعب وحاتم
 ما روينا من أحاديث المكارم
 عالم المعروف والناس عوالم
 وهدهم كانت الخلق بهائم
 للعلّا ركناً وللدّين دعائم
 في مفاتيح العطايا والخواتم
 عبق الأخلاق عطري النسائم
 هكذا فلنك أبناء الأكارم
 من (بني هاشم) ما أورث هاشم
 أي فرع من فروع الفخر ناجم
 في المعالي ليس ترقى بالسّلام

(*) في الطبعة (1): وفي الطراز الأنفس (يلحو) ولعل الصواب ما أثبتناه.

بأبي الأشراف عن بأسٍ لهم
وتوالت من يديهم أنعم
لي ولي منكم وأنتم أهلها
فجزيتم سيدي عن شاعرٍ
مثل ما هبت صباً من (حاجر)
ولينعمائك فينا أثر
هل درى السيّد في ما قد درى
إن (هنداويكم) (***) في كربة
تاب مما قد جنى من ذنبه
ولهذا أنا باستعطافكم
إن تشأ أنفدته أو لا فلا
فتعطف سيدي والطف به
دمت لي ظلاً ظليلاً وله

أعربت سمر القنا وهي أعاجم
فاز من كان لها ما عاش لاثم (*)
نعم ترفعني فوق النعائم
ناثر فيكم مدى الدهر وناظم
ترقص الأغصان منها بالكمائم
إن أثارك أثار الغمام
أم هو الآن بما أعلم عالم
ما له منها سواك اليوم عاصم
وعلى التوبة قد أصبح نادم
قارع بالطف أبواب
فعلى أيهما أصبحت عازم
وعاليه إنه مولاي خادم
إنما ظلك للراجلين دائم

(٢٤٠)

وقال يمدحه أيضاً ويهنيه بعيد الفطر [وهي من الرمل]:

جسد أشبه شيء بالخيال
وعيون نثرت أدمعها
دنف لولا هواكم ما اغتدى
قد براه الشوق فيكم فأنبرى
معرضاً عن عاذل في حبكم

وفؤادي عن هواكم غيرُ سال^(١)
لثغورٍ نُظمتَ نَظْمَ اللَّالي
مع حُسنِ الصِّبرِ في أسوأ حال
وهو لا يمتاز من عود الخلال^(٢)
لم يكذبُ يصغي إلى قيلٍ وقيل

(١) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (أوج) وكذلك غناها الأستاذ يوسف عمر بمقام (أوج) أيضاً.

(٢) عود الخلال: هو عود الأراك الذي تخلل به الأسنان وهو السواك.

(*) في الطبعة (١): (لاثم) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (هندواتكم) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يا خليلي وهل من مُسعدٍ
هل تريحونَ مُحِبًّا من جوى
وخيالِ زارني منكم فما
هيَّجَ النارَ التي أعهدُها
ضاربٌ لي مثلاً منكم وما
وبذكراكم على شحطِ النوى
إنَّ بـ(الشَّعبِ) سقى الشَّعبَ الحيا
نَظَّمْتَنَا الرَّاحُ في أسلاكه
كان للهُوبه لي منزلٌ^(١)
سَنَحَتْ فيه الظُّبا واقتنصت
سَحَرْتَنِي يا تَرى من ذا الذي
ورمَّني فأصابت مَقْتلي
كم أرتني لا أرتها راحةً
نَظَرَاتُ كُنْتُ قد أرسلتُها
ليت شِعْري يومَ صَدَّتْ زَيْنَبُ
مَوْقِفِ التَّوْدِيعِ كم أجريت لي
لم أجِدْ فيكَ التَّفَاتاتِ إلى
أين لا أين لِنُوقِ أَصْبَحَتْ
قد ذَكْرْنَا عَهْدَكُمْ من بعدكم
انقَضَى العَهْدُ جَمِيلاً وانقَضَتْ
كنت مَشْغَوْفاً فلما أن بدا
وأراني في خُطوبٍ طَبَّقتُ

لشَجِّ أصبحَ مَشْغَوْفاً بخالي
أو تَبُّلُونِ غَلِيلاً ببلال
زادني إذ زارني غيرَ خَبال^(*)
ذاتَ إيقادٍ بقلبي واشتعال
لِوَجْوهٍ أَجْتَلِيها من مثال
كيف لا أَشْرَقُ بالماءِ الزلال
زمنًا مرَّ بوصلِ الغيدِ حالي
في لَيالٍ مثلَ أيامِ الوصال
غُرَّةٌ في الأَعْصِرِ الدُّهُمِ الأوالي
مُهْجَةٌ الضَّيْغَمِ أَحْداقُ الغزال
عَلَّمَ الأحْداقَ بالسَّحْرِ الحلال
يا سُلَيْمى ما لِعَيْنَيْكَ وما لي
غيرَ ما يخطرُ منهنَّ ببالي
وبها يا (سَعْدُ) قد كان وبالي
لملالٍ كان منها أُمُّ دلال؟
عَبَّراتٍ رَخُصَتْ وهي غوالي
كَبِيدِ حَرَّى ولا دمعٍ مُذال
تَتَرَأى بينَ حِلِّ وارْتِحال
فَتَعَلَّلْنَا بأنفاسِ الشَّمال
دولةٌ كانتَ لربَّاتِ الحِجال^(**)
وَضَحَّ الشَّيْبِ بِفَوْدِيَّ بَدَا لي
أنا والأيامُ في حَرْبِ سِجال

(١) في الأصول: (كان للهو به لي منزلاً). من وهم النساخ.

(*) في الطبعة (١): (خيال) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الرجال) وصوابها من الطراز الأنفس.

من رأني قال لي ممّا أرى
 لستُ مُنحَطّاً بها عن رتبة
 من مُثيبي سعة العيش وإنّ
 مَورِدُ أَصْدُرٍ عنه بالذي
 إنْ تَقَدَّمْتُ إليه فالْمُنَى
 وإذا أَبْصَرْتُ منه طُأعَةً
 لم تَطِشْ دَهْيَاءُ ما وَقَرَهَا
 ومُزِيلٌ كُلِّ خَطْبٍ فَداحِ
 لم تَكَدْ تُحْصِي سَجَاياه التي
 وخلالِ يَشْرَفُ المَجْدُ بها
 مُتَّبِعِ الحُسْنَى بحُسْنَى مثْلِها
 رجلٌ أوتِي من خِالِقِهِ
 يَتَوَالَى مُنْعِمًا إِحْسَانَهُ
 وله اللهُ فِغَاياتِ العُلا
 أَلْ بَيْتِ كُلِّ خَيْرٍ فِيهِمْ
 سادةِ الدنِيا وأعلامِ الهدى
 بأبِي من سادةِ أَدْحَرُهُمْ
 قَوْمُوا السِّدِينَ وشادوا مَجْدَهُ
 دَوْحَةً شامِخَةً منها الذِرا
 كَمَلِ الفَضْلِ بِهِمْ بَهْجَتَهُ
 شَغَلَ الشُّكْرُ لِسَانِي وَيَدِي
 رُحْتُ أَسْتَحْلِي قَوافِيَّ بِهِ
 لِعَطاءِ غيرِ مَمْنونٍ ولا
 إنْ لي فِـيهِ ورَبِّي أَملاً
 فكَأَنِّي روضَةٌ باكَرَها
 لا أرى مُنْفَصِلاً عن ثِروَةٍ

هكذا تَصْنَعُ بِالْحُرِّ الأيالي
 ومُقامي من (عليّ) القَدْرُ عالي
 كنتُ منها اليومَ في ضيقِ مَجالِ
 أَبْتَغِيهِ مِنْهُ في جَاهٍ ومالِ
 من نَداهُ وَالعَطاءِ المُتَوالي
 راعَنِي بينَ جَمالٍ وجَلالِ
 من حُلومِ راسِياتِ كالجِبالِ
 للرزايا غيرَ مَرْجُوِّ الزوالِ
 رَفَعَ اللهُ بِها بَيْتَ المعالي
 يُعَرِّفُ المَعروفُ من تلكِ الخِلالِ
 يَصِلُ الدَهْرَ بِها والدَهْرُ قالِ
 صَوْلَةٌ تُرغِمُ أنافَ الرِجالِ
 وأجَلُ الغَيْثِ ما جِئكَ تالي
 نالَ أَقْصاها على بُعْدِ المَنالِ
 أَلْ بَيْتِ المِصْطَفَى من خَيْرِ آلِ
 مُنْقِذِي العالَمِ من هُلْكِ الضَّلالِ
 لِمَعاشِي ومَعادِي ومَالي
 تَقَفُوا السُّوددَ تَثْقِيفَ العَوالِي
 أنا مِنْها أبداً تحتَ ظِلالِ
 أينَ بَدَرُ التَّمِّ من هذا الكِمالِ
 بـ(عليّ) بعدَ (محمود) الفِعالِ
 وَهِيَ فِيهِ أَبَدُ الدَهْرِ حَوالِي
 يُحَوِّجُ العَافِي إِلَيْهِ بالسُّؤالِ
 مُنْجَزَ المِيعادِ من غيرِ مِطالِ
 صَيَّبَ المِزْنَ وحالاً بعدَ حالِ
 وبِعالِيائِكَ مَولايَ اتِّصالِي

نَلْتُ فَبِكَ الْخَيْرِ حَتَّى إِنِّي
مُنْعَمٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ نِعْمَةً
لَا بَرَّاحُ عَنْ مَغَانِي سَيِّدِ
حُزَّتْ أَجْرَ الصَّوْمِ فَاهْنَأُ بَعْدَهُ

صِرْتُ لَا أَطْمَعُ إِلَّا بِالْمُحَالِ
وَكَذَاكَ الْمُفْضِلُ الْعَذْبُ النَّوَالِ
وَلَدَى عَلَيَّاهُ حَطَّتْ رِحَالِي
سَيِّدَ السَّادَاتِ فِي هَذَا الْهَلَالِ

(٢٤١)

خَلِيلِي هَلْ لِي بَعْدَ (أَسْنَمَةِ النَّقَا)
فَقَدْ حَالٌ - لَا حَالٌ - اِشْتِيَاقٌ إِلَيْهِمْ
حَمَلْتُ هَوَاهُمْ يَا (هُذَيْمٌ) عَلَى النَّوَى
فَصِرْتُ إِذَا لاحتَ لَعَيْنِي أَرْسَمُ
أَكْفُكْفُ مِنْ عَيْنِي دَمْعِي خَشْيَةً
أَفِي كُلِّ رَسْمٍ دَارَسَ لِي وَقَفَهُ
وَأَرَعَى نُجُومَ اللَّيْلِ وَهِيَ طَوَالِعُ
لَعَلَّ خَيْالاً طَارِقاً مِنْكَ فِي الْكُرَى
وَأَرْسَلُ فِي طَيِّ النَّسِيمِ تَحِيَّةً
نَظِيرُكَ مَكْحُولُ النَّوَاطِرِ خَلْقَةً
فَإِنْ نَظَرْتُ عَيْنَاكَ عَيْنِي تَارَةً
وَمَا فَتَنَةُ الْعُشَّاقِ إِلَّا نَوَاطِرُ
عَصِيَّتْ بِكَ الْعُدَّالُ فِي طَاعَةِ الْهَوَى
وَمَا أَثْقَلَ الْقَوْلُ الَّذِي لَأْمَنِي بِهِ
وَلَيْسَ يُعِينُ الْمُسْتَهَامَ عَلَى الْأَسَى

بِ(سَلْعٍ) إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ وَصُولُ
مَرَّاحُ فِي مَا بَيْنَنَا وَرَحِيلُ
وَمَا كُلُّ صَبٍّ يَا (هُذَيْمٌ) حَمُولُ
بِدَارِ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَطُلُولُ
مَنْ الْوَاشِ أَنْ يَدْرِي بِهَا فَتَسِيلُ
تَطُولُ عَلَيْهِ أَنْتَهُ وَعَوِيلُ
إِلَى حِينَ تَلْقَى الْغَرْبَ وَهِيَ أَفُولُ
فِي شَفَى عَلِيلٌ أَوْ يُبَلُّ غَيْلُ
إِلَيْكَ وَمَا غَيْرُ النَّسِيمِ رَسُولُ
غَرِيرٌ غَضِيضُ النَّوَاطِرِينَ كَحِيلُ
رَأَيْتُ سَيْوْفَ الْحَتْفِ كَيْفَ تَصُولُ
تُصَابُ قُلُوبٌ عِنْدَهَا وَعُقُولُ
إِذَا لَامَ جَاهُلاً لَأْنَمٌ وَعَذُولُ
وَإِنْ كُنْتُ مُشْتَدُّ الْقُوَى لَأَضَائِلُ
مَنْ الْوَجْدِ إِلَّا صَاحِبُ وَخَلِيلُ

جَسَدٌ ذَابَ نُحُولاً وَسَقَامَا
 دَنَفٌ لَوْلَا تَبَارِيحُ الْجَوَى
 مَا الَّذِي أُوجِبَ مَا جِئْتُمْ بِهِ
 يَا أَبَاةَ الضَّئِيمِ مَالِي وَلَكُمْ
 أَظْهَرَ الصَّبْرَ وَعِنْدِي غَيْرُهُ
 وَأُرَانِي جَلِيداً فِي مَا أُرَى
 إِنَّ بَرَقاً شِمْتُهُ مِنْ جَانِبِ الـ
 وَيَحُ قَلْبِ الصَّبِّ لَمْ لَا يَنْنُنِي
 مَا بَكَى الْمُغْرَمُ إِلَّا بَدَمِ
 قَوْضِ الرُّكْبِ وَأَبْقَى لِي الْأَسَى
 وَنَأَتْ سَلْمَى فَهَلْ مِنْ مُبْلَغِ
 خَفَرَتْ مِنْ عَاشِقٍ ذَمَّتَهُ
 لَسْتُ أَنْسَى السَّرْبَ أَشْكُو بَعْدَهُ
 رَاحَ يَرْمِينِي بِسَهْمِي نَاطِرِ
 أَيُّهَا الرَّامِي فَوَادِي عَبَثاً
 مَا لِمَنْ حَلَّلَ قَتْلِي فِي الْهَوَى
 أَرَأَيْتُمْ أَنَّنِي مِنْ بَعْدِكُمْ
 إِنَّ يَلَاقِ الصُّبْحُ مَا لَاقَيْتُهُ
 بَرَزَتْ أَسْمَاءُ أَوْ أَتْرَابُهَا
 يَتَنَاجِيْنَ بِإِيْلَامِ فَتَى
 قُلْنَ لَوْرَامَ وَمَا فِي بَاعِهِ
 يَا نِسَاءَ الْحَيِّ خَاصِمْتُنِّي

وَفَوَادُ زَيْدٍ وَجِدْأً وَغَرَامَا
 جَعَلَ اللَّانِمُ فِي الْحُبِّ إِمَامَا
 مِنْ صُدُودٍ وَعَلَامَا وَإِلَامَا؟
 أَفْتَرَضُونَ بِمَثَلِي أَنْ يُضَامَا
 غَيْرَ أَنِّي أَكْتُمُ الْوَجْدَ اكْتِتَامَا
 مِنْ أُمُورٍ أَعْرَقَتْ مِنِّي الْعِظَامَا
 عَارِضِ الْوَسْمِيِّ أَبْكَانِي ابْتِسَامَا
 فَإِذَا قَلْتُ اسْتَفْقِ يَا قَلْبُ هَامَا
 بَلْ كُفْمِيهِ وَمَا بَلُّ أَوَامَا
 لَا الْجَوَى وَلِي وَلَا الصَّبْرُ أَقَامَا
 مِنْكُمْ عَنِّي إِلَى سَلْمَى سَلَامَا
 إِنَّ لِلْعُشَّاقِ فِي الْحُبِّ ذَمَامَا
 كَبِدًا حَرَّى وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا
 غَنَجِ أَحْوَى وَيُدْمِينِي قَوَامَا
 بُؤْتُ بِالْوِزْرِ وَقُلْدْتُ أَثَامَا
 حَرَمَ الْوَصْلِ وَمَا كَانَ حَرَامَا
 فِي عَذَابٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا غَرَامَا
 أَصْبَحَ الصُّبْحُ لِمَا يَلْقَى ظَلَامَا
 يُوقِرَنَّ السَّمْعَ عَذْلًا وَمَلَامَا
 ضَيِّعَ الْحَزْمَ فَلَمْ يَشُدُّ حَزَامَا
 قَصَرَ أَدْرَكَ بِالسَّعْيِ الْمَرَامَا
 حَسْبُكَنَّ الدَّهْرُ مِنْكَنَّ خِصَامَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

لَو تَنَبَّهْتُ لَهَا مَجْتَهِدًا
أَوْ رَأَى الْمَقْدُورَ فِينَا رَأْيَهُ
أَبْرَحُ الدَّهْرَ عَلَى مَا لَمْ أُرِدْ
لَمْ يَلِنَ لِلدَّهْرِ مِنِّي جَانِبٌ
وَعَنَاءٌ كُلُّهَا أُمْنِيَّتِي
بـ(أبي محمود) يَنْبُوعُ النَّدَى
وَأَرَى كُلَّ عَمَلِيٌّ دُونَهُ
أَنْفَقَ الْعُمْرَ جَمِيلًا فَلْيَدُمْ
وَيَمِينًا إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِدْ
فَسَأَلُوهُ هَلْ خَلَا مَمَّا بِهِ
أَمْ تَخَلَّى مِنْ جَمِيلِ سَاعَةٍ
كَمْ لَهُ مِنْ نَظَرَةٍ فِي رَأْفَةٍ
ذَلِكَ مُسْتَصْعَبَاتٌ لَمْ يَكْدُ
أَسْتَقِلُّ الْأَنْجَمَ الرَّهْرَهْلَهُ
وَلَوْ أَنَّ كَلَامَتَهُ فِي لَوْلِيٍّ
تَجْتَلِي قَرْمًا إِمَامًا بِالنَّدَى
وَحَسَامٍ بَاتِرٍ لَا سِيَّمًا
فَنَوَالُ نَابٍ عَنِ وَبْلِ الْحَيَا
رَفْعَةٌ قَدْ شَهَدَ الْخَصْمُ لَهَا
وَالسِّيَهْ وَإِلَى عَلِيَّيَاهُ
وَكَأَنِّي وَكَأَنَّ شِعْرِي لَهُ
بِالطَّوِيلِ الْبَاعِ بِالسَّامِيِّ الذُّرَا
وَعَلَى مَا هُوَ فِيهِ لَمْ يَزَلْ
وَالكَرِيمِ النَّفْسِ لَا عَن غَرَضٍ
هَكَذَا النَّاسُ إِذَا قِيلَ النَّدَى

كَيْفَ بِالْحِظِّ إِذَا مَا الْحِظُّ نَامَا
مَا تَكَلَّفْتُ نُهوضًا وَقِيَامَا
وَرَزَايَاهُ اصْطِكَكَاً وَاضْطِرَامَا
حَيْثُ لَمْ أَسْتَعْطِفِ الْقَوْمَ اللَّئَامَا
فِي زَمَانٍ أَنْ أَرَى النَّاسَ كِرَامَا
أُبْصِرُ الْأَعْلَامَ أَطْلَالًا رُكَامَا
فَتَعَالَى ذَلِكَ الْقَرْمُ الْهُمَامَا^(١)
وَجَمِيلُ الصَّنْعِ أَنَّى دَامَ دَامَا
فِي مَنَامٍ لَمْ يَذُقْ قَطُّ مَنَامَا
يَصْنَعُ الْبِرَّ فَيُولِيهِ الْأَنَامَا
مِنْ زَمَانٍ غَيْرَ مَا صَلَّى وَصَامَا
أَيَقِظْتُ لِي أَعْيُنًا كُنَّ نِيَامَا
يَمْلِكُ الْقَائِدُ مِنْهُنَّ زِمَامَا
أَنْ تُرَى فِيهِ نَثَارًا وَنِظَامَا
وَمَنْ السُّلُوءُ مَا كَانَ كَلَامَا
بِأَبِي ذِيَالِكِ الْقَرْمِ الْإِمَامَا
إِنْ هَزَزْنَاهُ عَلَى الْخَطْبِ حُسَامَا
وَجَمَالٍ يُخْجَلُ الْبَدْرُ التَّمَامَا
قَعْدَ الْغَارِبِ مِنْهَا وَالسَّنَامَا
أَيْتُقُّ^(*) الرَّاجِينَ أَمَسَتْ تَتْرَامِي
مُسْتَمِيحٌ حَيْثُ شَامَ الْبَرْقِ شَامَا
عَرَفَ الْمَعْرُوفَ شَيْخًا وَعُغْلَامَا
أَوْ يُقَالُ التَّبْرُقُ قَدْ عَادَ رُغَامَا
أَيُّهَا أَرْكِي شَرَابًا وَطَعَامَا
سُحِبُ تَنْشَا جَهَامًا وَرُكَامَا

(١) نصب الشاعر (الهماما) على التخصيص.

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (أنيق) خطأ طباعي.

مَنْ سَوَى أَيْدِيهِ فِي فَرْطِ الظَّمَا
 كَلَّمَا اعْوَجَّتْ أُمُورِي وَالتَّوَتُ
 يَا (أبا محمود) يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ
 غَيْرَ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ
 أَفْطَرَ النَّاسُ جَمِيعاً غَيْرُنَا
 فَلَقَدْ هُنَّيْتُ [هُنَّيْتُ] (*) بِهَا
 وَابَقَ لِلْإِسْلَامِ رُكْنًا سَالِمًا

لَا أُرَانِي اللَّهُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَا
 قَوْمَ الْمُعْوَجِّ مِنْهَا فَاسْتَقَامَا
 رَحْمَةً لِلْخَلْقِ بَرًّا بِالْيَتَامَى
 أَنَا لَا أَمْلِكُ فِي الدُّنْيَا حُطَامَا
 وَبِقِينَا نَحْنُ فِي النَّاسِ صِيَامَا
 غُرَّةَ الْأَعْيَادِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامَا
 مُنْعَمًا يَا عِيدَنَا عَامًا فَعَامَا

(٢٤٣)

وقال متغزلاً [وهي من الطويل]:

أَقُولُ لـ(سعد) حِينَ لَأَمَ عَلَى الْهَوَى
 تَلُومٌ عَلَى مَا لَا يُفِيدُكَ لَوْمَةٌ
 وَإِنِّي عَلَى مَا بِي فَقَدْ يَسْتَفْزِنِي
 شَكْوَتُكَ مَا يَلْقَى فَوَادِي مِنَ الْأَسَى
 فَوَادٍ شَجَاهُ مَا شَجَى كُلٌّ وَامِقٍ
 أَرَى صَبُوءَ الْمُشْتَاقِ دَائِمَةَ الْمَدَى
 وَبَيْنَ الظُّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً
 وَيَا ظَبِيَّةَ (الوعساء) مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
 وَفِي الْقَلْبِ مَنِّي، وَالْغَرَامُ سَرِيرَةٌ
 ظَمًا لِنَّيَاكِ الْعَذَابِ وَإِنَّهَا
 رُضَابُكَ يُرْوِي الْقَلْبَ وَهُوَ مُمَنَعٌ
 وَلَوْلَاكَ مَا هَاجَتْ بِقَلْبِي زَفْرَةٌ
 وَلَا شَاقَنِي بَرَقٌ يُحَاكِي وَمِيضُهُ
 وَأَهْتَزُّ فِي ذِكْرِ (العُدَيْبِ) وَ(بَارِقِ)

أَيُّجْدِيكَ لَوْمَةٌ مَرَّةً فَتَلُومُ
 وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا لَأْتُمْ وَمَلُومُ
 غَرَامٌ بِسَلْمَى حَادِثٌ وَقَدِيمُ
 وَمَا كُلُّ مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ رَحِيمُ
 وَمَا هُوَ بَعْدَ الرَّاحِلِينَ مُقِيمُ
 فَمَا بِالْصَّبْرِ الصَّبُّ لَيْسَ يَدُومُ
 رِمَانِي فَلَمْ يُخْطِ الْحُشَّاشَةَ رِيمُ
 بَخَلْتِ لِي دَمْعٌ عَلَيْكَ كَرِيمُ
 وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا الدُّمُوعُ كَتُومُ
 عَذَابٌ لِقَلْبِي يَا أُمِيمَ الْإِيمِ
 وَطَرْفُكَ يَشْفِي الدَّاءَ وَهُوَ سَقِيمُ
 وَلَا هَاجَ مِنِّي أَرْبَعٌ وَرُسُومُ
 ثَنَائِيكَ إِذْ أَصْبُو لَهَا وَأَشِيمُ
 كَمَا مَالَ بِالْغُصْنِ الرُّطِيبِ نَسِيمُ

(*) في الطبعة (١): هذه الكلمة ساقطة من صدر هذا البيت وأثبتناها من الطراز الأنفسي.

وقال يمدح متصرف البصرة^(١) [وهي من الطويل]:

سَعَيْتَ لِهَذَا الْمَلِكِ بِالْهَمَّةِ الْكُبْرَى
وَسَرْتِ عَلَى نَبْلِ الْأَسْنَةِ لِلْعُلَا
لِنَيْلِ الْمُنَى جُزْتَ الْمَسِيرَ وَإِنَّمَا
إِذَا عَارَضَتْ دُونَ الْمَرَامِ بِحَيْرَةٍ
وَإِنْ رَقِمْتَ فَوْقَ الْأَنَامِ حَنَادِسُ
قَدِمْتَ قُدُومَ اللَّيْثِ غَابَةً شَبْلَهُ
دَرَى الْمَلِكِ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ فَوَادَهُ
رَقَيْتَ عَلَى كُرْسِيِّهِ فَأَزْنَتَهُ
فَمَا هَذِهِ (الْفِيحَاءُ) إِلَّا قِلَادَةٌ
وَمَا هِيَ إِلَّا كَاعِبٌ قَدْ تَسْتَرَّتْ
فَجُوزَاءُ أَفْقٍ بِالدَّرَارِيِّ تَمْنُطَقَتْ
لَقَدْ مَطَلَتْ بِالْوَعْدِ عَصْرًا وَعَاوَدَتْ
تَزَوَّجَتْهَا أَيَّمَا عَجُوزًا مُسِنَّةً
فَحُكَّتْ لَهَا ثُوبُ الْمَفَاخِرِ بِالْنَدَى
وَهَيَّاتُ مِنْ نَقْدِ الْعَوَالِي صَدَاقَهَا
قَدِمْتَ لَهَا مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهَا
فَعُدْتَ إِلَيْهَا بِالتَّقَرُّبِ بَعْدَمَا
تَدَانَيْتَ مِنْهَا كَالهَلَالِ وَلَمْ تَزَلْ
وَوَدَعْتَهَا مَكْرُوبَةَ اللَّبِّ وَالْحَشَا

فَأَدْرَكَتَ [فِي] (*) أَفْنَائِهَا الدَّوْلَةَ الْغَرَا^(٢)
وَمِنْ رَامَ إِدْرَاكَ الْعُلَا رَكِبَ الْوَعْرَا
(يَخُوضُ عُبَابَ الْبَحْرِ مِنْ يَطْلُبُ الدَّرَا)
مِنَ الْحَتْفِ صَيَّرْتَ الْحَدِيدَ لَهَا جِسْرَا
جَلَيْتَ مِنَ الرَّأْيِ السُّدِيدِ لَهَا فَجْرَا^(٣)
وَنَزَهْتَ هَذَا الْمَلِكُ بِالنِّيَّةِ الْخَضْرَا
فَضَمَّكَ مِنْهُ حِينَ أُسْكِنَكَ الصَّدْرَا
فَأَصْبَحْتَ كَالْتَّوْرِيدِ فِي وَجْنَةِ الْعَدْرَا
وَنَحْرُكَ مِنْ كُلِّ النُّحُورِ بِهَا أُخْرَى
قَدْ اتَّخَذْتَ خَيْسَ الْأَسْوَدِ لَهَا خَدْرَا
مَخْدَمَةٌ تَسْتَعْدِمُ الْبَيْضَ وَالسُّمْرَا
فَجَادَتْ بِوَصْلِ بَعْدَمَا مَطَلَتْ دَهْرَا
فَأَضَحْتَ لَدَيْكَ الْآنَ كَاعِبَةً بِكْرَا
وَأَلْبَسْتَهَا مِنْ بَأْسِكِ الْحُلَّةَ الْخَضْرَا
وَأَنْقَدْتَ مِنْ بَيْضِ الْحَدِيدِ لَهَا مَهْرَا
فَكُنْتَ لِعَوْرَاءِ الزَّمَانِ لَهَا سَتْرَا
عَلَاهَا قُنُوطٌ أَنْ تَعُودَ لَهَا أُخْرَى
تَنْقُلُ حَتَّى عُدْتَ فِي أَفْقِهَا بَدْرَا
وَأُبْتُ وَأَبَدْتُ مِنْ مَسَرَّتِهَا الْبُشْرَى

(١) لم يتبين لنا المدح بهذه القصيدة. ويبدو أنه محمد نامق باشا. لأنه ولي العراق مرتين وكان قد نفى بعض الأشرار والمفسدين إلى البصرة. ثم عفا عنهم. وفي القصيدة إشارة إلى ذلك.

(٢) لم ترد هذه القصيدة في الأصول. وهي رقم ١٤ في مخطوطة شعر الأخرس.

(٣) في المطبوعة: (لها جسرا) القافية مكررة من غلط الطباعة.

(*) في الطبعة (١): هذه الكلمة ساقطة، وأثبتناها من مخطوطة شعر الأخرس، مصدر سابق، ص(٥٢).

فقد كان هذا الأمر في نفسها سرّاً
إليك وتُحيي ليلها كلّه سَهْرِيْ (*)
لوصلك وقتاً لم تجدْ دونه عذراً
وأحدثت في أجفانها الفتك والسحراً
ووشحت منها في صنائعك الخصرأ
ولو لم تكن في أرضها أصبحت صفراً
ك(يوسف) إذ ولّاه خالفه (مصرأ)
ولم تصطنع غدرأ لمن صنع الغدرأ

فإن طأوعتك اليوم جهراً وصالها
فكم مرأ أن وهي تكتم شوقها
لأمر القضا كادت تفرأ إذا رأت
لقد أهدقت بعد العمى بك عينها
وحلّيت في سلك العزائم جيدها
وزيّنتها حتى حكى التبر تريبها
فصرت بها لمأ حللت بصدرها
فلم تجز أهل المكر يوماً بمكرهم

(٢٤٥)

وقال مؤرخاً ورود سفينة الشيخ سليمان الزهير^(١) (فتح الخير) [وهي من البسيط]:

أهدى السفائن في سير وأجراها
وما تخالف مسراه ومسراها
(سفينة البحر باسم الله مجراها)^(٢)

سفينة صنعت بالهند إذ صنعت
طوع الهواء متى تجري جرت معه
جاءت من البحر تجري فيه أرخها

(٢٤٦)

وقال يمدح السيد سلمان القادري النقيب^(٣) [وهي من الوافر]:

كحيل الطرف ممشوق القوام
خيول الصبح في جنح الظلام
على الباقين من أولاد حام

أدار الكأس صافية المدام
وقد ركضت بأقداح الحميا
وأبصر غارة^(**) من آل سام

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٩).

(٢) مجموع حساب التاريخ يساوي سنة (١٢٦٠هـ).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

(*) في الطبعة (١): (سرأ) و صوابها من مخطوطة شعر الأخرس، ص (٥٣).

(**) في الطبعة (١): وفي الطراز الأئفس (غادة) خطأ طباعي ولعل الصواب ما أثبتناه.

ومالت للغروب نجوم أفق
ونحن بروضة تندی فتبدي
وقد أملت حمائمها علينا
أقمنا بين أفناء الأغاني
تلذ لنا القيان بها سماعاً
وما رقصت غصون البان إلا
فمن طرب إلى طرب توالى
رضعنا من أفويق الحميا
نفض ختامها مسكاً زكياً
تحل بها المسرة حيث حلت
عصينا من نهى عنها عتواً
وحرمتنا الحلال على الندامي
وكم يوم تركنا الزق فيه
وعجنا بالكؤوس إلى التصابي
وليل يجمع الأحباب شملاً
وباتت تسعف الأذات فيه
فمن وجهه تقرب به عيوني
فیبعث بالسُرور إلى فؤادي
وقد طاب الزمان فلا رقيب
وما أهنأ شمس الراح تترى
وغانية تجود إذا استميت
فما عدرت لمشتاق بعهد
تركت العاذلين بها ورائي
تغير بوجهها الأعمار معنى
كأني قد أخذت على الأيالي
ومن أضحى إلى (سلمان) يعزى

كما نثر الجمان من النظام
لنا شكران آثار الغمام
من الأوراق آيات الغرام
وما اخترنا المقام بلا مقام^(١)
إذا اتصلت بمنقطع الكلام
لما سمعته من لحن الحمام
ومن جام سعى في إثر جام
وقلنا لا منعنا بالفطام
وكان الدن مسكياً الختام
ودبت بالمفاصل والعظام
وفزنا بالمعاصي والأثم
وما يغني الحلال عن الحرام
جريحاً من يد الندمان دامي
وما عجننا لأطلال رمام
بمن نهوى شديد الإلتحام
ببنت الكرم أبناء الكرام
ومن رشف أبل به أوامي
ويهدي بالشفاء إلى سقامي
يكدر صفو عيشي بالملام
وقد أخذت عن البدر التمام
بطيب الوصل بعد الإنصرام
ولا خفرت لصب بالدمام
وقدمت السرور بها أمامي
إذا وأفتك بارزة اللثام
عهود الأمن من ريب الحمام
وخدمته فمحمول السلام

(١) المقام الأول: من الإقامة، المنزل. والمقام الثاني: الغناء. وهو المقام العراقي.

أَصَبْتُ بَنِيْلَهُ أَمَلًا بَعِيدًا
كَأَنِّي أَسْتَزِيدُ نَدَى يَدَيْهِ
وَكَمْ نَعَمَ لَهُ عِنْدِي وَأَيْدٍ
وَصَالِحَتْ الْخُطُوبُ عَلَى مُرَادِي
وَمَا انْفَصَلَتْ عُرَى أَمَلٍ وَثِيقٍ
مَكَانَ تَمَسُّكِي بِالْعَهْدِ مِنْهُ
وَسَيَّالِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَطَايَا
إِذَا مَا فَاتَنِي التَّقْبِيلُ مِنْهَا
تَمَامَ جَمَالِهِ خُلُقٍ رَضِيٍّ
وَتِلْكَ خَلَاتِقُ خُلُصَتٍ فَكَانَتْ
فَتَى فِي النَّاجِبِينَ لَقَدْ أَرَانِي
رَكِبْتَ إِلَيْهِ مِنْ أَمَلِي جَوَادًا
فَأَبْرَقَ وَاسْتَهَلَّ وَرَحَّتْ أُرْوِي
كَمَا نَزَلَتْ عَلَى أَرْضِ سَمَاءٍ
فَأَمْسَى كُلُّ أَوْنَةٍ قَرِيضِي
أَرَى مَدْحِي لِأَلِ الْبَيْتِ فَرَضًا
أُمَّةَ مَأْتَةِ الْإِسْلَامِ كُلِّ
وَمَا شَرَفَ الْأَنْبَاءِ بِغَيْرِ قَوْمٍ
أَفَاضُوا بِالْعَطَاءِ لِمُجْتَدِيهِمْ^(١)
وَكُلُّ مَنْهُمْ لَيْثٌ هَمُورٌ
بِنَفْسِي سَيِّدًا فِي كُلِّ حَالٍ
ظَفَرْتُ بِهِ حُسَامًا لَيْسَ يَنْبُو
وَقَدْ يُدْعَى الْكَرِيمُ إِلَى نَوَالٍ
وَعِنْدِي فِي صَنَائِعِهِ قَوَافٍ
وَشِعْرِي فِي صِفَاتِ (بَنِي عَلِيٍّ)
سَأَطْرِبُ فِي مَدِيحِكَ كُلِّ وَاغٍ

وَمَا طَاشَتْ بِمَرْمَاهَا سِهَامِي
بَشْكَرَانِي لِأَيْدِيهِ الْجِسَامِ
رَغَمْتُ بِهِنَّ أَنْفَافَ اللَّئَامِ
وَكُنْتُ عَهْدْتُهَا لُدَّ الْخِصَامِ
وَفِيهِ تَمَسُّكِي وَبِهِ اعْتِصَامِي
مَكَانَ الْكَفِّ مِنْ ظُبَّةِ الْحُسَامِ
تَسْيِيلُ مِنَ الْعَطَاءِ لِكُلِّ ظَامِي
فَلَيْسَ يَفُوتُنِي نَوْءُ الْغَمَامِ
وَحَسْبُكَ مِنْهُ بِالْبَدْرِ التَّمَامِ
نُضَارًا لَا تُدْنَسُ بِالرَّغَامِ
وَقَارَ الشَّيْخِ فِي سِنِّ الْغَلَامِ
بَعِيدِ الْخَطُوبِ جَوَابِ الْمَوَامِي
سِجَامِ الْقَطْرِ عَنِ الْقَطْرِ سِجَامِ
تَسْيِيلُ عَلَى الْأَبَاطِحِ وَالْأَكَامِ
يُغَرِّدُ مِنْهُ تَغْرِيدَ الْحَمَامِ
كَمُفْتَرَضِ الصَّلَاةِ أَوْ الصِّيَامِ
يُقَالُ لَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
هُمْ مُذْ كُونُوا شَرَفَ الْأَنْبَاءِ
وَلِلْأَعْدَاءِ بِالْمَوْتِ الزَّوَامِ
وَيَحْرُ مِنْ بُحُورِ الْجُودِ طَامِي
يَرَى فِيهَا احْتِشَامِي وَاحْتِرَامِي
نُبُو مَخَارِبِ السَّيْفِ الْكَهَامِ
كَمَا يُدْعَى الشُّجَاعُ إِلَى صِدَامِ
يَخْشِقُ بِهِنَّ صَدْرُ الْإِكْتِمَامِ
رُفِعَتْ بِهِ إِلَى أَعْلَى مَقَامِ
وَلَا طَرِبَ الشَّجِيَّ الْمُسْتَهَامِ

(١) في الأصول: (أفاضوا بالعفاة لمجديهم) وما أثبتناه أوصوب.

وقال يمدحه أيضاً [وهي من المتقارب]:

وقد بدّل البين تمثالها
فما خالها تلك من خالها
تُقطّع بالوجد أوصالها
فما قلت يوماً ما لها
يُهَيِّجُ لِلنَّفْسِ بَلْبَالَهَا
لِعَهْدِ الصَّبَابَةِ وَأَعْتَالَهَا
وَأَعْصِي بِلَهْوِي عَذَّالَهَا
مِنَ السُّكْرِ بِالرَّاحِ مِيَّالَهَا
جَمَعْتُ مَعَ الْقُرْطِ خُلْخَالَهَا
لَمَاهَا وَأَشْرَبَ جِرِيَّالَهَا
فَقَدْ كَانَ لِحُظِّكَ قَتَّالَهَا
بِجَنَحِ دُجَى قَدْ حَكَى خَالَهَا
فَتَحَكَّى الْمَصَابِيحُ سِيَّالَهَا
جَاذِرُ تَصْرَعُ أَبْطَالَهَا
إِذَا هَصَرَ الصَّبُّ عَسَّالَهَا
وَإِنْ كُنْتُ أَعْمَلْتُ إِهْمَالَهَا
إِذَا أَنَا أَبْدَيْتُ إِجْمَالَهَا
زَفِيْفَ النَّعَامَةِ أَوْ رَالَهَا
عُرُوضَ الْبِلَادِ وَأَطْوَالَهَا
وَرُضْتُ الْخَطُوبَ وَأَهْوَالَهَا
وَعَرَّفَنِي الدَّهْرُ أَحْوَالَهَا
حَمَلْتُ الْمَرْوَةَ أَثْقَالَهَا
لَأَشْكُو مِنَ الْعَصْرِ إِقْلَالَهَا

بَكَيْتُ الدِّيَارَ وَأَطْلَالَهَا
وَأَخْنَى عَلَيْهَا خَطُوبَ الزَّمَانِ
وَفِي مُهْجَتِي لِلجَوَى لَوْعَةٌ
لَقَدْ سَوَّلَتْ لِي سَيْلَ الدَّمُوعِ
تَذَكَّرْتُ عَصَرَ الصَّبَا وَالْهَوَى
وَمَا اخْتَلَسَ الدَّهْرُ مِنْ لَذَّةِ
زَمَانٍ أَعَاقِرُ فِيهِ الْعُقَارَ
وَأَمْشِي بِهَا مَرِحاً تَسْتَمِيلُ
وَكَمْ غَادَةٌ فِي لِيَالِي الْوِصَالِ
وَمَا زِلْتُ أَرْشَفُ مِنْ رِيْقِهَا
لِنَّ كَانِ رِيْقُكَ يُحْيِي النُّفُوسَ
وَسَاقِيَةَ عَمَّهَا حُسْنُهَا
تُدِيرُ النُّضَارَ بِكَاسِ اللُّجَيْنِ
كُمَيْتاً تَجُولُ بِمِضْمَارِهَا
فِيَا طَيِّبَ مَعْسُولِ ذَاكَ اللَّامِي
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَهَا مَا مَضَى
لِيَالِي لَمْ أَبْدِ تَفْصِيَالَهَا
وَأُبْتُ لِمُشْبِهَةٍ فِي الْمَسِيرِ
كَأَنِّي تَكَلَّفْتُ مَسْحاً بِهَا
طَوَيْتُ الْقِفَارَ وَخَضْتُ الْبِحَارَ
وَجَرَّبْتُ أَبْنَاءَ هَذَا الزَّمَانِ
وَإِنِّي لَذَاكَ الَّذِي تَعْرِفُونَ
وَإِنْ قَلَّ مَا فِي يَدِي لَمْ أَكُنْ

وَأَنَا أَنْرَبْتُ فَاكْرَمَاتُ
 وَحَسْبُكَ مِنْ نِي يَدٍ أَصْبَحْتُ
 وَإِنْ أَعْضَلْتُ مُشْكِلَاتُ الْأُمُورِ
 وَقَافِيَةَ مِنْ شَرُودِ الْكَلَامِ
 وَأَرْسَالَهَا مَثَلًا فِي التَّنْأَاءِ
 فَتَى يَقْتَتَفِي إِثْرَ آبَائِهِ
 تَنَالُ مِنَ اللَّهِ نِعْمَ التَّنَوُّبُ
 تَفَجَّرَ مِنْ رَاحَتِيهِ النَّدَى
 مِنَ السَّادَةِ النَّجْبِ الطَّاهِرِينَ
 لَقَدْ طَهَّرَ اللَّهُ تِلْكَ الذُّوَاتِ
 بَنِي الْغَوْثِ غَوْثِ فُحُولِ الرَّجَالِ
 وَأَفْعَالُهَا فِي جَمِيعِ الصَّنِيعِ
 فَمَا زِلْتُ أَذْكَرُ تَفْضِيلُهَا
 بِكُمْ يُسْتَعَاثُ إِذَا مَا الْخَطُوبُ
 فَكُنْتُمْ مِنَ النَّاسِ أَقْطَابُهَا
 فَلَوْ خَلَّتِ الْأَرْضُ مِنْ مِثْلِكُمْ
 (أَبَا مِصْطَفَى) أَنْتَ صَوْبُ الْغَمَامِ
 وَقَدْ نَفَقْتُ فِيكَ سَوْقُ الْقَرِيضِ
 وَلَمَّا بَلَغْتَ الْمُنَى فِي الْعُلَا
 أَتَتْكَ النَّقَابَةُ تَسْعَى إِلَيْكَ

تُحَدِّثُ أُنِّي (*) فَعَالُهَا (١)
 تَطْوِلُ وَلَا ذُو يَدٍ طَالُهَا
 أزالَ وَفَسَّرَ إِشْكَالُهَا
 بِأَخْبَارِ (سَلْمَانَ) قَدْ قَالَهَا
 وَخَصَّ بِمَنْ شَاءَ إِرْسَالَهَا
 وَحَاكَّتْ مَزَايَاهُ أَفْعَالُهَا
 وَتُنْفِقُ لِلَّهِ أَمْوَالُهَا
 وَأُورِدَ مِنْ شَاءَ سَلْسَالُهَا
 تَزِينُ الْعُصُورَ وَأَجْيَالُهَا
 وَأَجْرِي عَلَى الْخَيْرِ أَعْمَالُهَا
 إِذَا اشْتَدَّ بِالنَّاسِ مَا هَالُهَا
 مِنَ الْبِرِّ تَسْبِقُ أَقْوَالُهَا
 وَمَا زِلْتُ أَشْكُرُ إِفْضَالَهَا
 أَهَالَتْ عَلَى الْخَلْقِ أَهْوَالُهَا
 وَكُنْتُمْ مِنَ النَّاسِ أَبْدَالُهَا
 لَزَلْزَلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (٢)
 وَيَا رَبِّمَا فُفَّتْ هَطَالُهَا
 وَكَانَ نَوَالِكُ دَلَالُهَا
 وَبَلَّغْتَ نَفْسِي أَمَالُهَا
 تَجْرُ مِنَ التَّيِّبَةِ أَدْيَالُهَا (٣)

(١) جعل الشاعر اسم إن وخبرها منصوبين وهي لغة كقول عمر بن أبي ربيعة:

خطاك خفافا إن حراسنا أسدا

إذا اسود جنح الليل فتأت فلتأت

انظر مغني اللبيب ٣٦/١.

(٢) تضمين من سورة الزلزلة، الآية (١).

(٣) أخذه من قول أبي العتاهية بمدح الخليفة المهدي العباسي:

إليه تجرر أذيالها

أنته الخلافة منقاداً

ديوان أبي العتاهية ص ٢٧٥.

(*) في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (بائي) ولعل الصواب ما أثبتناه.

وَأَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدهَا
 وِرَائِئُهُ أَبَانِكَ الطَّاهِرِينَ
 عَلَيْكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ نَرَى
 إِذَا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ أَهْلًا لَهَا
 فَقَدْ نِلْتَ مَا لَمْ يَنْلُهُ سِوَاكَ
 كَلَامُكَ يَشْفِي صُدُورَ الرِّجَالِ
 وَحَيْثُ أَحَلَّتْ بِهَا خُلَّةٌ
 وَكَمْ [مِنْ] (*) يَدُ لِكَ فِي الصَّالِحَاتِ
 وَإِنْ أَعْلَقْتَ بِأَبِهَا الْمَكْرُمَاتُ

وَأَبَدْتَ لِعِزِّكَ إِذْ لَأَلَهَا
 فَمَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ نَالَهَا
 وَجُوهَ السَّعَادَةِ إِقْبَالَهَا
 مِنَ الْأَنْجَبِينَ فَمَنْ ذَا لَهَا
 فَضَائِلَ نَشَكَرُ أَفْضَالَهَا
 وَيُرْضِي الْمُلُوكَ وَعُمَمَالَهَا
 سَدَدْتَ بِرَأْيِكَ إِخْلَالَهَا
 سَبَقْتَ مِنَ الْبِرِّ أُمَّثَالَهَا
 فَإِنَّكَ تَفْتَحُ أَقْفَالَهَا

(٢٤٨)

وقال [وهي من الطويل]:

إِذَا كَانَ خَصْمِي حَاكِمِي كَيْفَ أَصْنَعُ
 غَرَامِي غَرِيمِي وَهُوَ لَا شَكَّ قَاتِلِي
 أَبَاحَ دَمِي بَيْنَ الْوَرَى مَنْ أَحَبَّهُ
 دُمُوعِي شَهُودٌ أَنْ قَلْبِي يُحِبُّهُ
 وَرَامُوا سُلوِي فِي هَوَاهُ عَوَاذِلِي (١)
 أَنَا الْمَغْرَمُ الْمُضْنَى الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
 وَقَالُوا الْفَتَى فِي الْحُبِّ لَا شَكَّ هَالِكُ
 وَلَوْ عَلِمُوا مَا بِي مِنَ الْوَجْدِ وَالْأَسَى
 سَقَانِي سَحِيرًا مِنْ حُمِيًّا شَرَابِهِ

لِمَنْ أَشْتَكِي حَالِي لِمَنْ أَنْوَجِعُ (١)
 وَكَمْ ذَلٌّ مِنْ يَهْوَى غَرَامًا وَيَخْضَعُ
 فَقُلْتُ وَقَلْبِي بِالْهَوَى يَتَقَطَّعُ
 وَحَقُّ الْهَوَى عَنْ حُبِّهِ لَسْتُ أَرْجِعُ
 وَحَقُّ هَوَاهُ لَسْتُ أُصْغِي وَأَسْمَعُ
 وَفِي حُبِّهِ نَمُّوا الْوُشَاةُ وَشَنَّعُوا (٢)
 فَقُلْتُ دَعُوهُ كَيْفَمَا شَاءَ يَصْنَعُ
 لِرُقُوعِ لِحَالِي فِي الْهَوَى وَتَوَجَّعُوا
 فَطَبَّبْتُ وَكَأْسِي بِالْمُدَامَةِ مُتَّرَعُ

(١) غناها الشيخ أمين حسنين سالم، في القاهرة.

(٢) وراموا: لغة أكلوني البراغيت.

(٣) نموا: لغة أكلوني البراغيت.

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس هذه الكلمة ساقطة من الصدر مما يكسر الوزن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

ومن نشوتَي باحثٍ من الوجد عبّرتي
وأصبحتُ كـ (المجنون) في (حيّ عامرٍ)
فلو زارني بالنوم طيفٌ خيالهِ

بما في فؤادي والحشا متولّع
بـ (اليلَى) ومن وجدي أهيمٌ وأولع
لكنتُ بطيفٍ منه أرضى وأقنع

(٢٤٩)

متى ترني يا (سعدٌ) والشوقُ مزعجِي
أحْتُ إلى (نجدٍ) مطايا كأنّها
سوايحٌ يطوينُ الفدافِدَ بالخطى
تملُّ من الدار التي قد نُوتَ به
إذا استنشقتُ^(*) أرواحَ (نجدٍ) أهاجها
لعلّي أرى يا عينُ أحبابنا الألى
فمن مبلغُ الأحبابِ عني تحيةً
إذا ذكرتهمُ نفسٌ صبّ مشوقه
توقّدتِ النارُ التي في جِوانحي
فيا ليت لي في الحبِّ صبرٌ أحبّتي
ذكرتكمُ والدمعُ ينثُرُ نظمه
وإني لأستجدي من العينِ ماءها
وأكتُم عن صحبي غرامي وربّما
ومن أين تخفى لوعةٌ قد كتمتها
وقد قرأ الواشون سَطري صبايةً
فخذُ من عيوني ما يدلُّ على الجوى

بما هيّجَ التذكارَ من لاعجِ الوجدِ
لها قلبٌ مَفؤودِ الفؤادِ إلى (نجدِ)
ومسرجةٍ جردٍ لواعبٍ بالأيدي
ولكنّها ليست تملُّ من الوجدِ
جوى هاجٍ من مُستنشقِ الشيحِ والرندِ
وإن أعقبتِ تلك التّواصلَ بالصدِّ
تُنبيهمُ أني على ذلك العهدِ
رمتها صُروفُ البينِ بالنأيِ والبعدِ
إلى ساكني (وادي الغضا) أيما وقد
وعندَ أحبائي من الشوقِ ما عندي
لعمركمُ نظمُ الجمانِ من العقدِ
على قُربنا منكم وإن كان لا يجدي
لأظهره بالدمعِ بين بني ودي
مُحادرةً الواشي وبالرغمِ ما أبدي
بما كتبتُ تلك الدُموعُ على خدي
ومن حرّ أنفاسي دليلاً على الوجدِ

(*) في الطبعة (١): (استنشقت) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(٢٥٠)

رَبِّمَا تَحْلُقُ اللَّحَى الْكِيمِيَاءُ
رُوهْذِي الْمَقَالَةُ الشَّنْعَاءُ
سِ فِي حَلْقِهَا يَقْلُ الْجِزَاءُ
قَبْلَ هَذَا أَمْ لَيْسَ ثَمَّةَ مَاءُ
فِيهِ لَلدَاءِ فِي الذَّقُونِ دَوَاءُ
يَتَخَفَّى وَمَشْيُهُ اسْتَحْيَاءُ
صَدَقَ الْقَوْلُ إِنَّمَا الْحَلْقُ دَاءُ
وَالْمَجَانِينُ عِنْدَهُ حُكْمَاءُ
وَلَقَدْ خَابَ ظَنُّهُ وَالرَّجَاءُ
مِ فِي السُّدْبِرِ تُوضَعُ الْأَجْزَاءُ
وَلِهَذَا جَرَى عَلَيْهَا الْقَضَاءُ
هُوَ وَالسَّارِحُ الْبَبْهِيمِ سَوَاءُ
تَ مَعَ الْجَهْلِ تَسْعُدُ الْأَشْقِيَاءُ
وَعَلَيْهَا بَعْدَ الْخُبْيَاعِ الْعَفَاءُ
وَلَقَدْ يَعْقُبُ الضَّرَاطُ الْفُسَاءُ
(حَلَقْتُ شَعْرَ لِحِيَّتِي الْكِيمِيَاءُ)^(١)

هكذا كان فعلها الحُمقاءُ
أفكان الإكسيرُ والشُّعْرُ والبَعْدُ
كان عهدي به ولا لحيّةَ التيد
ليت شعري أريقَ ماءً عليها
لم يُعانِ الزرنِيخَ وهو لعمري
ذهبَ الشُّعْرُ والشُّعُورُ وأمسى
وَدَعَى أَنَّهُ أَصْـيِبَ بِدَاءِ
أَيِّ دَاءٍ إِذْ ذَاكَ أَعْظَمُ مِنْهُ
وَتَرَجَّى لِلْحَلْقِ أَمْرًا مُحَالًا
مَا سَمِعْنَا اللَّحَى بِهَا حَجْرُ الْقَوِّ
زَاعِمًا أَنَّهُمْ أَشَارُوا إِلَيْهَا
أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ حَقِيرٍ فَقِيرٍ
طَلَبَ السُّعْدَ بِالشَّقَاءِ وَهِيَهَا
نَهَبَتْ لِحْيَةَ الْمُرِيدِ ضِيَاعًا
لَيْتَهُ صَانَهَا وَلَوْ بِضَرَاطِ
لَمْ يَدَعِ شَعْرَةَ وَقَدْ قِيلَ أَرَحُّ

(٢٥١)

صَدَعَتْ بِهِ رَبِّبُ الْمَنُونِ صَفَاتَا^(٢)
وَتَشَتَّتُوا بِيَدِ الرِّدَى أَشْتَاتَا

ما لي أفارقُ كلَّ يومٍ صاحباً
وأرى أحبائي تفرَّقَ جَمْعُهُم

(١) مجموع حساب التاريخ يساوي منه ١٦٧٩، ولا شك أن الشاعر قال ذلك متهكماً ومداعباً.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٤).

(٣) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (أرواح).

فِيهَا عِظَامُ الْأَنْجَبِينَ رُفَاتَا
 مِنَّا الرَّؤُوسُ وَيَرْفَعُ الْأَصْوَاتَا
 إِنَّ (الْأَمِينَ مُحَمَّدٌ) قَدْ مَاتَا (*)
 وَأَنْبَتَتْ حَبْلُ الْأَمَلِينَ بَتَاتَا
 فِي النَّاجِبِينَ خَلَائِقًا وَذَوَاتَا
 قَدْ كُنْتُ أَدْرِكُ بِالْأَسَى مَا فَاتَا
 طَوْلُ النَّوَاءِ فَلَا أُرِيدُ حَيَاتَا
 كَانَ الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ ثَبَاتَا
 وَمَكَارِمًا وَمَغَانِمًا وَهَبَاتَا (١)

وَحَلَّتْ دِيَارُ الْأَكْرَمِينَ وَأَصْبَحَتْ
 وَدَعَا التُّقَى نَاعٍ يُخَفِّضُ نَعْيَهُ
 وَلِقَدْ أَصَمَّ مَسَامِعِي فِي قَوْلِهِ
 زَهَبَ النَّدَى وَالْعِلْمُ بَعْدَكَ وَالتُّقَى (**)
 يَا أَطْيَبَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَلْفَتْهُمْ
 لَوْ كُنْتُ أَدْرِكُ بِالْأَسَى مَا فَاتَنِي
 وَلِقَدْ سَنَمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَمَلَّنِي
 مِنْ بَعْدِ مَا زَالَ (الْأَمِينَ) وَأَنَّهُ
 وَفَقَدْتُ مِنْهُ فَرَائِدًا وَفَوَائِدًا

(٢٥٢)

وَفِي بَنِيهِ النَّجِيبِ الشَّهْمُ (مَحْمُودُ)
 وَفِي ذُرَّارِيهِ ذَاكَ الْفَضْلُ مَوْجُودُ
 زَكَا وَأَنْتَمَرَ فِي أَوْرَاقِهِ الْعُودُ
 فِيهِ السَّعَادَةُ وَالْمَسْعُودُ مَسْعُودُ
 كَانُوا فَمَوْلُودُهُمْ لِلْخَيْرِ مَوْلُودُ
 وَلَا يُلِمُّ بِهِمْ لِإِثْمٍ تَفْنِيدُ
 وَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ بَيْنَ النَّاسِ مَوْرُودُ

مَا مَاتَ مِنْ بَعْدِ (عَبْدِ الْوَاحِدِ) الْجُودُ
 وَلَا فَقَدْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَكَارِمَهُ
 وَالْفَرْعُ كَالْأَصْلِ إِنْ تَزَكُ مَغَارِسُهُ
 لَا يَنْزَعُ اللَّهُ هَذَا السَّرَّ مِنْ رَجُلٍ
 قَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِي (آلِ الْمُبَارِكِ) مُدُّ
 مُطَهَّرُونَ فَلَا رِجْسٌ يُدْنِسُهُمْ
 تَأْوِي إِلَيْهِمْ بَنُو الْحَاجَاتِ رَاغِبَةٌ

(١) الصواب (وهبات) بكسر التاء لأنه جمع مؤنث سالم.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٠٢).

(*) في الطبعة (١): نص البيت:

ولقد أصم مسامعي بعدك والتقى وأنبتت حبل الأملين بتاتا

وهي نص مكسور وخطأ ومتداخل في البيت الذي يليه، وجرى التصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): كان صدر البيت ناقصاً الكلمات الثلاث الأولى وجرى التصويب من الطراز الأنفس.

وما أرى غيرهم في من يناظرهم
نزلت فيهم على رجب أسر به
إن طوقوني بطوق من مكارمهم
تزان غر القوافي كلما ذكروا
يا من إذا عدت الأنجاب حينئذ
يا ابن الذي كنت أرجوه وأمدحه
ولا يرد مقالتي في مدائحه
ورثت أخلاقه اللاتي سموت بها
سلكت كل سبيل كان يسلكه
(أبو الخصب) أراك الخصب منك له
أغظت كل حسود أنت تعرفه
الله أبقاك عمّن قد مضى خلفاً
وعشت بالأنس طول الدهر في رعد

من يسأل الخير أو تطوى له البيد
ولي بهم أمل بالبر موعود
فإنهم وتنائي الطوق والجيد
بما تزان وتزهو الخرد الغيد
فأول الناس في الأنجاب معدود
وشاهد لي أياديه ومشهود
وفي الأقاويل مقبول ومرود
وشدت ما شاده أبواك الصيد
فكل فعلك يا (محمود) محمود
وأنت ظل إليه اليوم ممدود
وكل ذي نعمة لا شك محسود
ولي بمدحك تغريد وترديد
ولا يسوؤك طول الدهر تنكيد

(٢٥٣)

في كل يوم للمنون صولة
وزفرة موصولة بزفرة
وحسرة على الذين أصبحت
واراهم التراب وكانوا أنجماً
وكل يوم وجه خطب كالح
ندفع بالرغم إلى رزية
نمزح بالدهر وذا صرف الردى

فيينا وخطب بالفراق فادح^(٢)
ومدمع على الخدود سافح
تعلوهم من الصفا صفائح
كما تضيء بالدجى مصابيح
وللخطوب أوجه كوالح
محاسن الدنيا بها مقابح
لا هازل فيينا ولا ممامح

(١) لم نستطع معرفة المرثي، ويبدو أنه خال السيد رفعة أغا بن أحمد أغا بنجري. حيث يعزیه الشاعر به، ولم نجد بين أصدقاء الشاعر غير رفعة أغا وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٨).

(٢) لم ترد في النسخة الخطية ب رقم ٦١٥.

ونحنُ عنه أبداً في غفلة
نوضح في اللهُولنا معذرةً
وفي المَنايا للفتى روادعُ
لا يغفلُ الإنسانُ عن مزلقة
يغتاله دون المُنَى حِمَامُهُ
أجهلُ الأمرِ على علمٍ به
يا (رِفْعَةً) بَقِيْتُ لي في رِفْعَةٍ (١)
إني أعزِّيك بخالٍ قد خلا
وكلُّ من يرجو البقاءَ بَعْدَهُ
لا بد أن تبكي عليه أعينُ
سَقاهُ من وبلِّ الغَمَامِ صَيِّبُ
عَزِيَّتِكَ اليَوْمَ به مُؤرِّخًا

نلهو كما يلهو البهيمُ السَّارِحُ
وما لنا في اللهُوِ عذرٌ واضحُ
زواجِرُ عن غيِّه نَواصِحُ
لو كان للإنسانِ عَقْلٌ راجِحُ
وطرفُهُ إلى الحياةِ (*) طامِحُ
والجهلُ بالعاقلِ عيبٌ فاضحُ
من دونها أنْحَطَ السَّمَاكُ الرامِحُ
وما خلا منه اللُّسانُ المادِحُ
فذاك غادِ بَعْدَهُ ورائِحُ
وأنْ تَننوحَ ببعده
تُروى به الأكامُ والأبساطحُ
(لما مضى إلى الجنانِ صالح) (٢)

(٢٥٤)

(أبا جميل) قَرَّ عَيْنًا بِمَنْ
وزادك اللهُ سُـروراً به
بالوَدِّ المَاجِدِ من مَاجِدِ

بألغك اللهُ به ما تريدُ
زيادةً ما برحتُ في مَزِيدِ
لا يَلِدُ المَاجِدُ إلا مَاجِدِ

(١) هذا الهامش مكرر في طبعة (١) لذلك حذفنا نصه.

(٢) مجموع حساب التاريخ يساوي سنة (١٢٦٦هـ). وللشاعر رثاء آخر مؤرخ سنة ١٢٧٦هـ.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(*) في الطبعة (١): (الحمام) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وَحَبِّذَا طَلَعَةَ هَذَا الْوَلِيدِ
كَالْبَدْرِ فِي طَالِعِ بَرَجِ سَعِيدِ
مَا تَرَكَ الْأَحْرَارَ إِلَّا عَبِيدِ
قَافِيَةَ الْمَجْدِ وَبَيْتَ الْقَصِيدِ
أَوْى إِلَى ظِلِّ وَرُكْنِ شَدِيدِ
بِخَالِدِ الذُّكْرِ الَّذِي لَا يَبِيدِ
وَأَنْتَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ بِعِيدِ
(أشرفت الدنيا بعبد الحميد)

يَا حَبِّذَا الْوَالِدُ مِنَ الْوَالِدِ
لَا حَتَّ مَزَايَاكَ عَلَى وَجْهِهِ
أَلَمْ تَكُنْ رَبَّ الْجَمِيلِ الَّذِي
وَأَنْتَ فِي النَّاسِ لِمَنْ يَفْتَفِي
وَكُلُّ مَنْ أَوْى إِلَى فَخْضِهِ
فَلْيَهْنِكِ الْمَوْلُودُ كُلُّ الْهَنَا
كَلْيَلَةَ الْأَعْيَادِ مِيلَادُهُ

(٢٥٥)

فَقَدَّ مَخَى اللَّيْلِ وَجَاءَ النَّهَارُ
فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ دَوَاءً (*) الْخُمَارُ
فِي وَرَقِ السُّدُوحِ وَغَنَى الْهَزَارِ
وَأَدْمَعُ الْبَطْلُ عَلَيْهَا نِثَارُ
أَوْقَاتِ أَيَّامِ السُّرُورِ الْقِصَارِ
بَيْنَ أَحْمَرٍ بَرَزَتْ وَأَصْفِرٍ
فَاللَّهُ يَعْفُو عَنْ ذُنُوبِ كِبَارِ
فَمَا يَطِيبُ الْعَيْشُ بِالْإِسْتِثَارِ
وَعَدُّهَا عَارًا وَلَيْسَتْ بِعَارِ
وَقَابِلَ الْعَاذِلِ بِالْإِعْتِذَارِ

بَاكِرٌ نَدَامَاكَ بِكَأْسِ الْعُقَارِ
وَدَاوِنِي فِيهَا وَسَارِعُ بِهَا
أَمَا تَرَى الْوَرَقَاءَ قَدْ غَرَّدَتْ
وَابْتَسَمَتْ لِطَلِّ أَزْهَارِهِ
وَقَدْ دَعَتْ لِأَنَّهَا أَبْنَاءُهَا
فَهَاتِهَا صِرْفًا وَمَمْرُوجَةً
وَأَمَّا لَنَا أَكْبَرَ أَقْدَاحِهَا
خُذْهَا بِإِعْلَانٍ وَلَا تَسْتَتِرْ
وَعَدُّ عَمَّنْ لَامَ مِنْ جَهْلِهِ
مَا عَرَفَ اللَّذَّةَ مَنْ عَافَهَا

(١) في النسخة المطبوعة التاريخ ١٢٦٦هـ وهو خطأ. والصواب ما ذكرناه سنة ١٢٦٨هـ وهو كذلك في مجموعة شعر الأخرس ص ٤١.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٥).

(*) في الطبعة (١): (دوائر) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

وَحَلَّهٖ وَالْأَوْمَ فِي مَعَزَلٍ
 إِذْ يَدْعِي النُّسُكَ وَلَا يَهْتَدِي
 إِنَّ الْمُرَائِينَ إِذَا اسْتُكْشِفُوا
 لَوْلَمْ يَجِدْ شَارِبُهَا لَذَّةً
 مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُتَّقِي
 يَا مُوَلَعًا بِالْمُرْدِ إِنِّي أَمْرُؤُ
 إِلَيْكَ وَالْإِعْرَاضَ عَنْ غَادَةِ
 كَمْ لَيْلِةٍ زَارَ حَبِيبُ بِهِ
 جَمَعْتُ فِيهَا بَيْنَ مَا أَشْتَهِي
 أَقْسَمُ بِالْعُودِ وَأَوْتَارِهِ
 مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ سِوَى سَاعَةٍ
 يَقْضِي بِهِ الْمَاجِنُ أُوطَارَهُ
 إِنَّ الْخَلَاعَاتِ لَفِي فِتْنِيَّةٍ
 تُغْنِيهِمُ الرَّاحُ إِذَا أَمَلَقُوا
 يَا طَالِمًا قَدْ زُرْتُ خِمَارَهَا
 فَقَامَ يَجْلُوهَا كَغُصْنِ النَّقَا
 حَتَّى إِذَا اسْتُكْفِيَتْ مِنْ شُرْبِهَا
 عَفْوَتْ عَنْ ذَنْبِ زَمَانٍ مَضَى
 هَذَا هُوَ الْعَيْشُ وَمَنْ لِي بِهِ
 لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِذَا لَمْ يَكُنْ
 مَا جِئْتَهُ إِلَّا وَأَبْصَرْتَنِي
 قَبِيَّ دَنِي فِي بِرِّهِ مَا جَدُّ
 مُوَفَّقٌ يَسْعَى إِلَيْهِ الْغِنَى
 لَا يَقْتَنِي الْمَالُ وَلَمْ يَدْخُرْ

لَا تُصْنَعُ فِيهَا لِنَهَيْقِ الْحِمَارِ
 بِهِ، وَيَنْعَى بِخَرَابِ الدِّيَارِ
 وَجَدْتَهُمْ شَرًّا الْأَنْامِ الشُّرَارِ
 وَفِي الْمَسْرَاتِ عَلَيْهَا الْمَدَارِ
 فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ وَدَارِ الْقَرَارِ
 مَا لِي عَنْ وَجْهِ الْحَبِيبِ اصْطِيبَارِ
 فِي وَجْهِهَا لِلْحُسْنِ نَوْرٌ وَنَارِ
 يَشْكُو إِلَى الْمُشْتَقِ بَعْدَ الْمَزَارِ
 مِنْ غَنَجِ أَحْوَى وَذَاتِ أَحْوَارِ
 وَنَعْمَةَ النَّبَايِ وَضَرْبِ الْإِطَارِ
 فِي مَجْلَسٍ يُخْلَعُ فِيهِ الْعِدَارِ
 وَكَانَ مَبْنَاهُ عَلَى الْإِخْتِصَارِ
 لَمْ يَلْبَسُوا فِي الْأَنْسِ ثَوْبَ الْوَقَارِ
 كَأَنَّهَا فِي الْكَاسِ ذُوبُ النُّضَارِ
 وَقَلْتُ أَنْتَ الْيَوْمَ مِمَّنْ يُزَارِ
 يَحْمِلُ فِي رَاحَتِهِ الْجُلْنَارِ
 لَوْ شِئْتُ أَدْرَكْتُ مِنَ الدَّهْرِ ثَارِ
 مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَمِ الْإِقْتِدَارِ
 قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعُمْرِ الْمُسْتَعَارِ^(١)
 فِي ظِلِّ (عَبْدِ اللَّهِ) عَالِي الْمَنَارِ
 أَسْحَبٌ مِنْ نُعْمَاهُ ذَيْلَ الْفَخَارِ
 كَأَنَّمَا أَطْلَقَنِي مِنْ إِسَارِ
 مِنْ غَيْرِ مَا سَعَى وَخَوْضِ الْغِمَارِ
 شَيْئاً وَلَا مَالاً إِلَى الْإِدْخَارِ

(١) من أول القصيدة إلى هنا انفردت به نسخة الأثركلي، وفي النسخ الأخرى تبدأ من البيت التالي.

إِنِّي لِأَعْنَى النَّاسِ عَنْ غَيْرِهِ
 الْمُنْجِزُ الْوَعْدَ بِلَا مِئَّةٍ
 مَا فَارِقُ الْأَنْسُ لَهُ طَلْعَةٌ
 كَمْ طَائِلٍ قَصَّرَ عَنْ شَأْوِهِ
 وَمُسْتَمِيحٍ نَالَ مَا يَبْتَغِي
 يَرُوقُ كَالصَّمْصَامِ إِفْرِنْدُهُ
 أَمَا جَمِيلُ الصَّنْعِ مِنْهُ فَمَنْ
 يَرْكَبُ فِي الْجَدِّ جَوَادَ الْمُنَى
 حَدِيقَةُ الْأَفْرَاحِ فِي رَبْعِهِ
 فَلَمْ أُبَلِّ مَا دُمْتُ خَلًّا لَهُ
 وَكُلُّ مَا اسْتَطَيْبَتْهُ كَائِنٌ
 مِنْ كَابِرٍ يُنْمَى إِلَى كَابِرٍ
 هُمْ (الزَّهْرِيُّونَ) زَهْرُ الرَّبَا
 فَهُمْ أَجَلُ النَّاسِ قَدْرًا وَهُمْ
 فَلَا يَمَسُّ السُّوءُ جَارًا لَهُمْ
 يُؤْفُونَ بِالْعَهْدِ وَيَرْعَوْنَهُ
 أَلَا تَرَى كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ
 يُلْتَمَسُ الْمَعْرُوفُ مِنْ بَرِّهِمْ
 مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ بِمَعْرُوفِهِ
 إِذَا دَعَتْهُ لِلْوَعَى هِمَّةٌ
 تَغْدُو رِيَاضِي فِيهِ مُخْضَرَّةٌ
 أَصْلِحْ شَانِي بِ(أَبِي صَالِحٍ)
 بَاهَى بِي الْأَزْهَارَ فِي رَوْضِهَا
 لَا زَلْتَ فِي نَوْرِ صَبَاحِ الْهَنَا

وَلِي إِلَيْهِ بِالسَّرُورِ افْتِقَارُ
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ وَعْدِهِ بِأَنْتِظَارُ
 بَلْ سَارَ فِي خِدْمَتِهِ حَيْثُ سَارُ
 وَلا حَقِّ مَا شَقَّ مِنْهُ الْغُبَارُ
 مِنْهُ وَحَارَ الْعِزُّ وَالْإِفْتِخَارُ
 أَبْيَضُ مِثْلُ السَّيْفِ مَاضِي الْغِرَارُ
 شِعَارِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ شِعَارِ
 إِذْ يَأْمَنُ الرَّكَّابُ فِيهِ الْعِثَارُ
 لِلْمُجْتَنِي مِنْهَا شَهِيُّ التَّمَارِ
 مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَلَا كَيْفَ صَارُ
 مِنْ طَيِّبِ الذَّاتِ كَرِيمِ النَّجَارِ
 وَمِنْ خِيَارٍ قَدْ نَمَتَهُ الْخِيَارُ
 وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ الَّتِي تُسْتَنَارُ
 أَعَزُّ مَنْ تَعَرَّفَ فِي النَّاسِ جَارُ
 مَا ذَلَّ مَنْ لَازَ بِهِمْ وَاسْتَجَارُ
 فِي زَمَنِ لَمْ يُرْعَ فِيهِ الذَّمَّارُ
 لِنَائِلِ يُرْجَى وَنَقْعِ مُثَارِ
 وَيُسْتَفَاضُ الْجُودُ فَيُضَ الْبَحَارُ
 فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنْ نَدَاهُ قَطَارُ
 كَانَ هُوَ الْمَقْدَامُ وَالْمُسْتَشَارُ
 أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَخْضِرَارِ الْعِدَارِ
 وَأَعْتَدِي فِيهِ نَقِيَّ الْإِزَارِ
 فَرَحْتُ أَرْهَو مِثْلَ وَرْدِ الْبَهَارِ
 يَا كَوَكِبًا لَاحَ وَبَدْرًا أَنْارُ

(٢٥٦)

إِنَّ هَذَا قَبْرُ لَعَمْرُكَ فِيهِ
صَالِحُ الْأَسْمِ صَالِحُ الْفِعْلِ يَفْنَى
مِنْ خِلَالِ كَرِيمَةٍ وَصِيفَاتٍ
أَدْرَكَتُهُ الْوَفَاءُ إِذْ هُوَ حَيٌّ
حَلَّ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ فَأَرْحُ
صَالِحٌ فِي حَيَاتِهِ وَالْمَمَاتِ
وَلَهُ الْبَاقِيَاتُ فِي الصَّالِحَاتِ
شَهِدَتْ أَنَّهُ كَرِيمُ الذَّاتِ
فَتَوَفَّى وَذَلِكَ بَعْدَ الْوَفَاةِ
(صَالِحٌ قَدْ حَلَّتْ فِي الْجَنَّاتِ)
١٢٧٦هـ

(٢٥٧)

وقال مادحاً السيد علي القادري النقيب^(١) ومهنئاً بورود النيشان المنوح له من

مَالِهَا مُفْرِيَةً بِيَدًا فَبِيدَا
كَلَّمَا لَاحَ لَهَا بَرَقَ الْحِمَى
لَسْتُ بِالْمَنْكِرِ مِنْهَا عَبْرَةً
فَالِإِلى أَيْنَ سُرَاهَا وَإِلِمَنْ
أَوْقَدَ الشُّوقُ بِهَا نِيرَانَهُ
تَخْمُدُ النَّارُ وَمَالِي لَا أَرَى
يَا أَخْلَاطِي، وَأَعْلَاقَ الْهَوَى
أَخْلَقْتَ بِالصَّبْرِ عَنْكُمْ لَوْعَةً
وَوَهَى يَوْمَ نَأْيَيْتُمْ جَلْدِي
خُنْتُمْ عَهْدَ الْهُدَى مَا بَيْنَنَا

تَقَطَّعَ الْأَرْضَ هَبْوَطاً وَصُعُودَا
نَثَّرَتْ مِنْ لَوْلُو الدَّمْعِ عُقُودَا
إِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْحُبِّ شُهُودَا
تَطِسُ الْبَيْدَاءَ أَوْ تَحْتُو الصَّعِيدَا
فَتَلَطَّتْ بِلَظَى الْوَجْدِ وَقُودَا
لِلْجَوَى مِنْ مُهْجَةِ الصَّبِّ خُمُودَا
جَاوَزَتْ مِنْ شَغَفِ الْقَلْبِ حُدُودَا
تَبَعَتْ الشُّوقَ بِهَا غَضًّا جَدِيدَا
بَعْدَ مَا كُنْتُ عَلَى الدَّهْرِ جَلِيدَا
وَرَعَيْنَا لَكُمْ فِيهَا عُهُودَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

من مُعيدٍ لي في (وادي الغضا)
 في (زرد) وقفه أذكُرُها
 ومن السُّرْبِ مَهَاءٌ لَحْظُهَا
 وبروحي شادين من ريقه
 سَلَبَ الغُصْنَ رطيباً قَدُّهُ
 لامني اللائم عن جهل به
 أيها العاذلُ يَبْغِي رَشْدِي
 إنَّ مَنْ كانت حياتي عنده
 وحرامٌ أن أرى سُلوَانَهُ
 غَلَبَتْني منه أجناد الهوى
 من يُريني البان والورد معاً
 يَمِي أيتها النُّوقُ بنا
 فلئن سرت بنا حينئذٍ
 لا ترى وجهاً عبوساً عنده
 مُنعمٌ سابِغَةٌ نِعْمَتُهُ
 كما قَرَبْتُ من حُضْرَتِهِ
 حيثُ طالعنا فأبصرنا به
 أُسرِعَ العالمَ وَعَدَا مُنْجِزاً
 أَلْ بيتٍ سَطَعَتْ أنوارُهُمْ
 وإذا أُعْرِبْتَ عن أبنائهم
 تَأْخُذُ الآراءُ عنه رُشْدَهَا
 لِيِنَّ الجَانِبِ فِيهِ شِدَّةٌ
 قَيَّدَتْ عَادِيَةَ الخَطْبِ فما
 بِبَنِيهِ حَفِظَ اللهُ بهم
 رافعُ رايَةَ أعلامِ الهُدَى

زَمناً مرَّ ومن لي أن يعودا
 فَسَقَى اللهَ حَيَا المِزْنَ (زودا)
 يَصْرَعُ اللُّبَّ وَيَحْطُادُ الأَسودا
 لا أعافُ الخَمْرَ والماءَ البرودا
 والظِّبَاءَ العُفْرَ أَلْحاظاً وجيدا
 والهوى يَأْنَفُ إلا أن يزيدا
 خَلُّني والغِيَّ إن كنتَ رشيدا
 طالما جَرَعَنِي الحَتْفَ صُدودا
 ولو أني متُّ في الحبِّ شهيدا
 إنَّ للحبِّ على الصبِّ جُنودا
 في تَتَنِّيهِ خُدوداً وقُدودا
 سيِّدَ السَّاداتِ والركنَ الشَّديدا
 ل(عليٍّ) كان مسرَّك حَميدا
 حينَ تَلقاه ولا صَدْرًا حَقودا
 ومُفيدٌ من نِداءِ المُسْتَفيدا
 قَرَبْتُ لي أملاً كان بعيِّدا
 طالعا من ذلك الوجهِ سَعيدا
 وإذا أوعدَ أبطاهم وَععيدا
 لم تَدَعُ للغِيِّ شَيْطاناً مَريدا
 فاذْكَرِ الآبَاءَ مِنْهُمْ والجُدودا
 فيريها الرشدَ والرأيَ السَّديدا
 قد أذابت من أعاديهِ الحَديدا
 تَضَعُ الأَغْلالَ عنها والقُيودا
 مُهْجَةً المجدِ طريفاً وتليدا
 عاقِدُ لَدينِ بالعِزِّ بَنودا

في بُيوتِ أذنِ الله لها^(١)
من سِيوفِ الله إذ ما جُرِدَتْ
سَيِّدُ بَرُّ رُوُوفُ مُحَسِّنُ
فَتَرَى الْأَشْرَافَ فِي حَضْرَتِهِ
أَمْطَرَتْ مِنْ يَدِهِ قَطْرَ النَّدى
فَتَرَى الْأَقْلَامَ فِي أَمْدَاحِهِ
يا ابنَ قُطْبِ العَوْتِ والغَيْثِ الذي
أَنْتُمْ البَحْرُ وما زلتُ بكم
إِنْ وَرَدْنَا مَنْهَلاً مِنْ نَيْلِكُمْ
ما سِوَاكُمْ مَقْصَدُ الرَّاجِي ولا
يا مُرِيدَ الخَيْرِ والخَيْرُ بِهِ
ليس بالِبِدْعِ ولا غَرَوِ إذا
جُدْتُ لِي بِالْجودِ حَتَّى خَلَّتْني
وقليلُ فيكَ لو أَنْظَمُها
فاهنَ بالَنْيْشانِ مِنْ سُلْطانِنا
ذلكَ اليَوْمِ السَّذي وأَفَى بِهِ
مَلِكُ أَرْسَلَهُ مُفْتَخِراً
لَمْ تَزَلْ تَرْقَى إِلَيْها رُتَباً

أَنْ نَرَاهُ فِي مَبَانِيها عَموداً
قَطَعَتْ مِنْ عُنُقِ الشَّرِكِ الوَرِيداً
تَرَكَ الْأَحْرارَ بِالْبِرِّ عَبِيداً
قُوماً بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُعوداً
فِي رِياضِ الفَضْلِ يُنْبِتَنَّ الوَروداً
رُكَّعاً تُملي ثَناءً وَسُجوداً
لَمْ يَزَلْ يَنْهَلُ^(*) إِحْساناً وَجوداً
مُسْتَمِداً مِنْكُمْ البَحْرَ المَديداً
ما صَدَرْنَا عَنْكُمْ إِلَّا وَروداً
فِي سِوَى شُكْرانِكُمْ نَملي القَصيداً
لا عَدِمْنَاكَ مُراداً وَمُريداً
هَمَّتْ فِي مَدْحِكَ نَظْماً وَنَشيداً
بِنَدَى وَايْلِكَ الرِّوَضِ المَجوداً
فِي مَزاياكَ لَها دُرّاً نَخيداً
مُبدِئاً لِلْفَخْرِ فِيهِ وَمُعيداً
كانَ لِلأَشْرَافِ فِي (بِغدادِ) عَيداً
وبِهِ أَرْسَلَ مَولايَ البَريدِ
تَكَبَّتْ^(**) الشانِيءَ فِيها والحَسودِ

(١) اقتباس من قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...) سورة النور، الآية (٣٦).

(*) في الطبعة (١): (يهل) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (نكبت) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وقال يمدحه أيضاً ويهنيه بالعيد [وهي من الرمل]:

قَد نَحَرْنَا الرِّقَّ يَوْمَ العِيدِ نَحْرًا
وَتَخَيَّلْنَا الحُمِيَّ لَهَبًا
قَالَ لي السَّاقِي وَقَدْ طَافَ بِهَا
يَا نَدِيمًا قَدْ سَقَانِي كَأْسَهُ
إِنَّ أَحْلَى العَيْشِ مَا مَرَّ عَلَى
وَيْدِ المُنْزِنِ وَأَزْهَارِ الرُّبَا
فَأَدْرِهَا قَرَقَفًا إِنَّ مُرْجَتَ
لَا تَخَفُ مِنْ وِزْرِهَا فِي شُرْبِهَا
رَاحَةُ الأَرْوَاحِ بِالسَّرَاحِ الَّتِي
وَبِأَهْلِي ذَلِكَ الظُّبِّيِّ وَإِنْ
غَرَّنِي فِي حُبِّهِ ذُو هَافٍ
صَالَ بِاللُّحْظِ عَلَى عُشَّاقِهِ
قَدْ قَضَى فِي الحُبِّ أَنْ أَقْضِي بِهِ
مَا عَلَيهِ فِي الهَوَى صَيَّرَ لِي
يَا زَمَانًا حُذِرْتَ أخطَارُهُ
أَنْتَ مِنْ دُونَ (النَّقِيبِ) القَرْمِ لَا
سَيِّدُ أَمَا نَدَاهُ فَالْحَيَا
هَكَذَا مِنْ كَانَ تُجْرِي كَفُّهُ
وَإِذَا مَا المَعْوَلِ العَافِي أَتَى
بِالْيَدِ البَيْضَاءِ كَمَا أَمَطَرْنَا
وَرَدُّوا البَحْرَ أَنَاسٌ قَبْلَنَا
نَتَحَرَّى كُلَّ أَنْ جُودَهَا

وَأَدَبْنَا بِلُجَيْنِ الكَأْسِ تَبْرًا
وَحَسَبْنَا أَنَّهَا بِالمَاءِ تَوْرِي
هِيَ خَمْرٌ وَتَرَاهَا أَنْتَ جَمْرًا
إِسْقِنِيهَا فِي الهَوَى أُخْرَى وَأُخْرَى
رَوْضَةَ غِنَاءٍ وَالكَاسَاتُ تُتْرَى
نُشِرَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الطِّيِّ نَشْرًا
كَأَلَّتْ يَاقُوتَهَا بِالمَزْجِ دُرًّا
أَوْ تَخَشَى مَعَ عَفْوِ اللِّهِ وَزِرًا
لَمْ تَدْعُ لِلهَمِّ فِي الأَحْشَاءِ نِكْرًا
أَوْسَعَ المَغْرَمِ إِعْرَاضًا وَهَجْرًا
كَلَّمَا لَامَ بِهِ العَاذِلُ أَغْرَى
وَلَكُمُ مِنْ كَرَّةٍ فِي الحُبِّ كَرًّا
وَقَضَايَا حُبِّهِ صُغْرَى وَكُبْرَى
كَبِدًا حَرَّى وَقَلْبًا مَا اسْتَقْرَأَ
نَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ مِنَ الأَيَّامِ حِذْرًا
تَمَلَّكَ اليَوْمَ لَنَا نَفْعًا وَضَرًّا
دُونَهُ جُودًا وَأَدْنَى مِنْهُ وَقُرَا
نَايِلًا وَقُرَا وَإِحْسَانًا وَبِرًّا
بَابَهُ العَالِي أَغْتَنَى فِيهِ وَأَثْرَى
مِنْ غَوَادِي جُودِهَا بِيضًا وَصُفْرًا
لَا وَرَدْنَا غَيْرَ تِلْكَ اليَدِ بَحْرًا
وَهُوَ بِالفَضْلِ وَبِالمَعْرُوفِ أُخْرَى

وَإِذَا مُدَّتْ إِلَى أَعْدَائِهَا
هُوَرَبُ الْكَرَمِ الْمَحْضِ الَّذِي
وَإِذَا أَوْلَاكَ مِنْ إِحْسَانِهِ
فِي مِينًا كَمَا شَاهَدْتَهُ
سَيِّدُ سَهْلٍ بِأَوْقَاتِ النَّدَى
يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مَعَ كُلِّ أَمْرٍ
لَمْ يَخِبْ فِي النَّاسِ يَوْمًا أَمَلٌ
نَثَّرَ الْمَالَ عَلَى وَقْدِهِ
سَيِّدِي وَالْفَضْلُ لَوْلَاكَ عَفَا
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا جَدُّ
مَلَكَتْ رِقِّي مِنْهُ أَنْعَمُ
أَيُّ نِعْمَائِكَ يَفْضِي حَقَّهَا
إِنَّمَا الْفَخْرُ الَّذِي طُلْتُ بِهِ
وَلَقَدْ جَاوَزْتَ حَدًّا فِي الْعُلَا
فَاهُنَّ بِالْعِيدِ وَدُمُ مَبْتَهَجًا

جَرَزْتَهُمْ بِالْمَوَاضِي الْبَيْضِ جَزْرًا
لَا يَرَى الْإِقْلَالَ يَوْمَ الْجُودِ عُدْرًا
سَاعَةً فِي عُمُرِهِ أَعْنَاكَ دَهْرًا
قَلْتُ فِيهِ إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا
وَبِأَيَّامِ الْوَعَى لَا زَالَ وَعَرَا
وَهُوَ لَا يَبْغِي عَلَى الْمَعْرُوفِ أَجْرًا
جَاعِلٌ آلَ رَسُولِ اللَّهِ نُخْرًا
فَشَكَرْنَا فَضْلَهُ نَظْمًا وَنَثْرًا
فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ عَافِيكَ خَيْرًا
قَادِرِيُّ هُوَ أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا
بَعْدَ مَا كُنْتُ وَأَيْمُ اللَّهِ حُرًّا
أَيُّهَا السَّيِّدُ هَذَا الْعَبْدُ شُكْرًا
شَرَحَ اللَّهُ بِهِ لِلْمَجْدِ صَدْرًا
رَجَعْتُ مِنْ دُونِهِ الْأَبْصَارُ حَسْرَى
نَاحِرَ الْحَاسِدِ بِالنُّعْمَةِ نَحْرًا

(٢٥٩)

وَمَلِيحَةً أَخَذَتْ فَوَادِي كَلَّهُ
فَتَانَةٌ بِالْأَحْظِ سَاحِرَةٌ بِهِ
خَفَرَتْ عِدَاةَ الْبَيْنِ نِمْهَةً وَامِقٍ
وَدَعَّتْهَا يَوْمَ الرَّحِيلِ وَفِي الْحَشَا
وَالرَّكْبُ مُلْتَمِسٌ نَوَى بَغْرِيرَةَ
بِمَدَامِعِ بَاحَتِ بِأَسْرَارِ الْهَوَى

وَجَرَّتْ بِحُكْمِ غَرَامِهَا الْأَقْدَارُ
وَمِنَ الْأَوَاحِظِ فَاتِنٌ سَحَّارُ
سُلِبَ الْقَرَارَ فَمَا لَدَيْهِ قَرَارُ
نَارًا وَفِي وَجَنَاتِهَا أَنْوَارُ
تُرْمَى لَهَا الْأَنْجَادُ وَالْأَغْوَارُ
لِلْعَاذِلِينَ وَلِلْهَوَى أَسْرَارُ

لا يُنْكِرَنَّ الْمُسْتَهَامُ دَمَوْعَهُ
 وَخَلَّتْ لَهَا فِي (الرَّقْمَتَيْنِ) مَنَازِلُ
 يَا دَارَهَا جَادَتَكَ سَاجِمَةُ الْحَيَا
 أُمَّيْمَ مَا لِي كُلَّ أَنْ مَرَّ بِي
 أَمْسِي وَأُصْبِحُ وَالْجَوَى ذَاكَ الْجَوَى
 لَا أَسْتَفِيقُ مِنَ الْخُمَارِ وَكَيْفَ لِي
 أَتَنْفَسُ الصُّعْدَاءَ يَبْعَثُ عَبْرَتِي
 إِنْ كَانَ غَاضَ الصَّبْرُ بَعْدَ فِرَاقِهَا
 إِنِّي لِأَطْرِبُ فِي إِعَادَةِ ذِكْرِهَا
 مَا لِي عَلَى جُنْدِ الْهَوَى مِنْ نَاصِرٍ

مَمَا يُجِنُّ فَإِنَّهَا إِفْرَارُ
 كَانَتْ تَلُوحُ لَنَا بِهَا أَقْمَارُ
 وَجَرَتْ عَلَيْكَ سَيُولُهَا الْأَمْطَارُ
 وَهَوَاكَ تَسْتَهْوِي بِي الْأَفْكَارُ
 وَاللَّيْلُ لَيْلٌ وَالنَّهَارُ نَهَارُ
 بِالصَّحْوِ مِنْهُ وَتَغْرُكُ الْخُمَارُ
 لَهْفٌ عَلَيْكَ كَمَا تُشَبُّ النَّارُ
 مَنِّي فَهَاتِيكَ الدَّمُوعُ غِزَارُ
 مَا أَطْرِبَتْ نَغْمَاتُهَا الْأَوْتَارُ
 عَزَّ الْغَرَامُ وَذَلَّتِ الْأَنْصَارُ

(٢٦٠)

سَقَانِي مَرِيرَ الْكَأْسِ حُلُوَّ الْمَبَاسِمِ^(١)
 وَحَارِبَنِي بِالصَّدِّ وَالصَّدُّ قَاتِلِي
 وَمِنْذُ أَطَعْتُ الْحُبَّ فِيهِ صَبَابَةٌ
 وَقَدْ عَلِمَ الْوَاشِوْنَ إِذْ ذَاكَ أَنَّنِي
 نَعِمْتُ بِهِ أَيَّامَ وَصَلٍ تَصَرَّمْتُ
 يُدِيرُ عَلَيَّ الْكَأْسَ يَمْزِجُ صِرْفَهَا
 أَلَذُّ مِنَ الْمَاءِ النَّمِيرِ لِشَارِبٍ

وَعَادَرَنِي مَحْلُولَ عَقْدِ الْعِزَائِمِ
 فَيَا لَيْتَهُ لَا كَانَ إِلَّا مُسَالِمِي
 عَصَيْتُ عَذُولِي فِي هَوَاهُ وَلَا نَمِي
 بَلَانِي وَأَبْلَانِي الْغَرَامُ بِجَاسِمِ
 وَنَحْنُ لَدَى خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ نَاعِمِ
 نَدِيمِي عَلَى كَأْسِ الطَّلَا وَمُنَادِمِي
 وَاللُّطْفُ خَلْقًا مِنْ هُبُوبِ النَّسَائِمِ
 فَهَلْ كَانَ ذَاكَ الْعَيْشُ أَحْلَامَ نَائِمِ

(١) لم ترد في النسختين أ و ب الخطيتين.

(٢) في نسخة الأنكرلي: (... مرير الهجر ...).

فَنَحَتْ عَلَيْهِ فَوْقَ نَوْحِ الْحَمَائِمِ
الْأَثْمُ فِي الْعُشْأَقِ غَيْرَ مَلَأْمِ

لَقَدْ مَرَّ - مَا أَحْلَاهُ - عَيْشٌ بِقُرْبِهِ
نَكَرْتُ قَضِيبَ الْبَانِ وَهُوَ قَوَامُهُ

(٢٦١)

وشاهدَ في الرَّبْعِ تلكَ الرُّسوما
وباتَ يَعالِجُ وَجَدًا لَنَيْمًا
فَدَرَامَةً فَدَ (الْمُنْحَنَى) فَدَ (الغَمِيمَا)
وَأَلْقَى عَلَيْهِنَّ غَيْثًا عَمِيمًا
يُذِيبُ الْقُلُوبَ وَيُفْنِي الْجُسُومَا
أُدَارِي بِهِنَّ الْأَسَى وَالهُمُومَا
ولم أَرَ كَالدَمْعِ شَيْئًا نَمُومَا
ولكن^(**) قَضَى اللَّهُ أَنْ لَا يَدُومَا
وكانَ الزَّمانُ ظَلُومًا غَشُومَا
فحلُّوا (الغُويرَ) وحلَّ (الحَطِيمَا)
وعادتْ عليه برغمِ سَمُومَا
وكانتْ نعيمًا فصارتْ جَحِيمَا
أريجاً زكياً ومِسْكَاً شَمِيمَا
تُرَدَّدُ فِي الدَّوْحِ صَوْتًا رَحِيمًا^(***)

تذكَرَ بـ (الْخَيْفِ) عَهْدًا قَدِيمًا
فَظَلَّ يَكْفِكُفُ دَمْعًا كَرِيمًا
سَقَى اللَّهُ دَارَ اللَّوَى بِالْحَيَا
وَحَيَا مَنَازِلَنَا بـ (العَقِيقِ)
وَقَفْنَا عَلَيْهَا ضُحَى وَالهُوَى
وكم وقفةٍ لي بتلكِ الدِّيَارِ
تَنُمُّ عَلَيَّ دَمُوعُ الْعَيُونِ
تَقْضَى^(*) لَنَا زَمَنُ بِالْحِمَى
وجارتْ علينا صُرُوفُ الزَّمانِ
وكانوا بـ (جمع) وكانَ الكَثِيبُ
ومَرَّتْ نَسَائِمُ عَيْشِ الْمُحِبِّ
لِيَالِي مَرَّتْ مُرُورَ الْخَيَالِ
ولا نَشَقَّتُنِي الصِّبَا بَعْدَهُمْ
وممَّا شَجَانِي وَرَقَّ (الغُويرَ)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) في الطبعة (١): (تَقْضَى عَلَيَّ) وحذفنا كلمة (عليَّ) لأنها زائدة تكسر الوزن، والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (ولن) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (وخيمًا) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

على أنني إن بدا بارق
 فتفضحني عبرتي في الهوى
 وإن غريمي غزال (اللىوى)
 رماني بعينيه ظبي (الصريم)
 رماني ولم يحش إنما فرحت
 وأنت مهة قطع المها
 وكنت ألوم بك العاشقين
 وأثقلني حمل هذا الغرام
 وها أنا أشكو فؤاداً عليلاً
 ولله قلب بها المستهام
 ومن بعد تلك التنايا العذاب
 وأسلمني للمنون المني
 ولولا رجائي ب(مفتي العراق)
 قطعت العلائق عن غيره
 كريم أو مل منه الجميل
 ويولي بنائله الطالبين
 ويهدي المضل ويعطي المقل
 أحاديثه مثل زهر الرياض
 لطيف رقيق حواشي الطباع
 فسبحان من جعل الفضل في
 فأوضحت بالحق للعالمين
 وأصبح معوج أمر الأنام
 وتغضب لله لا للحظوظ

نثرت من الدمع دراً نظيما
 ولم تر صباً لسر كتما
 فجوزيت بالخير ذاك الغريما
 فأمسى فؤاد المعنى صريما
 قتيلاً وراح بقتلي أتيما
 أبيت لأجلك أرعى النجوما
 فأصبحت يا مي فيك الملوما
 وحماني الوجد عبئاً عظيما
 وجسماً كطرف أميم سقيما
 وما منع القلب أن لا يهيما
 إلى كم أعاني العذاب الأليما
 كأني أبيت الدياجي سليما^(١)
 لأصبح حالي قبيحاً ذميما
 كما قطع المشرفي الأديما
 وقد خاب من لا يرجي الكريما
 فيغني الفقير ويثري العديما
 ويرفع في البأس خطباً جسيما
 فهل كان إذ ذاك روضاً جميما
 فلو جسّمت لاستحالت نسима
 علاك إلى أن علوت النجوما
 صراطاً إلى ربها مستقيما
 بأحكام حكمك عدلاً قويمما
 وما زلت في غير ذاك الحليما

(١) السليم: اللديغ.

وَأَحْيَيْتَ رِمَّةَ عِلْمِ النَّبِيِّ
كَشَفْتَ بِعِلْمِكَ إِشْكَالَهَا
وَصَيَّرْتَ رُشْدَكَ صُبْحاً مُنِيراً
لَقَدْ نَلْتِ مَا أَعْجَزَ الْأُولِينَ
فَطَوَّراً هُمَاماً وَطَوَّراً إِمَاماً
وَأَنْتِ أَجَلُ السُّورَى رُتْبَةً
وَقَدْ نَتَجْتَ بِكَ أُمَّ الْعُلَا
فِيَا مَنْ بِهِ أَقْلَعُ النَّائِبَاتِ
تَرَحَّمْ عَلَى عَبْدِكَ الْمُسْتَهَامِ
وَإِنِّي لِأَجْلِبُ فَيْكَ السُّرُورَ
فَلَا تُشْمِتَنَّ بِي الْحَاسِدِينَ
وَلَا تُتْرِكُنِي لِقَىٰ لِلْهَمُومِ
وَأَلْسِنَةُ الْخَصْمِ مِثْلَ الصَّوَارِ
فَنَلْ سَيِّدِي أَنْسَ عِيدٍ جَدِيدِ

وَقَبَّلَكَ كَانَتْ عِظَاماً رَمِيماً
فَحَيَّرْتَ فِي مَا كَشَفْتَ الْفُهِوما
يَشُقُّ مِنَ الْغَيِّ لِيلاً بِهِيماً
وَأَصْبَحْتَ فِي كُلِّ عِلْمٍ عَلِيماً
وَطَوَّراً عَلِيماً وَطَوَّراً حَكِيماً
وَأَعْظَمُ قَدْرًا وَأَشْرَفُ خِيماً
وَمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ أَضَحَتْ عَقِيماً
كَمَا تَقْلَعُ الْمُرْسَلَاتُ الْغُيُوما
فَإِنِّي عَاهِدْتُكَ بَرًّا رَحِيماً
وَإِنِّي لِأَكْشِفُ فَيْكَ الْغُمُوما
فَتَطْمَعُ فِي الْعَدُوِّ الْمَشُوما
فَتَتْرِكُنِي فِي الزَّوَايَا هَشِيماً
مُتَسَقِّى الدَّمَاءِ وَتَفْرِي اللَّحُوما
وَحُزُّ فِي صِيَامِكَ أَجْرًا عَظِيماً

(٢٦٢)

بَقِيَّتَ (أَبَا الثَّنَاءِ) مَدَى اللَّيَالِي
يَحُولُ نَدَاكَ مَا بَيْنَ الرَّزَايَا
تُوعِدُنِي بِكَ الْأَمَالَ وَعِدًّا
تَجُودُ عَلَيَّ مُحِبِّكَ كُلَّ عَامِ

عَلَى الدَّاعِي لَكُمْ خَضِيلَ الْيَدَيْنِ
إِذَا هَطَلَتْ يَدَاكَ بِهِ وَيُنِي
رَأَيْتُ نَجَارَهُ مِنْ غَيْرِ مَيِّنِ
(بَلْبَسَ عِبَاءَةً وَتَقَرَّرَ عَيْنِي)^(١)

(١) تضمين لقول ميسون الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان:

ولبس عباءة وتقرر عيني

أحب إلي من لبس الششفوف

ولم يحصر بين قوسين في الأصول.

وقال يمدحه ويهنيه بالانصراف عن الإفتاء والعكوف على التدريس [وهي من الطويل]:

لَأَسْمَاءَ دَارٍ حَيْثُ (مُنْقَطَعُ الرَّمْلِ)
وَجَرَّتْ عَلَيْهَا الذَّيْلُ وَطَفَاءُ أُبْرَقَتْ
وَإِنِّي لَأَسْتَسْقِي لَهَا وَابِلَ الْحَيَا
عَهْدَتْهُ الْهَوَى فِيهَا وَكَانَتْ كَأَنَّمَا
حَلَفْتُ بِأَحْشَاءٍ يُحَرِّقُهَا الْجَوَى
وَمَا رُمِيتُ مِنْ مُهْجَةٍ صَادَهَا الْهَوَى
لَقَدْ فَتَكَتْ بِي أَعْيُنُ بَابِلِيَّةٍ
وَقَدْ فَعَلَ الشُّوقُ الْمُبْرِحُ فِي الْحَشَا
وَإِنْ فَاضَ دَمْعِي لَا أَزَالُ أَرِيقُهُ
وَجُورِ زَمَانٍ لَوْ أَرَى فِيهِ مَنْصِفًا
أَمَثْلِي يَطُوفُ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَتَقْذِفُنِي الْأَسْفَارُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
وَتَحْرِمُنِي الْأَيَّامُ مَا أَسْتَحِقُّهُ
وَأَرْجِعُ أَخْتَارَ الْإِقَامَةِ خَامِلًا
وَقَدْ عَكَفْتُ قَوْمٌ عَلَى كُلِّ جَاهِلٍ
يَطَاوِلُنِي مِنْ لَسْتِ أَرْضَاهُ مَوْطِنًا
وَفَاخِرُنِي مِنْ يَحْسَبُ الْجَهْلَ فَخْرَهُ
فَتَبًّا لِدَهْرٍ تُسْتَنْزَلُ قُرُومُهُ
أَقَامُوا مَقَامِي مِنْ جَهَلْتُ بِزَعْمِهِمْ
وَلَوْ طَلَبُوا مِثْلِي لَعَزَّ وَجُودُهُ

سَقَاهَا بَرَجَّافِ الْعَشِيَّةِ مَنْهَلٌ
وَرَاخَتْ وَمِنْ جَلَّالِهَا زَجَلُ الْفَحْلِ
وَإِنْ كَانَ دَمْعِي مَا يَنْوِبُ عَنِ الْوَيْلِ
مَوَاقِيئُهَا الْأُولَى مَوَاسِمَ لِلْوَصْلِ
وَكُلُّ قَرِيحِ الْجَفْنِ بِالْدمْعِ مُبْتَلٌ
بِمَكْحُولَةٍ (*) الْعَيْنِينَ مِنْ غَيْرِ مَا كَحَلِ
فَوَيْحَكَ يَا قَلْبِي مِنَ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
كَمَا تَفْعَلُ النَّيْرَانُ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ
فَمَنْ كَبِدٍ تَصَلَّى وَمِنْ لَوْعَةٍ تُصَلِّي
لِحَاكِمَتِهِ فِيهِ إِلَى حَكْمِ عَدْلِ
عَلَى أَرْبٍ يَرْضَى مِنَ الْكُثْرِ بِالْقَلِّ
فَمَنْ مَهْمَةٍ وَعَرٍ إِلَى مَهْمَةٍ سَهْلٍ
فَلَا كَانَتْ الْأَيَّامُ إِذْ ذَاكَ فِي حِلِّ
حَلِيفِ الْجَهْلِ الْوَعْدِ وَالْحَاسِدِ النَّذْلِ
كَمَا عَكَفَتْ أَقْوَامٌ مُوسَى عَلَى الْعَجْلِ
وَأُكْرِمَ نَعْلِي أَنْ أَقْيَسَ بِهِ نَعْلِي
وَنَاطِرُنِي مَنْ لَمْ يَكُنْ شَكْلُهُ شَكْلِي
وَتَسْتَكْبِرُ الْأَنْذَالَ فِيهِ وَتَسْتَعْلِي
فَمَا قَامَ فِي عَقْدٍ هُنَاكَ وَلَا حَلٌّ
وَمَا وَجَدُوا مِثْلِي وَأَنْتَى لَهُمْ مِثْلِي

(*) في الطبعة (١): (بمكحولة) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

إِلَامٌ أَمَنِّي نَفْسَ حُرِّ أَبِيَّةٍ
أَوَاعِدُهَا وَالدهْرُ يَأْبَى بِسَاعَةٍ
وَيَعْدِلُنِي مِنْ لَيْسَ يَدْرِي وَلَوْ دَرَى
عَلَى أَنَّنِي مَا بَيْنَ شَرِّ عَصَابَةٍ
لَقَدْ أَنْكَرُوا أَشْيَاءَ أَفْضَلَهُمْ بِهَا
وَمَا أَشْفَقُوا مِنْ وَخْزِ دَهْيَاءِ طَخِيَّةٍ
مَدَحَتْ (شَهَابَ الدِّينِ) بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا (١)
وَمَا يَمَمَتْ بِي نَاقَةٌ غَيْرَ بَابِهِ
هُوَ الشَّرْفُ الْأَعْلَى هُوَ الْعِلْمُ وَالتَّقَى
مَتَى حَاوَلْتَهُ الْيَعْمَلَاتُ حَتَّتَتْهَا
إِلَى دَوْحَةٍ مِنْ (هَاشِمِ) نَبَوِيَّةٍ
وَالْأَحْطُ عِلْمًا بِأَعْلَمٍ مِنْ بِهَا
وَإِنِّي إِذْ أَصْغِي لِمَعْنَى حَدِيثِهِ
كَلَامُكَ لَا مَا رَاعَ مَنْ كُلُّ بَاهِرٍ
وَكُنْتُ بَكَ أَمْثَالُ الشَّمْسِ طَوَالِعُ
هَدَيْتَ بِهَا مَنْ كَانَ مِنْهَا بِحَيْرَةٍ
وَأَمَلَيْتَ مَا حَارَتْ عُقُولُ الْوَرَى بِهِ
وَمَا تَنَكَّرُ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ عَالِمٌ
وَإِنْ عُدَّتِ الْأَشْيَاخُ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا
وَأَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْرِهِمْ
فَلَا أَخْذُ إِلَّا عَنكَ فِي الدِّينِ كُلِّهِ
وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ قَدْ عَزَلْتَ فَإِنَّمَا
يَحْطُ سِوَاكَ الْعَزْلُ عَنِ شَرَفِ الْعُلَا

شَدِيدٌ عَلَيْهَا فِي الدُّنَا مَوْقِفُ الذَّلِّ
تَبَلُّ غَلِيلِي حِينَ تَنْزَعْنِي غُلِّي
لَمَا عَجَّ فِي لَوْمِي وَلَا لَجَّ فِي عَذْلِي
حَرِيصِينَ لَا كَانُوا عَلَى الْخُلُقِ الرَّذْلِ
وَمَا عَرَفُوا فِي الدَّهْرِ شَيْئًا سِوَى الْبُخْلِ
كَمَا أَشْفَقُوا يَوْمَ النُّوَالِ مِنَ الْبَدْلِ
وَمَدَحُ (شَهَابِ الدِّينِ) فَرَضَ عَلَى مِثْلِي
وَلَا وَقَّرتُ إِلَّا بِإِحْسَانِهِ رَحْلِي
تَوَرَّتُهُ عَنِ جَدِّهِ سَيِّدِ الرُّسُلِ
إِلَى السَّيِّدِ (المحمودِ) بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
نَعَمْ إِنَّ هَذَا الْفَرْعَ مِنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ
فَسَلَّ مِنْ شُجَاعِ الْقَوْمِ عَنِ جَوْهَرِ النَّصْلِ
تَمَلَّتْ وَتَرْدَادِي بِأَمْدَاحِهِ نَقْلِي
وَلَقِظْتُكَ لَا مَا اشْتَبِيرَ مِنْ كُورَةِ النَّحْلِ
فَلَا اللَّيْلُ يَغْشَاهَا إِذِ الشُّكُّ كَاللَّيْلِ
وَأَوْضَحَتْ فِي (تَبْيَانِهَا) غَامِضَ السَّبِيلِ (٢)
وَأَصْبَحَتْ الْأَقْلَامُ تَكْتُبُ مَا تُمَلِي
وَإِنْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ أَمِيلًا لِلْجَهْلِ
فَإِنَّكَ شَيْخُ الْكُلِّ مَوْلَايَ فِي الْكُلِّ
عَلَيْكَ اعْتِمَادُ الْقَوْلِ بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ
أَلَا إِنَّ حَقَّ الْأَخْذِ مِنْ قَوْلِكَ الْفَصْلِ
عَزَلْتَ وَلَمْ تُعَزَلْ عَنِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ
وَمِثْلُكَ لَا يَنْحَطُّ مَا عَاشَ بِالْعَزْلِ

(١) فِي حَدِيثَةِ الْوَرُودِ: (... بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى).

(٢) التَّبْيَانُ مِنْ كِتَابِ الْأَلُوسِيِّ. وَفِي الْأَصُولِ: (وَاضِحِ السَّبِيلِ) وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَوْلَى.

سِوَاكَ - وَإِنْ يَأْبَ الْمُعَانِدُ - مِنْ بَعْلِ
 فَلَوْ خُلِّيتَ جَاءَتِكَ تَمْشِي عَلَى رَجُلٍ
 إِلَيْكَ حَنِينِ الْمُسْتَهَامِ إِلَى الْوَصْلِ
 إِلَيْكَ إِذَا عَنِّي فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِي
 أَشَدَّ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ مَوْعِ النَّبْلِ
 وَيَا كُثْرَ مَا أَخْرَتُ أَشْيَاءَ مِنْ قَوْلِي
 يَرَى مِنْ كَلَامِي فِيكَ نَضْنَضَةً* الصَّلِّ
 أَذُوقُ الرَّدَى فِيهِ مَرِيرًا وَأَسْتَحْلِي

وَهَلِ لِمَعَالِي لَا أَبَا لِأَبِيهِمْ
 وَهَبَّهَا لَدَى أُسْرِ لَدَى غَيْرِ كُفْوِهَا
 تَحْنُ إِلَى مَحْيَاكَ وَهِيَ مَشُوقَةٌ
 وَكَمْ مَنْصَبٍ قَدْ قَالَ يَوْمًا لِأَهْلِهِ
 أَغْظَتْ بِكَ الْحُسَادَ فِي كُلِّ مِدْحَةٍ
 وَقُلْتُ وَلَمْ أَرْجِعْ إِلَى غَيْرِ مِثْلِهِ
 يَغِيظُ كَلَامِي فِيكَ كُلَّ مَنَاضِلٍ
 وَفِيكَ أَقُولُ الْحَقَّ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي

(٢٦٤)

وَالْبِشْرُ لِمَا حَلَّ لَا شَكَّ حَلُّ
 وَالسَّادَةُ الْغُرُّ الْكِرَامُ الْأَوْلُ
 وَشَمْسُ فَضْلِ فِي الْعُلَا لَمْ تَزَلْ
 (الْخَيْرُ فِي مَوْلَدِهِ قَدْ حَصَلَ)

بُشْرَاكَ فِي نَجْلِ نَجِيْبٍ بَدَا
 مَنَاقِبُ الْأَبَاءِ تَحْيَا بِهِ
 نَوْرٌ يُرِيدُ اللَّهُ إِظْهَارَهُ
 قَدْ وُلِدَ الزَّاكِي فَارْخُتُهُ

(٢٦٥)

وقال يمدحه ويتشوق إليه حين سافر إلى استانبول [وهي من الطويل]:

تَأَجَّجُ مِنْ شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَيْكَمَا
 وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْكُمْ وَعَلَيْكَمَا

خَلِيلِي فِي قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ جَدْوَةٌ
 يُعَانِي فُوَادِي مَا يُعَانِي مِنَ الْجَوِي

(١) القصيدة لم ترد في النسخ الخطية. وعبدالله بهاء الدين، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٨).

(* من معاني النضنضة: تحريك الحية لسانها.

وقد كادَ هذا القلبُ يُضرمُ نارهَ
ولي أَعينُ عَرَفَى ولكنْ بمائها
وأَعذرُ أَجفاني على فَيْضِ أَدْمعي
وأَدعولها بِالغُمُضِ وهو بمَعزِلِ
تَناءِيئِهما عن وامِقِ فيكما شَجِ
فهل تَرياً بَيْناً رَمِيناً بَسَهمِهِ
وها أنا حتَّى تَنقُضي مُدَّةُ النُّوى
لذِكْرِكُما أُصْغِي إذا ما ذُكِرْتِما
وعِيشاً قَضِيناهُ نَعِيماً بِقَربِكُم
وما اجْتازَ بي ركبٌ يَجِدُ بِسَيرِهِ
وإنْ نُشِرَتْ صُحُفُ الغَرامِ لَدَيكما

ويوشكُ قلبُ الصَّبِّ أنْ يَتَضَرَّما
تُساوِطُ منها الدَّمْعُ فِذاً وتَوأما
ولو أَنَّها فاضَتْ لِفَقْدِكُما دَما
لعلَّ خَيالاً يَطْرُقُ العَينَ مِنكما
فأَنجَدْتِما يا صاحِبَيَّ وأَتَهما
دَري أَيِّ قلبٍ قد رَمَاهُ وما رَمَى
أَعْلَلُ قَلبِي في عَسي ولربَّما
وأذْكرُ عَهْداً مِنكما قد تَقَدَّما
وللهِ عِيشٌ ما أَلذُّ وأُنَعَمَا
مِنَ (الرُّومِ) إلاَّ أَسألُ الرَكبَ عَنكما
ففي طَيِّها مَنِّي السَّلَامُ عليكما

(٢٦٦)

وقال [وهي من المتقارب]:

عَرَفْتُ صَبابَةَ هَذي النُّياقِ
كَأَنَّكَ لَم تَدْرِي أَنَّ الهَوى
أُعِيدُكَ مَما بها يا (هُذَيْمِ)
نَأَتْ عَن مَنازِلِها في (الغَمِيمِ)
وَأَجَرَتْ مَدامِعَها حَسْرَةً
ألا صَبَحَ الغَيتُ تلكَ الدِيارِ
فما هي إلاَّ مُنى العاشِقينِ
فَحَلَّ المَطِيَّ على ما بها
لئن وَقَفْتُ بِكَ في (الرَقَمَتَيْنِ)
فما عَرَفْتُ أوجَهُ المُغْرَمينِ
وإنَّكَ إنْ تَعزَلِ الوامِقينِ

فما لك تَسألُ عَن دائِها؟
دَواها وَجالِبُ ضَرائِها
غَرامٌ أَقامَ بأَحْشائِها
سَقَتْها السَّماءُ بِأَنوائِها
على النازِلينِ بـ (جَرَعاها)
وحيًا مَنازلَ أَحِياها
تَلوحُ الدِيارُ بِأرجائِها
ووافِقُ تَخالَفَ أَهوائِها
وَقَفْتُ على بَعضِ أدوائِها
لَعَمْرُكَ إلاَّ بِسَيمائِها
فإنَّكَ أَكْبَرُ أَعْدائِها

(٢٦٧)

وقال يمدح العلامة عبدالغني آل جميل [وهي من المتقارب]:

كفاني المَهَمَّاتِ (عبدُ الغني) وذلكَ من بعضِ أفْضالِهِ
فإنْ نِلْتُ مالاً فَمِنْ جَاهِهِ وإنْ نِلْتُ جَاهاً فَمِنْ مالِهِ

(٢٦٨)

وقال يمدحه ويهنيه بالشفاء من مرضٍ أصابه [وهي من الوافر]:

حَبَاكَ اللهُ مِنْهُ بِالشِّفَاءِ وَمَتَّعَكَ المُهَيِّمِينَ بِالبَقَاءِ
فِيَا بَحْرَ النُّوَالِ وَلَا أُمَارِي وَيَا بَدْرَ الكَمَالِ وَلَا أُرَائِي
حَيَاتِكَ فِي الوُجُودِ (أبا جميلٍ) حَيَاةً لِلْمُرُوءَةِ وَالسَّخَاءِ
وَفِي وَجْدَانِكَ الأَيَّامُ تَزْهُو كَمَا تَزْهُو الرِّيَاضُ مِنَ البَهَاءِ
لِتُشْرِقَ فِي أُسْرَتِكَ النُّوَاحِي وَلَا يَبْقَى الظَّلَامُ مَعَ الضِّيَاءِ
وَأدْعُو اللهَ مُبْتَهَلًا إِلَيْهِ دُعَاءً فِي الصَّبَاحِ وَبِالمَسَاءِ
دُعَاءً يَشْمَلُ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَيَبْعَثُ بِالمَسْرَةِ وَالهَنَاءِ
بِأَنْ يُبْقِيكَ لِلإِسْلَامِ ظِلًّا تَقِيهِ كُلُّ مُمْتَنِعِ الوِقَاءِ
فَلَا اعْتَلْتُ لِعِلَّتِكَ المَعَالِي وَلَا فَاقَدْتُكَ أَبْنَاءَ الرِّجَاءِ
دَوَاءً لِبِالْعُلَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ

(٢٦٩)

وقال يمدحه أيضاً [وهي من الوافر]:

أراني والخُطوبُ إِذَا أَلَمَّتْ رَحَبْتُ إِلى جَمِيلِ (أبي جميلٍ)
كَأَنَّ اللهَ وَكَلَهُ بِرِزْقِي وَحَوَّلَنِي عَلَى نِعَمِ الوَكِيلِ^(١)

(١) يعتبر الشاعر (نعم) اسماً مضافاً، على مذهب بعض نحاة الكوفة.

(٢٧٠)

قال مادحاً السيد محمد سعيد النقيب^(١) [وهي من الكامل]:

حتّى ظَنَنْتُ فَوَادَهَ جُأْمُودَا
وَأَهَجْتَ مِنْ حَرِّ الْغَرَامِ وَقُودَا
وَدُمُوعُ طَرْفٍ يَأْلَفُ التَّسْهِيدَا
وَمَنْحَتْنِي بَعْدَ الْوِصَالِ صُدُودَا
وَكَسَوْتَنِي ثَوْبَ السَّقَامِ جَدِيدَا
مَنْ كَانَ صَبِيّاً فِي هَوَاكَ عَمِيدَا
يَوْمَاً لِنِيرَانِ الْفَوَادِ خُمُودَا
وَالْحَامِلَاتِ بَوَارِقَاً وَرُعُودَا
سَحَبْتُ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ بُرُودَا
حَتَّى حَلَلْتُ مَقَامَكَ الْمَحْمُودَا^(٢)
فَرَأَيْتُ طَالِعَ مُجْتَدِيهِ سَعِيدَا
فَاعَادَ هَاتِيكَ النُّحُوسَ سُعُودَا
وَرَأَيْتُ مِنْهُ الطَّالِعَ الْمَسْعُودَا
وَأَغْظَتُ فَيْكَ مُعَانِدَاً وَحَسُودَا
لَنْظَرْتِ مِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا
كَرَمَاً يَسُرُّ الْأَمْلِينَ وَجُودَا
غَيْثَاً يَسُحُّ وَمَنْهَلَاً مَوْرُودَا
إِلَّا مَدِيحَاً مُفْنِعَاً وَمُفِيدَا
مَدَّتْ عَلَيْنَا ظِلَّكَ الْمَمْدُودَا

كَمْ قَدْ أَلَيْنُ لِمَنْ قَسَا بِصُدُودِهِ
وَلَكُمْ أَسَلْتُمْ مِنَ الْعُيُونِ مَدَامِعَاً
كَبِدُ تَذُوبٍ وَحَسْرَةُ لَا تَنْقُضِي
أَنْكَرْتُمْ مَعْرِفَتِي عَلَى عَهْدِ النَّوَى
أَخْلَقْتَ صَبْرِي بَعْدَ بَعْدِكَ بِالنَّوَى
لَوْلَا الْعُيُونُ النَّجْلُ مَا عَرَفَ النَّوَى
وَلَقَدْ أَرَى نَارَ الرَّفِيرِ وَلَا أَرَى
فَالْمَوْقِرَاتُ بَرِيَّهَا وَقِطَارَهَا
تَهْمِي النَّدَى وَتُرِيكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ
مَا زِلْتُ أَحْمَدُ لِلْمَسِيرِ عَوَاقِبَاً^(٣)
طَالَعْتُ فِي وَجْهِهِ (السَّعِيدِ مُحَمَّدٍ)
قَابَلْتُ أَحْدَاثَ النُّحُوسِ بِسَعْدِهِ
وَزَجَرْتُ طَيْرَ السَّعْدِ يَهْتَفُ بِاسْمِهِ
أَقْرَرْتُ عَيْنَ الْمَجْدِ فَيْكَ مَدَائِحَاً
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى سَنَاهِ وَمَجْدِهِ
مَا زَالَ يُولِينَا الْجَمِيلَ بِفَضْلِهِ
وَإِذَا اسْتَمَحْتُ بِهِ النَّوَالَ وَجَدْتُهُ
وَلَقَدْ مَدَحْتُ الْمَاجِدِينَ فَلَا أَرَى
لَا فَارَقْتُ عَيْنَايَ طَالَعْتِكَ الَّتِي

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٢).

(٢) في المخطوطة (أ) (ما رحمت...).

(٣) من هذا البيت تبدأ القصيدة في نسخة الأنكرلي.

ساداتُ أبناءِ الزمانِ بأسرِهِمْ
تُفَنِّي مَكَارِمَهُ الحُطَامِ وَيَقْتَنِي
فَلَقَدْ رَقَيْتُ بِهَا لِأَرْفَعِ رَتَبَةً
وَيُرِيكَ إِنْ ضَلَّتْ عَقُولُ أُولِي النُّهَى
أَخَذُوا بِنَاصِيَةِ المَفَاخِرِ والعُلا
وتَخَالَهُمْ عِنْدَ العِطَاءِ غَمَائِمًا
إِنِّي لِأَشْكُرُ مِنْ جَمِيلِكَ مَا بِهِ
هَذَا الذِّكَاءُ وَلَا مَزِيدَ عَلَيَّ الَّذِي
أَبَتِ المَحَاسِنُ وَالمَكَارِمُ فِي النَّدَى
أَخَذُوا المَذَاهِبَ فِي الجَمِيلِ فلمْ نَجِدْ
فَلَدَّتْني نِعْمًا أَنْوَاءُ بِحَمَلِهَا
لا زلتُ لي عِيدًا أَشَاهِدُ عَوْدَهُ

وَرِثُوا المَكَارِمَ طَارِفًا وَتَلِيدًا
ذِكْرًا يَخْلُدُ فِي التَّنَاءِ خُلُودًا
فَبَلَّغْتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ صُعودًا
رَأْيًا يُرِيكَ بِهِ الصَّوَابَ سَدِيدًا
وَتَسَنَّمُوهَا قُومًا وَقُعودًا
وَتَظُنُّهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ أَسودًا
أَكْبَتُ مِنْ بَعْدِ الحَسودِ حَسودًا
أَبْصَرْتُ مِنْكَ لِمَنْ أَرَادَ مَزِيدًا
إِلَّا بَقَاءَ بَعْدَهُمْ وَخُلُودًا
إِلَّا مُقْلِدَهُمْ بِهِ تَقْلِيدًا
فَنظَّمْتُ فِيكَ قَلَانِدًا وَعُقُودًا
حَتَّى أَلَاقِي يَوْمِي المَوْعُودًا

(٢٧١)

وقال [وهي من الطويل]:

وَإِنِّي لَشَيْعِيٌّ لَأَلِ مُحَمَّدٍ
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْفُ قَوْمِي وَعُدَّي
وَأَنَّ وَلِيَّ اللَّهِ بَيْنَ المَلَا (علي) (١)

(١) توجيه لطيف بين الإمام علي والسيد (علي) النقيب.

وقال يمدح السيد علي النقيب القادري^(١) ويعتذر عما أثاره خصومه حتى أوغروا

وَحَالَتْ بِنَا إِذْ خَفَّ قَاطِنُهَا الْحَالُ
 وَهَلْ نَافِعِي مِنْ أَرْسُمِ الدَّارِ تَسْأَلُ؟
 وَمَا يَنْقُضِي وَجْدٌ عَلَيْهَا وَبَلْبَالُ
 تَهَيَّجُهَا مَنِّي غُدُوٌّ وَأَصَالُ
 لِنِيرَانِهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ إِشْعَالُ
 أَلَا لِلهَوَى الْعِذْرِيَّ مَا جَمَعَ الضَّالُ
 وَيَقْتُلُنِي بِالهِجْرِ وَالهِجْرُ قَتَالُ
 يَمِيسُ بِهِ قَدُّ مِنَ الْبِنَانِ مَيَالُ
 خُطُوبُ لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ وَأَهْوَالُ
 فَمَا غَابَ مِنْكُمْ عَنْ فَوَادِي تَمَثَالُ
 وَهَمِّي عَلَيْكُمْ فِي الْمَهَامِ جَوَالُ
 وَلِلصَّبِّ لَوَامٌ وَلِلْحَبِّ عُدَالُ
 وَجُرْتُ عَلَيْهَا لِلْغَمَانِ أَذْيَالُ
 وَقَدْ غَالَهُ مِنْ طَارِقِ الشَّيْبِ مُغْتَالُ
 سَفَائِنُ بَرُّلُجٍ أَبْحُرِهَا الْآلُ
 وَعَيْشِي أَنْكَادُ تَسْوَةٌ وَأَنْكَالُ
 وَأَبْيَضُ هِنْدِيٌّ وَأَسْمَرُ عَسَالُ
 لِصَاحِبِهَا فِي مَوْقِفِ الضَّمِيمِ إِذْ لَالُ
 بِحَيْثُ اسْتَوَى عِنْدِي ثَرَاءٌ وَإِقْلَالُ
 وَلَوْ قُطِّعَتْ مَنِّي لِذَلِكَ أَوْصَالُ

عَفَتْ أَرْسُمٌ مِنْ دَارِ مِيٍّ وَأَطْلَالُ
 فَكَمْ أَسْأَلُ الدَّارَ الْبَوَالِي رُسُومُهَا
 وَقَفْتُ بِهَا أَقْضِي لَهَا الدَّيْنَ بِالْأَسَى
 وَفِي النَّفْسِ مِنْ تِلْكَ الْمَنَازِلِ لَوْعَةٌ
 وَكَمْ هَيَّجَتْ بِي زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ
 وَعَهْدِي بِ (ذَاتِ الضَّالِّ) عِذْرٌ عَلَى الْهَوَى
 بَرُوحِي مِنْ كَانَتْ حَيَاتِي بِقُرْبِهِ
 الْأَحْظُ مِنْهُ الْبَدْرُ فِي غَسَقِ الدُّجَى
 أَحْبَبْنَا قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 لَنْ غِيبْتُمْ عَنْ نَاطِرِي وَحُجِبْتُمْ
 وَمَا سَرَّنِي أَنِّي مُقِيمٌ بِبِلْدَةِ
 الْأُمِّ عَلَيْكُمْ فِي الْهَوَى وَهَوَانِهِ
 سَقَى اللَّهُ هَاتِيكَ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا
 وَعَهْدًا مَضَى فِيهِ الشَّبَابُ وَطَيْبُهُ
 سَارَكْبُهَا فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ مَرْكَبًا
 وَلَسْتُ مُقِيمًا مَا أَقَمْتُ بِمَنْزَلٍ
 وَتَصَحَّبْتَنِي فِي كُلِّ فَجٍّ عَزِيمَتِي
 وَمَا مَلَكَتْ مَنِّي الْمَطَامِعُ مَقْوَدًا
 وَمَا سَاءَنِي فَقْرٌ وَلَا سَرَّنِي غِنَى
 وَلَمْ أَدْنُ مِنْ أَشْيَاءَ مِمَّا تَشِينُنِي

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

وما كان بي والحمد لله خُلَّةٌ
ولستُ أبالي والأبوةُ مَذْهَبِي
هُمُ سَابِقُونِي بِالْفَخَارِ فَقَصَّرُوا
ولي بي (علي) القَدْرُ عن غيره غِنَى
من القَوْمِ أبنَاءِ النُّبُوَّةِ والعُلَا
سَلِ المَجْدَ عَنْهُمْ مُجْمَلًا ومُفَصَّلًا
إذا وَصِفُوا بِالْعِلْمِ والحِلْمِ والتَّقَى
قَوَاضٍ عَلَى أَمْوَالِهِمْ بِنَوَالِهِمْ
عَزَائِمُهُمْ شَرْقًا وغَرْبًا وَيَأْسُهُمْ
إِلَيْكَ (أبا سلمان) تَسَعَى رِكَابُنَا
وَتَصْدُرُ عَنْكَ الوَارِدُونَ ظِمَاؤُهَا
إذا نحنُ أَنْتَيْنَا عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
يَصِحُّ رَجَائِي فِي عِلَاكَ مَرِيضُهُ
تُبَشِّرُ بِالنَّعْمَاءِ مِنْكَ بِشَاشَةٌ
تُغِيثُ بِغَوْثٍ مِّنْ دَعَاكَ لِكَرْبِهِ
وما زال بي من جودِ فَضْلِكَ نِعْمَةٌ
إذا ما اسْتَقَى العَافُونَ مِنْ يَدِكَ النَّدَى (**)
وفيك (أبا سلمان) بِالنَّاسِ رَافَةٌ
يُخَبِّرُ عَنْكَ الفَضْلُ أَنَّكَ أَهْلُهُ
تَبْلَجُ صَبْحُ الحَقِّ بِالصِّدْقِ ظَاهِرًا
أَمَا وَجَمِيلٍ مِنْ صَنِيعِكَ سَالِفٍ
وَأَبَائِكَ العُرِّ المَيَامِينِ إِنَّهُمْ
لَقَدْ كَذَبَ الحُسَادُ فِي مَا تَقَوْلُوا

لها بالشَّرِيفِ البَاذِخِ المَجْدِ إِخْلَالُ
إذا أُعْرَضَتْ عَنِّي مع العِلْمِ جُهَالُ
وهم طاولوني (*) بالإبَاءِ فما طالوا
إذا عُدَّ قَوْلُ لِّلْكَرَامِ وَأَفْعَالُ
يُشَامُ لَهُمْ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ خَالُ
ويُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ إِذْ ذَاكَ إِجْمَالُ
فبِالعِلْمِ أَعْلَامٌ وبِالحِلْمِ أَجْبَالُ
وما نِيلَ هَذَا الفَضْلُ إِلَّا بِمَا نَالُوا
قُيُودُ بَاءِ عُنَاقِ الرِّجَالِ وَأَغْلَالُ
وفِيهَا إِلَى مَعْنَاكَ حَلٌّ وَتِرْحَالُ
عليها من الإِنْعَامِ والشُّكْرِ أَثْقَالُ
لكلِّ نَسِيحٍ مِنْ تَنَائِكَ مَنَوَالُ
ومن إِسْمِكَ العَالِي لَقَدْ صَدَقَ الفِئَالُ
وعطفُ عَلَى مِنْ يَرْتَجِيكَ وإِقْبَالُ
وللغَيْثِ مِنْ جَدْوَى يَمِينِكَ إِخْجَالُ
تُسَرُّ بِهَا نَفْسِي وَيَنْعَمُ لِي بِأَلِ
سَقَاها الأيَادِي عَارِضٌ مِنْكَ هَطَالُ
يُنَالُ بِهَا قَصْدٌ وَتُدْرِكُ أَمَالُ
ويشْهَدُ فَيْكَ البِئْسُ أَنَّكَ رَثْبَالُ
فلا احْتَالَ بَعْدَ اليَوْمِ بِالزُّورِ مُحْتَالُ
عَلَيَّ بِهِ مَنْ وَفَضْلٌ وإِفْضَالُ
عُيُوثٌ إِذَا جَادُوا لُيُوثٌ إِذَا صَالُوا
عَلَيَّ وَأَيُّمُ اللّهِ مَا قَلْتُ مَا قَالُوا

(*) في الطبعة (١): (طالبوني) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (النوى) وصوابها من الطراز الأنفس.

وَيَثْنِيكَ عَنِّي ذَلِكَ الْقَيْلُ وَالْقَالُ
 وَلِي فِيكَ مِنْ غُرِّ الْمَدَائِحِ أَقْوَالُ
 وَصَوْبُكَ مُنْهَلٌ وَجُودُكَ سَيَّالُ
 وَأَرْقُلُ فِي بُرْدِ النَّعِيمِ وَأَخْتَالُ
 وَأَفْتَحُ أَبْوَاباً عَلَيْهِنَّ أَقْفَالُ
 وَمَا فِي خُلُوصِي بِالْمَوَدَّةِ إِشْكَالُ
 وَتُضْرَبُ فِي نَعْمَاكَ لِلنَّاسِ أَمْثَالُ
 عَلَيْكَ فَمَأْمُولٌ بِهَا الْجَاهُ وَالْمَالُ
 وَكَمْ تَتَحَلَّى فِي ثَنَائِكَ مِعْطَالُ

أَعْيُذُكَ أَنْ تُصْغِي إِلَى قَوْلِ كَاذِبٍ
 أَلَمْ أَقْضِ عَمْرِي فِي ثَنَائِكَ كُلَّهُ
 خَدَمْتُكَ فِي مَدْحِي ثَلَاثِينَ حِجَّةً
 أَبَاهِي بِكَ السَّادَاتِ شَرْقاً وَمَغْرِباً
 أَنْالُ بِكَ الْأَمَالَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
 وَإِنِّي لِأَرْعَى النَّاسَ بِالشُّكْرِ ذِمَّةً
 وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهَا
 إِذَا مَا الْقَوَافِي أَقْبَلَتْ بِثَنَائِهَا
 وَقَافِيَةٌ تَتَلَّى وَيَحْلُو نَشِيدُهَا

(٢٧٣)

رَاغِمًا بِالْعِزِّ أَنْفَ الْحَاسِدِينَ
 (إِرْكَبُوا فِيهِ بِخَيْرٍ آمَنِينَ)
 ١٢٨٨هـ

سِرٌّ بِحِفْظِ اللَّهِ وَارْجَعْ سَالِمًا
 رَاكِبًا فِي مَرْكَبِ أَرْخِئْتُهُ

(٢٧٤)

وقال مؤرخاً تعمير جامع الإمام الأعظم الذي أمرت به والدة السلطان عبدالعزيز

مَنْ جَامِعَ رَحْبِ الْفِنَاءِ مُنْمَنَمٌ
 سِمَةٌ التَّقَى لِلنَّاطِرِ الْمُتَوَسَّمِ

لِلْوَالدَةِ الْمَلِيكِ وَمَا بَنَتْ
 لِلرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ لِقَدْ زَهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٠).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

(*) في الطبعة (١): (وهي من الطويل) وهو خطأ طباعي والصواب أن القصيدة من البحر الكامل.

ترجو من الله الكريم مَثْوِيَةً
إِذْ غَيَّرْتَهُ وَقَدَّرْتَهُ بِحِكْمَةٍ
أَخَذْتَ بِتَوْسِعَةٍ لَهُ وَأَعَانَهَا
فِيهِ الْإِمَامَ (أَبُو حَنِيفَةَ) مِنْ لَهُ
أَخَذْتَ عُلُومَ أَصُولِهَا وَقُرُوعِهَا
قَدْ عَمَّرْتَهُ وَشَيَّدْتَهُ وَجَدَّدْتَهُ

أَجْرُ الْمُثِيبِ عَلَى الْجَمِيلِ الْمُنْعِمِ
وَكَذَا يُرَادُ مِنَ الْبِنَاءِ الْمُحْكَمِ
نَظَرُ الرَّدِيفِ وَخِدْمَةُ الْمُسْتَخْدَمِ
زُهْرُ الْمَنَاقِبِ مِثْلُ زُهْرِ الْأَنْجَمِ
عَنْهُ الْأَيْمَةُ فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
تَارِيخَ (مَسْجِدِ لِلْإِمَامِ الْأَعْظَمِ)
١٢٨٨هـ

(٢٧٥)

أَرَدَ الدَّمْعُوعَ بِأَرْدَانِهِ
صِيَانَةَ سِرِّ الْهَوَىٰ يَا (هُذَيْمُ)
وَلَوْ أَنْكَرَ الصَّبُّ أَمْرَ الْغَرَامِ
وَأَرْسَالَ عَبْرَتَهُ فِي السِّدْيَارِ
يَحْنُ إِلَىٰ أَثْلَاتِ (*) الْغُؤْوِيرِ
وَهَامُ ب (سَلْع) هِيَامَ الْمَشْوِقِ
وَقَدْ قَالَ (سَعْدُ) بِذَلِكَ الْحِمَى
وَذَلَّ لِسُلْطَانِ حُكْمِ الْهَوَىٰ
وَعَرَفْنِي الْبَرْقُ شَأْنَ الْغَرَامِ
وَأَوْقَدَ فِي الْقَلْبِ نَيْرَانَهُ
رَأَىٰ صَاحِبِي آيَةً لِلْفُؤَادِ
وَكَادَ يُصَدِّقُ لَوْلَا الْخُنَىٰ
فَأَمَّنَ فِي مُرْسَلَاتِ الدَّمْعِ

وَكَفَّ عِبْرَةَ أَجْفَانِهِ؟
فَبَاحَ الْبُكَاءَ بِكَيْتْمَانِهِ
لَجَاءَ الْغَرَامُ بِبُرْهَانِهِ
تَعَبَّرُ عَنْ فَرْطِ أَشْجَانِهِ
حَنِينِ الْغَرِيبِ لِأَوْطَانِهِ
وَمَا هَامَ إِلَّا لِسُكَّانِهِ
شَجَّجَتْهُ مَلَاعِبُ غِرْلَانِهِ
وَمَا ذَلَّ إِلَّا لِسُلْطَانِهِ
وَمَا أَعْرَفَ الْمَرَّةَ فِي شَانِهِ
فَمَاذَا تَقُولُ بِنَيْرَانِهِ؟
تَدُلُّ عَلَىٰ ضِدِّ سُلُوانِهِ
بِزُورِ السُّلُوءِ وَبُهِتَانِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُ بِإِيمَانِهِ

(*) في الطبعة (١): (أثلاث) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٢٧٦)

وقال [وهي من الوافر]:

وَعَدَلُ مَا قَضَى فِي الْحُبِّ يَوْمًا عَلَى عَشَّاقِهِ إِلَّا بَطْطُمٌ
فَهَمَّتْ بَأَنَّهُ قَمَرٌ مُنِيرٌ وَلَكِنْ قَدْ تَحَيَّرَ فِيهِ فَهَمِي

(٢٧٧)

وقال [وهي من الطويل]:

رَعَى اللَّهُ أَيَّامَ السُّرُورِ بـ (حاجر)^(١) وَعَهْدَ صَبَابَاتِي بِهِ وَغَرَامِي^(٢)
بِحَيْثُ الْهَوَى عَذْبُ الْمَجَانِي بِقُرْبِهِ وَلَا عَهْدَ لِي مِنْ عَانِلٍ* بِمَلَامِ
وَقَدْ جَمَعْتَنَا لِلذَّائِدِ سَاعَةً أَحَلَّتْ لَنَا بِالسُّكْرِ كُلَّ حَرَامِ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا كَأْسُ رَاحِ رَوِيَّةٍ تُدَارُ وَلَكِنْ فِي أَكْفٍ غَلَامِ
إِذَا رُمَتْ مِنْهُ الْوَصْلُ كَانَ مَرَامُهُ مِنْ الْوَصْلِ أَقْصَى بُغْيَتِي وَمَرَامِي
وَإِنْ رَابَهُ مَنِّي أَوْامٌ أَبْلَاهُ وَكَمْ بَلَّ يَوْمًا غَلَّتِي وَأَوَامِي
شَرِبْتُ حَمِيًّا كَأْسَهُ وَرُضَابَهُ وَكَلْتَاهُمَا يَا صَاحِ كَأْسِ مُدَامِ
وَلَذُّ بِسَمْعِي فِيهِ نَظْمٌ شَدَا بِهِ عَلَى نَغْمِ السَّاعِينَ شَدَوْ حَمَامِ

(٢٧٨)

وقال يهجو أحد القضاة [وهي من الوافر]:

أرى القضاة يُشارِكُ كُلَّ حَيٍّ وَليْسَ الْمَيْتُ يَنْجُو مِنْ يَدَيْهِ
وَأُقْسِمُ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ تَوَرَّتْ مِنْهُ إِحْدَى خِصِيَّتَيْهِ

(١) في نسخة الأتكرلي (... بأغيد).

(٢) لم ترد هذه القصيدة في النسختين الخطيتين (أ و ب).

(* في الطبعة (١): (عادل) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وقال مادحاً أحد ولاية بغداد^(١) [وهي من الرمل]:

<p>بَدْرُ تَمِّ لَاحَ فَاسْتَوَفَى الْكَمَالَا فَرَأَتْ أَعْيُنُهُ السُّحْرَ حَلَالَا زَادَنِي مِنْ لَوْعَةِ الْوَجْدِ اشْتَعَالَا مَانَعِي مِنْ تَغْرِهِ الْعَذْبَ الزَّلَالَا أَقْصَرَ الْعَاذِلُ لَوْمِي أَمْ أَطَالَا هُو لَمْ يَشْهَدْ طِعَانَا وَنِزَالَا زَادَ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْوَجْدِ ذُبَالَا أَهْرَقَتْ أَجْفَانُهُ الدَّمْعَ الْمُدَالَا سَيْفٌ عَيْنِيهِ وَمَا كَانَ حَلَالَا (٢)</p>	<p>رَاقٍ لِلْأَبْصَارِ حُسْنًا وَجَمَالَا فَقَرَّتِ الْعَيْنُ بِهِ مِنْ أَبْلَاحِ كَلَّمَا زَادَ وَمِيضًا بَرَقُهُ ظَامِيءُ الْأَحْشَاءِ فِي الْحُبِّ إِلَى لَا أَبَالِي فِي صَبَابَاتِ الْهَوَى كَمْ طَعِينٍ بِقَوَامٍ أَهْوَى إِنَّ لِلْحُبِّ لِعَمْرِي كِبِدًا صَانَ فِي أَحْشَائِهِ الْحُبَّ وَقَدْ يَا مُحَلًّا فِي الْهَوَى مَنِّي دَمًا</p>
<p>هَبَّةٌ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحَالَ الْجَوْرَ عَدْلًا فَاسْتَحَالَ حُلَّةَ الْفَخْرِ جَمَالًا وَجَلَالَا مِنْ ثَنَاءٍ وَجَدَتْ فِيهِ مَجَالَا نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهَا تَتَوَالَى وَاحِدُ الدُّنْيَا مَقَالًا وَفِعَالَا مَا رَأَى مِنْ بَعْدِ مَا اعْوَجَّ اعْتِدَالَا لَمْ تُجِبْ دَعْوَتَهُ إِلَّا أُمَّتِثَالَا</p>	<p>وَكَمَمَالَاتٍ وَعَالَمٍ وَنَهْيٍ دَبَّرَ الْمُلْكَ بِرَأْيٍ ثَاقِبٍ وَكَسَا (بَغْدَادَ) فِي أَيَّامِهِ كَلَّمَا جَالَتْ بِهِ أَفْكَارِنَا فَرَأَيْنَاهَا لِعَمْرِي بِلْدَةً قَدْ زَهَتْ فِيهِ وَقَدْ عَمَّرَهَا و(الْعِرَاقُ) الْآنَ لَوْلَا عَدْلُهُ لَوَدَعَا الشُّمَّ الرُّوَاسِيَّ أَمْرَهُ</p>

(١) يبدو أن هذه القصيدة في مدح مدحت باشا. ولم يثبتها أحمد عزة الفاروقي في الطراز الأنفس خشية من السلطات بعد إقصاء مدحت باشا.

(٢) هنا أبيات محذوفة لم نوف عددها. وفي الأصول مكانها (.. إلى أن قال).

أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ^(١)
حِكْمٌ تَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ وَمَنْ
وَسَجَايَاهِ السَّيِّئَةِ فِي ذَاتِهِ
فِي مَزَايَاهِ لَعَمْرِي كَرَمٌ
لَوْ تَطَلَّبْتَ سِوَاهَا مِثْلَهَا
دَوْلَةٌ أَيْدِيهَا إِلَى اللَّهِ فَمَا
مِنْ رَجَالٍ يُنْظَمَ الْمُلْكُ بِهِمْ
قُوَّةٌ فِي ذَاتِهِمْ لَوْ حَاوَلُوا
زَارَ (بَغْدَادَ) فَزَارْتَنَا بِهِ
يَا لَهَا مِنْ زُورَةٍ مَقْبُولَةٍ
فَلَقَدْ وَلَّاكَ سُلْطَانَ السُّورَى
يَوْمَ أَقْبَلْتَ عَلَيَّ (بَغْدَادَ) فِي
هُوَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَقَدْ
جِئْتَ بِالْخَيْرِ عَلَيْنَا مُقْبِلًا
فَرَأَيْنَا مِنْكَ مَا لَمْ نَرَهُ
وَإِذَا مَا مَدَّ يَوْمًا بَاعَهُ
يَقْضُرُ الْمَادِحُ عَنْهَا مُطْنِبًا
بَاسِطٌ بِالْخَيْرِ وَالْحُسْنَى يَدًا
وَإِذَا جَرَّدَهُمْ يَوْمَ وَغَى
أَشْرَفُ النَّاسِ وَأَعْلَاهُمْ سَنًا
رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُمْ
لَا أُرَانِي عَنْ غِنَى مُنْفَصِلًا
يَا مَلَانِي وَمَالِي لَمْ تَكْزَلْ

فَهِيَ لِلجَنَّةِ قَدْ أَمَسَتْ مِثَالًا
زَاغَ عَنْهَا فَلَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَسْرَعَتْ فِي أَفْقِ الْمَجْدِ خِلَالًا
وَسِعَ النَّاسَ بِهِ جَاهًا وَمَالًا
كُنْتُ مِمَّنْ يَطْلُبُ الشَّيْءَ الْمُحَالًا
تَرْهَبُ الدُّنْيَا وَلَا تَخْشَى زَوَالًا
وَإِذَا كَانَ الْوَعَى كَانُوا جِبَالًا
أَنْ يُزِيلُوا جَبَلًا فِيهَا لَزَالًا
أَيُّمُنُ الْخَيْرِ يَمِينًا وَشِمَالًا
أَطْلَعْتَ مِنْكَ عَلَى النَّاسِ هِلَالًا
لَا أُرَانِي إِلَهَ فَيْكَ الْإِنْفِصَالًا
أَيُّ يَوْمٍ كَانَ لِلْعِيدِ مِثَالًا
مَدَّ بِالْأَمْنِ عَلَى النَّاسِ ظِلَالًا
وَتَنَقَّلْتَ مَعَ السَّعْدِ انْتِقَالًا
قَبْلَ أَنْ جِئْتَ كَمَالًا وَجَمَالًا
طَالَ فِي مَا يَبْتَغِيهِ وَاسْتَطَالَ
كَلَّمَا بَالِغٌ بِالْمَدْحِ وَغَالِي
نَوَلْتُ مِنْ كُلِّ مَا نَهَوَى نَوَالًا
مِثْلَمَا جَرَّدَ أَسْيَافًا صِقَالًا
أَشْرَفُ النَّاسِ مَزَايَا وَخِصَالًا
إِنَّهُمْ كَانُوا إِلَى الْخَيْرِ عَجَالِي
إِنْ يَكُنْ لِي بِمَعَالِيهِ اتِّصَالًا
أَنَا لِي فِيهَا مَلَانًا وَمَالًا

(١) اقتباس من قوله تعالى: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت..) سورة يونس الآية (٢٤).

(٢٨٠)

وقال [وهي من الوافر]:

أرى هذي النِّيَاقَ لها حَنِينٌ
وأجْفَانٌ بَعَبْرَتِهَا رِوَاءٌ
وإنَّ بِهَا مِنَ الْأَشْجَانِ دَاءٌ
حَدَا مِنْهَا بِهَا لِلشُّوقِ حَادٍ
أراها والغرامُ قد ابْتَلَاهَا
أراعَ فوَادِهَا بَيْنٌ وَالْأُ
وهل أودى بها يوماً وَقُوفٌ
فَذَرَهَا وَالصَّبَابَةَ حَيْثُ شَاءَتْ
تَحْنُ إِلَى مَنَازِلِهَا بِ(سَلْعِ)
وَقَوْمٍ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى إِلَيْهَا
نَأَوْا عَنْهَا فَكَانَ لَهَا التَّفَاتُ
وظَنَّتْ أَنَّهُمْ يَدْنُونَ مِنْهَا

إِلَى الْإِفِ لَهَا وَلَهَا رُغَاءٌ
وَأَحْشَاءٌ بَزَقَرَتِهَا ظِمَاءٌ
أَعِنْدَكَ يَا (هُذَيْمٌ) لَهَا دَوَاءٌ؟
وَفَازَ بِهَا التَّوَقُّصُ وَالنَّجَاءُ
بَلَى إِنَّ الْغَرَامَ هُوَ الْبَلَاءُ
فَمَا هَذَا التَّأَهُفُ وَالْبُكَاءُ؟
عَلَى رَسْمٍ، وَمُرتَبِعٌ خَلَاءُ
أَلَيْسَ الْوَجْدُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
عَفَّتْهَا الْهُوجُ وَالرَّيْحُ الْعَفَاءُ
وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ أَسَاؤًا
إِلَيْهِمْ تَارَةً وَلَهَا انْتِثَاءُ
فَخَابَ الظَّنُّ وَأَنْقَطَعَ الرَّجَاءُ

(٢٨١)

وقال رائيًا السيد علي النقيب القادري^(١) ومؤرخًا وفاته [وهي من المتقارب]:

سَلِّ اللَّهُ بِالسَّادَةِ الطَّاهِرِينَ
وَزُزْ مَرَقِدًا لِعَلِيِّ الْمَقَامِ
مَرَامَكَ فَهُوَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ
وَأَرْخُ (مَحَلَّ ضَرِيحِ النَّقِيبِ)

١٢٨٩هـ

(١) وردت هذه الأبيات في نسخة الأُنكرلي فقط.

(٢٨٢)

وقال [وهي من مجزوء الكامل]:

أرأيتَ مِثْلِي فِي الْهَوَى
يَهْوَى مُعَانَقَةَ الظُّبَى
تلك العيونُ الراميا
تُحْيِي النُّفُوسَ وَإِنَّهَا
إِنِّي بَدَلْتُ مَدَامِيعِي
مِنْ بَعْدِ مَا فَاءَ الْحَبِيدِ
يَا مُرْضِي بِجَفْوَتِهِ
كَيْفَ الشِّفَاءُ مِنَ الْغَرَا
لو كان يَبْقَى مِنْ أُحِبُّ

ظَمَّانَ لَا يُرْوَى بِمَاءٍ
وَيَخَافُ أَحْدَاقَ الظُّبَاءِ
تُجَوِّنِحِي مَضَّ الرَّمَاءِ
لَمْ بِيحَةَ سَفْكَ الدَّمَاءِ
لِمُقْتَرِّ لِي بِالْعَطَاءِ
بُ مِنْ الْوَصَالِ إِلَى الْجَفَاءِ
لَا تَرَكْنَنِّي إِلَى شِيفَائِي
م وَقَدْ غَدَا دَائِي دَوَائِي
لَكُنْتُ أَطْمَعُ بِالْبَقَاءِ

(٢٨٣)

وقال مؤرخاً وفاة السيد عبدالرحمن^(١) نقيب البصرة [وهي من مزلع البسيط]:

قَبْرُ بِهِ سَيِّدٌ شَرِيفٌ
دَهَى عُلَاهُ خَطْبُ الْمَنَايَا
فَلَا طَبِيبٌ وَلَا حَبِيبٌ
يَرُدُّ مَا قَدْ فَضَاهُ رَبُّ
وَأَهْأَلَهُ مِنْ فِرَاقِ
تَبْكِي عَلَيْهِ أَشْرَافُ قَوْمِ
يَوْمٌ بِهِ قَدْ قِيلَ أَرْحُ

تَكْشَفُ فِي مِثْلِهِ الْكُرُوبُ
وَلِلْمَنَايَا بِنَا خُطُوبُ
وَلَا بَعِيدٌ وَلَا قَرِيبُ
وَهُوَ عَلَى عَبْدِهِ رَقِيبُ
فَغَائِبُ الْقَوْمِ لَا يَوُوبُ
لَهَا بُكَاءٌ بِهِ نَحِيبُ
(مَضَى إِلَى رَبِّهِ النَّقِيبُ)

١٢٩١هـ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).

وقال [وهي من مجزوء الكامل]:

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ فِي السُّلُوكِ
وَجَفَاكَ مِنْ تَهْوَى فَلَاحِ
ظَلَعَنْ الَّذِينَ هَوِيَتْهُمْ
وَتَنَافَرَتْ تِلْكَ الظُّبَا
سَارُوا بِصَبْرِكَ حَيْثُ شَا
فَالْقَلْبُ صَبٌّ فِي هَوَا
طَرْفِي بِدَمْعِي لَا يَجْفُ
يَا طَرْفُ نَهْنَهُ مِنْ دُمُ
فَارْقُتْهُمْ وَتَفَرِّقْ أَلْ
وَذَكَّرْتَهُمْ فَكَأَنَّمَا
(يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُوا
أَوْ إِنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَيَّ
وَيَلَاهُ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تُسْتَتَفَا
وَلِأَوْعَاتِي وَتَجْأُدي
لَا مَوْرِدِي صَافِي النَّمِيدِ
وَأُعَاتِبُ الدَّهْرَ الْمُشْتَتِّ
وَالدَّنْبُ لِلْأَحْبَابِ إِذْ

فَقَدِ أَرَاعَكَ مِنْ تَحِبُّ
مِنْهُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ قُرْبُ
وَحَدَّتْ بِهِمْ نَجْبُ وَنَجْبُ
ءُ وَرِيحَ مِنْهَا وَيَكُ سِرْبُ
وَأُفَقَدِ أَرَاعَكَ مِنْ تَحِبُّ^(١)
هَمْ مُغْرَمٌ وَالسُّدْمُ صَبُّ
فُ وَلَا زَفِيرُ الْوَجْدِ يَحْبُو
عَكَ بَعْدَهُمْ فَالْوَجْدُ حَسْبُ
أَحْبَابٍ بَعْدَ الْجَمْعِ صَعْبُ
نَارُ بِأَحْشَائِي تَشْبُ
ن) ^(٢) بِمَا أَصَابُ وَمَا أَصَبُ
وَضَمَّنَا يَا (سَعْدُ) شِعْبُ
نِ فِكْمِ دَهَانِي مِنْهُ خَطْبُ
ضُ مَدَامِعُ وَيُرَاعُ قَلْبُ
فِي الْحُبِّ إِيْجَابُ وَسَلْبُ
رِ وَلَا مَذَاقُ الْعَيْشِ عَذْبُ
وَهَلْ يُفِيدُ الدَّهْرَ عَتْبُ؟
رَحَلُوا وَمَا لِلْبَيْنِ ذَنْبُ

(١) كذا في الأصول. وكان الناسخ سها فأثبت المطع.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: (.. يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي..) سورة يس الآية (٢٦).

(٢٨٥)

وقال [وهي من الوافر]:

سَأَلْتُكَ عَنْ مَنَازِلِنَا بِ(نَجْدٍ)
أَرْوَاهَا الْغَمَامُ الْجَوْنُ حَتَّى
وَهَلْ نَبَتَ التُّمَامُ أَوْ الْخُنَامَى
وَهَلْ لَطَمَ الشَّقِيقُ بِهَا حُدُودًا
وَهَلْ خَطَبَتْ عَلَى الْأَثَلَاتِ مِنْهَا(*)
وَكَيْفَ عَهَدَتْ أَقْوَامًا مَرَامَى
وَهَلْ ذَكَرْتَ نَدَامَايَ الْأُولَى
مَنَازِلُ صَبُوتِي وَدِيَارُ وَجْدِي
لَقَدْ كَادَ الْفُوَادُ يَطِيرُ شَوْقًا
وَهَاتِيكَ الْأَجَارِعَ وَالْبِطَاحَ
سَقَى مَا حَوَّلَهُنَّ مِنَ النَّوَاحِي؟
فَعَطَّرَ فِيهِ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ
مُخْرِجَةً عَلَى ضَحِكِ الْأَقَاخِي
حَمَائِمُهَا بِالسِّنَةِ فِصَاحِ
لَدَيْهِمْ أَنْ أَرَاهُمْ وَأَقْتِرَاحِي
غَبُوقِي فِي رَبَاهَا وَاصْطِبَاحِي
وَمَنْشَأُ لَوْعَتِي وَمَدَى رَوَاحِي
إِلَيْهَا يَا (هُذَيْمٌ) بِلَا جَنَاحِ

(٢٨٦)

وقال راثياً السيد علي القادري النقيب ومؤرخاً وفاته [وهي من الطويل]:

نَقِيبٌ مِنَ الْأَشْرَافِ أَكْرَمُ سَيِّدٍ
قَضَى عُمُرَهُ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ كُلَّهُ
تَنَقَّلَ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ فَارْخُوا
مَنْ الْأَلِ مِنْ بَيْتِ النَّبُوءَةِ أَلُهُ
وَلَاذَ بَعْفُو اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
(عَلِيًّا وَلِلْجَنَّاتِ كَانَ انْتِقَالُهُ)
١٢٨٩هـ

(*) في الطبعة (١): (الأثلاث منه) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وقال يمدحه أيضاً [وهي من الوافر]:

ألا من مُبْلَغٍ عَنِّي (نَقِيباً)
 بَأْنَا مَا بَرِحْنَا فِي سُرُورٍ
 وَلَا أَنْ أَتَيْنَا الْوَقْفَ صُبْحاً
 فَكَانَ مَكَانُهُ جَنَاتِ عَدْنٍ
 وَأَوْسَعَنَا مِنَ الْإِكْرَامِ بَرّاً
 نَزَلْنَا يَا (أَبَا سَلْمَانَ) مِنْهُ
 أَسَامِيرٌ مَنْ أَحَبُّ وَلَا أَدَارِي
 لَنَا مَا نَشْتَهِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 وَلَكِنْ الصِّيَامُ أَتَى عَلَيْنَا
 وَ(هِنْدَاوِيكُمْ) (*) قَدْ صَامَ أَيضاً (١)
 فَهَلْ تَدْرِي بِنَا مَوْلَايَ أَنَا
 بِطَاعَةِ أَمْرِكَ السَّامِي أَرَاهُ
 وَ(سَلْمَانَ) الْأَشْمُ سَلِمْتَ أَضْحَى
 فَكَمْ مِنْ مِئْتَةٍ قُلُدْتُ مِنْهُ
 سَيَخْطُبُ فِي مَدَائِحِهِ قَصِيدِي
 وَأَذْكَرُهُ وَأَشْكَرُهُ وَأُثْنِي
 فَلَا مُنْعَتَ مِنَ الدُّنْيَا مَجَانِي
 وَلَا فَارَقْتُ مِنْهُ هَاشِمِيّاً
 أَحَلَّتْ نِي مَكَارِمُهُ مَكَاناً

يَسُودُ النَّاسَ فِي شَرْفٍ وَدِينٍ
 تَلَاخِظُنَا الْعِنَايَةُ بِالْعُيُونِ
 حَلَلْنَا فِي مَحَلِّ (أَبِي أَمِينِ)
 وَقَدْ قِيلَ الْمَكَانَةُ بِالْمَكِينِ
 وَكُنَّا مِنْ نَدَاهِ عَلَى يَقِينِ
 - بَقِيَتِ الدَّهْرَ - فِي حِصْنِ حَصِينِ
 رَقِيباً يَتَّقِيهِ وَيَتَّقِينِي
 يَرُوقُ إِلَى الْمَسَامِعِ وَالْعُيُونِ
 فَصُمْنَا فِي الْحَنِينِ وَفِي الْأَنِينِ
 وَأَصْبَحَ عَاقِلاً بَعْدَ الْجُنُونِ
 قَهَرْنَا جُنْدَ إِبْلِيسَ الْأَعِينِ
 تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ
 وَفُوزِي مِنْهُ تَقْبِيلُ الْيَمِينِ
 كَمَا قُلُدْتُ بِالْعِقْدِ التَّمِينِ
 كَمَا خَطَبَ الْحَمَامُ عَلَى الْغُصُونِ
 عَلَيْهِ الْخَيْرَ حِيناً بَعْدَ حِينِ
 مَكَارِمِهِ عَلَى مَرِّ السَّنِينِ
 حَالِيفَ الْجُودِ وَضَاحَ الْجَبِينِ
 أَرَانِي النَّجْمَ فِي الْأَفَاقِ دُونِي

(١) هو السيد عبدالقادر الهنداوي وكيل آل النقيب على الأوقاف في محافظة ديالى. ومرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨١).

(*) في الطبعة (١): (وهنداوتكم) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فليس البرُّ إلا برُّ حرٍّ
فلا تربت يدُ العافين منه

يَصُونُ الْمَجْدَ بِالْمَالِ الْمَهِينِ
وَلَا خَابَتْ بَطْلَاعَتِهِ ظُنُونِي

(٢٨٨)

وَقَفْنَا بَرَبَعٍ (الْمَالِكِيَّةِ) وَقَفَّةً
تُثِيرُ أَسَى قَلْبٍ وَأَدْمَعُ نَاطِرٍ
وَلَمْ يَكْفِ هَذَا الْوَجْدُ حَتَّى اسْتَفْزَنِي
غَرَامٌ بِجَمْعِ يَا (هُذَيْمٍ) وَصَبْوَةٌ
وَشَوْقٌ أَضَرَ الْقَلْبَ لَا صَبْرَ عِنْدَهُ
يُذَكِّرُنِي أَيَّامَ ظَمْمِيَاءَ نَوَلَتْ
وَلَمْ أُنْسِ إِذْ زَارَتْ بَلِيلَ تَبَوَّاتٍ
وَحَاكِي دُجَاهُ فَرَعَهَا فَتَطَلَّعَتْ
تُعِيدُ عَلَى سَمْعِي أَحَادِيثَ عَثْبِهَا
تَدُقُّ مَعَانِيهَا كَدَقَّةِ خَصْرِهَا
وَإِنْ رُضَاباً قَدْ سَقَّتْنِيهِ مَرَّةً
فَإِنَّ بَقَايَا طَعْمِهِ بَعْدُ فِي فَمِي
وَمَا ذَاكَ إِلَّا قَبْلَ أَنْ نَشْهَدَ النَّوَى

تَهِيحُ بِنَا فِي الرَّبْعِ مَا حَلَّ بِالرَّبْعِ
فَمَنْ لَاعَجَ وَتَرَّ وَمَنْ مَدَّمَعِ شَفَعِ
وَنَحْنُ بَسَلَعِ لَهْفَ نَفْسِي عَلَى (سَلَعِ)
وَمُجْتَمَعِ الْأَهْوَالِ لَا زَالَ فِي (جَمْعِ)
وَيَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ أَجْلَبُ لِلنَّفْعِ
قَلِيلًا وَبَعْدَ النَّيْلِ مَالَتْ إِلَى الْمَنْعِ
وَشَاةُ الْهَوَى مِنْهُ مَقَاعِدُ لِلْسَّمْعِ
بِمِثْلِ مُحْيَا الْبَدْرِ فِي دَاغِنِ الْفَرْعِ
كَسَاجِعَةٍ وَرَقَاءٍ تُطْرِبُ بِالسَّجْعِ
بِرَقَّةِ الْفَاطِظِ تَضَمَّنَهَا دَمْعِي
عَلَى غَفْلَةِ الْوَاشِينَ فِي أَيْمَنِ (الْجَزْعِ)
وَلِدَّةَ هَاتِيكَ الْأَحَادِيثِ فِي سَمْعِي
وَمَنْ قَبْلَ أَنْ نُرْمَى مِنَ الْبَيْنِ بِالصَّدْعِ

(٢٨٩)

وقال يرثي السيد محمود النقيب القادري^(١) وكتبت على ضريحه [وهي من المتقارب]:

وَمَا ابْتُلَيْتُ بِفَقْدِ الْكِرَامِ
فَأَصْبَحْتُ أَمْدَحُ أَهْلَ الْقُبُورِ

وَدَمَّ الزَّمَانِ وَأَصْحَابِهِ
وَأَهْلُ الْمَقَابِرِ أَوْلَى بِهِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦٠).

وقال يرثيه أيضاً وكتبت على ضريحه [وهي من البسيط]:

يا قَبْرَ (محمود) لا جازتَكَ غادِيَةً
لقد فَقدْتُ بكِ المعروفَ أَجمَعَهُ
وقد كَرِهْتُ حَياةً لا أراكِ بها
وليس بَعْدَكَ عَيْشِي ما أُسرُّ به
كُنَّا بِفَضْلِكَ في خِصْبٍ وفي سَعَةٍ
وَنَسْتَظِلُّ بِحيثِ الدهرِ هاجِرَةً
أبكيكِ والحقُّ أنْ أبكي عليكِ دَمًا
أنتِ [النقيب] (*) الذي تحكي مَنابِهَهُ
أيامُهُ كانتِ الأعيادَ أذْكرُها
ما بعدَ صاحبِ هذا القَبْرِ من أحدِ
جَرِيَّتِ من بَعْدِهِ السَّاداتِ أَجمَعِها
وربِّما قِادني ظنِّي إلى أربِ
وليس من بَعْدِهِ حَظٌّ لذي أَمَلِ
إنِّي لأبكي عليه كَلِّما ذُكرتُ
أبكي على ابنِ رسولِ الله يَتُرْكُنِي
ليتَ المَنايا بما غالتْ وما تَرَكتُ
أذمُّ دَهْرًا لِعَيْشٍ لَسْتُ أَحْمَدُهُ
بالعيدِ كنتُ أَهْنِيه وأمدحُهُ

تسقي ثراكِ بصَوْبٍ غَيْرِ مَفْقُودِ
يا خَيْرَ من راحِ مَفْقُوداً لِمَوْجُودِ
مُدُّ كانَ مَوْتُكَ مَوْتَ الفَضْلِ والجودِ
ما العيشُ من بعدِ (محمود) بِمحمودِ
ومَنهَلٍ من ندى كَفِّيكِ مَوْرُودِ
ولا ظلالٍ بظلِّ مَنْكَ مَمْدُودِ
بأدمعِ فوقِ خُدِّي ذاتِ أَخْدُودِ
بشاهدِ من معاليه ومَشْهُودِ
فلم تَرُقْ بَعْدَهُ لي طَلَعَةُ العيدِ (**)
يُرْجِي [به] (***) الخَيْرُ أو يَدْعِي إلى الجُودِ
فَصَحَّ لي فيه بَعْدَ الله تَوَحِيدِي
فخابَ ظنِّي ولم أَظْفُرْ بِمَقْصُودِي
ولا السَّرابُ وإنْ يَطغى بِمَوْرُودِ
أيامُهُ البِيضُ في أيامِ السُّودِ
في فَقدِهِ بينَ تَنغِيصٍ وتَنكِيدِ
قد بَدَلتُ أَلْفَ مَوْجُودٍ بِمَفْقُودِ
ولستُ أَحْمَدُ عَيْشاً بَعْدَ (محمود)
فصِرْتُ أبكيه أو أرثيه بالعيدِ

(*) هذه الكلمة ساقطة من الطبعة (١)، وأثبتناها من الطراز الأنفس.

(**) في الطراز الأنفس بعد هذا البيت ورد بيتان مختلفان عن بحر هذه القصيدة وقافيتها هما:

ولمَّا ابتليتُ بِفقدِ الكرامِ

وذمَّ الزمَّانَ وأصْحابِه

فأصبحتُ أمدحُ أهلَ القَبورِ

وأهلَ المَقابِرِ أولى به

(***) هذه الكلمة ساقطة من الطبعة (١)، وأثبتناها من الطراز الأنفس.

وقال مرحباً بقدوم الشيخ بندر المحمد السعدون^(١) إلى بغداد [وهي من الطويل]:

لِتَرْجِعَ مَسْرُوراً وَتَمْضِي مُظْفَرًا
فَهَلَّلْ هَذَا الْعِيدُ فَيْكَ وَكَبِّرًا
فَقُلْنَا هَلالُ الْعِيدِ لَاحَ مُبَشِّرًا
وَلَا صُبْحَ إِلَّا فِي جَبِينِكَ أَسْفَرًا
تُخَيِّلُ لِي إِمْكَانَ مَا قَدْ تَعَدَّرَا
بِـ(بندر) مَا قَدْ كُنْتُ فِي (بندر) أَرَى
وَأُسْقِيَتْ مِنْهُمْ عَارِضَ الْجُودِ مُمَطَّرًا
تَفَجَّرَ مِنْ أَيْدِيهِمُ الْجُودُ أَنْهَرًا
حَمَوْهَا بَبِيضٍ تَقَطَّرُ الْمَوْتُ أَحْمَرًا
وَلَكِنَّهُ مَا طَالَ إِلَّا وَقَصَّرَا
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ النَّرْيَا مِنَ النَّرْيَا
عَلَى أَنْنِي فِيهِمْ أذُوبُ تَذَكُّرًا
مِنَ الْعَزِّ أَمْسَى بِالْحَدِيدِ مُسَوَّرًا
وَكَانَ لَنَا فِي الدَّهْرِ أَنْ نَتَّخِيَرًا
بِأَحْوَالِهَا وَالدَّهْرَ كَيْفَ تَغْيِيرًا
يَكَادُ لَهَا الْجُلْمُودُ أَنْ يَتَفَطَّرَا
بِهِمْ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ حَتَّى تَكْدُرَا
تُبَاعُ بِهَا الْأَرْوَاحُ بَخْسًا وَتُشْتَرَى
وَأَصْبَحَ فِيهَا أَمْرًا وَمُؤَمَّرًا
وَقَدْ أَوْشَكَتْ لَوْلَاكَ أَنْ تَتَسَعَّرَا
وَأَقْصَيْتَ مِنْهُمْ مِنْ عَصَى وَتَكَبَّرَا

قَدِمْتُ فَحَيَّاكَ الْمُهَيِّمِينَ (بندرا)
وَأَقْبَلْتُ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مُبْجَلًا
بِشَهْرٍ مُحَيَّاكَ اسْتَهْلُ هَلالَهُ
فَلَا لَيْلَ إِلَّا فِيكَ أَصْبَحَ مُقَمِّرًا
وَقُلْتُ لِنَفْسِي وَالْأَمَانِيِّ لَمْ تَزَلْ
عَسَى أَنْ أَرَى مِنْ بَعْدِ (عيسى) وَ(بندر)
رَعَيْتُ بِهِمْ رَوْضَ الْمَكَارِمِ مُزْهِرًا
وَكَانُوا عَلَى رَوْضِ الْمَجْرَةِ أُمَّةً
وَتِلْكَ دِيَارُ أَوْرَثُوهَا مَنِيْعَةً
فَكَمْ طَائِلٍ قَدْ رَامَهُمْ بِخَدِيْعَةٍ
وَكَم قَائِلٍ لِي هَلْ وَجَدْتَ نَظِيْرَهُمْ
ذَكَرْتُ وَمَا يَنْسَاهُمْ الْقَلْبُ سَاعَةً
زَمَانًا بِهِمْ طَلَقَ الْمُحْيَا وَمَنْزَلًا
تَدْرُ عَلَيْنَا الْخَيْرَ أَخْلَافُهَا الْمُنَى
أَلَمْ تَنْظُرِ الْأَيَّامَ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ
وَكَانَتْ أُمُورٌ مَا هُنَاكَ بَعْدَهَا
وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ صَافِيًا
وَقَامَتْ لَهَا سَاقٌ عَلَى سَوْقٍ فِتْنَةً
إِلَى أَنْ تَلَا فَيَتِ الْعَشِيْرَةَ فَارَعَوْتُ
وَأَخْمَدْتُ تِلْكَ النَّارَ بَعْدَ وَقُودِهَا
جَمَعْتَهُمْ بَعْدَ الشَّتَاتِ وَسُسْتَهُمْ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٤).

وما راح يَسْتَغْنِي عن الرأْيِ عَسْكَرُ
وما كان أقواها لَدَيْكَ قَبِيلَةٌ
إِذا الحُرُّ أَلْفَى الضَّيْمَ شَرَطَ حَيَاتِهِ
لقد فازَ من أَصْبَحَت في الناسِ شَيْخَهُمْ
دَعَوَتَهُمْ لِلخَيْرِ إِذْ ذاكَ دَعْوَةٌ
سَلَكْتَ سَبِيلَ الأوَّلِينَ فلم تَحِدْ
سَعَيْتَ إِلى المجدِ الأثيلِ مُوفِّقاً

وكم دَمَّرَ التَّدْبِيرُ والرأْيُ عَسْكَرًا
لو انْتَصَرْتَ لِلبأسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا
رأى الرأْيِ فِيها أَنْ يَموتَ وَيُقْبَرًا
ومن كُنْتَ فِيهِ هادِيًا ومُدَبِّرًا
كشفتَ بِها عَنْهُمْ مِنَ الضَّرِّ ما عَرَا
عن الرُّشدِ أو تَلَقَّى عن الوَرْدِ مَصْدَرًا
ومن حَلَّ بِالتَّوْفِيقِ صَدْرًا تَصَدَّرًا

(٢٩٢)

وقال مؤرخًا وفاة صديقه السيد صالح [وهي من الرجز]^(١)

يا قَبْرُ هَلْ عَلِمْتَ مَنْ ضَمَمْتَهُ
من صالحِ أَعْمالُهُ مُضِيئَةٌ
فإنَّ في بَطْنِكَ خَيْرَ ما جَدِ
وأنتَ من طيبِ عَبيِرِ نَشْرِهِ
ولا تـــــــزالُ - والإلهُ راحمٌ -
قَدْ حَلَّ من بَعْدِ الوفاةِ ثاويًا

ومنْ عَلَيْهِ تَنْطَوِي جَوَانِحُكَ
تُضِيءُ من أضوائِها مَصابِحُكَ
قد وُضِعَتْ من فَوْقِهِ صَفائِحُكَ
تَنْفُحُ من طيبِ الشَّدَا نَوافِحُكَ
في رحمةِ اللهِ الَّتِي تُصافِحُكَ
أرْحُ (بجَناتِ الخُلودِ صالحُكَ)

هـ ١٢٧٦

(١) لم ترد في النسخ الخطية.

وقال يخاطب العلامة الألويسي أبا الثناء^(١) حين صرف الملا صالح السويدي^(٢) عن

ولم تبرح شفاءً للصدور
 يبيع الدين في فلسٍ صغير
 - كما تدري - إلى بنس المصير^(٣)
 وما هولا وربك بالفقير
 يسرُّ عداك في تلك الأمور
 له جأشٌ يفرُّ من الصِّفير
 أشدُّ عليك من صمِّ الصُّخور
 له الويلاتُ من كلبِ عقور
 متى يلقاك في قلب طهور
 لنجس شيبه ماء البحور
 صفوح عن جنايته غفور
 وكان يعدُّ من أهل القبور
 على تلك السفاهة والفجور
 بأنك غير مُطَّلَع خبير
 رماه لؤمه في قعر بير
 ولا ربَّ الخورنق والسدير
 أراك الحتف ذو الباع القصير
 وإن كثرت قليلٌ من كثير
 وكنا قبل كالماء النَّمير
 نسبناه إلى جنس الحمير

شَفَيْتَ بطرد صالح كلِّ صدرٍ
 وطَهَّرْتَ الشَّرِيعَةَ من دَنِيٍّ
 مَطَامِعُ نَفْسِهِ قد صَيَّرْتَهُ
 ويشكو فَقْرَهُ لِلنَّاسِ طُرّاً
 تَعَاطَى من تَجَاسُرِهِ أموراً
 ويبطشُ بَطْشِ جَبَّارٍ على أَنْ
 فكيف تَلِينُ مَوْلَانَا لِحَصْمِ
 عَقُورٍ إِنْ ذُكِرْتَ له بَغْيِبِ
 ومن يَكُ ذَاتُهُ نَجَساً خَبِيثاً
 فلو يُرْمَى بِلُجِّ البَحْرِ يَوْماً
 نظرت إليه في عَيْنِي رحيمٍ
 وَأَحْيَيْتَ اسْمَهُ من بَعْدِ مَوْتِ
 فعادَ لِمَا نُهِيَ عنه وأمسى
 يَظُنُّ لَجْهَلِهِ من غيرِ عِلْمِ
 ولم يَتَحَمَّلِ الإكْرَامَ حتَّى
 يَطِيشُ إذا التَفَتَ إليه طَيْشاً
 فلو طالت يَدَاهُ عليك يَوْماً
 وإن سَمَاعَكَ الأَخْبَارَ عنه
 وكَدَّرَ كلُّ من يَهُوَاك مِنَّا
 ولا تَرْضَى الحَمِيرُ به إذا ما

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ١٣٢ وكانت بينه وبين الأخرس خصومة وكان يقلل من شأن الأخرس في مجالسه.

كَأَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَجُورِ
وَسُورٍ لِلشَّرِيعَةِ أَيُّ سُورٍ
بِمَاضِيهَا مُحَامَاةَ الْغَيُورِ

أَزَلَّتْ وَجُودَهُ فَغَنِمْتَ أَجْرًا
فَأَنْتَ - فُديتَ - لِلإِسْلَامِ حِصْنٌ
تُحَامِي عَنْ شَرِيعَةِ دِينِ طَه

(٢٩٤)

عَقَائِلُ الْمَالِ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ
فَقُلْتُ يَا فُوزَ رَاجِيهِ وَطَالِبِهِ
سُقَيْتُ عَذْبًا نَمِيرًا مِنْ سَحَائِبِهِ
كَمَا يَسُوعُ وَيُسْتَحَلَّى لِشَارِبِهِ
فَهَلْ ظَفَرْتُ بِأَمْضَى مِنْ مَضَارِبِهِ
وَلَمْ يَكُنْ أَخْذًا مِنْهُ بِغَارِبِهِ
إِنْ كَانَ أَغْرَبَ شَيْءٍ فِي غَرَائِبِهِ
فَالْعَزُّ أَجْمَعُ وَالْعَلْيَا بِجَانِبِهِ
فَعَدَّهَا وَهِيَ أَبْهَى مِنْ كَوَاكِبِهِ
حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَارٍ مِنْ عَجَائِبِهِ

(أبو الثناء) شهابُ الدينِ ما بَلَغَتْ
قَضَى عَلَى الْمَالِ بِالْإِنْفَاقِ نَائِلُهُ
وَكَلَّمَا رُحْتُ أَسْتَسْقِي سَحَائِبَهُ
مُسْتَعْدَبُ الْجُودِ يَجْنِي الشَّهْدَ سَائِلُهُ
سَيْفُ الشَّرِيعَةِ مَاضِي الْحَدِّ مُنْصَلَّتْ
وَهَلْ سَمِعْتَ بِفَضْلِ عُدِّ فِي زَمَنِ
يَا دَرْدَرُ زَمَانٍ مِنْ غَرَائِبِهِ
قَدْ عَزَّ جَانِبُهُ الْعَالِي وَبَزَّ عَلَاً
وَلَاحَ لِلْفَلَكِ الْأَعْلَى مَنَاقِبُهُ
يَا مَنْ يُحَدِّثُ عَنْهُ الْعِلْمُ يُسْنَدُهُ

(٢٩٥)

وقال مهنتاً الوالي محمد نامق باشا^(١) بالهدية التي وردت إليه من السلطان

عَلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ طُورًا وَفَاقِ
بَدْرَ سَمَاءٍ مَا لَهُ مِنْ مَحَاقِ
وَزَادَ تَفْرِيجًا لِضَيْقِ الْخِنَاقِ

إِنَّ مَلِيكَ الْعَصْرِ مِنْ قَدِّ عَلَا
أَطْلَعَ فِي أَفْقِ الْعُلَا مَجْدُهُ
أَيْدُهُ اللَّهْ بِتَأْيِيدِهِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

فالملا الأعلَى إلى نَصْرِهِ
 (عبد العزيز) المَلِكُ المُرْتَضَى
 أَهْدَى إِلَى (النَّمِيقِ) أَنْفِيَّةً
 فَأَصْبَحَ (النَّمِيقُ) مِنْ فَضْلِهِ
 مِنْ بَعْدِ مَا وُلَّاهُ أَنْظَارَهُ
 الطَّاهِرُ الزَّكِيُّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
 ذُو نِعْمَةٍ تُسَدِّي لِأَهْلِ التَّقَى
 إِنْ لَقِيَ الأَعْدَاءَ فِي مَعْرَكٍ
 يَشِيدُ ضَخْمَ المَجْدِ فِي فَتْكِهِ
 نَائِلُهُ عَذْبُ بِيَوْمِ النَّدَى
 فَقُلْتُ فِي نِعْمَةِ سُلْطَانِنَا
 هَدِيَّةُ السُّلْطَانِ أَرْخَتْهَا

مُنَزَّلٌ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ طِبَاقٍ
 وَصَفْوَةٌ العَالَمِ بِالاتِّفَاقِ
 أَعَدَّهَا السُّلْطَانُ لِلإِنْتِشَاقِ
 يَرْقَى مِنَ العِزِّ لأَعْلَى مَرَاقٍ
 وَشَدَّ مِنْهُ لِلْمَعَالِي النُّطَاقِ
 تَشَقَّى بِهِ فِي النَّاسِ أَهْلُ الشَّقَاقِ
 وَسَطْوَةٌ تُرْهِبُ أَهْلَ النِّفَاقِ
 شَاهَدَتْ الأُرُوحَ مِنْهُ الفِرَاقِ
 أَنِّي سَطَا بِالمُرْهَفَاتِ الرَّقَاقِ
 وَهُوَ بِيَوْمِ البَّاسِ مُرُّ المَذَاقِ
 مِنْ كَلِمِي مَا رَقَّ مِنْهَا وَرَاقٍ
 (لِلنَّمِيقِ الوَالِي مُشِيرِ العِرَاقِ)
 ١٢٨١هـ

(٢٩٦)

لَسْتُ أَنْسَى [وَقْفَةً] (*) الرِّكْبَ بِنَا
 وَعَلَى أَرْسَمِ رَبِّعِ دَارِسٍ
 أَرْبَعٌ لَلْهُوِ كَانَتْ مَلْعَباً
 كَانَ لِلْعَيْنِ بَقَايَا أَدْمَعِ
 أَتْرَى عَيْشاً لَنَا فِي (رَامَةِ)
 كَانَ مِنْ رِيْقِ الحُمَيَّا مَوْرِدِي
 وَبِأَحْبَابِ مَضَى عَهْدِي بِهِمْ
 وَلِقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ
 كَأَمَّا أَذْكَرُهُمْ لِي أَنَّئُهُ
 يَسْتَرِيْبُ الوَاشِ مِنْهُ عِبْرَةٌ

بَعْدَ (وَادِي المُنْحَنَى) فِي (لَعْلَعِ)
 نَقَسَ الوَجْدُ وَعَاءَ الأَدْمَعِ
 ثَمَ كَانَتْ بَعْدَ حِينِ مَصْرَعِي
 فَأَرَاقَتْهَا بِتِلْكَ الأَرْبَعِ
 رَاجِعاً يَوْمًا وَهَلْ مِنْ مُرْجِعِ؟
 وَبِأَزْهَارِ العَوَانِي مَرْتَعِي
 وَبِهِمْ وَجَدِي وَفِيهِمْ وَكَعِي
 قَانِعاً مِنْهُمْ بِمَا لَمْ أَقْنَعِ
 عَنِ فَوَادِ مُسْتَهَامِ مُوَجِعِ
 أَظْهَرْتُ مَا أَضْمَرْتُهُ أَضْلُعِي

(*) هذه الكلمة ساقطة من صدر البيت من الطبعة (١)، وأضفناها من الطراز الأنفس.

وَدَعَىٰ أَنِّي شَجَّ مُسْتَتْعِرِمٌ
هَاجَتِ الْوَرَقَاءُ وَجَدًّا كَامِنًا
لَيْتَ فِي عَيْنَيْكَ مَا فِي أَعْيُنِي
إِنْ بَكَيتُ الْإِلْفَ أَثْنَاهُ النَّوَى

صَدَقَ الْوَاشُونَ فِي مَا تَدْعِي
فِي فِؤَادِي وَأَثَارَتْ جَزْعِي
وَرَأَتْ عَيْنُكَ فَابْكِي يَا
فَابْكِي يَا أَيَّتْهَا الْوَرَقُ مَعِي

(٢٩٧)

وقال يمدح الشيخ ناصر باشا السعدون^(١) [وهي من الوافر]:

مَحَوْتَ بِسَيْفِ سَطْوَتِكَ الْفَسَادَا
دَخَلْتَ (الْبَصْرَةَ الْفِيحَاءَ) صُبْحًا
وَقَدْ عَبَّتْ يَدُ الْأَشْرَارِ فِيهَا
لَقَدْ حَكَمْتَ بِهَا جُهَالُ قَوْمٍ
عَمُوا عَمًّا بَصُرْتَ بِهِ وَصَمُّوا
فَلَوْ عُرِضَ الصَّوَابُ إِذَا عَلَيْهِمْ
وَهَلْ تَثِقُ النَّفُوسُ بِعَيْنِ رَأٍ
تَفَاوَتَتْ الْعُقُولُ بِمَا نَرَاهُ
وَمِنْ حَقِّ الرِّئَاسَةِ أَنْ نَرَاهَا
وَأَعْلَاهَا لَدَى الْآرَاءِ رَأْيًا
خُطُوبٌ مَا مَضَى مِنْهُنَّ خُطْبٌ
وَكَمْ هُدِرَتْ دِمَاءٌ مِنْ أَنْبَاسٍ
بِحَيْثُ الْأَشْقِيَاءِ اسْتَخَعَفَتْهُمْ
وَلِمَا سَاءَتْ الْأَحْوَالُ فِيهِمْ
وَلَمْ يُرْمَ مِنْ يُسَسِّدُ بِهِ خِلَالَ
وَبَاتَ النَّبَاسُ فِي وَجَلٍ عَظِيمٍ
دُعِيَتْ لِكَشْفِ هَذَا الضَّرِّ عَنْهَا

بِحُكْمٍ قَدْ أَرَحْتَهُ بِه الْعِبَادَا
وَنَارُ الشَّرِّ تَتَّقِدُ اتَّقَادَا
وَطَالَ فَسَادُهُمْ فِيهَا وَزَادَا
يَرُونَ الْغِيَّ يَوْمئِذٍ رَشَادَا
فَمَا بَلَغُوا بِمَا صَنَعُوا مُرَادَا
بِحَالٍ أَعْرَضُوا عَنْهُ عِنَادَا
يَرَى لَوْنَ الْبَيَاضِ بِهَا سَوَادَا
مَدَارِكُهَا قِيَاسًا وَأَطْرَادَا
لَأُورَى النَّبَاسُ إِنْ قَدَحَتْ زِنَادَا
وَأَرْفَعُهَا وَأَطْوِلُهَا عِمَادَا
بِطَارِقِ لَيْلَةٍ إِلَّا وَعَادَا
وَأَمْوَالٌ لَهُمْ نَفَدَتْ نَفَادَا
وَقَدْ طَالَ الشَّقَاءُ^(*) وَقَدْ تَمَادَى
وَلَا نَفَعَ الْحِفَاظُ وَلَا أَفَادَا
إِذَا مَا أَعْوَزَ الْأَمْرُ السُّدَادَا
يُرِيحُ السَّمْعَ مِنْهُ وَالْفُؤَادَا
وَلَا يُدْعَى سِوَاكَ وَلَا يُنَادَى

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠).

(*) في الطبعة (١): (الشقا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وَمِنْذُ قَدِمْتَ مَدْعُوعًا إِلَيْهَا
 عَلِمْنَا أَنَّ رَأْيَكَ فَالْسَفِيُّ
 وَتَنْظُرُ بِالْفَرَّاسَةِ مِنْ يَقِينٍ
 وَمَا قَلَّدْتَهُمْ بِالرَّأْيِ مِنْهُمْ
 لَقَدْ أَحْمَدْتَ نَيْرَانًا تَلْطَّى
 وَقَرَّتْ أَعْيُنُ لَوْلَاكَ بَاتَتْ
 جُزَيْتُمْ (أَلْ رَاشِدَ) كُلُّ خَيْرٍ
 لَكُمْ صَدْرُ الرِّئَاسَةِ فِي الْمَعَالِي
 تَسْدِينُ لَكَ الْأَقْصَا فِي الْأَدَانِي
 وَقُدَّتْ صِعَابُهَا ذُلًّا وَكَانَتْ

أُرْحَتَ بِمَا قَدِمْتَ بِهِ الْعِبَادَا
 وَأَنَّكَ تَكْشِفُ الْكُرْبَ الشَّدَادَا
 فَتَنْتَقِدُ الرَّجَالَ بِهَا انْتِقَادَا
 وَلَمْ تَحْكَمْ لَهُمْ إِلَّا اجْتِهَادَا
 وَتِلْكَ النَّارُ قَدْ أَمَسَتْ رَمَادَا
 عَلَى وَجَلٍ وَلَمْ تَذُقِ الرَّقَادَا
 فَفِيكُمْ تَعْرِفُ النَّاسُ الرُّشَادَا
 وَأَنْتُمْ فِي بَنِي الْعَلِيَا قُرَادِي
 وَتَنْقَادُ الْأُمُورُ لَكَ انْقِيَادَا
 عَلَى الْأَيَّامِ تَأْبَى أَنْ تُنْقَادَا

(٢٩٨)

أَتَانَا عَنْكَ مَوْلَانَا الْبَشِيرُ
 وَرَحْنَا تَسْتَقِرُّ لَنَا قُلُوبُ
 تَقَلَّدْتَ الْقَضَاءَ وَرَبُّ عَقْدُ
 وَأَمْضَى مَا يَكُونُ السَّيْفُ حَدًّا
 تَضِيءُ (الْبَصْرَةَ الْفِيحَاءُ) نُورًا
 إِذَا نَارُ لَتَتْ نَارُ لَتَتْ صَالًا
 وَإِنْ نَارُ لَتَتْ بِمَنْزِلِهِ ضِيُوفُ
 إِذَا مَا جِئْتَهُ يَوْمًا سَتَلْقَى
 أَلَا يَا سَاكِنِي (الْفِيحَاءُ) إِنِّي
 لِيَهْنِكُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ قَاضٍ
 فَهَلْ عَلِمَ (النَّقِيبُ) بَأَنَّ شَوْقِي
 وَهَلْ يَقِفُ الْكِتَابُ عَلَى أَخِيهِ

فَبَشَّرْنَا بِمَا فِيهِ السُّرُورُ
 بِمَا فَرَحْتَ وَتَنْشَرِحُ الصُّدُورُ
 تُزِينُهُ التَّرَائِبُ وَالنُّحُورُ
 إِذَا مَا اسْتَلَّهُ الْبَطْلُ الْجَسُورُ
 ب(أَحْمَدُ) وَهُوَ فِي الْفِيحَاءِ (نُورُ)
 يَرُوعُ الصَّلُّ مِنْهُ وَيَسْتَجِيرُ
 فَقَدْ شَقِيَتْ بِمَنْزِلِهِ الْجُزُورُ
 ضِيُوفًا نَحْوَ سَاحَتِهِ تَسِيرُ
 لَكُمْ مِنْ قَبْلِهَا عَبْدٌ شَكُورُ
 لِدِينِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا نَصِيرُ
 إِلَيْهِ - دُونَ أَسْرَتِهِ - كَثِيرُ
 فَيَعْلَمُ مَا تَخْضَمَّتِ السُّطُورُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٢).

إِذَا مَا يَأْفُلُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
يَكَادُ إِلَى مَعَالِيكُمْ يَطِيرُ
عَلَى عَجَلٍ وَلَا أَحَدٌ يَسِيرُ
يَذُوبُ لِصَوْبِهِ قَلْبٌ أَسِيرُ
أَحِبَّائِي وَلِي فِيهِمْ سَمِيرُ
شَمَائِلُهُ اللَّطِيفَةُ وَالْبَخُورُ
وَفِي أَعْقَابِهِ ظَلَمٌ وَزُورُ
وَشَرُّ الْأَصْفَرِينَ هُوَ الْأَخِيرُ
أَمَالَتُهُ الْوَسَاوِسُ إِذْ يَجُورُ
عَلَيْهِ يَنْزِلُ اللَّعْنُ الْكَبِيرُ
وَتَكْرَهُهُ الْحَفَائِرُ وَالْقُبُورُ
وَجُرْءٌ مِنْ خَلَائِقِهِ الْفُجُورُ

هَمَا قَمَرًا سَمَاوَاتِ الْمَعَالِي
وَمَقْصُوصِ الْجَنَاحِ لَهُ فَوَادُ
فَلَا خَبْرٌ لِيُوصِلُهُ إِلَيْكُمْ
يُعَالِجُ فِي الْجَوَى دُمْعًا طَلِيقًا
وَمِنْ لِي أَنْ تَكُونَ (بِنُوزْهِيرِ)
إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ أَقُولُ هَذَا
تَوَلَّى قَاضِيًا فِيكُمْ وَوَلَّى
عَدُوَّكُمْ الْقَضَاةَ الصُّفْرُ تَلُو
إِذَا مَا مَالَ نَحْوَ الْحَقِّ يَوْمًا
وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ
تَمَلَّ حَيَاتِهِ الْأَحْيَاءُ مِنَّا
قَلِيلٌ مِنْ سَجَايَاهُ الْمَخَازِي

(٢٩٩)

مِنْهَا الْقَوَاعِدُ لِلْسَادَاتِ وَاعْتَمَرَتْ
بَاهَتْ بِهِمْ (مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ) وَافْتَخَرَتْ
أَوْ الضَّرَاعِمِ إِنْ صَالَتْ وَإِنْ زَارَتْ
مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْإِحْسَانِ قَدْ قُصِرَتْ
فَإِنَّهَا تُعْجِبُ الْأَنْظَارَ مَا نَظَرَتْ
أَرْخُ (بِسَلْمَانَ دَارِ الْمَجْدِ قَدْ عُمِرَتْ) (٣)

بُورِكْتِ يَا دَارَ سَلْمَانَ الَّتِي رُفِعَتْ
تَحَلُّهَا مِنْ (قَرِيشٍ) سَادَةٌ نُجُبٌ
مِثْلُ الْبَدُورِ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ وَزَهَتْ
عَلَى مَقَاصِيرِهَا مِنْ كُلِّ مُبْتَهَجٍ
سَرَّحَ بِهَا نَظْرًا وَانظُرْ بِهَا قَمَرًا
وَقُلْ بِسَلْمَانَ بَانِيهَا وَسَاكِنِيهَا

(١) أشارت الأصول إلى أن القصيدة ناقصة. واختلال معاني أبياتها يؤكد ذلك.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

(٣) في الأصول سنة ١٢٨١هـ. ومجموع حساب العبارة يساوي ١٢٧٠هـ.

(٣٠٠)

فهاجَ بنا شوقٌ إليكَ معَ الذِّكرِ
هي العَمرُ لا ما مرَّ في سالفِ العَصرِ
ونحنُ بقَصرٍ قد أطلَّ على نَهْرٍ
فيا حُسنَ ذاكَ المدِّ في ذلكَ الجزرِ
على نَغماتِ الطيرِ بالورقِ الخُضرِ
لها أنَّهُ المألومُ من ألمِ الهَجْرِ
بأعذبِ ما قد قالَ فيكَ منَ الشُّعرِ
فطوراً إلى نظمٍ (***) وطوراً إلى نثرِ
من السُّكرِ ما يُغني النَّدِيمَ عن الخَمْرِ
تَخيلُها النُّدمانُ ذوباً منَ التُّبْرِ
ومن تحتنا الأنهارُ حينئذٍ تَجْري
على غَفلاتِ الدَّهْرِ من نوبِ الدهرِ
وفيها لعمري ما يَنوفُ على (مصر)
عناءٍ أعانيه وأخرَ في فكري

(أبا مصطفى) إننا ذكرناكَ بَيْننا
وقد جَمَعَتْنَا للمَسراتِ ساعةً
ونازَعنا فيكَ الحَدِيثَ مُعْتَقٌ
وقد مدَّ ماءَ النَهْرِ من بَعْدِ جَزْرِهِ
بحيثِ اكتَسَتْ أشجارُهُ فتمايَلَتْ
وقد غَرَدَتْ من فوقِهِنَّ حَمائمٌ
وأطربنا في شُكرِ نَعْماكَ (أخرسُ)
وعاجَ بنا في كلِّ فنٍّ يَجيدُهُ
وكانَ لنا في ما روى عنكَ نَشوؤَةٌ
ورقٌ كما رَقَّتْ سُلُوفُ مُدامَةٍ
فلو كنتَ فينا حاضراً ووجدتَنا
لقلتَ اغنموا ساعةَ الأُنسِ واسلَموا
هي (البصرةُ الفيحاءُ) لا مصرَ مثلها
خَلا أَنني أصبَحْتُ بينَ وخامَتِي

(٣٠١)

والليلُ قد مدَّ علينا رواقُ
أَفقُتُهُ بالعَزلِ حتَّى أفَاقُ

نَبَّهْتُ للنَّايِ عُيونَ الرِّفاقِ
ورُبُّ سكرانٍ بخمرِ الكرى

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(*) أي يمدح السيد سلمان النقيب القادري.

(**) في الطبعة (١): (نظيم) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

قلتُ له من رامها صعبةٌ
 ما ذا التَّواني عن طلابِ العُلا
 لا اُكْتَحَلَتْ أَجْفَانُكُمْ بِالكَرَى
 إِنَّ مُعَاصَاةَ الْكَرَى لِلْعُلا
 فَشَمَّرُوا لِلْمَجْدِ إِنِّي أَرَى
 إِنَّ جَنَى النَّحْلِ لِمُشْتَارِهِ
 هذا وفيكم هِمَّةٌ تَرْتَقِي
 لئن تَقَرَّبْتُمْ إِلَى عِزَّةٍ
 وَالْحُرُّ إِنْ حَاوَلَ أَمْنِيَّةً
 وَمَيَّزَ الْبُعْدَ عَلَى غَيْرِهِ
 فلم يكونوا يومَ نَبَّهْتُهُمْ
 ووافقتني منهم غِلْمَةٌ

حَتَّ الْمَرَّاسِيلَ إِلَيْهَا وَسَاقَ
 أَلَا تَحْنُونَ حَنِينَ النَّيَاقِ
 وَلَا تَصْدَيْتُمْ إِلَى غَيْرِ شَاقِ
 أَلَدُّ مِنْ طَوَّعِ الْهَوَى لِلْعِنَاقِ
 مُكَابِدَاتِ الذَّلِّ مَا لَا تُطَاقِ
 بِالذَّلِّ لَوْ فَكَّرْتَ مَرُّ الْمَذَاقِ
 مَرَّاقِي النَّجْمِ وَأَعْلَى مَرَّاقِ
 فَقَدْ يَعُودُ الْبَدْرُ بَعْدَ الْمَحَاقِ
 حَاوَلَهَا فَوْقَ الْجِيَادِ الْعِتَاقِ
 وَلَا يَرِيدُ الْوَصْلَ بَعْدَ الْفِرَاقِ
 إِلَّا كَمَا أَنْضَيْتُ بَيْضاً رِقَاقِ
 لَا يَعْرِفُونَ الْوُدَّ إِلَّا الْوَفَاقِ

(٣٠٢)

وقال [وهي من المتقارب]:

حَا فُتْ بِتُرْبَةِ أَبَائِهَا
 وَكُلُّ فِتَى مِنْ بَنِي عَمِّهَا
 بَأْتِي كَمَا يَزْعُمُ الْعَاذِلُونَ
 وَقُلْتُ لَهَا إِنَّ نَارَ الْغَرَامِ
 وَعِنْدِي مِنَ الْوَجْدِ دَاءٌ عَضَالُ
 وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ يُرِيحُ الْفَوَادُ
 وَإِنِّي لِأَسْأَلُ ظَبْيَ (الصَّرِيمِ)
 وَأَنْشُقُ مِنْهُ نَسِيمًا يَهْبُ
 وَمَا زَلَّتْ حَتَّى خَلَبَتْ الْقُلُوبَ

ظَوَامِي السُّيُوفِ دَوَامِي الْعَوَالِي
 قَرِيبِ النَّوَالِ بَعِيدِ الْمَنَالِ
 عَلَى صَبَوْتِي بِالْهَوَى غَيْرُ سَالِي
 تَشَبُّ وَقَلْبِي بِهَا الْيَوْمَ صَالِي
 فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ لِدَائِي الْعُضَالِ؟
 وَمَا يَخْطُرُ الصَّبْرُ يَوْمًا بِبَالِي؟
 وَمَا عَنْ سِوَاكَ يَكُونُ سَوَالِي
 وَأَعْرِفُهُ بِأَرِيحِ الْغَوَالِي
 وَحَتَّى سَحَرْتَ عُقُولَ الرَّجَالِ

تُرِينَ أَخَا الْوَجْدِ لَيْنَ الْكَلَامِ
وَتَلْوِينَ بِالذِّينِ حَتَّى يُقَالَ
بَخَلْتِ وَمَا مِنْكُمْ الْبَاخِلُونَ
وَمَنْ أَيْنَ يَخْفَى عَلَيْكَ الْهَوَى
أَمَا صَحَّ عِنْدَكَ قَوْلُ الْوَشَاةِ

فِي طَمَعٍ مِنْكَ بِأَمْرٍ مُحَالٍ
نَجَازُ الْغَوَانِي كَثِيرُ الْمِطَالِ
فَهَلَّا سَمَحْتَ وَلَوْ بِالْخِيَالِ
وَقَدْ بَانَ مَا بِي وَأُبْصَرْتَ حَالِي
فَمَاذَا التَّجَافِي وَمَاذَا التَّغَالِي

(٣٠٣)

بَلَغَ الشُّوقُ لِعَمْرِي مَا أَرَادَا
فَلْيَدْعُهُ فِي الْهَوَى عَاذِلُهُ
يُرْسِلُ الْوَجْدُ إِلَى أَجْفَانِهِ
لَمْ يُرْقِهَا عِبْرَةً إِلَّا إِذَا
قَدْ مَنَعْتُمْ أَعْيُنِي طَيْبَ الْكُرَى
وَبَخَلْتُمْ بِخِيَالِ طَارِقٍ
فَابْخَلُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَبْخَلُوا
أَهْلَ وُدِّي لِمَ لَا تَرْعَوْنَ لِي
أَنْفَدَ الصَّبُّ عَلَيْكُمْ صَبْرَهُ
وَعَلَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ جَوَى
فَسَقَى عَهْدَ الْهَوَى مِنْ مَرْبَعٍ
أَيُّ رِبْعٍ وَقَفَ الرَّكْبُ بِهِ
وَبِـ كَى أَرْسَمَ رَسْمَ دَارِسٍ
يَقْفُ الْمُغْرَمُ فِيهَا وَقْفَةً
مَاحِضَ النَّصْحِ لَهُ مَجْتَهَدًا

وَقَضَى مِنْ مُهْجَةِ الصَّبِّ الْمُرَادَا
يَحْسَبُ الْغَيَّ وَإِنْ ضَلَّ رَشَادَا
رُسُلَ الْأَدْمَعِ مَنِّي وَفُرَادَى
اتَّقَدَتْ نَارُ الْجَوَى فِيهِ اتَّقَادَا
فَحَرِيٌّ أَنْ يُصَارِمَنَّ الرَّقَادَا
لَوْ دَنَا مَا بَتُّ أَشْكُوهُ الْبِعَادَا
إِنْ طَرَفِي كَانَ بِالْدَمْعِ جَوَادَا
نَمَّةَ الْوَدِّ وَأَرْعَاكُمْ وِدَادَا
وَهُوَ لَا يَخْشَى عَلَى الدَّمْعِ نَفَادَا
مَا أَظُنُّ الْوَجْدَ يُبْقِي لِي فَوَادَا
بِتُّ أَسْقِيهِ مِنَ الْقَطْرِ الْعِهَادَا
ذَا كَرَأَ بِالرَّبْعِ سَلْمَى وَسُعَادَا
أَحْسَنَ الْقَطْرِ بُكَاهَا وَأَجَادَا
يَخْضِلُ السَّيْفَ عَلَيْهَا وَالنَّجَادَا
أَخْطَأَ الرَّأْيَ بِهِ وَالْإِجْتِهَادَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

ذَاكِرًا فِي الرَّبِّعِ أَيَّامَ الْهَوَى
 أَيْنَ أَسْرَابِكُ مَا إِنْ سَنَحَتْ
 وَإِذَا مَا نَظَرْتَ أَوْ خَطَرْتَ
 وَلَكُمْ مِنْ طُورَةٍ فِي غُرَّةٍ
 وَقَوَامٍ يَرْقُصُ الْبَبَانُ لَهُ
 آهٍ مِنْ فَاتِكَةِ الْحَاظِهِ
 لَا تَوَاخِذُ بِيَدِي نَاطِرُهُ
 قَدْ بَلَوْتُ الدَّهْرَ وَصَلًّا وَقِلَى
 فَتَمَنَيْتُ مَعَ الْوَصْلِ الْقِلَى
 عَرَفَ الْعَالَمَ مِنْ خَالَطِهِمْ
 وَإِذَا مَا انْتَقَدَ النَّاسَ أَمْرُؤُ
 قَلْ لِمَنْ ظَنَّ (عَلِيًّا) رَاجِيًّا
 وَإِذَا مَا قَدَحَتْ أَيْدِيهِمْ
 بَعْدَ النَّجْمِ عَلَى طَالِبِهِ
 رَفِيعَةً قَائِمَةً فِي ذَاتِهِ
 قَمَرُ النَّادِي إِذَا نَادَيْتَهُ
 لِمُلِمٍّ تَتَرَجَّى نَقْصَهُ
 أَبْحَرُ الْجُودِ وَكُلُّ مَنْهُمْ
 جَازَبُوا الْعُلِيَاءَ فَاِنْقَادَتْ لَهُمْ
 وَلَيْسُنْ لَانُوا قُلُوبًا خَشَعَتْ
 أَعْرَضُوا عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَمَا
 سَادَةُ الدُّنْيَا وَأَعْلَامُ الْهُدَى
 حَسْبُ آلِ الْبَيْتِ مِنْ مُفْتَخِرٍ
 سَيِّدٍ فِي الْغُرِّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ
 مُنْعَمٍ أَمْرَحُ فِي إِنْعَامِهِ

مَن لَأَيَّامِكَ فِيهَا أَنْ تُعَادَا
 أَعْيَتِ الْقَانِصِ إِلَّا أَنْ يُصَادَا
 عَرَفْتُكَ الْبَيْضَ وَالسُّمْرَ الصُّعَادَا
 خَلَعَ اللَّيْلُ عَلَى الصُّبْحِ السُّوَادَا
 وَتَنَنَى مُعْجَبًا فِيهِ وَمَادَا
 فَتَكَةَ السُّهْمِ إِذَا أَصْمَى الْفَوَادَا
 وَقَتِيلُ الْحَبِّ يَأْبَى أَنْ يُفَادَا
 وَوَرَدَتْ الْحَبَّ غَمْرًا وَثِمَادَا
 وَتَخَيْرْتُ عَلَى الْقُرْبِ الْبِعَادَا
 وَاسْتَفَادَ الْعِلْمَ فِيهِمْ وَأَفَادَا
 زَهَدَ النَّاسَ وَمَلَّ الْإِنْتِقَادَا
 أَنْ يُبَارَى فِي الْمَعَالِي أَوْ يُحَادَا
 بِزِنَادِ كَانَ أَوْرَاهِمُ زِنَادَا
 وَمِنَ الْمُعْجَزِ يَوْمًا أَنْ يُرَادَا
 أَطْرَافًا يَبْتَغِيهَا أُمَّ تِلَادَا
 حَبَّذَا النَّادِي مُجِيبًا وَالْمُنَادَا
 وَنَوَالٍ تَبْتَغِي مِنْهُ اِزْدِيَادَا
 رَبِّمَا أَرَبَى عَلَى الْبَحْرِ وَزَادَا
 يَوْمَ قَادُوهَا مِنَ الْخَيْلِ جِيَادَا
 فَلَقَدْ كَانُوا عَلَى الْكُفْرِ شِدَادَا
 زُوْدُوا غَيْرَ التُّقَى فِي اللَّهِ زَادَا
 وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عِبَادَا
 وَلَبَّيْتَ الْمَجْدَ مُذْ أَضْحَى عِمَادَا
 لِمَبَانِي مَجْدِهِمْ شَادَا وَسَادَا
 وَإِذَا مَا زِدْتُهُ بِالشُّكْرِ زَادَا

يا (أبا سلمان) يا ربَّ النُّدى
قُدَّتْهَا مُسْتَصْعَبَاتٍ فِي الْعُلَا
رُبَّ أَنْفٍ شَامَخٍ أَرْغَمَّتَهُ
قَدْ جَنَيْتَ الْعِرْزَ غَضًّا يَانِعًا
مَنْعَ الصُّدُقِ أَكَاذِيبَ الْعِدَا
عَقَدَ اللَّهْ بِهَ الْأَسِنَّةُ
لَسْتُ أَسْتَوْفِي ثَنَائِي فِيكُمْ
أَنَا مَمَّنْ يِرْتَجِي إِحْسَانَكُمْ
قَدْ مَلَأْتُ الْأَرْضَ فِيكُمْ مِدْحًا
كَلَّمَا أَنْشَدَهَا مُنْشِدُهَا
وَلَقَدْ أَلْتَدُّ فِي مِدْحِي لَكُمْ
وَإِذَا أَمْلَقْتُ أَيْقَنْتُ الْغِنَى

والأيادي البيض ما أعطى وجادا
قَدَ أَبَتْ إِلَّا لِعَلِيَاكِ (*) انقيادا
فَاسْتَحَالَتْ نَارُهُ فِيكَ رَمَادَا
وَمَضَى يَخْرُطُ شَانِيكَ الْقِتَادَا
فَإِذَا خَاضُوا بِهَا خَاضُوا عِنَادَا
كَانَتْ الْأَمْسِ عَلَى الزُّورِ حِدَادَا
وَلَوْ أَنِّي أَجْعَلُ الْبَحْرَ مِدَادَا
أَبَدَ الدَّهْرِ وَإِنْ مَاتَ وَبَادَا
ذَهَبَتْ فِي الْأَرْضِ تَسْتَقْرِى الْبِلَادَا
أَطْرَبَ الْإِنْسَانَ فِيهَا وَالْجَمَادَا
فِي الْأَحَادِيثِ وَإِنْ كَانَ مُعَادَا
ثِقَةً بِالْجُودِ مِنْكُمْ وَاعْتِمَادَا

(٣٠٤)

وقال مؤرخاً السفينة (فتح الخير) العائدة للشيخ سليمان الزهير [وهي من البسيط]:

هذي هي الفلُّكُ (فتحُ الخير) كُنَيْتُهَا
الْيَمْنُ وَالْيُسْرُ فِي أَطْرَافِهَا اقْتَرْنَا
(سلمان) لَمَّا اشْتَرَاهَا حِينَ لَمْ يَرَهَا
سَفَائِنُ الْبَحْرِ إِنْ سَابَقْنَاهَا سَبَقَتْ
فَلِإِنْ جَرَيْنِ وَإِنْ أَرَحْتَهُنَّ (فَقُلْ)

فَابْشِرْ فَبِشْرَاكَ بِالْخَيْرَاتِ بُشْرَاهَا
فَالْيَمْنُ وَالْيُسْرُ يَمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا
وَأَقْبَلَتْ أَعْجَبَتْ بِالْحُسْنِ مِنْ رَاهَا
وَجَاوَزَتْ تَمَّ أَوْلَاهَا بِأَخْرَاهَا
تَجْرِي وَأَصْبَحَ بِاسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا (١)

(*) في الطبعة (١): (لعياك) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١) مجموع حساب التاريخ يساوي سنة ١٢٥٩هـ.

(٣٠٥)

وقال مخمساً والأصل للشاعر عبدالباقي العمري^(١) [وهي من الطويل]:
سَقَى اللّهُ عَهْدًا بِالْحَمَى قَدْ تَقَدَّمَ
وَعَيْشًا تَقْضَى مَا أَلَذَّ وَأَنْعَمَا
تَعَاطَيْتُ فِيهِ الرَّاحَ تُمَزَّجُ بِاللِّمَى
(وعفراء سَكْرَى الْمُقْلَتَيْنِ كَأْتَمَا)
(سَقَتْهَا النَّدَامَى مِنْ سُلَافَةِ أَشْعَارِي)
لَهَوْتُ بِهَا وَالدَّهْرُ مُسْتَعْدَبُ الْجَنَى
وَنَلْتُ كَمَا أَهْوَى بِوَصْلِي لَهَا الْمُنَى
وَلَمْ أَنْسَهَا كَالْغُصْنِ إِذْ مَالٍ وَانْتَنَى
(تَمَرُّ مَعَ الْأَتْرَابِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى)
(مُرُورَ الْمَعَانِي فِي مَفَاوِزِ أَفْكَارِي)
وَبَيْضِ عَذَارَى مِنْ لَوْيٍّ وَغَالِبِ
كَوَاعِبِ أَتْرَابِ فِيَا لَلْكَوَاعِبِ
تَخَطُّبِينَ فِي أَبْهَى خُطْبَى مُتَقَارِبِ
(وَعَقْفَيْنِ أَثَارَ الْخُطْبَى بِذَوَائِبِ)
(كَمَا قَدْ عَفْتُ فِي مَنْزِلِ الذَّلِّ أَثَارِي)
إِذَا نَظَرْتُ سَلَّتْ بِأَحَاطِهَا الظُّبَى
وَإِنْ خَطَرْتُ كَانَتْ كَمَا خَطَرَ الْقَنَا
فَمَا نَظَرْتُ إِلَّا بِأَبْيَضٍ يُنْتَضَى
(وَلَا خَطَرْتُ إِلَّا تَذَكَّرْتُ*) (في الوغى)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤).

(*) في الطبعة (١): (وتذكرت) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأئفس.

(بهامٍ خطيرٍ القدرِ ميلةً خطاري)
كأنِّي بها ما بين أختٍ وضرةٍ
إليَّ بأسرارِ الغرامِ أسرَّتِ
أضيمتُ كضيمي بين قومي وأسرتي
(ومن ضيمها كادت تُبيحُ طمرتي)
(من الضيم ما أخفيته تحت أطماري)
أمضُ هواها في فؤادي وما حوى
سوى حُبِّها حتى أليمَ فما ارعوى
وقد سألتُ عمًّا ألقى من الجوى
(فرحتُ إليها أشتكي مَضَّ الهوى)
(كما شكَّتِ الأقلامُ منِّي إلى الباري)
رأتُ فتياتُ الحيِّ عيني ووبَّأها
فأكثرنَ بالتأنيبِ إذ ذاكَ عدلها
فرحتُ وقد أجزتُ لها العينُ سيلها
(وجاراتُها راحتُ مؤنِّبةً لها)
(على ما جرى في السَّفحِ من مدمعي الجاري)
أهيمُ بمراها وحسنِ قوامِها
وإني لمَ عذورٌ بمثلِ هيامِها
وكم ليلةٍ قد بتُّ جنحَ ظلامِها
(يسامرني طولَ الدجى من غرامِها)
(سميرٌ أناغي في معانيه سُمّاري)
إذا قرَّبتُ من ناظري أو تأخَّرتُ
ففي صورةِ الشمسِ المُنيرةِ صُورتُ
متى أسفرتُ عن وجهِها أو تسَّرتُ
(على قُربِها منِّي إذا هي أسفرتُ)

(يُبَاعِدُ مِنْهَا الْحُسْنَ مَا بَيْنَ أُسْفَارِي)
لَهَا مَقْلَةٌ كَالْمَشْرِفِيِّ شَبَابُهَا
لِعُقْدَةٍ (*) صَبْرِي أُوهِنْتَ نَفَثَاتُهَا
إِذَا مَا رَنْتَ أَوْ رُتِلْتَ كَلِمَاتُهَا
(لِرَقَّةٍ سِحْرِي تَنْتَمِي لِحَفَاطَتِهَا)
(وَالْفَاظُهَا تُعْزِي لِرَقَّةٍ أَشْعَارِي)

(٣٠٦)

وقال مخمساً بيتي الشاعر عبد الباقي العمري في مدح أبي الثناء الألويسي [وهما
من الكامل]:

أَتَخَيَّلُ الْمَعْنَى الْبَدِيعَ وَأَجْتَلِي
مَا رَاقَ مِنْ كَلِمٍ وَمِنْ مَعْنَى جَلِي
فَلِذَلِكَ إِذْ سَبَقَ الْوَجِيهَ تَأْمُلِي
(حُسْنُ اطَّرَادِ جِيَادِ خَيْلِ تَخَيُّلِي)
(فِي غُورِ إِطْرَاءِ عَدِيمِ تَنَاهِي)

أَبْدَعْتُ فِي مَدْحِي وَأَعْلَى مَنْ مَدَحَ
دُونِي وَكُنْتُ لِكَالزَّنَادِ إِذَا قَدَحَ
وَأَتَيْتُ مِنْ فِكْرِي بِهَاتِيكَ الْمُلْحَ
(لَأَبِي الثَّنَا الْمَوْلَى شَهَابِ الدِّينِ مَحْ)
(مَمُودِ أَبِي الْبَاقِيِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ)

(*) في الطبعة (١): (لعقيدة) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٣٠٧)

فَمَا أَبْهَى الْغَزَالَهَ وَالْغَزَالَهَ
وَلَكِنْ قَدْ وَجَدْتُ بِهِ الْخُضَّلَالَهَ
سَوَادَ الْعَيْنِ فِيهِ فَخَالَ خَالَهَ
وَجَدْتُ لَهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ لَا لَا
لَنَا دِرًا وَقَدْ سَكَنَ الزَّلَالَهَ
رَأَيْتُ عَلَى سَوَالِفِهِ نِمَالَهَ
وَقَدْ أَهْدَى إِلَى قَلْبِي الْوَيْبَالَهَ
وَأَشْكُرُ مِنْ صَنَائِعِهِ الْأَجْمَالَهَ

بَدَا وَرَنْتَ لَوَاحِظَهُ دَلَالَهَ
وَأَسْفَرَ عَنِ سَنَا قَمَرٍ مُنِيرٍ
صَقِيلُ الْخَدِّ أَبْصَرَ مِنْ رَأَهَ
وَمَمْنُوعُ الْوِصَالِ إِذَا تَبَدَّى
عَجِبْتُ لِتَغْرِهِ الْبَسَامِ أَبْدَى
شَهَدْتُ بِشَهْدِ رِيْقَتِهِ لِأَنِّي
فِيَا عَجَبًا لِحُسْنِ قَدِّ حَوَاهُ
سَأَشْكُو الْحُبَّ مَا بَقِيَتْ حَيَاتِي

(٣٠٨)

تَحَنُّنٌ فِي الْقَلْبِ الْمَشُوقِ حَنِينٌ
وَوَجْدٌ بِأَحْشَاءِ الضُّلُوعِ كَمِينٌ
وِيَا حَتَّ بِأَسْرَارِ الْغِرَامِ عُمِينٌ
وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا الْفِرَاقُ ضَنِينٌ
وَلَا الدَّمْعُ مِنْ يَوْمِ الْفِرَاقِ مَصُونٌ
حَوَادِثُ تَقْفَسُو مَرَّةً وَتَلِينٌ
سَلِينِي عَنِ الْأَشْوَاقِ كَيْفَ تَكُونُ
جُنُونٌ، وَلَكِنَّ الْجُنُونَ فُنُونٌ

تَحَنُّنٌ نِيَاقُ الظَّاعِنِينَ وَمَا لَهَا
أَبَالِنُوقٍ مَا بِالنَّازِحِينَ مِنَ الْأَسَى
وَلَا التَّقِينَا لِلْوَدَاعِ عَشِيَّةً
بَذَلْتُ لَهَا مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ عَبْرَةً
فَلَا الْقَلْبُ لَمَّا أَرْفَعَ الرِّكْبُ صَابِرٌ
فَلَوْلَاكِ مَا قَاسَيْتُ يَا غَايَةَ الْمُنَى
إِذَا كُنْتُ لَا تَدْرِينَ مَا الشُّوقُ بِالْحَشَا
جُنُنْتُ بِذِكْرِ (الْعَامِرِيَّةِ) وَالْهَوَى

(٣٠٩)

وقال مادحاً السيد سلمان القادري النقيب^(١) ومهنياً بزواج أخيه السيد عبدالرحمن

أَخَاكَ وَقَدْ بُلِّغْتَ فِي عُرْسِهِ الْمُنَى
وَمَا زِلْتَ بَرّاً فِي الْأَمَاجِدِ مُحْسِنَا
فَأَصْبَحَ رَسْمًا بِالْمَسْرَاتِ مُعْلَنَا
تَفَنَّنْتَ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَفَنَّنَا
فَأَذَنْ فِينَا بِالسُّرُورِ وَأَعْلَنَا
وَحَقٌّ وَأَيْمُ اللَّهِ فِيهِ لَكَ الْهَنَا
رَفِيعُ مَنَارِ الْمَجْدِ مُسْتَحْكِمُ الْبِنَا
وَتَلَقَى بِهِ الظَّنَّ الْجَمِيلَ تَيَقَّنَا
وَأَلْسِنَةُ الْأَشْرَافِ تَنْطِقُ بِالْتَّنَا
قَدْ اتَّخَذَ الْمَعْرُوفَ إِذْ ذَاكَ دَيْدَنَا
وَقَدْ لَاحَ لِلْأَبْصَارِ مَا فِيهِ مِنْ سَنَا
أَلَسْتَ تَرَاهُ ظَاهِرَ الْمَجْدِ بَيْنَنَا
أَقَامَ دَلِيلًا مِنْ سَنَاهِ مُبْرَهِنَا
وَجَادَ بِهِ الْمَوْلَى عَلَيْكَ وَأَحْسِنَا
فَشُكْرَانِكَ النُّعْمَاءَ أَفْضَلَ مُقْتَنَى
بِهِ تَمَرُ الْأَمَالِ مَوْلَايَ يُجْتَنَى
فَتَزَجَّرُ مِنْهُ طَائِرُ السَّعْدِ أَيْمَنَا
دَعَا لَكَ دَاعٍ بِالتَّهَانِي وَأَمَّنَا
فَلَا حُرْمَ الرَّاجُونَ مِنْ فَضْلِكَ الْغِنَى

(أبا مصطفى) زَوَّجْتَ بِالْخَيْرِ وَالْهَنَا
وَأَحْسَنْتَ فِي تَزْوِيجِهِ وَسُرُورِهِ
وَأَعْلَنْتَ بِالْأَفْرَاحِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَإِنَّكَ يَا رَبَّ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
دَعَانَا إِلَى الْأَفْرَاحِ دَاعٍ مِنَ الْهَنَا
فَنَعْمَ أَخٌ هُنَّيْتَ فِيهِ مُزَوَّجًا
تَقِي نَقِي طَاهِرٌ وَابْنُ طَاهِرٍ
تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ طِفْلاً وَيَافِعًا
عَلَى مِثْلِهِ تُمَلِي الْقَوَافِي نَشِيدَهَا
وَتَعْتَرِفُ السَّادَاتُ بِالْفَضْلِ مِنْ فَتَى
لِيُظْهِرَ فِيهِ اللَّهُ أَسْرَارَ جَدِّهِ
يَلُوحُ عَلَيْهِ لِلرِّئَاسَةِ طَالِعُ
إِذَا مَا ادَّعَى بِالْمَجْدِ طَالِعُ عِرْهِ
حَبَابِكَ بِهِ الْمَوْلَى أَخًا وَحَبِيبَتَهُ
فَشُكْرًا لِمَا خَوْلَتْهُ وَرَزَقَتْهُ
وَهَا هُوَ فَرَعٌ قَدْ زَكَ طَيْبٌ أُصْلُهُ
فَلَا زِلْتَ مَسْرُورَ الْفَوَادِ بِمِثْلِهِ
وَفِي كُلِّ مَا تَرَجُّو مِنْ اللَّهِ نَيْلُهُ
بِفَضْلِكَ أَسْتَعْنِي عَنِ النَّاسِ كُلِّهَا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٣).

(٣١٠)

وقال مادحاً السيد سلمان القادري النقيب ومؤرخاً إطلاق عذاره [وهي من الخفيف]:

وَجَلالاً مَنه فَجَلَّ جَلالُهُ
عَتَ مُنِيلاً لِنا فَعَمَّ نَوالُهُ
كَ مُشِيراً إلى الهِناءِ هِلالُهُ
عَدِ وَقَدِ أبْهَرَ العُقُولَ كمالُهُ
أُنزِلتُ في رِحابِهِ آمالُهُ
حَسُنْتَ فيكَ لا بَغِيرِكَ حالُهُ
تِلْكَ أَخلاقُهُ وتِلْكَ خِلالُهُ
سَرْنِي من جَميلِهِ إقْبالُهُ
صَدَقْتَنِي أَقوالُهُ وفِعالُهُ
حِثُّ لي مِنْهُ جُودُهُ ونَوالُهُ
قَصَرْتُ عَن مَنالِهِ أُمثالُهُ
بِكَ يا صَفوَةَ الكِرامِ اتِّصالُهُ
وَإِذا غِبتَ كانَ عَنكَ سُؤالُهُ
لَكَ في خالِصِ الدُّعاءِ اشْتِغالُهُ
قَدِيماً دِعاؤُهُ وابْتِهاهُ
وَلِحِظِّ تَعوُّقِنِي أَغلالُهُ
بِعدَ ذاكَ اتِّصالُهُ وأنْفِصالُهُ
سِ لِعَمُري مَلائِهُ ومَآلُهُ
راقٍ لِعَينِي شَبابُهُ واكْتِهاهُ
(زادَ سَلمانُ بِالعِذارِ جَمالَهُ) (١)

زادَكَ اللهُ بِهَجاءٍ ووَقارِا
ولِقدَ خَصَّنا بِنَبيكَ مُذْ كَدِ
عادِكَ العَيدُ بالسُّرورِ ووَفا
أنتَ بَدَرُ السُّعودِ في طالِعِ المَجدِ
فانَ من يَرْتَجِيهِ بِالنُّججِ راجٍ
وَإِذا ساءتِ الظُّنونُ بِحالٍ
بأبي أنتَ من كَريمِ السُّجايا
وَإِذا ما أَقْبَلتُ يوماً عَلِيهِ
وَإِذا قالَ في المَطالِبِ شِئناً
فَلَهُ مِنِّي التُّنناءُ عَلِيهِ
نالَ ما لَمْ يُنلُ مِنَ الفَضْلِ حَظّاً
يا (أبا مصطفى) فِداؤُكَ عَبدٌ
فيكَ مَولايَ سَؤْلُهُ ومُناهُ
إنَّ دَاعيكَ والشُّواغِلُ شَتَّى
وَإِلى اللهِ في بَقائِكَ في العِزِّ
ما تَأخَّرتُ عَنكَ إلا لِأَمْرٍ
وسَواءٌ لَدِي المَودَّةُ عَندي
وعَلَى كُلِّ حالَةٍ أنتَ في النِّنا
أَيُّها المُطَلِّقُ العِذارُ لِقَدِ
كُلُّ مَنْ قَدِ رآكَ قالَ فَارَّخُ

(١) في الأصول: التاريخ ١٢٧٦ هـ ومجموع الحساب يساوي سنة ١٢٧٤ هـ.

(٣١١)

وقال [وهي من الطويل]:

يُوعِدُنِي بِالْوَصْلِ مِنْهُ وَيُخْلِفُ
وَقَالَ وَلَمْ يَفْعَلْ وَرَمَتْ وَلَمْ أَنْلُ
وَمَا ضَرَّهُ لَوْ كَانَ أَنْجَزَ وَعَدَهُ
وَبَاتَ بَرِغَمِ الْعَاذِلِينَ مُنَادِمِي
وَقَدْ دَارَتِ الْأَقْدَاحُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
مِنَ الْغَيْدِ فَتَّاكَ بِلِحْظٍ وَقَامَةً
تَلَاعَبَ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ بِقَدِّهِ
تَعَرَّضَ لِي بِالْحَتْفِ مِنْ نَظْرَاتِهِ
وَصَفَتْ لَهُ بَعْضَ الَّذِي بِي مِنَ الْأَسَى
أَلَامٌ وَيَلْحَانِي (*) الْأُحَاةَ بِحُبِّهِ
وَإِنِّي عَلَى هَذَا التَّجَنِّي لَصَابِرٌ
وَأَرْضَى بِمَا تَرْضَوْنَ بِالسُّخْطِ وَالرِّضَا
وَإِنِّي لَمَصْرُوفٌ (***) عَنِ اللُّومِ فِي الْهَوَى

(٣١٢)

وقال راثياً السيد محمود النقيب القادري، وكتبت على ضريحه [وهي من الطويل]:

وَلَا رَأَيْتُ الْحَيَّ وَالْمَيِّتَ وَاحِدًا
بَكَيْتُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَإِنَّمَا
وَفَقَدَ الْمَعَالِي فِي وُجُودِ الْأَكَابِرِ
بَكَيْتُ السَّجَايَا الْغُرَبَاءَ بَيْنَ الْمَقَابِرِ

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (ويلحوني) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (لمعروف) وصوابها من الطراز الأنفس.

(٣١٣)

وقال [وهي من الطويل]:

وقد كان يومٍ يا (هَذيْم) عَصِيْبَا
تَصُبُّ عَلَيْهِ المَاقِيَانِ ذَنُوبَا
هِنَالِكَ إِلا قَدِ عَرَيْنَ عُرُوبَا
تُطَالِبُ مِنْ تِلْكَ الرُّسُومِ حَبِيْبَا
حَسِيْرًا وَقَلْبُ المُغْرَمِيْنَ كَثِيْبَا
إِذَا مَا شَقَقْنَ التَّآكِلَاتِ جُيُوبَا
مَنْ الدَّمْعِ وَالجَفْنِ القَرِيْحِ نَصِيْبَا
وَجَدْتُ لَهَا تَحْتَ الضُّلُوعِ لَهِيْبَا
فَقَدَنْ حَبِيْبًا أَمْ فَقَدَنْ قُلُوبَا

وَيَوْمَ وَقَفْنَا دُونَ (أَسْنِمَةِ النَّقَا)
عَلَى طَلَلِ ظَامٍ إِلَى رِيِّ أَهْلِهِ
وَمَا تَلَفَّتْنَا فَلَمْ نَرِ أَنْجُمًا
وَكُلُّ فَوَادٍ مِنْ رِفَاقِي وَأَيُّنُقِي (*)
وَقَدِ رُدَّ طَرْفُ الرِّكْبِ بَعْدَ طُمُوحِهِ
شَقَقْنَ عَلَيْهِنَ القُلُوبَ تَأْسُفًا
وَقَدِ أَخَذَتْ مِنَّا الدِّيَارُ نَصِيْبَهَا
وَحَنَّتْ نِيَاقُ الرِّكْبِ حَتَّى وَجَدْتُنِي
وَلَمْ أَدْرِ يَوْمَ (الْجَزَعِ) فِي ذَلِكَ الحِمَى

(٣١٤)

وقال يمدح السيد علي النقيب القادري عند تجديد جامع الشيخ عبدالقادر

وَشَرَّفَ اللّٰهُ فِي السَّادَاتِ مَحْتَدَهُ
مُعَمَّرًا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ مَسْجِدَهُ
إِلَّا وَأَعْطَاهُ رَبُّ العَرْشِ مَقْصِدَهُ
إِلَّا هِدَاةً إِلَى التَّقْوَى وَأَرْشَدَهُ
وَزُرُّ مِنَ الشَّيْخِ قُطْبِ الغَوْثِ مَرْقَدَهُ
مِنْهُ إِلَيْكَ بِمَا لَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ (**)
بِمَا بَنَاهُ وَعَلَاهُ وَشَيَّدَهُ
(ذَا جَامِعٍ وَعَلِيُّ القَدْرِ جَدُّهُ)
١٢٨٢هـ

إِنَّ (النَّقِيْبَ عَلِيًّا) طَابَ عُنُصْرُهُ
لِجَدِّهِ (الشَّيْخِ بَازِ اللّٰهِ) حَيْنَ بَنَى
شَيْخِ الطَّرِيْقَةِ لَمْ يَقْصِدَهُ قَاصِدُهُ
أَوْ جَاءَ مُسْتَرْشِدًا يَبْغِي النُّجَاةَ بِهِ
فَصَلَّ لِلّٰهِ وَادَّعَى اللّٰهَ حَيْنَئِذٍ
فَلَمْ تَزَلْ نَفْحَاتُ القُدُسِ سَارِيَةً
وَاشْهَدْ لِبَآئِيهِ إِعْجَابًا بِهَمَّتِهِ
وَقُلْ لِمَنْ رَامَ مِنْهُ أَنْ يُؤَرِّخَهُ

(*) في الطبعة (١): (وأنيق) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في قافية هذا البيت إقواء.

(٣١٥)

وقال مؤرخاً دار الشيخ محمود آل عبدالواحد البصري في أبي الخصب [وهي من البسيط]:

وزانه زُحْرُفٌ زَاهٍ وَتَشْشِيِيدٌ
فيه السُّرُورُ وفيه الأُنْسُ موجود
وطائرُ اليُمْنِ في مَعْنَاهُ غَرِيدٌ
لكم منازلُ فيها الفُضْلُ مَشْهُودٌ
ومنزلُ السَّعْدِ في أهليه مَسْعُودٌ
فيه ومن بعدها إن شئتُم عودوا
ولم يَفْتَهُ بِحَوْلِ اللَّهِ مَقْصُودٌ
فللمسراتِ في نادية تجديد
هذا مقامك يا محمودُ محمود^(١)
١٢٨٩هـ

هذا البناء الذي (محمود) أنشأه
فجاء في غاية الإتقان مُنْتَزَهاً
لا يسمع المرء في مَعْنَاهُ لاغِيَةً
(آل المُبارك) لا زالت مُباركةً
قد أسعدَ اللهُ أرضاً تنزلون بها
فقلُّ لأحبابنا زوروه وأنبسطوا
من زارنا فهو في خيرٍ وفي دعة
يا حَبْذاً ذلك الباني وبُنْيَتُهُ
لذلك في ذلك التاريخ (قيل له

(٣١٦)

وقال يمدح العلامة أبا الثناء الألويسي، وقد سعى له بقضية لدى الشيخ سليمان

شَياطينَ أَكْدارِ يُوسُوسِنَ في صَدْرِي
تَيَقَّنْتُهُ كَالغَيْثِ يَهْمِي وَكَالقَطْرِ
فوا عَجَباً لِلبَحْرِ دَلَّ على البَحْرِ
وَنَقَرُاً من صَمِّصامِهِ آيةَ النُّصْرِ
كما يَنْقِذُ الإِسْلامَ من ظُلْمَةِ الكُفْرِ
مَلأذَ الَّذِي يَرْجُو إلى آخِرِ الدَّهْرِ

رَمَيْتَ (شهابَ الدين) في نورِ فِطْنَةٍ
فيا لك من شَهْمٍ إذا جاد^(*) كَفُّهُ
يَدُلُّ على جود (ابن غنَّام) جودُهُ
على من يُرِينا الموتَ طَوَّعَ يَمِينَهُ
ويُنْقِذُ منْ والاه مِمَّا يَسُووُهُ
فلا زِلْتُمَا يا نَيْرِي أَفْقَ العُلا^(٢)

(١) في الطراز المطبوع التاريخ سنة ١٨٨٩هـ من غلط الطباعة والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصول: ... يا نيرا أفق العلى. والصواب ما أثبتناه.

(*) في الطبعة (١): (جاء) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٣١٧)

وقال مؤرخاً زواج السيد مصطفى وفي آل جميل^(١) [وهي من السريع]:

يَهْنَأُ (أَبُو عَيْسَى) وَإِخْوَانَهُ
يَأْتِي الْمَسْرَاتِ كَمَا يَنْبَغِي
قَدْ جَمَعَ الْأَشْرَافَ فِي مَجْلِسٍ
زَارُوهُ لِلْعَقْدِ عَلَى مَوْعِدٍ
مِنْ كُلِّ مَنْ أَشْبَهَ قَطْرَ النَّدىِ
فَبَاشَرُوا بِالْعَقْدِ وَاسْتَبَشَرُوا
بِالْفَرَحِ الْبَاقِي مَمَرُ الدُّهُورِ
فِي عَقْدِهِ هَذَا وَيَأْتِي الْحُبُورُ
فَكُلُّ أَهْلِ الْفَضْلِ فِيهِ حُضُورُ
زِيَارَةٍ يَأْتَسُ فِيهَا الْمَزُورُ
بِالْجُودِ وَالْإِقْدَامِ لَيْتَ هَـصُورُ
بِأَوْجِهِ تُشْرِقُ مِنْهَا الْبُدُورُ
عَقْدُ نِكَاحٍ بِالْهَنَا وَالسُّرُورِ^(٢)
١٢٨٤هـ

(٣١٨)

وقال [وهي من الطويل]:

أَلَا يَا فَوَاداً قَدْ أَضَرَّ بِهِ النَّوَى
إِذَا مَا دَعَاكَ الصَّبْرُ يَوْمًا عَصِيَّتَهُ
كَتَمْتَ الْهَوَى دَهْرًا فَبَاحَتْ بِسِرِّهِ
وَيَا مَنْزِلًا لِلْهُوَ أَبْعَدَهُ النَّوَى
تَذَكَّرْتُ فِيكَ الْعَيْشَ وَالْغُصْنَ يَانِعٌ^(*)
فَأَنْظَهَرْتُ مِمَّا أَضْمَرْتَهُ أَضَالِعُ
وَأَشْجَاهُ بَرَقَ لِلْحَبِيبِ لَمْوَعُ
وَأَنْتَ لَمَّا يَفْقُضِي الْغَرَامَ مُطِيعُ
عُيُونُ وَأَفْشَتْ مَا كَتَمْتَ دُمُوعُ
أَلَمْ تُدْنِفِ النَّائِي إِلَيْكَ رُجُوعُ
وَرَيْقُ وَشَمْلُ الظَّاعِنِينَ جَمِيعُ
وَلِلَّهِ وَجْدٌ أَضْمَرْتَهُ ضُلُوعُ
وَلَا شَاقَ قَلْبِي أَرْسَمَ وَرَبُوعُ

(١) السيد مصطفى وفي بن العلامة عبدالغني آل جميل. درس على أبيه وعلى علماء بغداد، وأجازته بعضهم. قال عنه الدرريري: «كان أديباً فاضلاً دينياً عاقلاً، توفي في ٢٨ رمضان سنة ١٢٢٤هـ - ١٩٠٦م». البغداديون ص ٣١ وتاريخ العراق بين احتلالين ١٥١/٨.

(٢) لم يرد التاريخ في الأصول. واستخرجناه من مجموع العبارة.

(*) في الطبعة (١): (يافع) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٣١٩)

وقال مؤرخاً إنشاء جامع العمارة [وهي من البسيط]:

وَجَامِعُ جَامِعٌ لِلسَّاجِدِ الرَّاعِ
وَلِلْقَوَاعِدِ مِنْ أَرْكَانِهِ رَافِعٌ
فِيَا لَهُ بِتَّوَابِ اللَّهِ مِنْ طَامِعٍ
مَنْ كَانَ لِلَّهِ فِيهِ خَاضِعاً خَاشِعٌ
خَيْراً وَأَكْرَمَهُ مَنْ فَضَّلَهُ الْوَاسِعُ
قَوْلًا يُشْنَفُ فِيهِ مَسْمَعُ السَّمَاعِ
أَرْخُ (بتعمير عبد القادر الجامع)^(١)

١٢٧٩هـ

ذَا مَسْجِدٌ سُرَّ أَرْبَابُ السُّجُودِ بِهِ
بَنَاهُ لِلَّهِ مُنْشِيَهُ وَوَضَعَهُ
يَرْجُو مِنَ اللَّهِ فِي الْعُقْبَى مَثُوبَتَهُ
دَعَا إِلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ حِينُنْدُ
فَاللَّهُ يَجْزِيهِ عَمَّا كَانَ أَنْشَأَهُ
كُلُّ يَقُولٍ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ

(٣٢٠)

وقال [وهي من مجزوء الرمل]:

وَجَدِي فِي آلِ سَعَادٍ
بِغِيٍّ أَوْ رِشَادٍ
لَامٌ عَلَى الْوَجْدِ بِوَادٍ
وَحَادٍ بِالرَّكْبِ حَادِي
وَفِؤَادِي بِاتَّقَادِ
تُّ لَهْ صَاعِبَ الْقِيَادِ
زَعُ هَذَا الْقَلْبِ صَادِي
الْجَزْعِ مُنْهَلُ الْغَوَادِي
يَوْمَ جَدُّوا بِالْبِعَادِ
فِي الْهَوَى غَيْرِ مُرَادِي
وَأَبْنَانِي بِوَادِي
وَعَذَابِ لِفِؤَادِي
لِهَاتِيكَ الْمِبَادِي

لَامَنِي (سَعَادٌ) عَلِي
فَذَرِ الْاُيُومَ وَلَا تَعْبَأُ
أَنَّ نَا فِي وَادٍ وَمَنْ
قَوُضَ الرِّكْبُ صَبَاحاً
فَدُمُوعِي بِانْسِيَابِ
قَادِنِي الْوَجْدِ وَقَدْ كُنْتُ
وَالِي (الْجَزْعِ) وَأَهْلِي الْجِ
فَسَقَى (الْجَزْعِ) وَمَنْ فِي
قَرَّبُوا مِنِّي تَلَافِي
وَأَرَادُوا بِنَوَاهِمِ
حَانَ حَيْنِي يَا رَفِيْقِي
مَنْ نَعِيمِ لِعُيُونِي
هَذِهِ الْغَايَةُ فِي الْحُبِّ

(١) هو عبد القادر الكولند البصري أول متصرف في العمارة. وقد مرت ترجمته في تعليقتنا على القصيدة رقم (٤٥).

ولم يرد التاريخ في الأصول. وقد استخراجناه من مجموع العبارة.

(٣٢١)

وقال [وهي من البسيط]:

فأوقدت في ظلام الليل مصباحا
أصبحت في هذه الظلماء إصباحا
من عرفها وعرفت القلب مرتاحا
فهل بعنت مع الأرواح أرواحا
يشفي فؤادا شديدا الشوق ملتاحا
وما أدارت على الندمان أقداحا
راحا وأشرب من ألفاظها راحا
ومن رأى قاطفا بالثم تقاحا
مبيضة ورداء الليل قد طاحا
وزاده فلق الإصباح إيضاحا
عدا على إثرها يا سعد أوراها (*)
فهل لها أن تعيد الحزن أفراحا

زارت وجنح الدجى يا سعد معتكرا
وقال صحبي مما راح يدهشهم
وقلت والروح تستشفي بطيب شدا
أحيا أريجك ميتا لا حراك له
وعللتنا وتعليل المشوق بما
وأسكرتنا بألفاظ تكررها
وبت أشرب من معسول ريقتها
وأقطف الغص من تفاح وجنتها
حتى إذا الفجر لاحت لي ملبسه
وأوضح الأمر في لئلا غرته
ودعتهها وكان القلب حينئذ
وأعقت كل حزن بعد فرقتها

(٣٢٢)

وقال يمدح أحد نقباء بغداد [وهي من السريع]:

وواحد الأشرف في نبله
واللاحق السابق من قبله
وجود هذا الغيث في نيله
وكل ما نحشاه من أجله

يا سيّد السّادات من (هاشم)
وسابق اللاحق من بعده
أنت كهذا الظل في فخله
أنت تقينا بأس ما نتقي

(*) في الطبعة (١): (أرواحا) وصوابها من الطراز الأنفس.

(٣٢٣)

وقال مؤرخاً إنشاء دار السيد سلمان النقيب [وهي من البسيط]:

انظر إلى هذه الدار التي كملت
تروق للعين منظوراً ومبتهجاً
ما حل فيها امرؤ إلا ويشمله
من آل بيت رسول الله يسكنها
الباذلون لوجه الله ما ملكوا
الله يكلأ بانيها وساكنها
من كل ضيف من الأمجاد يقصدها
فقل (*) لسلمان لا زالت ولا برحت
فيها من الحسنى والإحسان أوصاف
منها وتنعم زواراً وأضياف
في الحال من نفات القدس أطفاف
قوم لهم من رجال الغيب أحلاف
وفي مكارمهم في البر إسراف
كما بنت قبله للمجد أسلاف
وفي الأماجد أنواع وأصناف
أرخ (بدارك سادات وأشراف)
١٢٨١هـ

(٣٢٤)

وكتب إلى بعض أحبابه يطلب منه مربي [وهي من الوافر]:

ألا يا سيد العلماء طراً
ويا حلو المذاقة يوم يغني (*)
أضر بنا فدتك النفس جوع
وأذهلنا إليه اليوم شوق
وميلك من وجود بما لديه
ورب الجود والمجد الأثيل
بجود الطبع والفعال الجميل
ويعجبنا مربي الزنجفيل
فكدنا أن نصير بلا عقول
ويسخو بالكثير من القليل

(*) في الطبعة (١): (يفتي) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٣٢٥)

من العتَبِ ما يَمَلَى عليك وما أُملي
على الشُّعْرِ قَبْلَ اليومِ بالنائلِ الجَزَلِ
أزِيلُ بها فُقْرِي وأغني بها أهلي
وأوقفتَ حظِّي منك في مَوْقِفِ الذِّلِّ
وبيّني ولا بونٌ بجزءٍ ولا كلٌّ
ولي غررٌ ما قالها أحدٌ قبلي
وأصبحتُ بعد الويلِ أقنعُ بالطلِّ
فتى من رسولِ الله يُوصفُ بالبخلِ
فما تُعذّرُ القومُ الكرامُ من القلِّ
فما قولهم قولي ولا فعلهم فعلي
فَقَصَّرَ عن إدراكِ حُكْمَتِهِ عقلي
وتجهله ظلماً وحاشاك من جهلٍ
وجُودك معلومٌ وأنتَ أبو الفضلِ
ويُحرمُ من دونِ الوريِّ شاعرٌ مثلي

بَقِيَتْ بقاءَ الدهرِ هل أنتَ عالمٌ
لقد كنتَ تجزيني بما أنتَ أهلهُ
فأرجعُ عن نعماك في ألفِ درهمٍ
فَنَقَصْتَنِي شيئاً فشيئاً جوائزي
فأصَبَحْتُ مثلَ الوقحِ لا فرّقَ بينه
ولي فيك ملءُ الخافقينِ مدائحُ
فمن أيِّ وجهٍ أنتَ أنزلتَ رتبتِي
فإن كان من بخلٍ فلم ير قبلاًها
وإن كان من قُلِّ هنالك وجَدْتَهُ
وإن كان من طعنِ العداةِ وقَدَحْتَهُمُ
أكان لمولانا بذلك حُكْمَةٌ
فليس من الإنصافِ مثلي تُضيعُهُ
وبَحْرُكَ تيارٌ ومالكٌ وافرٌ
وتبلغُ منك الناسُ أقصى مرامِها

(٣٢٦)

وقال [وهي من الوافر]:

لمن تهوى وتُدْمِيها شؤونُ
وفي أحشائه الوجدُ الكمينِ
يَبُوحُ بسرِّه الدمعُ الهتونِ

أما والعينُ تُبكيها طولُ
أليّةٍ مُغرَمٍ يُبدي سُلُوقاً
يَكْتُمُ سرِّه بالصبرِ حتى

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦). ويبدو أن بعض خصوم الشاعر قد أوغروا صدر النقيب عليه. وفي القصيدة إشارة إلى ذلك.

وَيَعْصِي أَمْرَهُ صَبْرٌ ضَنِينٌ
 لَهُ دِينٌ وَلِالْعُشَّاقِ دِينٌ
 جُنُنْتُ وَمَا الْهَوَى إِلَّا جُنُونٌ
 مُهْفَهْفَةٌ وَمَا فَتَكَتُ عُيُونٌ
 وَذَا مِنْهَا - وَمَا طَعَنْتُ - طَعِينٌ
 فِكْمُ تَقْسُوعِيٍّ وَكَمْ أَلِينٌ
 عَلَيْهَا لِي - وَإِنْ نَزَحْتُ - دُيُونٌ
 غَدَاةُ الْبَيْنِ إِذْ خَفَّ الْقَطِينُ
 وَمَا قُبِضْتُ إِذَا تَلَكَ الرَّهُونُ
 وَلَا دَمْعٌ عَلَيَّ سِرٌّ أَمِينٌ

يُطِيعُ غَرَامَهُ دَمْعٌ كَرِيمٌ
 يَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُ لَهُ عَذُولًا
 لَقَدْ فَتَكَتُ بِي الْأَحْدَاقُ حَتَّى
 وَمَا يُدْرِيكَ مَا طَعَنْتُ قُدُودُ
 فَذَا مِنْهَا - وَمَا قَتَلْتُ - قَتِيلٌ
 أَلِينٌ وَأَشْتَكِي مِنْهَا فَتَقْسُو
 وَإِنَّ الظَّاعِنِينَ وَإِنْ تَنَاءتُ
 وَلِلْمُسْتَعْرَمِينَ بَعِينٌ (نَجْدُ)
 قُلُوبٌ عِنْدَ (كَاطِمَةَ) رُهُونُ
 فَلَا صَبْرٌ عَلَيَّ نَأْيٌ مُقِيمٌ

(٣٢٧)

وقال [وهي من الطويل]:

وَقَدْ تَرَكُونِي فِي الْمَقَابِرِ أَعْظَمًا^(١)
 وَمَاتَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِذْ مَاتَ مُسْلِمًا
 لَقِيَ اللَّهَ بَارِيَهُ أَبْرًا وَأَرْحَمًا

وَلَمَّا قَضَتْ مَنِّي الْحَيَاةَ مَارِبًا
 وَقَالُوا قَضَى نَحْبًا وَسَارَ لِرَبِّهِ
 وَمَنْ عَبَدَ الرَّحْمَنَ سَبْعِينَ حِجَّةً

(٣٢٨)

وقال مقرضاً تخميس الشاعر عبد الباقي العمري لهمزية البوصيري [وهي من الخفيف]:

لِ بِمَا لَا تَفِي بِهِ الْبُلْغَاءُ
 صَارَ نُورٌ وَلِلْقُلُوبِ جَلَاءُ
 فَارْذَهَتْ نَا بِحَلِيهَا الْحَسَنَاءُ
 فَاتَهَا فِي قُصُورِهَا أَشْيَاءُ
 إِنَّمَا شَيْمَةُ الْكِرَامِ الْوَفَاءُ

جِئْتُ يَا (ابْنَ الْفَارُوقِ) مِنْ مُعْجَزِ الْقُو
 مِنْ بَدِيعِ التَّسْمِيْطِ مَا هُوَ لِلْأَبِ
 مِنْ قَصِيدِ حَلَّتْ غَدَاةٌ تَحَلَّتْ
 سَمَطَتْهَا مِنْ قَبْلِكَ النَّاسُ لَكِنْ
 أَنْتَ وَفِيَّتْهَا الْمَحَاسِنُ طُرًّا

(١) في الأصول أن الشاعر الأخرس رأى في منامه صديقه الشاعر عبد الباقي العمري ينشده هذه الأبيات.

وَقَفَّتْ عِنْدَ حَدِّهِ الشُّعْرَاءُ
وَكَلَامُ كَأَنَّهُ الصَّمَّ هُجْبَاءُ
رَوْنَقٌ مِنْ جَمِّ مَالِهِ وَبِهِ
وَهِيَ الْمَاءُ رِقَّةً وَالْهَوَاءُ

وَلَقَدْ خُضَّتْ فِي الْحَقِيقَةِ بَحْرًا
مَنْطِقٌ مِصْقَعٌ وَلَفْظٌ وَجِيزٌ
مِثْلُ رَوْضِ الْحُزُونِ لَاحٍ عَلَيْهِ
فَهِيَ الشَّهْدُ فِي الْحَلَاوَةِ لَفْظًا

(٣٢٩)

تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي وَيَنْشَرِحُ الصَّدْرُ
(وَقَدْ سَامَنِي ضُرٌّ وَقَدْ سَاءَنِي دَهْرُ)
لِيَهْنِكَ هَذَا الْقَصْدُ وَالنَّائِلُ الْوَفْرُ
(لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ)

(قَصَدْتُ مِنَ الزُّورِ صَدْرًا مُعْظَمًا)
وَأَمَلْتُ فِيهِ النِّفْعَ فِي مَا يَسْرُنِي
(فَقَلْتُ لِنَفْسِي وَالرِّجَاءُ مُوَفِّرُ)
فَكُنَّا بِهِ كَالْقَلْبِ طَوْلَ حَيَاتِنَا

(٣٣٠)

وقال مؤرخاً زواج السيد سلمان النقيب القادري [وهي من البسيط]:

مَسْرَّةٌ تُتَمَنَّى مِنْذُ أَرْزَانِ
كَمَا نَوْمُلُ فِيهَا أَيُّ إِعْلَانِ
مُنْعَمَ الْبَالِ فِي رَوْحٍ وَرِيحَانِ
مِنْ دَوْحَةٍ مِنْ عَلَاءِ ذَاتِ أَفْنَانِ
كُفُّوْا بِكُفُوِّ وَأَقْرَانًا بِأَقْرَانِ
وَلَوْ دَرَى بِسُرُورِي فِيهِ هَتَانِي
يُعِيدُ أَثَارَ أَفْرَاحِ بَاعْمِيَانِ
تَجْرُ فِي حَلَبَاتِ الْفَضْلِ أَرْسَانِي
وَطَالَمَا تُتْبِعُ الْحُسْنَى بِإِحْسَانِ
مَنَاهَلِ الْجُودِ تَرْوِي كُلَّ ظَمْآنِ

(عَلِيٌّ) لَا زَلْتَ مَسْرُورًا بِ (سَلْمَانَ)
قَدْ أَعْلَنْتُ بِالتَّهَانِي فَهِيَ مُعْلَنَةٌ
فَلَا تَزَالُ مَدَى الْأَيَّامِ فِي طَرْبِ
وَسَرِّكَ اللَّهُ فِي تَزْوِيحِ ذِي شَرْفِ
وَخَيْرُ مَا أَنْتَ قَدْ زَوَّجْتَ مِنْ وَدِّ
هَنْيئْتُهُ بِسُرُورِي فِي تَزْوِجِهِ
أَسْدِيئَتَهَا مِنْهُ بَاتِ الْهِنَاءِ بِهَا
فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ مَا تُسْديهِ مِنْ مَنِّ
يَا مُتْبِعَاً هِبَةَ الْأُولَى بِثَانِيَةٍ
شُكْرًا لِأَيْدِيكَ مَا زَالَتْ تَفِيضُ لَنَا

(١) لم ترد هذه الأبيات في الأصول. وقد وجدتها في غرائب الاغتراب ص ١٢٤ لأبي التثاء الألوسي.

تَنْهَلُ مَا اعْتَرَضَ الْعَافِي سَمَاحَتُهَا
 عَلَتْ بَرْفَعَتِكَ السَّادَاتُ وَأَفْتَحَرْتُ
 وَكَيْفَ لَا تَتَّعَالَى سَادَةٌ نُجَبُ
 فَكَمْ تَجَلَّى لَنَا مِنْ وَجْهِهِ قَمَرٌ
 اللَّهُ أَبْقَى بِكُمْ فِي الذِّكْرِ خَالِدُهُ
 بِهِ التَّقَى قَمَرًا حُسْنٍ سَمَا بِهِمَا^(١)
 يَهْنِيكُمْ آلَ بَيْتِ الْمِصْطَفَى فَرَحٌ
 فَسَرُّكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَالسَّمَاعُ بِهِ

فَأَنْتَ وَالْعَارِضُ الْمُنْهَلُ سَيَّانٌ
 حَتَّى لَقَدْ خَلَّتْهَا تَعْلُو لَكِيَوَانٌ
 فِيهَا (عَلِيٌّ) عَلِيُّ الْقَدْرِ وَالشَّانُ
 فَرَّاحٌ يَجْلُو بِهِ هَمِّي وَأَحْزَانِي
 وَكُلُّ ذِكْرٍ خَلَا أَبْنَاءَكُمْ فَنَانٌ
 فِي الْمَجْدِ وَالتَّفَّ غُصْنُ الْبَانِ بِالْبَانِ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ مِنْ قَاصٍ وَمَنْ دَانَ
 سَمَاعُ هَاتِفٍ لِلْبَشْرِى بِالْحَانَ
 (سُرُورُكُمْ دَامَ فِي تَزْوِيحِ سَلْمَانَ)

(٣٣١)

وقال [وهي من الخفيف]:

شَامَتِ الْبَرْقُ حِينَ لَاحَ مَطْيِيٌّ
 وَشَجَاهَا الْأَسَى فَقَالَ رَفِيقِي
 حَاكِيًا وَمُضَهُ وَضَوْءُ سَنَاهِ
 وَبَكَتْ أَيْتُقُ^(*) بَدْمَعِ هَتُونِ
 وَبَكِينَا لَهَا^(**) وَمَا يَنْفَعُ النُّو
 كَمْ أَهَاجَ الْقُلُوبَ مَنَّا وَمَيْضُ
 كَانَ عِلْمُ الْوُشَاةِ بِالْوَجْدِ ظَنًّا
 عَبَرَاتِ أَسْبَلَتْهَا وَدُمُوعًا
 يَوْمَ كَانَ الْوِدَاعُ إِذْ أَلُمِّي
 أَخَذَ الرِّكْبُ بِالسُّلُوسِ شِمَالًا

أَضْمَرَتْ لَوْعَةً وَأَبَدَتْ حَنْيِنَا
 إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَطْيِيَّ جُنُونَا
 مِنْ سُلَيْمِي تَبَسُّمًا وَجَبِينَا
 لَمْ تَدَعُ لِلْفَوَادِ سِرًّا مَصُونَا
 قَ وَقَدْ ضَرَّهَا الْهَوَى إِنَّ بَكِينَا
 ثُمَّ أَدْمَى بَعْدَ الْقُلُوبِ الْعُيُونَا
 فَأَعَادَتْ ظَنَّ الْوُشَاةِ يَقِينَا
 كَانَ لَوْلَا الْهَوَى بِهِنَّ ضَنْيِنَا
 قَوَّضُوهَا رِكَائِبًا وَظُّعُونَا
 وَأَخَذْنَا مَعَ الْغَرَامِ يَمِينَا

(١) في الأصول: به التقى قمري حسن سما بهما. من وهم النساخ وغلط الطباعة.

(*) في الطبعة (١): (أنيق) والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): صدر هذا البيت (وبكينا لها بدمع) وقد حذفنا كلمة (بدمع) ليستقيم الوزن، وصوابها من الطراز الأنفس.

(٣٣٢)

وقال يمدح الحاج عبدالواحد البصري [وهي من الطويل]:

يَرَى ضَيْفُ (عبد الواحد) الْخَيْرَ كُلَّهُ
كَرِيمٌ مَتَى تَأْوَى إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
فَأَكْرَمُ بِهِ مَثْوَى وَلَوْ شَاءَ ضَيْفُهُ
وَتُبْصِرُ عَيْنَاهُ جَمِيعَ الَّذِي يَهْوَى ^(١)
أُرْتِكَ إِذَا نَيْرَانُهُ جَنَّةَ الْمَأْوَى
لَأَنْزَلَ فِي إِكْرَامِهِ السَّمْنَ وَالسَّلْوَى

(٣٣٣)

وقال في جواب رسالة [هذه الأرجوزة]:

سَأَلَمَهُ الرَّبُّ مِنَ الْأَسْوَاءِ
وَأَسْأَلَ التَّيْسِيرَ فِي رُؤْيَتِهِ
وَبَعْدُ فَالْشُّوقُ الْكَثِيرُ الزَّائِدُ
أَشْتَأَقُكُمْ شَوْقَ الْمَشِيبِ لِلصَّبَا
وَالْمُعْرَمِ الْعَاشِقِ مِنْ يَهْوَاهُ
لَا سِيَّماً لَمَّا أَتَى كِتَابَكُمْ
كَأَنَّهُ تَرَجَّمَ عَنْ أَشْوَاقِي
خَبَّرَ عَنْ قَلْبِ عَمِيدٍ وَامِقٍ
إِنْ نَظَّمَ الْكَلَامَ يَوْمًا أَوْ نَثَرَ
بِفِكْرَةٍ ثاقِبَةٍ وَقَّادَةٍ
أَقْوَالُهُ فِي الْمَجْدِ أَوْ أَفْعَالُهُ
لِلَّهِ دَرٌّ نَاطِمٍ وَنَاقِدٍ
جَاءَ بِهِ مُبْتَكِرًا نِظَامًا
وَزَيَّنَتْ أَقْلَامُهُ الطُّرُوسَا

مُيَسَّرًا لِلْحَمْدِ وَالتَّنْائِ ^(٢)
بِالصِّطْفَى الْهَادِي وَالْبَيْتِ
مَنْبِي إِلَيْكَ طَارِفٌ وَتَالِدٌ
وَالصَّبُّ يَشْتَأَقُ لِأَرْوَاحِ الصَّبَا
إِذَا دَعَاهُ لِلْمُنَى هَوَاهُ
وَلَدَّلِي فِي طَيِّهِ خِطَابَكُمْ
وَعَنْ صَبَابَاتِي وَعَنْ أَعْلَاقِي
بِصَاحِبِ بَلِّ بِصَدِيقِ صَادِقٍ
فَإِنَّهُ يَقْذِفُ مِنْ فِيهِ الدُّرَّ
وَفِطْنَةَ عَارِفَةٍ نَقَّادَةٍ
يُقْصِرُ عَنْ أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهُ
جَوَاهِرًا فِي بَحْرِ فَضْلِ زَائِدٍ
قَدْ أَبْهَرَ الْأَفْكَارَ وَالْأَفْهَامَا
فَأَنْعَشَ الْأَرْوَاحَ وَالنَّفُوسَا

(١) هذه الأبيات لم ترد في الأصول. وهي رقم ١٣ في مخطوطة شعر الأخرس.

(٢) هذه الأرجوزة لم ترد في الأصول. وهي رقم ٩ في مخطوطة شعر الأخرس.

(*) في الطبعة (١): (جفاته) ووصوبناها من مخطوطة شعر الأخرس، مصدر سابق، ص (٥١).

وهزَّ [كلَّ] سامعٍ من طَرَبٍ^(١)
 كأنه من حُسْنِه حَيَّاهُ
 يَجْرِي النَّسِيمُ فِي حَوَاشِي لَفْظِه
 فَيَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ مَا جَزَى
 فَكَانَ مَا قَالَ عَلَى فَوَادِي
 جَاءَتْ بِهِ تَحْمِلُهُ الرَّسَائِلُ
 يُتْلَى فَتَهْتَزُّ لَهُ الْمَحَافِلُ
 أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ وَأَنْتَ الْمُحْسِنُ
 بَلَّغَكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْأَرَبَا
 الْعَثْرَةَ اللَّائِي مِنَ الْبِتُولِ
 وَالسَّادَةَ الْغُرَّ الْمِيَامِينَ الْأُولُ
 هَذَا وَإِنِّي غَيْرُ خَالِي الْبَالِ
 حَرَّرْتُ مَا حَرَّرْتُ مِنْ سَطُورِ
 اعْذُرْ أَخَاكَ إِنَّهُ مَعْذُورٌ
 وَدُمْتَ بِالْأَمْنِ وَبِالْإِيمَانِ

فكان عندي من أجلِّ الكُتُبِ
 يَهزُّنا الشُّوقُ إِلَى لُقْيَاهُ
 وَيَصْدَعُ الصَّخْرَ بِفَأْسِ وَعْظِه
 مَادِحِ أَصْحَابِ الْعَبَا مُرْتَجِزَا^(٢)
 كَالْمَاءِ إِذْ بَلَ غَلِيلَ الصَّادِي
 وَتَرْتَضِيهِ الْعَرَبُ الْأَفْاضِلُ
 مِنْ طَرَبٍ مِنْهُ فَكُلُّ قَائِلُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ هُوَ مِنْكُمْ حَسَنُ
 بِالْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْعَبَا
 طَيِّبَةَ الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
 وَمِنْ بَهُمْ نَصُّ الْكِتَابِ قَدْ نَزَلَ
 مُشْتَوِّشُ الْأَفْكَارِ وَالْأَحْوَالِ
 مَعْتَذِرًا إِلَيْكَ مِنْ قُصُورِي
 إِذَا جَرَى فِي رَدِّهِ تَأْخِيرُ
 مُوَفَّقًا فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

(٣٣٤)

وقال مخمساً هذه الأبيات للشاعر عبد الباقي العمري [وهي من الطويل]:
 أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مُقْطَاعِ
 مُضِرٍّ بِمَا يَقْضِي بِهِ غَيْرِ نَافِعِ^(٣)
 وَرَاضٍ بِظَلْمِ طَامِعٍ غَيْرِ قَانِعِ
 (وقاضٍ بجورٍ ما له من مضارع)

(١) في الأصل: (وهز سامع من طرب) وهو معلول ولم ينبه عليه المحقق. والصواب ما أثبتناه.

(٢) يبدو أن الرسالة إلى الشاعر عبد الباقي العمري. وهو من أصدقائه وله أرجوزة مشهورة في مدح أصحاب العبا.

(٣) لم يرد هذا التخميس في الأصول. وقد ورد في الترياق الفاروقي ص ٢٩١. وكتاب الآداب العربية في القرن

التاسع عشر ١١/٢ لشيخو اليسوعي

(على أنه بالعسف أقطع من ماضي)
فكم قد جنى في حكمه من جنابة
وقد راح في غي له وغوايبة
فلا رد قاض ما اهتدى لهداية
(قضى ومضى لكن إلى كل غاية)
(من الخزي لا يحظى بها أبداً قاضي)
بلىنا بقاض جائر غير عادل
يجور بحكم قاصر غير طائل
ومن أعظم البلى بلاءً بجاهل
يقولون يقضى قلت لكن بباطل)

(٣٣٥)

وقال مؤرخاً ولادة ناصر بن قاسم باشا آل الزهير [وهي من الكامل]:

<p>من صلب أكرم ماجد ومجد^(١) فبدا نظير الكوكب المتوقد من ناصر حزب العلاء ومؤيد والمُرْعَفِين بها أنوف الحسد كم من يد بيضاء تولى من يد بمكارم لأكارم لم تجحد وأعد حديثك ما استطعت وردد سيماء سعد في الزمان الأسعد ويديمه في طيب عيش أرغد لا زال في فخر عظيم السؤدد بالناصر بن القاسم بن محمد</p>	<p>بشري بمولد نجالكم من مولد كالسيف أصلت نصله من غمده يحيي مناقب من مضى من أهله العاطسين بأنف كل أبيّة والباسطين على العفاة أيدياً لا تنكر الأعداء معروفاً لهم حدث ولا حرج عليك بذكرهم فليهنكم ولد بدا في وجهه فاله يحفظه ويرفع قدره سرت به النجباء وأفتخرت به قد جاء تاريخي (وقر عيونهم</p>
---	--

(١) لم ترد في المطبوع وهي في النسخة المخطوطة (أ) ص ٤٥٣ وقد نشرتها الدكتورة عاتكة وهي الخزرجي في
المجلد ٢٧ من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٦.
(*) في الطبعة (١): (يفض) ولعل صوابها (يقص).

(٣٣٦)

وقال يمدح العلامة أبا الثناء الألويسي ويؤرخ عام إفتائه [وهي من الكامل]:

يا قُدُوءَ العُلَمَاءِ يا من عُلِمَهُ
يَهْنِيكَ مَوْلَانَا بِمَنْصِبِكَ الَّذِي
فَلَقَدْ حَبَاكَ اللَّهُ بِالْفَضْلِ الَّذِي
فِي حَالَتِي عِلْمٍ وَبَذَلَ مَكَارِمِ
وَحَبَّتِكَ أَلْطَافُ الْوَزِيرِ (علي الرضا) (١)
مَلِكُ فَأَمَّا حِلْمُهُ فَمُوقَّرٌ
وَلَاكَ إِفْتَاءَ الْأَنْبَاءِ وَحَبَّبَ إِذَا
إِنَّ الشَّرِيعَةَ فِيكَ لِابْسُ تَاجِهَا
وَتَنُوفُ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَأَرخُوا
بحرٌ ومنهلٌ فضله مَرُودٌ
فَارَازَ الْوَلِيِّ بِهِ وَخَابَ حَسُودٌ
يَسْمُو عَلَى رَغْمِ الْعِدَا وَيَسُودُ
فَعَلَى كَلَا الْحَالِينَ أَنْتَ مُفِيدٌ
مَنْ نَكَّرَهُ فِي الْخَافِقِينَ حَمِيدٌ
ضَافٌ وَأَمَّا بَطْشُهُ فَشَدِيدٌ
رَأْيُ لَعَمْرِي إِنَّهُ لَسَدِيدٌ
قَرْمٌ وَحَامِلٌ سَيَفِيهَا صَنِيدٌ
(نَوَفَتْ فِي الْإِفْتَاءِ يَا مَحْمُودِ) (٢)
هـ ١٢٥٥

(٣٣٧)

وقال يمدحه أيضاً ويؤرخ كتابه (التبيان عن مسائل إيران) الذي قدمه إلى السلطان

أَلَا أَيُّهَا النُّحْرِيُّ وَالْعَالِمُ الَّذِي
لَقَدْ جُدْتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَشَرَحَهُ
قَوَافٍ كَأَمْثَالِ الْجُمَانِ قَلَانِدٌ
وَأُورِدَتْ مِنْ نَصِّ الْكِتَابِ مَوَاعِظًا
أَقَمْتَ عَلَى الْقَوْمِ الْخَوَارِجِ حُجَّةً
فَضَائِلُهُ كَالْبَحْرِ وَالْفَيْضِ وَالْجُودِ
وَقَدْ جِئْتَ بِالتَّبْيَانِ فِي كُلِّ مَقْصُودِ
وَأَزْهَى مِنَ الْعَقِيَانِ فِي عُنُقِ الْغَيْدِ
لَمَنْ كَانَ مِنْهُ الْقَلْبُ مِنْ نَحْتِ جُلْمُودِ
وَجِئْتَهُمْ فِي كُلِّ خَوْفٍ وَتَهْدِيدِ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩). وهو علي رضا اللاذ.

(٢) في الأصول: (نوفت بالأفتاء يا محمود). كذا ويكون مجموع عبارتها سنة ١١٦٧ هـ. والصواب ما أثبتناه. وهو في مجموعة السيد عبدالخالق العزاوي وحديقة الورد.

(٣) في نسخة ب: يمدح محمود جلبي نجل عبدالواحد البصري. وهو وهم من الناسخ.

وَأَيَّدَهُ رَبُّ السَّمَاءِ بِتَأْيِيدِ
بِتَشْيِيدِ(*) دِينَ اللَّهِ آيَةً تَشْيِيدِ
فَأَيَّامُنَا فِي حُكْمِهِ الْعَدْلِ كَالْعِيدِ

إِلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ دَامَ بَقَاؤُهُ
خَلِيفَةَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَقَائِمِ
وَحَامِيٍّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالسَّيْفِ وَالْقَنَامِ
تُبَيِّنُ فَرَضًا أَنْ يُطَاعَ فَأَرْخُوا

(٣٣٨)

وكتب إلى بعض أصدقائه [وهي من المتقارب]:

بَقِيتُ(**) لَنَا فِي الْهَنَا وَالطَّرِبِ
عَلَى خَاطِرِ الْمَرْءِ مِثْلُ الْجَرَبِ
وَلَا بُرءَ مِنْهَا كَبِئْتَ الْعَنْبِ
إِذَا حُشِرَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبِ
وَمَنْ لِي بِهَا مِثْلُ ذُؤَبِ الذَّهَبِ
وَتُذْهَبُ عَنْ شَارِييَهَا النَّصَبِ
تَوَلَّدَ مِنْهَا لِأَلِي الْحَبِيبِ
وَمَا لِي عَنْ حُبِّهِ مُنْقَلَبِ
فَقُلْ عِنْدَ ذَلِكَ يَا لَلْعَجَبِ
فَأَيْنَ الزُّكَاةُ وَهَذَا رَجَبِ

جَمِيلَ الصَّنِيعِ بِأَهْلِ الْأَدَبِ
أَعِنْدَكَ عِلْمٌ بَأَنَّ الْهُمُومَ
وَلَا مِنْ دَوَاءٍ لِأَدْوَانِنَا
وَحَشْرُ مَعَ الْغَانِيَاتِ الْحَسَانِ
وَإِنِّي فَاقِيرٌ إِلَى قَهْوَةِ
تُقَوِّي الْعِظَامَ وَتَشْفِي السَّقَامَ
إِذَا مُزِجْتَ بِأَبْنِ مَاءِ السَّمَاءِ
فِيَا مَنْ وَدَادِي لَهُ ثَابِتٌ
صَرَاحِيَّتِي مَا بِهَا قَطْرَةٌ
وَأَنْتَ مَلَكَتَ نِصَابَ الشُّرَابِ

(٣٣٩)

وقال يمدح السيد محمد سعيد نقيب البصرة ويهنيه بالنيشان [وهي من الرمل]:

فَتَرَى أَيَّامَكَ الْغَرَاءَ عِيدَا
وَأَعْظَمْتَ الْبِرْمَ(***) وَالْخَصْمَ الْحَسُودَا
تَرْتَقِي فِيكَ إِلَى الْمَجْدِ صُعُودَا

دُمْتَ بِالنَّيْشَانِ وَالْعِيدِ (سعيدا)
أَنْتَ قَدْ أَلْفَتْ فِي مَا بَيْنَهُمْ
تَتَرَقَّى رُتَبَ الْمَجْدِ الَّتِي

(*) في الطبعة (١): (بتشديد) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفوس.

(**) في الطبعة (١): (بيت) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفوس.

(***) البرم: اللثيم. انظر: لسان العرب. مادة (برم).

أَقْبَلَ الْخَيْرُ عَلَيْنَا كُلَّهُ
 يَا أَمِيرًا فِي كِرَامٍ نَجِبٍ
 كَانَ رَوْضُ الْأَنْسِ رَوْضًا ذَاوِيًا
 شَمَّاتُهُمْ رَأْفَةٌ مِنْكَ بِهِمْ
 تِلْكَ أَيَّامٌ نَحْوَسٍ قَدْ خَلَّتْ
 قَلْتُ يَا عُنُقَ الْمَعَالِي فَزَهَتْ

وَلَقَدْ أَوْسَعَنَا قَبْلُ صُدُودًا
 فَخَضَلُوا الْعَالَمَ إِحْسَانًا وَجُودًا
 فَعَدَا مِنْ فَضْلِكُمْ غَضًّا جَدِيدًا
 وَالْآنْتُهُمْ وَإِنْ كَانُوا حَدِيدًا
 وَاسْتَحَالَتْ فِي مَزَايَاكَ سَعُودًا
 عُنُقًا مِنْكَ إِلَى الْمَجْدِ وَجِيدًا

(٣٤٠)

وقال يمدح الشيخ محمود العبد الواحد البصري ويهنيه بزواج أخيه إبراهيم [وهي

زُرْتُمْ فَحَيَّيْتُمْ كَمَا يَنْبَغِي
 مَجْلِسُكُمْ هَذَا وَإِنَّا سُكُّكُمْ
 يَا حَبِذَا مَجْلِسُ أَنْسِ زَهَا
 بَطْلَعَةَ مَقْرُونَةٍ بِالْهَنَا
 قَرَّتْ عَيْونُ الْمَجْدِ فِي عَقْدِكُمْ
 جَاءَ بِكُمْ عُرْسُ فَتَى مَاجِدٍ
 فِي طَالِعِ السَّعْدِ وَإِقْبَالِهِ
 هَنَيْتُ (مَحْمُودًا) وَإِخْوَانَهُ
 لِفِعْلِهِ الْبِرِّ وَأَفْعَالِهِ
 قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ فَاِرْحُتَهُ

لصاحب زارٍ وِخْلٍ يَنْزُرُ
 مِنْكُمْ عَلَيْهِ فِي الْمَسْرَاتِ نُورُ
 وَالسَّادَةِ الْأَشْرَافِ فِيهِ حُضُورُ
 وَأَوْجُهُ تَطْلُعُ مِنْهَا الْبُودُورُ
 وَأَنْشَرَحَتْ مِنْهَا لِذَاكَ الصُّدُورُ
 لِبَاطِنِ الْأَفْرَاحِ فِيهِ ظُهُورُ
 فِيهِ الْبِشَارَاتُ وَفِيهِ الْحُبُورُ
 لَهُمَّةٌ لَا يَعْتَرِيهَا فُتُورُ
 لَيْسَ بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ قُصُورُ
 (بِعُرْسِ إِبْرَاهِيمِ أَقْصَى السُّرُورِ)^(١)

١٢٨٩هـ

(١) حسب الشاعر الألف المقصورة من (أقصى) ياءً.

(٣٤١)

لِيَهْنِكُمْ الْعَقْدُ الْمُبَارِكُ إِنَّهُ
وَمَجْتَمَعُ الْأَشْرَافِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو اللَّهَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ
وَمَا زِلْتُ أَدْعُو اللَّهَ مَا قَدْ يَسُرُّنِي
فَكَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَقْدًا مُبَارِكًا
سُرْرُنَا وَسُرَّ النَّاسِ فِي مَا أَتَوْا بِهِ
وَدَامَ بِخَيْرٍ لِلْمَسْرَاتِ وَالْهَنَا

عَلَى خَيْرِ كُفْوٍ لِلْكَرِيمِ وَأَقْرَانِ
أَكَابِرُ سَادَاتٍ وَأَشْرَافُ أَعْيَانِ
أُرَى فِيهِ مَا أَمَلْتُهُ مِنْذُ أَرْمَانَ
بِأَبْنَاءِ أَصْحَابِي الْكَرَامِ وَإِخْوَانِي^(٢)
جَلُوبًا لِأَنْفِرَاحِي سَلُوبًا لِأَحْزَانِي
بِیَوْمٍ لَهُ شَأْنٌ وَنَاهِيكَ مِنْ شَأْنِ
فَأَرْخْتُ (عَقْدُ الْخَيْرِ دَامَ بِنِعْمَانِ)^(٣)
١٢٧٣هـ

(٣٤٢)

يَا مَعْشَرَ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ^(*) لَا بَرِحْتُ
طَلَعْتُمْ أَنْجُمًا بِالْعَزْمِ مُشْرِقَةً
لِتَهْنِكُمْ بِمَسْرَاتٍ نَفُوزٌ بِهَا
بِشَارَةِ بِلْغَامٍ قَرَّ أَعْيُنَكُمْ
وَمُذْ بَدَتْ مِنْ (ضِيَاءِ الدِّينِ) غُرَّتَهُ

تَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ أَشْيَاخًا وَفِتْيَانًا
وَالْأَنْجُمُ الزَّهْرُ قَدْ يَطْلُعُ أحيانًا
بُشْرَى كَمَا تُنْعِشُ الْأَرْوَاحُ أَبْدَانًا
قَدْ أَعْلَنْتُ بِقُدُومِ الْخَيْرِ إِعْلَانًا
جَلَّتْ عَنِ الْقَلْبِ أَدْرَانًا وَأَحْزَانًا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٣).

(٢) في الأصول: (بأبناء أصحاب الكرام وأخوان) والتصويب من روضة الأزهار وجامعة كل ممتاز ومختار. مخطوط. لنعمان خير الدين الألوسي.

(٣) في الأصول: فأرخت (عقد الخير تم بنعمان) ولا يصح التاريخ. والتصويب من روضة الأزهار.

(٤) السيد ضياء الدين داود النقيب مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١١٠).

(*) في الطبعة (١): (الأسراف) وهو خطأ طباعي.

مِنْ دَوْحَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَنْبَتُهَا
طَالَتْ بِهِ وَاشْمَخَرَتْ فِي الْعُلَا وَسَمَتْ
إِذَا ادَّعَى الشَّرْفَ السَّامِي تَفَرَّدَكُمْ
يَا أَشْرَفَ النَّاسِ بَيْنَ الْمُنْجَبِينَ أَبَا
بُورِكَّتَ فِي وَلَدِ أَرْخٍ (بِمَوْلده

تَفَرَّعَتْ مِنْهُ أَغْصَاناً وَقَضْبَانَا
حَتَّى لَقَدْ طَاوَلَتْ بِالْمَجْدِ كِيَوَانَا
فِي الْمَجْدِ أَظْهَرَ فِي دَعْوَاهُ بُرْهَانَا
وَأَرْجَحَ النَّاسِ إِنْ رُوجِحَتْ مِيزَانَا
تَمَّ السُّرُورُ بَدَاوِدَ بْنِ سَلْمَانَ^(١)

(٣٤٣)

هَنَيْتُ مَوْلَانَا الْمُشِيرَ بَابِنِهِ
وَلَاخَ لِلْخَيْرِ بِهِ أَدْلَى
مِنْهَا وَرُودُ نِعْمَةٍ مِنْ مَلِكٍ
فَكَانَ فِي مِيلَادِهِ مَسْرَّةٌ
مُبَارِكِ الطَّلَعَةِ مَيْمُونٌ بِهَا
أَبْدَعَ فِي تَصْوِيرِهِ خَالِقُهُ
حَازَ مِنَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ طَلَعَةً
شِبْلٌ هَزْبَرٍ بِاسْلٍ غَضْنَفَرٍ
يَنْشَأُ فِي حِجْرِ الْمَعَالِي وَالْعُلَا
كَمْ قَائِلٍ مُؤَرِّخٍ (مَوْلده

لَمَّا تَبَدَّى بِالْجَمَالِ الْفَائِقِ
يَكْشِفُ بِأَيْدِيهَا عَنِ الْحَقَائِقِ
أَعَزَّهُ اللَّهُ لِعِزِّ الصَّادِقِ
لِسَابِقِ مِنَ الْهَنَا وَوَلَّاحِقِ
ذُو بَهْجَةٍ رَاقَتْ لِعَيْنِ الرَّامِقِ
سُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَهُ مِنْ خَالِقِ
وَمَنْ أَبْيَاهُ أَكْرَمَ الْخَلَائِقِ
أَعْيَدُهُ مِنْ سُوءِ كُلِّ طَارِقِ
عَلَى ظَهْرِ الضُّمْرِ السَّوَابِقِ
قَرَّتْ بَعْبِدَ اللَّهُ عَيْنُ النَّامِقِ
١٢٨٧هـ

(١) إن مولد السيد داود النقيب سنة ١٢٨٥هـ. وفي الأصول تحت عبارة التاريخ رقم ١٢٨٥هـ ولكن مجموع عبارة التاريخ يساوي ١٢٧٥هـ.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٣٤٤)

وقال [وهي من الطويل]:

بغِيْدَاءَ أَشْكُوها الْغَرَامَ فَتُنْصِفُ
لها من عُصونِ الْبَانِ قَدْ مُهْفَهَفُ
كما اسْتَلُّ ماضٍ يَفْلِقُ الْهَامَ مُرْهَفُ
وشَمَلُ الْهوى ما بَيْننا يَتَأَلَفُ
عرفتُ بها في الْحَبِّ ما ليس يُعْرَفُ
أبى اللهُ إِلَّا أَنها الْيَوْمَ تَذْرِفُ
وما الشَّمْسُ إِلَّا مِثْلُها حينَ توصَفُ
على مِثْلِها فَلْيَأْسَفِ الْمُتَأَسِّفُ
كَأَنَّ قَدْ أَمالْتَنِي مِنَ الرَّاحِ قَرْقَفُ
فقلتُ لها إِنَّ الصَّبَّابَةَ تُتَلَفُ
وما أنا لولا أَنْتِ مِمَّنْ يُعَنْفُ
منَ الرَّاحِ أَمْ من ريقِها أَتَرْشَفُ
وباتتُ أباريقُ المَدَامَةِ تَرَعُفُ

رعى الله عَيْشاً رُحْتُ أَشْكُرُ فَضْلَهُ
إِذا خَطَرْتُ خافَ الْقَنَا خَطَرَاتِها
وما نَظَرْتُ إِلَّا بِأَدْعَجِ فَاتِرِ
نَظَرْتُ إِلَيْها وَالوِشاةُ بَغْفَلَةٌ
فلا تُنْكَرا مَنِّي هِواها فَإِنِّني
وقد كِدْتُ أَدْمِي خَدَّها بِنِواظِرِ
وقد مَلَأْتُ عَيْنِي بِالْحُسْنِ كُلِّهِ (١)
ليالي لم نَحْذَرُ بها ما يَرِيبُنا
تُطارِحُني فيها الْحَدِيثُ فَإِنِّني
تَقولُ تَلَفُ الصَّبِّ في من يُحِبُّهُ
تُعَنْفُني فيكَ الْأُحاةُ جِهالَةٌ
وَرُحْتُ ولا واللهُ أَدْرِي بِأَنِّني
وبِتْنا كما شِئنا وِشاءَ لَنا الْهوى

(٣٤٥)

وقال [وهي من المتقارب]:

وأجْرَيْتِ مِمَّا وَجَدْتَ الدُّمُوعا
فؤاداً مَرُوعاً وشَوْقاً مُرِيعا
وقد زانَتِ الْغَيْدُ تلكَ الرِّبوعا
دُمُوعاً أَرَقَّتْ لها أَمْ نَجِيعا؟

على أَيِّ وَجْدٍ طَوَيْتِ الضُّلُوعا
ومن أَيِّ حالِ الْهوى تَشْتَتِكي
تَذَكَّرْتُ أَيامَنا بِالْحِمَى
ولم أَدْرِ حينَ ذَكَرْتُ الْألى

(١) في الأصول: (وقد ملئت عيناى بالحسن كله) والصواب ما أثبتناه.

وقال عذولك لما رآك
 لأمر تصبب هذي الدموع
 ولما فقدت حبيب الفؤاد
 وكنت غداة دعاك الهوى
 وإني نصحتك من قبلها
 ولما رغبت بحمل الغرام
 وأصبحت تبكي بدوراً غرين
 وأيامنا في زمان الصبا
 فإن تبكهم أسفاً يا (هديم)

وما كنت للوجد يوماً مُذيعا
 إذا شمت في (الجرع) برقاً لموعا
 غداة (الغميم) فقدت الهجوعا
 لحمل الغرام سميعاً مطيعا
 وزدتك يوماً فزدت وأوعا
 حملت الغرام فلن تستطيعا
 زماناً على الحي كانت طلوعا
 وإن لم تكن قافلات رجوعا
 فخذني إليك لنبكي جميعا

(٣٤٦)

وقال مهنئاً السيد سلمان النقيب القادري ومؤرخاً ورود الفرمان العالي بإسناد

يا سيِّداً ساداً في الأشراف أجمعها
 إن النقابة قرَّتْ فيك أعينها
 والحمد لله إذ وإفتك يومئذ
 من جانب الملك العالي بعزته
 (عبد العزيز) أدام الله دولته
 أعلى ملوك بني الدنيا وأرفعها
 لو وازنته ملوك الأرض قاطبة
 أو حارب الكفر أضحى وهو متخذ
 حامي حمة ملة الإسلام حارسها
 لولاه ما نشرت للعدل ألوية
 ولأك ما كنت أهلاً أن تكون له
 وبالنقابة في عام نورخه

ولم يزل سيِّد السادات مُذْ كانا
 وفاخرت بك كُباراً وأعيانا
 بشارة تُعلن الأفراح إعلانا
 على جميع ملوك الأرض سلطانا
 وزاد في ملكه أمناً وإيماناً
 قدراً وأعظمها في عصره شاناً
 لكان أرجحها في العز ميزاناً
 حزب الملائك أنصاراً وأعواناً
 لأمره أذعننت لله إذعاناً
 وربما امتلأت ظلماً وعدواناً
 مُشيئداً من مباني الجِد أركاناً
 (إليك قد بعث السلطان فرماناً)

١٢٩٠هـ

(٣٤٧)

وقال مؤرخاً ورود رتبة التدريس إلى السيد عبدالرحمن النقيب القادري [وهي من الخفيف]:

يا بني الشيخ والغياث المُرَجَّى
يا غُيُوثَ النُّدى بيومِ العَطَايا
رَفَعَ اللهُ شأنَكُمْ في المعالي
لا تَزالونَ في الرِّجالِ رؤوساً
قَدَّسَ اللهُ سِرِّكُمْ من أناسٍ
لبسوا بالتَّقوى أَجَلَ لبوسٍ
قد عَرَفْنَا ما تَنْطَوونَ عليه
أَنْتَ (عبدَ الرحمن) في كُلِّ حالٍ
نَهَبَ خِالصٌ وُدُّ نَقِيٍّ
كُلُّ يَوْمٍ تُزَفُّ مِنِّي قَصِيدٌ
خَلَدَتْ بِالتَّنَاءِ عَصراً فَعَصراً
فَاهُنْ في رتبةٍ وَأَرخْتُ (قد يَهْ)
عندَ ضيقِ الخِناقِ لِلتَّنْفيسِ
ولُيُوثِ الوَعَى بِحَرِّ الوَطِيسِ
رَفَعَةً لا تَزالُ فُوقَ الرُّؤوسِ
من رُئِيسٍ مِنكُمْ ومن مَرؤوسِ
شَغِلُوا بِالتَّسْبِيحِ والتَّقَدِيسِ
ولِباسِ التَّقْوَى أَجَلَ لبوسِ
مُدُّ عَرَفْنَا المَوْهُومَ بِالمَحْسوسِ
من سَعُودِ بَرِيئَةٍ من نُحوسِ
لم تَشْبُهْ الأَدْرانُ بِالتَّلْبِيسِ
في ثَنائِي فيكُمْ زَفافَ العُروسِ
سُؤودَ المَجْدِ في بَياضِ الطُّروسِ
نأُ عبدُ الرَحْمَنِ بِالتَّدْرِيسِ^(١)
١٢٨٢هـ

(٣٤٨)

وقال يستأذن صديقه السيد يوسف البدر^(٢) بالعودة من الكويت [وهي من

مَولايَ قَد حانِ الوِدا
كم زُرْتُ حَاضِرَتَكَ الِتي
عُ وقد عَزَمْتُ على المَسِيرِ
ما زَلْتُ مِنها في حُبُورِ

(١) في الأصول: فاهنا في رتبة وقد أرخوها (قد يهنا عبدالرحمن بالتدريس) قد اختل وزن عجز البيت. وما أثبتناه أولى بالصواب.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).

وَرَجَعْتُ عَنْكَ بِنَائِلٍ
وَاللَّهُ يَعْزَمُ أَنَّ نِي
يَا مُفْرَدًا فِي عَصْرِهِ
يَا (يُوسُفَ الْبَدْرِ) الَّذِي
مَالِي بِغَيْرِكَ حَاجَةٌ
وَسِوَاكَ يَا مَوْلَايَ لَا
مَا كُلُّ وَرَادٍ يَفْضُو
لَا زَلَّتْ أَهْلًا لِالْجَمِيدِ

غَمْرٍ وَبِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ
عَنْ شُكْرِ فَخْرِكَ فِي قُصُورِ
بِالْفَضْلِ مَعْدُومِ النَّظِيرِ
يَسْمُو عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
كَغِنَى الْخَطِيرِ عَنِ الْحَقِيرِ
وَاللَّهُ يَخْطُرُ فِي ضَمِيرِي
زُبُورِ الْعَذْبِ النَّمِيرِ
لِ مَدَى اللَّيَالِي وَالشُّهُورِ

(٣٤٩)

وقال [وهي من الوافر]:

بِرُوحِكَ يَا سُلَيْمَى مَا لِقَلْبِي
وَلَا سَيْمًا إِذَا هَبَّتْ شَمَالُ
أَمْنِكَ الْوَجْدُ قَيْدِي بِقَيْدِ
نَهَضْتُ بَعْبٍ حُبِّكَ يَا سُلَيْمَى
وَيَمْلِكُنِي هَوَاكَ وَكُلُّ حُرٍّ
وَأَعْجَبُ مَا أَرَى أَنِّي غَرِيقُ
وَمَا فَرَّقْتُ شَمْلَ السِّدْمِ إِلَّا
أُرِيقُ دَمَ الْعُيُونِ غَدَاةَ سَارَتِ
فَهَلْ طَيْفٌ يُلِمُّ بِنَا طَرُوقًا
وَهَلْ نَزَلَ الْحَيَا بِالْوَبْلِ لَيْلًا
وَهَلْ ضَحِكَ الْأَقَاحُ عَلَى رَبَاهَا
فَقَدْ مَرَّتْ لَنَا فِيهَا لَيْالٍ

لَهُ فِي كُلِّ أَوْنَةٍ خُفُوقُ
بِهِ أَوْ أَوْمَضَتْ مِنْهُ السُّبُوقُ
فَرَحْتُ وَدَمَعُ أَجْفَانِي طَلِيقُ
وَإِنْ حَمَّ أَلْتِنِي مَا لَا أَطِيقُ
لِمَنْ يَهْوَاهُ يَا سَلْمَى رَقِيقُ
بِدَمْعٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي حَرِيقُ
غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ ظَعَنَ الْفَرِيقُ
رَكَائِبُ بَهُمْ وَأَيُّ دَمٍ أُرِيقُ
فَيَمْرَحُ عِنْدَنَا الطَّيْفُ الطَّرِيقُ
بِهَا وَعَشْوَشَبَ الرُّوضُ الْأَنْبِيقُ
وَخَضَبَ خَدَّهُ فِيهَا الشَّقِيقُ
نَشَاوَى بِالْمُدَامِ فَلَا نُفِيقُ

(٣٥٠)

وقال [وهي من الرمل]:

قد ذكرناكم على بُعد المزار
وتعاطينا حمياً ذكركم
وتجاذبنا أحاديث النوى
فكثيراً ما تمنى قُربكم
فكأن الوجد في أحشائه
رباً صحبٍ نظمت شملهم
فكأنني بينهم في روضةٍ
يُنثر اللؤلؤ من ألفاظهم
أنا ما زلت أداري بينهم
فاذكرونا بكتاب منكم

فأنت تشيننا بمدام الإدكار
فغنيننا عن معاطاة العقار
وزمان الوصل في قُرب الديار
ذائبُ الدمع قليلُ الإصطبار
لسنا أوجهكم جذوة نار
ليلة أحسن من نظم الدراري
من شقيقٍ وأقحاحٍ وبهار
فتراني في نظامٍ ونثار
غير أني في الهوى ممن يُداري
أنا ما زلت له بالانتظار

(٣٥١)

وقال يمدح العلامة أبا التناء الألوسي [وهي من الطويل]:

سيحظى (شهاب الدين) في ما يرومه
وينصف هذا الدهر يوماً بحكمه
ويرفع هذا العالم البحر علمه^(١)
وكل يرى إذ ذاك ما يستحقه

ويبلغ في الأيام ما هو أهله
فينحط شأنه ويعلو محله
ويخفض ذاك الجاهل الغمر جهله
ويشغل كلاً في الحقيقة شغله

(١) في حديقة الورد: (... العالم البحر...).

(٣٥٢)

وقال مؤرخاً ولادة السيد آصف أفندي بن سليمان فهيم العمري^(١) [وهي من الطويل]:

بدا مُسْتَهْلًا بِالْبِشَارَةِ يَهْتَفُ
وَلَا حَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ نَبِيرُ
غَلَامٌ فَأَمَّا حُسْنُهُ فَمُفَرَّقٌ
يَرُوقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِينَ بِبَهْجَةٍ
تَبَسَّمَ تَغَرُّ الْأَنْسِ حِينَ وُجُودِهِ
قَرَأْنَا عَلَيْهِ لِلْسَّعَادَةِ أُسْطُرًا
يُحَاكِي أَبَاهُ بِالْمَحَاسِنِ كَأَنَّهَا
فَبُورِكِ مَوْلُودٌ وَبُورِكِ وَالِدُ
وَفِي رَجَبٍ بِالْخَيْرِ وَافَى فَبَشَّرُوا
وَأَسْمَعَ بِاسْتِهْلَالِهِ كُلَّ مَسْمَعٍ
وَفِي ذَلِكَ الْمِيلَادِ أَرْخَ (بِقَوْلِنَا
يُقَدِّمُ إِنْجَانَ الْهَنَا وَيُسَوِّفُ
هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يُخَسِّفُ
عَلَيْهِ وَأَمَّا كَوْنُهُ فَمُؤَلَّفُ
تُعَرِّفُ مِنْ مَعْنَاهُ مَا لَيْسَ يُعَرِّفُ
كَمَا ابْتَسَمَتْ صَهْبَاءُ فِي الْكَاسِ قَرَقَفُ
لَهَا مِنْ مَعَانِي ذَلِكَ الْحُسْنِ أَحْرَفُ
وَيُوصَفُ بِالنُّعْتِ الَّذِي فِيهِ يُوصَفُ
بِهِ الذُّكْرُ يَبْقَى وَالْمَحَامِدُ تُخْلَفُ
بِمِيلَادِهِ وَالْبِشْرُ إِذْ ذَاكَ مُسْعَفُ
يُقَرِّطُ آذَانَ الْمُنَى وَيُشَنِّفُ
وُلِدَتْ بِأَفْرَاحِ سَلِيمَانَ أَصْفُ
١٢٨٣هـ

(٣٥٣)

قُطِبَ تَدَوَّرَ عَلَيْهِ أَفْلَاكُ الْهَدَى
عَرْشُ بِهِ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ ثَابِتُ
وَسَمَاءُ عِرْفَانٍ كَأَنَّ نَجُومَهَا
ظَفِرَتْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْهُ بِجَوْهَرٍ
نَادَتْهُ أَعْلَامُ الْأَنْمَامِ وَصِدْقُهُمْ
مَنْ كَانَ يَرْتَضِعُ الْهَدَى فِي مَهْدِهِ
إِذْ قَامَ كُرْسِيُّ الْعُلُومِ بِحَدِّهِ
طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ مَطَالِعِ بُرْدِهِ
قَدْ حَيَّرَ الْأَلْبَابَ جَوْهَرَ فُرْدِهِ
يَبْدُو كَمَا تَبْدُو طَوَالِعُ سَعْدِهِ

(١) لم نعثر على ترجمة له.

يا سيِّداً من (حَيْدِرٍ) و(محمَّدٍ)
جَدَّدَتْ فِينَا دِينَ جَدِّكَ فَارْتَقَتْ
فَرَوَيْتَ مِنْ أَحْبَابِهِ وَرَوَيْتَ مِنْ
قَد كُنْتَ فِي (يَوْمِ الْكِسَاءِ) ضَمِيمَةً
مَا زَالَ يَعْْبِقُ مِنْكَ نَشْرُ عَبِيرِهِ

مَنْ مِثْلُ وَالِدِهِ الْإِمَامِ وَجَدَّهُ؟
أَضْوَاؤُهُ لَمَّا قَدَحَتْ بَرْنَدُهُ
أَثَارِهِ وَخَلَفْتَنَا مِنْ بَعْدِهِ
مَخْبُوءَةً فِي ظَهْرِ أَكْرَمِ وُلْدِهِ
حَتَّى شَمَمْنَا مِنْكَ رِيحَةَ نَدِّهِ

(٣٥٤)

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْأَنْبَاءُ شُهُودٌ
كَانَ الْإِمَامُ بِهِ الْأُتَمَّةُ تَقْتَدِي
ظِلًّا عَلَى الْإِسْلَامِ كَانَ وُجُودُهُ
فَلَفَقْدُهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ لَوْعَةٌ
فَرَوَّالُ ذَاكَ الطُّوْدُ بَعْدَ ثَبَاتِهِ
هَيْهَاتَ يَرْفَعُ لِلْمَدَارِسِ بَعْدَهُ
سَمَطُ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَاضِلِ كَأَنَّهَا
أَسَدٌ مِنَ الْأَسَادِ يَصْرَعُهُ الرَّدَى
عَجَبًا لِمَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِعِلْمِهِ
وَإِذَا السَّمَلَانُكُ بُشِّرَتْ بِقُدُومِهِ
لَا جَانَ قَبْرُكَ صَوْبُ غَادِيَةٍ (*) الْحَيَا
وَجَزِيَتْ خَيْرًا بَعْدَهَا عَنْ أُمَّةٍ
فَمَقَامُكَ الْمَحْمُودُ فَوْقَ مَقَامِهِمْ
أَظْهَرْتَ بِالْآيَاتِ مَا بِظُهُورِهَا
وَكَشَفْتَ غَامِضَ مَا تَشَابَهَ فَاَنْجَلَتْ
يَا أَيُّهَا النَّاَوِي بِأَكْرَمِ تَرْبَةٍ
يَا شَدَّ مَا دُهُمَ (العراق) بِسَاعَةٍ (١)

أَنَّ الَّذِي فَقَدَ الْوَرَى لَفَرِيدٌ
فَلَهُ الْهُدَى وَلِغَيْرِهِ التَّقْلِيدُ
حَتَّى تَقْلُصَ ظِلُّهُ الْمَمْدُودُ
وَلِذِكْرِهِ فِي حَمْدِهِ تَرِيدُ
يُنْبِيكَ أَنَّ الرَّاسِيَاتِ تَبِيدُ
عَلَّمَ وَيُورِقُ بِالْمَكَارِمِ عَوْدُ
نُثِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ عُقُودُ
وَمِنَ الرَّجَالِ بِهَائِمٌ وَأَسْوَدُ
أَتَى حَوْتَهُ مِنَ الْقُبُورِ لُحُودُ
فَعَلَامٌ تَنْتَحِبُ الرَّجَالُ الصَّيْدُ
تَسْقِي تَرَكَ بِصَوْبِهَا وَتَزِيدُ
عُلَمَاؤُهَا مِمَّا أَفَدَتْ تُفِيدُ
وَعَلَى الْجَمِيعِ لَوَاؤُكَ الْمَعْقُودُ
يُخْفَى النِّفَاقُ وَيُعْلَنُ التَّوْحِيدُ
شُبَّهِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ سَوْدُ
تَالَهُ أَنْتَ الصَّارِمُ الْمَعْمُودُ
خَشْنَاءَ يُصَدِّعُ عِنْدَهَا الْجُمُودُ

(١) في الأصول: (يا شد ما عم العراق بساعة) والتصويب من حديقة الورد.

(*) في الطبعة (١): (غادته) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

إِذْ حَانَ حَيْنٌ (أبي الثناء) وجاءه
ونعاه ناعيه وقال مؤرخاً

بين الأكارم يومه الموعود
(قد مات ويك أبو الثنا محمود)

١٢٨٣هـ

(٣٥٥)

أَتَنَّا مِنَ (الزوراء) منكم قصيدة
فَسَرَّتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ وَشَنَّفَتْ
وَأَصْبَحَتْ (الفيحاء) مُفْتَخِرًا بِهَا
فَمَا بَرِحَتْ تُتْلَى عَلَيَّ كُلِّ فَاضِلٍ
فَجُوزِيَتْ يَا مَوْلَايَ خَيْرًا فَقَدْ غَدَتْ
تُدِيرُ عَلَيَّ الْأَرْوَاحَ كَأَسَاءُ رَوِيَّةً
وَهَيَّجَتْ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَلَوْعَتِي
سَأَرْسِلُ بَعْدَ الْيَوْمِ فِي كُلِّ مَرْكَبٍ
وَيَشْفُلُنِي فِيكَ الثَّنَاءُ وَلَمْ يَكُنْ
وَلَوْ كُنْتُ تَدْرِي مَا الَّذِي عَنْكَ عَاقَنِي (*)

فجاءت بأبيات يرفن عذابا
مسمع أرياب الكمال خطابا
وقد أظهرت للعارفين عجابا
وتكشف عن وجه الجمال نقابا
أياديك عندي في الجميل رغابا
فنشرب منها ما يسوغ شرابا
وها أنا فيها قد عرمت إيابا
إليك سلامي جيئةً وذهابا
سكوتي عن ذلك الجواب جوابا
عذرت وما أوردت منك عتابا

(٣٥٦)

عَلِّمُوا يَا (سعد) جيران (الغضا)
يَوْمَ رَاحُوا يَشْتَكِيهِمْ حُرْقًا
دَنَفٌ إِنْ أَهْرَقَ الدَّمْعَ فَمَنْ
شَرِبَ الْحَبَّ بِكُمْ صِرْفًا فَمَا
لَا رَعَاكَ اللَّهُ نُوقًا أَرْقَلَتْ
تَرَكَتْنِي فِي نِزَاعٍ بَعْدَمَا

أن نيران الغضا تحت ضلوعي
خضيل الأجفان في ماء الدموع
كبيد حرى ومن قلب مروع
يمزج الأدمع إلا بنجيع
بشموس غربت بعد طلوع
أرمت يوم التنائى لنزوع

(*) في الطبعة (١): (عافني) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

وَقَعَ الْهَجْرُ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَوْ مَا يَكْفِيكُمْ مِنْ دَنْفٍ
يَشْتَكِيكُمْ فِي الْهَوَى مُسْتَعْرِمٌ
يَتَشَافَى بِعَدِّكُمْ فِي زَعْمِهِ

ذَلِكَ الْهَجْرَانُ مَأْمُونُ الْوُقُوعِ
مَا رَأَيْتُمْ مِنْ غَرَامِي وَوُلُوعِي
مَا شَكَا إِلَّا إِلَى غَيْرِ سَمِيعٍ
بِالْصَّبَا النَّجْدِيِّ وَالْبَرْقِ اللَّمُوعِ

(٣٥٧)

وقال [وهي من الطويل]:

إِذَا اضْطَرَمَّ الْبَرْقُ الْيَمَانِيُّ فِي الدُّجَى
وَجَرَدٌ مِنْ غَمْدِ الدُّجْنَةِ وَمُضُهُ
أَضْمَرَ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ لَوْعَةً
يُعَذِّبُ هَذَا الْوَجْدُ مِنْهُ فَوَادَهُ
تَذَكَّرَهَا يَوْمَ (الْغَمِيمِ) مَنَازِلًا
وَهَلْ تُنْكَرُ الْأَطْلَالَ وَقِفَةَ عَارِفٍ
وَهَلْ ظَنَّ أَنَّ الدَّمْعَ يُعْقَبُ رَاحَةً
وَفِي الْحَيِّ فِي (الْجِرْعَاءِ جِرْعَاءِ مَالِكٍ)
أَعَيْنَا عَلِيًّا صَاحِبِي مِنَ الْهَوَى
إِذَا أَنْتَمَا لَمْ تُسْعِدَانِي عَلَى الْجَفَا
أَعْلَلُ فِي مَا لَا يَزَالُ عَلَّةً

تَضَرَّمَ مُرْتَاعُ الْفَوَادِ حَزِينُهُ
شَبَابًا مِنْ حُسَامٍ أَرْهَفْتَهُ قُيُونُهُ
وَسِرُّ هَوَى لَكِنَّهُ لَا يَصُونُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مَا جَنَّتَهُ عُيُونُهُ
فَزَادَ عَلَى ذِكْرِ (الْغَوِيرِ) جُنُونُهُ
تَوَقَّفَ فِيهَا شَكُّهُ وَيَقِينُهُ
مَنْ الْوَجْدُ حَتَّى خَيَّبَتْهُ ظُنُونُهُ
لَوَانِي غَرِيمٌ لَيْسَ تُقْضَى دِيُونُهُ
إِذَا لَمْ يَجِدْ فِي صَحْبِهِ مَنْ يُعِينُهُ
فَمَا يُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ إِلَّا أَنْيُنُهُ
وَفِي الْقَلْبِ دَاءٌ لَا يُدَاوَى كَمِينُهُ

(٣٥٨)

وقال [وهي من الوافر]:

تَلَقَّتْ فِي مَنَازِلِ آلِ مِيٍّ
فَلَمْ يَرْقَأْ لَهُ إِذْ ذَاكَ طَرْفٌ
وَتَحْتَ ضُلُوعِهِ لِلْوَجْدِ نَارٌ
يُلَامُ عَلَى الْهَوَى مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ
وَأَطْلَالَ بـ(مَيْثَاءِ) دُرُوسًا

فَلَمْ يَرِ يَا سَائِمِي مِنْ يُحِبُّ
وَلَمْ يَصْنِبْ لَهُ إِذْ ذَاكَ قَلْبٌ
تَشَبَّ مِنْ الشُّجُونِ وَلَيْسَ تَخْبُو
وَهَلْ يُصْغِي إِلَى اللُّوَامِ صَبٌّ؟
سَقَّتْ أَطْلَالَهَا سُحْبٌ وَسُحْبٌ

وَعَيْشاً كُلَّهُ لَهْوٌ وَلَعْبٌ
وَمِنْ عِبْرَاتِ هَذَا الطَّرْفِ شُرْبٌ
بِحَيْثُ يَخْضُمُنَا وَالْحَيَّ شَعْبٌ
وَحَيْثُ الْبَانُ لَدُنْ الْقَدِّ رَطْبٌ
وَأَلْقَى بِالْأَحْبَبَةِ مَا أَحْبُّ
عَلَى الْأَيَّامِ طَوْلَ الدَّهْرِ عَتَبٌ

تُذَكِّرُنِي بِمَا فِيهَا التَّصَابِي
وَعِزْلَاناً لَهَا فِي الْقَلْبِ مَرَعِي
وَيَجْمَعُنَا وَمَنْ نَهَوَاهُ شَمْلٌ
وَحَيْثُ الشَّيْخُ يَنْفَعُ وَالْخُزَامِي
إِلَى أُرْوَاحِهَا تَرْتَاخُ رُوحِي
وَلِي حَتَّى أَرَى الْأَحْبَابَ فِيهَا

(٣٥٩)

وَجَنَّةٌ دَارُهَا الْخُلُودُ^(٢)
وَقَدْ طَمَى بِحَرْهَا الْمَدِيدُ
مَنْ عِلْمُهُ^(*) النَّاسُ تَسْتَفِيدُ
بِالْعِزِّ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ^(٣)
(مَضَى إِلَى رَبِّهِ السَّعِيدِ)
١٢٧٣هـ

فِي رَحْمَةِ اللَّهِ حَلَّ شَيْخٌ
تَفِيضٌ مِنْ صَدْرِهِ عَلُومٌ
وَلَمْ يَنْزِلْ مِيَّتاً وَحَيّاً
سَارَ إِلَى رَبِّهِ غَيْرَ فَانَ
وَمُذْتُ تَوْفَّاهُ قَلْتُ أَرْخُ

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٠).

(٢) لم ترد في النسخ كافة ووجدتها في كتاب (الآداب العربية في القرن التاسع عشر) ص ٩٩ لشيخو اليسوعي وهي مثبتة في رقيم قبره عند قاعدة مئذنة جامع الإمام الأعظم.

(٣) كذا في الأصل وهو معلول الوزن.

(*) في الطبعة (١): (هلمه) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(٣٦٠)

وقال [وهي من الرمل]:

إِنَّمَا هَذَا لَعَمْرِي مَرْكَبٌ
فَارَكَبُوا فِيهِ عَلَى أَمْنٍ بِهِ
يَمْلَأُ الْقَلْبَ سُرُوراً وَيُرى
وَإِذَا سُوِّخَّتِ السَّرِيحُ لَهُ
وَسَمُوا (نَصْرَةَ شَاهٍ) بِاسْمِهِ
(شَاهٍ إِيرَانَ) وَفِي أَيَّامِهِ
خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكَهُ
إِنْ يَكُنْ (جَابِرٌ) مِنْ أَنْصَارِهِ
فِي أَمَانِ اللَّهِ فِيهِ مِنْ يُسَافِرُ^(١)
فَهُوَ مِمَّا فِيهِ تَرْتَاحُ الْخَوَاطِرُ
مِنْهُ فِي الْبَحْرِ إِذَا مَا سَارَ طَائِرُ
كَانَ مِنْ أَمْثَالِهِ فِي السَّيْرِ سَاخِرُ
نَاصِرَ الدِّينِ لِدِينِ اللَّهِ نَاصِرُ^(٢)
(جَابِرٌ) أَضْحَى لِهَذَا الْفُلْكِ وَآثِرُ^(٣)
وَوَقَّاهُ رَبُّهُ مِمَّا يُحَاذِرُ
فَهُوَ مِنْصُورٌ وَلِلْأَعْدَاءِ كَاسِرُ
أَرْخُوهُ (نَصْرَةَ الشَّاهِ بِجَابِرٍ)^(٤)
١٢٨٥هـ

(٣٦١)

قَالَ لِي صَاحِبِي وَنَحْنُ ب(سَلْعٍ)
خَلُّ عَنكَ الْبِكَاءِ فَالدمعُ قَدِ قَرَّ
وَالهَوَى قَائِدُ الهَوَانِ فَقُلْ لِي
إِنَّ مِنْ كُنْتِ تَصْطَفِيهِ خَلِيلًا
قَلْتُ قَدِ كَانَ ضَامِنًا أَنْ يَفِي لِي
هَل رَعَتْ قَبْلَهُ الْحَسَانَ عُهُودًا
وَنُفُورُ الْغِزْلَانِ أَقْرَبُ لِلْقَطْ
نَتَشَاكِي مِنَ الهَوَى مَا عَنَانَا
حَ مِنْكَ الْعُيُونَ وَالْأَجْفَانَا
كَمْ نُعَانِي الهَوَى فَتَلْقَى الهَوَانَا^(*)
قَبِيلَ هَذَا فَإِنَّهُ قَدِ بَانَ
بِعُهُودِي فَقَالَ لِي قَدِ كَانَا
أَمْ وَفَتْ قَبْلَهُ الْمَلِاحُ ضَمَانَا
عَ فَيَاكَ بَعْدَهَا الْغِزْلَانَا

(١) يبدو أن الأخرس نظم هذه القصيدة عنده سفره إلى عربستان في الباخرة المسماة (نصرة شاه).

(٢) شاه إيران الأسبق (ناصرالدين القاجاري). زار بغداد أيام مدحت باشا.

(٣) الشيخ جابر مرداو أمير عربستان مرت ترجمته في تعليقتنا على القصيدة رقم (١١٦).

(٤) هذه القصيدة انفردت بها نسخة الأتكرلي.

(*) في الطبعة (١): في هذا الشطر (نعاني)، و(فتلقى) والأفضل توحيد الخطاب في هاتين الكلمتين فيما أن نقول (نعاني... فتلقى) أو نقول (تعاني... فتلقى)، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

حُبُّ وُلُوعاً وَيَضْرِبُ النَّيْرَانَا
وَجَفُونِي تَذِيلُ دَمْعاً مُذَالَا
وَنَزَلْنَا بِالسَّفْحِ مِنْ (نَعْمَانَا) (*)

قَالَهَا وَالْغَرَامُ يُوقِدُ فِي الْقَلْدِ
وَفُؤَادِي يَجُنُّ وَجَدًّا مَصُونًا
وَأَعَادَ الْحَدِيثَ حَتَّى رَحَلْنَا

(٣٦٢)

وقال [وهي من الرمل]:

قَدْ خَلَا يَا (سَعْدُ) مِنْ آلِ سَعَادِ
مِنْ عَيُونِ الرِّكْبِ مُنْهَلِّ الْغَوَادِي
نَائِباً عَنِّي وَمَا ذَاكَ مِرَادِي
جَآدًا وَهُوَ قَوِيٌّ فِي الْجِلَادِ
أَنَّهُ صَآدُ الصَّفَا وَارِي الزِّنَادِ
وَدُمُوعِ فَوْقَ خَدَيْهِ بَوَادِي
وَهُوَى لَمْ يَكُ مِنْهَا بِالْمُعَادِ
رَفَرَاتُ السُّجْدِ مِنْ هَذَا الْفُؤَادِ

وَقَفَ الرَّبِّعُ عَلَى مُرْتَبِعِ
وَرُسُومِ رُحْتِ أَسْتَسْقِي لَهَا
فَبَكَاهَا كُلُّ صَبِّ بِدَمِ
(هُذَيْمٌ) لَمْ يَجِدْ مِمَّا بِهِ
فَتَعَجَّبَتْ عَلَى عُلْمِي بِهِ
مِنْ صَبَابَاتِ جَوِيٍّ أَضْمَرَهَا
قَائِلًا كَيْفَ مَضَتْ أَيَّامُنَا
وَأَنْقَضَى الْعَهْدُ (***) فَلَمْ لَا تَنْقُضِي

(٣٦٣)

وقال مهنتاً السيد سلمان القادري النقيب بالعيد [وهي من البسيط]:

وَأَفَاكَ بِالْخَيْرِ مَوْفُورًا وَمَوْفُورَا
كَمَا مَلَأَتْ بِهِ أَبْصَارُنَا نُورَا
وَمَا أَجَلُكَ تَقْدِيرًا وَتَصْوِيرَا
كَالرُّوضِ أَصْبَحَ بِالْأَنْوَارِ مَمْطُورَا
إِخَالَهُ لِلْغِنَى وَالْمَالِ إِكْسِيرَا
إِلَّا وَأَصْبَحَ فِي نَعْمَاكَ مَغْمُورَا

هُنَيْتَ هُنَيْتَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ فَقَدْ
مَلَأَتْ أَفْئِدَةً مَنَّا بِهِ فَرْحًا
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَبْهَكَ مِنْ رَجُلٍ
تَزْهَوُ بِطُلْعَتِكَ الدُّنْيَا فَأَحْسَبُهَا
تُغْنِي الْفَقِيرَ إِذَا مَا شِئْتَ فِي نَظَرٍ
فَمَا أَتَاكَ أَمْرٌ يُرْجُوكَ فِي أَرْبٍ

(*) هما نَعْمَانَانِ: نَعْمَانُ الْأَرَاكُ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ وَهُوَ نَعْمَانُ الْكَبِيرُ وَهُوَ وَادِي عَرْفَةَ، وَنَعْمَانُ الْفَرَقْدُ بِالْمَدِينَةِ
الْمَنُورَةِ وَهُوَ نَعْمَانُ الْأَصْغَرُ. وَنَعْمَانُ اسْمُ جَبَلٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ. انظر: لسان العرب. مادة (نعم).

(**) في الطبعة (١): (المعهد) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفوس.

كَمْ طَاوَلْتَكِ إِلَى نَيْلِ الْعَلَاءِ يَدٌ
وَحَيْثُ يَمُمْتُ فِي الدُّنْيَا إِلَى جِهَةٍ
يَا طَيِّبَ الذَّاتِ يَا مَنْ كَانَ عُنُصْرُهُ
مَا زِلْتُ بِالشُّكْرِ حَتَّى يَنْقُضِي عُمْرِي
وَمَا بَرِحْتُ لِأَعْيَادٍ مُؤَرَّخَةٍ

فَقَصَّرْتُ عَنْ مَدَى عَلَيْكَ تَقْصِيرًا
أَبْصَرْتُ سَعْدًا وَإِقْبَالًَ وَتَيْسِيرًا
مَسْكَاً يَفُوحُ الشَّدَا مِنْهُ وَكَافُورًا
أُمْلِي ثَنَاءَكَ تَقْرِيرًا وَتَحْرِيرًا
(تَعُودُ سُلْمَانُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا)

(٣٦٤)

وقال [وهي من مجزوء الكامل]:

أَسْفَاءُ عَلَى تِلْكَ الْمَحَا
وَبَيَاضِ هَاتِيكَ الْخُدُ
كَانَ الْعَزِيزُ وَقَدْ بَدَا
كَانَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ
وَيَزِينُ نَيْكَ الْبَبِيَا
يَهْوَى زِيَارَتَهُ الْمَشْوِ
فَغَشَّاهُ لَيْلٌ مَالَهُ
وَجَفَّاهُ مِنْ يَهْوَاهُ حَتَّى
إِنْ كَانَ فِيهِ بَقِيَّةٌ

سِنٍ كَيْفَ بَدَّلَهَا الْعُجْبَارُ
دِ كَيْفَ سَوَّرَهَا الْعِذَارُ
وَعَلَيْهِ لَلنِّدْلُ انْكَسَارُ
تَزْهَوُ كَمَا يَزْهَوُ النُّضَارُ
ضَ مِنْ الْحَايَاءِ الْإِحْمِرَارُ
قُ وَإِنْ يَكُنْ شَطُّ الْمَزَارُ
مِنْ بَعْدِ غَشَّيْتِهِ نَهَارُ
لَا يَزُورُ وَلَا يُزَارُ
فَلَسَوْفَ يُدْرِكُهَا الْبَوَارُ

(٣٦٥)

وقال يهجو أحد البخلاء [وهي من البسيط]:

هَلْ تَعْلَمُونَ - بَنِي الْأَدَابِ - لَا كَتَبْتُ
أَنِّي مَدَحْتُ بِخَيْلًا لَسْتُ أذْكَرُهُ
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ مِنْ عَنَيْتِ بِهِ

أَيْدِيكُمْ غَيْرَ ذِمِّ الْبُخْلِ فِي الصُّحُفِ (١)
لَا خَيْفَةَ مِنْهُ بَلْ حِرْصًا عَلَى الشَّرْفِ
وَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَرْدَالِ غَيْرُ خَفِي

(١) انفردت بها نسخة الأتكرلي.

فَرَّاحٌ يُصْنَعِي إِلَى مَا لَيْسَ يَعْرِفُهُ
شِعْرِي وَبِعْرِي سَوَاءٌ عِنْدَ فِطْنَتِهِ
قَدْ كَانَ جَائِزَتِي الْحَرْمَانَ وَاسْفِي
فَقِيلَ لِي إِنَّهُ ثَوْرٌ فَقُلْتُ لَهُمْ
وَاللَّهِ لَوْ أَنْشَدُوا ثَوْرًا عَلَى عَافٍ

وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الدُّرِّ وَالصَّدْفِ
وَالشُّعْرِ وَالْبَعْرِ شَيْءٌ غَيْرٌ مُؤْتَلَفٍ
وَرُحْتُ فِي خَيْبَةِ الرَّاجِي فَوَالْهَفِي
بِالشُّكْلِ وَالْفَهْمِ لَا بِالْجُودِ وَالسَّرْفِ
شِعْرِي لَجَادَ عَلَيَّ التُّورُ بِالْعَلْفِ

(٣٦٦)

وقال [وهي من الطويل]:

غِدَاةً اقْتَطَفْنَا وَالْفُكَاهَةَ أَيَنْعَتُ
بِرُوحِي مَلِيحٌ لَمْ يَخُنْ عَهْدَ وَدِّهِ
إِذَا الْغِدَاةُ الْحَسَنَاءُ زَارَتْ وَزَارَنِي
وَإِنْ قُلْتُ أَنْتَ الْبَانُ أُعْرَضَ مُغْضَبًا
تَلَهَّبَتْ الصَّهْبَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ
وَهَيْهَاتَ أَنْ أَصْحُوَ وَلِلْحَبِّ سَكْرَةٌ

أَزَاهِيرَ لَفْظٍ مِنْ رِيَاضِ كَلَامٍ^(١)
لِأَلْفٍ وَلَمْ يَخْفِرْ هُنَاكَ ذِمَامِي
أَقُولُ أَذْهَبِي عَنِّي بِأَلْفِ سَلَامٍ
وَقَالَ وَهَلْ لِلْبَانِ لَيْنٌ قَوْمِي
بِظُلْمَاءِ أَلْفَيْنَا لَهَيْبِ ضِرَامٍ
سَكَّرْتُ بِهَا قَبْلَ الْمُدَامِ بِعَامٍ

(٣٦٧)

أَيُّهَا النَّاطِرُ الْمُفَكِّرُ فِي مَا
مَا الَّذِي أَنْتَ قَائِلٌ فِي أَمِيرٍ
جَادٍ فِي حُسْنِهَا وَأَحْسَنُ مِنْهَا
دَارُ عَزٍّ (الْأَمِيرِ جَابِرٍ) فِيهَا
لِتَحُلَّ الضُّيُوفُ فِي مَا بَنَاهُ
شَيْدَ دَارًا وَعَزَّ جَارًا فَارْحُ

قَصَّرَتْ عَنْ نَظِيرِهِ أَنْظَارُهُ
مِنْ فَخَارٍ وَهَذِهِ أَثَارُهُ
فِي مَعَالِيهِ مَجْدُهُ وَأَقْتِدَارُهُ
مُدْبِنَاهَا مَحَلُّهُ وَقَرَارُهُ
وَتَرَى مَا يَسْرُهَُا زَوَارُهُ
(بُنِيَتْ بِالسُّرُورِ وَالْعِزِّ دَارُهُ)^(٢)

هـ ١٢٨٥

(١) انفردت بها نسخة الأتكرلي. وكأنها ناقصة.

(٢) انفردت بها نسخة الأتكرلي.

(٣) في الأصل (بنيت بالسر والعز داره) ولا يستقيم معها الوزن ولا التاريخ.

(٣٦٨)

لصاحب زارٍ وِخْلٍ يَزُورُ
تَرَى بِحَمْدِ اللَّهِ فِيهِ قُصُورُ
مَا دَامَتِ الْأَحْبَابُ فِيهِ حُضُورُ
طَافَتْ بِكَاسَاتِ الْمُدَامِ الْبُدُورُ
وَأُرْخِيَتْ دُونَ الْوُشَاةِ السُّتُورُ
لِقَهْوَةِ تُسْقَى وَسَاقٍ يَدُورُ
مَضَتْ عَلَيْهَا بِالْهَنَاءِ الْعُصُورُ
فَرُبُّكَ اللَّهُ الْعَفْوُ وَالْغُفُورُ
فِي نِعْمَةٍ لِكُلِّ عَبْدٍ شَكُورُ
وَأُرْخِيَتْهُ (ذَا مَحَلِّ السُّرُورِ)
١٢٧٦هـ

أَنْظِرْ إِلَى مَجْلِسِ أَنْسِ زَهَا
قَدْ قُصِرَ الْحُسْنُ عَلَيْهِ فَمَا
لَا أَحْضَرَ اللَّهُ ثَقِيلًا بِهِ
إِنْ بَزَعَتْ شَمْسُ الْحَمِيَا وَإِنْ
وَعَابَ مَنْ قَدْ سَرْنَا فَقَدَهُ
دَارًا أُعِدَّتْ بَعْدَمَا زُحِرْفَتْ
فَاشْرَبْ عَلَى زُحْرِفِهَا قَهْوَةً
فَإِنْ تَكُنْ فِي شَرْبِهَا آثِمًا
وَاعْتَنِمِ اللَّذَاتِ مِنْ مِثْلِهَا
سُرَّتْ بِهِ أَحْبَابُنَا كُلُّهَا

(٣٦٩)

وَرَوَى عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ رُبُوعَهَا
وَإِنِّي لِأَهْوَى أَنْ أَكُونَ صَرِيْعَهَا
تَرَقَّبْتُ مِنْ بَيْنِ السُّجُوفِ طُلُوعَهَا
وَتُرْخِي عَلَى مِثْلِ الصَّبَاحِ فُرُوعَهَا
وَقَدْ أَهْرَقْتُ عَيْنَايَ مِنْهَا نَجِيْعَهَا
وَخَلَّ صَبَابَاتِ الْهَوَى وَنُزُوعَهَا
وَأَجْرَتِ عَيُونِ الصَّبِّ إِلَّا دُمُوعَهَا
مِنْ (الْجَزْعِ) إِلَّا مَا يَزِيدُ وَلُوعَهَا
تَمَنِّيْتُ لَوْ يُجِدِي التَّمَنِّيَ رُجُوعَهَا
وَأَعْطَيْتُ لَذَاتِي التَّصَابِيَّ جَمِيْعَهَا

سَقَى اللَّهُ جِيرَانًا بِأَكْنَافِ (حَاجِرِ)
فَمَا هِيَ إِلَّا لِلْأَسُودِ مَصَارِعُ
وَأَنِسَةٌ كَالشَّمْسِ حُسْنًا وَبَهْجَةً
تُمِيطُ خِمَارًا عَنْ سَنَا قَمَرِ الدُّجَى
تَذَكَّرْتُهَا وَالِدَمْعَ يَنْحَلُّ عَقْدَهُ
وَقُلْتُ لَسَعْدٍ لَا تَلْمُنِي عَلَى الْبُكَاءِ
فَهَلْ أَجَجْتَ أَحْشَايَ إِلَّا زَفِيرَهَا
فَمَا نَكَرْتَ نَفْسِي عَلَى سَفْحِ (رَامَةِ)
فَأَذْكَرُ مِنْ عَهْدِ (الْغُؤَيْرِ) لِيَالِيًا
لِيَالِيٍّ أَعْطَيْتُ الْأَزْمَةَ لِلْهَوَى

(٣٧٠)

وقال يصف الباخرة عند عودته من البصرة إلى بغداد [وهي من الخفيف]:

قَد رَكِبْنَا بِمَرْكَبِ الدِّخَانِ
حِينَ دَارَتْ أَفْلَاكُهُ وَاسْتَدَارَتْ
ثُمَّ سَرْنَا وَالطَّيْرُ يَحْسُدُنَا أَمْ (*)
يَخْفِقُ الْبَحْرُ رَهْبَةً حِينَ يَجْرِي
كَلَّمَا أَبْعَدَ الْبُخَارُ بِمَسْرَى (**)
أَتَقَنَنْتَ صُنْعَهُ فَطَانَةٌ قَوْمٍ
مَا أَرَاهَا بِالْفِكْرِ إِلَّا أَنْسَاءً
أَبْرَزُوا بِالْعَقُولِ كُلِّ عَجِيبٍ
وَبَنَوْا لِلْعُلَا مَبَانِي عِلَاءٍ
فَهُمْ فِي الزَّمَانِ عِلْمٌ وَفَخْرٌ

وَبَلَّغْنَا بِهِ أَقَاصِي الْأَمَانِي
فَهِيَ مِثْلُ الْأَفْلَاكِ فِي الدَّوْرَانِ
سِ لِسِرَاعِنَا عَلَى الطَّيْرَانِ
وَالَّذِي فِيهِ كَائِنٌ فِي أَمَانِ
قَرَّبَ السَّيْرُ بَعْدَ كُلِّ مَكَانِ
وَصَفْوَهُمْ بِدَقَّةِ الْأَذْهَانِ
بَقِيَتْ مِنْ بَقِيَّةِ الْيُونَانِ
مَا وَجَدْنَاهُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
عَاجِزٌ عَنْهُ (صَاحِبُ الْإِيوَانِ)
وَمَقَامٌ يَعْلُو عَلَى كِيوَانِ

(٣٧١)

وقال [وهي من المتقارب]:

أَقُولُ لَهُ يَوْمَ حَثَّ الْمَطِيَّ
أَضْرَبُ بِهَا يَا (هُذَيْمُ) الْهَوَى
وَأَنْتَ تَكُلِّفُهَا بِالْمَسِيرِ
وَتَزَجُّرُهَا زَجْرًا رَاحِمٍ
أَلَمْ تَرَهَا لَا تَطْبِيقُ الْحَرَكَ
وَلَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَمْرَ النَّيَاقِ
أَمَا كُنْتَ يَوْمَ بَكَتَ بِ(الْغَمِيمِ)
وَرَكَّضَ الْغَرَامَ بِأَحْشَائِهَا

وَفِيهَا جَوَى لَيْسَ فِي غَيْرِهَا
وَهَا هِيَ تَشْكُوكَ مِنْ ضُرِّهَا
فَخَلَّ الْمَطِيَّ عَلَى سَيْرِهَا
وَإِنَّكَ بِاللَّغْتِ فِي زَجْرِهَا
لِأَشْيَاءَ فِي الْحُبِّ لَمْ تَدْرَهَا
لِأَوْسَعِكَ الرَّفْقُ فِي عِذْرِهَا
فَخَلَّاتِ الْمَدَامَعَ مِنْ نَحْرِهَا
وَنَحْنُ رُكُوبٌ عَلَى ظَهْرِهَا

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (بالأمس) وصوابها (أمس) ليستقيم الوزن.

(**) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (بمسراه) ولعل صوابها (مسرى) ليستقيم الوزن.

وَعَرَّفْنَا وَجَدْنَا مَا بِهَا
فَحِينِنْدِرَاغٍ عَنْ حَاتِّهَا

وَحَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَى سِرِّهَا

(٣٧٢)

وقال [وهي من البسيط]:

هَل تَذْكُرْنَ بِ(نَجْدٍ) يَوْمَ يَنْظِمُنَا
وَالرَّبِيعَ يُطْلِعُ أَقْمَاراً وَيُنْبِتُ فِي
وَالعَيْشُ صَفْوُ يَرُوقُ العَيْنَ مَنْظَرُهُ
فَمَا تَرَى عَيْنُ رَائِيهَا وَإِنْ طَمَحَتْ
مِنْ كُلِّ أَهْيَفٍ حُلُويِّ اللَّمَى غَنَجٍ
وَلَكِنَّ العَطْفَ قَاسِي القَلْبِ لَمْ نَرَهُ
مَضَى الهَوَى وَأَنْقَضَتْ أَيَّامُ دَوْلَتِهِ
لِيَتِي (*) سَلَوْتُ أَحِبَّاءَ مُنِيَّتِ بِهِمْ
فَاتْرُكْ مَلَامَكَ عِنْدِي حِينَ أذْكَرُهُمْ
يَا هَل تُرَانِي أَرَى مَا أَسْتَقْرُبُهُ
قَدْ كَانَ دَمْعِي عَزِيزاً قَبْلَ فُرْقَتِهِمْ

لَأَلْنَا شَمَلَتْ فِيهَا وَمَرَجَانَا
مَنَازِلِ الحَيِّ حَيِّ (الْجَزَعِ) أَغْصَانَا
يُهْدِي لِأَرْوَاحِنَا رَوْحاً وَرِيحَانَا
إِلَّا أُسُوداً بِ(مِيثَاءٍ) وَغَزَلَانَا
إِنْ مَاسَ هَزَّ عَلَى العُشَّاقِ مُرَانَا
رَقَّتْ شَمَائِلُهُ لِلصَّبِّ أَوْ لَنَا
حَتَّى كَأَنَّ زَمَانَ اللُّهُوِّ مَا كَانَا
وَلَا ذَكَرْتِ عَلَى (الْجَرَعَاءِ) جِيرَانَا
إِسَاءَةً مِنْكَ لِي فِيهِمْ وَإِحْسَانَا
أَمْ هَل تُرَى قَلْبِي الظَّمَانَ رِيَانَا
وَاليَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَهُمْ هَانَا

(٣٧٣)

وقال [وهي من المنسرح]:

تَحْلِفُ بِ(البَيْتِ) وَهِيَ صَادِقَةٌ
وَمَا قَضَى الحُجُّ مِنْ مَنَاسِكِهِ
أَلِيَّةً مَا وَرَاءَهَا قَسَمٌ
بِأَنَّهَا لَا تَزَالُ وَامِقَّةً

(وَمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ) وَ(الحَجْرِ) (١)
وَمَا أَرَأَيْتَهُ مِنْ دَمِ النَّحْرِ
لِمُقْسِمٍ فِيهِ صَادِقٌ بَرٌّ
وَمَا لَهَا فِي الغَرَامِ مِنْ صَبْرٍ

(١) عجز البيت من (السريع).

(*) في الطبعة (١): (ليتني) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وَقَلَّ مِنْ لَا يَبُوحُ بِالسُّرِّ
وَلَمْ تَنْزَلْ فِي حَدِيثِهَا تَجْرِي
تَحْتَ الضُّلُوعِ كَوَاقِدِ الْجَمْرِ^(١)
أَطْرَبَها مِنْ مُحَدِّثِ ذِكْرِي
أَنْ يَعْلَمَ الْوَأَشْيَانِ فِي أَمْرِي
أَفْزَعُ فِي هَجْرِها مِنَ الْهَجْرِ

كَأَنَّها لَمْ تَبُحْ بِسِرِّ هَوَى
هَذَا وَأَدْمَعُها تَصَدَّقُها
وَأَنَّ أَحْشَاءَها قَدْ اتَّقَدَتْ
وَأَنْنِي كَلِمَا ذُكِرْتُ لَهَا
وَأَنَّ هَجْرَانِها مُحَاذِرَةٌ
فَهَلْ تَرَى يَا (هُذَيْمُ) إِنْ هَجَرْتُ

(٣٧٤)

فِيكَ الْأَمَاجِدُ مِنْ أَشْرَافِ (عَدْنَانَ)
وَقَدْ يَفُوقُونَ فِي حُسْنِ وَإِحْسَانِ
فِي جَنَّةِ زُخْرِفَتْ مِنْهُمْ وَبِسْتَانِ
إِلَّا بِأَشْكَالِ أَزْهَارِ وَأَلْوَانِ
لِتُنْعِشَ الرُّوحَ فِي رَوْحِ وَرِيحَانِ
دَارِ السُّرُورِ لِأَحْبَابِ وَإِخْوَانِ
(وَعُمِّرْتُ دَارُ سَلْمَانَ بِسَلْمَانَ)
١٢٨٥هـ

يَا مَنْزِلَ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ قَدْ نَزَلْتُ
وَأَشْرَقْتُ فِيكَ كَالْأَقْمَارِ أَوْجُهُهُمْ
وَأَنْتَ يَا مَنْ يُجِيلُ الطَّرْفَ حِينَئِذٍ
الْحُسْنَ مُتَّفِقٌ فِيها وَمَا اخْتَلَفَتْ
مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهِيحٍ أَنْبَتَتْ وَرَبَّتْ
فِيئِها وَأَبِيكَ الْبَرُّ قَدْ بَنَيْتْ
فَبُورِكْتُ دَارُ سَادَاتٍ مُؤَرَّخَةٌ

(٣٧٥)

وَمَا يَسُرُّكَ مِنْ رَوْضِ وَبِسْتَانِ
أَهْدَتْ إِلَيْكَ شَذَا رَوْحِ وَرِيحَانِ
مَا قَدْ بَنَاهُ بِإِحْكَامٍ وَإِتْقَانِ

أَنْظُرْ إِلَى دَارِ حُسْنٍ قَدْ حَلَّتْ بِها
وَأَنْشَقُّ عَبِيرَ شَذَا^(*) أَزْهَارِها فَلَقَدْ
أَجَادَ غَارِسُها غَرْسًا وَأَحْسَنَ فِي

(١) عجز البيت من (السريع).

مَأْوَى الْأَمَاجِدِ مِنْ سَادَاتِ (عَدْنَانَ)
لَمَّا بَنَاهَا وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْبَانِي
(دَارٌ لِسُلْمَانَ قَدْ فَاقَتْ بِسُلْمَانَ)
١٢٨٤هـ

تَحَلُّهَا السَّادَةُ الْأَشْرَافُ لَا بَرِحَتْ
فَاقَتْ عَلَى غَيْرِهَا فَضْلاً بِسَاكِنِهَا
فَقَالَ مَنْ قَدْ رَأَاهَا حِينَ أَرَّخَهَا

(٣٧٦)

وقال مؤرخاً وفاة أحد أصحابه^(١) [وهي من الطويل]^(٢):

وَصَبَّ عَلَيهِ كُلُّ يَوْمٍ مَصَابُهُ
وَأَمْسَى إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ ذَهَابُهُ^(٣)
فَأَشْرَقَ فِيهِ مَا هُنَاكَ تُرَابُهُ
وَأَصْبَحَ فِي أَعْلَى الْجِنَانِ جَنَابُهُ
وَلِلْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ كَانَ انْتِسَابُهُ
مَنْ اللَّهَ يُوفَى عَفْوُهُ وَثَوَابُهُ
(عَلِيٌّ بِجَنَّاتِ الْخُلُودِ مَابُهُ)
١٢٨٥هـ

سَقَى اللَّهُ هَذَا الْقَبْرَ مِنْ صَيِّبِ الْحَيَا
بِهِ حَلٌّ ذُو عِلْمٍ وَفَهْمٍ وَحِكْمَةٍ
(وَمَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ)^(*) مُذْ كَانَ جَارُهُ
بِشَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ارْتَاحَ أَوْ مَضَى
وَكَانَ بِعِلْمِ الطَّبِّ أَعْلَمَ عَالِمٍ
لَقَدْ فَازَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْعَفْوِ وَالرِّضَا
وَأَبَى إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَأَرَّخُوا

(١) لم نعتز على ترجمة له، ويبدو أنه كان من أطباء الجيش.

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وقد وجدت في مجموعة خطية بعنوان (المجموعة العربية) وهي تحت رقم (٢٢٨١١) مجاميع في خزانة مخطوطات الأوقاف ببغداد.

(٣) في الأصل: (وَأَمْسَى إِلَى رَبِّ الْكَرِيمِ ذَهَابُهُ) من وهم الناسخ.

(*) معروف الكرخي: معروف بن فيروز الكرخي ويكنى (أبو محفوظ) وهو أحد سادات الصوفية في بغداد. اشتهر بالزهد والورع والتقوى. سكن بغداد ومات فيها عام ٢٠٠هـ الموافق ٧٠٨م، ودفن في مقبرة الشونيزية على جانب الكرخ من بغداد.

(٣٧٧)

وقال مخمساً قصيدة العلامة عبدالغني الجميل في مدح العترة النبوية الطاهرة
[وهي من الخفيف]:

مَا قَضَيْنَا حَقًّا لِرَسْمٍ مُّحِيلٍ
بِبُكَاءٍ عَلَى الدِّيارِ طَوِيلٍ^(١)
يا رفيقي وصاحبي وخليلي
(قِفْ بنا بين دارساتِ*) (الطُّلُولِ)
(نَقِّضْ حَقَّ البِكا لها والعويلِ)
فالمَطايا وَهَتْ وَأنتَ تَراها
يَأْكُلُ السَّيْرُ ما تَرى من ذُراها
قِفْ بها كي ترتاحَ مِمَّا اعْتَرَاها
(وَأَنخِها قلائِصًا قد عَراها
ما عَرانا من الضَّنَى والنُّحولِ)
إِنَّ غِبَّ الغَرامِ منذُ امْتَطَاها
أَطْلُقُ الوَحدُ والذَّممِيلُ خُطاها
خَلَّها من لُغويها** أن يَطَاها
(وَأرِحْها سُويَعَةً فَمَطَاها
قد دَهَى من وَجيفها والذَّممِيلِ)
أَصبَحَتْ بَعْدَ رِيِّها تَتَوَلَّى

(١) لم ترد في الأصول، وقد وجدت في كتاب (الروض الخميل) مخطوطة ص ١٩٠ - ١٩٥ .

(*) في الطبعة (١): (دراسات) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (لغويها) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

كَبِيدَا مِنْ غَلِيلِهَا النَّارَ تَصَلَّى
 عِلَّهَا مَا وَرَدَتْ مَاءَكَ عَلَا^(١)
 (وَاسْقِهَا مِنْ مَعِينٍ (وَجَرَّةً) نَهْلًا)
 (فَعَسَاهَا تَطْفِي لَهَيْبِ الْغَلِيلِ)
 خَلَّهَا لَا عَدِمْتَ ذَا الْيَوْمِ خَلًّا
 إِنَّ تَحَاوِلُ بِقَطْعِكَ الْبَيْدَ وَصَلًّا
 وَإِذَا سِرَّتَ بِالْمَطِيِّ فَمَهْلًا
 (وَتَرَفَّقْ بِهَا فَمَا^(*) هِيَ إِلَّا)
 (عُدَّةٌ قَدْ أَعَدَدْتُهَا لِلْوُصُولِ)
 فَسَقَى مَرْبِعَ الْحَسَانِ وَجَادَتْ
 مُزْنٌ أَحْسَنْتَ بِهِ وَأَجَادَتْ
 تَبْلُغُ النَّفْسُ عِنْدَهُ مَا أَرَادَتْ
 (يَا لَمَعْنِيَّ بِهِ الْغَوَانِي تَهَادَتْ)
 (وَخَالَتْ مِنْ مَوْئِبٍ وَعَذُولِ)
 كَمْ لَهَوْنَا بِكُلِّ ظَبِيٍّ غَرِيرِ
 وَشَرِينَا فِي كُلِّ رَوْضٍ نَضِيرِ
 شَمْسٍ رَاحٍ مِنْ كَفِّ بَدْرِ مُنِيرِ
 (وَأْدِيرَتْ لَنَا كَوْسُ سُرُورِ)
 (مَنْ تُغَوِّرُ رُضَابُهَا مِنْ شَمُولِ)
 حَبَّبْنَا أَوْجُهُ تَرَوْقَكَ وَصَفَا
 وَتُغَوِّرُ تَحْكِي الْمُدَامَةَ صِرْفَا
 فَالْتَّنَايَا الْعِذَابُ تَمْنَحُ رَشْفَا
 (وَمِيَاهُ الْجَمَالِ تَقْطُرُ لُطْفَا)

(١) وردت للمخاطب. وإذا كانت للغائب فيكون وزن الشطر مختلفاً.
 (*) في الطبعة (١): (فيما) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(فوقَ خَدٍّ من الشَّبابِ أسيل)
 قد رَعَيْنَا لَذَاةَ العِيشِ رَعْدَا
 وطَرِبْنَا به مَرَاحًا ومَغْدَى
 في رِيَاضٍ من المَحَاسِنِ تَنْدَى
 (وطيُورُ الهِنَا تُغَرِّدُ وَجُدَا)
 (بهديرٍ مُسْتَعَذِبٍ وهَدِيلِ)
 يَا لَعِيشٍ مَا كَانَ أَمْرِي وَأَحْلَى
 وزمانٍ من جَوْهَرِ الرُّوحِ أَغْلَى
 فَالشَّبَابُ الَّذِي قَلَّصَ ظِلًّا
 (قد مَضَى وانقَضَى وفاتَ وولَّى)
 (كشُموسٍ قد أَدْنَتْ لِلأُفُولِ)
 أَيْنَ قَوْمِي لَهُمْ عَلَى النَّاسِ فِخْرُ
 وَإِبَاءٌ بِأَنْفِهِمْ* مُشْمَخِرُ
 قد دَهَاهُمْ مِنَ المَنْيَةِ أَمْرُ
 (وتَمَطَّى بِسَاعِدِ الغَدْرِ دَهْرُ)
 (غَالَ أَهْلَ النُّهَى بِأَنْيَابِ غَوْلِ)
 كم كَرِيمٍ لَدَى عَذَابِ الأَيْمِ
 وَلِنَيْمٍ من دَهْرِهِ فِي نَعِيمِ
 إِنَّ دَهْرًا عَدُوٌّ كُلِّ كَرِيمِ
 (فَهُوَ سَلْمٌ لِكُلِّ فَدَمٍ لَنْيَمِ)
 (وهُو حَرْبٌ لِكُلِّ حُرٍّ نَبِيلِ)
 سَاءَنَا الدَّهْرُ مَأْخِذًا وَنِزَاعَا
 وَاتِّصَالًا وَفُرْقَةً وَاجْتِمَاعَا
 غَادِرٌ بِاسِطٌ لِغَدْرِ ذِرَاعَا
 (وَلَكُمْ مَدٌّ لِخِيَانَةِ بَاعَا)

(*) في الطبعة (١): (بانفاه) ولعل الصواب ما أثبتناه، لأنه يخاطب الجمع لا المفرد.

(رَدَّ عَنْهَا الْحِجَابَ بِطَرْفِ كَلِيلِ)
 عَمَّ سُوحِي حَالُ الزَّمَانِ وَخَصًّا
 وَأَرَى فِيهِ كَلَّمَا زِدْتُ نَقْصًا
 لَا تَطَّلُنَنَّ أَنَّهَا تُسْتَقْفِي
 (فَأَحَادِيثُ دَهْرِنَا لَيْسَ تُحْصَى)
 (خَلَّ عَنْ شَرْحِهَا الْعَرِيضِ الطُّوِيلِ)
 كَمْ أُمُورٍ لِدَهْرِنَا مُهْلِكَاتٍ
 لِأَحْقَاتِ أِبْنَاءِ مُدْرِكَاتِ
 زَمَنٍ ظَلَّ أَهْلُهُ فِي شَكَاةٍ
 (كَمْ لَهُ فِي الْكِرَامِ مِنْ فَتَكَاتِ)
 (كَلَّ أَنْ يَسْطُوبَ أَمْرٌ مَهُولِ)
 إِنْ هَذِي الْأَيَّامُ مِنْذُ ابْتِدَاهَا
 قَلَّ مَا تَمْنَحُ الْكِرَامَ نَدَاهَا
 مَا اسْتَقَرَّتْ بَرِّيَّهَا وَصَدَاهَا
 (وَاللَّيَالِي لَا تَسْتَقِرُّ مَدَاهَا)
 (كَلَّ يَوْمٍ تَأْتِي بِحَالٍ مَحُولِ)
 نَرْتَجِي الْفَوْزَ فِي بُلُوغِ أَمَانِ
 بِزَمَانٍ يُعِزُّ كُلَّ مُهَانِ
 مَا تُنَى عِطْفُهُ لِحُرْمَانِ
 (لَيْتَ شَعْرِي مَا يُرْتَجَى مِنْ زَمَانِ)
 (عِطْفُهُ لِلْكَرَامِ كَالْمُسْتَحِيلِ)
 كَيْفَ نَلْتَذُّ فِي الْحَيَاةِ وَجُودَا
 إِذْ نَرَى حَيْثُمَا التَّفَتُّنَا فَقِيدَا
 لَمْ يَكُنْ طَيْبٌ عَيْشِنَا مَحْمُودَا
 (وَمَتَى نَسْتَطِيبُ عَيْشًا رَغِيدَا)

(والمنايا تحدو بنا للرحيل)
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ ابْتِلَاءٌ
 وَلُغُوبٌ وَشَقْوَةٌ وَعَنَاءٌ^(١)
 ثُمَّ قَدْ يَعْقُبُ الْوُجُودَ فَنَاءٌ
 (وَالرِّزَايَا مَعَ الْمُنَايَا بِلَاءٌ)
 (وَعَظِيمُ الْبِلَاءِ رَفْعُ الرَّذِيلِ)
 فَالْبِلَاءُ الشَّدِيدُ أَنْ يُسْتَعَاذَا
 بِالَّذِي لَمْ يَكُنْ لَعَمْرِي مَعَاذَا
 أَوْ يَكُونَ الدَّنِي فَيُنَا مَلَاذَا
 (وَبِلَاءٌ أَشَدُّ مِنْ ذَا وَهَذَا)
 (ذُلُّ حُرٍّ إِلَى لَيْئِيمٍ بَخِيلِ)
 مَا أَرَأَيْتَ يَوْمًا مِنَ النَّاسِ حَيًّا
 بَلْ أَسَاءَتْ إِلَيْهِ مَوْتًا وَمَحْيَا
 نَحْنُ نَبْغِي فِي هَذِهِ الدَّارِ بُقْيَا
 (وَمُضِرُّ بِنَا الْبَقَاءُ بِدُنْيَا)
 (غَدَرْتُ قَبْلَنَا بِأَلِ الرَّسُولِ)
 لِلنَّاسِ عَلَوْا فَخَارًا وَمَجْدًا
 وَأَبَاءَ مَا جَدًّا كَرِيمًا وَجَدًّا
 كَيْفَ كَانَتْ إِذْ ذَاكَ خَصْمًا أَلْدَا
 (وَمَا رَعَتْ فِيهِمْ زِمَامًا وَعَهْدًا)
 (لَا وَلَا حُرْمَةً لِنَجْلِ الْبِتُولِ)
 أَشْرَفَ الْخَلْقِ فِي الْحَقِيقَةِ ذَاتَا
 تَرَكَتُهُمْ صُرُوفُهَا أَشْتَاتَا
 بِأَبِي سَادَةً هُدَاةً ثِقَاتَا
 (شَتَّتْ^(*) شَمْلَهُمْ وَكَانُوا حُمَاةً)

(١) في الأصل: ولغرب. من وهم الناسخ.
 (*) في الطبعة (١): شَتَّتْ وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(وَحَمَى الْمُسْتَجِيرِ وَالْمُسْتَنْبِلِ)
يا نُجُومًا فِي كُلِّ بَرٍّ وَبَحْرٍ
هَادِيَاتِ الْأَنْامِ فِي كُلِّ عَصْرِ
يا بُدُورًا فِي حَالِكِ مُكْفَهَرٍ
(وَشُمُوسًا تُضِيءُ فِي كُلِّ قَطْرِ)
(وَهُدَاةً إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ)
خَيْرٌ مِنْ حَلِّ بُقْعَةٍ وَوَطَاها
قَدْ كَشَفْتُمْ عَنِ الْعُيُونِ غِطَاها
وَحَمَيْتُمْ مِمَّا يَرُوعُ سَطَاها
(يا بني أحمدٍ ويا آل طه)
(يا هُدَاةَ الْوَرَى وَمَأْوَى الدَّخِيلِ)
بِوَلَائِي لَكُمْ قَدِيمًا وَحُبِّي
أنا أَرْجُو النُّجُجَةَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ
يا شِفَائِي إِذَا اعْتَلَّتْ وَطِيبِي
(ضِيقُتُ ذُرْعًا مِنْ عِلَّةٍ بَرَحَتْ بِي)
(وَدَوَائِي أَنْتُمْ وَبُرْءُ الْعَلِيلِ)
عَنْ خُلُوصِ الْوَلَاءِ صِدْقُ مَقَالِي
فِي طُفُولِيَّتِي وَحَالِ اكْتِهَالِي
لَمْ تُغَيِّرْهُ حَادِثَاتُ الْأَيَالِي
(صِرْتُ شَيْخًا وَمَا تَغَيَّرَ حَالِي)
(عَنْ وِلَائِي لَكُمْ بِصِدْقِ الْمَقُولِ)
تَرَكْتَنِي الْأَيَّامُ مِنْ غَيْرِ جِرْمٍ
حَامِلًا عِبَاءَ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ
حَيْثُ فَقَدُ الشُّبَابِ أَنْحَلَ جِسْمِي
(وَأَنَا الْيَوْمَ شَابَ رَأْسِي وَعَظْمِي)

(أَوْهَنْتَهُ أَثْقَالَ وَزُرِّ تَقِيلِ)
إِنَّ ضَعْفَ الْقُوَى وَفِقْدَانَ عَوْنِي
قَدْ أَحَالَ مَا بَيْنَ قَصْدِي وَبَيْنِي
طَعَنْتُ فِي مَضَاوِعِ الْعَيْشِ شَنْيِي
(وَأَنْقَضَى الْعَمْرُ كُلَّهُ بِالتَّمَنِّي)
(وَأَتَّبَعَ الْهَوَى بِقَالَ وَقِيلِ)
أَنْتُمْ مَطْلَبِي وَأَنْتُمْ مُرَادِي
وَعَلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِلَهِ اعْتِمَادِي
فَإِذَا كَانَ بَعْدَ بَدْنِي مَعَادِي
(حُبُّكُمْ يَا بَنِي الْوَصِيِّ عَتَادِي
(فِي مَعَادِي عِنْدَ الْإِلَهِ الْجَلِيلِ)
قَرَّبْتَنِي مِنْكُمْ دُنُوًّا بِقُرْبِ
نِسْبَةٍ فِي الْجَمِيلِ مِنْ فَضْلِ رَبِّي
حِينَ أَدْعَى مَا بَيْنَ قَوْمِي وَصَحْبِي
(أَنْتُمْ أَنْتُمْ الْجَمِيلُ وَحَسْبِي)

(٣٧٨)

وقال يمدح السيد، عبدالواحد آل باش أعيان البصري العباسي^(١) [وهي من

الطويل]:

لِكُلِّ زَمَانٍ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَاتِمٌ
وَإِنَّكَ فِينَا الْيَوْمَ لَا شَكَّ حَاتِمٌ^(٢)

.....

.....

(١) الشيخ عبدالواحد بن عبداللطيف آل باش أعيان. ولد في البصرة سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م وبها نشأ. ودرس على الشيخ عثمان بن سند. وقدم بغداد، واتصل بالوالي داود باشا، فأكرمه وقربه وأهداه سيقاً مذهبياً. وعند وفاة والده سنة ١٢٤٧هـ عينه الوالي علي رضا اللاظ رئيساً لأعيان البصرة (باش أعيان) وصحب الوالي علي رضا في حملته على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ، وكان أديباً عالماً فاضلاً كريماً، توفي سنة ١٢٦٨هـ - ١٨٥١م ورتاه الأبناء والشعراء ومنهم الشيخ محمد سعيد التميمي. وجاء في كتاب أعيان البصرة للشيخ عبدالله آل باش أعيان للأخرس قصائد في مدح الشيخ عبدالواحد آل باش أعيان. إلا أنني لم أجد منها شيئاً، وكل الذي في الديوان موجه إلى الشيخ عبدالواحد آل مبارك البصري. وفيها إشارات واضحة وأسماء وأعلام لا تخص آل باش أعيان. لذلك لا يصح أن نظن أن القصائد اختلطت بين عبدالواحد المبارك وعبدالواحد باش أعيان. انظر أعيان البصرة ص ٧. والنصرة في أخبار البصرة ص ٦٠ - ٦١ وقد أحال الدكتور يوسف عزالدين في النصر إلى كتاب الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٥، وقد وهم الدكتور يوسف في ذلك لأن الترجمة في الأعلام للشيخ عبدالواحد حفيد المترجم.

(٢) لم أعر على هذه القصيدة وقد كتب إلى السيد غزوان، سبط آل باش أعيان أنه لا يعرف عنها شيئاً. ولم يجدها في آثار الأسرة.

مراجع التحقيق

- الآلوسي: عبدالله بهاء الدين بن محمود الآلوسي المتوفى سنة ١٢٩١هـ.
- ١ - الروض الخميل في مدائح الجميل بن الجميل. مخطوط. كتبه عبدالرزاق بن الملا فليح سنة ١٣٧١هـ.
- الآلوسي: علي علاء الدين بن نعمان الآلوسي المتوفى سنة ١٣٤٠هـ.
- ٢ - الدر المنتثر في أعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر. تحقيق عبدالله الجبوري وجمال الدين الأكلوسي. بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- الآلوسي: محمود شكري بن عبدالله بن محمود الآلوسي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ.
- ٣ - المسك الأذفر. بغداد ١٩٣٠م.
- ٤ - تاريخ مساجد بغداد وأثارها. بغداد ١٣٤٦هـ. تحقيق وتهذيب الشيخ محمد بهجة الأثري.
- الآلوسي: أبو الثناء محمود بن عبدالله الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.
- ٥ - غرائب الاغتراب ونزهة الألباب. بغداد ١٣٢٧هـ.
- ٦ - مقامات ابن الأكلوسي. كربلاء سنة ١٢٧٣هـ طبع حجر.
- ٧ - نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول. بغداد ١٢٩١هـ.
- ٨ - نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام. بغداد ١٢٩٣هـ.
- ٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. القاهرة - المطبعة المنيرة - دون تاريخ.
- الآلوسي: نعمان خير الدين بن محمود الآلوسي المتوفى سنة ١٣١٧هـ.
- ١٠ - روضة الأزهار وجامعة كل ممتاز ومختار. مخطوط.
- آل عبدالقادر: الشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر.
- ١١ - مختارات آل عبدالقادر. دمشق - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- آل محبوبة: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.
- ١٢ - ماضي النجف وحاضرها. النجف ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

- آل ياسين: الشيخ محمد حسن آل ياسين.
- ١٣ - ديوان جابر الكاظمي المتوفى سنة ١٣١٢هـ (تحقيق) بغداد ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٤ - ديوان السموأل بن غريض (تحقيق). صنعة أبي عبدالله نبطويه. بغداد ١٩٥٥م.
- الأثري: الشيخ محمد بهجة بن محمود الأثري.
- ١٥ - أعلام العراق - القاهرة ١٣٤٥هـ.
- ١٦ - بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ١ - سنة ١٩٥٤م.
- ابن الأثير: عزالدين محمد بن محمد الشيباني المتوفى سنة ٦٣٠هـ.
- ١٧ - الكامل في التاريخ، بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ١٨ - أسد الغابة في معرفة الصحابة. القاهرة سنة ١٢٨٠هـ.
- ١٩ - اللباب في تحرير الأنساب. بيروت - دون تاريخ.
- الأعظمي: علي ظريف بن عبدالمجيد الأعظمي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.
- ٢٠ - مختصر تاريخ البصرة. بغداد ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م.
- الأعظمي: وليد بن عبدالكريم بن إبراهيم الأعظمي الخطاط.
- ٢١ - أعيان الزمان وجيران النعمان. مخطوط.
- باش أعيان: الشيخ عبدالله باش أعيان العباسي البصري المتوفى سنة ١٣٤٠هـ.
- ٢٢ - أعيان البصرة. نشره الشيخ جلال الحنفي البغدادي. بغداد ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- البرقوقي: عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن سيد البرقوقي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ.
- ٢٣ - شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. القاهرة سنة ١٩٣٠م.
- البزركان: علي البزركان المتوفى سنة ١٩٥٨م.
- ٢٤ - الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية. بغداد.
- البصري: الشيخ عبدالجليل بن ياسين البصري المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.
- ٢٥ - ديوان الحل والخليل. القاهرة - مطابع نبات - دون تاريخ.

- البصير: الشيخ محمد مهدي الحلبي البصير (الدكتور).
٢٦ - نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر. بغداد ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- البغدادي: إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ.
٢٧ - هدية العارفين. أسماء المؤلفين وأثار المصنفين. طهران. أوفسيت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٨ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. طهران. أوفسيت ١٣٧٨هـ.
- البوريني: حسن بن محمد بن محمد بن البوريني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ.
٢٩ - شرح ديوان ابن الفارض القاهرة ١٣١٩هـ.
- البيطار: الشيخ عبدالرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار المتوفى سنة ١٣٣٥هـ.
٣٠ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تحقيق الشيخ محمد بهجة البيطار. دمشق ١٣٢٨هـ - ١٩٦١م.
- التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ.
٣١ - شرح ديوان أبي تمام. تحقيق محمد عبده عزام. القاهرة - دار المعارف.
- التميمي: راشد بن عبدالله الفرحان التميمي.
٣٢ - مختصر تاريخ الكويت. القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- الثعالبي: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ.
٣٣ - التمثيل والمحاضرة. تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو. القاهرة ١٩٦١م.
- الجبوري: عبدالله بن محمد علي الجبوري (الدكتور).
٣٤ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة. بغداد ١٩٧٣م.
- الجلالي: محمد باقر الجلالي.
٣٥ - موجز تاريخ عشائر العمارة. بغداد ١٩٤٧م.
- ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢هـ.
٣٦ - ديوان العرجي. تحقيق خضر الطائي ورشيد علي العبيدي. بغداد ١٩٥٦م.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ.

٣٧ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدر آباد. الدكن - ١٣٥٧هـ.

٣٨ - صفة الصفوة. حيدر آباد. الدكن - ١٣٥٥هـ.

ابن حجر: الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

٣٩ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. حيدر آباد. الدكن - ١٣٥٠هـ.

حسن: محمد علي حسن.

٤٠ - ديوان ليل الصب. (جمع وشرح) بغداد ١٩٦٨م.

الحلو: علي نعمة الحلو.

٤١ - الأحواز في أدوارها التاريخية. بغداد ١٩٦٩م.

الحموي: ياقوت بن عبدالله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

٤٢ - معجم البلدان. بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

الحنبلي: أبو الفلاح عبدالحق بن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩هـ.

٤٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة ١٣٥٠هـ.

الحنفي: الشيخ جلال بن محيي الدين الحنفي البغدادي.

٤٤ - معجم اللغة العامية البغدادية. بغداد ١٩٧٨م.

الحيدري: الشيخ إبراهيم فصيح بن صبيغة الله المتوفى سنة ١٢٩٩هـ.

٤٥ - عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد. بغداد ١٩٦٢م.

الخالقاني: الشيخ علي الخالقاني النجفي.

٤٦ - شعراء الغري أو (النجفيات) النجف ١٩٥٤م.

٤٧ - ديوان الشيخ صالح بن درويش بن زيني التميمي المتوفى سنة ١٢٦١هـ. تحقيق بمشاركة

محمد رضا سلمان. النجف - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

٤٨ - ديوان السيد حيدر بن سليمان الحلبي (تحقيق). بغداد - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٤٩ - شعراء الحلة أو (البابليات). النجف ١٩٥٢م.

الخاني: عبدالمجيد بن محمد بن محمد الخاني الدمشقي المتوفى سنة ١٣١٨هـ.

٥٠ - الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية. القاهرة ١٣٠٨هـ.

خزعل: حسين بن خلف ابن الشيخ خزعل.

٥١ - تاريخ الكويت السياسي. بيروت سنة ١٩٦٢م.

الخطيب: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ.

٥٢ - تاريخ بغداد أو (مدينة السلام) القاهرة - ١٩٣١م.

ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ.

٥٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٧٢م.

الخياط: جعفر الخياط.

٥٤ - رحلة فريزر (ترجمة) جيمس بيلي فريزر. بغداد ١٩٦٤م.

٥٥ - صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة. بيروت ١٩٧١م.

٥٦ - أربعة قرون من تاريخ العراق (ترجمة) ستيفن هيمسلي لونكريك. بغداد ١٩٦٢م.

أبا الخيل: الشيخ عبدالكريم أبا الخيل.

٥٧ - العربية السعودية. بغداد ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

الدجيلي: عبدالكريم الدجيلي.

٥٨ - الجواهري شاعر العربية. النجف ١٩٧٢م.

الدخيل: الشيخ سليمان بن صالح الدخيل المتوفى ١٣٦٤هـ.

٥٩ - تحفة الألباء في تاريخ الأحساء. بغداد ١٣٣١هـ.

الدروبي: الشيخ إبراهيم بن عبدالغني الدروبي البغدادي المتوفى سنة ١٩٥٩م.

٦٠ - البغداديون، (أخبارهم ومجالسهم) بغداد - ١٩٥٨م.

الدليمي: محمد نايف الدليمي.

٦١ - ديوان الموشحات الموصلية (جمع وتحقيق) الموصل ١٩٧٥م.

- الديار بكري: حسين بن محمد بن محمد الديار بكري المتوفى سنة ٩٦٦هـ.
٦٢ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس. القاهرة ١٣٨٣هـ.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ.
٦٣ - العبر في خبر من عبر. الكويت ١٩٦٠م.
٦٤ - تذكرة الحفاظ. الهند ١٩٥٦م.
- الرجب: هاشم محمد الرجب.
٦٥ - المقام العراقي. بغداد ١٩٦١م.
- الرشيد: الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح المتوفى سنة ١٣٥٧هـ.
٦٦ - تاريخ الكويت. بغداد ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م.
- الرصافي: معروف بن عبدالغني الرصافي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ.
٦٧ - ديوان الرصافي. القاهرة ١٩٥٦م.
- الرواس: السيد محمد مهدي الرواس الرفاعي المتوفى سنة ١٢٨٧هـ.
٦٨ - مشكاة اليقين ومحجة المتقين. دون تاريخ ولا مكان الطبع.
رؤوف: عماد عبدالسلام رؤوف (الدكتور).
٦٩ - الآثار الخطية في المكتبة القادرية. بغداد (١٩٧٤ - ١٩٨٠م).
٧٠ - الموصل في العهد العثماني. النجف ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الزركلي: خير الدين الزركلي.
٧١ - الأعلام (قاموس تراجم) ط ٣ - بيروت ١٩٦٩م.
- زكي: محمد أمين زكي.
٧٢ - مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي. بغداد ١٩٤٥م.
- السامرائي: إبراهيم السامرائي (الدكتور).
٧٣ - ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق بمشاركة الدكتور أحمد مطلوب. بغداد ١٩٦٢م.

السامرائي: الشيخ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي.

٧٤ - تاريخ مساجد بغداد الحديثة. بغداد ١٩٧٧ م.

٧٥ - تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر (مخطوط).

سركيس: يعقوب نعوم سركيس.

٧٦ - مباحث عراقية في الجغرافية والآثار والخطط. بغداد - ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م.

سركيس: يوسف اليان سركيس.

٧٧ - معجم المطبوعات العربية والمعربة. القاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م.

السكري: أبو سعد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.

٧٨ - شرح أشعار الهذليين. باريس ١٨٥٤ م.

السندوبي: حسن السندوبي.

٧٩ - ديوان امرئ القيس. القاهرة ١٣٤٩ هـ.

السهورودي: الشيخ محمد صالح السهورودي المتوفى ١٩٥٧ م.

٨٠ - لب الألباب. بغداد ١٩٣٣ م.

سوسة: أحمد نسيم سوسة (الدكتور).

٨١ - فيضانات بغداد في التاريخ. بغداد ١٩٦٦ م.

٨٢ - دليل خارطة بغداد بمشاركة الدكتور مصطفى جواد. بغداد ١٩٥٨ م.

الشدياق: أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ.

٨٣ - كنز الرغائب من منتخبات الجوائب (*) (ديوان شعر) الأستانة ١٢٩٢ هـ.

الشواف: الشيخ عبدالفتاح بن سعيد الشواف المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ.

٨٤ - حديقة الورود في مدائح أبي التناء شهاب الدين محمود (مخطوط).

(*) في الطبعة (١): (الجوائب) والصواب ما أثبتناه. والجوائب هي الجريدة التي أصدرها أحمد فارس الشدياق في استانبول.

شوقي: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي المتوفى سنة ١٣٥١هـ.

٨٥ - الشوقيات (ديوان شعر) القاهرة ١٩٣٦م.

الشيخلي: هيثم بن شاكر الشيخلي.

٨٦ - الشاعر عبدالغفار الأخرس (حياته وشعره) رسالة ماجستير من جامعة الأزهر (١٩٧٨م) بالرونيو.

صائغ: القس سليمان صائغ.

٨٧ - تاريخ الموصل. القاهرة ١٩٢٣م.

الصاوي: محمد بن إسماعيل الصاوي.

٨٨ - شرح ديوان جرير. القاهرة - دون تاريخ.

الصيادي: أبو الهدى محمد بن حسن بن وادي الصيادي المتوفى سنة ١٣٢٧هـ.

٨٩ - تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار. القاهرة - ١٣٠٦هـ.

الطباطبائي: السيد إبراهيم بن رضا الطباطبائي المتوفى سنة ١٣١٩هـ.

٩٠ - ديوان الطباطبائي. صيدا - ١٣٣١هـ.

الطريحي: محمد كاظم الطريحي.

٩١ - ديوان ابن كمونة (الحاج محمد علي كمونة الأسدي الحائري المتوفى سنة ١٢٨٢هـ).

(جمع). النجف ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

الطويراني: حسن حسني باشا بن حسين عارف الطويراني المتوفى سنة ١٣١٥هـ.

٩٢ - ديوان ثمرات الحياة. القاهرة - ١٣٠٩هـ.

ابن عاشور: الشيخ محمد طاهر بن عاشور.

٩٣ - شرح ديوان بشار بن برد. القاهرة ١٩٥٠م.

العزاوي: عباس العزاوي المحامي.

٩٤ - منتخب المختار أو تاريخ علماء بغداد (تحقيق) (للشيخ محمد بن رافع السلامي). بغداد ١٩٣٨م.

- ٩٥ - الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان. بغداد ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
- ٩٦ - عشائر العراق. بغداد ١٣٦٥هـ - ١٩٤٧م.
- ٩٧ - تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ و٨. بغداد ١٩٥٥ - ١٩٥٦م.
- ٩٨ - تاريخ الأدب العربي في العراق. بغداد ١٩٦٠ - ١٩٦٢م.
- ٩٩ - مجموعة السيد عبدالغفار الأخرس (تحقيق وتعليق) بغداد ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- ١٠٠ - التكايا والطرق (مخطوط).
- ١٠١ - تاريخ شهرزور (مخطوط).
- عزالدين: يوسف عزالدين أحمد السامرائي (الدكتور).
- ١٠٢ - خيرى الهنداوي (حياته وديوان شعره) بغداد ١٩٧٤م.
- ١٠٣ - مخطوطة شعر الأخرس (تحقيق) بغداد ١٩٦٣م.
- ١٠٤ - النصره في أخبار البصرة (تحقيق) (للقاضي أحمد نور الأنصاري) بغداد ١٩٦٩م.
- ١٠٥ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر (خصائصه وأهدافه) بغداد ١٩٦٩م.
- ١٠٦ - داود باشا ونهاية دولة المماليك في العراق. بغداد ١٩٧٦م.
- العشاري: حسين بن علي العشاري المتوفى سنة ١١٩٥هـ.
- ١٠٧ - ديوان العشاري تحقيق الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ووليد الأعظمي - بغداد ١٩٧٧م.
- العكبري: أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ.
- ١٠٨ - شرح ديوان أبي الطيب المتنبي. صححه وضبطه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي. القاهرة ١٩٣٦م.
- العلاف: عبدالكريم بن مصطفى العلاف.
- ١٠٩ - بغداد القديمة. بغداد ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- ١١٠ - الطرب عند العرب. بغداد ١٣٦٤ - ١٩٤٥م.
- العمري: أحمد عزة باشا ابن محمود العمري الفاروقي المتوفى ١٣١٠هـ.
- ١١١ - ديوان أحمد عزة الفاروقي (مخطوط).

العمري: عبد الباقي بن سليمان العمري الفاروقي المتوفى سنة ١٢٧٨هـ.

١١٢ - الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي. القاهرة ١٣١٦هـ.

غريال: محمد شفيق غريال.

١١٣ - الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة ١٩٦٥م.

فائق: سليمان فائق الحاج طالب كهية المتوفى سنة ١٣١٤هـ.

١١٤ - تاريخ الممالك الكولند في بغداد. ترجمة محمد نجيب أرمنازي. بغداد ١٩٦١م.

١١٥ - تاريخ بغداد ترجمة موسى كاظم نورس. بغداد ١٩٦٢م.

فروخ: عمر فروخ (الدكتور).

١١٦ - تاريخ الأدب العربي. بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

فريد: محمد فريد بك بن أحمد المتوفى سنة ١٣٣٨هـ.

١١٧ - تاريخ الدولة العلية العثمانية. القاهرة ١٨٩٦م.

القرشي: محيي الدين عبدالقادر بن محمد القرشي المتوفى سنة ٧٧٥هـ.

١١٨ - الجواهر الضية في طبقات الحنفية. حيدر آباد. الدكن ١٣٣٢هـ.

القشطيني: محمد ناجي القشطيني.

١١٩ - نفثات الأخرس. بغداد ١٩٦٩م.

ابن كثير: الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى في سنة ١٥٧٧هـ.

١٢٠ - البداية والنهاية في التاريخ. القاهرة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١٢١ - السيرة النبوية. القاهرة ١٩٦٤م.

كحالة: عمر رضا كحالة.

١٢٢ - أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ط ٢. دمشق ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

الكركوكلي: الشيخ رسول الكركوكلي.

١٢٣ - دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء. ترجمة موسى كاظم فورس - بيروت ١٩٦٤م.

- الكميت: الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي المتوفى ١٢٦هـ.
١٢٤ - الهاشميات. القاهرة - دون تاريخ.
- محيي الدين: الشيخ عبدالحسين قاسم محيي الدين المتوفى سنة ١٢٧١هـ.
١٢٥ - ديوان الشيخ عبدالحسين محيي الدين (مخطوط).
- محيي الدين: عبدالرزاق محيي الدين (الدكتور).
١٢٦ - الحالي والعاقل تكملة للحق أمل الآمل. النجف ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ.
١٢٧ - لسان العرب المحيط. بيروت. بدون تاريخ (يوسف خياط ونديم مرعشلي).
- الموصلية: سالم عبدالرزاق أحمد (الموصلية).
١٢٨ - فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ج ٨ الموصل - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ.
١٢٩ - مجمع الأمثال. القاهرة ١٩٣٢م.
- الناصر: عبدالله الناصر.
١٣٠ - تاريخ السعدون. النجف ١٩٤١م.
- النبهاني: الشيخ محمد بن خليفة النبهاني الطائي المتوفى سنة ١٣٦٩هـ.
١٣١ - التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ط ٢. القاهرة ١٣٤٢هـ.
نسليم: أحمد نسليم.
١٣٢ - ديوان مهيار الديلمي. القاهرة ١٩٢٥م.
- نوري: بهاء الدين نوري (ترجمة).
١٣٣ - رحلة ريج إلى العراق. بغداد ١٩٥١م.
- الوائلي: إبراهيم الوائلي (الدكتور).
١٣٤ - الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر. بغداد ١٩٧٨م.

الواعظ: إبراهيم الواعظ المحامي.

١٣٥ - الروض الأزهر. الموصل ١٩٥٦م.

ابن هشام: جمال الدين عبدالله بن يوسف الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ.

١٣٦ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي عبدالله - دمشق ١٩٦٤م.

ابن هشام: أبو محمد عبدالله بن هشام المتوفى سنة ٢١٣هـ.

١٣٧ - السيرة النبوية. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

الهيتمي: الشيخ رشاد الخطيب الهيتمي.

١٣٨ - هيت في إطارها القديم والحديث. بغداد ١٩٦٦م.

اليعقوبي: الشيخ محمد علي اليعقوبي النجفي التبريزي

١٣٩ - ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ. (جمع وتعليق) النجف ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

١٤٠ - ديوان حسين القيم الحلبي. النجف ١٩٦٥م.

اليسوعي: لويس شيخو اليسوعي.

١٤١ - الآداب العربية في القرن التاسع عشر. بيروت ١٩٢٦م.

١٤٢ - ديوان صفى الدين الحلبي. بيروت. دار صادر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

١٤٣ - ديوان أبي العتاهية. بيروت. دار صادر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٤٤ - سالنامة البصرة ١٣٠٩هـ. مطبعة البصرة ١٣٠٩هـ.

١٤٥ - مخطوطة شعر الأخرس (المتحف العراقي).

١٤٦ - مجموعة أدبية (مخطوطة) (الأوقاف العامة بغداد).
